البداية والنهاية

الطبعة الأولى

١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م

رقم الإيداع : ٢٠٤٤٧ / ٢٠٠٤
I.S.B.N. : 977 - 390 - 038 - X

دار ابن رجب طبع . نشر . توزيع

فارسكور : تليفاكس ٠٠٢٠٥٧٤٤١٥٥٠ جوال : ٠١٢٢٣٦٨٠٠٢
المنصورة : شارع جمال الدين الأفغاني هاتف : ٠٠٢٠٥٠٢٣١٢٠٦٨



للإمام الجليل الحافظ عماد الدين أبي الفداء

إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي

المتوفى سنة ٧٧٤هـ

أشرف على تحقيقه: فضيلة الشيخ

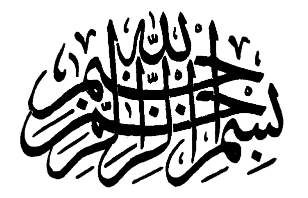
مصطفى بن العدوي

خرج أحاديث هذا الجزء:

أبو صهيب مجدي بن عبد الهادي بن صالح

الجزء السابع

دار ابن رجب



ذكر إخباره، عليه الصلاة والسلام، بما وقع من الفتن بعد معاوية من أغيلمة بني هاشم وغير ذلك

قال البخاريُّ: حدثنا محمد بن كثير، أخبرني سفيان، عن الأعمش، عن زيد بن وهب، عن ابن مسعود، عن النبيِّ ﷺ قال: «**ستكونُ أثرةٌ وأمورٌ تُنكرونها**». قالوا: يا رسولَ الله، فما تأمُرُنا؟ قال: «**تؤدُّون الحقَّ الذي عليكم، وتسألون اللهَ الذي لكم**»[1].

وقال البخاريُّ: ثنا محمد بن عبد الرحيم، ثنا أبو مَعْمر إسماعيلُ بنُ إبراهيمَ، ثنا أبو أسامةَ، ثنا شعبةُ، عن أبي التَّيَّاح، عن أبي زُرْعةَ، عن أبي هريرةَ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**يُهلكُ الناسَ هذا الحيُّ من قريش**». قالوا: فما تأمُرُنا يا رسولَ الله؟ قال: «**لو أنَّ الناسَ اعتزلوهم**»[2]. ورواه مسلمٌ عن أبي بكر ابنِ أبي شَيْبةَ، عن أبي أُسامةَ.

وقال البخاريُّ: **وقال محمودٌ**: ثنا أبو داودَ، أخبرنا شعبةُ، عن أبي التَّيَّاح قال: سمعتُ أبا زُرعة، وحدثنا أحمد بن محمد المكيُّ، ثنا عمرُو بنُ يحيى بن سعيدٍ الأمويُّ، عن جدِّه قال: كنتُ مع مَرْوان وأبي هريرة فسمعْتُ أبا هريرةَ يقولُ: سمعْتُ الصادقَ المَصْدوقَ يقولُ: «**هَلاكُ أمتي على يدَيْ غلمة من قريش**». فقال مَرْوانُ: غِلْمةٌ؟! قال أبو هريرةَ: إن شئتَ أن أُسَمِّيَهم بني فلانٍ وبني فلانٍ[3]. تفرد به البخاريُّ.

وقال الإمامُ أحمدُ: ثنا رَوْحٌ، ثنا أبو أميَّةَ عمرُو بنُ يحيى بن سعيد بن عمرو بن سعيدِ ابنِ العاص، أخبرني جدِّي سعيدُ بنُ عمرو بن سعيدٍ، عن أبي هُريرةَ قال: سمعْتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «**هَلَكَةُ أمتي على يدَيْ غلْمَة**». قال مَرْوانُ وهو معنا في الحلْقة قبلَ أن يَلِيَ شيئًا: فلَعْنةُ الله عليهم غِلْمةً. قال: أمَا والله لو أشاءُ أن أقولَ بني فلانٍ وبني فلانٍ لفعَلْتُ. قال: فكنتُ أخْرُجُ مع أبي وجدِّي إلى بني مَرْوانَ بعدَ ما ملَكوا، فإذا هم يُبايعون الصِّبْيانَ، ومنهم مَن يُبايَعُ له وهو في خِرْقة. قال لنا: هل عسى أصحابُكم هؤلاء أن يكونوا الذي سمعْتُ أبا هريرةَ يذكُرُ؟ إن هذه الملوكَ يُشْبِهُ بعضُها بعضًا[4]. وقال أحمد: حدثنا عبد الرحمن، عن سفيان، عن سماك، حدثني عبد الله بنُ ظالم قال: سمعتُ أبا هريرة قال: سمعْتُ حِبِّي أبا القاسم ﷺ يقولُ: «**إن فسادَ أمتي على يدَيْ غلْمة سُفهاءَ من قريش**». ثم رواه أحمدُ، عن زيد بن الحباب، عن سفيانَ، وهو الثوريُّ، عن سِماكٍ، عن مالكِ بن ظالم، عن أبي هريرةَ، فذكَره. ثم روَى عن غُنْدَر ورَوْح بن عُبادةَ، عن شُعبةَ، عن سماك بن حرب، عن مالكِ بن ظالم قال: سمعْتُ أبا هريرةَ - زاد رَوْحٌ: يُحَدِّثُ مَرْوانَ بنَ الحَكَم - قال: سمعْتُ رسول الله ﷺ الصادقَ

(١) صحيح: رواه البخاري (٣٦٠٣).
(٢) صحيح: رواه البخاري (٣٦٠٤).
(٣) صحيح: رواه البخاري (٣٦٠٥).
(٤) إسناده صحيح: رواه أحمد (٢/ ٣٢٤).

المصدوقَ يقولُ: «هَلاكُ أمتي على رءُوسِ غلمة أُمراءَ سُفَهاءَ من قريش»(١).

وقال الإمامُ أحمدُ: حدثنا أبوعبد الرحمن، حدثنا حيْوةُ، حدَّثني بَشيرُ بنُ أبي عمرو الخَوْلانيُّ، أن الوليدَ بنَ قيسٍ التُّجيبيَّ حدَّثه أنه سمع أبا سعيد الخُدْري يقولُ: سمعْتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «**يكونُ خَلْفٌ من بعد الستين سنةً أضاعوا الصلاةَ، واتَّبعوا الشَّهوات، فسوف يَلْقون غَيًّا، ثم يكونُ خَلْفٌ يَقرءُون القرآنَ لا يَعْدو تراقيَهم، ويقرأُ القرآنَ ثلاثةٌ: مؤمنٌ، ومنافق، وفاجرٌ**».

قال بشير: فقلتُ للوليد: ما هؤلاء الثلاثة؟ قال: المنافقُ كافرٌ به، والفاجرُ يتأكَّلُ به، والمؤمنُ يُؤمنُ به(٢). تفرد به أحمد، وإسنادُه جيدٌ قويٌّ على شرط السنن.

وقد روىٰ البيهقيُّ، عن الحاكم، عن الأصَمِّ عن الحسنِ بنِ عليِّ بنِ عفانَ، عن أبي أسامة، عن مُجالدٍ، عن الشعبيِّ قال: لما رَجع عليٌّ من صِفِّينَ قال: يا أيُّها الناسُ، لا تكْرَهوا إمارةَ مُعاوية؛ فإنه لو فقَدْتُموه لقد رأيْتم الرءوسَ تَنْزُو من كَواهلِها كالحَنْظَل. ثمَّ روىٰ عن الحاكم وغيره، عن الأصَمِّ، عن العباسِ بنِ الوليد بن مَزْيَد، عن أبيه، عن ابنِ جابر، عن عُميرِ بنِ هانئٍ أنه حدَّثه أنه قال: كان أبو هريرة يمشي في سوقِ المدينة وهويقولُ: اللهم لا تُدْرِكْني سَنَةُ الستين، ويْحَكم تَمسَّكوا بصُدْغيْ معاويةَ، اللهم لا تُدْرِكْني إمارةُ الصِّبيان. (٣) قال البيهقيُّ: وعليٌّ وأبو هريرة إنما يقولان هذا لشيءٍ سمعاه من رسول الله ﷺ.

وقال يعقوبُ بنُ سفيانَ: أنا عبد الرحمن بن عمرو الحزاميُّ، ثنا محمد بنُ سليمان، عن ابن غُنيم البَعْلَبَكِّيِّ، عن هشام بنِ الغاز، عن مَكْحول، عن أبي ثَعْلبةَ الخُشَنيِّ، عن أبي عُبيدةَ بن الجرَّاح قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**لا يزالُ هذا الأمرُ مُعْتَدلاً قائمًا بالقِسْط حتى يَثْلَمَه رجلٌ من بني أميَّةَ**»(٤).

وروىٰ البيهقيُّ، من طريق عَوْفٍ الأعرابيِّ، عن أبي خَلْدةَ، عن أبي العالية، عن أبي ذَرٍّ، قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «**إن أولَ مَن يُبدلُ سُنَّتي رجلٌ من بني أُميَّة**» (٥). وهذا مُنْقطعٌ بينَ أبي العالية وأبي ذَرٍّ، وقد رجَّحه البيهقيُّ بحديث أبي عُبَيدةَ المُتقدِّم. قال: ويُشْبهُ أن يكونَ هذا الرجلُ هو يزيدَ بنَ معاويةَ بن أبي سُفْيانَ. واللهُ أعلم.

قلتُ: الناسُ في يزيد بن مُعاوية أقسامٌ؛ فمنهم مَن يُحبُّه ويتَولاه، وهم طائفةٌ من أهلِ الشامِ من النَّواصب، وأما الرَّوافضُ فيشْغَبون عليه، ويُشنِّعون ويفْتَرون عليه أشْياءَ كثيرةً ليست فيه، ويتَّهِمُه كثيرٌ منهم أو أكثرُهم بالزَّنْدَقة، ولم يكنْ كذلك، وطائفةٌ أُخْرَىٰ لا يُحبُّونه ولا يَسُبُّونه لما يعلمون من

---

(١) **إسناده ضعيف:** رواه أحمد (٢/ ٤٨٥) وفي إسناده مالك بن ظالم ضعيف.

(٢) **إسناده ضعيف:** رواه أحمد (٣/ ٣٨) وفيه الوليد بن قيس مقبول ولم يتابع.

(٣) رواه البيهقي في «الدلائل» (٦/ ٤٦٦).

(٤) رواه البيهقي في «الدلائل» (٤٦٧).

(٥) **منقطع:** رواه البيهقي في «الدلائل» (٦/ ٤٦٦) وفي سنده أبو العالية لم يسمع من أبي ذر.

أنه لم يكن زنديقًا كما تقوله الرافضةُ، ولما وقع في زمانه من الحوادث الفظيعة، والأمور المستنكرة البشيعة الشنيعة، فمن أنكرها قتلُ الحسين بن عليٍّ بكربلاءَ، ولكن لم يكنْ ذلك عن علم منه، ولعله لم يرضَ به ولم يَسُؤْهُ، وكذلك من الأمور المنكرة جدًا وقعةُ الحرَّةِ وما كان من الأمور القبيحة بالمدينة النبوية، على ماسنوردُه إذا انتهينا إليه في التاريخ إن شاء اللهُ تعالى.

الإخبار بمقتل الحسين بن عليٍّ رضي اللهُ عنهما

وقد ورد الحديثُ بمقتل الحسين، فقال الإمامُ أحمدُ: حدثنا عبد الصمد بنُ حسَّانَ، ثنا عُمارةُ، يعني ابنَ زاذانَ، عن ثابت، عن أنس قال: استأذن ملَكُ المطر أن يأتيَ النبيَّ ﷺ، فأذن له، فقال لأمِّ سلَمةَ: «احفَظي علينا البابَ لا يدخلْ أحدٌ». فجاء الحسينُ بنُ عليٍّ، فوثَب حتى دخَل، فجعَل يَصْعَدُ على منْكِب النبيِّ ﷺ، فقال له الملَكُ: أتحبُّه؟ فقال النبيُّ ﷺ: «نعم». قال: فإن أمَّتَك تقتُلُه، وإن شئتَ أرَيْتُك المكانَ الذي يُقتَلُ فيه. قال: فضربَ بيده فأراه ترابًا أحمرَ، فأخذَت أمُّ سلمة ذلك التراب فصرَّته في طرَف ثوبِها. قال: فكنا نَسْمَعُ: يُقْتَلُ بكَرْبلاء[1]. ورواه البيهقيُّ من حديث بشر ابن موسى، عن عبد الصمد، عن عُمارةَ، فذكَره. ثم قال: وكذلك رواه شَيْبانُ بنُ فَرُّوخَ عن عُمارة. وعُمارةُ بن زاذانَ هذا هو الصَّيْدلانيُّ أبو سلَمةَ البَصْريُّ، اختلفوا فيه، وقد قال: فيه أبو حاتم: يُكتَبُ حديثُه ولا يُحتَجُّ به، ليس بالمتين. وضعَّفه أحمدُ مرةً ووثَّقه أخرى. وحديثُه هذا قد رُوِيَ عن غيره من وجهٍ آخرَ؛ فرواه الحافظُ البيهقيُّ من طريق عُمارةَ بن غَزِيَّةَ، عن محمد بن إبراهيم، عن أبي سلَمةَ، عن عائشة، رضِي اللهُ عنها[2]، نحوَ هذا.

وقد قال البيهقيُّ: أنا الحاكمُ في آخَرين، قالوا: أنا الأصمُّ، أنا عباسٌ الدُّوريُّ، ثنا خالدُ بنُ مَخْلَدٍ، ثنا موسى بنُ يعقوبَ، عن هاشم بن هاشم بن عتبةَ ابن أبي وقاص، عن عبد الله بن وهب بن زمعة، أخبرَتْني أمُّ سلَمةَ، أنَّ رسولَ الله ﷺ اضطَجع ذاتَ يوم، فاستيقظ وهو خاثرٌ، ثم اضطَجع فرقَد، ثم استيقظ وهو خاثرٌ دونَ ما رأيتُ منه في المرة الأولى، ثم اضطَجع واستيقظ وفي يده تُرْبةٌ حمْراءُ وهو يُقلِّبُها، فقلتُ: ما هذه التُّربةُ يا رسولَ الله؟ قال: «أخبرني جبريلُ أن هذا يُقتَلُ بأرض العراق - للحسين - قلتُ له: يا جبريلُ، أرِني تُربةَ الأرض التي يُقتَلُ بها. فهذه تُربتُها»[3]. ثم قال البيهقيُّ: تابَعه موسى الجُهَنيُّ عن صالح بن أرْبَدَ النَّخَعيِّ، عن أمِّ سلَمةَ، وأبانُ عن شهر بن حَوْشب، عن أمِّ سلَمةَ.

وقال الحافظُ أبو بكر البزَّارُ في «مسنده»: ثنا إبراهيم بن يوسف الصَّيْرفيُّ، ثنا الحسينُ بنُ عيسى، ثنا الحكمُ بنُ أبان، عن عكرمةَ، عن ابن عباس قال: كان الحسينُ جالسًا في حِجْر النبيِّ ﷺ، فقال

---

(١) في إسناده ضعف: رواه أحمد (٣/ ٢٦٥) في إسناده عمارة بن زاذان فيه ضعف.
(٢) رواه البيهقي في «الدلائل» (٦/ ٤٦٩). (٣) رواه البيهقي في «الدلائل» (٦/ ٤٦٨).

جبريلُ: أتُحبُّه فقال: «وكيف لا أُحبُّه وهو ثَمرةُ فُؤادي؟» فقال: أما إن أُمَّتَك ستَقْتُلُه، ألا أُرِيك من موضع قبره؟ فقبَض قَبْضةً، فإذا تُرْبَةٌ حَمْراءُ[1]. ثم قال البزار: لا نَعْلَمُه يُرْوَىٰ إلا بهذا الإسناد، والحسين بنُ عيسىٰ قد حدَّث عن الحكم بن أبان بأحاديثَ لا نَعْلَمُها عندَ غيره. قلتُ: هو الحسين بن عيسىٰ بن مسلم الحَنَفيُّ أبوعبد الرحمن الكوفيُّ أخو سُلَيم القارئ. قال فيه البخاريُ: مجهولٌ. يعني مَجهول الحال، وإلا فقد رَوَىٰ عنه تسعة نفر. وقال أبو زُرْعةَ: مُنْكَر الحديث. وقال أبو حاتم ليس بالقوي، روىٰ عن الحكم بن أبان أحاديث منكرةً وذكَره ابنُ حِبَّانَ في «الثقات». وقال ابنُ عديٍّ: قليلُ الحديث، وعامَّةُ حديثِه غرائبُ، وفي بعضِ أحاديثِه المُنْكراتُ.

وروىٰ البيهقيُّ عن الحاكم وغيره، عن أبي الأحْوصِ محمد بن الهيثم القاضي، ثنا محمد بن مُصْعَبٍ، ثنا الأوزاعيُّ، عن أبي عَمّارٍ شداد بن عبد الله، عن أم الفضل بنت الحارث، أنها دخَلَت علىٰ رسولِ الله ﷺ فقالت: يا رسولَ الله، إني رأيْتُ حُلْمًا مُنْكَرًا الليلةَ. قال: «وماهو؟» قالت: إنَّه شديدٌ. قال: «وما هو؟» قالت: رأيْتُ كأنَّ قطعةً من جسدك قُطِعت ووُضِعت في حِجْري. فقال: «رأيْت خيرًا؛ تلدُ فاطمةُ إن شاء اللهُ غُلاما،فيكونُ في حِجْرِك». فولَدت فاطمةُ الحسينَ، فكان في حِجْري كما قال رسولُ الله ﷺ، فدخلتُ يومًا علىٰ رسولِ الله ﷺ فوضَعْتُه في حجره، ثم حانت مني التفاتةٌ، فإذا عينا رسولِ الله ﷺ تُهَرِيقان الدموعَ. قالت: قلتُ: يا نبيَّ الله، بأبي أنت وأمي، ما لك؟ قال: «أتاني جبريلُ عليه السلامُ فأخْبَرني أن أمتي ستَقْتُلُ ابني هذا». فقلتُ: هذا؟ قال: «نعم، وأتاني بتُرْبَة من تُرْبته حَمْراءَ»[2]. وقد روىٰ الإمامُ أحمدُ عن عفانَ، عن وُهَيْبٍ، عن أيوبَ، عن صالحٍ أبي الخَليلِ، عن عبدِ الله بن الحارث، عن أم الفضلِ قالت: أتَيْتُ رسولَ الله ﷺ فقلتُ: إني رأيْتُ في مَنامي أن في بيتي أو حِجْري عُضْوًا من أعضائك. قال: «تلدُ فاطمةُ إن شاءَ اللهُ غلامًا فتَكْفُلِينَه. فولَدت له فاطمةُ حسينًا، فدفَعَتْه إليها فأرْضَعَتْه بلبن قُثَم، فأتَيْتُ به رسولَ الله ﷺ يومًا أزورُه، فأخَذه فوضَعه علىٰ صدره، فبال فأصاب البولُ إزارَه، فزَخَخْتُ بيدي علىٰ كَتِفَيْه، فقال: «أوْجَعْت ابني أصْلَحَك اللهُ». أو قال: «رحِمك اللهُ». فقلتُ: أعْطني إزارَك أغْسِلْه. فقال: «إنما يُغْسَلُ بولُ الجارية، ويُصَبُّ علىٰ بول الغلام»[3]. ورَواه أحمدُ أيضًا عن يحيىٰ بن أبي بُكَيرٍ، عن إسرائيلَ، عن سِماكٍ، عن قابوسِ بنِ مُخارِقٍ، عن أمِّ الفضلِ، فذكَر مثلَه سواءً، وليس فيه الإخْبارُ بقتله. فاللهُ أعلمُ.

وقال الإمامُ أحمدُ: حدثنا عفانُ، ثنا حمادٌ، أنا عمارُ بنُ أبي عَمّارٍ، عن ابنِ عباسٍ قال: رأيْتُ

---

(1) **إسناده ضعيف:** رواه البزار في «كشف الأستار» (٢٦٤٠) وفيه الحسين بن عيسىٰ بن مسلم الحنفي ضعيف.

(2) رواه البيهقي في «الدلائل» (٦/ ٤٦٨).

(3) **إسناده صحيح:** رواه أحمد (٦/ ٣٣٩) وابن ماجه (٣٩٢٣) من طريق معاوية بن هشام حدثنا علي بن صالح عن سماك عن قابوس قال قالت أم الفضل .. الحديث وليس فيه ذكر القتل وسنده فيه ضعف.

النبيَّ ﷺ فيما يرى النائمُ بنصف النهار وهو قائلٌ، أشْعَثَ أغْبَرَ، بيده قارورةٌ فيها دمٌ، فقلتُ: بأبي أنت وأمي يا رسولَ الله، ما هذا؟ قال: «**هذا دمُ الحسين وأصحابه، لم أزَلْ ألتقطُه منذ اليوم**». قال: فأحْصَيْنا ذلك اليوم فوجَدوه قُتِل في ذلك اليوم، رضي الله عنه[1]. قال قتادة: قُتِل الحسين يومَ الجمعة، يومَ عاشوراءَ سنةَ إحدى وستين، وله أربعٌ وخمسون سنةً وستةُ أشهرٍ ونصفُ شهرٍ. وهكذا قال الليث وأبو بكر بنُ عَيَّاشٍ والواقديُّ وخليفةُ بنُ خيَّاطٍ وأبو مَعْشَرٍ وغيرُ واحدٍ، أنه قُتل يومَ عاشوراءَ عامَ واحدٍ وستين، وزعم بعضُهم أنه قُتل يومَ السبت، والأول أصَحُّ. وقد ذكروا في مَقْتَله أشياءَ كثيرةً أنها وقعت؛ من كُسوف الشمس يومئذٍ -وهو ضعيفٌ- وتغيير آفاق السماء، ولم يَنْقَلِبْ حَجَرٌ إلا وُجِد تحته دمٌ، ومنهم مَن خَصَّص ذلك بحجارة بيت المقدس، وأن الوَرْسَ استحال رَمادًا، وأن اللحمَ صار مثل العَلْقَم وكان فيه النارُ، إلى غيرِ ذلك مما في بعضِها نَكارةٌ، وفي بعضِها احتمالٌ. واللـه أعلمُ. وقد مات رسولُ الله ﷺ وهو سيدُ ولد آدمَ في الدنيا والآخرة، ولم يقَعْ شيءٌ من هذه الأشياء، وكذلك الصِّدِّيقُ بعدَه مات ولم يكنْ شيءٌ من هذا، وكذا عمرُ بنُ الخطاب قُتِل شَهيدًا وهو قائمٌ يُصَلِّي في المحرابِ صلاة الفجرِ، وحُصر عثمانُ في داره، وقُتِل بعدَ ذلك شهيدًا، وقُتِل عليُّ بن أبي طالبٍ شَهيدًا يومَ الجمعة قبلَ صلاة الفجرِ، ولم يكنْ شيءٌ من هذه الأشياء. والله أعلم.

وقد روى حمادُ بنُ سَلَمةَ، عن عَمَّارِ بنِ أبي عَمَّارٍ، عن أمِّ سَلَمةَ أنها سمعَت الجنَّ تَنوحُ على الحسينِ بنِ عليٍّ. وهذا صحيح.

وقال شَهْرُ بنُ حَوْشَب: كنا عندَ أمِّ سَلَمةَ فجاءها الخبرُ بقتلِ الحسين، فخرَّت مَغْشيًا عليها. وكان سببَ قتلِ الحسين أنه كتَبَ إليه أهلُ العراقِ يطلُبون منه أن يَقْدَمَ عليهم ليُبايعوه بالخلافة، وكثُر تواتُرُ الكُتُبِ عليه من العامَّة ومن ابنِ عمِّه مسلم بنِ عَقيلٍ، فلما ظهرَ على ذلك عُبَيدُ الله بنُ زيادٍ نائبُ العراقِ ليزيدَ بنِ معاويةَ، بعثَ إلى مسلم بنِ عَقيلٍ فضرَبَ عنقَه، ورماه من القصرِ إلى العامَّة، فتفرَّق مَلَؤهم وتَبَدَّدت كَلِمتُهم، هذا وقد تَجَهَّزَ الحُسَيْنُ من الحجازِ إلى العراق ولم يشْعُرْ بما وقَع، فتحَمَّل بأهله ومَن أطاعه وكانوا قريبًا من ثلاثمائةٍ، وقد نهاه عن ذلك جماعةٌ من الصحابة، منهم؛ أبو سعيدٍ، وجابرٌ، وابن عباسٍ، وابنُ عمرَ، فلم يُطِعْهم[2].

وما أحْسَنَ مانهاه ابنُ عمرَ عن ذلك، واستدل له على أنه لا يقعُ ما يُريدُه فلم يَقْبَلْ؛ فروى الحافظ البيهقيُّ من حديث يحيى بن سالم الأسَديِّ، ورواه أبو داود الطيالسيُّ في «مسنده» عنه قال: سمعتُ الشعبيَّ يقولُ: كان ابنُ عمرَ قدِم المدينةَ، فأُخبِر أن الحسينَ بن عليٍّ قد توَجَّه إلى العراق، فلحقه، على مَسيرةِ ليلتَين أو ثلاثٍ من المدينة. فقال: أين تريدُ؟ قال: العراقَ. ومعه طَواميرُ وكُتبٌ، فقال: لا يأتِهم. فقال: هذه كُتُبُهم وبَيْعتُهم. فقال: إن الله خيَّر نبيَّه ﷺ بين الدنيا والآخرة، فاختار الآخرةَ

(١) **إسناده حسن**: رواه أحمد (١/ ٢٨٣).

(٢) انظر هذا بتوسع في كتب السير والتاريخ.

ولم يُرِدِ الدنيا، وإنكم بَضْعةٌ مِن رسولِ الله ﷺ، والله لا يَلِيها أحدٌ منكم أبدًا، وما صرفَها عنكم إلا لِلَّذي هو خيرٌ لكم، فارْجِعوا. فأبَىٰ وقال: هذه كُتُبُهم وبَيْعتُهم. قال: فاعْتَنَقَه ابنُ عمرَ وقال: أستَودِعُك اللهَ مِن قَتيلٍ. وقد وقَع ما فهِمه عبدُ الله بنُ عمرَ مِن ذلك سواءً، مِن أنه لم يَلِ أحدٌ مِن أهلِ البيتِ الخِلافةَ علىٰ سبيل الاسْتقلالِ ويَتِمَّ له الأمرُ، وقد قال ذلك عثمانُ بنُ عفانَ، وعليُّ بنُ أبي طالبٍ أنه لا يَلِي أحدٌ مِن أهلِ البيتِ أبدًا. رَواه عنهما أبو صالحٍ السليلُ بنُ أحمدَ بنِ عيسىٰ بنِ الشيخِ في كتابِه «الفتنِ والملاحِمِ». قلتُ: وأما الخلفاءُ الفاطميُّون الذين كانوا بالدِّيارِ المصريةِ، فإن أكثرَ العلماءِ علىٰ أنهم أدْعِياءُ، وعليُّ بن أبي طالبٍ مِن أهلِ البيتِ، ومع هذا لم يَتِمَّ له الأمرُ كما كان للخُلفاءِ الثلاثةِ قبلَه، ولا اتَّسَعَت يدُه في البلادِ كلِّها، ثم تَنَكَّدتَ عليه الأمورُ، وأما ابنُه الحسنُ، رضي الله عنه، فإنه لما جاء في جيوشه وتَصافَىٰ هو وأهلُ الشامِ، ورأىٰ أن المصلحةَ في تركِ الخلافةِ، ترَكها للهِ، عز وجل، وصِيانةً لدماءِ المسلمين، أثابه اللهُ ورضِي عنه، وأما الحسينُ، رضِي الله عنه، فإن ابنَ عمرَ لما أشار عليه بترْكِ الذَّهابِ إلىٰ العراقِ وخالَفه، اعْتَنقه مُوَدِّعًا له وقال: أسْتَوْدِعُك اللهَ مِن قَتيلٍ. وقد وقَع ما تفرَّسَه ابنُ عمرَ، فإنه لما اسْتَقَلَّ ذاهبًا بعَث إليه عُبيدُ الله بنُ زيادٍ بكَتيبةٍ فيها أربعةُ آلافٍ، يَقْدُمُهم عمرُ بنُ سعدِ بن أبي وقَّاصٍ، وذلك بعدما اسْتَعْفاه فلم يُعْفِه، فالْتَقَوْا بمكانٍ يقالُ له: كَرْبَلاءُ. بالطَّفِّ، فالْتَجأ الحسينُ بنُ عليٍّ وأصحابُه إلىٰ مَقْصَبةٍ هنالك، وجعَلوها منهم بظَهْرٍ، وواجَهوا أولئك، وطلَب منهم الحسينُ إحدىٰ ثلاثٍ؛ إما أن يَدَعوه يَرْجِعُ مِن حيث جاء، وإما أن يَذْهَبَ إلىٰ ثغرٍ مِن الثُّغورِ فيُقاتِلَ فيه، أو يتْركوه حتىٰ يذْهبَ إلىٰ يزيدَ بنِ معاويةَ فيضَع يدَه في يدِه، فيحْكُمَ فيه بما شاء، فأبَوْا عليه واحدةً منهن، وقالوا: لابدَّ مِن قُدومِك علىٰ عُبَيدِ الله بنِ زيادٍ، فيرَىٰ فيك رأيه، فأبَىٰ أن يَقْدَمَ عليه أبدًا، وقاتَلَهم دونَ ذلك، فقتلوه، رحمه اللهُ، وذهَبوا برأسه إلىٰ عُبيدِ الله بن زيادٍ، فوضَعوه بينَ يديه، فجعل يَنْكُتُ بقَضيبٍ في يده علىٰ ثَناياه وعندَه أنسُ بنُ مالكٍ جالسٌ، فقال له: يا هذا، ارْفَعْ قَضيبَك، قد طال ما رأيْتُ رسولَ الله ﷺ يُقَبِّلُ هذه الثنايا. ثم أمَر عُبيدُ الله بنُ زيادٍ أن يُسارَ بأهلِه ومَن كان معه إلىٰ الشامِ إلىٰ يزيدَ بنِ مُعاويةَ، ويقالُ: إنه بَعث معهم بالرأسِ حتىٰ وُضع بينَ يدَيْ يزيدَ، فأنْشَد حينَئذٍ قولَ بعضِهم:

نُفَلِّقُ هامًا مِن رجالٍ أعِزَّةٍ ... علينا وهم كانوا أعَقَّ وأظْلَما

ثم أمَر بتَجْهيزِهم إلىٰ المدينةِ النبوية، فلما دخَلوها تلَقَّتْهم امرأةٌ مِن بناتِ عبدِ المطلبِ ناشرةً شعرَها، واضعةً كفَّها علىٰ رأسِها تَبْكي وهي تقولُ:

ماذا تقولون إن قال النبيُّ لكم ... ماذا فعَلْتُم وأنتم آخرُ الأممِ
بعِتْرَتي وبأهْلِي بعدَ مُفْتَقَدي ... منهم أُسارَىٰ وقَتْلَىٰ ضُرِّجوا بدمِ
ما كان هذا جزائي إذ نصَحْتُ لكم ... أن تَخْلُفوني بِشَرٍّ في ذوِي رَحِمي

وسنُوردُ هذا مُفَصَّلاً في موضعه إذا انْتَهَيْنا إليه إن شاء اللهُ، وبه الثِّقةُ وعليه التُّكْلانُ، وقد رثاه الناسُ بمَراثٍ كثيرةٍ، مِن أحسنِ ذلك ما أوْرَده الحاكمُ أبو عبد الله النَّيسابوريُّ، وكان فيه تَشَيُّعٌ:

جاءوا برأسك يا بنَ بنتِ محمدٍ ... مُتَزَمِّلاً بدمائه تَزْميلا

فكأنما بك يا بن بنت محمدٍ ... قتلوا جهارًا عامدين رسولاَ

قتلوك عَطْشانًا ولم يترقَّبوا ... في قتلك التَّنزيلَ والتَّأويلا

ويُكَبِّرون بأن قُتِلتَ وإنما ... قتلوا بكَ التَّكْبيرَ والتَّهْليلا

ذكر الإخبار عن وقعة الحَرَّة التي كانت في زمن يزيد أيضًا

قال يعقوبُ بنُ سفيانَ: حدثني إبراهيم بنُ المُنذر، حدثني ابنُ فليح، عن أبيه، عن أيوبَ بن عبد الرحمن، عن أيوبَ بن بَشير المُعاويِّ، أن رسولَ الله ﷺ خرَج في سفرٍ من أسْفاره، فلما مرَّ بحَرَّة زُهْرَةَ وقَف فاسْتَرْجَع، فساء ذلك مَن معه، وظَنُّوا أن ذلك من أمْرِ سفرِهم، فقال عمرُ بن الخطاب: يارسولَ الله، ما الذي رأيْتَ؟ فقال رسولُ الله ﷺ: **«أما إن ذلك ليس من سفركم هذا»**. قالوا: فما هو يارسولَ الله؟ قال: **«يُقْتَلُ بهذه الحَرَّة خيارُ أمتي بعدَ أصْحابي»**[1]. هذا مُرْسَلٌ.

وقد قال يعقوبُ بنُ سفيانَ: قال وهبُ بنُ جريرٍ: قالت جُوَيْرِيَةُ: حدثني ثَورُ بنُ زيدٍ، عن عكرمةَ، عن ابن عباسٍ قال: جاء تأويلُ هذه الآية على رأسِ ستين سنةً: ﴿**وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا**﴾ [الأحزاب: ١٤]. قال: لأعْطَوْها. يعني إدْخالَ بني حارثةَ أهل الشام على أهلِ المدينة[2]. وهذا إسنادٌ صحيحٌ إلى ابن عباسٍ، وتفسيرُ الصحابيِّ في حكمِ المرفوعِ عندَ كثيرٍ من العلماء.

وقال نُعيمُ بن حمادٍ في كتاب «الفتن والملاحم»: حدثنا أبو عبد الصَّمد العَمِّيُّ، ثنا أبو عِمْرانَ الجَوْنيُّ، عن عبد الله بن الصامت، عن أبي ذَرٍّ قال: قال لي رسولُ الله ﷺ: **«يا أبا ذَرٍّ، أرأيْتَ إن الناسُ قُتِلوا حتى تَغْرَقَ حجارةُ الزيت من الدماء، كيف أنت صانعٌ؟»** قال: قلتُ: اللهُ ورسولُه أعلمُ. قال: **«تَدْخُلُ بيتَك»**. قال: قلتُ: فإن أتَى عليَّ؟ قال: **«تأتي مَن أنت منه»**. قال: قلتُ: وأحْمِلُ السلاحَ؟ قال: **«إذًا تُشْرِكَ معهم»**. قال: قلتُ: فكيف أصنعُ يا رسولَ الله؟ قال: **«إن خفتَ أن يَبْهَرَك شُعاعُ السيفِ فألْقِ طائفةً من ردائك على وجهك يَبوءُ بإثْمك وإثْمه»**[3]. رواه الإمامُ أحمدُ في

---

(١) مرسل: رواه البيهقي في «الدلائل» (٦/ ٤٧٣).
(٢) إسناده صحيح إلى ابن عباس: رواه البيهقي في «الدلائل» (٦/ ٤٧٣، ٤٧٤).
(٣) إسناده صحيح: رواه أحمد (٥/ ١٤٩).

«مسنده» عن مَرْحوم، هو ابنُ عبد العزيز، عن أبي عمرانَ الجَوني، فذكَره مُطَوَّلاً.

قلتُ: وكان سببَ وَقْعة الحَرَّة أن وَفْداً من أهلِ المدينة قدموا على يزيدَ بن مُعاوية بدمشقَ، فأكْرَمهم وأحْسَن جائزتَهم، وأطْلقَ لأميرهم، وهو عبدُ الله بنُ حَنْظلةَ بنِ أبي عامرٍ، قريبًا من مائة ألفٍ، فلما رجَعوا ذكَروا لأهْليهم عن يزيدَ ما كان يقَعُ منه من القَبائحِ في شُرْبِه الخمرَ، وما يَتْبَعُ ذلك من الفواحشِ التي من أكْبرِها تَرْكُ الصلاةِ عن وقتِها بسببِ السُّكْرِ، فاجْتَمعوا على خَلْعِه، فخلَعوه عندَ المِنْبرِ النَّبويِّ، فلما بلَغه ذلك بعَث إليهم سَرِيَّةً يَقْدُمُها رجلٌ يقالُ له: مسلمُ بنُ عقبةَ. وإنما يُسَمِّيه السَّلَفُ مُسْرِفَ بنَ عقبةَ، فلما ورَد المدينةَ استَباحها ثلاثةَ أيامٍ، فقتَل في غُبونِ هذه الأيامِ بشرًا كثيرًا حتى كاد لا يَفْلِتُ أحدٌ من أهلِها، وزعَم بعضُ علماءِ السلفِ أنه افتَضَّ في غُبونِ ذلك ألفَ بِكْرٍ. فالله أعلمُ.

وقال عبد الله بن وهب عن الإمام مالك: قُتِل يومَ الحرَّةِ سبعُمائة رجلٍ من حَمَلَةِ القُرآنِ. حسِبْتُ أنه قال: وكان فيهم ثلاثةٌ من أصحابِ رسولِ الله ﷺ. وذلك في خلافةِ يزيدَ.

وقال يعقوبُ بنُ سفيانَ: سمعتُ سعيدَ بنَ كثيرِ بنِ عُفَيرٍ الأنصاريَّ يقولُ: قُتِل يومَ الحَرَّةِ عبدُ الله ابن زيدٍ المازنيُّ، ومَعْقِلُ بنُ سنانٍ الأشْجَعيُّ، ومُعاذُ بنُ الحارثِ القاريُّ، وقُتِل عبدُ الله بنُ حَنْظلةَ ابنِ أبي عامرٍ[1].

قال يعقوبُ: وحدثنا يحيى بن عبد الله بن بُكير، عن الليث قال: كانت وَقْعةُ الحَرَّةِ يومَ الأرْبعاء لثلاثٍ بقين من ذي الحجة سنةَ ثلاثٍ وستين.

ثم انْبَعث مُسْرِفُ بنُ عقبةَ إلى مكة قاصدًا عبد الله بن الزبير ليَقْتُلَه بها؛ لأنه فَرَّ من بَيْعةِ يزيدَ، فمات يزيدُ بنُ مُعاويةَ في غُبونِ ذلك، واستَفْحل أمرُ عبدِ الله بنِ الزبيرِ في الخلافةِ بالحجازِ، ثم أخَذ العراقَ ومصرَ، وبُويِع بعدَ يزيدَ لابنه مُعاويةَ بنِ يزيدَ، وكان رجلاً صالحًا، فلم تَطُلْ مُدَّتُه؛ مكَث أربعين يومًا، وقيل: عشرين يومًا. ثم مات، رحمه الله، فتَوثَّب مَرْوانُ بنُ الحَكَمِ على الشامِ فأخَذها، فبَقِي تسعةَ أشهرٍ ثم مات، وقام بعدَه ابنُه عبدُ الملكِ بنِ مَرْوانَ، فنازَعه فيها عمرُو بنُ سعيدٍ الأشْدقُ، وكان نائبًا على المدينةِ من زمنِ مُعاويةَ وأيامِ يزيدَ ومَرْوانَ، فلما هلَك مَرْوانُ زعَم أنه أوْصَى له بالأمرِ من بعدِ ابنه عبدِ الملكِ، فضاق به ذَرْعًا، فلم يَزَلْ به حتى أخَذه بعدَ ما استَفْحل أمرُه بدمشقَ، فقتَلَه في سنةِ تسعٍ وستين، ويقالُ: في سنةِ سبعين. واستَمَرَّت أيامُ عبدِ الملكِ حتى ظفِر بابنِ الزبيرِ سنةَ ثلاثٍ وسبعين، قتَله الحَجَّاجُ بنُ يوسفَ الثَّقفيُّ عن أمْرِه بمكةَ، بعدَ مُحاصرةٍ طويلةٍ اقْتَضَت أن نصَب المَنْجَنيقَ على الكعبةِ؛ من أجلِ أن ابنَ الزبيرِ لجأ إلى الحَرَمِ، فلم يَزَلْ به حتى قتَله، ثم عهِد في الأمْرِ إلى بَنِيه الأربعةِ من بعدِه؛ الوليدِ، ثم سليمانَ، ثم يزيدَ، ثم هشامِ بنِ عبدِ الملكِ.

---

(١) رواه البيهقي في «الدلائل» (٦/ ٤٧٤).

وقد قال الأمامُ أحمدُ: حدثنا أسودُ ويحيى بن أبي بُكير، ثنا كاملٌ أبو العَلاء، سمعْتُ أبا صالحٍ - وهو مولى ضُباعة - المُؤذِّنَ، واسمُه ميناءُ، قال: سمعْتُ أبا هريرةَ يقولُ: قال رسولُ الله ﷺ: «تعوَّذوا بالله من رأس السبعين، وإمارة الصِّبيان». وقال: «لا تَذْهبُ الدنيا حتى تَصيرَ للُكَعِ ابن لُكَعٍ». وقال الأسودُ: يعني اللَّئيمَ ابنَ اللئيم[1]. وقد روى الترمذيُّ من حديث كاملٍ، عن أبي صالحٍ، عن أبي هريرةَ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «عمرُ أمتي من ستين سنةً إلى سبعين سنةً»[2]. ثم قال: حسنٌ غريبٌ.

وقد روى الإمامُ أحمدُ عن عفانَ وعبدِ الصمدِ، عن حمادِ بن سَلَمةَ، عن عليِّ بن زيدٍ، حدثني مَن سمع أبا هريرةَ يقولُ: سمعْتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «لَيرْتَقينَّ - وقال عبدُ الصَّمد في روايته: لَيَرْعُفَنَّ - جبَّارٌ من جَبابرة بني أُميةَ على منْبري هذا»[3]. زاد عبدُ الصمد: «يَسيلُ رُعافُه». قال: فحدَّثني مَن رأى عمرَو بن سعيدِ بن العاص رَعَف على منْبر النبيِّ ﷺ حتى سال رُعافُه. قلتُ: عليُّ ابنُ زيدِ بن جُدْعانَ في روايته غَرابةٌ ونَكارةٌ، وفيه تَشيُّعٌ، وعمرُو بنُ سعيدٍ هذا يقالُ له: الأشْدَقُ. كان من ساداتِ المسلمين وأشْرافهم، رأى النبي ﷺ، وروى عن جماعةٍ من الصحابة، منهم في «صحيح مسلم» عن عثمانَ في فَضْلِ الطُّهور، وكان نائبًا على المدينة لمعاويةَ ولابنه يزيدَ من بعده، ثم استَفْحَل أمْرُه حتى كاد يُصاولُ عبدَ الملك بنَ مَرْوانَ، ثم خدَعه عبدُ الملك حتى ظفر به، فقتَله في سنة تسعٍ وستين، أو سنةِ سبعين. فاللهُ أعلمُ. وقد رُوِيَ عنه من المكَارم أشياءُ كثيرةٌ، من أحْسنها أنه لما حضَرَتْ أباه الوفاةُ قال لبنيه، وكانوا ثلاثةً؛ عمرٌو هذا، وأميَّةُ، وموسى، فقال لهم: مَن يتَحَمَّلُ ما عليَّ؟ فبدَر ابنُه عمرٌو هذا وقال: أنا يا أبَه، وما عليك؟ قال: ثلاثون ألفَ دينارٍ. قال: نعم. قال: وأخَواتُك لا تُزوِّجْهن إلا بالأكْفاء ولو أكَلْنَ خبزَ الشَّعيرِ. قال: نعم. قال: وأصْحابي من بعدي، إن فقَدوا وجهي فلا يَفْقِدوا مَعْروفي. قال: نعم. قال: أمَا لئنْ قلتَ ذلك فلقد كنتُ أعْرِفُه من حَماليقِ وجهك وأنت في مَهْدك.

وقد ذكَر البيهقيُّ من طريق عبد الله بن صالح كاتبِ الليث، عن حَرْمَلَةَ بن عِمْرانَ، عن يزيدَ بن أبي حَبيبٍ، أنه سمعه يُحدِّثُ عن محمد بن يَزيدَ بن أبي زيادٍ الثَّقفيِّ قال: اصْطَحب قيسُ بنُ خَرَشَةَ وكعبٌ حتى إذا بلَغا صِفِّينَ وقَف كعبُ الأحبار. فذكَر كلامَه فيما يقَعُ هناك من سَفْك دماء المسلمين، وأنه يجدُ ذلك في التَّوْراة، وذكَر عن قيس بن خَرَشَةَ أنه بايَع رسولَ الله ﷺ على أن يقولَ بالحقِّ. وقال: «يا قيسُ، عسى أن يَمُدَّ بك الدهرُ حتى يَلِيَك بعدي مَن لا تَستطيعُ أن تقولَ بالحقِّ معهم». فقال: والله لا أُبايعُك على شيءٍ إلا وَفَّيتُ لك به. فقال له رسولُ الله ﷺ: «إذًا لا يَضُرُّك بشرٌ». فبلَغ

(١) إسناده صحيح: رواه أحمد (٦/ ٣٢٦).

(٢) حسن: رواه الترمذي (٣٥٥٠) وابن ماجه (٤٢٣٦).

(٣) إسناده ضعيف: رواه أحمد (٢/ ٣٨٥) وفي إسناده علي بن زيد بن جدعان.

قيسٌ إلى أيامِ عُبَيدِ الله بنِ زيادِ بنِ أبي سفيانَ، فنقَم عليه عُبَيدُ الله في شيء، فأحْضَره فقال: أنت الذي تَزْعُمُ أنه لا يَضُرُّك بشرٌ؟ قال: نعم. قال: لَتَعْلَمَنَّ اليومَ أنك قد كَذَبْتَ، ائْتُوني بصاحبِ العذابِ[١]. قال: فمالَ قيسٌ عندَ ذلك فمات.

مُعْجِزةٌ أخرى

روى البيهقيُّ من طريقِ الدَّراوَرْديِّ، عن ثَورِ بنِ زيدٍ، عن موسى بنِ مَيْسَرةَ، أن بعضَ بني عبدِالله سايَره في بعضِ طريقِ مكةَ. قال: حدَّثني العباسُ بنُ عبدِ المطلب أنه بعَث ابنَه عبدَ الله إلى رسولِ الله ﷺ في حاجةٍ، فوجَد عندَه رجلاً، فرجَع ولم يُكلِّمْه؛ من أجلِ مكانِ الرجلِ، فلقِي العباسُ رسولَ الله ﷺ فأخْبَره بذلك، فقال: «ورآه؟» قال: نعم. قال: **«أتَدْري مَن ذلك الرجلُ؟ ذاك جبريلُ، ولن يموتَ حتى يَذْهَبَ بصرُه ويُؤتَى علمًا»**[٢]. وقد مات ابنُ عباسٍ سنةَ ثمانٍ وستين بعدما عَمِي، رضِي اللهُ عنه[٢].

وروى البيهقيُّ من حديثِ المعتمرِ بنِ سليمانَ، حدَّثَتْنا نُباتةُ بنتُ بُرَيْرٍ، عن حمادةَ، عن أُنَيْسةَ بنتِ زيدِ بنِ أرْقَمَ، عن أبيها، أن رسولَ الله ﷺ دخَل على زيدٍ يَعودُه في مرضٍ كان به، قال: **«ليس عليك من مَرَضِك بأسٌ، ولكن كيف بك إذا عُمِّرْتَ بعدي فعَمِيتَ؟»** قال: إذًا أحْتَسِبَ وأصْبِرَ. قال: **«إذًا تَدْخُلَ الجنةَ بغيرِ حسابٍ»**. قال: فعَمِي بعدَما مات رسولُ الله ﷺ، ثم ردَّ اللهُ عليه بصَرَه، ثم مات[٣].

فصل

وقد ثبَت في «الصحيحَيْن» عن أبي هريرةَ، وعندَ مسلمٍ عن جابرِ بنِ سَمُرةَ، عن رسولِ الله ﷺ أنه قال: **«إن بينَ يَدَيِ الساعةِ ثلاثين كذابًا دَجَّالاً، كلُّهم يَزْعُمُ أنه نبيٌّ»**[٤].

وقال البيهقيُّ، عن المالينيِّ، عن ابنِ عَدِيٍّ، عن أبي يَعْلَى المَوْصِليِّ، حدثنا عثمانُ بنُ أبي شَيْبةَ، ثنا محمدُ بنُ الحسنِ الأسَديُّ، ثنا شَريكٌ، عن أبي إسحاقَ، عن عبدِ الله بنِ الزبيرِ قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«لا تقومُ الساعةُ حتى يَخْرُجَ ثلاثون كذابًا، منهم؛ مُسَيلِمةُ، والعَنْسيُّ، والمختارُ، وشَرُّ قبائلِ العربِ بنو أميةَ وبنو حَنيفةَ وثَقيفٌ»**[٥]. قال ابنُ عَدِيٍّ: محمدُ بنُ الحسنِ له إفراداتٌ، وقد حدَّث عنه الثِّقاتُ، ولم أرَ بحديثِه بأسًا.

---

(١) رواه البيهقي في «الدلائل» (٦/ ٤٧٦، ٤٧٧).
(٢) إسناده ضعيف: رواه البيهقي في «الدلائل» (٦/ ٤٧٨) وفيه من لا يعرف.
(٣) إسناده ضعيف: رواه البيهقي في «الدلائل» (٦/ ٤٧٩) وفي سنده نباتة وحمادة وأُنيسة لا يعرفن.
(٤) صحيح: رواه البخاري (٣٦٠٩)، ومسلم (١٥٧) قريبًا من هذا.
(٥) إسناده ضعيف: رواه البيهقي في «الدلائل» (٦/ ٤٨١) من طريق أبي داود الطيالسي حدثنا الأسود بن شيبان وعند مسلم (٢٥٤٥) من طريق يعقوب بن إسحاق الحضرمي أخبرنا الأسود بن شيبان مطولاً.

وقال البيهقي: لحديثه في المختار شواهد صحيحة. ثم أورد من طريق أبي دواد الطيالسي، حدثنا الأسود بن شيبان، عن أبي نوفل بن أبي عقرب، عن أسماء بنت أبي بكر، أنها قالت للحجاج بن يوسف: أمَا إن رسولَ الله ﷺ حدثنا أن في ثقيف كذَّابًا ومبيرًا، فأما الكذَّاب فقد رأيناه، وأمَّا المُبير فلا إخالُك إلا إياه. قال: ورواه مسلمٌ من حديث الأسود بن شيبان. وله طرقٌ عن أسماءَ وألفاظٌ سيأتي إيرادُها في موضعه.

وقال البيهقي: أنا الحاكمُ وأبو سعيد، عن الأصمّ، عن عباس الدُّوري، عن عبد الله بن الزبير الحُميدي، ثنا سفيانُ بنُ عُيينة، عن أبي المُحيَّاة، عن أبيه قال: لما قتل الحجَّاجُ عبدَ الله بنَ الزبير دخل الحجَّاجُ على أسماءَ بنت أبي بكر فقال: يا أُمَّهْ، إن أميرَ المؤمنين أوصاني بك، فهل لك من حاجة، فقالت: لستُ لك بأمٍّ، ولكني أمُّ المَصْلوب على رأس الثَّنِيَّة، وما لي من حاجة، ولكن انتَظِرْ حتى أُحَدِّثَك بما سمعتُ من رسول الله ﷺ، يقولُ: «يخرُجُ من ثقيف كذَّابٌ ومُبيرٌ». فأما الكذَّابُ فقد رأيناه، وأما المُبيرُ فأنت. فقال الحَجَّاجُ: مُبيرُ المنافقين(١).

وقال أبوداودَ الطَّيالسي: حدثنا شَريكٌ، عن أبي عَلْوانَ عبد الله بن عِصْمةَ، عن ابن عمرَ قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «إن في ثقيف كذَّابًا ومبيرًا». وقد تواتَر خبرُ المُختار ابن أبي عُبَيد الكذَّاب الذي كان نائبًا على العراق وكان يَزْعُمُ أنه نبيٌّ، وأن جبريلَ يأتيه بالوحْي، وقد قيل لابن عمرَ، وكان زوجَ أخت المُختار صَفِيَّةَ: إن المُختارَ يزْعُمُ أن الوَحْيَ يأتيه. فقال: صدَق، قال اللهُ تعالى: ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ﴾(٢) [الانعام: ١٢١].

وقال أبو داودَ الطَّيالسي: ثنا قُرَّةُ بنُ خالد، عن عبد الملك بن عُمير، عن رفاعةَ بن شداد قال: كنتُ أبْطَنَ شيء بالمُختار الكذَّاب. قال: فدخلْتُ عليه ذاتَ يوم فقال: دخَلْتَ وقد قام جبريلُ قبلُ من هذا الكُرْسي. قال: فأهْوَيْتُ إلى قائم السيف ـ يعني لأضْربَه ـ حتى ذكَرْتُ حديثًا حدَّثنيه عمرُو بنُ الحَمِق الخزاعي، أن رسولَ الله ﷺ قال: «إذا أمَّن الرجلُ الرجلَ على دمه ثم قتلَه، رُفع له لواءُ الغَدْر يومَ القيامة». فكَفَفْتُ عنه(٣). وقد رَواه أسْباطُ بنُ نصر وزائدةُ والثوريُّ، عن إسماعيلَ السُّدِّي، عن رفاعةَ بن شَدَّاد الفِتْياني، فذكَر نحوَه.

وقال يعقوبُ بنُ سفيانَ: ثنا أبو بكر الحُمَيْديُّ، ثنا سفيانُ بنُ عُيَينةَ، عن مُجالد، عن الشَّعْبيِّ قال: فاخَرْتُ أهلَ البَصْرة فغلَبْتُهم بأهل الكوفة، والأحْنَفُ ساكتٌ لا يتَكَلَّمُ، فلما رآني غلَبْتُهم أرْسَل غلامًا له فجاء بكتاب فقال: هاكَ اقْرأ. فقرأتُه فإذا فيه من المُختار إليه، يذْكُرُ أنه نبيٌّ. قال: يقولُ الأحْنَفُ: أنَّى فينا مثْل هذا؟!(٤).

---

(١) رواه البيهقي في «الدلائل» (٦/ ٤٨٢).
(٢) حسن: رواه أبو داود الطيالسي في «مسنده» (١٩٢٥)، والترمذي (٢٢٢٠) وغيرهم.
(٣) رواه أبو داود الطيالسي (١٢٨٦). (٤) رواه البيهقي في «الدلائل» (٦/ ٤٨٣).

وأمَّا الحَجاجُ بنُ يوسفَ فقد تقدَّم الحديثُ أنه الغلامُ المُبِيرُ الثَّقفيُّ، وسنذكُرُ ترجمتَه إذا انتهَيْنا إلى أيامه، فإنه كان نائبًا على العراقِ لعبدِ الملكِ بنِ مَرْوانَ، ثم لابنِه الوليدِ بن عبد الملك، وكان مِن جَبابرةِ الملوك، على ما كان فيه من الكَرَم والفَصاحة، على ما سنذكُرُه.

وقد قال البيهقيُّ: ثنا الحاكمُ عن أبي النضرِ الفَقيه، ثنا عثمانُ بنُ سعيدٍ الدارميُّ قال عبدُ الله بنُ صالحٍ المصريُّ، أن معاويةَ بنَ صالحٍ حدَّثه، عن شُرَيْحِ بنِ عُبيدٍ، عن أبي عَذْبَةَ قال: جاء رجلٌ إلى عمرَ بنِ الخطاب فأخبَره أن أهلَ العراقِ قد حصَبوا أميرَهم، فخرج غضبانَ، فصلَّى لنا الصلاةَ فسَها فيها حتى جعَل الناس يقولون: سبحانَ الله، سبحانَ الله فلما سلَّم أقْبَل على الناسِ فقال: مَن ههنا مِن أهلِ الشام؟ فقام رجلٌ، ثم قام آخرُ، ثم قمتُ أنا ثالثًا أو رابعًا، فقال: يا أهلَ الشامِ، استعدُّوا لأهلِ العراقِ، فإن الشيطانَ قد باض فيهم وفرَّخ، اللهم إنهم قد لبَّسوا عليَّ فألْبِسْ عليهم، وعَجِّلْ عليهم بالغلامِ الثَّقفيِّ يَحْكُمُ فيهم بحكمِ أهلِ الجاهليةِ، لا يَقْبَلُ مِن مُحْسِنهم، ولايتجاوزُ عن مُسيئِهم[1]. قال عبدُ الله: وحدَّثني ابنُ لهيعةَ بمثله. قال: وما وُلِد الحجَّاجُ يومَئذٍ. ورواه الدارميُّ أيضًا عن أبي اليَمانِ، عن جَريرِ بنِ عثمانَ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ مَيْسرةَ، عن أبي عَذْبَةَ الحِمْصيِّ، عن عمرَ، فذكَر مثلَه. قال أبو اليَمَانِ: عَلِم عمرُ أن الحَجَّاجَ خارجٌ لا مَحالةَ، فلما أغضَبوه استَعْجَل لهم العُقوبةَ. قلتُ: فإن كان هذا نقلَه عمرُ عن رسولِ الله ﷺ فقد تقدَّم له شاهدٌ عن غيرِه، وإن كان عن تحديثٍ فكرامةُ الوَليِّ مُعجزةٌ لنبيِّه.

وقال عبدُ الرزاق: أنا جعفرٌ، يعني ابنَ سليمانَ، عن مالكِ بنِ دينارٍ، عن الحسنِ قال: قال عليٌّ لأهلِ الكوفة: اللهم كما ائتمنتُهم فخانوني، ونصَحْتُ لهم فغَشُّوني، فسلِّطْ عليهم فَتَى ثقيفٍ الذَّيَّالَ المَيَّالَ، يأكُلُ خَضِرتَها، ويَلْبَسُ فَرْوتَها، ويحكُمُ فيهم بحكمِ الجاهلية. قال: يقولُ الحسنُ: وما خُلِق الحَجَّاجُ يومَئذٍ[2]. وهذا منقطعٌ.

وقد رَواه البيهقيُّ أيضًا، مِن حديث معتمرِ بنِ سليمانَ، عن أبيه، عن أيوبَ، عن مالكِ بنِ أوسِ ابنِ الحَدَثانِ، عن عليِّ ابنِ أبي طالبٍ أنه قال: الشابُّ الذَّيَّالُ أميرُ المِصْرَيْنِ، يَلْبَسُ فَرْوَتَها، ويأكُلُ خَضِرتَها، ويَقْتُلُ أشرافَ أهلِها، يَشتدُّ منه الفَرَقُ، ويكثُرُ منه الأرَقُ، ويُسَلِّطُه اللهُ على شيعته.[3]

وله مِن حديث يزيد بن هارون، أنا العوَّامُ بنُ حَوْشَبٍ، حدثني حَبيبُ بنُ أبي ثابتٍ قال: قال عليٌّ لرجلٍ: لا مِتَّ حتى تُدْرِكَ فتَى ثَقيفٍ. فقيل: يا أميرَ المؤمنين، وما فتَى ثَقيفٍ؟ فقال: لَيُقالَنَّ له يومَ القيامةِ: اكْفِنا زاويةً مِن زَوايا جهنمَ. رجلٌ يَمْلِكُ عشرين سنةً أو بضْعًا وعشرين سنةً، لا يدَعُ للهِ

(١) رواه البيهقي في «الدلائل» (٦/ ٤٨٨).
(٢) منقطع قاله المصنف: رواه البيهقي في «الدلائل» (٦/ ٤٨٨).
(٣) رواه البيهقي في «الدلائل» (٦/ ٤٨٨).

مَعْصيةٌ إلا ارْتَكبها، حتى لو لم يَبْقَ إلا معصيةٌ واحدةٌ وكان بينَه وبينَها بابٌ مُغْلَقٌ لكَسَرَه حتى يرتَكبها، يَقْتُلُ بمَن أطاعه مَن عَصاه[١]. وهذا مُعْضَلٌ، وفي صحتِه عن عليٍّ نظرٌ.

واللهُ أعلمُ.

وقال البيهقيُّ، عن الحاكمِ، عن الحسينِ بن الحسنِ بن أيوبَ، عن أبي حاتمٍ الرازي، عن عبدِ اللهِ ابنِ يوسفَ التِّنِّيسيِّ، ثنا هشامُ بنُ يحيى الغَسَّانيُّ قال: قال عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ: لو جاءت كلُّ أُمةٍ بخَبيثِها، وجِئْناهم بالحَجَّاجِ لغلَبْناهم. وقال أبو بكرِ بنُ عَيَّاش، عن عاصمِ بنِ أبي النَّجُودِ: ما بقِيَت للهِ حُرْمةٌ إلا وقد ارْتَكبها الحَجَّاجُ[٢]. وقال عبد الرزاق، عن معمرٍ، عن ابنِ طاوسٍ، أن أباه لما تحقَّق موتَ الحَجَّاجِ تَلا قولَه تعالى: ﴿ فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الأنعام: ٤٥].

قلتُ: وقد تُوُفِّيَ الحَجَّاجُ في سنةِ خمسٍ وتسعين.

ذكر الإشارة النبوية إلى دولة عمر بن عبد العزيز تاج بني أمية

قد تقدَّم حديثُ أبي إدريسَ الخَوْلانيِّ عن حُذيفةَ قال: سألتُ رسولَ الله ﷺ هل بعد هذا الخيرِ من شَرٍّ؟ قال: «نعم». قلتُ: وهل بعدَ ذلك الشرِّ من خيرٍ؟ قال: «نعم، وفيه دَخَنٌ». قلتُ: وما دَخَنُه؟ قال: «قومٌ يَستَنُّون بغيرِ سنَّتي، ويَهدون بغيرِ هديي، تَعرفُ منهم وتُنكرُ»[٣] الحديثَ، فحمَل البيهقيُّ وغيرُه هذا الخيرَ الثاني على أيامِ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ.

وروى عن الحاكمِ، عن الأصمِّ، عن العباسِ بنِ الوليدِ بنِ مَزيدٍ، عن أبيه قال: سُئل الأوزاعيُّ عن تفسيرِ حديثِ حذيفةَ حينَ سأل رسولَ اللهِ ﷺ عن الشرِّ الذي يكونُ بعدَ ذلك الخيرِ، فقال الأوزاعيُّ: هي الرِّدَّةُ التي كانت بعدَ وفاةِ رسولِ اللهِ ﷺ.

قال الأوزاعيُّ: وفي مسألة حُذيفةَ: فهل بعدَ ذلك الشرِّ من خيرٍ؟ قال: «نعم، وفيه دَخَنٌ». قال الأوزاعيُّ: فالخيرُ الجماعةُ، وفي وُلاتِهم مَن تُعرفُ سيرتُه، وفيهم مَن تُنكَرُ سيرتُه. قال: فلم يَأذَنْ رسولُ اللهِ ﷺ في قتالِهم ما صلَّوُا الصلاةَ.

وروى أبو داودَ الطَّيالسيُّ، عن داودَ الواسطيِّ، وكان ثقةً، عن حبيبِ بنِ سالمٍ، عن النعمانِ بن بشيرِ بن سعدٍ، عن حذيفةَ قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**إنَّكم في النُّبوَّة ما شاء اللهُ أن تكونَ، ثم يَرفَعُها إذا شاء، ثم تكونُ خلافةٌ على منهاجِ النبوة ما شاء اللهُ أن تكونَ، ثم يَرفَعُها إذا شاء، ثم تكونُ جبريَّةٌ ما شاء اللهُ أن تكونَ، ثم يرفعها إذا شاء أن يَرفَعَها، ثم تكونُ خلافةٌ على منهاجِ النبوَّة**». قال: فقدِم عمرُ

---

(١) معضل وفي صحته عن علي نظر قاله المصنف: رواه البيهقي في «الدلائل» (٦/ ٤٨٩).

(٢) رواه البيهقي في «الدلائل» (٦/ ٤٨٩) بلفظ: انتهكها.

(٣) صحيح: رواه البخاري (٣٦٠٦، ٧٠٨٤) ومسلم (١٨٤٧).

ابنُ عبدِ العزيزِ ومعه يزيدُ بنُ النعمانِ، فكتَبتُ إليه أذكُرُه الحديثَ وكتَبتُ إليه أقولُ: إني أرجو أن تكونَ أميرَ المؤمنين بعدَ الجَبريَّةِ. قال: فأخَذ يزيدُ الكتابَ فأدخَله على عمرَ، فسُرَّ به وأعجَبه[١].

وقال نعيمُ بنُ حمَّادٍ: حدَّثنا رَوحُ بنُ عُبادةَ، عن سعيدِ بنِ أبي عَروبةَ، عن قتادةَ، قال: قال عمرُ ابنُ عبدِ العزيزِ: رأيتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ في النومِ، وعندَه أبو بكرٍ وعمرُ وعثمانُ وعليٌّ، فقال لي: «ادْنُه». فدَنَوتُ حتى قُمتُ بينَ يدَيه، فرفَع بصرَه إليَّ وقال: «**أمَا إنك ستَلي أمْرَ هذه الأُمةِ، وستَعدِلُ عليهم**»[٢]. وسيأتي في الحديثِ الآخرِ، إن شاء اللَّهُ؛ أنَّ اللَّهَ يبعَثُ لهذه الأمةِ على رأسِ كلِّ مائةِ سنةٍ مَن يُجدِّدُ لها دينَها. وقد قال كثيرٌ من الأئمةِ: إنه عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ؛ فإنه تُوُفِّيَ سنةَ إحدى ومائةٍ.

وقال البيهقيُّ: أنا الحاكمُ، أنا أبو حامدٍ أحمدُ بنُ عليٍّ المُقرئُ، ثنا أبو عيسى، ثنا أحمدُ بنُ إبراهيمَ، ثنا عفانُ بنُ مسلمٍ، ثنا عثمانُ بنُ عبدِ الحميدِ بنِ لاحقٍ، عن جُوَيْرِيَةَ ابنِ أسْماءَ، عن نافعٍ قال: بلَغنا أن عمرَ بنَ الخطابِ قال: إن من وَلَدي رجلاً بوجْهِه شَيْنٌ، يلي فيمْلأُ الأرضَ عَدْلاً. قال نافعٌ من قِبَلِه: ولا أحْسَبُه إلا عمرَ بنَ عبدِ العزيزِ[٣]. وقد رَواه نعيمُ بنُ حمادٍ عن عثمانَ بنِ عبدِ الحميدِ. ولهذا طرقٌ عن ابنِ عمرَ أنه كان يقولُ: ليت شِعْري مَن هذا الذي من وَلَدِ عمرَ بنِ الخطابِ في وَجْهِه عَلامةٌ، يَمْلأُ الأرضَ عَدْلاً؟ وقد رُوِيَ ذلك عن عبدِ الرحمنِ بنِ حَرْمَلَةَ، عن سعيدِ بنِ المُسَيِّبِ نحواً من هذا، وقد كان هذا الأمرُ مَشْهوراً قبلَ ولايتِه وميلادِه بالكُلِّيَّةِ؛ أنه يَلِي رجلٌ من بني أُمَيَّةَ يقالُ له: أشَجُّ بني مَرْوانَ.

وكانت أمُّه أَرْوَى بنتَ عاصمِ بنِ عمرَ بنِ الخطابِ، وكان أبوه عبدُ العزيزِ بنُ مَروانَ نائبًا لأخيه عبدِ الملكِ على مِصْرَ، وكان يُكْرِمُ عبدَ اللَّهِ بنَ عمرَ، ويَبْعثُ إليه بالتُّحَفِ والهَدايا والجَوائزِ فيَقْبَلُها، وبعَث إليه مرَّةً بألفِ دينارٍ فأخَذها. وقد دخَل عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ يومًا إلى إصْطَبْلِ أبيه وهو صغيرٌ، فرمَحه فرسٌ فشجَّه في جَبينِه، فجعَل أبوه يَسْلُتُ عنه الدمَ ويقولُ: أما لئن كنتَ أشَجَّ بني مَرْوانَ، إنك إذًا لسعيدٌ. وكان الناسُ يقولون: الأَشَجُّ والناقصُ أعْدَلُ بني مَرْوانَ؛ فالأشَجُّ هو عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ، والناقصُ هو يزيدُ بنُ الوليدِ بنِ عبدِ الملكِ، الذي يقولُ فيه الشاعرُ:

رأَيتُ اليزيدَ بنَ الوليدِ مُباركًا ... شديدًا بأعْباءِ الخلافةِ كاهلُهْ

قلتُ: وقد وَلِيَ عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ الخلافةَ بعدَ سليمانَ بنِ عبدِ الملكِ سنتَين ونصفًا، فملَأ الأرضَ عدْلاً، وفاض المالُ حتى كان الرجلُ يُهِمُّه لمَنْ يُعْطِي صَدَقَتَه. وقد حمَل البيهقيُّ الحديثَ المتقدمَ عن

---

(١) **إسناده قابل للتحسين:** رواه أحمد (١٧٦٨٠) من طريق سليمان بن داود الطيالسي.

(٢) **إسناده صحيح:** رواه نعيم بن حماد في «الفتن» (٢٩١).

(٣) رواه البيهقي في «الدلائل» (٦/ ٤٩٢).

عَدِيِّ بنِ حاتمٍ، على أيامِ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ، وعندي في ذلك نَظَرٌ. واللَّهُ أعلمُ.

وقد روىٰ البيهقيُّ من حديث إسماعيلَ بنِ أبي أُوَيْسٍ، حدثني أبو مَعْنٍ الأنصاريُّ ما أسْنَده، قال: بينما عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ يَمْشي إلى مكةَ بفَلاةٍ من الأرضِ إذ رأىٰ حَيَّةً مَيِّتةً فقال: عليَّ بمِحْفارٍ. فقالوا: نَكْفيك، أصْلَحَك اللَّهُ. قال: لا. ثم أخذه فحَفَر له ثم لفَّه في خِرْقةٍ ودفَنه، فإذا هاتفٌ يَهْتِفُ لا يَرَوْنَه: رحمةُ اللَّه عليك يا سُرَّقُ. فقال له عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ: مَن أنت؟ يَرْحَمُك اللَّهُ. قال: أنا رجلٌ من الجنِّ، وهذا سُرَّقٌ، ولم يَبْقَ ممن بايَع رسولَ اللَّه ﷺ غيري وغيرُه، وأشهدُ لسمعتُ رسولَ اللَّه ﷺ يقولُ: «**تموتُ يا سُرَّقُ بفَلاةٍ من الأرضِ، ويَدْفِنُك خيرُ أمتي**»[1]. وقد روى هذا من وجهٍ آخرَ، وفيه أنهم كانوا تسعةً بايَعوا رسولَ اللَّه ﷺ، وفيه أن عمرَ بنَ عبدِ العزيزِ حلَّفه، فلما حلَف بكَىٰ عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ. وقد رجَّحه البيهقيُّ وحسَّنه. فاللَّهُ أعلمُ.

حديث آخر في صحته نظر في ذكر وهب بن منبه بالمدح، وذكر غيلان بالذم

روىٰ البيهقيُّ من حديث هشامِ بنِ عَمَّارٍ وغيرِه، عن الوليدِ بنِ مُسْلِمٍ، عن مَرْوانَ بنِ سالمٍ القَرْقَسانيِّ، عن الأحْوصِ بنِ حكيمٍ، عن خالدِ بنِ مَعْدانَ، عن عُبادةَ بنِ الصامتِ قال: قال رسولُ اللَّه ﷺ: «**يكونُ في أمتي رجلٌ يقالُ له: وَهْبٌ. يَهَبُ اللَّهُ له الحكمةَ، ورجلٌ يقالُ له: غَيْلانُ. هو أضرُّ على أمتي من إبليسَ**»[2]. وهذا لا يَصِحُّ؛ لأنَّ مَرْوانَ بنَ سالمٍ هذا مَتْروكٌ.

وبه إلى الوليدِ، حدثنا ابنُ لَهيعةَ، عن موسى بنِ وَرْدانَ، عن أبي هريرةَ قال: قال النبيُّ ﷺ: «**ينْعَقُ الشيطانُ بالشامِ نَعْقةً يُكَذِّبُ ثُلُثاهم بالقدرِ**»[3]. قال البيهقيُّ: وفي هذا إن صحَّ إشارةٌ إلى غَيْلانَ، وما ظهر بالشامِ بسببِه من التَّكْذيبِ بالقَدَرِ حتى قُتِل.

الإشارة إلى محمد بن كعب القُرَظي وعلمه بتفسير القرآن وحفظه

قال حَرْمَلةُ عن ابنِ وهبٍ، أخبَرني أبو صَخْرٍ، عن عبدِ اللَّه بنِ مُغيثِ بنِ أبي بُرْدَةَ الظَّفَريِّ، عن أبيه، عن جدِّه قال: سمعتُ رسولَ اللَّه ﷺ يقولُ: «**يخرُجُ في أحدِ الكاهِنَيْن رجلٌ يَدْرُسُ القرآنَ دراسةً لا يَدْرُسُها أحدٌ يكونُ من بعدِه**»[4].

وروىٰ البيهقيُّ عن الحاكمِ، عن الأصَمِّ، عن إسماعيلَ القاضي، ثنا أبو ثابتٍ، ثنا ابنُ وهبٍ،

---

(١) إسناده ضعيف: رواه البيهقي في «الدلائل» (٦/ ٤٩٤).

(٢) موضوع: رواه البيهقي في «الدلائل» (٦/ ٤٩٦) وفيه مروان بن سالم القرقساني متروك.

(٣) إسناده ضعيف: رواه البيهقي في «الدلائل» (٦/ ٤٩٧).

(٤) رواه البيهقي في «الدلائل» (٦/ ٤٩٨).

حدَّثني عبدُ الجبَّارِ بنُ عمرَ، عن ربيعةَ بن أبي عبد الرحمنِ قال: قال رسولُ اللَّه ﷺ: «يكونُ في أحد الكاهنَيْن رجلٌ يَدْرُسُ القرآنَ دراسةً لا يَدْرُسُها أحدٌ غيره»(١). قال: فكانوا يرَوْنَ أنه محمدُ بنُ كعبَ القُرَظيُّ. قال أبو ثابت: الكاهنان قُرَيْظةُ والنَّضيرُ.

وقد رَوَىٰ من وجهٍ آخرَ مُرْسَلٍ: «يَخْرُجُ من الكاهنَيْن رجلٌ أعْلَمُ الناس بكتاب اللَّه»(٢). وقد قال عَوْنُ بنُ عبدِ اللَّهِ: ما رأيتُ أحدًا أعلمَ بتأويلِ القرآنِ مِن محمدِ بنِ كعبٍ.

ذكرُ الإخبارِ بانخرامِ قرنه ﷺ بعد مائةِ سنةٍ من ليلةِ إخبارِه فكان كما أخبر

ثَبَت في «الصحيحين» مِن حديث الزهريِّ، عن سالمٍ وأبي بكرِ بنِ سليمانَ بنِ أبي حَثْمَةَ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عمرَ قال: صلَّىٰ بنا رسولُ اللَّه ﷺ صلاةَ العشاءِ ليلةً في آخرِ عمْرِه، فلما سلَّم قام فقال: «أرأيْتَكم ليلتَكم هذه؟ فإنَّ رأسَ مائة سنة منها لا يَبْقَىٰ ممن هو اليومَ على ظهرِ الأرض أحدٌ»(٣). قال ابنُ عمرَ: فوهَل الناسُ في مقالةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ، إلىٰ ما يتحدَّثون من هذه الأحاديث عن مائة سنةٍ، وإنما يريدُ بذلك أنها تَخرِمُ ذلك القرنَ. وفي روايةٍ: إنما أراد رسولُ اللَّه ﷺ انخرامَ قرْنِه.

وفي «صحيح مسلم» مِن حديث ابنِ جُرَيْجٍ، أخبَرني أبو الزبير أنه سمع جابرَ بنَ عبد اللَّه يقولُ: سمعتُ رسولَ اللَّه ﷺ يقولُ قبلَ موته بشهرٍ: «تسألُون عن الساعة، وإنما علمُها عندَ اللَّه، فأُقْسِمُ باللَّه ما على ظَهْرِ الأرضِ من نَفْسٍ منفوسة اليومَ تأتي عليها مائةُ سنة»(٤). وهذا الحديثُ وأمثالُه مما يَحتجُّ به مَن ذَهَب من الأئمة إلىٰ أنَّ الخَضِرَ ليس بموجودٍ الآنَ، كما قدَّمْنا ذلك في ترجمته من قَصَصِ الأنبياءِ، عليهم السلامُ، وهو نَصٌّ علىٰ أنَّ جميعَ الأحياءِ في الأرضِ يموتون إلىٰ تمام مائة سنةٍ من إخبارِه، عليه الصلاةُ والسلامُ، وهكذا وَقَع سواءً؛ فإنَّه لم يَتَأَخَّرْ أحدٌ من أصحابه إلىٰ ما يُجاوزُ هذه المدةَ، وكذلك جميعُ الناسِ، ثم قد طرَد بعضُ العلماءِ هذا الحكمَ في كلِّ مائة سنةٍ، وليس في الحديث تَعَرُّضٌ لهذا. واللَّهُ أعلمُ.

حديثٌ آخر: قال محمدُ بنُ عمرَ الواقديُّ: حدَّثني شُرَيْحُ بنُ يزيدَ، عن إبراهيمَ بنِ محمدِ بنِ زيادٍ الألْهانيِّ، عن أبيه، عن عبدِ اللَّهِ بنِ بُسْرٍ قال: وضَع رسولُ اللَّه ﷺ يدَه علىٰ رأسي، وقال: «هذا الغلام يعيشُ قَرْنًا». قال: فعاش مائةَ سنةٍ. وقد رواه البخاريُّ في «التاريخ» عن أبي حَيْوةَ شُرَيْحِ بنِ يزيدَ به، فذكَره. قال: وزاد غيرُه: وكان في وجهه ثُؤْلُولٌ. فقال: «ولا يموتُ حتى يذهَبَ الثؤلولُ من وجهه». فلم يَمُتْ حتىٰ ذهَب الثُّؤْلُولُ من وجهِه(٥).

---

(١) رواه البيهقي في «الدلائل» (٦/ ٤٩٨). (٢) مرسل: رواه البيهقي في «الدلائل» (٦/ ٤٩٩).
(٣) صحيح: رواه البخاري (١١٦) ومسلم (٢٥٣٧). (٤) صحيح: رواه مسلم (٢٥٣٨).
(٥) رواه البيهقي في «الدلائل» (٦/ ٥٠٣) من طريق البخاري في «التاريخ».

وهذا إسنادٌ على شرط السُّنن، ولم يُخرجوه.

ورَواه البيهقيُّ عن الحاكم، عن محمد بنِ المُؤمَّل بن الحسن بن عيسى، عن الفَضْل بنِ محمَّدٍ الشَّعْرانيِّ، ثنا حَيْوَةُ بنُ شُرَيْح، عن إبراهيمَ بن محمد بن زيادٍ الألهانيِّ، عن أبيه، عن عبد اللَّه بنِ بُسْرٍ، أن رسولَ اللَّه ﷺ قال له: «يعيشُ هذا الغُلامُ قَرْنًا»[1]. فعاش مِائةَ سنة. قال الواقديُّ وغيرُ واحدٍ: تُوُفِّيَ عبدُ اللَّه بنُ بُسْرٍ بحِمْصَ سنةَ ثمانٍ وثمانينَ، عن أربعٍ وتسعين سَنَةً، وهو آخرُ مَن بَقِيَ من الصحابة بالشام.

ذكر الإخبار عن الوليد بما فيه له من الوعيد الشديد، وإن صحَّ فهو الوليدُ بنُ يزيدَ لا الوليدُ بنُ عبدِ الملك باني الجامع السَّعيد

قال يعقوبُ بنُ سفيانَ: حدَّثني محمدُ بنُ خالدِ بنِ العباسِ السَّكْسَكيُّ، حدَّثني الوليدُ بنُ مسلمٍ، حدَّثني أبو عَمْرٍو الأوْزاعيُّ، عن ابنِ شهابٍ، عن سعيدِ بنِ المُسَيَّب قال: وُلِد لأخي أمِّ سَلَمَةَ غلامٌ، فسَمَّوْه الوليدَ، فقال رسولُ اللَّه ﷺ: **«قد جعَلْتُم تُسَمُّون بأسماء فَراعنتكم، إنه سيكونُ في هذه الأُمَّة رجلٌ يقالُ له: الوليدُ. هو أضرُّ على أُمَّتي من فرْعونَ على قومه»**[2]. قال أبو عَمْرٍو الأوْزَاعيُّ: فكانَ الناسُ يرَوْن أنه الوليدُ بنُ عبدِ الملك، ثم رأَيْنا أنه الوليدُ بنُ يزيدَ؛ لفتنة الناسِ به، حين خَرَجوا عليه فقتَلوه، وانفتَحت الفتْنةُ على الأُمَّة والهَرْجُ. وقد رَواه البيهقيُّ عن الحاكم وغيره، عن الأصَمِّ، عن سعيد بنِ عثمانَ التَّنُوخيِّ، عن بشرِ بنِ بكرٍ، عن الأوْزاعيِّ، عن الزهريِّ، عن سعيدٍ، فذكَره ولم يذْكُرْ قولَ الأوْزاعيِّ، ثم قال: وهذا مُرْسَلٌ حسنٌ. وقد رَواه نُعَيمُ بنُ حمادٍ، عن الوليدِ بنِ مسلمٍ به، وعندَه: قال الزهريُّ: إن استُخْلِف الوليدُ بنُ يزيدَ فهو هو، وإلا فهو الوليدُ بنُ عبدِ الملك.

وقال نُعيمُ بنُ حماد: ثنا هُشَيْمٌ، عن أبي حُرَّةَ، عن الحسنِ قال: قال رسولُ اللَّه ﷺ: **«سيكونُ رجلٌ اسمُه الوليدُ، يُسَدُّ به ركنٌ من أركانِ جهنَّمَ أو زاويةٌ من زَواياها»**[3]. وهذا مُرْسَلٌ أيضًا.

حديثٌ آخر: قال سليمانُ بنُ بلالٍ، عن العَلاء بنِ عبدِ الرحمنِ، عن أبيه، عن أبي هريرةَ قال: قال رسولُ اللَّه ﷺ: **«إذا بلَغ بنو أبي العاصِ أربعين رجلاً، اتَّخَذوا دينَ اللَّه دَغَلاً، وعبادَ اللَّه خَوَلاً، ومالَ اللَّه دُوَلاً»**[4]. رَواه البيهقيُّ مِن حديثِه.

وقال نعيمُ بنُ حمادٍ: ثنا بَقِيَّةُ بنُ الوليدِ وعبدُ القُدُّوسِ، عن أبي بكرِ بنِ أبي مَرْيَمَ، عن راشدِ بنِ

---

(١) إسناده ضعيف جداً: رواه البيهقي في «الدلائل» (٦/ ٥٠٣) وفيه محمد بن عمر الواقدي كذاب.

(٢) مرسل حسن قاله البيهقي: رواه البيهقي في «الدلائل» (٦/ ٥٠٥).

(٣) مرسل: رواه نعيم في «الفتن» (٣٢٢) عن الحسن مرسلاً، وروىٰ معمر في «جامع» (١٩٨٦١) عن الزهري قال: أراد رجل أن يسمي ابنا له الوليد فنهاه النبي ﷺ وقال: إنه سيكون رجل يقال له: الوليد يعمل في أمتي كما فعل فرعون في قومه.

(٤) رواه البيهقي في «الدلائل» (٦/ ٥٠٧).

سعدٍ، عن أبي ذرٍّ قال: سمعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ: «إذا بلَغَت بنو أميَّة أربعينَ، اتخذوا عبادَ اللَّه خَوَلاً، ومالَ اللَّه نُحْلاً، وكتابَ اللَّه دَغَلاً»[1]. وهذا مُنقطعٌ بينَ راشدِ بنِ سعدٍ وبينَ أبي ذرٍّ.

وقال إسحاقُ بنُ راهوَيْه: أنا جريرٌ، عن الأعمشِ، عن عطيَّةَ، عن أبي سعيدٍ قال: قال رسولُ اللَّه ﷺ: **«إذا بلَغ بنو أبي العاصِ ثلاثين رجلاً اتَّخذوا دينَ اللَّه دَغَلاً، ومالَ اللَّه دُوَلاً، وعبادَ اللَّه خَوَلاً»**[2]. ورواه أحمدُ عن عثمانَ بنِ أبي شيبةَ، عن جَريرٍ به.

وقال البيهقيُّ: أنا عليُّ بنُ أحمدَ بنِ عَبْدانَ، أنا أحمدُ بنُ عُبَيْدٍ الصَّفَّارُ، ثنا تَمْتامٌ وهو محمدُ بنُ غالبٍ، ثنا كاملُ بنُ طلحةَ، ثنا ابنُ لَهيعةَ، عن أبي قَبِيلٍ، أنَّ ابنَ مَوْهَبٍ أخْبَره أنَّه كان عندَ مُعاويةَ بنِ أبي سفيانَ، فدخَل عليه مَرْوانُ فكلَّمه في حاجتِه، فقال: اقْضِ حاجتي يا أميرَ المؤمنين، فواللَّهِ إن مُؤْنَتي لَعظيمةٌ، وإنِّي لأبو عشَرةٍ، وعمُّ عشَرةٍ، وأخو عشَرةٍ. فلمَّا أدْبَر مَرْوانُ، وابنُ عباسٍ جالسٌ مع مُعاويةَ على السَّريرِ، قال معاويةُ: أنْشُدُكَ باللَّهِ يا بنَ عبّاسٍ، أمَا تعلَمُ أنَّ رسولَ اللَّه ﷺ قال: **«إذا بلَغ بنو الحكَمِ ثلاثين رَجُلاً، اتخذوا مالَ اللَّه بينَهم دُوَلاً، وعبادَ اللَّه خَوَلاً، وكتابَ اللَّه دَغَلاً، فإذا بلَغوا سبعةً وتسعين وأربعَمائة، كان هَلاكُهم أسْرَعَ من لَوْكِ تَمرة»**؟ فقال ابنُ عباسٍ: اللهم نعم. قال: وذكَر مَرْوانُ حاجةً له، فردَّ مَرْوانُ عبدَ الملك إلى مُعاويةَ، فكَلَّمه فيها، فلما أدْبَر عبدُ الملك قال مُعاويةُ: أنْشُدُك باللَّه يا بنَ عباسٍ، أما تَعْلَمُ أنَّ رسولَ اللَّه ﷺ ذكَر هذا فقال: **«أبو الجبابرة الأربعة»**؟ فقال ابنُ عباسٍ: اللهم نعم[3]. وهذا الحديثُ فيه غَرابةٌ ونكارةٌ شديدةٌ، وابنُ لَهيعةَ ضعيفٌ.

وقد قال أبو محمد عبدُ اللَّه بنُ عبدِ الرحمنِ الدارميُّ: ثنا مسلمُ بنُ إبراهيمَ، ثنا سعيدُ بنُ زيدٍ، أخو حمادِ بنِ زيدٍ، عن عليِّ بنِ الحكمِ البُنانيِّ، عن أبي الحسنِ، عن عمرِو بنِ مُرَّةَ، وكانت له صُحْبةٌ، قال: جاء الحكَمُ بنُ أبي العاصِ يستأذنُ على النبيِّ ﷺ، فعرَف كلامَه فقال: **«ائذَنوا له، حيَّةٌ، أو ولَدُ حيَّة، عليه لَعْنةُ اللَّه وعلى مَن يَخرُجُ من صُلْبه إلا المؤمنين، وقليلٌ ما هم، يُشرَّفُون في الدنيا ويُوضَعون في الآخرة، ذَوُو مكرٍ وخَديعة، يُعْطَون في الدنيا وما لهم في الآخرة من خلاق»**[4]. قال الدارميُّ: أبو الحسنِ هذا حِمْصيٌّ.

وقال نُعيمُ بنُ حمادٍ في «الفتن والملاحم»: ثنا عبدُ اللَّه بنُ مَرْوانَ المَرْوانيُّ، عن أبي بكرِ بنِ أبي مَرْيَمَ، عن راشدِ بنِ سعدٍ، أنَّ مَرْوانَ بنَ الحكَم لما وُلِد دُفِع إلى النبيِّ ﷺ ليدْعُوَ له، فأبَى أن يَفْعَلَ ثم قال: **«ابنُ الزَّرقاء، هَلاكُ أمتي على يديه ويدَيْ ذُرِّيَّته»**[5]. وهذا حديثٌ مُرْسَلٌ.

---

(١) **منقطع**: رواه نعيم في «الفتن» (٣١٤) وقال المصنف وهذا منقطع بين راشد بن سعد وبين أبي ذر.
(٢) رواه البيهقي في «الدلائل» (٦/ ٥٠٧).
(٣) **منكر قاله المصنف**: رواه البيهقي في «الدلائل» (٦/ ٥٠٧، ٥٠٨) وفي سنده ابن لهيعة ضعيف.
(٤) رواه البيهقي في «الدلائل» (٦/ ٥١٢).
(٥) **مرسل**: رواه نعيم في «الفتن» (٣١٠).

ذكر الإخبار عن خلفاء بني أمية جملة من جملة، والإشارة إلى مدة دولتهم

قال يعقوبُ بنُ سفيانَ: ثنا أحمدُ بن محمد أبو محمد الأزرقيُّ، ثنا الزَّنجيُّ يعني مسلمَ بنَ خالدٍ عن العَلاءِ بنِ عبدِ الرحمنِ، عن أبيه، عن أبي هريرةَ، أن رسولَ اللَّه ﷺ قال: «**رأيتُ في النومِ بني الحكَمِ - أو بني أبي العاصِ - ينزون على منبري كما تنزو القِردةُ**». قال: فما رُئِيَ رسولُ اللَّه ﷺ مُستجمِعًا ضاحكًا حتى تُوُفِّي[(١)].

وقال الثوريُّ، عن عليِّ بنِ زيد بنِ جُدْعانَ، عن سعيد بنِ المسيِّب قال: رأى رسولُ اللَّه ﷺ بني أُميَّةَ على منبرِه، فساءَه ذلك، فأُوحِيَ إليه: إنما هي دنيا أُعْطُوها. فقرَّتْ عينُه. وهي قولُه: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلاَّ فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾[(٢)] [الإسراء: ٦٠]. يعني بَلاءً للناسِ. عليُّ بنُ زيدِ بنِ جُدْعانَ ضَعيفٌ، والحديثُ مُرْسَلٌ أيضًا.

وقال أبو داودَ الطَّيالسيُّ: ثنا القاسمُ بنُ الفضلِ - هو الحُدَّانيُّ - ثنا يوسفُ بنُ مازنٍ الراسبيُّ قال: قام رجلٌ إلى الحسنِ بنِ عليٍّ بعدَما بايَع مُعاويةَ، فقال: يا مُسَوِّدَ وُجوهِ المؤمنين. فقال الحسنُ: لا تُؤَنِّبْني، رحمك اللَّهُ، فإن رسولَ اللَّه ﷺ رأى بني أُمَيَّةَ يَخطُبون على منبرِه رجلاً فرجلاً، فساءه ذلك فنزلت: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ [الكوثر: ١]. يعني نهرًا في الجنة. ونزلت: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ① وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ② لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ [القدر: ١-٣]. تَمْلكُه بنو أميَّةَ. قال القاسمُ: فحسَبْنا ذلك فإذا هو ألفُ شهرٍ لا يزيدُ يومًا[(٣)] ولا يَنْقُصُ. وقد رَواه الترمذيُّ، وابنُ جَريرٍ الطَّبَريُّ، والحاكمُ في «مُسْتَدْرَكه»، والبيهقيُّ في «دلائلِ النبوةِ»، كلُّهم من حديثِ القاسمِ بنِ الفَضْلِ الحُدَّانيِّ - وقد وثَّقه يحيى بنُ سعيدٍ القَطَّانُ، وابنُ مَهْديٍّ - عن يوسفَ بنِ سعدٍ، ويقالُ: يوسفُ بنُ مازنٍ الراسبيُّ، وفي روايةِ ابنِ جَريرٍ: عيسى بنُ مازنٍ، قال الترمذيُّ: وهو رجلٌ مجهولٌ، وهذا الحديثُ غريبٌ، لا نَعْرِفُه إلاَّ من هذا الوجهِ. فقولُه: إن يوسفَ هذا مجهولٌ. مُشْكِلٌ؛ والظاهرُ أنه أراد أنه مَجْهولُ الحالِ، فإنه قد روَى عنه جماعةٌ، منهم: حمادُ بنُ سَلَمةَ، وخالدٌ الحَذَّاءَ، ويونسُ بنُ عُبيدٍ. وقال يحيى بنُ مَعينٍ: هو مَشْهورٌ. وفي روايةٍ عنه قال: هو ثقةٌ. فارتفعت الجَهالةُ عنه مُطْلَقًا.

قلتُ: ولكن في شهودِه قضيَّةَ الحسنِ ومُعاويةَ نَظَرٌ، وقد يكونُ أرْسَلها عمن لا يُعْتَمَدُ عليه. واللَّهُ أعلمُ. وقد سألْتُ شيخَنا الحافظَ أبا الحجاجِ المِزِّيَّ، رحمه اللَّهُ، عن هذا الحديثِ فقال: هو حديثٌ

---

(١) رواه البيهقي في «الدلائل» (٦/ ٥١١).

(٢) إسناده ضعيف: رواه البيهقي في «الدلائل» (٦/ ٥٠٩) وفي سنده علي بن زيد بن جدعان ضعيف.

(٣) منكر قاله الحافظ المزي حكاه عنه المصنف.

مُنْكَرٌ.

وأما قولُ القاسمِ بنِ الفضلِ، رحمه اللَّهُ: إنه حسَب دولةَ بني أميَّةَ، فوجَدها ألفَ شهرٍ، لا تَزيدُ يومًا ولا تَنْقُصُه. فهو غريبٌ جدًّا، وفيه نظَرٌ؛ وذلك لأنه لا يُمْكِنُ إدْخالُ دولةِ عثمانَ بنِ عفانَ، رضِي اللَّهُ عنه، وكانت ثنتي عشَرَةَ سنةً، في هذه المدةِ، لا مِن حيثُ الصورةِ ولا من حيثُ المعنى؛ وذلك أنها مَمْدوحةٌ؛ لأنه أحدُ الخلفاءِ الراشدين والأئمةِ المَهْديين، الذين قَضَوْا بالحق، وبه كانوا يعدلون، وهذا الحديث إنما سِيقَ لذمِّ دولتهم، وفي دَلالةِ الحديثِ على الذَّمِّ نظرٌ، وذلك أنه دلَّ على أن ليلةَ القَدْرِ خيرٌ من ألفِ شهرٍ التي هي دولتُهم، وليلةُ القدرِ ليلةٌ خَيِّرَةٌ، عظيمةُ المِقْدارِ والبركةِ، كما وصَفها اللَّهُ تعالى به، فما يلْزَمُ من تَفْضيلِها على دولتِهم ذَمُّ دولتِهم، فلْيُتَأمَّلْ هذا؛ فإنه دقيقٌ يدُلُّ على أن الحديثَ في صحتِه نظرٌ؛ لأنه إنما سِيق لذمِّ أيامِهم. واللَّهُ تعالى أعلمُ. وأما إذا أراد أن ابتداءَ دولتِهم منذ ولِيَ مُعاويةُ حينَ تسَلَّمها من الحسنِ بنِ عليٍّ، فقد كان ذلك سنةَ أربعين، أو إحدى وأربعين، وكان يقالُ له: عامُ الجماعةِ. لأن الناسَ كلَّهم اجْتَمعوا على إمامٍ واحدٍ. وقد تقدَّم الحديثُ في «صحيحِ البخاريِّ»، عن أبي بَكْرَةَ أنه سمع رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ للحسنِ بنِ عليٍّ: **«إن ابني هذا سيِّدٌ، ولعل اللَّهُ أن يُصْلِحَ به بينَ فئتَيْن عظيمتَيْن من المسلمين»**[1]. فكان هذا في هذا العامِ، وللَّه الحمدُ والمنةُ، واستمر الأمْرُ في أيدي بني أميَّةَ من هذه السنةِ إلى سنةِ ثنتين وثلاثين ومائةٍ، حتى انتقل إلى بني العباسِ، كما سنذكُرُه، ومجموعُ ذلك ثنتان وتسعون سنةً، وهذا لا يُطابِقُ ألفَ شهرٍ؛ لأن مُعَدَّلَ ألفِ شهرٍ ثلاثٌ وثمانون سنةً وأربعةُ أشهرٍ، فإن قال: أنا أُخْرِجُ منها ولايةَ ابنِ الزبيرِ. وكانت تسعَ سنين، فحينئذٍ يبقى ثلاثٌ وثمانون سنةً.

فالجوابُ أنه وإن خرَجت ولايةُ ابنِ الزبيرِ، فإنه لا يكونُ ما بَقِيَ مُطابِقًا لألفِ شهرٍ تحديدًا، بحيث لا ينْقُصُ يومًا ولا يَزيدُه، كما قاله، بل يكونُ ذلك تقريبًا، هذا وجهٌ. الثاني: أن ولايةَ ابنِ الزبيرِ كانت بالحجازِ والأهْوازِ والعراقِ في بعضِ أيامِه، وفي مصرَ في قولٍ، ولم تَنْسَلِبْ يدُ بني أميَّةَ عن الشامِ أصْلًا، ولا زالت دولتُهم بالكليَّةِ في ذلك الحينِ. الثالثُ: أن هذا يقْتَضي دخولَ دولةِ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ في حسابِ بني أميَّةَ، ومُقْتَضَى ما ذكَره أن تكونَ دولتُه مَذْمومةً، وهذا لا يقولُه أحدٌ من أئمةِ الإسلامِ، وإنهم مُصرِّحون بأنه أحدُ الخُلفاءِ الراشدين، حتى قرَنوا أيامَه تابعةً لأيامِ الأربعةِ، وحتى اخْتَلفوا في أيِّهما أفضلُ؛ هو أم مُعاويةُ بنُ أبي سفيانَ أحدُ الصحابةِ؟ وقد قال أحمدُ بنُ حنبلٍ: لا أرى قولَ أحدٍ من التابعين حُجَّةً إلا قولَ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ. فإذا عُلِم هذا، فإن أخْرَج أيامَه من حسابِه انخرَم حسابُه، إن أدْخَلَها فيه مَذْمومةً خالَف الأئمةَ، وهذا ما لا مَحيدَ عنه، وكلُّ هذا مما يدُلُّ على نَكارةِ هذا الحديثِ. واللَّهُ أعلمُ.

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٢٧٠٤)، والترمذي (٣٧٧٣).

وقال نُعيمُ بنُ حماد: حدَّثنا سفيانُ، عن العَلاءِ بنِ أبي العباسِ، سمع أبا الطُّفَيْلِ، سمع عليًّا يقولُ: لا يَزالُ هذا الأمرُ في بني أميَّةَ ما لم يختَلِفوا بينَهم[١] .

حدَّثنا ابنُ وهبٍ، عن حَرْملةَ بنِ عِمْرانَ، عن سعيدِ بنِ سالمٍ، عن أبي سالمٍ الجَيْشانيِّ، سمع عليًّا يقولُ: الأمْرُ لهم حتى يقتُلوا قَتيلَهم، ويَتَنافَسوا بينَهم، فإذا كان ذلك بعَثَ اللَّهُ عليهم أقوامًا من المشرقِ، فقَتَلُوهم بَدَدًا وأحْصَوْهم عَدَدًا، واللَّهِ لا يَمْلِكون سنةً إلا مَلَكْنا سنتين، ولا يَمْلِكون سنتين إلا مَلَكْنا أربعًا[٢] .

وقال نُعيمُ بنُ حماد: حدَّثنا الوليدُ بنُ مسلمٍ، عن حُصَيْنِ بنِ الوليدِ، عن الأزهرِ بنِ الوليدِ: سمعْتُ أمَّ الدَّرْداءِ تقولُ: سمعْتُ أبا الدَّرْداءِ يقولُ: إذا قُتِلَ الخَليفةُ الشابُّ من بني أميَّةَ بينَ الشامِ والعراقِ مَظْلومًا، لم تَزَلْ طاعةٌ يُسْتَخَفُّ بها، ودمٌ مَسْفوكٌ بغيرِ حقٍّ. يعني[٣] الوليدَ بنَ يزيدَ. ومثلُ هذه الأشياءِ إنما تُقالُ عن تَوْقيفٍ.

ذكر الإخبار عن دولة بني العباس وكان ظهورهم من خراسان بالرايات السود في سنة ثنتين وثلاثين ومائة

قال يعقوبُ بنُ سفيانَ: حدَّثني محمدُ بنُ خالدِ بنِ العباسِ، ثنا الوليدُ بنُ مُسْلمٍ، حدَّثني أبو عبدِ اللَّهِ، عن الوليدِ بنِ هشامٍ المُعَيطيِّ، عن أبانَ بنِ الوليدِ بنِ عقبةَ بنِ أبي مُعَيْطٍ قال: قدم عبدُ اللَّهِ بنُ عباسٍ على مُعاويةَ وأنا حاضرٌ، فأجازه فأحْسَنَ جائزتَه، ثم قال: يا أبا العباسِ، هل لكم دَوْلَةٌ؟ فقال: أَعْفِني يا أميرَ المؤمنين. فقال: لَتُخْبِرَنِّي. قال: نعم. فأخْبَره، قال: فمَن أنصارُكم؟ قال: أهلُ خُراسانَ، ولبني أميَّةَ من بني هاشمٍ بطَحاتٌ[٤] . رَواه البيهقيُّ. وقال ابنُ عَديٍّ: أنا محمدُ بنُ عَبْدَةَ ابنِ حربٍ، ثنا سُوَيْدُ بنُ سعيدٍ، أنا حَجَّاجُ بنُ تَميمٍ، عن ميمونِ بنِ مِهْرانَ، عن ابنِ عباسٍ قال: مرَرْتُ بالنبيِّ ﷺ وإذا معه جبريلُ، وأنا أظُنُّه دِحْيةَ الكَلْبيَّ، فقال جبريلُ للنبيِّ ﷺ: إنه لَوَسِخُ الثِّيابِ، وسيَلْبَسُ ولدُه من بعدِه السَّوادَ. وذكَر تمامَ الحديثِ في ذَهابِ بصرِه، ثم عَوْدِه إليه قبلَ موتِه[٥] . قال البيهقيُّ: تفرَّد به حَجَّاجُ بنُ تميمٍ، وليس بالقويِّ.

وقال البيهقيُّ: أنا الحاكمُ، ثنا أبو بكرِ بنُ إسحاقَ وأبو بكرِ بنُ محمدِ بنِ أحمدَ بنِ بالَوَيْهِ في آخَرين قالوا: حدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ أحمدَ بنِ حَنْبلٍ، ثنا يحيى بنُ مَعينٍ، ثنا عُبَيْدُ بنُ أبي قُرَّةَ، ثنا الليثُ ابنُ سعدٍ، عن أبي قَبيلٍ، عن أبي مَيْسرةَ مولى العباسِ قال: سمعْتُ العباسَ قال: كنتُ عندَ النبيِّ ﷺ ذاتَ ليلةٍ فقال: «**انْظُرْ هل ترَى في السماءِ من شيءٍ؟**» قلتُ: نعم. قال: «**ما ترَى؟**» قلتُ: الثُّريَّا.

---

(١) رواه نعيم بن حماد في «الفتن» (٥٢٠).
(٢) رواه نعيم في «الفتن» (٥٢١).
(٣) رواه نعيم في «الفتن» (٥٣٠).
(٤) رواه البيهقي في «الدلائل» (٦/ ٥١٣).
(٥) ضعيف: رواه البيهقي في «الدلائل» (٦/ ٥١٨) وفيه حجاج بن تميم ضعيف.

قال: «أمَا إنه سيَمْلكُ هذه الأمةَ بعددها من صُلْبِك»(١) . قال البخاريُّ: عُبيدُ ابنُ أبي قُرَّةَ بَغْداديٌّ سمع الليثَ، لا يُتابَعُ على حديثِه في قصةِ العباسِ.

وروَى البيهقيُّ مِن حديثِ محمدِ بنِ عبدِ الرحمنِ العامريِّ وهو ضَعيفٌ عن سُهيلٍ، عن أبيه، عن أبي هريرةَ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال للعباسِ: «فيكم النُّبوةُ وفيكم المُلْكُ»(٢) .

وقال أبو بكرِ بنُ أبي خَيْثمةَ: ثنا يحيى بنُ مَعينٍ، ثنا سفيانُ، عن عمرِو بنِ دينارٍ، عن أبي مَعْبَدٍ قال: قال ابنُ عباسٍ: كما فتَح اللَّهُ بأوَّلنا فأرْجو أن يَخْتِمَه بنا(٣) . هذا إسنادٌ جيدٌ، وهو موقوفٌ على ابنِ عباسٍ من كلامِه.

وقال يعقوبُ بنُ سفيانَ: حدَّثني إبراهيمُ بنُ أيوبَ، ثنا الوليدُ، ثنا عبدُ الملكِ بنُ حُميدِ ابنِ أبي غَنِيَّةَ، عن المِنْهالِ بنِ عمرٍو، عن سعيدِ بنِ جُبيرٍ قال: سمِعْتُ ابنَ عباسٍ ونحن نقولُ: اثْنَيْ عشَرَ أميرًا ثم لا أميرَ، واثْنَيْ عشَرَ أميرًا، ثم هي الساعةُ. فقال ابنُ عباسٍ: ما أحْمقَكم! إن منَّا أهلَ البيتِ بعدَ(٤) ذلك، المنصورَ، والسَّفَّاحَ، والمَهْديَّ؛ يدْفَعُها إلى عيسى ابنِ مريمَ. وهذا أيضًا موقوفٌ، وقد رَواه البيهقيُّ مِن طريقِ الأعْمشِ، عن الضَّحَّاكِ، عن ابنِ عباسٍ مرفوعًا: «منا السَّفاحُ، والمنصورُ، والمهْديُّ»(٥) . وهذا إسنادٌ ضعيفٌ، والضَّحَّاكُ لم يَسْمَعْ مِن ابنِ عباسٍ شيئًا على الصحيحِ، فهو مُنْقَطِعٌ. واللَّهُ أعلمُ.

وقد قال عبدُ الرزاقِ، عن الثوريِّ، عن خالدٍ الحَذَّاءِ، عن أبي قلابةَ، عن أبي أسماءَ، عن ثَوْبانَ قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «يُقْتَلُ عندَ كَنزِكم هذه ثلاثةٌ، كلُّهم ولدُ خَليفةٍ، لا يَصيرُ إلى واحدٍ منهم، ثم تُقْبِلُ الراياتُ السُّودُ مِن خُراسانَ فيَقْتُلونكم مَقْتَلَةً لم ترَوْا مثلَها، ثم يجيءُ خَليفةُ اللَّهِ المَهْديُّ، فإذا سمِعْتُم فأْتُوه فبايِعوه ولو حَبْوًا على الثلجِ، فإنه خليفةُ اللَّهِ المَهْديُّ»(٦) . أخْرَجه ابنُ ماجه عن أحمدَ بنِ يوسفَ السُّلَميِّ، ومحمدِ بنِ يحيى الذُّهْليِّ، كلاهما عن عبدِ الرزاقِ به. ورَواه البيهقيُّ مِن طرقٍ، عن

---

(١) إسناده ضعيف: رواه البيهقي في «الدلائل» (٦/ ٥١٨) وفي عبيد بن أبي قرة تفرد به ولا يحتمل التفرد.

(٢) إسناده ضعيف: رواه البيهقي في «الدلائل» (٦/ ٥١٧) وفيه محمد بن عبد الرحمن العامري ضعيف.

(٣) صحيح إلى ابن عباس: رواه البيهقي في «الدلائل» (٦/ ٥١٧).

(٤) لم أقف عليه وانظر ما بعده

(٥) إسناده ضعيف: رواه البيهقي في «الدلائل» (٦/ ٥١٤) وفي سنده الضحاك لم يسمع من ابن عباس شيئًا على الصحيح قاله المصنف.

(٦) ضعيف: رواه ابن ماجه (٤٠٨٤) ورجاله ثقات لكن قال العلامة المحدث الألباني رحمه اللَّه تعالى وبل ثراه بالرحمة وقد ذهل من صححه عن علته وهي عنعنة أبي قلابة فإنه من المدلسين كما تقدم نقله عن الذهبي وغيره في الحديث السابق لكن الحديث صحيح المعنى دونه قوله: «فإن فيها خليفة اللَّه المهدي فقد أخرجه ابن ماجه (٢/ ٥٧) من طريق علقمة عن ابن مسعود مرفوعًا نحو رواية ثوبان الثانية وإسناده حسن وليس فيه «خليفة اللَّه» وهذه الزيادة «خليفة اللَّه» ليس لها طريق ثابت ولا يصلح أن يكون شاهدًا لها فهي منكرة كما يفيده الذهبي السابق ومن نكارتها أنه لا يجوز في الشرع أن يقال: فلان خليفة اللَّه لما فيه من إيهام ما لا يليق باللَّه تعالى من النقص والعجز ثم نقل عن الإمام ابن تيمية في «الفتاوى» (٢/ ٤٦١) ما يبطل ذلك.

عبدالرزاق، ثم قال: تفرَّد به عبدُ الرزاق. قال البيهقيُّ: ورواه عبدُ الوهَّاب بنُ عطاءٍ، عن خالدٍ الحَذَّاء، عن أبي قلابةَ، عن أبي أسماءَ، عن ثوبانَ موقوفًا.

ثم قال البيهقيُّ: أنا عليُّ بنُ أحمدَ بنِ عَبْدانَ، أنا أحمدُ بنُ عُبَيدٍ الصفَّارُ، ثنا محمدُ بنُ غالبٍ، ثنا كَثيرُ بنُ يحيى، ثنا شَريكٌ، عن عليِّ بنِ زيدٍ، عن أبي قِلابةَ، عن أبي أسماءَ، عن ثَوْبانَ قال: قال رسولُ اللَّه ﷺ: «**إذا أقبَلَت الراياتُ السُّودُ من عَقِبِ خُراسانَ فأتُوها ولو حَبْوًا على الثَّلجِ، فإن فيها خليفةَ اللَّه المهديَّ**»(١).

وقال الحافظُ أبو بكرٍ البَزَّارُ: حدَّثنا الفضلُ بنُ سهلٍ، ثنا عبدُ اللَّه بنُ داهرٍ الرازيُّ، ثنا أبي، عن ابنِ أبي ليلى، عن الحكمِ، عن إبراهيمَ، عن علقمةَ، عن عبدِ اللَّه بنِ مسعودٍ، أن رسولَ اللَّه ﷺ ذكَر فِتْيَةً من بني هاشمٍ، فاغرَوْرَقَت عَيْناه، وذكَر الراياتِ، قال: «**فمَن أدرَكها فلْيأتِها ولو حَبْوًا على الثَّلجِ**»(٢). ثم قال: وهذا الحديثُ لا نَعلَمُ رواه عن الحكمِ إلا ابنُ أبي ليلى، ولا نَعلَمُ يُرْوَى إلا من حديثِ داهرِ بنِ يحيى، وهو من أهلِ الرأيِ، صالحُ الحديثِ، وإنما يُعْرَفُ من حديثِ يزيدَ ابنِ أبي زيادٍ، عن إبراهيمَ.

وقد قال الحافظُ أبو يَعْلى: ثنا أبو هشامٍ محمدُ بنُ يزيد بنِ رفاعةَ، ثنا أبو بكرٍ ابنُ عيَّاشٍ، ثنا يزيدُ ابنُ أبي زيادٍ، عن إبراهيمَ، عن علقمةَ، عن عبدِ اللَّه، هو ابنُ مسعودٍ، قال: قال رسولُ اللَّه ﷺ: «**تَجيءُ راياتٌ سُودٌ من قِبَلِ المَشْرِقِ، تَخوضُ الخيلُ الدمَ إلى ثُنَّتِها، يُظهِرون العَدْلَ، ويَطلُبون العدلَ فلا يُعْطَوْنَه، فيَظهَرون فيُطلَبُ منهم العدلُ فلا يُعطُونه**»(٣). وهذا إسنادٌ حسنٌ.

وقال الإمامُ أحمدُ: حدَّثنا يحيى بنُ غَيْلانَ وقُتَيبةُ بنُ سعيدٍ، قالا: ثنا رِشْدينُ بنُ سعدٍ. قال يحيى بنُ غَيْلانَ في حديثِه، قال: حدَّثني يونسُ بنُ يزيدَ، عن ابنِ شهابٍ، عن قَبيصةَ، هو ابنُ ذُؤَيبٍ الخُزاعيُّ، عن أبي هريرةَ، عن رسولِ اللَّه ﷺ، أنه قال: «**يَخرُجُ من خُراسانَ راياتٌ سُودٌ، لا يَرُدُّها شيءٌ حتى تُنصَبَ بإيلياءَ**»(٤). وقد رَواه الترمذيُّ عن قتيبةَ به، وقال: غريبٌ. ورَواه البيهقيُّ والحاكمُ من حديثِ عبدِ اللَّه بنِ يوسفَ، عن رِشْدينَ بنِ سعدٍ. وقال البيهقيُّ: تَفَرَّد به رِشْدينُ بنُ سعدٍ، وقد رُوِيَ قريبٌ من هذا، عن كعبِ الأحْبارِ، ولعلَّه أشْبَهُ. واللَّهُ أعلمُ.

ثم روَى من طريقِ يعقوبَ بنِ سفيانَ، حدَّثنا مُحَدِّثٌ عن أبي المُغيرةِ عبدِ القُدُّوسِ، عن إسماعيلَ ابنِ عيَّاشٍ، عمَّن حدَّثه عن كعبِ الأحْبارِ قال: تَظهَرُ راياتٌ سُودٌ لبني العباسِ حتى يَنزِلوا بالشامِ،

---

(١) إسناده ضعيف: رواه البيهقي في «الدلائل» (٦/ ٥١٦) وفيه شريك، وعلي بن زيد وكلاهما ضعيف وعنعنة أبي قلابة.

(٢) إسناده ضعيف:

(٣) إسناده ضعيف: رواه أبو يعلى (٥٠٨٤) وفيه يزيد ابن أبي زياد ضعيف.

(٤) إسناده ضعيف: رواه أحمد (٢/ ٣٦٥) والترمذي (٢٢٦٩) وفيه رشدين بن سعد ضعيف.

ويَقْتُلُ اللَّهُ على أيديهم كلَّ جبَّارٍ وكلَّ عدوٍّ لهم.

وقال الإمامُ أحمدُ: حدَّثنا عثمانُ بنُ أبي شَيْبَةَ، ثنا جَريرٌ، عن الأعمشِ، عن عطيَّةَ العَوْفيِّ، عن أبي سعيدٍ الخدريِّ قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: **«يَخرُجُ عندَ انقطاعٍ من الزمانِ وظُهورٍ من الفتَنِ، رجلٌ يقالُ له: السَّفَّاحُ. فيكونُ إعطاؤُه المالَ حَثْيًا»**(١). ورواه البيهقيُّ عن الحاكمِ، عن الأصمِّ، عن أحمدَ ابنِ عبدِ الجَبَّارِ، عن أبي معاويةَ، عن الأعمشِ به. وقال فيه: **«يَخرُجُ رجلٌ من أهلِ بيتي يقالُ له: السَّفَّاحُ»**(٢). فذكَره، وهذا الإسنادُ على شرطِ أهلِ السننِ، ولم يُخرجوه.

فهذه الأخبارُ في خروجِ الراياتِ السُّودِ من خُراسانَ وفي ولايةِ السَّفَّاحِ، وهو أبو العباسِ عبدُ اللَّه ابنُ محمدِ بنِ عليِّ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ العباسِ بنِ عبدِ المطلبِ، وقد وقَعت ولايتُه في حدودِ سنةِ ثلاثين ومائةٍ، ثم ظهَر بأعْوانه ومعهم الراياتُ السُّودُ، وشعارُهم السَّوادُ، كما دخَل رسولُ اللَّهِ ﷺ يومَ الفتحِ وعلى رأسِه المِغْفَرُ وفوقَه عِمامةٌ سَوْداءُ. ثم بعَث عمَّه عبدَ اللَّه لقتالِ بني أميَّةَ، فكسَرهم في سنةِ اثنتين وثلاثين ومائةٍ، وهرَب من المعركةِ آخرُ خلفائهم، وهم مَرْوانُ بنُ محمدِ بنِ مَرْوانَ، ويُلَقَّبُ بمَرْوانَ الحمارِ، ويقالُ له: مَرْوانُ الجَعْديُّ. لاشتغالِه على الجَعْدِ بنِ درهمٍ، فيما قيل، ودخَل عمُّه دمشقَ واستَحْوَذ على ما كان لبني أميَّةَ من المُلْكِ والأملاكِ والأموالِ، وجرَت خُطوبٌ كثيرةٌ سنُورِدُها مُفَصَّلَةً في موضعِها، إن شاء اللَّهُ تعالى.

وقد ورَد عن جماعةٍ من السلفِ في ذكرِ الراياتِ السُّودِ التي تخرُجُ من خُراسانَ بما يطولُ ذكْرُه، وقد استَقْصَى ذلك نُعيمُ بنُ حمادٍ في كتابِه، وفي بعضِ الرواياتِ ما يدُلُّ على أنه لم يقَعْ أمرُها بعدُ، وأن ذلك يكونُ في آخرِ الزمانِ، كما سنُورِدُه في موضعِه، إن شاء اللَّهُ تعالى، وبه الثقةُ وعليه التُّكْلانُ.

وقد روَى عبدُ الرزاقِ، عن مَعْمرٍ، عن الزهريِّ قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: **«لا تقومُ الساعةُ حتى تكونَ الدنيا للُكَعِ ابنِ لُكَعٍ»**(٣). قال أبو مَعْمرٍ: هو أبو مُسْلمٍ الخُراسانيُّ. يعني الذي أقام دولةَ بني العباسِ.

والمقصودُ أنه تحوَّلت الدولةُ من بني أميَّةَ إلى بني العباسِ في هذه السنةِ، وكان أولَ قائمٍ منهم أبو العباسِ السَّفَّاحُ، ثم أخوه أبو جعفرٍ عبدُ اللَّهِ المنْصورُ باني مدينةِ السلامِ بغدادَ، ثم ابنُه المَهْديُّ محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ، ثم من بعدِه ابنُه الهادي، ثم ابنُه الآخرُ هارونُ الرَّشيدُ، ثم انتشَرت الخلافةُ في ذُرِّيَّتِه، على ما سنُفَصِّلُه إذا وصَلْنا إلى تلك الأيامِ، وقد نطَقَت هذه الأحاديثُ التي أورَدْناها آنفًا

---

(١) إسناده ضعيف: رواه أحمد (٣/ ٨٠) وفي إسناده عطية العوفي ضعيف.
(٢) إسناده ضعيف: رواه البيهقي في «الدلائل» (٦/ ٥١٤).
(٣) مرسل.

بالسَّفَّاح والمنصور والمَهْديِّ، ولا شكَّ أن المهديَّ الذي هو ابنُ المنصور ثالثُ خُلفاءِ بني العباس، ليس هو المهديَّ الذي وردَت الأحاديثُ المُسْتَفيضَةُ بذكره وأنه يكونُ في آخرِ الزمان، يَملأُ الأرض عدلاً وقسْطًا كما مُلئَت جَوْرًا وظُلْمًا، وقد أفْرَدْنا للأحاديث الواردة فيه جزءًا على حدَة، كما أفْرَد له أبو داودَ كتابًا في «سننه»، وقد تقدَّم في بعضِ هذه الأحاديث آنفًا أنه يُسَلِّمُ الخلافةَ إلى عيسى ابنِ مَرْيَمَ إذا نزَل إلى الأرضِ. واللَّهُ أعلمُ. وأما السَّفَّاحُ فقد تقَدَّم أنه يكونُ في آخرِ الزمان، فيَبْعُدُ أن يكونَ هو الذي بُويعَ أولَ خُلفاءِ بني العباسِ، فقد يكونُ خليفةً آخرَ، وهذا هو الظاهرُ، فإنه قد روَى نُعيمُ ابنُ حمادٍ، عن ابنِ وهبٍ، عن ابن لَهيعةَ، عن يزيدَ بنِ عمرٍو المَعافريِّ عن تَدُومَ الحِمْيَريِّ، سمع تُبَيْعَ ابنَ عامرٍ يقولُ: يعيشُ السَّفَّاحُ أربعين سنةً، اسمُه في التوراةِ طائرُ السَّماءِ.

قلتُ: وقد تكونُ صفةً للمهديِّ الذي يَظْهَرُ في آخرِ الزمان؛ لكثرةِ ما يَسْفَحُ أي يُريقُ من الدماءِ لإقامةِ العَدْلِ، ونَشْرِ القِسْطِ، وتكونُ الراياتُ السُّودُ المذكورةُ في هذه الأحاديثِ، إن صحَّت، هي التي تكونُ مع المهديِّ، ويكونُ أولُ ظهورِ بَيْعته بمكةَ، ثم تكونُ أنصارُه من خُراسانَ، كما وقَع قديمًا للسَّفَّاحِ. واللَّهُ تعالى أعلمُ. هذا كلُّه تَفْريعٌ على صحةِ هذه الأحاديثِ، وإلا فلا يَخْلو سندٌ منها عن كلامٍ. واللَّهُ سبحانَه وتعالى أعلمُ بالصواب.

ذكر الإخبار عن الأئمة الاثني عشر الذين كلهم من قريش

وليسوا بالاثنَيْ عشَرَ الذين يدَّعون إمامتَهم الرافضةُ؛ فإن هؤلاء الذين يزْعُمون لم يلِ أمورَ الناسِ منهم إلا عليُّ بنُ أبي طالبٍ وابنُه الحسنُ، وآخرُهم، في زعمِهم، المهديُّ المُنْتَظَرُ، في زعمِهم، بسِرْدابِ سامَرَّاءَ، وليس له وجودٌ، ولا عينٌ، ولا أثرٌ، بل هؤلاءِ من الأئمةِ الاثنَيْ عشَرَ المُخْبَرِ عنهم في الحديث، الأئمةُ الأربعةُ؛ أبو بكرٍ وعمرُ وعثمانُ وعليٌّ، رضيَ اللَّهُ عنهم، ومنهم عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ بلا خلافٍ بينَ الأئمةِ على كِلا القولَين لأهلِ السنةِ في تفسيرِ الاثنَيْ عشَرَ، كما سنذكُرُه بعدَ إيرادِ الحديث.

ثبَت في «صحيح البخاريِّ» من حديث شعبةَ، و«مسلم» من حديث سفيانَ بنِ عُيَينةَ، كلاهما عن عبدِ الملك بنِ عُمَيْرٍ، عن جابرِ بنِ سَمُرةَ قال: سمعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ: «**يكونُ اثنا عشَرَ خَليفةً**». ثم قال كلمةً لم أسْمَعْها، فقلتُ لأبي: ما قال؟ قال: قال: «**كلُّهم من قريش**»[1].

وقال نعيمُ بنُ حماد في كتاب «الفتن والملاحم»: حدَّثنا عيسى بنُ يونسَ، حدَّثنا مُجالدٌ، عن الشعبيِّ، عن مسروقٍ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ مسعودٍ قال: قال رسول الله ﷺ: «**يكونُ بعدي من الخلفاءِ**

(١) صحيح: رواه البخاري (٧٢٢٣) ومسلم (١٨٢١).

عدةُ أصحاب موسى». وقد رُوِيَ مثلُ هذا عن عبدِ اللَّهِ بنِ عمرَ وحُذَيفةَ وابنِ عباسٍ وكعبِ الأحبارِ من قولِهم.

وقال أبو داودَ: حدَّثنا عمرُو بنُ عثمانَ، حدَّثنا مَرْوانُ بنُ معاويةَ، عن إسماعيلَ بنِ أبي خالدٍ، عن أبيه، عن جابرِ بنِ سَمُرةَ قال: سمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ: **«لا يزالُ هذا الدِّينُ قائمًا حتى يكونَ عليهم اثنا عشرَ خليفةً** -أو: أميرًا- **كلُّهم تجتمعُ عليهم الأمَّةُ»**. وسمِعْتُ كلامًا من النبيِّ ﷺ لم أفْهَمْه، فقلتُ لأبي: ما يقولُ؟ قال: يقولُ: **«كلُّهم من قريشٍ»**(١).

وقال أبو داودَ أيضًا: حدَّثنا ابنُ نُفَيلٍ، حدَّثنا زهيرُ بنُ مُعاويةَ، حدَّثنا زيادُ بنُ خَيْثمةَ، حدَّثنا الأسودُ بنُ سعيدٍ الهَمْدانيُّ، عن جابرِ بنِ سَمُرةَ قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: **«لا تزالُ هذه الأمَّةُ مُسْتقيمًا أمْرُها، ظاهرةً على عَدُوِّها، حتى يَمْضيَ منهم اثنا عشرَ خليفةً، كلُّهم من قريشٍ»**(٢). قال: فلما رجَع إلى منزله أتَتْه قريشٌ فقالوا: ثم يكونُ ماذا؟ قال: **«ثم يكونُ الهَرْجُ»**. قال البيهقيُّ: ففي الروايةِ الأولى بيانُ العَدَدِ، وفي الثانيةِ بيانُ المرادِ بالعددِ، وفي الثالثةِ بيانُ وُقوعِ الهَرْجِ وهو القتلُ بعدَهم، وقد وُجِد هذا العددُ بالصفةِ المذكورةِ إلى وقتِ الوليدِ بنِ يزيدَ بنِ عبدِ الملكِ، ثم وقَع الهَرْجُ والفتنةُ العظيمةُ، كما أخْبَرَ في هذه الروايةِ، ثم ظهَر مُلكُ العَبَّاسيَّةِ، كما أشار إليه في البابِ قبلَه، وإنما يَزيدون على العددِ المذكورِ في الخبرِ إذا تُرِكَت الصفةُ المذكورةُ فيه، أو عُدَّ معهم من كان بعدَ الهَرْجِ المذكورِ فيه، وقد قال النبيُّ ﷺ: **«لا يزالُ هذا الأمرُ في قريشٍ ما بَقِيَ من الناسِ اثنانِ»**(٣). ثم ساقه من حديثِ عاصمِ بنِ محمدٍ، عن أبيه، عن ابنِ عمرَ، عن النبيِّ ﷺ، فذكَره.

وفي «صحيحِ البخاريِّ» من طريقِ الزهريِّ، عن محمدِ بنِ جُبَيرِ بنِ مُطْعِمٍ، عن معاويةَ بنِ أبي سفيانَ قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: **«إن هذا الأمرَ في قريشٍ، لا يُعاديهم أحدٌ إلا كَبَّه اللَّهُ على وجهِه ما أقاموا الدِّينَ»**(٤). قال البيهقيُّ: أي أقاموا مَعالمَه، وإن قصَّروا هم في أعمالِ أنفسِهم. ثم ساق أحاديثَ تقْتَضِي ما ذكَره في هذا. واللَّهُ أعلمُ. فهذا الذي سلَكه البيهقيُّ وقد وافقه عليه جماعةٌ من أن المرادَ بالخُلفاءِ الاثْنَيْ عشَرَ المذكورين في هذا الحديثِ هم المُتتابعون إلى زمنِ الوليدِ بنِ يَزيدَ بنِ عبدِ الملكِ الفاسقِ، الذي قدَّمْنا الحديثَ الواردَ فيه بالذمِّ والوَعيدِ، فإنه مَسْلَكٌ فيه نظَرٌ؛ وبيانُ ذلك أن الخُلفاءَ إلى زمنِ الوليدِ بنِ يَزيدَ هذا أكثرُ من اثنَيْ عشَرَ على كلِّ تقديرٍ نَفْرِضُه، وبُرْهانُه أن الخُلفاءَ الأربعةَ؛ أبو بكرٍ وعمرُ وعثمانُ وعليٌّ، خلافتُهم مُحَقَّقةٌ بنَصِّ حديثِ سَفِينةَ: **«الخلافةُ بعدي ثلاثون سنةً»**. ثم بعدَهم الحسنُ بنُ عليٍّ، كما وقَع، لأن عليًّا أوْصَى إليه، وبايَعَه أهلُ العراقِ، وركِب

---

(١) **إسناده حسن:** رواه أبو داود (٤٢٧٩).
(٢) **إسناده حسن:** رواه أبو داود (٤٢٨١).
(٣) **صحيح:** رواه البخاري (٣٥٠١) ومسلم (١٨٢٠).
(٤) **صحيح:** رواه البخاري (٣٥٠٠، ٧١٣٩) والدارمي (٢٤٩).

وركبوا معه لقتال أهلِ الشام حتى اصطَلح هو ومُعاويةُ وسَلَّمَها إليه، كما دَلَّ عليه حديثُ أبي بَكْرة[١] في «صحيح البخاريّ»، ثم معاويةُ، ثم ابنُه يزيدُ بنُ مُعاويةَ، ثم ابنُه مُعاويةُ بنُ يزيدَ، ثم مَرْوانُ بنُ الحَكَم، ثم ابنُه عبدُ الملك بنُ مَرْوانَ، ثم ابنُه الوليدُ بنُ عبدِ الملك، ثم سليمانُ بنُ عبدِ الملك، ثم عمرُ ابنُ عبدِ العزيز، ثم يزيدُ بنُ عبدِ الملك، ثم هشامُ بنُ عبدِ الملك، فهؤلاء خمسةَ عشَرَ، ثم الوليدُ بنُ يزيدَ بنِ عبدِ الملك، فإن اعتبَرْنا ولايةَ ابنِ الزبير قبلَ عبدِ الملك صاروا ستةَ عشَرَ، وعلى كلِّ تقديرٍ فهُم اثنا عشَرَ قبلَ عمرَ بنِ عبدِ العزيز، فهذا الذي سلكه على هذا التقدير يُدْخِلُ في الاثنيْ عشَرَ يزيدَ بنَ معاويةَ، ويُخْرِجُ منهم عمرَ بنَ عبدِ العزيز، الذي أطْبَق الأئمةُ على شُكْرِه وعلى مدحه، وعَدُّوه من الخُلفاء الراشدين، وأجْمَع الناسُ قاطبةً على عَدْله، وأن أيامَه كانت من أعْدل الأيام، حتى إنَّ الرافضةَ يعْتَرِفون بذلك، فإن قال: أنا لا أعْتَبِرُ في هذا إلا مَن اجْتَمَعت الأُمَّةُ عليه. لزِمه على هذا القولِ أن لا يَعُدَّ عليَّ بنَ أبي طالبٍ ولا ابنَه؛ لأن الناسَ لم يجْتَمعوا عليهما؛ وذلك أن أهلَ الشامِ بكمالِهم لم يُبايِعوهما، وعَدَّ حينَئذٍ مُعاويةَ وابنَه يزيدَ وابنَ ابنه مُعاويةَ بنَ يزيدَ، ولم يَعْتَدَّ بأيامِ مَرْوانَ ولا ابنِ الزبير؛ لأنَّ الأُمَّةَ لم تَجْتَمِعْ على واحدٍ منهما، فعلى هذا نقولُ في مَسْلَكه هذا عادًّا للخلفاء؛ أبو بكرٍ ثم عمرُ ثم عثمانُ ثم معاويةُ ثم يزيدُ ثم مُعاويةُ ثم عبدُ الملك ثم الوليدُ ثم سليمانُ ثم عمرُ بنُ عبدِ العزيز ثم يزيدُ، ثم هشامٌ، فهؤلاء اثْنا عَشَر، ثم مِن بعدهم الوليدُ بنُ يزيدَ بنِ عبدِ الملك الفاسقُ، ولكن هذا لا يُمْكِنُ أن يُسْلَكَ؛ لأنه يَلْزَمُ منه إخْراجُ عليٍّ وابنِه الحسنِ من هؤلاء الاثنَيْ عَشَرَ، وهو خلافُ ما نصَّ عليه أئمةُ السُّنَّة بل والشيعة، ثم هو خلافُ ما دلَّ عليه نصًّا حديثُ سَفينةَ، عن رسولِ اللَّه ﷺ أنه قال: «الخلافةُ بعدي ثلاثون سنةً، ثم تكونُ مُلْكًا عَضوضًا»[٢]. وقد ذكَر سَفينةُ تَفْصيلَ هذه الثلاثين سنةً، فجَمَعها من خلافة الأربعة، وقد بيَّنَّا دُخولَ خلافة الحسنِ - وكانت نحوًا من ستة أشهرٍ - فيها أيضًا، ثم صار المُلْكُ إلى معاويةَ لَمّا سَلَّم الأمْرَ إليه الحسنُ بنُ عليٍّ، وهذا الحديثُ فيه المنعُ من تَسْمية مُعاويةَ خليفةً، وبيانُ أن الخلافةَ قد انقَطَعت بعدَ الثلاثين سنةً، لا مطلقًا، بل انقَطَع تَتابُعُها، ولا يَنْفي وجودَ خُلفاءَ راشدين بعدَ ذلك، كما دَلَّ عليه حديثُ جابرِ بنِ سَمُرةَ.

وقال نُعيمُ بنُ حماد: حدَّثنا رِشْدينُ بنُ سعدٍ، عن ابنِ لَهيعةَ، عن خالدِ بنِ أبي عِمْرانَ، عن حذيفةَ بنِ اليَمانِ قال: يكونُ بعدَ عثمانَ اثنا عشَرَ مَلِكًا من بني أُميَّةَ. قيل له: خلفاءُ؟ قال: لا، بل مُلوكٌ[٣].

وقد روى البيهقيُّ من حديثِ حاتمِ بنِ أبي صَغيرةَ، عن أبي بَحْرٍ قال: كان أبو الجَلْد جارًا لي، فسمِعْتُه يقولُ، يَحْلِفُ عليه: إن هذه الأُمةَ لن تَهْلِكَ حتى يكونَ فيها اثنا عشَرَ خليفةً، كلُّهم يَعْمَلُ

---

(١) **صحيح:** رواه البخاري (٢٧٠٤).
(٢) تقدم
(٣) **إسناده ضعيف:** فيه رشدين بن سعد ضعيف وكذلك ابن لهيعة.

بالهُدَىٰ ودينِ الحقِّ، منهم رجلانِ من أهلِ البيت؛ أحدُهما يَعيشُ أربعين سنةً، والآخرُ ثلاثين سنةً.
ثُم شرَع البيهقيُّ في ردِّ ما قاله أبو الجَلْدِ بما لا يَحْصُلُ به الردُّ، وهذا عجيبٌ منه، وقد وافق أبا الجَلْدِ طائفةٌ من العلماء، ولعلَّ قولَه أرْجَحُ؛ لما ذكَرْنا، وقد كان ينظُرُ في شيءٍ من الكتبِ المتقدِّمة.

وفي التَّوْراةِ التي بأيدي أهلِ الكتابِ ما معناه: أنَّ اللَّهَ تعالىٰ بشَّر إبراهيمَ بإسماعيلَ، وأنه يُنَمِّيه ويُكثِّرُه ويجعَلُ من ذُرِّيَّته اثنَيْ عشرَ عظيمًا. قال شيخُنا العَلامةُ أبو العباسِ ابنُ تَيْميَّةَ: وهؤلاء هم المُبَشَّرُ بهم في حديثِ جابرِ بنِ سَمُرةَ. وقرَّر أنَّهم يكونون مُفَرَّقين في الأمة، ولا تقومُ الساعةُ حتىٰ يُوجَدوا.
قال: وغلِط كثيرٌ ممن تشرَّف بالإسلامِ من اليهودِ فظنُّوا أنهم الذين تدْعُو إليهم فرقةُ الرافضة، فاتَّبَعوهم.

وقد قال نُعيمُ بنُ حماد: حدَّثنا ضَمْرةُ، عن ابنِ شَوْذَبٍ، عن أبي المِنْهالِ، عن أبي زيادٍ، عن كعبٍ قال: إن اللَّهَ وهَب لإسماعيلَ من صُلْبِه اثنيْ عشرَ قَيِّمًا، أفضلهم وخيرُهم أبو بكرٍ وعمرُ وعثمانُ[1].

وقال نُعيمٌ: حدَّثنا ضَمْرةُ، عن ابنِ شَوْذَبٍ، عن يحيىٰ بنِ أبي عمرٍو السَّيْبانيِّ قال: ليس من الخُلفاءِ مَن لم يَمْلِكِ المَسْجِدَين؛ المسجدَ الحَرامَ ومسجدَ بيتِ المقدسِ[2].

ذكرُ الإخبارِ عن أمورٍ وقعت في دولةِ بني العباسِ إلى زمانِنا هذا

فمن ذلك بناءُ أبي جعفرٍ عبدِ اللَّهِ بنِ محمدِ بنِ عليِّ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عباسٍ - الخليفةِ بعدَ أخيه الخليفةِ السَّفاحِ، وهو المنصورُ - لمدينةِ بَغْدادَ، في سنةِ خمسٍ وأربعين ومائة.

قال نُعيمُ بنُ حمادٍ في كتابِه، عن أبي المُغيرةِ، عن أرْطاةَ بنِ المنذرِ، عمَّن حدَّثه عن ابنِ عباسٍ أنه أتاه رجلٌ وعندَه حُذيفةُ فقال: يا ابنَ عباسٍ، قولُه تعالىٰ: ﴿حمٓ ۝ عٓسٓقٓ﴾ [الشورىٰ: ١-٢]. فأطْرَق ساعةً وأعْرَض عنه، ثم كرَّرها فلم يُجِبْه بشيءٍ، فقال له حذيفةُ: أنا أُنَبِّئُك، قال عرَفْتُ لمَ كرِهَها، إنما نزلت في رجلٍ من أهلِ بيتِه يقالُ له: عبدُ الإلهِ. أو عبدُ اللَّهِ. يَنْزِلُ علىٰ نهرٍ من أنهارِ المَشْرِقِ، يَبْني عليه مدينتَيْن يَشُقُّ النهرُ بينَهما شقًّا، يجتَمعُ فيهما كلُّ جبارٍ عنيدٍ[3].

وقال أبو القاسمِ الطَّبَرانيُّ: حدَّثنا أحمدُ بنُ عبدِ الوهَّابِ بنِ نَجْدةَ الحَوْطيُّ، حدَّثنا أبو المغيرةِ، حدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ السِّمْطِ، حدَّثنا صالحُ بنُ عليٍّ الهاشميُّ، عن أبيه، عن جدِّه، عن النبيِّ ﷺ قال: **«لأنْ يُرَبِّيَ أحدُكم بعدَ أربعٍ وخمسين ومائةٍ جَرْوَ كلبٍ، خيرٌ له من أن يُربِّيَ ولدًا لصُلْبِه»**[4]. قال شيخُنا الذَّهَبيُّ: هذا الحديثُ مَوْضوعٌ. واتَّهَم به عبدَ اللَّهِ بنَ السِّمْطِ هذا.

وقال نُعيمُ بنُ حمادٍ الخُزاعيُّ شيخُ البخاريِّ في كتابِه «الفتن والملاحم» حدَّثنا أبو عُمَرَ البَصْريُّ،

---

(١) رواه نعيم في «الفتن» (٢٣١).
(٢) رواه نعيم في «الفتن» (٢٥٠).
(٣) **إسناده ضعيف:** رواه ابن حماد في «الفتن» (٥٦٨) وفيه من لم يسم.
(٤) **موضوع قاله الإمام الذهبي:** رواه الطبراني في «الكبير» (١٠٦٨٥).

عن أبي بَيانٍ المَعافريِّ، عن تُبَيْعٍ، عن كعبٍ قال: إذا كان سنةُ ستين ومائةٍ انتَقَص فيها حِلْمُ ذَوِي الأحْلام، ورأْيُ ذَوِي الرأْي[1].

حديثٌ آخرُ فيه إشارةٌ إلى مالك بن أنس الإمام، رحمه اللَّهُ:

روىٰ الترمذيُّ من حديث ابنِ عُيَيْنَةَ، عن ابنِ جُرَيْجٍ، عن أبي الزُّبيرِ، عن أبي صالحٍ، عن أبي هريرةَ روايةً: «**يُوشكُ أن يَضْرِبَ الناسُ أكْبادَ الإبلِ يطْلُبون العلمَ، فلا يجدون أحدًا أعْلَمَ من عالمِ المدينة**»[2]. ثم قال: هذا حديثٌ حسنٌ، وهو حديثُ ابنِ عُيَينةَ، وقد رُوِيَ عنه أنه قال: هو مالكُ ابنُ أنسٍ. وكذلك قال عبدُ الرزاق.

قلتُ: وقد تُوُفِّيَ مالكٌ، رحمه اللَّهُ، سنةَ تسعٍ وسبعين ومائةٍ.

حديثٌ آخر فيه إشارةٌ إلى محمد بن إدريسَ الشافعيِّ:

قال أبو داود الطَّيالسيُّ: حدَّثنا جعفرُ بنُ سليمانَ، عن النَّضْرِ بنِ حُمَيْدٍ الكِنْديِّ أو العَبْديِّ، عن أبي الجارود، عن أبي الأحْوصِ، عن عبدِ اللَّهِ قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «**لا تَسُبُّوا قريشًا؛ فإن عالِمَها يَملأ الأرضَ علمًا، اللهم إنك أذَقْتَ أوَّلَها وبالاً، فأذقْ آخرَها نَوالاً**»[3]. وقد رَواه الحاكمُ من طريقِ أبي هريرةَ. وقال الحافظُ أبو نُعيم الأصْبَهانيُّ: هو الشافعيُّ.

قُلتُ: وقَدْ تُوفيَ الشافعيُّ، رحمه الله، في سنة أربعٍ ومائتين، وقَدْ أفْرَدنا ترجمته في مُجلَّدٍ ذكرنا معه تراجمَ أصحابه من بعده.

حديثٌ آخرُ: روىٰ رَوَّادُ بنُ الجَرَّاحِ، عن سفيانَ الثَّوْريِّ، عن منصورٍ، عن رِبْعيٍّ، عن حذيفةَ مرفوعًا: «**خيرُكم بعدَ المائتين خَفيفُ الحاذِ**». قالوا: وما خفيفُ الحاذِ يا رسولَ اللَّهِ؟ قال: «**مَن لا أهلَ له ولا مالَ ولا ولدَ**»[4].

حديثٌ آخر: قال ابنُ ماجه: حدَّثنا الحسنُ بنُ عليٍّ الخَلالُ، حدَّثنا عَوْنُ بنُ عُمارةَ، حدَّثني عبدُ اللَّهِ بنُ المُثَنَّى بنِ ثُمامةَ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ أنسِ بنِ مالكٍ، عن أبيه، عن جدِّه عن أنسِ بنِ مالكٍ، عن أبي قتادةَ قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «**الآياتُ بعدَ المائتين**»[5].

وحدَّثنا نصرُ بنُ عليٍّ الجَهْضَميُّ، حدَّثنا نوحُ بنُ قيسٍ، حدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ مَعْقِلٍ، عن يزيدَ

---

(١) **إسناده ضعيف.**

(٢) **إسناده ضعيف:** رواه الترمذي (٢٦٨٠) وفيه عنعنة ابن جريج وأبي الزبير فإنهما مدلسان.

(٣) **ضعيف جدًا بهذا السند والمتن:** رواه أبو داود في «مسنده» (٣٠٩) وفي سنده النصر بن حميد متروك لكن رواه الترمذي (٣٩٠٨) بسند حسن عن ابن عباس قال: قال رسول اللَّهِ ﷺ: «اللَّهم أذقت أول قريش نكالا فأذق آخرهم نوالا».

(٤) **ضعيف جدًا:** أخرجه ابن عدي في «الكامل» (٣/ ١٠٣٧) وفيه رواد بن الجراح ضعيف.

(٥) **ضعيف:** رواه ابن ماجه (٤٠٥٧) وفيه عون بن عمارة ضعيف.

الرَّقاشيُّ، عن أنسِ بنِ مالكٍ، عن رسولِ اللَّهِ ﷺ قال: «**أُمَّتي على خمسِ طَبَقاتٍ؛ فأربعون سنةً أهلُ برٍّ وتقوى، ثم الذين يَلُونهم إلى عشرين ومائة سنة أهلُ تَراحُمٍ وتَواصُلٍ، ثم الذين يَلُونَهم إلى ستين ومائة أهلُ تَدابُرٍ وتَقاطُعٍ، ثم الهَرْجُ الهَرْجُ، النَّجا النَّجا**» (١) . وحدَّثنا نصرُ بنُ عليٍّ، حدَّثنا حازمٌ أبو محمدٍ العَنَزيُّ، حدَّثنا المِسْوَرُ بنُ الحسنِ، عن أبي مَعْنٍ، عن أنسِ بنِ مالكٍ قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «**أُمَّتي على خمسِ طَبَقاتٍ، كلُّ طَبَقةٍ أربعون عامًا، فأما طَبَقتي وطَبَقةُ أصْحابي فأهلُ علمٍ وإيمانٍ، وأما الطَّبَقةُ الثانيةُ ما بينَ الأربعين إلى الثمانين، فأهلُ برٍّ وتَقْوى**» (٢) . ثم ذكَر نحوَه. هذا لفظُه، وهو حديثٌ غريبٌ من هذين الوجهَين، ولا يخلو عن نَكارةٍ. واللَّهُ أعلمُ.

وقد قال الإمامُ أحمدُ: حدَّثنا وكيعٌ، ثنا الأعمشُ، حدَّثنا هلالُ بنُ يِسافٍ، عن عِمْرانَ بنِ حُصَيْنٍ قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «**خيرُ الناسِ قَرْني، ثم الذين يَلُونهم، ثم الذين يَلُونهم، ثم يَجيءُ قومٌ يَتَسَمَّنون، يُحِبُّون السِّمَنَ، يُعْطُون الشَّهادةَ قبلَ أن يُسْألوها**» (٣) . ورَواه الترمذيُّ من طريقِ الأعْمَشِ.

وقد رَواه البخاريُّ ومسلمٌ من حديثِ شعبةَ، عن أبي جَمْرةَ، عن زَهْدَمِ بنِ مُضَرِّبٍ، سمِعْتُ عِمْرانَ بنَ حُصَينٍ قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «**خيرُ أُمَّتي قَرْني، ثم الذين يَلُونهم ثم الذين يَلُونهم - قال عِمرانُ: فلا أدْري أذكَر بعدَ قَرْنِه قرنَين أو ثلاثةً - ثم إن بعدَكم قومًا يَشْهَدون ولا يُسْتَشْهَدون، ويَخونون ولا يُؤْتَمنون، ويَنْذرون ولا يُوفُون، ويَظْهَرُ فيهم السِّمَنُ**» (٤) . لفظُ البخاريِّ.

وقال البخاريُّ: حدَّثنا محمدُ بنُ كَثيرٍ، أنا سفيانُ، عن منصورٍ، عن إبراهيمَ، عن عَبِيدةَ، عن عبدِ اللَّهِ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «**خيرُ الناسِ قَرْني، ثم الذين يَلُونهم، ثم الذين يَلُونهم، ثم يَجيءُ قومٌ تَسْبِقُ شَهادةُ أحدِهم يَمينَه ويمينُه شَهادتَه**» (٥) . قال إبراهيمُ: وكانوا يَضْربوننا على الشَّهادةِ والعَهْدِ ونحن صِغارٌ. وقد رواه بقيَّةُ الجماعةِ إلا أبا داودَ من طرقٍ مُتعددةٍ، عن منصورٍ به.

حديثٌ آخرُ: قال نُعيمُ بنُ حمادٍ: حدَّثنا أبو عُمَرَ البَصْريُّ، عن ابنِ لَهيعةَ، عن عبدِ الوهَّابِ بنِ حسينٍ، عن محمدِ بنِ ثابتٍ البُنانيِّ، عن أبيه، عن الحارثِ الهَمْدانيِّ، عن ابنِ مسعودٍ، عن النبيِّ ﷺ قال: «**السابعُ من ولدِ العباسِ يدْعُو الناسَ إلى الكُفْرِ فلا يُجيبونه، فيقولُ له أهلُ بيتِه: تريدُ أن تُخْرِجَنا من مَعَايشِنا؟! فيقولُ: إني أسيرُ فيكم بسيرةِ أبي بكرٍ وعمرَ. فيَأْبَوْن عليه فيقتُلُه عدوٌّ من أهلِ بيتِه من بني هاشمٍ، فإذا وثَب عليه اخْتَلَفوا فيما بينَهم**» (٦) . فذكَر اخْتِلافًا طويلًا إلى خروجِ السُّفْيانيِّ. وهذا

---

(١) **ضعيف**: رواه ابن ماجه (٤٠٥٨) وفيه عبد اللَّه بن معقل مجهول ويزيد الرقاشي ضعيف.
(٢) **إسناده ضعيف**: رواه ابن ماجه (٤٠٥٨) وفيه المسور بن الحسن مجهول وكذلك أبو معن.
(٣) **إسناده صحيح**: رواه أحمد (٤/ ٤٢٦) والترمذي (٢٢٢١).
(٤) **صحيح**: رواه البخاري (٢٦٥١، ٣٦٥٠، ٦٤٢٨) ومسلم (٢٥٣٥).
(٥) **صحيح**: رواه البخاري (٢٦٥٢).
(٦) **إسناده ضعيف**: رواه نعيم بن حماد في «الفتن» (٥٩٤) وفيه ابن لهيعة ضعيف.

الحديثُ يَنْطبِقُ على عبد اللَّه المأمون الذي دَعا الناسَ إلى القول بخَلْقِ القرآن، ووقَى اللَّهُ شرَّها، كما سنُوردُ ذلك في مَوْضعِه، والسُّفْيانيُّ رجلٌ يكونُ في آخرِ الزمانِ مَنْسوبٌ إلى أبي سُفيانَ يكونُ من سُلالته، وسيأتي في آخر كتاب الملاحم.

حديثٌ آخرُ: قال الإمامُ أحمدُ: حدَّثنا هاشمٌ، ثنا ليثٌ، عن معاويةَ بنِ صالحٍ، عن عبدِ الرحمنِ ابن جُبير، عن أبيه، سمعْتُ أبا ثَعْلَبَةَ الخُشَنيَّ صاحبَ رسول اللَّه ﷺ، أنه سمعه يقولُ وهو بالفُسْطاطِ في خلافة مُعاويةَ، وكان مُعاويةُ أغزَىٰ الناسَ القُسْطَنْطِينيَّةَ فقال: واللَّه لا تَعْجِزُ هذه الأمةُ من نصفِ يومٍ، إذا رأيتَ الشامَ مائدةَ رجلٍ واحدٍ وأهلِ بيتِه، فعندَ ذلك فَتْحُ القُسْطَنْطِينيَّةِ[1] . هكذا رَواه أحمدُ موقوفًا على أبي ثَعْلَبَةَ.

وقد أخرَجه أبو داودَ في «سننه» من حديث ابنِ وهبٍ، عن معاويةَ بنِ صالحٍ، عن عبدِ الرحمنِ ابنِ جُبير، عن أبيه، عن أبي ثَعْلَبَةَ قال: قال رسولُ اللَّه ﷺ: **«لن يُعْجِزَ اللَّهُ هذه الأُمَّةَ من نصفِ يومٍ»**[2] . تفرَّد به أبو داودَ.

ثم قال أبو داودَ: ثنا عمرُو بنُ عثمانَ، ثنا أبو المغيرةِ، حدَّثني صَفْوانُ، عن شُرَيْحِ بنِ عُبَيدٍ، عن سعدِ بنِ أبي وَقَّاصٍ، عن النبيِّ ﷺ أنه قال: **«إني لأرْجُو أن لا تَعْجِزَ أُمَّتي عندَ ربِّها أن يُؤَخِّرَهم نصفَ يومٍ»**. قيل لسعدٍ: وكم نصفُ يومٍ؟ قال: خمسُمائة سنةٍ[3] . تفرَّد به أبو داودَ، وإسنادُه جيدٌ. وهذا من دلائلِ النبوة، فإن هذا يقْتَضِي وُقوعَ تأخيرِ الأُمةِ نصْفَ يومٍ، وهو خمسُمائة سنةٍ كما فسَّره الصحابيُّ، وهو مَأْخُوذٌ من قوله تعالى: ﴿**وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ**﴾ [الحج: ٤٧]. ثم هذا الإخْبارُ بوقوعِ هذه المدة لا يَنْفِي وقوعَ ما زاد عليها، فأما ما يذْكُرُه كثيرٌ من الناسِ من أنه، عليه الصلاةُ والسلامُ، لا يُؤَلَّفُ في قبرِه، بمعنى لا يَمْضِي عليه ألفُ سنةٍ من يوم مات إلى حينِ قيامِ الساعة، فإنه حديثٌ لا أصلَ له في شيءٍ من كتب الإسلام. واللَّهُ أعلمُ.

حديثٌ آخر: فيه الإخبارُ عن ظهورِ النارِ التي كانت بأرضِ الحجاز، حتى أضاءت لها أعْناقُ الإبلِ ببُصْرَىٰ، وقد وقَع هذا في سنةِ أربعٍ وخمسين وستِّمائة.

قال البخاريُّ في «صحيحه»: ثنا أبو اليَمانِ، ثنا شُعيبٌ، عن الزهريِّ قال: قال سعيدُ بنُ المسيِّب: أخبرني أبو هُريرةَ أن رسولَ اللَّه ﷺ قال: **«لا تقومُ الساعةُ حتى تَخرُجَ نارٌ من أرضِ الحجازِ تُضيءُ أعْناقَ الإبلِ ببُصْرى»**[4] . تفرَّد به البخاريُّ.

وقد ذكَر أهلُ التاريخِ وغيرُهم من الناسِ وتَواتَر وقوعُ هذا في سنة أربعٍ وخمسين وستِّمائة؛ قال الشيخُ الإمامُ الحافظُ شيخُ الحديثِ وإمامُ المُؤَرِّخين في زمانه شِهابُ الدِّين عبدُ الرحمنِ بنُ إسماعيلَ

---

(١) **إسناده حسن:** رواه أحمد (٤/ ١٩٣).
(٢) **حسن:** رواه أبو داود (٤٣٤٩).
(٣) **حسن:** رواه أبو داود (٤٣٥٠).
(٤) **صحيح:** رواه البخاري (٧١١٨) ومسلم (٢٩٠٢).

المُلَقَّبُ بأبي شامةَ، في «تاريخه»: إنها ظَهَرت يومَ الجُمُعة في خامسِ جُمادىٰ الآخرة سنةَ أربعٍ وخمسين وستِّمائةٍ، وإنها استمرَّت شهراً وأزيدَ منه. وذكرَ كُتُبًا مُتواترةً عن أهل المدينة في كيفيَّة ظهورها شرقيَّ المدينة من ناحية وادي شَظَا، تلقاءَ أُحُدٍ، وأنها مَلأت تلك الأودية، وأنه يَخْرُجُ منها شَرَرٌ يأكُلُ الحجارةَ، وذكر أن المدينة زُلْزِلت بسببها، وأنهم سمعوا أصواتًا مُزْعِجةً قبلَ ظهورها بخمسة أيامٍ، أولُ ذلك مُسْتَهَلُّ الشهرِ يومَ الإثنين، فلم تزَلْ ليلاً ونهارًا حتىٰ ظهَرت يومَ الجُمُعةِ خامسَه فانْبَجَسَت تلك الأرضُ عندَ وادي شَظَا عن نارٍ عظيمةٍ جدًّا، صارت مثلَ الوادي، طولُه أربعةُ فَراسخَ في عَرْضِ أربعة أميالٍ، وعمقُه قامةٌ ونصفٌ، يَسيلُ الصخرُ حتىٰ يَبْقىٰ مثلَ الآنُك، ثم يَصيرُ كالفحمِ الأسودِ، وذكَر أن ضوءَها يَمتدُّ إلىٰ تَيْماءَ بحيث كتَب الناسُ علىٰ ضوئها في الليلِ، وكأن في بيتِ كلٍّ منهم مِصْباحًا، ورأىٰ الناسُ سناها من مكةَ، شرَّفها اللَّهُ.

قلتُ: وأمَّا بُصْرَىٰ فأخبرني قاضي القُضاة صَدْرُ الدِّين عليُّ بنُ أبي قاسمٍ التَّميميُّ الحَنَفيُّ قال: أخبَرني والدي، وهو الشيخُ صَفيُّ الدِّين، مُدَرِّسُ بُصْرَىٰ، أنه أخْبَره غيرُ واحدٍ من الأعْراب صَبيحةَ تلك الليلة مَن كان بحاضرةِ بلدِ بُصْرَىٰ، أنهم رأَوْا صَفَحاتِ أعْناقِ إبلِهم في ضَوْءِ هذه النارِ التي ظهَرت من أرضِ الحجازِ.

وقد ذكَر الشيخُ شِهابُ الدِّينِ أن أهلَ المدينةِ لجئوا في هذه الأيامِ إلىٰ المسجدِ النبويِّ، وتابوا إلىٰ اللَّهِ من ذنوبٍ كانوا عليها، واسْتَغْفروا عندَ قبرِ رسولِ اللَّهِ ﷺ، مما سلَف منهم، وأعْتقوا الغِلْمانَ، وتصَدَّقوا علىٰ فُقرائِهم ومَحاويجِهم، وقد قال قائلُهم في ذلك:

يا كاشفَ الضُّرِّ صَفْحًا عن جَرائمنا ... لقد أحاطت بنا يارَبُّ بَأْساءُ
نشْكُو إليك خُطوبًا لا نُطيقُ لها ... حَمْلاً ونحن بها حقًّا أَحِقَّاءُ
زلازلاً تَخْشَعُ الصُّمُّ الصِّلادُ لها ... وكيف يَقْوَىٰ على الزِّلْزال شَمَّاءُ
أقام سبعًا يَرُجُّ الأرضَ فانصدَعت ... عن مَنْظَرٍ منه عينُ الشمسِ عَشْواءُ
بَحْرٌ مِن النارِ تَجْري فوقَه سُفُنٌ ... مِن الهِضابِ لها في الأرضِ إرْساءُ
يُرَىٰ لها شَرَرٌ كالقَصْرِ طائشةً ... كأنَّها ديمةٌ تَنْصَبُّ هَطْلاءُ
تَنْشَقُّ منها قُلوبُ الصَّخْرِ أنْ زفَرتْ ... رُعْبًا وتَرْعُدُ مثلَ الشُّهْبِ أضْواءُ
منها تكاثَفَ في الجَوِّ الدُّخانُ إلى ... أن عادت الشمسُ منه وهْي دَهْماءُ
قد أثَّرت سُفْعةً في البَدْرِ لَفْحَتُها ... فلَيْلةُ التِّمِّ بعدَ النورِ لَيْلاءُ
فيالها آيةً مِن مُعْجِزاتِ رسو ... لِ اللَّهِ يَعْقِلُها القومُ الألِبَّاءُ

إلىٰ آخرِها.

ومما قيل في هذه النار مع غرق بَغْداد في هذه السنة:

سبحان مَن أصبحت مشيئته ... جارية في الورى بمقدار
أغرق بغداد بالمياه كما ... أحرق أرض الحجاز بالنار

حديث آخر: قال الإمام أحمد: حدثنا أبو عامر، ثنا أفْلَحُ بنُ سعيد الأنصاريُّ، شيخٌ من أهل قُبَاء من الأنصار، حدثني عبدُ الله بنُ رافع مولى أمِّ سَلَمَةَ قال: سمعتُ أبا هريرة يقول: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**إن طالت بك مدةٌ، أوشك أن ترى قومًا يَغْدُون في سَخَط الله ويَروحون في لَعْنته، في أيديهم مثلُ أذناب البقر**»[1]. ورواه مسلمٌ عن محمد بن عبد الله بن نُمَيْر، عن زيد بن الحُباب، عن أفْلَحَ بنِ سعيد به. وروى مسلمٌ أيضًا، عن زُهير بن حرب، عن جرير، عن سُهَيل، عن أبيه، عن أبي هريرة قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**صنفان من أهل النار لم أرَهما بعدُ؛ قومٌ معهم سياطٌ كأذناب البقر يَضْربون بها الناسَ، ونساءٌ كاسياتٌ عارياتٌ مائلاتٌ مُميلاتٌ، رءوسُهن كأسْنِمة البُخْت المائلة، لا يَدْخُلن الجنةَ، ولا يَجِدْنَ ريحَها، وإنَّ ريحَها ليُوجدُ من مَسيرة كذا وكذا**»[2]. وهذان الصِّنْفان، وهما الجلَّادُون الذين يُسَمَّوْن بالرَّجَّالة والجَانْداريَّة كثيرون في زماننا هذا، ومن قبله وقبل قبله بدَهْر، والنساءُ الكاسياتُ العارياتُ؛ أي عليهن لُبْسٌ لا تُواري سَوآتِهن، بل هو زيادةٌ في العَوْرة، وإبداءٌ للزِّينة، مائلاتٌ في مَشْيِهن، مُميلاتٌ غيرَهن إليهن، وقد عَمَّ البَلاءُ بهن في زماننا هذا، ومن قبله أيضًا، وهذا من أكبر دَلالات النبوة؛ إذ وقع الأمرُ في الخارج طِبْقَ ما أخْبَر به، عليه الصلاةُ والسلامُ، وقد تقدَّم حديثُ جابر: «**أما إنها ستكونُ لكم أنماطٌ**». وذُكِر تَمامُ الحديث في وقوع ذلك واحتجاج امرأته عليه بهذا.

حديث آخر: روى الإمامُ أحمدُ، عن عبد الصَّمَد بن عبد الوارث، حدثني أبي، عن داودَ بن أبي هند، وأخرجه البيهقيُّ من حديثه، عن أبي حرب بن أبي الأسود الدُّؤَليِّ، عن طلحةَ بن عمرو البَصْريِّ، أنه قدم المدينةَ على رسول الله ﷺ، فبينما هو يُصَلِّي إذ أتاه رجلٌ فقال: يا رسولَ الله، أحْرَق بُطونَنا التمرُ، وتخرَّقتْ عنا الخُنُفُ. قال: فحمد اللهَ وأثنى عليه ثم قال: «**لقد رأيْتُني وصاحبي مَكَثْنا بضعَ عشْرَةَ ليلةً وما لنا طعامٌ غيرُ البَرير، حتى أتَيْنا إخوانَنا من الأنصار، فآسَوْنا من طعامهم، وكان جُلَّ طعامهم التمرُ، والذي لا إلهَ إلا هو لو قدَرْتُ لكم على الخُبز واللَّحم لأطْعَمْتُكُموه، وسيأتي عليكم زمانٌ أو مَن أدْرَكه منكم يَلْبَسون مثلَ أستار الكعبة، ويُغْدَى ويُراحُ عليكم بالجِفان**». قالوا: يا رسولَ الله، أنحن يومئذٍ خيرٌ أم اليوم؟ قال: «**بل أنتم اليومَ خيرٌ، أنتم اليومَ إخوانٌ، وأنتم يومئذٍ يَضْرِبُ بعضُكم رِقابَ بعض**»[3].

---

(١) حسن: رواه أحمد (٢/ ٣٠٨)، وعند مسلم (٢٨٥٧).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢١٢٨).

(٣) إسناده لا بأس به: رواه أحمد في «المسند» (٣/ ٤٨٧) بنحوه ورواه البيهقي في «الدلائل» (٦/ ٥٢٤) بلفظه.

وقد روى سفيانُ الثوريُّ، عن يحيى بنِ سعيدٍ، عن أبي موسى يُحَنَّس قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: **«إذا مشَت أُمَّتي المُطَيْطاءَ وخَدَمَتْهم فارسُ والرومُ، سلَّط اللَّه بعضَهم على بعض»**(١). وقد أسنَدَه البيهقيُّ من طريقِ موسى بنِ عُبَيدةَ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ دينارٍ، عن ابنِ عمرَ، عن النبيِّ ﷺ(٢).

حديثٌ آخرُ: قال أبو داودَ: حدَّثنا سليمانُ بنُ داودَ المَهْريُّ، ثنا ابنُ وَهْبٍ، ثنا سعيدُ بنُ أبي أيوبَ، عن شَراحيلَ بنِ يَزيدَ المَعافريِّ، عن أبي عَلْقمةَ، عن أبي هريرةَ، فيما أعْلَمُ، عن رسولِ اللَّهِ ﷺ قال: **«إنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لهذه الأمة على رأسِ كلِّ مائة سنة مَن يُجَدِّدُ لها أمْرَ دينها»**(٣). قال أبو داودَ: رَواه عبدُ الرحمنِ بنُ شُرَيْحٍ الإسْكَنْدَرانيُّ لم يَجُزْ به شَراحيلَ. تفَرَّد به أبو داودَ. وقد ذكَر كلُّ طائفةٍ مِن العلماءِ في رأسِ كلِّ مائةِ سنةٍ، عالمًا من علمائهم يُنزِّلون هذا الحديثَ عليه، وقال طائفةٌ مِن العلماءِ: بل الصحيحُ أن الحديثَ يَشْمَلُ كلَّ فردٍ من آحادِ العُلماءِ في هذه الأعْصارِ ممن يقومُ بفَرْضِ الكفايةِ في أداءِ العلمِ عمَّن أدْرَك من السَّلَفِ إلى مَن يُدْرِكُه من الخَلَفِ، كما جاء في الحديثِ مِن طرقٍ مُرْسَلةٍ وغيرِ مُرْسَلةٍ: **«يَحْمِلُ هذا العلمَ من كلِّ خَلَفٍ عُدولُه، يَنْفُون عنه تَحْريفَ الغالين، وانتحالَ المُبْطلين»**(٤). وهذا موجودٌ، وللَّهِ الحمدُ والمِنَّةُ، إلى زمانِنا هذا، ونحن في القَرْنِ الثامنِ، واللَّهُ المسئولُ أن يَخْتِمَ لنا بخيرٍ، وأن يَجْعَلَنا من عبادِه الصالحين، ومن وَرَثة جنة النعيم، آمينَ آمينَ يا ربَّ العالمين.

وسيأتي الحديثُ المُخَرَّجُ في «الصحيح»: **«لا تزالُ طائفةٌ من أُمَّتي ظاهرين على الحقِّ لا يضرُّهم مَن خذَلَهم ولا مَن خالفَهم، حتى يأتيَ أمْرُ اللَّه وهم كذلك»**(٥). وفي «صحيحِ البخاري»: **«وهم بالشام»**(٦). وقد قال كثيرٌ من علماءِ السَّلَفِ: إنهم أهلُ الحديثِ. وهذا أيضًا من دلائلِ النبوةِ، فإن أهلَ الحديثِ بالشامِ اليومَ أكثرُ من سائرِ أقاليمِ الإسلامِ، وللَّهِ الحمدُ، ولاسيما بمدينةِ دمشقَ، حماها اللَّهُ وصانها، كما ورَد في الحديثِ الذي سنذكُرُه أنها تكونُ مَعْقِلَ المسلمين عندَ وُقوعِ الفتنِ.

وفي «صحيحِ مسلمٍ» عن النَّوَّاسِ بنِ سَمْعانَ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ أخبَرَ عن عيسى ابنِ مَرْيمَ أنه يَنْزِلُ مِن السماءِ على المَنارةِ البَيْضاءِ شَرْقيَّ دِمَشْقَ(٧) ولعلَّ أصلَ لفظِ الحديثِ: على المَنارةِ البيضاءِ الشَّرْقيَّةِ

---

(١) رواه البيهقي في «الدلائل» (٦/ ٥٢٥).

(٢) **إسناده ضعيف**: رواه الترمذي (٢٢٦١) والبيهقي في «الدلائل» (٦/ ٥٢٥) وفي سنده موسى بن عبيدة ضعيف ولا سيما في عبد اللَّه بن دينار.

(٣) **إسناده حسن**: رواه أبو داود (٤٢٩١).

(٤) **مرسل**: رواه ابن عدي في «الكامل» (١/ ١٥٣) عن إبراهيم بن عبد الرحمن العذري مرسلاً.

(٥) **صحيح**: رواه البخاري (٧٤٦٠) ومسلم (١٩٢٠).

(٦) **صحيح**: رواه البخاري (٣٦٤١).

(٧) **صحيح**: رواه مسلم (٢٩٣٧) والترمذي (٢٢٤٠).

بدمشقَ. وقد بلَغني أنَّه كذلك في بعضِ الأجْزاء، ولم أَقفْ عليه إلى الآنَ، واللَّهُ الْمُيَسِّرُ، وقد جُدِّدَت هذه المَنارةُ البيضاءُ الشَّرْقيةُ بجامعِ دمَشقَ - بعدَما أحرقَها النَّصارىٰ - في أيامنا هذه بعدَ سنة أربعين وسبعمائة، من أموالِ النَّصارىٰ؛ مُقاصَّةً على ما فعَلوا من العُدْوان، وفي هذا حكْمةٌ عظيمةٌ، وهو أن يَنْزِلَ على هذه المَبْنيَّة من أموالِهم عيسىٰ ابنُ مريمَ نبيُّ اللَّه، فيُكَذِّبَهم فيما افْتَرَوْه عليه من الكَذِب عليه وعلى اللَّه، ويكْسرَ الصَّليبَ، ويَقْتُلَ الخنزيرَ، ويضعَ الجزْيةَ - أي يَتْركُها - ولا يَقْبلَ من أحدٍ منهم ولا من غيرِهم إلا الإسلامَ، يعني أو يَقْتُلُه، وقد أخبَر بهذا عنه رسولُ اللَّه ﷺ، وقرَّره عليه وسوَّغه له، صلواتُ اللَّهِ وسلامُه عليه دائمًا إلى يوم الدِّين، وعلى آله وصحبه أجْمَعين والتابعين لهم بإحسانٍ.

بـــاب

التَّنبيهُ على ذكْرِ مُعْجزاتٍ لرسولِ اللَّه ﷺ، مُماثلةٍ لمُعْجزاتٍ جماعةٍ من الأنبياءِ قبلَه، أو أعْلَىٰ منها، خارجًا عمَّا اخْتُصَّ به من المُعْجزاتِ العظيمة التي لم تكُنْ لأحدٍ قبلَه منهم، عليهم السَّلامُ.

فمن ذلك القرآنُ العظيمُ الذي لا يأتيه الباطلُ من بينِ يديه ولا من خلفه تنزيلٌ من حكيمٍ حميدٍ، فإنَّه مُعْجزةٌ مُستمرَّةٌ على الآبادِ، لا يَخْفَىٰ بُرْهانُها، ولا يَنْخَفضُ شأنُها، وقد تحدَّىٰ به الثَّقَلَين من الجنِّ والإنسِ على أن يأتوا بمثله أو بعَشْرِ سُوَرٍ أو بسُورةٍ من مثله، فعجَزوا عن ذلك، كما تقدم تقريرُ ذلك في أولِ كتابِ المُعْجزاتِ، وقد سبَق الحديثُ المُتَّفَقُ على إخراجه في «الصحيحين» من طَريقِ الليثِ بنِ سعدٍ، عن سعيدِ بنِ أبي سعيدٍ المَقْبُريِّ، عن أبيه، عن أبي هريرةَ، عن رسولِ اللَّه ﷺ أنه قـــال: **«ما من نبيٍّ إلا وقد أُوتيَ من الآياتِ ما آمَن على مثله البشرُ، وإنما كان الذي أُوتيتُ وَحْيًا أوْحاه اللَّهُ إليَّ، فأرْجُو أن أكونَ أكثرَهم تابعًا يومَ القيامة»**(١). والمعنىٰ أن كلَّ نبيٍّ قد أُوتيَ من خَوارقِ العاداتِ ما يقْتضي إيمانَ من رأىٰ ذلك من أُولي البَصائرِ والنُّهَىٰ، لا من أهلِ العنادِ والشَّقاءِ، **«وإنما كان الذي أُوتيتُه»**؛ أي جُلَّه وأعْظَمُه وأبْهَرُه، القرآنُ الذي أوْحاه اللَّهُ إليه، فإنَّه لا يَبيدُ ولا يَذْهَبُ كما ذهَبَت مُعْجزاتُ الأنْبياءِ وانقَضَت بانقضاءِ أيامِهم فلا تُشاهَدُ، بل يُخْبَرُ عنها بالتَّواتُرِ أو الآحادِ، بخلافِ القرآنِ العظيم، فإنَّه معجزةٌ مُتواترةٌ عنه، مُستمرَّةٌ دائمةُ البَقاءِ بعدَه، مَسْموعةٌ لكلِّ مَن ألْقَىٰ السَّمْعَ وهو شَهيدٌ.

وقد تقدَّم في الخَصائصِ ذِكْرُ ما اخْتُصَّ به رسولُ اللَّه ﷺ عن بَقيَّة إخْوانه من الأنبياء، عليهم الصَّلاةُ والسَّلامُ، كما ثبَت في «الصحيحين» عن جابرِ بنِ عبدِ اللَّه قال: قال رسولُ اللَّه ﷺ: **«أُعْطيتُ خمسًا لم يُعْطَهن أحدٌ قَبْلي؛ نُصِرْتُ بالرُّعْبِ مَسيرةَ شهرٍ، وجُعِلَت ليَ الأرضُ مَسْجدًا**

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٤٩٨١) ومسلم (١٥٢).

وطَهوراً، فأيُّما رجُلٍ من أُمَّتي أدركَتْه الصَّلاةُ فليُصَلِّ، وأُحلَّت ليَ الغَنائمُ ولم تَحِلَّ لأحدٍ قَبْلي، وأُعْطيتُ الشَّفاعةَ، وكان النبيُّ يُبْعَثُ إلى قومه، وبُعِثْتُ إلى النَّاسِ عامَّةً» (١) .

وقد تكلَّمْنا على ذلك وما شاكَله فيما سلَف بما أغْنَى عن إعادته، وللَّه الحمدُ .

وقد ذكَر غيرُ واحدٍ من العلماء أنَّ كلَّ مُعْجزةٍ لنبيٍّ من الأنبياء فهي في الحَقيقَة مُعْجزةٌ لخاتمهم محمدٍ ﷺ؛ وذلك أنَّ كلاًّ منهم بَشَّر بمَبْعَثه، وأُمرَ بمُتابعته، كما قال اللَّهُ تعالى : ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [آل عمران : ٨١-٨٢] .

وقد ذكَر البخاريُّ وغيرُه عن ابنِ عباسٍ، رَضيَ اللَّهُ عنه، أنه قال : ما بعَث اللَّهُ نبيًّا من الأنبياء إلا أخَذ عليه العَهْدَ والميثاقَ لئن بُعِث محمدٌ وهو حيٌّ ليُؤْمِنَنَّ به وليَتَّبِعَنَّه، وأمرَه أن يأْخُذَ العهدَ على أمَّته لئن بُعِث محمدٌ وهم أحياءٌ ليُؤْمِنُنَّ به ولَيَنْصُرُنَّه (٢) .

وذكَر غيرُ واحدٍ من العلماء أنَّ كَراماتِ الأوْلياء مُعْجِزاتٌ للأنبياء؛ لأنَّ الوَليَّ إنَّما ذلك ببركَة مُتابعَته لنبيِّه، وثواب إيمانه به .

والمقصودُ أنَّه كان الباعثَ لي على عقد هذا الباب أنِّي وقَفْتُ على مُوَلَّدٍ اخْتَصَره من «سيرة» الإمام محمد بنِ إسحاقَ بنِ يَسارٍ وغيرها شيخُنا الإمامُ العَلَّامةُ شيخُ الإسلام كمالُ الدِّين أبو المَعالي محمدُ ابنُ عليٍّ الأنصاريُّ السِّمَاكيُّ - نِسبَةً إلى أبي دُجانةَ سِماك بنِ خَرَشَةَ الأوْسيِّ، رَضيَ اللَّهُ عنه - شيخُ الشافعيَّة في زمانه بلا مُدافَعة، المعروفُ بابنِ الزَّمْلكانيِّ، رَحِمهُ اللَّهُ وبَلَّ بالرَّحْمَة ثَراه، وقد ذكَر في أواخره شيئًا من فضائلِ رسول اللَّه ﷺ، وعقَد فصلاً في هذا الباب فأورَد فيه أشياءَ حَسَنَةً، ونبَّه على فوائدَ جَمَّةٍ، وفرائدَ مُهِمَّةٍ، وترَك أشياءَ أُخَرَ حسَنَةً، ذكَرها غيرُه من الأئمة المُتقدِّمين، ولم أرَه استَوْعَب الكلامَ إلى آخره، فإمَّا أنه قد سقط من خَطِّه، أو أنَّه لم يُكْمِلْ تَصْنيفَه، فسألني بعضُ أهله من أصحابنا ممن تَتأَكَّدُ إجابتُه، وتكَرَّر ذلك منه، في تَكْميله وتَذْييله وتَرْتيبه، وتَهْذيبه، والزيادة عليه والإضافة إليه، فاستَخَرْتُ اللَّه حينًا من الدَّهْر، ثم نَشِطْتُ لذلك ابتغاءَ الثواب والأجْرِ، وقد كنت سمعْتُ من شيخنا الإمام العَلامة الحافظ الجِهْبَذ أبي الحَجَّاج المِزِّيِّ، تَغَمَّده اللَّهُ تعالى برحمته، أنَّ أوَّلَ مَن تكلَّم في هذا المَقام الإمامُ أبو عبد اللَّه محمد بنُ إدْريسَ الشافعيُّ .

---

(١) صحيح رواه البخاري (٤٣٨) ومسلم (٥٢١) .

(٢) لم أقف عليه في «البخاري» ولكنني وقفت على قول للحافظ ابن حجر في «الفتح» (٦/ ٥٠١) أنه عزا هذا الأثر للبخاري .

وقد روى الحافظُ أبو بكرٍ البيهقيُّ، رحمه اللهُ، في كتابه «دلائل النُّبوَّة» عن شيخه الحاكم أبي عبد الله، أخبرني أبو أحمدَ بنُ أبي الحسن، أنا عبدُ الرحمن بنُ أبي حاتم الرازيُّ، عن أبيه قال عمرو ابنُ سَوَّاد: قال الشافعيُّ: ما أعْطَى اللهُ نبيًّا ما أعْطَى محمداً ﷺ. فقلتُ: أعْطَى عيسى إحْياءَ الموْتى. فقال: أعْطَى محمداً ﷺ الجذْعَ الذي كان يَخْطُبُ إلى جنبه؛ حينَ هُيِّئَ له المنْبرُ حنَّ الجِذْعُ حتى سُمع صوتُه، فهذا أكبرُ من ذلك[1] . هذا لفظُه، رضي اللهُ عنه. والمرادُ من إيراد ما نذكُره في هذا الباب التنبيهُ على شَرَف ما أعْطَى اللهُ أنبياءَه، عليهم السلامُ، من الآيات البيِّنات، والخَوارق القاطعات، والحُجَج الواضحات، وأنَّ الله تعالى جمَع لعبده ورسوله سيد الأنْبياء وخاتَمهم من جميع أنواع المَحاسن والآيات، مع ما اخْتصَّه به مما لم يُؤْتِ أحدًا قبلَه، كما ذكَرْنا من خَصائصه وشَمائله، صلواتُ الله وسلامُه عليه وعليهم أجمعينَ. ووقَفْتُ على فَصْلٍ مَليحٍ في هذا المعنى في كتاب «دلائل النبوة» للحافظ أبي نُعَيْم أحمدَ بن عبد الله الأصْبَهانيِّ، وهو كتابٌ حافلٌ في ثلاثة مُجلَّدات، عقَد فيه فَصْلاً في هذا المعنى، وكذا ذَكَرَ ذلك الفَقيهُ أبو محمد عبدُ الله بنُ حامدٍ في كتابه «دلائل النبوة»، وهو كتابٌ كبيرٌ جَليلٌ حافلٌ، مُشْتَملٌ على فَوائدَ نَفيسة، وكذلك الصَّرْصَريُّ الشاعرُ يُوردُ في بعض قَصائده أشياءَ من ذلك أيضًا، كما سيأتي، وها أنا أذْكُرُ لك بعَوْن الله تعالى مَجامعَ ما ذُكر من هذه الأماكن المُتَفرِّقة بأوْجَز عبارة وأقْصَد إشارة، وبالله المُسْتعانُ، وعليه التُّكْلانُ، ولا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلا بالله العزيز الحكيم، العليِّ العظيم.

القولُ فيما أوتيَ نوحٌ، عليه السلامُ

قال اللهُ تعالى: ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ ۝١٠ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ ۝١١ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ۝١٢ وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ ۝١٣ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ۝١٤ وَلَقَد تَّرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر: ١٠-١٥]. وقد ذكَرتُ القصةَ مبْسوطةً في أول هذا الكتاب، وكيف دعا على قومه فنجَّاه اللهُ ومَن اتَّبعه من المؤمنين، فلم يَهْلَكْ منهم أحدٌ، وأغْرَق مَن خالَفه من الكافرين، فلم يَسْلَمْ منهم أحدٌ حتى ولا ولدُه يامٌ.

قال شيخُنا العَلامةُ أبو المَعالي محمدُ بنُ عليٍّ الأنْصاريُّ بنُ الزَّمْلَكانيِّ، ومن خَطِّه نَقَلتُ: وبيانُ أن كلَّ مُعْجزة لنبيٍّ فلنبيِّنا ﷺ مثلُها أو أتَمُّ، يسْتَدْعي كلامًا طويلاً وتفصيلاً لا يَسعُه مُجلَّداتٌ عَديدةٌ، ولكن نُنَبِّهُ بالبعض على البعض، فلْنَذْكُرْ جَلائلَ مُعْجزات الأنبياء، عليهم السلامُ.

فمنها نَجاةُ نوحٍ في السَّفينة بالمؤمنين، ولا شكَّ أن حَمْلَ الماء للناس من غير سَفينة أعْظَمُ من السُّلوك عليه في السفينة، وقد مشَى كثيرٌ من الأوْلياء على مَتْن الماء.

---

(١) رواه البيهقي في «الدلائل» (٦/ ٦٨) عن الشافعي.

وفي قصة العلاء بن الحَضْرَميِّ صاحبِ رسولِ الله ﷺ ما يدُلُّ على ذلك، روَى سهمُ بنُ مِنْجاب قال: غزَوْنا مع العَلاء بن الحَضْرميِّ دَارِينَ، فدَعا بثلاث دَعَوات، فاستُجيبَت له؛ نزَلْنا منْزلاً فطلَب الماءَ فلم يَجدْه، فقام فصلَّى ركعَتَيْن وقال: اللهم إنا عَبِيدُك، وفي سبيلك نُقاتلُ عدوَّك، اللهم اسْقِنا غَيْثًا نتوضأُ به ونشرَبُ، ولا يكونُ لأحدٍ فيه نصيبٌ غيرَنا. فسِرْنا قليلاً فإذا نحن بماءٍ حينَ أقْلَعَت السماءُ عنه، فتوَضَّأْنا منه وتزَوَّدْنا، ومَلأْتُ إداوتي وترَكْتُها مكانَها حتى أنْظُرَ هل اسْتُجيب له أم لا، فسِرْنا قليلاً ثم قلتُ لأصْحابي: نسيتُ إداوتي، فرجَعْتُ إلى ذلك المكان فكأنه لم يُصِبْه ماءٌ قطُّ، ثم سِرْنا حتى أتَيْنا دَارِينَ والبحرُ بينَنا وبينَهم، فقال: يا عليمُ يا حليمُ، يا عليُّ يا عظيمُ، إنا عَبِيدُك، وفي سبيلك، نُقاتلُ عدوَّك، اللهم فاجْعَلْ لنا إليهم سبيلاً. فدخَلْنا البحرَ فلم يَبْلُغِ الماءُ لُبودَنا، ومشَيْنا على مَتْنِ الماء ولم يَبْتَلَّ لنا شيءٌ. وذكَر بقيةَ القصة، قال: فهذا أبْلَغُ مِن ركوبِ السفينة، فإنَّ حَمْلَ الماء للسفينة مُعْتادٌ، وأبْلَغُ مِن فَلْقِ البَحْرِ لموسى، فإن هناك انحسَر الماءُ حتى مشَوْا على الأرض، فالمُعْجِزُ انْحِسارُ الماء، وههنا صار الماءُ جسدًا يَمْشُون عليه كالأرض، وإنما هذا مَنْسوبٌ إلى النبيِّ ﷺ وبركته. انتهى ما ذكَره بحروفه فيما يَتعلَّقُ بنوحٍ، عليه السلامُ.

وهذه القصةُ التي ساقها شيخُنا ذكَرها الحافظُ أبو بكرٍ البيهقيُّ في كتابه «الدلائل» من طريق أبي بكرِ بنِ أبي الدنيا، عن أبي كُرَيْبٍ، عن محمدِ بنِ فُضَيْلٍ، عن الصَّلْتِ بنِ مَطَرٍ العِجْليِّ، عن عبدِ الملكِ ابنِ أختِ سَهْمٍ، عن سهمِ بنِ مِنْجابٍ قال: غزَوْنا مع العَلاءِ بنِ الحَضْرميِّ. فذكَره. وقد ذكَرها البخاريُّ في «التاريخ الكبير» مِن وجهٍ آخرَ. ورواه البيهقيُّ مِن طريقِ أبي هريرةَ، رضِي اللهُ عنه، أنه كان مع العَلاءِ وشاهَد ذلك. وساقها البيهقيُّ من طريقِ عيسى بنِ يونُسَ، عن عبدِ الله بنِ عَوْنٍ، عن أنسِ بنِ مالكٍ قال: أدْرَكْتُ في هذه الأمَّةِ ثلاثًا لو كانت في بني إسرائيلَ لَمَا تقاسمَتْها الأُمَمُ. قلنا: ما هن يا أبا حمزةَ؟ قال: كنا في الصُّفَّةِ عند رسول الله ﷺ فأتَتْه امرأةٌ مُهاجرةٌ، ومعها ابنٌ لها قد بلَغ، فأضاف المرأةَ إلى النساء، وأضاف ابنَها إلينا، فلم يَلْبَثْ أن أصابَه وَباءُ المدينة فمَرِض أيامًا ثم قُبِض، فغمَّضَه النبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، وأمَر بجهازِه، فلمَّا أرَدْنا أن نُغَسِّلَه قال: «يا أنسُ، ائتِ أمَّه فأعْلِمْها». فأعْلَمْتُها قال: فجاءت حتى جلَسَت عندَ قدمَيه، فأخَذَت بهما ثم قالت: اللهم إني أسْلَمْتُ لك طَوْعًا، وخلَعْتُ الأوْثانَ زُهدًا وهاجَرْتُ إليك رغبةً، اللهم لا تُشْمِتْ بي عبدةَ الأوثان ولا تُحَمِّلْني مِن هذه المُصيبةِ ما لا طاقةَ لي بحَمْلِها. قال: فوالله ما انْقَضَى كلامُها حتى حرَّك قدَميه وألْقَى الثوبَ عن وجهه، وعاش حتى قبَض اللهُ رسولَه ﷺ، وحتى هلَكَت أمُّه. قال أنسٌ: ثم جَهَّز عمرُ بنُ الخطاب جيشًا واستَعْمل عليهم العَلاءَ بنَ الحَضْرميِّ. قال أنسٌ: وكنتُ في غَزاته، فأتَيْنا مَغازِيَنا فوجَدْنا القومَ قد نَذِروا بنا فعَفَّوْا آثارَ الماء والحَرُّ شديدٌ، فجَهَدَنا العطشُ ودوابَّنا، وذلك يومُ الجمعة، فلما مالت الشمسُ لغَرْبِها صلَّى بنا ركعتَيْن، ثم مدَّ يدَه إلى السماء، وما نرَى في السماء شيئًا. قال: فوالله ما حطَّ يدَه حتى بعَث اللهُ ريحًا، وأنْشَأ سَحابًا، وأفرَغَت حتى مَلأَت الغُدُرَ

والشِّعابَ، فشربْنا وسقَيْنا رِكابَنا واستَقَيْنا. قال: ثم أتَيْنا عدوَّنا وقد جاوزَ خليجًا في البحرِ إلى جزيرةٍ، فوقَف على الخليجِ وقال: يا عليُّ يا عظيمُ، يا حليمُ يا كريمُ. ثم قال: أجيزوا بسم الله. قال: فأجَزْنا ما يَبُلُّ الماءُ حَوافرَ دوابِّنا، فلم نَلْبَثْ إلا يسيرًا فأصَبْنا العدوَّ غِيلةً، فقتَلْنا وأسَرْنا وسَبَيْنا، ثم أتَيْنا الخليجَ، فقال مثلَ مَقالتِه، فأجَزْنا ما يَبُلُّ الماءُ حَوافرَ دوابِّنا، فلم نلبثْ إلا يسيرًا. ثم ذكَر موتَ العَلاءِ، ودفْنَهم إياه في أرضٍ لا تَقْبَلُ الموتى، ثم إنهم حفَروا عنه ليَنْقُلوه منها إلى غيرِها فلم يجدوه ثَمَّ، وإذا اللَّحْدُ يَتلألأُ نُورًا، فأعادوا الترابَ عليه ثم ارْتَحلوا[1]. فهذا السِّياقُ أتَمُّ، وفيه قصةُ المرأةِ التي أحْيا اللهُ لها ولدَها بدُعائها، وسنُنَبِّهُ على ذلك فيما يتَعلَّقُ بمُعجزاتِ المَسيحِ عيسى ابنِ مَرْيَمَ، مع ما يُشابِهُها، إن شاء اللهُ تعالى، كما سنُشيرُ إلى قصةِ العَلاءِ هذه مع ما سنُورِدُه معها ههنا فيما يتَعلَّقُ بمُعجزاتِ موسى، عليه السلامُ، في قصةِ فَلْقِ البَحْرِ لبني إسرائيلَ، وقد أرْشَدَ إلى ذلك شيخُنا في عُيونِ كلامِه.

قصة أخرى تشبه قصة العلاء بن الحضرمي

روى البيهقيُّ في «الدلائلِ» - وقد تقدَّم ذلك أيضًا - من طريقِ سُليمانَ بنِ مِهْرانَ الأعمشِ، عن بعضِ أصحابِه قال: انْتَهَيْنا إلى دِجْلةَ وهي مادَّةٌ والأعاجمُ خلفَها، فقال رجلٌ من المسلمين: بسمِ اللهِ. ثم اقْتَحم بفرسِه فارْتَفع على الماءِ. فقال الناسُ: بسمِ اللهِ. ثم اقْتَحموا فارْتَفعوا على الماءِ، فنظَر إليهم الأعاجمُ وقالوا: ديوانُ، ديوانُ. أي مَجانينُ، ثم ذهَبوا على وُجوهِهم. قال: فما فقَد الناسُ إلا قَدَحًا كان مُعلَّقًا بعَذَبةِ سَرْجٍ، فلما خرَجوا أصابوا الغَنائمَ واقْتَسَموا، فجعَل الرجلُ يقولُ: مَن يُبادِلُ صَفْراءَ ببَيْضاءَ؟[2] وقد ذكَرْنا في «السِّيرةِ العُمَرِيةِ» وأيامِها، وفي «التفسيرِ» أيضًا أن أولَ مَن اقْتَحم دِجْلةَ يومئذٍ أبو عُبيدٍ الثَّقفيُّ أميرُ الجيوشِ في أيامِ عمرَ بنِ الخطابِ، رضِي اللهُ عنه، وأنَّه نظَر إلى دِجْلةَ فتلا قولَه تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّؤَجَّلًا﴾ [آل عمران: ١٤٥]. ثم سمَّى اللهَ تعالى واقْتَحم بفرسِه الماءَ، واقْتَحم الجيشُ وراءَه، ولما نظَر إليهم الأعاجمُ يفعَلون ذلك جعَلوا يقولون: ديوانُ ديوانُ. أي مجانينُ مجانينُ. ثم ولَّوْا مُدْبِرين، فقتَلهم المسلمون وغَنِموا منهم مَغانمَ كثيرةً.

قصة أخرى شبيهة بذلك

روى البيهقيُّ من طريقِ أبي النَّضْرِ، عن سليمانَ بنِ المُغيرةِ أن أبا مسلمٍ الخَوْلانيَّ جاء إلى دِجْلةَ وهي تَرْمي الخَشَبَ من مَدِّها، فمشَى على الماءِ، والتفَت إلى أصحابِه وقال: هل تفْقِدون من متاعِكم شيئًا فندْعُوَ اللهَ تعالى[3]؟ ثم قال: هذا إسنادٌ صحيحٌ.

(١) رواه البيهقي في «الدلائل» (٦/ ٥٢، ٥٣).
(٢) تقدم.
(٣) إسناده صحيح: قاله البيهقي ورواه (٦/ ٥٤).

قلت: وقد ذكر الحافظُ الكبيرُ أبو القاسم ابنُ عَساكر في تَرْجمة أبي مُسلم عبد الله بن ثُوَب الخَوْلانيِّ هذه القصةَ بأَبْسطَ من هذا، من طريق بَقِيَّةَ بن الوَليد، حدَّثني محمدُ بنُ زياد، عن أبي مسلم الخَوْلانيِّ، **أنَّه كان إذا غَزا أرضَ الرُّوم فمَرُّوا بنَهرٍ قال**: أَجيزوا بسم الله. قال: ويَمُرُّ بين أيديهم. **قال**: فيَمُرُّون بالنَّهر الغَمْرِ فربَّما لم يَبْلُغ من الدَّوابِّ إلاَّ إلى الرُّكَب، أو بعض ذلك، أو قريبًا من ذلك. **قال**: فإذا جازوا قال للناس: هل ذهَب لكم شيءٌ؟ مَن ذهَب له شيءٌ فأنا له ضامنٌ. قال: فألْقَى بعضُهم مِخْلاةً عَمْدًا، فلما جازُوا قال الرجلُ: مِخْلاتي وقَعَت في النهر. قال له: اتَّبِعْني. فإذا المِخْلاةُ قد تعلَّقَت ببعضِ أعْوادِ النهرِ، فقال: خُذْها [١]. وقد رَواه أبو داودَ - من طريق ابن الأعرابيِّ عنه - عن عمرو بن عثمانَ، عن بقيَّةَ به.

ثم قال أبو داودَ: حدَّثنا موسى بنُ إسماعيلَ، حدَّثنا سليمانُ بنُ المُغيرة، عن حُمَيد، أنَّ أبا مسلم الخَوْلانيَّ أتَى على دِجْلةَ وهي ترْمي بالخشب من مَدِّها، فوقَف عليها، ثم حمِد اللهَ وأثْنَى عليه، وذكَر مَسيرَ بني إسرائيلَ في البحرِ، ثم لَهَز دابَّتَه فخاضَت الماءَ، وتَبِعه الناسُ حتى قطَعوا، ثم قال: هل فقَدْتُم شيئًا من مَتاعكم فأدْعُو اللهَ أن يَرُدَّه عليَّ؟ [٢]

وقد رَواه ابنُ عَساكرَ من طريقٍ أخرى، عن عبد الكريم بن رَشيد، عن حُميد بن هلال العَدَويِّ، حدَّثني ابنُ عمِّي أخي أبي قال: خرَجْتُ مع أبي مسلم في جيشٍ، فأتَيْنا على نهرٍ عَجاجٍ مُنْكَرٍ، فقُلْنا لأهل القرية: أين المَخاضَةُ؟ فقالوا: ما كانت هنا مَخاضةٌ قطُّ ولكنَّ المَخاضةَ أسفلَ منكم على ليلتَيْن. فقال أبو مسلم: اللهم أجَزْتَ بني إسرائيلَ البحرَ، وإنَّا عبادُك وفي سبيلك، فأجِزْنا هذا النهرَ اليومَ. ثم قال: اعْبُروا بسم الله. قال ابنُ عمِّي: فأنا على فرسٍ فقلتُ: لأَقْذِفَنَّه أولَ الناسِ خلفَ فَرسه، وكنتُ أولَ الناسِ قذَف فرسَه خلْفَ أبي مسلم، فوالله ما بلَغ الماءُ بطونَ الخيل حتى عبرَ الناسُ كلُّهم، ثم وقَف فقال: يا معشرَ المسلمين، هل ذهَب لأحدٍ منكم شيءٌ فأدْعُوَ اللهَ تعالى أن يَرُدَّه [٣]؟

فهذه الكَراماتُ لهؤلاء الأوْلياء هي من مُعْجزات رسول الله ﷺ، كما تقَدَّم تقريرُه؛ لأنَّهم إنَّما نالوا ذلك ببركَة مُتابعَته، ويُمْن سفارته، إذ فيها حُجَّةٌ في الدِّين وحاجَةٌ أكيدةٌ للمسلمين، وهي مُشابِهةٌ لمُعْجزة نُوحٍ، عليه السلام، في مَسيره فوقَ الماء بالسَّفينة التي أمَره اللهُ تعالى بعَملها، ومُعْجزة موسى، عليه السلامُ، في فَلْق البَحْرِ، وهذه فيها ما هو أعْجَبُ من ذلك، من جهة مَسيرهم على مَتْن الماء من غير حائلٍ حاملٍ، ومن جهة أنَّه ماءٌ جارٍ والسَّيْرُ عليه أعْجبُ من السَّيْر على الماء القارِّ الذي يُجازُ، وإن كان ماءُ الطُّوفان أطَمَّ وأعْظَمَ، فهذه خارقٌ، والخارقُ لا فرقَ بينَ قليله وكثيره، فإن مَن

---

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٥/ ١٢١).
(٢) انظر «سير أعلام النبلاء» (٤/ ١١).
(٣) رواه اللالكائي في «كرامات الأولياء» (١٨٨).

سلك على وجه الماء الخضَمّ الجاري العَجاج، فلم يَبتلّ منه نعالُ خيولهم، أو لم يَصلْ إلى بطونها، فلا فرقَ في الخارق بينَ أن يكونَ قامةً أو ألفَ قامةٍ، أو أن يكونَ نهرًا أو بحرًا، بل كونُه نهرًا عَجاجًا كالبَرْقِ الخاطفِ والسَّيْلِ الجارفِ أعظمُ وأغربُ، وكذلك بالنسبة إلى فَرْقِ البحرِ، وهو جانبُ بحرِ القلزُم، حتى صار كلُّ فِرْقٍ كالطَّوْدِ العظيم، أي الجبلِ الكبيرِ، فانحاز الماءُ يمينًا وشمالاً حتى بدَت أرضُ البحرِ، وأرسَل اللهُ عليها الريحَ حتى أيْبَسَتْها، ومشَت الخيولُ عليها بلا انزعاجٍ، حتى جاوَزوا عن آخرِهم، وأقْبَل فِرْعون بجنوده، فغَشِيَهم من اليمِّ ما غشيَهم، وأضلَّ فرعونُ قومَه وما هدى، وذلك أنَّهم لما توسَّطوه وهَمَّ أوَّلُهم بالخروج منه أمَر اللهُ البحرَ فارْتَطَم عليهم فغرقوا عن آخرِهم، فلم يَفْلِتْ منهم أحدٌ، كما لم يُفْقَدْ من بني إسرائيلَ واحدٌ، ففي ذلك آيةٌ عظيمةٌ بل آياتٌ مُتَعَدِّداتٌ، كما بسَطْنا ذلك في «التفسير» ولله الحمدُ والمنةُ.

والمقصودُ أنَّ ما ذكَرْناه من قصة العَلاءِ بنِ الحَضْرميِّ وأبي عُبَيْدٍ الثَّقفيِّ، وأبي مسلم الخَوْلانيِّ، من مَسيرِهم على تَيَّارِ الماءِ الجاري، فلم يُفْقَدْ منهم أحدٌ، ولم يَفْقِدوا شيئًا من أمْتعتِهم، هذا وهم أوْلياءُ، منهم صحابيٌّ وتابعيَّان، فما الظنُّ أن لو احْتيجَ إلى ذلك بحَضْرةِ رسولِ الله ﷺ؟! سيدِ الأنبياءِ وخاتَمِهم، وأعْلاهم منزلةً ليلةَ الإسْراءِ، وإمامِهم ليلتئذٍ ببيتِ المقدسِ الذي هو مَحَلُّ ولايتِهم، ودارُ بدايتِهم، وخَطيبِهم يومَ القيامة، وأعلاهم منزلةً في الجنة، وأول شافعٍ في المَحْشَرِ، وفي الخروجِ من النارِ، وفي دُخولِ الجَنَّةِ، وفي رَفْعِ الدَّرَجاتِ بها، كما بسَطْنا أقْسامَ الشَّفاعة وأنواعَها في آخرِ الكتابِ في أهْوالِ يومِ القيامة، وبالله المُسْتعانُ. وسنذْكُرُ في المُعْجزاتِ المُوسَوِيَّة ما ورَد من المعجزاتِ المُحمَّدية ما هو أظْهرُ وأبهر منها، ونحن الآنَ فيما يتَعَلَّقُ بمعجزاتِ نوحٍ، عليه السَّلامُ، ولم يَذْكُرْ شيخُنا سوى ما تقَدَّم.

وأما الحافظُ أبو نُعيم أحمدُ بنُ عبدِ الله الأصْبَهانيُّ فإنه قال في آخرِ كتابه في «دلائلِ النبوة» وهو في مُجلَّداتٍ ثلاثٍ: الفصلُ الثالثُ والثلاثون في ذِكْرِ مُوازاةِ الأنْبياءِ في فَضائلِهم بفَضائلِ نبيِّنا، ومُقابَلةِ ما أُوتوا من الآياتِ بما أُوتي. إذ أُوتيَ ما أُوتوا وشِبْهَه ونَظيرَه، فكان أولَ الرُّسُلِ نوحٌ، عليه السلامُ، وآيتُه التي أُوتيَ شفاءُ غَيْظِه، وإجابةُ دعوته في تَعْجيلِ نقْمةِ اللهِ لمُكَذِّبِيه، حتى هلَك مَن على بَسيطِ الأرضِ من صامتٍ وناطقٍ، إلا مَن آمَن به ودخَل معه سَفينَتَه، ولَعَمْري إنَّها آيةٌ جَليلةٌ وافَقت سابقَ قَدَرِ الله، وما قد علمه في إهْلاكهم، وكذلك نبيُّنا ﷺ لمَّا كذَّبه قومُه وبالَغوا في أذيته، والاسْتهانة بمنزلَته من الله، عزَّ وجلَّ، حتى ألْقَى الشَّقيُّ عُقْبةُ بنُ أبي مُعَيْطٍ سَلاَ الجَزورِ على ظهرِه وهو ساجدٌ، فقال: «اللهم عليك بالملأ من قريش»[1]. ثم ساق الحديثَ عن ابنِ مسعودٍ، كما تقدم ذِكرُنا له في «صحيحِ البخاريِّ» وغيرِه في وضْعِ الملأ من قريشٍ على ظهرِ رسولِ الله ﷺ وهو ساجدٌ

(١) إسناده صحيح: رواه أبو عوانة في «مسنده» (٤/ ٢٨٦).

عندَ الكعبةِ سَلاَ تلك الجَزور، واستضحاكهم من ذلك، حتى جعَل بعضُهم يَميلُ على بعضٍ من شدَّة الضَّحك، ولم يَزَلْ على ظهره حتى جاءت فاطمةُ ابنتُه ﷺ فطرحَته عن ظهره، ثم أقبلت عليهم فسبَّتهم، فلما سلَّم رسولُ الله ﷺ من صلاته رفَع يديه فقال: «**اللهم عليك بالملأ من قريش**». ثم سمَّى فقال: «**اللهم عليك بأبي جهل ابن هشام، وعتبةَ، وشيبةَ، والوليد بن عُتْبَةَ، وأُميةَ بنَ خَلَف، وعُقْبَةَ بن أبي مُعَيْط، وعُمارةَ بن الوليد**». قال عبدُ الله بنُ مَسْعود: فوالذي بعثَه بالحقِّ لقد رأيتُهم صَرْعَى يومَ بدرٍ، ثم سُحِبوا إلى القَليب قَليبِ بدرٍ[1].

وكذلك لما أقبلت قُريشٌ يومَ بدرٍ في حَدِّها وحَديدِها، فحينَ عايَنهم رسولُ الله ﷺ قال رافعًا يديه: «**اللهمّ هذه قريشٌ جاءَتك بفَخرِها وخُيَلائها، تُحادُّك وتُكذِّبُ رسولَك، اللهم أحِنْهم الغَداةَ**». فقُتِل من سَراتهم سبعون، وأُسِر من أشرافهم سبعون، ولو شاء اللهُ لاستأصلَهم عن آخرهم، ولكن من حِلْمه وشرَف نبيِّه أبقَى منهم مَنْ سبَق في قَدَره أن سيُؤْمن به وبرسوله، صلواتُ الله وسلامُه عليه، وقد دَعا على عتبةَ ابنِ أبي لَهبٍ أن يُسلِّطَ عليه كلبَه بالشام، فقتَله الأسَدُ عند وادي الزَّرْقاء قبلَ مدينة بُصْرَى. وكم له من مِثْلِها ونَظيرِها ما سلَف ذكرُنا له وما لم نذكُرْه، وكذلك دعا على قريشٍ بسَبْعٍ كسَبْعِ يوسفَ فقَحطوا حتى أكَلوا العِلْهِزَ، وهو الدَّمُ بالوبَر، وأكَلوا العظامَ وكلَّ شيءٍ، ثم توَسَّلوا إلى مَراحمه وشَفَقَته ورأفَته، فدَعا لهم، ففرَّج اللهُ عنهم وسُقُوا الغَيْثَ ببرَكة دُعائه.

وقال الإمامُ الفَقيهُ أبو محمد عبدُ الله بنُ حامد في كتابه «دلائل النُّبوة»، وهو كتابٌ حافلٌ: ذِكْرُ ما أُوتيَ نوحٌ، عليه السّلامُ، من الفَضائل، وبيانُ ما أُوتيَ محمدٌ ﷺ مما يُضاهي فَضائلَه ويَزيدُ عليها. قالوا: إنَّ قومَ نوحٍ لما بلَغوا من أذيَّته والاستخفاف به، وتَرْك الإيمان بما جاءهم به من عند الله دَعا عليهم فقال: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾ [نوح: ٢٦]. فاستَجاب اللهُ دَعْوتَه، وغَرَّق قومَه، حتى لم يَسلَمْ شيءٌ من الحيوانات والدَّواب إلا مَن ركِب السفينةَ، فكان ذلك فَضيلةً أُوتيها، إذ أُجيبَت دَعْوتُه، وشُفيَ صدرُه بإهْلاك قومه. قلْنا: وقد أُوتيَ محمدٌ ﷺ مثلَه حينَ ناله من قريشٍ ما ناله من التكذيب والاستخفاف، فأنزَل اللهُ إليه مَلَكَ الجبال وأمَره بطاعته فيما يأمُرُه به من إهْلاك قومه، فاختار الصَّبرَ على أذيَّتهم، والابْتهالَ في الدُّعاء لهم بالهداية. قلتُ: وهذا حسنٌ، وقد تقدَّم الحديثُ بذلك عن عائشةَ، عن رسول الله ﷺ في قصة ذَهابه إلى الطّائف، فدَعاهم فآذَوه، فرجع وهو مَهْمومٌ، فلما كان عندَ قَرْن الثَّعالب ناداه مَلَكُ الجبال فقال: يا محمدُ، إنَّ ربَّك قد سمع قولَ قومك وما رَدُّوا عليك، وقد أرْسَلَني إليك لأفعَلَ ما تأمُرُني به، فإن شئتَ أطْبَقْتُ عليهم الأخْشَبَيْن. يعني جَبَلَي مكةَ اللذَين يَكْتَنِفانها جنوبًا وشَمالًا، وهما أبو قُبَيْس وزُرْزُرٌ، فقال: «**بل أسْتَأني بهم لعلَّ اللهَ أن يُخرجَ من أصلابهم مَن لا يُشْركُ بالله شيئًا**». وقد ذكَر الحافظُ أبو نُعيم في مُقابلة قوله تعالى:

---

(١) صحيح رواه البخاري (٥٣٠) ومسلم (١٧٩٤).

﴿ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ ۝ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ ۝ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴾ [القمر: ١٠-١٢]. أحاديث الاستسقاء، عن أنس وغيره، كما تقدَّم ذكْرُنا لذلك في «دلائل النبوة» قريبًا أنَّه ﷺ سأله ذلك الأعرابي أن يدعُوَ اللهَ لهم؛ لما بهم من الجدْب والجُوع، فرفَع يدَيه فقال: «اللهم اسْقنا، اللهم اسْقنا». فما نزَل عن المِنْبر حتى رُئِيَ المطرُ يتَحادرُ على لحيته الكريمة، صلواتُ الله وسلامُه عليه، فاستَحْضَر مَن استَحْضَر من الصَّحابة، رضي اللهُ عنهم، قولَ عمِّه أبي طالب فيه:

وأبيضَ يُستَسْقَى الغَمامُ بوجهه ... ثِمالَ اليتامَى عِصْمةً للأراملِ[1]
يَلوذُ به الهُلَّاكُ من آلِ هاشمٍ ... فَهُمْ عندَه في نعمةٍ وفواضلِ

وكذلك استَسْقَى في غير ما موضع للجَدْب والعَطَش، فيُجابُ كما يُريدُ على قَدْر الحاجة المائية، لا أزيدَ ولا أنقصَ، وهذا أبْلَغُ في المعجزة، وأيضًا فإنَّ هذا ماءُ رحمة ونعمة، وماءُ الطُّوفان ماءُ غضب ونقْمة، وأيضًا فإنَّ عمرَ بنَ الخطاب، رضي اللهُ عنه، كان يَسْتَسْقي بالعبَّاس عمِّ النبيِّ ﷺ فيُسْقَوْن، وكذلك ما زال المسلمون في غالب الأزمان والبُلْدان يستَسْقون فيُجابون فيُسْقَوْن[2]، ولا يَخيبُون غالبًا ولا يَشْقَون، ولله الحمدُ.

قال أبو نُعيم: ولبِث نوحٌ في قومه ألفَ سنة إلا خمسين عامًا، فبلَغ جميعُ مَن آمَن به رجالاً ونساءً، الذين ركِبوا معه سَفينتَه، دونَ مائة نفس، وآمَن بنبيِّنا ﷺ في مدة عشرين سَنةً الناسُ شرقًا وغَرْبًا، ودانت له جَبابرةُ الأرض ومُلوكُها، وخافت زوالَ مُلْكهم، ككسْرَى وقَيْصَر، وأسْلَم النَّجاشيُّ والأقْيالُ؛ رَغْبةً في دين الله، والتَزَم مَن لم يؤمِنْ به من عُظماء الأرض الجزْيةَ والإتاوةَ عن صَغار؛ أهلُ نَجْرانَ، وهَجَرُ، وأيْلَةُ، وأُكَيْدِرُ دُومةَ، فذَلُّوا له مُنْقادين؛ لما أيَّده اللهُ به من الرُّعْب الذي يَسيرُ بينَ يدَيْه شهرًا، وفتَح الفُتوحَ، ودخَل الناسُ في دين الله أفْواجًا، كما قال تعالى: ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۝ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴾ [النصر: ١، ٢].

قلت: مات رسولُ الله ﷺ وقد فتَح اللهُ له المدينةَ وخيبرَ ومكةَ وأكثرَ اليمن وحَضْرَموتَ، وتُوُفِّيَ عن مائة ألف صحابيٍّ أو يَزيدُون، وقد كتَب في آخر حياته الكريمة إلى سائر مُلوك الأرض يَدْعوهم إلى الله تعالى، فمنهم من أجاب، ومنهم مَن توقَّف، ومنهم مَن صانَع ودارَى عن نَفْسه، ومنهم مَن تَكَبَّر فخاب وخسر، كما فعَل كِسْرَى بنُ هُرْمُزَ حينَ عتَا وبغَى وتَكَبَّر، فمُزِّقَ مُلْكُه، وتفَرَّق جُنْدُه شَذَرَ مَذَرَ، ثم فَتَح خلفاؤُه من بعده - أبو بكر، ثم عمرُ، ثم عثمانُ التالي على الأثَر - مَشارقَ الأرض ومَغارِبَها، من البحر الغربيِّ إلى البحر الشرقيِّ، كما قال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ اللهَ زوَى ليَ الأرضَ

---

(١) رواه البخاري (١٠٠٩).
(٢) صحيح: رواه البخاري (١٠١٠).

فرأيتُ مَشارقَها ومَغاربَها، وسيَبْلُغُ مُلكُ أُمَّتي ما زُوِيَ لي منها»(١) . وقال صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: «إذا هلَك قَيْصَرُ فلا قَيْصَرَ بعدَه، وإذا هلَك كسْرَى فلا كسْرَى بعدَه، والذي نفسي بيده لتُنْفقُنَّ كنوزَهما في سبيلِ الله»(٢) . وكذلك وقَع سواءً بسواءٍ، فقد استَوسَقَتْ المَمالكُ الإسلاميةُ على مُلْك قَيْصَرَ وحَواصله إلا القُسْطَنْطينيَّةَ، وجميع مَمالك كسْرَى وبلاد المَشْرق، وإلى أقصَى بلاد المَغْرب، إلى أن قُتِل عثمانُ في سنة ستٍّ وثلاثين، رضي اللهُ عنه، وقبَّح قاتليه، فكما عمَّت جميعَ أهلِ الأرضِ النِّقْمةُ بدَعْوة نوحٍ، عليه السلامُ، لَمَّا رأى ما هم عليه من التَّمادي في الضَّلال والكُفْرِ والفُجورِ، فدَعا عليهم؛ غَضَبًا لله ولدينه ورسالته، فاستَجاب اللهُ له، وغضب لغضبه، وانْتَقَم منهم بسببه، كذلك عمَّت جميعَ أهلِ الأرضِ النِّعْمةُ ببركة رسالة محمدٍ ودَعْوته، فآمَن مَن آمَن من النَّاسِ، وقامَت الحُجَّةُ على مَن كفَر منهم، كما قال اللهُ تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]. وكما قال صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: «إنما أنا رحمةٌ مُهْداةٌ».

وقال هشامُ بنُ عمَّارٍ في كتاب «المَبْعَث»: حدَّثني عيسى بنُ عبد الله النُّعْمانيُّ، حدَّثنا المَسْعوديُّ عن سعيدِ بنِ أبي سعيدٍ، عن سعيدِ بنِ جُبَيرٍ، عن ابنِ عباسٍ في قوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾. قال: مَن آمَن بالله ورسله تمَّت له الرحمةُ في الدُّنيا والآخرة، ومَن لم يؤْمنْ بالله ورُسُله عُوفيَ من تَعْجيلِ ما كان يُصيبُ الأُمَمَ قبلَ ذلك من العذاب والفِتَن والقَذْف والخَسْف. وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾ [إبراهيم: ٢٨]. قال ابنُ عباسٍ: النعمةُ محمدٌ، والذين بدَّلوا نعمةَ الله كفرًا هم كفارُ قريشٍ. يعني: وكذلك كلُّ مَن كذَّب به من سائرِ الناسِ، كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ﴾ [هود: ١٧].

قال أبو نُعيم: فإن قيل: فقد سمَّى اللهُ نوحًا، عليه السلامُ، باسمٍ من أسمائه الحُسْنَى فقال: ﴿إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ [الإسراء: ٣]. قلنا: وقد سمَّى اللهُ محمَّدًا ﷺ باسْمَين من أسمائه فقال: ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]. قال: وقد خاطَب اللهُ الأنبياءَ بأسمائهم، يا نوحُ، يا إبراهيمُ، يا موسى، يا داودُ، يا يحيى، يا عيسى ابنَ مريمَ. وقال مُخاطبًا لمحمدٍ ﷺ: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ﴾، ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾، ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ﴾، ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾. وذلك قائمٌ مَقامَ الكُنْية بصفة الشَّرَف. ولَمَّا نسَب المشركون أنبياءَهم إلى السَّفَه والجُنون، كلٌّ أجاب عن نفسه؛ قال نوحٌ: ﴿يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٦١]. وكذا قال هودٌ، عليه السلامُ، ولما قال فرعونُ: ﴿إِنِّي لأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا﴾ [الإسراء: ١٠١]. قال موسى: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَؤُلاءِ إِلا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾ [الإسراء: ١٠٢]. إلى أمثال ذلك. وأمَّا محمدٌ ﷺ فإنَّ اللهَ تعالى هو الذي يتَوَلَّى جَوابَهم عنه بنفسه الكريمة، كما قال: ﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ۝ لَوْ مَا تَأْتِينَا

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٨٨٩) والترمذي (٢١٧٦) من حديث ثوبان رضي الله عنه.
(٢) صحيح وقد تقدم.

بالْمَلائكَةِ إن كُنتَ مِنَ الصَّادقِينَ﴾. قال اللهُ تعالى: ﴿مَا نُنَزِّلُ الْمَلائكَةَ إلا بالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إذًا مُّنظَرِينَ﴾ [الحجر: ٦-٨]. وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ۝ قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفرقان: ٥، ٦]. ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ ۝ قُلْ تَرَبَّصُوا فَإنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُتَرَبِّصِينَ﴾ [الطور: ٣٠، ٣١]. وقال تعالى: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَّا تُؤْمِنُونَ ۝ وَلا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ ۝ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الحاقة: ٤١-٤٣]. ﴿وَإن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إنَّهُ لَمَجْنُونٌ﴾. قال اللهُ تعالى: ﴿وَمَا هُوَ إلا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾ [القلم: ٥١، ٥٢]. وقال تعالى: ﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝ مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ۝ وَإنَّ لَكَ لأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ۝ وَإنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ١-٤]. وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾ [النحل: ١٠٣].

القولُ فيما أوتيَ هودُ، عليه السلامُ

قال أبو نُعيم ما مَعْناه: إن اللهَ تعالى أهْلَكَ قومَه بالريح العَقيم، وقد كانت ريحَ غَضَبٍ، ونصرَ اللهُ تعالى محمداً ﷺ بالصَّبَا يومَ الأحْزاب، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ [الأحزاب: ٩].

ثم قال: حدَّثنا إبراهيمُ بنُ إسحاقَ، حدَّثنا محمدُ بنُ إسحاقَ بنِ خُزَيْمةَ (ح) وحدَّثنا عثمانُ بنُ محمدٍ العُثْمانيُّ، أنا زكريا بنُ يحيىٰ الساجيُّ، قالا: حدَّثنا أبو سعيدٍ الأشجُّ، حدَّثنا حفصُ بنُ غياثٍ، عن داودَ ابنِ أبي هندٍ، عن عكرمةَ، عن ابنِ عباسٍ قال: لمَّا كان يومُ الأحْزابِ انطَلَقَت الجنوبُ إلى الشَّمالِ فقالت: انطلقي بنا نَنْصُرْ محمداً رسولَ اللهِ ﷺ. فقالت الشَّمالُ للجنوب: إن الحُرَّةَ لا تَسْري بالليلِ. فأرْسَلَ اللهُ عليهم الصَّبَا، فذلك قولُه: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾[1] ويَشْهَدُ له الحديثُ المتقدِّمُ عن رسولِ اللهِ ﷺ، أنه قال: «نُصِرْتُ بالصَّبَا، وأُهْلِكَت عادٌ بالدَّبور»[2]. وسيأتي التنبيهُ على ذلك في معجزةِ سليمانَ بتسخيرِ الريحِ له.

القولُ فيما أوتِيَ صالحُ، عليه السلامُ

قال أبو نُعيم: فإن قيل: فقد أخرَجَ اللهُ لصالحٍ ناقةً من الصخرةِ جعَلَها اللهُ له آيةً وحُجَّةً على قومِه، وجعَلَ لها شِرْبَ يومٍ، ولهم شِرْبَ يومٍ معلومٍ. قلنا: وقد أعْطَى اللهُ محمداً مثلَ ذلك، بل أبْلَغَ؛ لأن ناقةَ صالحٍ لم تُكَلِّمْه ولم تَشْهَدْ له بالنبوةِ والرسالةِ، ومحمدٌ ﷺ شهد له البعيرُ النَّادُّ بالرسالةِ، وشكَىٰ إليه ما يَلْقَىٰ من أهلِه، من أنهم يُجيعونه ويُدْئِبونه[3]، ثم ساق الحديثَ بذلك، كما

---

(١) **رواه ابن عدي**(٧/ ٣٦) م طريق نصر بن باب الخرساني عن داود ابن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس به ونص هذا فيه ضعف.

(٢) **صحيح:** رواه البخاري (١٠٣٥، ٣٢٠٥)، ومسلم(٩٠٠)

(٣) **صحيح:** رواه أبو داود (٢٥٤٩) وغيره من حديث عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما.

قدَّمْنا في «دلائل النبوة» بطرقه وألفاظه وعَزْوه بما أغنَىٰ عن إعادته ههنا، وهو في الصِّحاح والحسان والمَسانيد، وقد ذكَرْنا مع ذلك حديثَ الغزالة، وحديثَ الضَّبِّ، وشهادتَهما له ﷺ بالرسالة، كما تقَدَّم التنبيهُ علىٰ ذلك والكلامُ فيه، وثبَت الحديثُ في الصحيح بتسليم الحَجرِ عليه قبلَ أن يُبْعَثَ، وكذلك سلامُ الأشجارِ والأحجارِ والمَدَرِ عليه حينَ بُعِثَ صلواتُ اللهِ وسلامُه عليه دائمًا إلىٰ يوم الدِّين.

القولُ فيما أوتيَ إبراهيمُ الخليلُ، عليه السلامُ

قال شيخُنا العلَّامةُ أبو المَعالي بنُ الزَّمْلَكانيِّ، رحمه اللهُ وبلَّ بالرحمة ثراه: وأما خُمودُ النارِ لإبراهيمَ، عليه الصلاةُ والسلامُ، فقد خمَدت لنبيِّنا ﷺ نارُ فارسَ ولم تَخْمُدْ قبلَ ذلك بألف عام، وكان خمودُ نارِ فارسَ لمولده ﷺ، وبينَه وبينَ بعثته أربعون سنةً، وخمَدت نارُ إبراهيمَ لمُباشرته لها، وخمَدت نارُ فارسَ لنبيِّنا ﷺ وبينَه وبينَها مسافةُ أشهر. كذا، وهذا الذي أشار إليه من خُمود نارِ فارسَ ليلةَ مولده الكريم قد ذكَرْناه بأسانيده وطرقه في أول السيرة عندَ ذكْرِ المَوْلدِ المُطَهَّرِ المُشَرَّفِ المُكَرَّم، بما فيه كفايةٌ ومَقْنعٌ.

ثم قال شيخُنا: مع أنه قد أُلقيَ بعضُ هذه الأُمَّة في النارِ فلم تُؤثِّرْ فيه ببركة نبيِّنا ﷺ، منهم أبو مُسْلم الخَوْلانيُّ. قال: تنَبَّأَ الأسودُ بنُ قيسٍ العَنْسيُّ باليمن، فأرْسَل إلىٰ أبي مُسْلم الخَوْلانيِّ فقال له: أتَشْهَدُ أن محمدًا رسولُ الله؟ قال: نعم. قال: أتَشْهَدُ أني رسولُ الله؟ قال: ما أَسْمَعُ. فأعاد عليه، فقال: ما أَسْمَعُ. فأمَر بنارٍ عظيمة فأُجِّجَت، وطُرِح فيها أبو مُسْلم فلم تَضُرَّه. فقيل له: لئن تَرَكْتَ هذا في بلادك أفْسَدَها عليك. فأمَره بالرَّحيل، فقَدِم المدينةَ وقد قُبِض رسول الله ﷺ واستُخْلِف أبو بكر، فقام إلىٰ ساريةٍ من سَواري المسجد يُصَلِّي، فبَصُر به عمرُ فقال: من أين الرجلُ؟ قال: مِن اليمن. قال: ما فعَل عَدُوُّ الله بصاحبِنا الذي حرَقه بالنار فلم تَضُرَّه؟ قال: ذاك عبدُ الله بنُ ثُوَبٍ. قال: نَشَدْتُك بالله أنت هو؟ قال: اللهم نعم. قال: فاعتَنَقَه ثم بكَىٰ، ثم ذهَب به حتىٰ أجْلَسَه بينَه وبينَ أبي بكرٍ الصديق، وقال: الحمدُ لله الذي لم يُمِتْني حتىٰ أراني في أُمَّة محمدٍ مَن فُعِل به كما فُعِل بإبراهيمَ خليلِ الرحمنِ، عليه السلامُ.

وهذا السِّياقُ الذي أوْرَده شيخُنا بهذه الصفة قد رَواه الحافظُ الكبيرُ أبو القاسم بنُ عَساكرَ، رحمه اللهُ، في ترجمة أبي مسلم عبد الله بن ثُوَبٍ في «تاريخه» من غير وجهٍ، عن عبد الوهَّاب بن نَجْدَةَ، عن إسماعيلَ بنِ عيَّاشٍ الحِمْصيِّ، حدَّثني شُرَحْبيلُ بنُ مُسْلمٍ الخَوْلانيُّ، أن الأسودَ بنَ قيسِ بنِ ذي الخِمارِ العَنْسيَّ تنَبَّأَ باليمن، فأرْسَل إلىٰ أبي مُسْلم الخَوْلانيِّ فأُتيَ به، فلما جاءه قال: أتَشْهَدُ أني رسولُ الله؟ قال: ما أَسْمَعُ. قال: أتَشْهَدُ أن محمدًا رسولُ الله؟ قال: نعم. قال: أتَشْهَدُ أني رسولُ الله؟ قال: ما أَسْمَعُ. قال: أتَشْهدُ أن محمدًا رسولُ الله؟ قال: نعم. قال: فردَّد ذلك عليه

مرارًا، ثم أمَر بنارٍ عظيمةٍ فأُجِّجت فألقىٰ أبا مُسلمٍ فيها فلم تَضُرَّه، فقيل للأسود: انفِه عنك وإلا أفسَد عليك من اتَّبعك. فأمَره، فارتَحل أبو مسلم، فأتىٰ المدينةَ وقد قُبِض رسولُ الله ﷺ واستُخلف أبو بكر، فأناخ أبو مُسلم راحلتَه بباب المسجد ثم دخَل المسجدَ وقام يُصلِّي إلىٰ ساريةٍ، وبصُر به عمرُ ابنُ الخطاب فأتاه فقال: ممَّن الرجلُ؟ فقال: من أهلِ اليمنِ. قال: ما فعَل الرجلُ الذي حرَقه الكذَّابُ بالنار؟ قال: ذاك عبدُ الله بنُ ثُوَب. قال: فأنشُدُك بالله أنت هو؟ قال: اللهم نعم. قال: فاعتَنَقه وبكىٰ، ثم ذهَب به حتىٰ أجلَسه بينه وبينَ أبي بكرٍ الصديقِ، فقال: الحمدُ لله الذي لم يُمتْني حتىٰ أراني في أُمَّة محمدٍ ﷺ مَن فُعِل به كما فُعِل بإبراهيمَ خليلِ الرحمنِ. قال إسماعيلُ بنُ عيَّاشٍ: فأنا أدرَكتُ رجالاً من الأمداد الذين يُمدُّون إلينا من اليمنِ؛ من خَوْلانَ، ربما تمازَحوا فيقول الخَوْلانيُّون للعَنْسِيِّين: صاحبُكم الكذَّابُ حرَق صاحبَنا بالنارِ فلم تَضُرَّه[1].

ورَوىٰ الحافظُ ابنُ عَساكرَ أيضًا من غيرِ وجه، عن إبراهيمَ بنِ دُحَيْمٍ: حدَّثنا هشامُ بنُ عمَّارٍ، حدَّثنا الوليدُ، أخبَرني سعيدُ بنُ بَشيرٍ، عن أبي بِشْرٍ جعفرِ بنِ أبي وَحْشيَّةَ، أن رجلاً من خَوْلانَ أسلَم، فأراده قومُه علىٰ الكفرِ، فألقَوْه في نارٍ فلم يَحترِقْ منه إلا أُنْمُلةٌ لم يَكُنْ فيما مَضىٰ يُصيبُها الوَضوءُ، فقدِم علىٰ أبي بكرٍ فقال: استَغفِرْ لي. قال: أنت أحقّ. قال أبو بكرٍ: إنك أُلقِيتَ في النارِ فلم تَحترِقْ. فاستَغفَر له، ثم خرَج إلىٰ الشامِ، فكانوا يُشبِّهونه بإبراهيمَ، عليه السلامُ.

وهذا الرجلُ هو أبو مُسلمٍ الخَوْلانيُّ، وهذه الروايةُ بهذه الزيادة تُحقِّقُ أنه إنما نال ذلك ببركةِ مُتابعته الشريعةَ المحمديَّةَ المُطهَّرةَ المُقدَّسةَ، كما جاء في حديث الشفاعة: «وحرَّم اللهُ على النار أن تأكُلَ مَواضعَ السجود»[2]. وقد نزَل أبو مُسلمٍ بداريَّا من غَرْبيِّ دمشقَ، وكان لا يَسبِقُه أحدٌ إلىٰ المسجدِ الجامعِ بدمشقَ وقتَ الصبحِ، وكان يُغازِي في بلادِ الرومِ، وله أحوالٌ وكَراماتٌ كثيرةٌ جدًّا، وقبرُه مشهورٌ بداريَّا، والظاهرُ أنه مُقامُه الذي كان يكونُ فيه، فإن الحافظَ ابنَ عَساكرَ رجَّح أنه مات ببلادِ الرومِ، في خِلافة مُعاويةَ، وقيل: في أيام ابنه يزيدَ، بعدَ الستين. واللهُ أعلمُ. وقد وقَع لأحمدَ بنِ أبي الحَوَاريِّ مع شيخه أبي سليمانَ الدَّارانيِّ قصةٌ تُشبِهُ هذا، كما رواه الحافظُ أبو القاسم بنُ عساكرَ في «تاريخه»، في ترجمة أحمدَ بنِ أبي الحواريِّ من غيرِ وجهٍ: أنه جاء إلىٰ أُستاذه أبي سليمانَ يُعْلِمُه أن التَّنُّورَ قد سَجَروه، وأهلُه ينتَظِرون ما يأمُرُهم به، فوجَده يُكلِّمُ الناسَ وهم حولَه، فأعْلَمه بذلك، فاشتَغل عنه بالناسِ، ثم أعْلَمَه فلم يَلتَفِتْ إليه، ثم أعلَمه مع أولئك الذين حولَه، فقال له وهو مُغْضَبٌ: اذهَبْ فاجْلِس فيه. ثم تشاغل بالحديث مع أولئك الذين حولَه، وذهَب أحمدُ بنُ أبي الحَوَاريِّ إلىٰ التَّنُّورِ، فجلَس فيه وهو يَتضَرَّمُ نارًا، فكان عليه بَرْدًا وسلامًا، وما زال فيه حتىٰ استَيْقظ

(١) رواه اللالكائي في «الكرامات» (١٨٢).
(٢) صحيح: رواه البخاري (٨٠٦، ٦٥٧٤) ومسلم (١٨٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

أبو سليمانَ من كلامه، فقال لِمَن حولَه: قوموا بنا إلى أحمدَ بنِ أبي الحَواريِّ، فإني أظُنُّه قد ذهَب إلى التَّنُّورِ فجلَس فيه امْتثالاً لِمَا أمَرْتُه به، فذهَبوا فوجَدوه جالسًا فيه، فأخَذ بيدِه الشيخُ أبو سليمانَ وأخرَجه منه[1]، رحمةُ الله عليهما، ورضِي اللهُ عنهما.

وقال شيخُنا أبو المَعالي: وأمَّا إلقاؤه - يعني إبراهيمَ عليه السلامُ - مِن المَنْجَنيقِ، فقد وقَع في حديثِ البَراءِ بنِ مالكٍ في وَقْعة مُسَيْلِمةَ الكَذَّاب، وأن أصحابَ مُسَيْلِمةَ انْتهَوْا إلى حائطٍ حَفيرٍ فتحَصَّنوا به وأغْلَقوا البابَ، فقال البَراءُ بنُ مالكٍ: ضَعوني على تُرْسٍ، واحْمِلوني على رءوسِ الرِّماحِ، ثم ألْقُوني مِن أعْلاها داخلَ البابِ. ففعَلوا ذلك وألْقَوْه عليهم، فوقَع وقام وقاتَل المشركين حتى قتَل عشَرةً أو أكثرَ، وفتَح البابَ للمسلمين، فكان سببَ هلاكِ المشركين وقَتْلِ مُسَيْلِمةَ.

قلتُ: وقد ذكَرتُ ذلك مُسْتَقْصًى في أيامِ الصِّدِّيقِ حينَ بعَث خالدَ بنَ الوليدِ لقتالِ مُسَيْلِمةَ وبني حَنيفةَ، وكانوا في قريبٍ مِن مائةِ ألفٍ أو يَزيدون، وكان المسلمون بِضْعةَ عشَرَ ألفًا، فلما الْتَقَوْا جعَل كثيرٌ مِن الأعْرابِ يَفِرُّون، فقال المهاجرون والأنصارُ: أخْلِصْنا يا خالدُ. فميَّزهم عنهم، فكان المهاجرون والأنصارُ قريبًا مِن ألفين وخمسِمائةٍ، فصمَّموا الحَمْلةَ وجعَلوا يَتَذامَرون ويقولون: يا أصحابَ سورةِ «البقرةِ»، بطَل السِّحْرُ اليومَ. فهزَموهم بإذنِ الله وألجئوهم إلى حَديقةٍ هنالك - وتُسَمَّى حَديقةَ الموتِ - فتحَصَّنوا بها، فحصَروهم فيها، ففعَل البَراءُ بنُ مالكٍ، أخو أنسِ بنِ مالكٍ، وكان الأكبرَ، ما ذُكِرَ مِن رَفْعِه على تُرْسِه فوقَ الرِّماحِ حتى تمَكَّن مِن أعلى سُورِها، ثم ألْقَى نفسَه عليهم ونهَض سريعًا إليهم، ولم يزلْ يُقاتِلُهم وحدَه ويُقاتِلونه حتى تمَكَّن مِن فتحِ بابِ الحَديقةِ، ودخَل المسلمون يُكَبِّرون وانْتَهَوا إلى قصرِ مُسَيْلِمةَ وهو واقفٌ خارجَه عندَ ثُلْمَةِ جدارٍ، كأنه جملٌ أوْرَقُ، أي مِن سُمْرتِه، فابْتَدره وَحْشيُّ بنُ حربٍ الأسْودُ قاتلُ حمزةَ بحربتِه، وأبو دُجانةَ سِماكُ بنُ خَرَشةَ الأنصاريُّ - وهو الذي يَنْتَسِبُ إليه شيخُنا هذا أبو المعالي بنُ الزَّمْلَكانيِّ - فسبَقه وَحْشيٌّ فأرْسَل الحَرْبةَ عليه مِن بُعْدٍ فأنْفَذها منه، وجاء إليه أبو دُجانةَ فعلاه بسيفِه فقتَله، لكن صرَخت جاريةٌ مِن فوقِ القصرِ تَنْدبُ مُسَيْلِمةَ، فقالت: وا أميرَ المؤمنيناه، قتَله العبدُ الأسودُ. ويقالُ: إن عُمْرَ مُسَيْلِمةَ، لعَنه اللهُ، يومَ قُتِل مائةٌ وأربعون سنةً. فهو ممن طال عمرُه وساء عملُه، قبَّحه اللهُ. هذا ما ذكَره شيخُنا فيما يتعَلَّقُ بإبراهيمَ الخليلِ، عليه السلامُ.

وأما الحافظُ أبو نُعَيمٍ فإنه قال: فإن قيل: فإن إبراهيمَ خُصَّ بالخُلَّةِ مع النبوةِ. قيل: فقد اتَّخَذ اللهُ محمدًا خليلاً وحَبيبًا، والحَبيبُ ألْطَفُ مِن الخليلِ.

ثم ساق مِن حديثِ شعبةَ، عن أبي إسحاقَ، عن أبي الأحْوصِ، عن عبدِ اللهِ بنِ مَسْعودٍ، رضي اللهُ عنه، قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: **«لو كنتُ مُتَّخِذًا خليلاً لاتَّخَذْتُ أبا بكرٍ خليلاً، ولكن**

---

(1) بل لا يجوز امتثال هذا الأمر لأن الشرع نهى عن ذلك.

صاحبُكم خليلُ الله» .

وقد رواه مسلمٌ من طريق شعبةَ والثَّوْريِّ، عن أبي إسحاقَ، ومن طريق عبد الله بن مُرَّةَ وعبد الله ابن أبي الهُذَيْلِ، كلُّهم عن أبي الأحْوص عوف بن مالك الجُشَميِّ قال: سمعْتُ عبدَ الله بنَ مسعودٍ يُحَدِّثُ عن رسول الله ﷺ قال: «لو كنتُ متَّخذًا خليلاً لاتَّخَذْتُ أبا بكر خليلاً، ولكنه أخي وصاحبي، وقد اتخذَ اللهُ، عزَّ وجلَّ، صاحبَكم خليلاً»(١) . هذا لفظُ مسلم. ورواه مسلمٌ أيضًا مُنفردًا به، عن جُنْدُب بن عبد الله البَجَليِّ، كما سأذكُرُه. وأصلُ الحديث في «الصحيحَيْن» عن أبي سعيدٍ (٢) ، وفي أفراد البخاريِّ، عن ابن عباسٍ وابن الزبير(٣) ، كما سُقْتُ ذلك في فَضائل الصِّدِّيق، رضي اللهُ عنه، وقد أوْرَدْناه هنالك من رواية أنسٍ، والبراء، وجابرٍ، وكعب بن مالك، وأبي سعيد بن المُعَلَّى، وأبي هريرةَ، وأبي واقد اللَّيْثيِّ، وعائشةَ أمِّ المؤمنين، رضي اللهُ عنهم أجْمعين. ثم إنما رَواه أبو نُعيم من حديث عُبيدالله بن زَحْرٍ، عن عليِّ بن يَزيدَ، عن القاسم، عن أبي أُمامةَ، عن كعب بن مالك أنه قال: عهدي بنبيِّكم ﷺ قبل وفاته بخمسة أيام، فسمعتُه يقولُ: «لم يَكُنْ نبيٌّ إلاَّ له خليلٌ من أمته، وإن خليلي أبو بكر، وإن اللهَ اتَّخَذ صاحبَكم خليلاً»(٤) . وهذا الإسنادُ ضعيفٌ.

ومن حديث محمد بن عَجْلانَ، عن أبيه، عن أبي هريرةَ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لكل نبيٍّ خليلٌ، وخليلي أبو بكر بنُ أبي قُحافةَ، وخليلُ صاحبكم الرحمنُ»(٥) . وهو غريبٌ من هذا الوجه.

ومن حديث عبد الوَهَّاب بن الضَّحَّاك، عن إسماعيلَ بن عَيَّاشٍ، عن صَفْوانَ بن عمرو، عن عبد الرحمن بن جُبَير بن نُفَيْرٍ، عن كَثير بن مُرَّةَ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إن اللهَ اتخَذني خليلاً كما اتَّخَذ إبراهيمَ خليلاً، ومنزلي ومنزلُ إبراهيمَ في الجنة تُجاهَيْن، والعباسُ بيننا مؤمنٌ بينَ خَليلَيْن»(٦) . غريبٌ وفي إسناده نظَرٌ. انتهَى ما أوْرَده أبو نُعيم، رحمه اللهُ.

وقال مسلمُ بنُ الحجَّاج في «صحيحه»: حدَّثنا أبو بكر بنُ أبي شَيْبةَ وإسحاقُ بنُ إبراهيمَ، قالا: حدَّثنا زكريا بنُ عَديٍّ، حدَّثنا عُبيدُ الله بنُ عمر، حدَّثنا زيدُ بنُ أبي أُنَيْسةَ، عن عمرو بن مُرَّةَ، عن عبد الله بن الحارث، حدَّثني جُنْدُبُ بنُ عبد الله قال: سمعْتُ النبيَّ ﷺ قبلَ أن يموتَ بخمسٍ وهو يقولُ: «إنِّي أبْرأُ إلى الله، عز وجل، أن يكونَ لي منكم خليلٌ؛ فإنَّ اللهَ قد اتَّخَذني خليلاً، كما اتخَذ إبراهيمَ خليلاً، ولو كنتُ متَّخذًا من أمتي خليلاً لاتخَذْتُ أبا بكر خليلاً، ألا وإن مَن كان قبلَكم كانوا يتَّخذون قُبورَ

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٣٨٣) والترمذي (٣٦٥٥) وابن ماجه (٩٣).
(٢) رواه البخاري (٤٦٦) ومسلم (٢٣٨٢).
(٣) رواه البخاري (٤٦٧).
(٤) إسناده ضعيف قاله المصنف.
(٥) لم أقف عليه.
(٦) ضعيف أشار إليه المصنف.

أنبيائهم وصالحيهم مساجدَ، ألا فلا تتَّخذوا القبورَ مَساجدَ، إني أنهاكم عن ذلك»[١] . وأما اتِّخاذُه حبيبًا فلم يَتعَرَّضْ لإسناده أبو نُعيم.

وقد قال هشامُ بنُ عمَّار في كتابه «المَبعَث»: حدَّثنا يحيى بنُ حمزةَ الحَضْرميُّ وعثمانُ بنُ عَلاَّقٍ القرشيُّ، قالا: حدَّثنا عروةُ بنُ رُوَيْم اللَّخْميُّ، أن رسولَ الله ﷺ قال: «إن اللهَ أدرَكَ بي الأجلَ المَرْقومَ، وأخَذَني المَقْرُبةَ، واختَصَرَني اختصارًا، فنحن الآخرون، ونحن السابقون يومَ القيامة، وأنا قائلٌ قولاً غيرَ فَخْر: إبراهيمُ خليلُ الله، وموسى صَفِيُّ الله، وأنا حَبيبُ الله، وأنا سيِّدُ ولد آدمَ يومَ القيامة، وإن معي لواءَ الحمد، تحتَه كلُّ نبيٍّ وصدِّيق وشهيد يومَ القيامة، وأنا أولُ من تُفْتَحُ له أبوابُ الجنة، وأجارني اللهُ عليكم من ثلاث: أن لا يُهْلِكَكم بسَنَة، وأن لا يَستَبيحَكم عدوٌّ، وأن لا تَجتَمعوا على ضَلالة»[٢] .

وأما الفَقيهُ أبو محمَّد عبدُ الله بنُ حامد فتكلَّم على مَقام الخُلَّة بكلام طويل إلى أن قال: ويقالُ الخليلُ الذي يَعبُدُ ربَّه على الرَّغْبة والرَّهْبة، من قوله: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٤]. من كثرة ما يقولُ: أَوْه. والحَبيبُ الذي يَعْبُدُ ربَّه على الرُّؤية والمحبة. ويقالُ: الخليلُ الذي يكونُ معه انتظارُ العَطاء، والحَبيبُ الذي يكونُ معه انتظارُ اللِّقاء. ويقالُ: الخليلُ الذي يَصِلُ بالواسطة. من قوله: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾ [الأنعام: ٧٥]. والحَبيبُ الذي يَصِلُ به إليه. من قوله: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ [النجم: ٩]. وقال الخليلُ: ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾ [الشعراء: ٨٢]. وقال اللهُ للحَبيب محمد ﷺ: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ٢]. وقال الخليلُ: ﴿وَلا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾ [الشعراء: ٨٧]. وقال اللهُ للنبيِّ ﷺ: ﴿يَوْمَ لا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾ [التحريم: ٨]. وقال الخليلُ حينَ أُلْقِي في النار: حسبي اللهُ ونعم الوكيلُ. وقال اللهُ لمحمد: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ٦٤]. وقال الخليلُ: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [الصافات: ٩٩]. وقال اللهُ لمحمد: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالاًّ فَهَدَى﴾ [الضحى: ٧]. وقال الخليلُ: ﴿وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الآخِرِينَ﴾ [الشعراء: ٨٤]. وقال اللهُ لمحمد: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [الشرح: ٤]. وقال الخليلُ: ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥]. وقال اللهُ للحَبيب: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ [الأحزاب: ٣٣]. وقال الخليلُ: ﴿وَاجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ﴾ [الشعراء: ٨٥]. وقال اللهُ لمحمد: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ [الكوثر: ١]. وذكَر أشياءَ أُخَرَ، وسيأتي الحديثُ في «صحيح مسلم» عن أُبَيِّ بن كعب أن رسولَ الله ﷺ قال: «إني سأقومُ مَقامًا يومَ القيامة يَرْغَبُ إليَّ الخَلْقُ كلُّهم حتى إبراهيمُ الخليلُ»[٣] . فدَلَّ على أنه أفضَلُ منه، إذ هو مُحتاجٌ إليه في ذلك المَقام، ودَلَّ على أن إبراهيمَ أفضَلُ الخَلْقِ بعدَه، ولو كان أحدٌ أفضلَ من إبراهيمَ بعدَه لذكَره.

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٥٣٢).

(٢) لم أقف عليه.

(٣) صحيح: رواه مسلم (٨٢٠) وفيه وأخرت الثالثة ليوم يرغب إليَّ الخلق كلهم حتى إبراهيم ﷺ.

ثم قال أبو نُعيم: فإن قيل: إن إبراهيمَ، عليه السلامُ، حُجب عن نُمْرودَ بحُجُبٍ ثلاثةٍ. قيل: فقد كان كذلك، وحُجب محمدٌ ﷺ عمن أرادوا قتلَه بخمسة حُجُبٍ، قال اللهُ تعالىٰ في أمْرِه: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لا يُبْصِرُونَ﴾ [يس: ٩]. فهذه ثلاثٌ. ثم قال: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا﴾ [الإسراء: ٤٥]. ثم قال: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلالاً فَهِيَ إِلَى الأَذْقَانِ فَهُم مُقْمَحُونَ﴾ [يس: ٨]. فهذه خمسةُ حُجُبٍ. وقد ذكَر مثلَه سواءً الفَقيهُ أبو محمدٍ بنُ حامدٍ، وما أدْري أيُّهما أخَذ من الآخَرِ؟ واللهُ أعلمُ. وهذا الذي قاله غريبٌ، والحُجُبُ التي ذكَرها لإبراهيمَ، عليه السلامُ، لا أدري ما هي، كيف وقد أُلْقاه في النارِ التي نجَّاه اللهُ منها؟!

وأما ما ذكَره من الحُجُبِ المستدَلِّ عليها بهذه الآياتِ، فقد قيل: إنها جميعَها مَعْنويةٌ لا حسِّيةٌ، بمعنىٰ أنهم مُصْرَفون عن الحقِّ، لا يَصِلُ إليهم، ولا يَخْلُصُ إلىٰ قلوبِهم، كما قال تعالىٰ: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ﴾ [فصلت: ٥]. وقد حرَّرْنا ذلك في «التفسيرِ»، وقد ذكَرْنا في السيرةِ وفي «التفسيرِ» أن أمَّ جَميلٍ امرأةَ أبي لَهبٍ لما نزَلت السورةُ في ذمِّها وذمِّ زوجِها، ودخولِهما النارَ، وخَسارِها، جاءت بفِهْرٍ، وهو الحجرُ الكبيرُ المستطيلُ؛ لتَرْجُمَ النبيَّ ﷺ، فانْتَهَت إلىٰ أبي بكرٍ وهو جالسٌ عندَ النبيِّ ﷺ، فلم ترَ رسولَ اللهِ ﷺ، وقالت لأبي بكرٍ: أين صاحبُك؟ فقال: وما له؟ فقالت: إنه هَجاني. فقال: وما هَجاك؟ فقالت: واللهِ لئن رأيْتُه لأضْرِبَنَّه بهذا الفِهْرِ. ثم رجعَت وهي تقولُ: مُذَمَّمًا أبَيْنا ودينَه قَلَيْنا. وكذلك حُجب ومُنع من أبي جهلٍ حين هَمَّ أن يَطَأَ برِجْلِه علىٰ رأسِ النبيِّ ﷺ وهو ساجدٌ، فرأىٰ خَنْدَقًا من نارٍ وهَوْلاً عظيمًا، وأجْنحةَ الملائكةِ دونَه، فرجَع القَهْقَرَىٰ وهو يَتَّقي بيديه، فقالت له قريشٌ: ما لك؟ ويحَك! فأخْبَرهم بما رأىٰ، وقال النبيُّ ﷺ: «**لو أقْدَمَ لاخْتَطَفَتْه الملائكةُ عُضْوًا عُضْوًا**». وكذلك لما خرَج رسولُ اللهِ ﷺ ليلةَ الهجرةِ وقد أرْصَدوا علىٰ مَدْرجته وطريقِه وحوالَيْ بيتِه رجالاً يَحْرُسونه؛ لئلا يَخْرُجَ، ومتىٰ عايَنوه قتَلوه، فأمَر عليًّا فنام علىٰ فراشِه، ثم خرَج عليهم وهم جلوسٌ، فجعَل يَرُشُّ علىٰ رأسِ كلِّ إنسانٍ منهم تُرابًا ويقولُ: «**شاهَت الوجوهُ**». ثم خرَج ولم يَرَوْه حتىٰ صار هو وأبو بكرٍ الصِّدِّيقُ إلىٰ غارِ ثَوْرٍ، كما بسَطْنا ذلك في السيرةِ، وكذلك ذكَرْنا أن العَنْكَبُوتَ سَدَّ علىٰ بابِ الغارِ؛ ليُعَمِّيَ اللهُ عليهم مكانَه.

وفي «الصحيحِ» أن أبا بكرٍ قال: يا رسولَ اللهِ، لو نظَر أحدُهم إلىٰ مَوْضعِ قدميه لأبْصَرَنا. فقال: «**يا أبا بكرٍ، ما ظنُّك باثنَين اللهُ ثالثُهما؟**»[1]. وقد قال بعضُ الشُّعراءِ في ذلك:

نسْجُ داوُدَ ما حمَىٰ صاحبَ الغا ... رِ وكانَ الفَخارُ للعَنْكَبُوتِ

وكذلك حُجب ومُنع من سُراقةَ بنِ مالكِ بنِ جُعْشُمٍ حينَ اتَّبعهم، بسُقوطِ قَوائمِ فرسِه في الأرضِ، حتىٰ أخَذ منه أمانًا، كما تقدَّم بَسْطُه في الهجرةِ.

وذكَر ابنُ حامدٍ في كتابه في مُقابلةِ إضْجاعِ إبراهيمَ، عليه السلامُ، ولَدَه للذَّبحِ مُسْتَسْلِمًا لأمْرِ اللهِ

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٣٦٥٣) من حديث أبي بكر رضي الله عنه.

تعالى، بَذْلَ رسولِ الله ﷺ نفسَه للقتلِ يومَ أحدٍ وغيرَه حتى نال منه العدوُّ ما نالوا؛ من هَشْمِ رأسه، وكَسْرِ ثَنِيَّته اليُمْنَى السُّفْلَى، كما تقدَّم بَسْطُ ذلك في السيرة.

ثم قال: قالوا: كان إبراهيمُ، عليه السلامُ، ألقاه قومُه في النارِ فجعلَها اللهُ بَرْدًا وسلامًا. قلنا: وقد أُوتيَ رسولُ الله ﷺ مثلَه، وذلك أنه لمّا نزَل بخَيْبَرَ سمَّته الخَيْبَرِيَّةُ، فصيَّرَ ذلك السُّمُّ في جَوْفِه بَرْدًا وسَلامًا إلى مُنْتهى أجله، والسُّمُّ يَحرقُ - إذ لا يَسْتقرُّ في الجَوْفِ - كما تَحْرقُ النارُ. قلتُ: وقد تقدَّم الحديثُ بذلك في فتحِ خَيْبَرَ، ويؤيِّدُ ما قاله أن بِشْرَ بنَ البَراءِ بنِ مَعْرورٍ مات سَريعًا من تلك الشاةِ المَسْمومةِ، وأخبَر ذراعُها رسولَ الله ﷺ بما أُودع فيه من السُّمِّ[1]، وكان قد نهَش منه نَهْشةً، وكان السُّمُّ فيه أكثرَ؛ لأنَّهم كانوا يَفْهَمون أنه، عليه الصلاةُ والسلامُ، يُحبُّ الذِّراعَ، فلم يَضُرَّه السُّمُّ الذي حصَل في باطنِه بإذنِ الله، عزَّ وجلَّ، حتى انْقَضى أجلُه، عليه الصلاةُ والسلامُ، فذكر أنه وجَد حينَئذٍ من ألمِ ذلك السُّمِّ الذي كان في تلك الأُكْلة، صلواتُ الله وسلامُه عليه. وقد ذكَرْنا في ترجمةِ خالدِ بنِ الوَليدِ المَخْزوميِّ فاتحِ بلادِ الشامِ أنه أُتِيَ بسُمٍّ فتحسَّاه بحَضْرةِ الأعْداء؛ ليُرْهِبَهم بذلك، فلم يَرَ بأسًا، رضي اللهُ عنه.

ثم قال أبو نُعيم: فإن قيل: فإن إبراهيمَ خَصَمَ نُمْرودَ ببُرهانِ نبوته فبهَته، قال اللهُ تعالى: ﴿فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾ [البقرة: ٢٥٨]. قيل: محمدٌ ﷺ أتاه المُكَذِّبُ بالبَعْثِ أُبَيُّ بنُ خَلَفٍ بعَظْمٍ بالٍ ففركه وقال: ﴿مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ [يس: ٧٨]. فأنزَل اللهُ تعالى البرهانَ الساطعَ: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ [يس: ٧٩]. فانْصَرف مَبْهوتًا ببُرهانِ نبوته. قلتُ: وهذا أقْطَعُ للحُجة، وهو استدلالُه على المَعادِ بالبَداءة، فالذي خلَق الخَلْقَ بعدَ أن لم يكونوا شيئًا مذكورًا قادرٌ على إعادتهم، كما قال: ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ [يس: ٨١]. أي: يُعيدُهم كما بدأهم كما قال في الآيةِ الأخرى: ﴿بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ﴾ [الأحقاف: ٣٣]. وقال: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧]. هذا وأمْرُ المَعادِ نظَريٌّ لا فِطْريٌّ، ضَروريٌّ في قولِ الأكثرين، فأمَّا الذي حاجَّ إبراهيمَ في ربِّه فإنه مُعاندٌ مُكابرٌ، فإن وجودَ الصانعِ مذكورٌ في الفِطَرِ، وكلُّ واحدٍ مفطورٌ على ذلك، إلا مَن تغيَّرت فِطْرتُه، فيَصيرُ نظريًّا عندَه، وبعضُ المتكلِّمين يَجْعَلُ وجودَ الصانعِ من بابِ النَّظَرِ لا الضَّروريَّات، وعلى كلِّ تقديرٍ فدَعْواه أنه هو الذي يُحْيي ويميتُ لا يَقْبَلُه عَقْلٌ ولا سَمْعٌ، وكلُّ واحدٍ يُكَذِّبُه بعقلِه في ذلك، ولهذا ألْزَمه إبراهيمُ بالإتيانِ بالشمسِ من المغربِ إن كان كما ادَّعَى: ﴿فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٨]. وكان يَنْبَغي أن يَذْكُرَ مع هذا أن اللهَ تعالى سلَّط نَبِيَّه محمدًا ﷺ على هذا المُعاندِ لمَّا بارَز النبيَّ ﷺ يومَ أُحدٍ،

---

[1] حديث الشاة المسمومة رواه البخاري (٢٦١٧) ومسلم (٢١٩٠) وأبو داود (٤٥٠٨) من حديث أنس بن مالك، ورواه أبو داود (٤٥١٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

فقتَله بيده الكريمة؛ طعَنه بحربة فأصاب تَرْقُوَتَه فتدأْدأ عن فرسه مراراً، فقالوا له: ويحَك ما لك؟! فقال: والله إنَّ بي لَما لو كان بأهلِ ذي المَجازِ لَماتوا أجمعين، ألم يقلْ: «بل أنا أقْتُلُه؟» والله لو بصَق عليَّ لقتَلني. وكان أُبَيٌّ هذا، لعَنه اللهُ، قد أعَدَّ فَرَسًا وحَرْبةً ليَقْتُلَ بها عليها رسولَ الله ﷺ، فقال: «بل أنا أقْتُلُه إن شاء اللهُ». فكان كذلك يومَ أُحدٍ.

ثم قال أبو نُعيم: فإن قيل: فإن إبراهيمَ، عليه السلامُ، كسَر أصنامَ قومِه غَضَبًا لله. قيل: فإن محمدًا ﷺ كسَرَ ثلاثَمائةٍ وستين صَنَمًا، نُصِبت حولَ الكعبة فأشار إليهن فتَساقَطْن. ثم روَى من طريقِ عبدِ الله العُمَريِّ، عن نافعٍ، عن ابنِ عمرَ قال: وقَف رسولُ الله ﷺ يومَ فتحِ مكةَ وحولَ البيتِ ثلاثُمائةٍ وستون صنمًا قد ألزَقها الشيطانُ بالرَّصاصِ والنُّحاسِ، فكان كلما دَنا منها بمِخْصَرتِه تَهْوِي من غيرِ أن يَمَسَّها، ويقول: «**جاء الحقُّ وزهَق الباطلُ، إن الباطلَ كان زهوقًا**» (١). فتَساقَطُ لوُجوهِها، ثم أمَر بهن فأُخْرِجْن إلى المَسيلِ، وهذا أظهَرُ وأجْلَى من الذي قبلَه، وقد ذكَرْنا هذا في أول دُخول النبيِّ ﷺ مكةَ عامَ الفتحِ بأسانيدِه وطرقِه من الصِّحاحِ وغيرِها، بما فيه كفايةٌ. وقد ذكَر غيرُ واحدٍ من عُلماءِ السِّيَرِ أن الأصنامَ تَساقَطَت أيضًا ليلةَ مَولدِه الكريمِ، وهذا أبْلَغُ وأقْوَى في المُعْجِزِ من مُباشرةِ كَسْرِها، وقد تقدَّم أن نارَ فارسَ التي كانوا يَعْبُدونها خمَدت أيضًا ليلتَئذٍ، ولم تَخْمُدْ قبلَ ذلك بألفِ عامٍ، وأنه سقَط من شُرُفاتِ قصرِ كِسْرَى أربعَ عشْرةَ شُرْفةً، مُؤْذِنةً بزَوالِ دَوْلتِهم الكافرةِ بعدَ هلاكِ أرْبعةَ عشَرَ من مُلوكِهم في أقْصَرِ مُدَّةٍ، وكان لهم في المُلْكِ قريبٌ من ثلاثةِ آلافِ سنةٍ.

وأما إحْياءُ الطُّيورِ الأرْبعةِ لإبراهيمَ، عليه السلامُ، فلم يَذْكُرْه أبو نُعيمٍ ولا ابنُ حامدٍ، وسيأتي في إحْياءِ الموتَى على يدِ عيسى، عليه السلامُ، ما وقَع من المُعْجزاتِ المُحَمديةِ من هذا النَّمَطِ ما هو مثلُ ذلك وأعلَى من ذلك، كما سيأتي التَّنْبيهُ عليه إذا انتَهَيْنا إليه؛ من إحْياءِ أمْواتٍ بدَعَواتٍ من أُمَّتِه، وحَنينِ الجِذْعِ، وتَسْليمِ الحَجَرِ والشَّجَرِ والمَدَرِ عليه، وتكْليمِ الذِّراعِ له، وغيرِ ذلك.

وأما قولُه تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾ [الأنعام: ٧٥]. والآياتُ بعدها فقد قال اللهُ تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١]. وقد ذكَر ذلك ابنُ حامدٍ فيما وقَفْتُ عليه بعدُ، وقد ذكَرْنا في أحاديثِ الإسْراءِ من كتابِنا هذا، ومن «التفسيرِ» ما شاهَده رسولُ الله ﷺ ليلةَ أُسْرِيَ به من الآياتِ فيما بينَ مكةَ إلى بيتِ المقدسِ، وفيما بينَ ذلك إلى سماءِ الدنيا، ثم ما عايَن من الآياتِ في السَّمواتِ السبعِ وما فوقَ ذلك، وسِدْرةِ المُنْتَهَى، وجَنةِ المَأْوَى، والنارِ التي هي بئسَ المَصيرُ والمَثْوَى. وقال عليه أفضلُ الصلاةِ والسلامِ في حديثِ المَنامِ - وقد رَواه أحمدُ والترمذيُّ وصحَّحه، وغيرُهما -: «**فتَجَلَّى لي كلُّ شيءٍ وعرَفْتُ**» (٢).

---

(١) **صحيح** رواه البخاري (٤٧٢٠) ومسلم (١٧٨١).
(٢) **حسن** رواه الترمذي (٣٢٣٥) من حديث معاذ بن جبل القدسي الطويل.

وذكَر ابنُ حامدٍ في مُقابلةِ ابْتلاءِ اللهِ يعقوبَ، عليه السلامُ، بفقدِ ولدِه يوسفَ، عليه السلامُ، وصبرِه واستعانتِه ربَّه، عز وجل، موتَ إبراهيمَ ابنِ رسولِ اللهِ ﷺ، وصَبْرَه عليه، وقولَه: «تَدْمَعُ العينُ ويَحْزَنُ القلبُ، ولا نقولُ إلا ما يُرْضِي ربَّنا، وإنا بك يا إبراهيمُ لَمحزونون»(١). قلتُ: وقد ماتتْ بناتُه الثلاثةُ؛ رُقيَّةُ، وأمُّ كُلْثومٍ، وزينبُ، وقُتِل عمُّه حمزةُ أسدُ اللهِ وأسدُ رسولِه يومَ أحدٍ، فصبَر واحْتَسب.

وذكَر في مُقابلةِ حُسْنِ يوسُفَ، عليه السلامُ، ما ذكَر من جمالِ رسولِ اللهِ ﷺ ومَهابتِه وحَلاوتِه شكْلاً ونُطقًا وهَدْيًا، ودَلاًّ، وسَمْتًا، كما تقدَّم في ذكرِ شَمائلِه من الأحاديثِ الدالةِ على ذلك، كما قالت الرُّبَيِّعُ بنتُ مُعَوِّذٍ: لو رأيْتَه لَرأيْتَ الشمسَ طالعةً(٢).

وذكَر في مُقابلةِ ما ابْتُلِيَ به يوسُفُ، عليه السلامُ، مِن الفُرْقةِ والغُرْبةِ، هجرةَ رسولِ اللهِ ﷺ مِن مكةَ إلى المدينةِ، ومُفارقتَه وطَنَه وأهلَه وأصحابَه الذين كانوا بها.

القولُ فيما أوتِيَ موسى، عليه السلامُ، مِن الآياتِ البيِّناتِ

وأعْظَمُهن تسعُ آياتٍ، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ [الإسراء: ١٠١]. وقد شرَحْناها في «التفسيرِ» وحكَيْنا قولَ السَّلَفِ فيها، واخْتلافَهم فيها، وأن الجمهورَ على أنها هي العَصا في انْقلابِها حَيَّةً تَسْعَى، واليدُ؛ إذا أدْخَل يدَه في جَيْبِ دِرْعِه ثم أخْرَجها تُضيءُ كقطعةِ قمرٍ يتَلأْلأُ إضاءةً، ودعاؤُه على قومِ فرْعونَ حينَ كذَّبوه فأرْسَل عليهم الطُّوفانَ والجرادَ والقُمَّلَ والضَّفادعَ والدَّمَ آياتٍ مُفَصَّلاتٍ، كما بسَطْنا ذلك في «التفسيرِ»، وكذلك أخَذَهم اللهُ بالسِّنينَ؛ وهي نقصُ الحُبوبِ، وبالجَدْبِ؛ وهو نقصُ الثِّمارِ، وبالموتِ الذَّريعِ؛ وهو نقصُ الأنفسِ، وهو الطُّوفانُ في قولٍ، ومنها فَلْقُ البحرِ لإنجاءِ بني إسرائيلَ وإغراقِ آلِ فرعونَ، ومنها تَظْليلُ بني إسرائيلَ في التِّيهِ بالغَمامِ، وإنْزالُ المَنِّ والسَّلْوَىٰ عليهم، واسْتِسْقاؤُه لهم فجعَل اللهُ ماءَهم يَخْرُجُ مِن حَجَرٍ يُحْمَلُ معهم على دابَّةٍ، له أربعةُ وُجوهٍ إذا ضرَبه موسى بعَصاه يَخْرُجُ مِن كلِّ وجهٍ ثلاثةُ أعْيُنٍ، لكلِّ سِبْطٍ عينٌ، ثم يَضْرِبُه فيُقْلِعُ، وقتَل كلَّ مَن عبدَ العِجْلَ منهم، ثم أحْياهم اللهُ تعالى، وقصةُ البقرةِ، إلى غيرِ ذلك مِن الآياتِ الباهراتِ، كما بسَطْنا ذلك في «التفسيرِ»، وفي قصةِ موسى، عليه السلامُ، مِن كتابِنا هذا في قَصصِ الأنبياءِ منه، ولله الحمدُ والمنةُ.

أما العَصا فقال شيخُنا العَلَّامةُ ابنُ الزَّمْلَكانيِّ: وأمَّا حَياةُ عَصا موسى، فقد سبَّح الحَصا في كفِّ

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري (١٣٠٣) ومسلم (٢٣١٥) من حديث أنس بن مالك.

(٢) **إسناده ضعيف**: رواه الدارمي (٦٠) والبيهقي في «الدلائل» (١/ ٢٠٠) وفي سنده أبو عبيدة بن محمد بن عمار مقبول ولم يتابع.

رسول الله ﷺ وهو جَمادٌ، والحديثُ في ذلك صحيحٌ، وهذا الحديثُ مشهورٌ، عن الزهريِّ، عن رجلٍ، عن أبي ذرٍّ، وقد قدَّمنا ذلك مَبْسوطًا في دَلائلِ النبوةِ بما أغْنَىٰ عن إعادته، وفيه: أنهن سَبَّحْن في كفِّ أبي بكرٍ، ثم عمرَ، ثم عثمانَ، كما سبَّحْن في كفِّ رسولِ الله ﷺ، فقال: «هذه خِلافَةُ النُّبوَّة»[1] .

وقد روىٰ الحافظُ ابنُ عساكرَ بسنده إلىٰ بكرِ بنِ خُنَيسٍ، عن رجلٍ سمَّاه قال: كان بيدِ أبي مُسلمٍ الخَوْلانيِّ سُبْحةٌ يُسَبِّحُ بها. قال: فنام والسُّبْحةُ في يده. قال: فاسْتَدارت السُّبْحةُ فالْتَفَّت علىٰ ذراعِه، وجَعَلتْ تُسَبِّحُ، فالتفَتَ أبو مسلمٍ والسُّبْحةُ تدورُ في ذراعِه وهي تقولُ: سُبحانَك يا مُنْبِتَ النَّبات، ويا دائمَ الثَّبات. فقال: هَلُمِّي يا أمَّ مُسلمٍ، وانظُري إلىٰ أعْجبِ الأعاجيب. قال: فجاءت أمُّ مُسلمٍ والسُّبحةُ تَدور وتُسَبِّحُ، فلما جلَسَت سكَتَت[2] .

وأصحُّ من هذا كلِّه وأصْرَحُ حديثُ البخاريِّ عن ابنِ مسعودٍ قال: كنا نَسْمَعُ تَسْبيحَ الطعامِ وهو يُؤْكَلُ[3] .

قال شيخُنا: وكذلك قد سلَّمَت عليه الأحْجارُ. قلتُ: وهذا قد رَواه مسلمٌ عن جابرِ بنِ سَمُرةَ قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«إني لأعرِفُ حَجرًا كان يُسَلِّمُ عليَّ بمكةَ قبلَ أن أُبْعَثَ، إني لأعرِفُه الآنَ»**[4] . قال بعضُهم: هو الحجرُ الأسودُ.

وقال الترمذيُّ: حدَّثنا عَبَّادُ بنُ يَعقوبَ الكوفيُّ، حدثنا الوليدُ بنُ أبي ثَوْرٍ عن السُّدِّيِّ، عن عَبَّادِ ابنِ أبي يَزيدَ، عن عليِّ بنِ أبي طالبٍ، رضي اللهُ عنه، قال: كنتُ مع النبيِّ ﷺ بمكةَ في بعضِ نَواحيها، فما استَقبَلَه جبلٌ ولا شَجَرٌ إلا قال: السلامُ عليك يا رسولَ الله[5] . ثم قال: غريبٌ. ورَواه أبو نُعيم في «الدَّلائل» من حديثِ السُّدِّيِّ، عن أبي عُمارةَ الخَيْوانيِّ، عن عليٍّ قال: خرَجْتُ مع رسولِ الله ﷺ فجعَل لا يَمُرُّ علىٰ حجرٍ ولا شجرٍ إلا سلَّم عليه[6] . وقدَّمْنا في أولِ المَبعثِ أنه لما أُوحيَ إليه جبريلُ أولَ ما أُوحيَ إليه، فرجَع لا يَمُرُّ بحجرٍ ولا شجرٍ ولا مَدَرٍ ولا شيءٍ إلا قال: السلامُ عليك يا رسولَ الله. قال: وأقْبَلَت الشجرةُ إليه بدُعائه. وذكَر اجْتماعَ تَيْنِك الشجرتَيْن لقَضاءِ حاجته من وَرائهما ثم رُجوعَهما إلىٰ مَنابتِهما، وكلا الحديثين في «الصحيح»، ولكن لا يَلْزَمُ من ذلك حُلولُ حَياةٍ فيهما، إذ قد تكونان ساقهما سائقٌ، ولكن في قوله: «انقادا عليَّ بإذنِ الله»[7] . ما يدُلُّ

---

(١) **ضعيف وقد تقدم**.
(٢) **ضعيف**: فيه رجل مجهول.
(٣) **صحيح**: رواه البخاري (٣٥٧٩) والترمذي (٣٦٣٣).
(٤) **صحيح وقد تقدم**.
(٥) **ضعيف**: رواه الترمذي (٣٦٢٦) وفي سنده الوليد بن أبي ثور ضعيف وعباد بن أبي يزيد مجهول.
(٦) **ضعيف**: فيه السُّدِّيُّ وقد ضعف.
(٧) **صحيح**: رواه مسلم (٣٠١٤) من حديث أبي اليسر رضي الله عنه.

علىٰ حُصولِ شُعورٍ منهما لمُخاطبتِه، ولاسيَّما مع امتثالهما ما أمَرَهما به. قال: وأمَرَ عِذْقًا من نَخْلةٍ أن يَنْزِلَ فنزَلَ إليه يَنْقزُ في الأرضِ حتىٰ وقَف بينَ يديه فقال: «أتَشْهَدُ أني رسولُ الله؟» فشهد بذلك ثلاثًا، ثم عاد إلىٰ مكانه. وهذا ألْيَقُ وأظْهَرُ في المُطابقة من الذي قبلَه، ولكن هذا السِّياقُ فيه غَرابةٌ.

والذي رَواه الإمامُ أحمدُ وصحَّحه الترمذيُّ، ورَواه البيهقيُّ والبخاريُّ في «التاريخ» من رواية أبي ظَبْيانَ حُصَيْنِ بنِ جُنْدَبٍ، عن ابنِ عباسٍ قال: جاء أعرابيٌّ إلىٰ رسولِ الله ﷺ فقال: بمَ أعْرِفُ أنك رسولُ الله؟ قال: «أرأيتَ إن دعَوْتُ هذا العذْقَ من هذه النخلة أتَشْهَدُ أني رسولُ الله؟» قال: نعم. قال: فدَعا العِذْقَ، فجعَل العِذْقُ يَنْزِلُ من النخلةِ حتىٰ سقَط في الأرضِ، فجعَل يَنْقزُ حتىٰ أتىٰ رسولَ الله ﷺ، ثم قال له: «ارْجِعْ». فرجَع حتىٰ عاد إلىٰ مكانه، فقال: أشْهَد أنك رسولُ الله. وآمَن به[1]. هذا لفظُ البيهقيِّ، وهو ظاهرٌ في أن الذي شهِد بالرسالة هو الأعرابيُّ، وكان رجلاً من بني عامرٍ.

ولكن في رواية البيهقيِّ من طريقِ الأعْمشِ، عن سالمِ بنِ أبي الجَعْدِ، عن ابنِ عباسٍ قال: جاء رجلٌ إلىٰ رسولِ الله ﷺ فقال: ما هذا الذي يقولُ أصحابُك؟ قال: وحولَ رسولِ الله ﷺ أعْذاقٌ وشَجرٌ. فقال: «هل لك أن أُرِيَك آيةً؟» قال: نعم. فدَعا غُصْنًا منها فأقْبَل يَخُدُّ الأرضَ حتىٰ وقَف بينَ يديه وجعَل يَسْجُدُ ويَرْفَعُ رأسَه، ثم أمَره فرجَع. قال: فرجَع العامريُّ وهو يقولُ: يا آلَ عامرِ بنِ صَعْصَعَةَ، والله لا أُكَذِّبُه بشيءٍ يقولُه أبدًا[2].

وتَقَدَّم فيما رَواه الحاكمُ في «مُسْتَدْرَكِه» مُتَفَرِّدًا به، عن ابنِ عمرَ، أن رسولَ الله ﷺ دَعا رجلاً إلىٰ الإسْلام فقال: هل من شاهدٍ علىٰ ما تقولُ؟ قال: «هذه الشجرةُ». فدعاها رسولُ الله ﷺ وهي علىٰ شاطئِ الوادي، فأقْبَلَت تَخُدُّ الأرضَ خَدًّا، فقامت بينَ يَدَيْه، فاسْتَشْهَدها ثلاثًا، فشهِدت أنه كما قال، ثم إنها رجَعت إلىٰ مَنْبتِها، ورجَع الأعْرابيُّ إلىٰ قومِه وقال: إن يَتَّبِعوني أتَيْتُك بهم وإلا رجَعْتُ إليك وكنتُ معك[3].

قال: وأمّا حَنِينُ الجِذْعِ الذي كان يَخْطُبُ إليه النبيُّ ﷺ، فعُمِل له المِنْبرُ، فلما رَقِيَ عليه وخطَب، حَنَّ الجِذْعُ إليه حَنِينَ العِشارِ والناسُ يَسْمَعون صوتَه بمَشْهَدِ الخَلْقِ يومَ الجُمُعة، ولم يزَلْ يَئِنُّ ويَحِنُّ حتىٰ نزَل إليه النبيُّ ﷺ فاعتَنَقه وسكَّنه وخيَّره بينَ أن يَرْجِعَ غُصْنًا طَرِيًّا أو يُغْرَسَ في الجنة يأكُلُ منه أوْلياءُ الله، فاختار الغَرْسَ في الجنة، وسكَن عندَ ذلك؛ فهو حديثٌ مشهورٌ مَعْروفٌ، قد رَواه من الصحابة عددٌ كثيرٌ مُتواترٌ، وكان بحُضورِ الخَلائقِ. وهذا الذي ذكَره من تَواتُرِ حديثِ الجِذْعِ هو كما قال، فإنه قد روىٰ هذا الحديثَ جَماعةٌ من الصحابة، وعنهم أعْدادٌ من التابعين، ثم من بعدهم آخرون عنهم، لا يُمْكِنُ تَواطؤُهم علىٰ الكذبِ، فهو مَقْطوعٌ به في الجملة، وأما تَخْييرُ الجِذْعِ كما

(١) حسن: رواه الترمذي (٣٦٢٨).
(٢) تقدم.
(٣) تقدم.

ذكَره شيخُنا فليس بمُتواترٍ، بل ولا يَصِحُّ إسنادُه، وقد أوْردْتُه في «الدَّلائِلِ» عن أُبَيٍّ بن كعبٍ، وذُكِر في «مُسندِ أحمدَ»، و«سننِ ابنِ ماجه»، وعن أنسٍ مِن خمسِ طرقٍ إليه، صحَّح الترمذيُّ إحداها، وروَىٰ ابنُ ماجه أخرىٰ، وأحمدُ ثالثةً، والبزارُ رابعةً، وأبو نُعيمٍ خامسةً، وعن جابرِ بنِ عبدِ اللهِ في «صحيحِ البخاريِّ» مِن طريقَيْن عنه، والبزارُ مِن ثالثةٍ ورابعةٍ، وأحمدُ مِن خامسةٍ وسادسةٍ، وهذه علىٰ شرطِ مسلمٍ، وعن سهلِ بنِ سعدٍ في «مُصنَّفِ ابنِ أبي شَيْبةَ» علىٰ شرطِ «الصحيحَيْن»، وعن ابنِ عباسٍ في «مُسندِ أحمدَ» و«سننِ ابنِ ماجه» بإسنادٍ علىٰ شرطِ مسلمٍ، وعن ابنِ عمرَ في «صحيحِ البخاريِّ»، ورَواه أحمدُ مِن وجهٍ آخرَ عن ابنِ عمرَ، وعن أبي سعيدٍ في «مسندِ عبدِ بنِ حُمَيْدٍ» بإسنادٍ علىٰ شرطِ مسلمٍ، وقد رَواه أبو يَعْلَىٰ المَوْصليُّ مِن وجهٍ آخرَ عنه، وعن عائشةَ رَواه الحافظُ أبو نُعيمٍ مِن طريقِ عليِّ بنِ أحمدَ الجَوارِبيِّ، عن قَبيصةَ، عن حِبَّانَ بنِ عليٍّ، عن صالحِ بنِ حَيَّانَ، عن عبدِ اللهِ ابنِ بُرَيْدةَ، عن عائشةَ، فذكَر الحديثَ بطولِه، وفيه أنه خيَّره بينَ الدنيا والآخرةِ، فاخْتار الجِذْعُ الآخرةَ، وغار حتىٰ ذهَب، فلم يُعْرَفْ. وهذا غريبٌ إسنادًا ومَتْنًا.

وعن أمِّ سَلَمةَ رَواه أبو نُعيمٍ بإسنادٍ جَيِّدٍ، وقدَّمْتُ الأحاديثَ بِبَسْطِ أسانيدِها وتَحْريرِ ألفاظِها وعَزْوِها بما فيه كفايةٌ عن إعادتِه ههنا، ومَن تَدبَّرَها حصَل له القَطْعُ بذلك، ولله الحمدُ والمنةُ.

قال القاضي عِياضُ بنُ موسى السَّبْتيُّ المالكيُّ في كتابِ «الشِّفا»: وهو حديثٌ مشهورٌ مُنْتَشِرٌ مُتَواتِرٌ خرَّجه أهلُ الصَّحيحِ. ورواه مِن الصحابةِ بِضْعةَ عشَرَ؛ منهم أُبَيٌّ، وجابرٌ، وأنسٌ، وبُرَيْدةُ، وسَهْلُ ابنُ سعدٍ، وابنُ عباسٍ، وابنُ عمرَ، والمُطَّلِبُ بنُ أبي وَداعةَ، وأبو سعيدٍ، وأمُّ سَلَمةَ، رضِي اللهُ عنهم أجْمَعين.

قال شيخُنا: فهذه جَماداتٌ ونباتاتٌ، وقد حَنَّت وتكَلَّمَت، وفي ذلك ما يُقابِلُ انْقِلابَ العَصا حَيَّةً.

قلتُ: وسنُشيرُ إلىٰ هذا عندَ ذكْرِ مُعْجزاتِ عيسىٰ، عليه السلامُ، في إحْيائِه المَوْتَىٰ بإذنِ اللهِ تعالىٰ في ذلك، كما رواه البيهقيُّ عن الحاكمِ، عن أبي أحمدَ بنِ أبي الحسنِ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ أبي حاتمٍ، عن أبيه، عن عمرِو بنِ سَوَّادٍ قال: قال لي الشافعيُّ: ما أعْطَى اللهُ نبيًّا ما أعْطَىٰ محمدًا ﷺ. فقلتُ: أعطَىٰ عيسىٰ إحْياءَ الموتَىٰ. فقال: أَعطَىٰ محمدًا الجِذْعَ الذي كان يَخْطُبُ إلىٰ جَنْبه حتىٰ هُيِّئَ له المِنْبرُ، فلما هُيِّئَ له حَنَّ الجِذْعُ حتىٰ سُمِع صوتُه، فهذا أكبرُ مِن ذلك[1]. وهذا إسنادٌ صحيحٌ إلىٰ الشافعيِّ، رحِمه اللهُ، وهو مما كنتُ أَسْمَعُ شيخَنا الحافظَ أبا الحَجَّاجِ المِزِّيَّ، رحِمه اللهُ، يذكُرُه عن الشافعيِّ، رحِمه اللهُ وأَكْرَم مَثْواه، وإنما قال: فهذا أكبرُ مِن ذلك. لأن الجِذْعَ ليس مَحَلاً للحياةِ، ومع هذا حصَل له شُعورٌ ووَجْدٌ لَمّا تَحوَّل عنه إلىٰ المِنْبرِ فأَنَّ وحَنَّ حَنينَ العِشارِ حتىٰ نزَل إليه

---

(١) صحيح إلى الشافعي: رواه البيهقي في «الدلائل» (٦/ ٦٨).

رسولُ الله ﷺ فاحتَضنه وسكَّنه حتى سكَن. قال الحسنُ البَصْريُّ: فهذا الجِذْعُ حَنَّ إليه، فإنهم أحَقُّ أن يَحنُّوا إليه. وأما عَوْدُ الحياة إلى جسد كانت فيه بإذن الله تعالى فعظيمٌ، وهذا أعجبُ وأعْظمُ منه إيجادُ حياةٍ وشعورٍ في مَحَلٍّ ليس مَألوفًا لذلك، لم تكنْ فيه قبلُ بالكليَّة، فسبحانَ الله ربِّ العالمين.

تنبيهٌ: وقد كان لرسول الله ﷺ لواءٌ يُحْمَلُ معه في الحرب يَخفِقُ في قلوب أعْدائه مَسيرةَ شهرٍ بينَ يديه، وكانت له عَنَزَةٌ تُحْمَلُ بينَ يديه، فإذا أراد الصلاةَ إلى غيرِ جدارٍ ولا حائلٍ رُكِزتْ بينَ يديه، وكان له قَضيبٌ يَتوكَّأُ عليه إذا مشى، وهو الذي عَبَّر عنه سَطِيحٌ في قوله لابنِ أخيه عبدِ المسيح بنِ بُقَيْلَةَ: يا عبدَ المسيح، إذا كثُرتِ التِّلاوهْ، وظهَر صاحبُ الهِراوهْ، وغاضت بُحَيْرةُ ساوهْ، فليست الشامُ لسَطيحٍ شامًا. ولهذا كان ذكرُ هذه الأشياءِ عندَ إحْياءِ عصا موسى وجَعْلِها حيَّةً ألْيَقَ؛ إذ هي مُساويةٌ لذلك، وهذه مُتَعدِّدةٌ كثيرةٌ في مَحالَّ مُتَفَرِّقةٍ، بخلافِ عصا موسى، فإنها وإن تعدَّدَ جَعْلُها حَيَّةً، فهي ذاتٌ واحدةٌ. واللهُ أعلمُ. ثم نُنَبِّهُ على ذلك عندَ ذكرِ إحْياءِ الموتى على يدِ عيسى؛ لأن هذه أعْجَبُ وأكبرُ وأظهرُ. واللهُ أعلمُ.

قال شيخُنا: وأمَّا أن اللهَ كلَّم موسى تكْليمًا، فقد تقَدَّم حُصولُ الكلام للنبيِّ ﷺ ليلةَ الإسْراءِ، فيَشْهَدُ له: «فنُوديتُ: أن يا محمدُ، قد كمَّلتُ فريضتي وخفَّفْتُ عن عبادي». وسياقُ بقيَّةِ القصةِ يُرْشِدُ إلى ذلك، وقد حكَى بعضُ العلماءِ الإجْماعَ على ذلك، لكن رأيتُ في كلامِ القاضي عياضٍ نقلَ خلافٍ فيه. واللهُ أعلمُ.

وأما الرؤيةُ ففيها خلافٌ مَشْهورٌ بينَ الخَلَفِ والسَّلَفِ، ونصَرها من الأئمة أبو بكرٍ محمدُ بنُ إسحاقَ بنِ خُزيمةَ المشهورُ بإمامِ الأئمةِ، واختار ذلك القاضي عياضٌ والشيخُ محيي الدينِ النَّوويُّ، وجاء عن ابنِ عباسٍ تَصْديقُ الرؤية، وجاء عنه تَقْييدُها بالفؤاد، وكلاهما في «صحيح مسلمٍ»[1]، وفي «الصحيحَيْن» عن عائشةَ إنكارُ ذلك[2]، وقد ذكَرْنا في الإسْراءِ عن ابنِ مسعودٍ وأبي هريرةَ وأبي ذرٍّ وعائشةَ، رضي اللهُ عنهم، أن المَرْئيَّ في المرَّتَيْن المذكورتَيْن في أول سورة «النَّجْم»، إنما هو جبريلُ، عليه السلامُ. وفي «صحيح مسلمٍ» عن أبي ذرٍّ قال: قلتُ: يا رسولَ الله، هل رأيتَ ربَّك؟ فقال: «نورٌ أنَّى أراه؟»[3]. وفي روايةٍ: «رأيتُ نورًا». وقد تقدم بَسْطُ ذلك في الإسْراءِ في السيرةِ وفي «التفسيرِ» في أولِ سورةِ «بني إسرائيلَ»، وهذا الذي ذكَره شيخُنا فيما يتعلَّقُ بالمُعْجزاتِ المُوسَويَّةِ، عليه أفضلُ الصلاةِ والسلامِ. وأيضًا فإن اللهَ تعالى كلَّم موسى وهو بطورِ سَيْناءَ، وسأَل الرؤيةَ فمُنِعَها، وكلَّم محمدًا ﷺ ليلةَ الإسْراءِ وهو بالملأ الأعلَى حينَ رُفع لمُسْتوًى يَسْمَعُ فيه صَريفَ الأقْلامِ، وحصلَت له الرُّؤيةُ في قولِ طائفةٍ كثيرةٍ من عُلماءِ السَّلَفِ والخَلَفِ. واللهُ أعلمُ. ثم رأيتُ

---

(١) صحيح: رواه أحمد (١/ ٢٢٣)، وأبو نعيم في «المستخرج» (١/ ٢٤١).
(٢) صحيح: رواه البخاري (٣٢٢٤، ٤٨٥٥) ومسلم (١٧٧).
(٣) صحيح: رواه مسلم (١٧٨).

ابنَ حامدٍ قد طرّق هذا في كتابه فأجاد وأفاد .

وقال ابنُ حامد : قال اللهُ تعالى لموسى : ﴿ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي ﴾ [طه : ٣٩] . وقال لمحمد : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [آل عمران : ٣١] .

وأما اليدُ التي جعَلها اللهُ بُرْهانًا وحُجَّةً لموسى على فرعونَ وقومِه ، كما قال تعالى بعدَ ذكرِ صَيْرورةِ العصا حَيَّةً : ﴿ اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ ﴾ [القصص : ٣٢] . وقال في سورة «طه» : ﴿ آيَةً أُخْرَىٰ ۝ لِنُرِيَكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى ﴾ [طه : ٢٢ ، ٢٣] . فقد أعطَى اللهُ محمدًا انشقاقَ القمرِ بإشارتِه إليه فرقتَيْن ؛ فرْقةً من وراء جبلِ حراءَ ، وأخرى أمامَه ، كما تقدَّم بيانُ ذلك بالأحاديث المُواترة مع قوله تعالى : ﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ ۝ وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴾ [القمر : ١ ، ٢] .

ولا شكَّ أن هذا أجَلُّ وأعظمُ وأبهرُ في المعجزات ، وأشهرُ وأعظمُ وأعَمُّ وأظهرُ وأبلغُ من ذلك ، وقد قال كعبُ بنُ مالكٍ في حديثِه الطويلِ في قصةِ توبتِه : وكان رسولُ الله ﷺ إذا سُرَّ اسْتَنار وجهُه كأنّه فِلْقَةُ قمرٍ(١) . وذلك في «صحيح البخاري» .

وقال ابنُ حامد : قالوا : فإنَّ موسى أُعْطِيَ اليدَ البَيْضاءَ . قلنا لهم : فقد أُعْطِيَ محمدٌ ﷺ ما هو أفضَلُ من ذلك ، نورًا كان يُضيءُ عن يمينِه حيثما جلَس ، وعن يسارِه حيثما جلَس وقام ، يَراه الناسُ كلُّهم ، وقد بَقِيَ ذلك النورُ إلى قيامِ الساعةِ ، ألا ترَى أنه يُرَى النورُ الساطعُ من قبرِه ﷺ من مَسيرةِ يومٍ وليلةٍ؟ هذا لفظُه ، وهذا الذي ذكَره من هذا النورِ غريبٌ جدًّا ، وقد ذكَرْنا في السيرةِ عندَ إسلامِ الطُّفَيْلِ بنِ عمرٍو الدَّوْسيِّ ، أنه طلَب من النبيِّ ﷺ آيةً تكونُ له عَوْنًا على إسلامِ قومِه ، فدعَا له ، وذهَب إلى قومِه ، فلما أشْرَف على قومِه من ثَنِيَّةٍ هناك ، فسطَع نورٌ بينَ عينيه كالمِصْباحِ ، فقال : اللهم في غيرِ هذا الموضعِ ؛ فإنهم يَظُنُّونه مُثْلَةً . فتحَوَّل النورُ إلى طَرَفِ سَوْطِه فجعَلوا يَنْظُرون إليه كالمِصْباحِ ، فهداهم اللهُ على يدَيه ببركةِ رسولِ الله ﷺ وبدُعائِه لهم في قولِه : «اللهم اهْدِ دَوْسًا ، وأْتِ بهم»(٢) . وكان يقالُ للطُّفَيْلِ : ذو النورِ ، لذلك . وذكَرْنا أيضًا حديثَ أُسَيْدِ بنِ حُضَيْرٍ وعَبَّادِ بنِ بِشْرٍ ، في خُروجِهما من عندِ النبيِّ ﷺ في ليلةٍ مُظْلِمةٍ ، فأضاء لهما طَرَفُ عصا أحدِهما ، فلما افْتَرَقا أضاء لكلٍّ واحدٍ منهما طَرَفُ عصاه(٣) ، وذلك في «صحيح البخاري» وغيرِه .

وقال أبو زُرْعةَ الرازيُّ في كتاب «دلائل النبوة» : حدَّثنا سليمانُ بنُ حربٍ ، حدَّثنا حمادُ بنُ سَلَمةَ عن ثابتٍ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ ، أن عَبَّادَ بنَ بِشْرٍ وأُسَيْدَ بنَ حُضَيْرٍ خرَجا من عندِ النبيِّ ﷺ في ليلةٍ ظَلْماءَ حِنْدِسٍ ، فأضاءت عَصا أحدِهما مثلَ السِّراجِ وجعَلا يَمْشيان بضَوْئها ، فلما تَفَرَّقا إلى منازلِهما

(١) صحيح : رواه البخاري (٣٥٥٦ ، ٤٦٧٧) ومسلم (٢٧٦٩) من حديث كعب بن مالك .
(٢) صحيح : رواه البخاري (٤٣٩٢ ، ٦٣٩٧) ومسلم (٢٥٢٤) .
(٣) صحيح : رواه البخاري (٣٨٠٥) .

أضاءت عَصا ذا وعصا ذا(١) .

ثم روىٰ عن إبراهيم بن حمزةَ بن محمد بن حمزةَ بن مُصعب بن الزبير بن العوَّام، وعن يعقوبَ ابن حُميد المَدَني، كلاهما عن سفيانَ بن حمزةَ بن يزيدَ الأسْلمي، عن كَثير بن زيد، عن محمد بن حمزةَ بن عمرو الأسْلَمي، عن أبيه قال: سِرْنا في سفرٍ مع رسول الله ﷺ في ليلةٍ ظَلْماء دُحْمُسَةٍ، فأضاءت أصابعي حتىٰ جمَعوا عليها ظهرَهم وما هلَك منهم، وإن أصابعي لتُنير(٢) .

وروىٰ هشامُ بنُ عَمَّار في «المَبعَث»: حدَّثنا عبدُ الأعلىٰ بنُ محمدٍ البَكْري، حدَّثنا جعفرُ بنُ سليمانَ البَصري، حدَّثنا أبو التَّيَّاح الضُّبَعيُّ قال: كان مُطَرِّفُ بنُ عبد الله يَبْدُو، فيَدْخُلُ كلَّ جُمُعةٍ، فربما نُوِّر له في سَوْطِه، فأدْلَج ذاتَ ليلةٍ وهو علىٰ فرسه حتىٰ إذا كان عندَ المَقابر هُوِّمَ به. قال: فرأيتُ صاحبَ كلِّ قبرٍ جالسًا علىٰ قبره، قالوا: هذا مُطَرِّفٌ يأتي الجُمُعةَ. فقلتُ لهم: وتعْلَمون عندكم يومَ الجُمُعة؟ قالوا: نعم، ونَعْلَمُ ما يقولُ فيه الطَّيرُ. قلتُ: وما يقولُ فيه الطَّيرُ؟ قالوا: يقولُ: سلامٌ سلامٌ من يومٍ صالحٍ.

وأما دعاؤُه، عليه السلامُ، عليهم بالطُّوفان؛ وهو الموتُ الذَّريعُ في قولٍ، وما بعدَه من الآيات والقَحْط والجَدْب، فإنما كان ذلك لعلَّهم يَرْجِعون إلىٰ مُتابعته ويُقْلِعون عن مُخالفته، فما زادهم إلا طُغيانًا كبيرًا. قال اللهُ تعالىٰ: ﴿وَمَا نُرِيهِم مِّنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾ وَقَالُوا يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٤٨، ٤٩]. ﴿وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٣٤﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَىٰ أَجَلٍ هُم بَالِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿١٣٥﴾ فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٣٢-١٣٦].

وقد دَعا رسولُ الله ﷺ علىٰ قريشٍ حينَ تَمادَوْا في مُخالفته بسبعٍ كسبعِ يوسفَ، فقُحطوا حتىٰ أكَلوا كلَّ شيء، وكان أحدُهم يرىٰ بينَه وبينَ السماء مثلَ الدُّخَان من الجوع. وقد فسَّر ابنُ مسعودٍ قولَه تعالىٰ: ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾ [الدخان: ١٠]. بذلك، كما رَواه البخاريُّ عنه في غيرِ ما مَوْضعٍ من «صحيحه»، ثم توَسَّلوا إليه، صلواتُ الله وسلامُه عليه، بقَرابتِهم منه مع أنه بُعث بالرحمة والرأفة، فدَعا لهم فأقْلَع عنهم ورُفع عنهم، وأُحْيُوا بعدَما كانوا أشْرَفوا علىٰ الهَلَكة.

وأما فَلْقُ البحرِ لموسىٰ، عليه السلامُ، حينَ أمَره اللهُ تعالىٰ - حينَ تَراءىٰ الجَمْعان - أن يَضْرِبَ البحرَ بعَصاه فانْفَلق فكان كلُّ فِرْقٍ كالطَّوْد العظيم، فإنه معجزةٌ عظيمةٌ باهرةٌ، وحُجَّةٌ قاطعةٌ قاهرةٌ. وقد بسَطْنا ذلك في «التفسير» وفي قَصص الأنبياء من كتابنا هذا، وفي إشارته ﷺ بيده الكريمة إلىٰ قمرِ

---

(١) **إسناده صحيح**: رواه أحمد (١٢٥١١) من طريق بهز بن أسد حدثنا حماد بن سلمة.
(٢) **تقدم**:

السماء، فانشقَّ فلقتَيْن وَفقَ ما سألته قريشٌ وهم معه جُلوسٌ، في ليلة البَدْرِ، أعْظمُ آيةٍ، وأبْينُ دَلالةٍ، وأوْضحُ حُجَّةٍ، وأبهرُ بُرْهانٍ على نُبوَّته ووَجاهته عندَ الله تعالى، ولم يُنْقَلْ مُعجزةٌ عن نبيٍّ من الأنبياء من الآيات الحِسِّيَّات أعْظَمُ من هذا، كما قرَّرْنا ذلك بأدلته من الكتاب والسُّنة، في «التفسير» وفي أول البِعْثة، وهذا أعْظَمُ من حَبْسِ الشمسِ قليلاً ليُوشعَ بنِ نُونٍ حتى تَمكَّن من الفتح ليلةَ السبت، كما سيأتي في تقرير ذلك، مع ما يُناسبُ ذِكْرَه عندَه، وقد تقدَّمَ من مَسيرِ العَلاء بنِ الحَضْرميِّ، وأبي عُبيدٍ الثَّقفيِّ، وأبي مُسلمٍ الخَوْلانيِّ، وسائرِ الجيوشِ التي كانت معهم على تَيَّارِ الماء، ومنها دجْلةُ وهي جاريةٌ عَجاجةٌ تَقْذفُ بالخَشَبِ من شدةِ جَرْيِها، وتقدَّم تقريرُ أن هذا أعْجَبُ من فَلْقِ البحرِ لموسى من هذه الوجوه. واللهُ أعلمُ.

وقال ابنُ حامد: قالوا: فإن موسى، عليه السلامُ، ضرَبَ بعَصاه البحرَ، فانْفَلَق فكان ذلك آيةً لموسى عليه السلامُ. قلنا: فقد أُوتيَ رسولُ الله ﷺ مثلَها. قال عليٌّ، رضي اللهُ عنه: لما خرَجْنا إلى خَيْبرَ، فإذا نحن بوادٍ يَشْخَبُ، وقدَّرْناه فإذا هو أربعَ عشْرةَ قامةً، فقالوا: يا رسولَ الله، العدوُّ من ورائنا والوادي من أمامنا. كما قال أصحابُ موسى: ﴿**إنَّا لَمُدْرَكُونَ**﴾ [الشعراء: ٦١]. فنزَل رسولُ الله ﷺ ثم قال: «**اللهم إنك جعَلْت لكلِّ مُرْسَلٍ دَلالةً؛ فارني قُدْرتَك**». فركب رسولُ الله ﷺ فعبَرَت الخيلُ لا تُبْدي حَوافرَها، والإبلُ لا تُبْدي أخفافَها، فكان ذلك فَتْحًا. وهذا الذي ذكَره بلا إسنادٍ لا أعْرِفُه في شيءٍ من الكتبِ المُعْتَمَدة بإسنادٍ صحيحٍ ولا حسنٍ، بل ولا ضعيفٍ. فاللهُ أعلَمُ.

وأما تَظْليلهُ بالغَمامِ في التِّيه، فقد تقَدَّم ذِكْرُ حديثِ الغَمامة التي رآها بَحيرَى تُظلُّه من بين أصحابه، وهو ابنُ اثنتَيْ عشْرَةَ سنةً، صُحْبَةَ عمِّه أبي طالبٍ، وهو قاصدٌ الشامَ في تجارةٍ، وهذا أبْهرُ؛ من جهة أنه كان وهو قبلَ أن يُوحَى إليه، وكانت الغَمامةُ تُظلُّه وَحْدَه من بين أصْحابه، فهذا أشدُّ في الاعْتناء، وأظْهَرُ من غَمامٍ يُظلُّ بني إسرائيلَ وغيرَهم. وأيضًا فإن المقصودَ من تَظْليلِ الغَمامِ إنما كان لاحْتياجهم إليه من شدة الحَرِّ، وقد ذَكَرْنا في الدلائلِ حينَ سُئِلَ النبيُّ ﷺ أن يَدْعوَ لهم ليُسْقَوْا لما هم فيه من الجوع والجَهْدِ والقَحْطِ، فرفَع يديه وقال: «**اللهم اسْقِنا، اللهم اسْقِنا، اللهم اسْقِنا**». قال أنسٌ: ولا والله ما نرَى في السماءِ من سَحابٍ ولا قَزَعةٍ، وما بيننا وبينَ سَلْعٍ من بيتٍ ولا دارٍ، فأُنْشِئَت من ورائه سَحابةٌ مثلُ التُّرْسِ، فلما توَسَّطَت السماءَ انْتَشَرَت ثم أمْطرَت. قال أنسٌ: فلا والله ما رأَيْنا الشمسَ سَبْتًا، ولما سألوه أن يَسْتَصْحيَ لهم رفَع يدَه وقال: «**اللهم حَوالَيْنا ولا علينا**». فما جعَل يُشيرُ بيده إلى ناحيةٍ إلا انجاب السَّحابُ، حتى صارت المدينةُ مثلَ الإكْليلِ، يُمْطَرُ ما حولَها ولا تُمطَرُ[1].

فهذا تَظْليلُ غمامٍ مُحتاجٌ إليه آكَدُ من الحاجة إلى ذلك، هو أنْفَعُ منه، والتَّصرُّفُ فيه وهو يُشيرُ أبْلَغُ في المُعْجزِ وأظْهَرُ في الاعْتناء. واللهُ أعلمُ.

وأما إنْزالُ المَنِّ والسَّلْوَى عليهم فقد كثَّر رسولُ الله ﷺ الطعامَ والشَّرابَ في غيرِ ما موطنٍ، كما

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري (١٠٢١).

تقَدمَّ بيانُه في دلائلِ النبوةِ مِن إطْعامه الجَمَّ الغَفيرَ مِن الشيءِ اليَسيرِ، كما أطْعَم يومَ الخَنْدقِ مِن شُوَيْهةِ جابرِ بنِ عبدِ اللهِ وصاعِه الشعيرِ أزْيدَ مِن ألف نفسٍ جائعةٍ، صلواتُ اللهِ وسلامُه عليه دائمًا إلى يومِ الدين، وأطْعَم مِن جَفْنةٍ فِئامًا مِن الناسِ، وكانت تُمَدُّ مِن السماءِ، إلى غيرِ ذلك مِن هذا القَبيلِ مما يَطولُ ذِكْرُه. وقد ذكر أبو نُعيمٍ وابنُ حامدٍ أيضًا ههنا أن المرادَ بالمَنِّ والسَّلْوَى إنما هو رزقٌ رُزِقوه مِن غيرِ كَدٍّ منهم ولا تعبٍ، ثم أوْرَد في مُقابلته حديثَ تَحْليلِ المَغانمِ ولم تَحِلَّ لأحدٍ قبلَنا، وحديثَ جابرٍ في سريَّةِ أبي عُبيدةَ وجُوعِهم حتى أكَلوا الخَبَطَ، فحسَر البحرُ لهم عن دابةٍ تُسَمَّى العَنْبَرَ، فأكَلوا منها ثلاثين مِن بينِ يومٍ وليلةٍ حتى سَمِنوا وتكَسَّرَت عُكَنُ بُطونِهم. والحديثُ في «الصحيح» كما تقدم.

وسيأتي عندَ ذكرِ المائدةِ في مُعْجزاتِ المسيحِ ابنِ مَرْيَمَ قصةُ أبي مسلمٍ الخَوْلانيِّ، أنه خرَج هو وجماعةٌ كثيرةٌ مِن أصحابِه إلى الحجِ وأمَرهم أن لا يَحْمِلوا زادًا ولا مَزادًا، فكانوا إذا نزَلوا مَنْزِلاً صلَّى ركعتَيْن، فيُؤْتَوْن بطعامٍ وشرابٍ وعَلَفٍ يكْفيهم ويكْفي دوابَّهم غَداءً وعَشاءً، مدةَ ذَهابِهم وإيابِهم.

وأمَّا قولُه تعالى: ﴿وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ﴾ الآيةَ [البقرة: ٦٠]. فقد ذكَرْنا بَسْطَ ذلك في قصةِ موسى، عليه السلام، وفي «التفسيرِ». وقد ذكَرْنا الأحاديثَ الواردةَ في وَضْعِ النبيِّ ﷺ يدَه في ذلك الإناءِ الصغيرِ الذي لم يتَّسِعْ لبسطِها فيه، فجعَل الماءُ ينبعُ مِن بينِ أصابعِه أمثالَ العيونِ، وكذلك كثَّر الماءَ في غيرِ ما موطنٍ، كمَزادتَيْ تلك المرأةِ، ويومِ الحديبيةِ، وغيرِ ذلك، وقد استَسْقَى اللهَ لأصحابِه في المدينةِ وغيرِها، فأُجيب طِبْقَ السؤالِ ووَفْقَ الحاجةِ لا أزْيَدَ ولا أنْقَصَ، وهذا أبْلَغُ في المُعْجزِ. ونَبْعُ الماءِ من بينِ أصابعِه مِن نفسِ يدِه - على قولِ طائفةٍ كثيرةٍ مِن العلماءِ - أعْظَمُ مِن نَبْعِ الماءِ مِن الحَجَرِ، فإنه مَحَلٌّ لذلك.

قال أبو نُعيمٍ الحافظُ: فإن قيل: إن موسى كان يَضْرِبُ بعصاه الحجرَ فيَنْفَجِرُ منه اثنتا عشْرَةَ عينًا في التِّيهِ، قد علِم كلُّ أُناسٍ مَشْرَبَهم. قيل: كان لمحمدٍ ﷺ مثلُه وأعْجَبُ، فإنَّ نَبْعَ الماءِ مِن الحجَرِ مشهورٌ في العُلومِ والمَعارفِ، وأعْجَبُ مِن ذلك نَبْعُ الماءِ مِن بينِ اللحمِ والعَظْمِ والدمِ، فكان يُفَرِّجُ بينَ أصابعِه في مِخْضَبٍ، فيَنْبُعُ مِن بينِ أصابعِه الماءُ، فيَشْرَبون ويُسْقَوْن ماءً جاريًا عَذْبًا، يَرْوِي العددَ الكثيرَ مِن الناسِ والخيلِ والإبلِ.

ثم روَى مِن طريقِ المُطَّلبِ بنِ عبدِ اللهِ ابنِ أبي حَنْطَبٍ، حدَّثني عبدُ الرحمنِ ابنُ أبي عَمْرةَ الأنصاريُّ، حدَّثني أبي قال: كنا مع رسولِ اللهِ ﷺ في غَزْوةٍ غزاها، فأصاب الناسَ مَخْمَصةٌ فدَعا بركْوةٍ فوُضِعت بينَ يديه، ثم دَعا بماءٍ فصبَّه فيها، ثم مَجَّ فيها وتكَلَّم بما شاء اللهُ أن يتكَلَّمَ، ثم أدْخَل أُصْبُعَه فيها، فأُقْسِمُ باللهِ رأيْتُ أصابعَ رسولِ اللهِ ﷺ تتَفَجَّرُ منها يَنابِيعُ الماءِ، ثم أمَر الناسَ فسَقَوْا وشرِبوا وملَئوا قِرَبَهم وإداوتَهم.

وأما قصةُ إحْياءِ الذين قُتِلوا بسببِ عِبادةِ العِجْلِ وقصةُ البقرةِ، فسيأتي ما يُشابِهُهما مِن إحْياءِ حَيواناتٍ وأُناسٍ، عندَ ذِكْرِ إحْياءِ الموتى على يدِ عيسى ابنِ مَرْيَمَ، عليه السلامُ. واللهُ أعلمُ. وقد ذكَر

أبو نُعيم ههنا أشياءَ أُخَرَ تركْناها اختصاراً واقتصاداً.

وقال هشامُ بنُ عمار في كتابه «المبعث»: بابٌ فيما أُعطِيَ رسولُ الله ﷺ، وما أُعطِيَ الأنبياءُ قبلَه. حدَّثنا محمدُ بنُ شُعيبٍ القرشيُّ، حدَّثنا رَوْحُ بنُ مُدْرِك، أخبَرني عمرُ بنُ حَسَّانَ التَّميميُّ، أن موسى، عليه السلامُ، أُعْطِيَ آيةً من كُنوزِ العَرْشِ؛ ربِّ لا تُولِجِ الشَّيْطانَ في قلبي، وأعِذْني منه ومن كلِّ سُوءٍ، فإن لك الأيْدَ والسُّلْطانَ والمُلْكَ والملكوتَ، دَهْرَ الداهرين، وأَبَدَ الآبدين، آمينَ آمينَ. قال: وأُعْطِيَ محمدٌ ﷺ آيتَيْن من كُنوزِ العَرْشِ؛ آخرَ سورةِ «البقرة»: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ إلى آخرها [البقرة: ٢٨٥، ٢٨٦].

قصة حَبْسِ الشمس على يُوشَعَ بنِ نونِ بنِ أفراييمَ بنِ يوسُفَ ابنِ يعقوبَ بنِ إسحاقَ بنِ إبراهيمَ خليلِ الرحمنِ، عليهم السلامُ

وقد كان نبيَّ بني إسرائيلَ بعدَ موسى، عليه السلامُ، وهو الذي خرجَ ببني إسرائيلَ من التِّيهِ، ودخَل بهم بيتَ المَقْدسِ بعدَ حصارٍ ومُقاتلةٍ، وكان الفتح قد يُنْجَزُ بعدَ العصرِ يومَ الجُمُعةِ، وكادت الشمسُ تَغْرُبُ ويَدْخُلُ عليهم السبتُ فلا يتَمكَّنون معه من القتالِ، فنظَر إلى الشمسِ فقال: إنكِ مأمورةٌ وأنا مأمورٌ. ثم قال: اللهم احْبِسْها عليَّ. فحبَسها اللهُ تعالى عليه حتى فتَح البلدَ ثم غرَبت.

وقد قدَّمنا في قصةٍ من قَصَصِ الأنبياءِ الحديثَ الواردَ في «صحيحِ مسلمٍ» من طريقِ عبدِ الرزاقِ، عن مَعْمرٍ، عن همامٍ، عن أبي هريرةَ، عن النبيِّ ﷺ قال: «غزا نبيٌّ من الأنبياءِ، فدَنا من القريةِ حينَ صلَّى العصرَ أو قريبًا من ذلك، فقال للشمسِ: أنتِ مأمورةٌ وأنا مأمورٌ، اللهم احْبِسْها عليَّ شيئًا». فحُبِسَت عليه حتى فتَح اللهُ عليه[1]. الحديثَ بطُولِه.

وهذا النبيُّ هو يُوشَعُ بنُ نونٍ؛ بدليلِ ما رَواه الإمامُ أحمدُ، حدَّثنا أسْوَدُ بنُ عامرٍ، حدَّثنا أبو بكرٍ، عن هشامٍ، عن محمدِ بنِ سيرينَ، عن أبي هريرةَ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إن الشمسَ لم تُحْبَسْ لبشرٍ إلا ليُوشَعَ، عليه السلامُ، لياليَ سار إلى بيتِ المقدسِ»[2]. تفَرَّد به أحمدُ، وإسنادُه على شرطِ البخاريِّ. إذا عُلِم هذا فانشقاقُ القمرِ فِلْقَتَيْن، حتى صارت فِرقةٌ من وراءِ الجبلِ - أعْني حراءَ - وأخرى من دونِه، أعْظَمُ في المُعْجِزِ من حَبْسِ الشمسِ قليلاً. وقد قدَّمنا في الدلائلِ حديثَ رَدِّ الشمسِ بعدَ غروبِها، وذكَرْنا ما قيل فيه من المَقالاتِ. فاللهُ أعلمُ.

قال شيخُنا العلَّامةُ أبو المَعالي بنُ الزَّمْلَكانيِّ: وأما حَبْسُ الشمسِ ليُوشَعَ في قتالِ الجَبَّارين، فقد انْشَقَّ القمرُ لنبيِّنا ﷺ، وانْشقاقُ القمرِ فِرْقَتَيْن أبْلَغُ من حَبْسِ الشمسِ عن مَسيرِها، وصَحَّت الأحاديثُ وتواتَرَت بانشقاقِ القمرِ، وأنه كان فِرْقةٌ خَلْفَ الجبلِ وفِرْقةٌ أمامَه، وأن رسولَ الله ﷺ

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٣١٢٤) ومسلم (١٧٤٧).

(٢) **إسناده صحيح**: رواه أحمد (٧٩٦٤).

قال: «اشهدوا»(١)، وأن قريشًا قالوا: هذا سَحَر أبصارَنا، فوردَت المسافرون وأخبَروا أنهم رأَوْه مُفْترِقًا. قال اللهُ تعالى: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ ۝ وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾.

قال: وقد حُبِسَت الشمسُ لرسول الله ﷺ مرتَين؛ إحداهما ما رَواه الطَّحاويُّ وقال: رُواتُه ثقاتٌ. وسمَّاهم وعدَّهم واحدًا واحدًا، وهو أن النبيَّ ﷺ كان يُوحَىٰ إليه ورأسُه في حِجْر عليٍّ، رضي اللهُ عنه، فلم يَرْفَعْ رأسَه حتىٰ غربَت الشمسُ، ولم يكنْ عليٌّ صلَّىٰ العصرَ، فقال رسولُ الله ﷺ: «اللهم إنه كان في طاعتك وطاعة نَبِيِّك، فارْدُدْ عليه الشمسَ». فردَّ اللهُ عليه الشمسَ حتىٰ رُئِيَتْ، فقام عليٌّ فصلَّىٰ العصرَ، ثم غربَت(٢)، والثانيةُ صَبيحةَ الإسْراء، فإنه ﷺ أخبَر قريشًا عن مَسْراه من مكةَ إلىٰ بيتِ المقدس، فسأَلوه عن أشياءَ من بيتِ المقدس، فجَلاَّه الله له حتىٰ نظَر إليه ووصَفه لهم، وسألُوه عن عِيرٍ كانت لهم في الطريق فقال: «إنها تَصِلُ إليكم مع شروق الشمس». فتأخَّرت، فحبَس اللهُ الشمسَ عن الطُّلوع حتىٰ جاءَت العيرُ. روَىٰ ذلك يونُسُ بنُ بُكَير في زياداته علىٰ «السيرة». أمَّا حديثُ ردِّ الشمس بسبب عليٍّ - رضي اللهُ عنه - فقد تقدَّم ذكْرُنا له من طريق أسماءَ بنت عُمَيْس، وهو أشهرُها، وأبي سعيدٍ وأبي هريرةَ وعليٍّ نفسه، وهو مُسْتَنْكَرٌ من جميع الوجوه، وقد مال إلىٰ القول بتَقْويته أحمد بنُ صالحٍ المصريُّ الحافظُ، وأبو جَعْفَر الطَّحاويُّ، والقاضي عياضٌ، وكذا صحَّحه جماعةٌ من العُلماء الرَّافضة كابن المُطَهَّر وذَوِيه، وردَّه وحكَم بضعفه آخرون من كِبار حُفَّاظ الحديث ونُقَّادهم، كعليِّ بنِ المَدِينيِّ، وإبراهيمَ بن يَعْقوبَ الجُوزَجانيِّ، وحكاه عن شيخه محمد ويَعْلَىٰ ابنَيْ عُبَيد الطَّنافسيَّين، وكأبي بكرٍ محمد بنِ حاتمٍ البخاريِّ المَعْروف بابن زَنْجَوَيه أحد الحُفَّاظ، والحافظِ الكبيرِ أبي القاسم بنِ عَساكرَ، وذكَره الشيخُ جمالُ الدِّين أبو الفَرَج بنُ الجَوْزيِّ في كتاب «المَوْضوعات»، وكذلك صرَّح بوَضْعه شيْخايَ الحافظان الكبيرانَ أبو الحَجَّاج المِزِّيُّ، وأبو عبد الله الذَّهَبيُّ. وأمَّا ما ذكَره يونُسُ بنُ بُكَير في زياداته علىٰ «السِّيرة» من تأخُّر طُلوع الشمس عن إبَّانِ طُلوعها، فلم يُرَ لغيره من علماءِ السِّيَر، علىٰ أن هذا ليس من الأُمورِ المُشاهَدة، وأكثرُ ما في الباب أن الراويَ رأَىٰ تأخيرَ طُلوعها ولم يُشاهِدْ حبْسَها عن وقته.

وأغرَبُ من هذا ما ذكَره ابنُ المُطَهَّر في كتابه «المِنْهاج» أنها رُدَّت لعليٍّ مرَّتين، فذكَر الحديثَ المتقدِّمَ كما ذُكِر، ثم قال: وأما الثانيةُ فلمَّا أراد أن يَعْبُرَ الفُراتَ ببابلَ، اشْتَغل كثيرٌ من أصحابه بسبب دوابِّهم، وصلَّىٰ لنفسه في طائفةٍ من أصحابه العصرَ، وفات كثيرًا منهم فتكلَّموا في ذلك، فسأَل اللهَ ردَّ الشمسِ فرُدَّت. قال: ونظَمه الحِمْيَريُّ فقال:

ردَّت عليه الشمسُ لمَّا فاته ... وقتُ الصلاة وقد دنَت للمَغْرِب
حتىٰ تَبَلَّجَ نورُها في وقتِها ... للعصرِ ثم هوَتْ هُوِيَّ الكوكبِ
وعليه قد رُدَّت ببابلَ مرةً ... أُخرَىٰ وما رُدَّت لخَلْقٍ مُغْرِبِ

وذكَر أبو نُعَيم بعدَ موسىٰ إدريسَ، عليه السلامُ، وهو عندَ كثيرٍ من المُفسِّرين من أنبياءِ بني

---
(١) صحيح: رواه البخاري (٣٦٣٦، ٣٨٦٩) ومسلم (٢٨٠٠).
(٢) منكر قاله المصنف.

إسرائيلَ، وعندَ محمدِ بنِ إسحاقَ بنِ يَسارٍ وآخرين مِن عُلماءِ النَّسَبِ قبلَ نوحٍ، عليه السلامُ، في عمودِ نسبِه إلىٰ آدمَ، عليه السلامُ، كما تقدَّم التَّنبيهُ علىٰ ذلك، فقال.

القولُ فيما أُعْطِيَ إدريسُ، عليه السلامُ، مِن الرِّفعة التي نوَّه اللهُ بذكرها فقال: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾

قال: والقولُ فيه أنَّ نبيَّنا محمدًا ﷺ أُعْطِيَ أفضلَ وأكملَ من ذلك؛ لأنَّ اللهَ تعالىٰ رفَع ذِكْرَه في الدنيا والآخرةِ فقال: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [الشرح: ٤]. فليس خطيبٌ ولا مُتشَفِّعٌ ولا صاحبُ صلاةٍ إلا يُنادي بها: أشْهَدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ، وأشهدُ أنَّ محمدًا رسولُ الله. فقرَن اللهُ اسمه باسمه في مَشارقِ الأرضِ ومغاربِها، وذلك مِفْتاحًا للصلاةِ المفروضةِ، ثم أوْرَد حديثَ ابنِ لَهِيعةَ، عن دَرَّاجٍ، عن أبي الهَيْثَم، عن أبي سعيدٍ، عن رسولِ الله ﷺ في قولِه: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾. قال: «قال جبريلُ: قال اللهُ: إذا ذُكِرْتُ ذُكِرْتَ». ورَواه ابنُ جَريرٍ وابنُ أبي حاتمٍ، مِن طريقِ دَرَّاجٍ.

ثم قال: حدَّثنا أبو أحمدَ محمدُ بنُ أحمدَ الغِطْريفيُّ، حدَّثنا موسىٰ بنُ سهلٍ الجَوْنيُّ، حدَّثنا أحمدُ ابنُ القاسمِ بنِ بَهْرامَ الهِيتيُّ، حدَّثنا نصرُ بنُ حمادٍ، عن عثمانَ بنِ عطاءٍ، عن الزهريِّ، عن أنسِ بنِ مالكٍ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لما فرَغْتُ مما أمَرني اللهُ تعالى به من أمْرِ السموات والأرض قلتُ: يا ربِّ إنه لم يكنْ نبيٌّ قَبْلي إلا قد كرَّمْتَه؛ جعَلْتَ إبراهيمَ خليلاً، وموسى كَليمًا، وسخَّرْتَ لداودَ الجبالَ، ولسليمانَ الرِّيحَ والشياطينَ، وأحْيَيْتَ لعيسى الموتى، فما جعَلْتَ لي؟ قال: أو ليس قد أعطَيْتُك أفضلَ من ذلك كلِّه، أن لا أُذْكَرَ إلا ذُكِرْتَ معي، وجعَلْتُ صُدورَ أُمَّتك أناجيلَ يقرءون القرآنَ ظاهرًا، ولم أُعْطِها أُمَّةً، وأنزَلْتُ عليك كلمةً من كُنوزِ عرشي: لا حَوْلَ ولا قوةَ إلا بالله»[1]. وهذا إسنادٌ فيه غَرابةٌ، ولكن أوْرَد له شاهدًا من طريقِ أبي القاسمِ ابنِ بنتِ مَنيعٍ البَغَويِّ، عن سليمانَ بنِ داودَ الزَّهْرانيِّ، عن حمّادِ بنِ زيدٍ، عن عطاءِ ابنِ السائبِ، عن سعيدِ بنِ جُبَيرٍ، عن ابنِ عبّاسٍ مرفوعًا بنحوِه.

وقد رَواه أبو زُرْعةَ الرازيُّ في كتابِ «دلائلِ النبوة» بسياقٍ آخرَ، وفيه انقطاعٌ، فقال: حدَّثنا هشامُ ابنُ عَمَّارٍ الدِّمشقيُّ، حدَّثنا الوليدُ بنُ مسلمٍ، حدَّثنا شُعيبُ بنُ زُرَيْقٍ، أنه سمع عطاءً الخُراسانيَّ يُحَدِّثُ عن أبي هريرةَ وأنسِ بنِ مالكٍ، عن النبيِّ ﷺ عن حديثِ ليلةِ أُسْرِيَ به، قال: «فأراني اللهُ من آياته فوجَدْنا ريحًا طيبةً فقلتُ: ما هذا يا جبريلُ؟ قال: هذه الجنةُ تقولُ: يا ربِّ ائْتِني بأهلي. قال اللهُ تعالى: أنا اللهُ لا إلهَ إلا أنا، لك ما وعدتُك، كلُّ مؤمنٍ ومؤمنةٍ لم يتَّخذْ من دُوني أندادًا، ومَن أقرَضَني جزَيْتُه، ومَن توكَّل عليَّ كفَيْتُه، ومَن سألَني أعطَيْتُه ولا يَنْقُصُ نَفَقَتي، ولا يَنْقُصُ ما يتَمَنَّى، لك ما وعَدْتُك، فنعْم دارُ المتقين أنت. قالت: رَضِيتُ. فلما انتهَيْنا إلى سِدْرةِ المُنْتَهى خرَرْتُ ساجدًا فرفَعْتُ رأسي فقلتُ: يا ربِّ اتخَذْتَ

(١) إسناده فيه غرابة.

إبراهيمَ خليلاً، وكلَّمتَ موسى تكليمًا، وآتيتَ داودَ زبورًا، وآتيتَ سليمانَ مُلكًا عظيمًا. قال: فإنِّي قد رفعتُ لك ذكرَك تُذكرُ معي إذا ذُكرتُ، ولا تجوزُ لأمَّتك خُطبةٌ حتى يشهَدوا أنك رسولي، وجعلتُ قلوبَ أمَّتك أناجيلَ، وآتيتُك خَواتيمَ سورةِ البقرةِ من تحتِ عرشي» (١) .

ثم روَىٰ مِن طريقِ الرَّبيعِ بنِ أنسٍ، عن أبي العاليةِ، عن أبي هريرةَ حديثَ الإسراءِ بطوله، كما سُقْناه مِن طريقِ ابنِ جريرٍ في «التفسيرِ». وقال أبو زُرْعةَ في سياقِه: ثم لقِيَ أرْواحَ الأنبياءِ، عليهم السلامُ، فأثْنَوا علىٰ ربِّهم، عز وجل، فقال إبراهيمُ: الحمدُ للهِ الذي اتَّخَذني خليلاً، وأعْطاني مُلْكًا عظيمًا، وجعَلني أُمَّةً قانتًا للهِ يُؤْتَمُّ بي، وأنقَذني مِن النارِ، وجعَلها عليَّ بَرْدًا وسَلامًا. ثم إنَّ موسىٰ أثْنَىٰ علىٰ ربِّه فقال: الحمدُ للهِ الذي كلَّمني تكليمًا، واصْطفاني برسالته وبكلامه، وقرَّبني نَجِيًّا، وأنزل عليَّ التَّوراةَ، وجعَل هَلاك فرعونَ علىٰ يَدَيَّ، ونَجاةَ بني إسرائيلَ علىٰ يَدَيَّ. ثم إنَّ داودَ أثْنَىٰ علىٰ ربِّه فقال: الحمدُ للهِ الذي جعَلني مَلِكًا وأنزل عليَّ الزَّبورَ، والان ليَ الحديدَ، وسخَّر ليَ الجبالَ يُسَبِّحْنَ معيَ والطيرَ، وآتانيَ الحكمةَ وفَصْلَ الخطابِ. ثم إنَّ سليمانَ أثْنَىٰ علىٰ ربِّه فقال: الحمدُ للهِ الذي سخَّر ليَ الرياحَ والجنَّ والإنسَ، وسخَّر ليَ الشياطينَ يعْمَلون لي ما شئتُ من مَحاريبَ وتَماثيلَ وجِفانٍ كالجَوابِ وقُدورٍ راسياتٍ، وعلَّمني مَنْطقَ الطَّيرِ، وأسال لي عَينَ القِطْرِ، وأعْطاني مُلْكًا لا ينْبغي لأحدٍ مِن بعدي. ثم إن عيسىٰ، عليه السلامُ، أثْنَىٰ علىٰ ربِّه، عز وجل، فقال: الحمدُ للهِ الذي علَّمني التوراةَ والإنجيلَ، وجعَلني أُبرِئُ الأكْمهَ والأبْرصَ وأُحْيي الموتَىٰ بإذنِ اللهِ ورفَعني وطهَّرني مِن الذين كَفروا، وأعاذني مِن الشيطانِ الرجيمِ، فلم يكُنْ للشيطانِ علينا سبيلٌ. ثم إنَّ محمدًا ﷺ أثْنَىٰ علىٰ ربِّه فقال: **«كلُّكم أثْنَى على ربِّه، وأنا مُثْنٍ على ربِّي؛ الحمدُ لله الذي أرْسَلني رحمةً للعالمين، وكافَّةً للناسِ بَشيرًا ونَذيرًا، وأنزل عليَّ الفُرْقانَ فيه بيانُ كلِّ شيءٍ، وجعَل أمَّتي خيرَ أمةٍ أُخْرِجت للناسِ، وجعَل أمتي أُمَّةً وَسَطًا، وجعَل أمَّتي هم الأوَّلِين وهم الآخِرين، وشرَح لي صَدْري، ووضَع عني وِزْري، ورفَع لي ذكْري، وجعَلني فاتحًا وخاتمًا»**. فقال إبراهيمُ: بهذا فضَلَكم محمدٌ ﷺ (٢) .

ثم أوْرَد أبو نُعيمٍ الحديثَ المتقدمَ فيما رَواه الحاكمُ والبيهقيُّ مِن طريقِ عبدِ الرحمنِ بنِ زيدِ بنِ أسلمَ، عن أبيه، عن جدِّه، عن عمرَ بنِ الخطابِ مرفوعًا في قولِ آدمَ: **«يا ربِّ أسألُك بحقِّ محمد لَمَّا غفَرْتَ لي. فقال اللهُ: وما أدْراك ولم أخْلُقْه بعدُ؟ فقال: لأني رأيْتُ مكتوبًا مع اسمك على ساقِ العرشِ: لا إلهَ إلا اللهُ محمدٌ رسولُ الله. فعرَفْتُ أنك لم تكنْ تضيفُ إلى اسمك: إلا أحبَّ الخلقِ إليك. فقال اللهُ: صدَقْتَ يا آدمُ، ولولا محمدٌ ما خلَقْتُك»** (٣) ، وقال بعضُ الأئمة: رفَع اللهُ ذكْرَه، ونوَّه باسْمِه في الأوَّلِين والآخِرين، وكذلك يَرْفَعُ قَدْرَه ويُقيمُه مُقامًا محمودًا يومَ القيامةِ، يَغْبِطُه به الأوَّلون والآخِرون، ويَرْغَبُ إليه الخَلْقُ كلُّهم حتىٰ إبراهيمُ الخَليلُ (٤) ، كما ورَد في «صحيحِ مسلمٍ» فيما

---

(١) **لم أقف عليه من هذا الوجه** وقد أعله المصنف بالانقطاع.
(٢) **إسناده ضعيف**: رواه البيهقي في «الدلائل» (٢/ ٣٩٧) وفيه أبو جعفر الرازي فيه ضعف.
(٣) **موضوع وقد تقدم.**
(٤) **صحيح وقد تقدم.**

سلَف، وسيأتي أيضًا.

فأمَّا التَّنويهُ بذكْرِه في الأُمَمِ الخالية، والقرونِ السالفة، ففي «صحيح البخاري» وغيرِه عن ابنِ عباسٍ قال: ما بعَثَ اللهُ نبيًّا إلا أخَذَ عليه الميثاقَ لئن بُعِث محمدٌ وهو حيٌّ ليُؤْمِنَنَّ به وليَتَّبِعَنَّه ولَيَنْصُرَنَّه، وأمَرَه أن يأخُذَ على أُمَّته العهدَ والميثاقَ؛ لئن بُعِث محمدٌ وهم أحْياءٌ ليُؤْمِنُنَّ به وليَتْبَعُنَّه[1].

وقد بَشَّرَت بوجوده الأنبياءُ حتى كان آخِرَ مَن بشَّر به عيسى ابنُ مريمَ خاتَمُ أنبياءِ بني إسرائيلَ، وكذلك بَشَّرَت به الأحْبارُ والرُّهْبانُ والكُهَّانُ، كما قدَّمْنا ذلك مُبْسوطًا، ولمَّا كانت ليلةُ الإسْراءِ رُفِع من سماءٍ إلى سماءٍ حتى سلَّم على إدْريسَ، عليه السلامُ، وهو في السماءِ الرابعةِ، ثم جاوَزه إلى الخامسةِ، ثم إلى السادسةِ، فسلَّم على موسى بها، ثم جاوَزه إلى السابعةِ فسلَّم على إبراهيمَ الخليلِ بها عندَ البيتِ المعمورِ، ثم جاوَز ذلك المَقامَ، فرُفِع لمُسْتَوًى يَسْمعُ فيه صَريفَ الأقْلامِ، وجاء سِدْرَةَ المُنتَهَى، ورأى الجَنَّةَ والنارَ وغيرَ ذلك من الآياتِ الكُبْرَى، وصلَّى بالأنبياءِ، وشَيَّعه من كلِّ سماءٍ مُقَرَّبوها، وسلَّم عليه رِضْوانُ خازنُ الجِنانِ، ومالكٌ خازنُ النارِ، فهذا هو الشَّرَفُ، وهذه هي الرِّفْعةُ، وهذا هو التَّكْريمُ والتَّنْويهُ والإشْهارُ والتقديمُ والعُلُوُّ والعَظَمةُ، صلواتُ اللهِ وسلامُه عليه وعلى سائرِ أنبياءِ اللهِ أجْمَعين.

وأما رَفْعُ ذِكْرِه في الآخِرين، فإن دينَه باقٍ ناسخٌ لكلِّ دينٍ، ولا يُنْسَخُ هو أبَدَ الآبِدين ودهْرَ الداهِرين إلى يومِ الدِّين، ولا تَزالُ طائفةٌ من أُمَّته ظاهرِين على الحقِّ، لا يضُرُّهم مَن خذَلَهم ولا مَن خالَفَهم حتى تقومَ الساعةُ، والنِّداءُ بالأذانِ في كلِّ يومٍ خمْسَ مراتٍ على كلِّ مكانٍ مُرْتفعٍ من الأرضِ: أشْهَدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ، وأشْهَدُ أن محمدًا رسولُ اللهِ. وهكذا كلُّ خطيبٍ يَخْطُبُ لابدَّ من أن يَذْكُرَه في خُطْبته، وما أحْسنَ قولَ حَسَّانَ:

أغَرُّ عليه للنبوة خاتَمٌ ... من اللهِ مَشْهودٌ يَلوحُ ويَشْهَدُ
وضَمَّ الإلهُ اسمَ النبيِّ إلى اسمِه ... إذا قال في الخمسِ المُؤَذِّنُ أشْهَدُ
وشَقَّ له مِن اسمِه ليُجِلَّه ... فذو العرشِ محمودٌ وهذا محمدُ

وقال الصَّرْصَرِيُّ، وهو حَسَّانُ وقتِه:

لا يَصِحُّ الأذانُ في الفرضِ إلاَّ ... باسمِه العَذْبِ في الفمِ المَرْضيِّ

وقال أيضًا:

ألم تَرَ أنَّا لا يَصِحُّ أذانُنا ... ولا فَرْضُنا إن لم نُكَرِّرْه فيهما

---

(١) لم أقف عليه عند البخاري.

القولُ فيما أوتي داود، عليه السلامُ

قال اللهُ تعالى: ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهُ أَوَّابٌ﴾ [ص: ١٧-١٩]. وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلاً يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [سبأ: ١٠، ١١].

وقد ذكَرْنا في قصته، عليه السَّلامُ، وفي «التفسير»، طِيبَ صوته، عليه السلامُ، وأنَّ اللهَ تعالى كان قد سَخَّر له الطيرَ تُسَبِّحُ معه، وكانت الجبالُ أيضًا تُجيبُه وتُسَبِّحُ معه، وكان سريعَ القراءة؛ كان يأمُرُ بدوابِّه فتُسْرَجُ فيَقْرَأُ الزَّبورَ مِقْدارَ ما يُفْرَغُ من شأنها ثم يَرْكَبُ، وكان لا يَأْكُلُ إلا من كَسْبِ يده، صلواتُ الله وسلامُه عليه، وقد كان نبيُّنا ﷺ حَسَنَ الصوت طَيِّبَه؛ بتلاوة القرآن. قال جبيرُ بنُ مُطْعِمٍ: قرأ رسولُ الله ﷺ في المغرب بالتِّين والزَّيتون، فما سمعْتُ صوتًا أطْيَبَ من صوته ﷺ[1]. وكان يَقْرَأُ تَرْتيلاً كما أمَره اللهُ عز وجل بذلك. وأما تَسْبيحُ الطَّيرِ مع داودَ، فتَسْبيحُ الجبالِ الصُّمِّ الجَمادِ أعْجبُ من ذلك، وقد تقَدَّم في الحديث أنَّ الحَصا سبَّح في كَفِّ رسولِ الله ﷺ. قال ابنُ حامدٍ: وهذا حديثٌ مَعْروفٌ مَشْهورٌ. وكانت الأحْجارُ والأشْجارُ والمَدَرُ تُسَلِّمُ عليه ﷺ.

وفي «صحيح البخاريِّ»، عن ابن مسعودٍ قال: لقد كنا نَسْمَعُ تَسْبيحَ الطَّعامِ وهو يُؤْكَلُ[2]. يعني بينَ يدي النبيِّ ﷺ. وكلَّمه ذِراعُ الشاة المَسْمومة، وأعْلَمه بما فيه من السُّمِّ، وشَهِدت بنبوته الحَيواناتُ الإنْسيَّةُ والوَحْشيةُ، والجَماداتُ أيضًا، كما تقَدَّم بَسْطُ ذلك كلِّه، ولا شكَّ أنَّ صُدورَ التَّسْبيح من الحَصا الصِّغارِ الصُّمِّ التي لا تَجاويفَ فيها أعْجبُ من صُدورِ ذلك من الجبال، لما فيها من التَّجاويف والكُهوف، فإنها وما شاكَلها تُرَدِّدُ صَدَىٰ الأصْوات العالية غالبًا، كما كان عبدُ الله بنُ الزُّبَيْرِ إذا خطَبَ - وهو أميرُ المُؤمنينَ - بالحَرَمِ الشَّريف، تُجاوِبُه الجِبالُ؛ أبو قُبَيْسٍ وزَرْوَرٌ، ولكن من غير تَسْبيحٍ، فإنَّ ذلك من مُعْجِزاتِ داودَ، عليه السلامُ، ومع هذا فتَسْبيحُ الحَصا في كَفِّ رسولِ الله ﷺ وأبي بكرٍ وعمرَ وعثمانَ أعْجَبُ.

وقال أبو نُعيم: فإنْ قيل: سُخِّرَت له الطيرُ. فقد سُخِّرت لرسولِ الله ﷺ مع الطيرِ البهائمُ العظيمةُ؛ الإبلُ فما دُونها، وما هو أعسرُ وأصعبُ من الطيرِ؛ السِّباعُ العاديةُ الضاريةُ، تَتَهَيَّبُه وتَنْقادُ إلى طاعَته، كالبعيرِ الشَّاردِ الذي سجَد له، والذئبِ الذي نطَق بنُبوَّته والتصديقِ بدعوته ورسالته. وقد تقدمَت أسانيدُ ذلك كلِّه.

وأمَّا أكْلُ داودَ من كَسْبِ يده، فقد كان رسولُ الله ﷺ يَأْكُلُ من كَسْبِه أيضًا، كما كان يَرْعَىٰ غنمًا لأهلِ مكةَ على قراريطَ، وقال: «ما من نبيٍّ إلا وقد رعَى الغنمَ». وخرَج إلى الشامِ في تجارةٍ لخديجةَ

---

(١) رواه البخاري (٤٦٤) من حديث البراء بن عازب قال: سمعت النبي ﷺ قرأ في العشاء بالتين والزيتون فما سمعت أحدًا أحسن صوتًا منه.

(٢) صحيح وقد تقدم.

مُضـارِبةً، وقـال اللهُ تعـالى: ﴿وَقَالُوا مَا لِهَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الأَسْوَاقِ لَوْلا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوْ يُلْقَىٰ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ رَجُلاً مَّسْحُورًا ﴿٨﴾ انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلاً﴾ إلى قوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الأَسْوَاقِ﴾ [الفرقان: ٧-٢٠]. أي للتَّكسُّب والتِّجارة طَلَبًا للربح الحلال. ثم لمَّا شرَعَ اللهُ له الجهادَ بالمدينة، كان يأكُلُ مما أباح له من المَغانم التي لم تُبَحْ لنبيٍّ قبلَه، ومما أفاء اللهُ عليه من أموالِ الكُفَّار التي أُبيحت له دونَ غيره، كما جاء في «المسند» و«الترمذي» عن ابن عمرَ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «بُعثتُ بالسيف بينَ يدَي الساعة حتى يُعبَدَ اللهُ وحدَه لا شريكَ له، وجُعل رزقي تحتَ ظلِّ رُمحي، وجُعل الذلَّةُ والصَّغارُ على مَن خالَف أمري، ومَن تشبَّهَ بقومٍ فهو منهم»[1] .

وأمّا إلانة الحَديد لداودَ، عليه السَّلامُ، فقد كان من المعْجزات الباهرات؛ كان الحديدُ يَلينُ في يَدَيْه من غـيـرِ نارٍ، كـمـا يَلينُ العَـجينُ في يده، فكان يَصْنَعُ منه هـذه الدُّروعَ الدَّاوُديَّةَ، وهي الزَّرَديَّاتُ السَّابغاتُ، وأمَره اللهُ تعالى بكَيفيَّة عملِها، ﴿وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ﴾ [سبأ: ١١]، أي: ألاَّ تُدقَّ المسْمارَ فيَقْلَقَ، ولا تُغَلِّظُه فيَفْصِمَ، كما جاء في البخاريِّ. وقال تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنتُمْ شَاكِرُونَ﴾ [الأنبياء: ٨٠]. وقد قال بعضُ الشعراءِ في مُعْجزاتِ النُّبوَّة:

نَسْجُ داودَ ما حمَى صاحبَ الغا ... رِ وكانَ الفَخارُ للعنكبوتِ

والمقصودُ المُعْجزُ في إلانة الحديد، وقد تقدَّم في السيرة عندَ ذكرِ حفْرِ الخندقِ عامَ الأحْزابِ في سنة أربع -وقيل خمس- أنهم عرَضَت لهم كُدْيَةٌ، وهي الصخرةُ في الأرض، فلم يقْدِروا على كَسْرها ولا شيءٍ منها، فقام إليها رسولُ الله ﷺ، وقد ربَط حجرًا على بطنه من شدة الجوع، فضربَها ثلاثَ ضَرَباتٍ، لَمعت الأولى حتى أضاءت له منها قصورُ الشام، وبالثانية قصورُ فارسَ، وبالثالثة قصورُ صنْعاءَ، ثم انثالت الصَّخرةُ كأنَّها كَثيبٌ أَهْيَلُ من الرَّمْلِ، ولا شك أنَّ لِينَ الصخورِ التي لا تَنْفَعِلُ ولا بالنار أعْجَبُ من لينِ الحديدِ الذي إذا حَمِيَ لان، كما قال بعضُهم:

فلو أنَّ ما عاينْتُ لينَ فُؤادِها ... بنفسي لَلانَ الجندلُ والجَندلُ الصخرُ

فلو كان شيءٌ أشدَّ قَسْوةً من الصَّخْرِ لَذَكَره هذا الشاعرُ المُبالغُ. وقال اللهُ تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ الآية [البقرة: ٧٤]. وأما قولُه تعالى: ﴿قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ﴾ [الإسراء: ٥٠، ٥١]. فذاك التَّرقِّي لمعنًى آخرَ ذُكر في «التفسير»، وحاصلُه أنَّ الحديدَ أشدُّ امتناعًا في الساعة الراهنة من الحجرِ ما لم يُعالَجْ، فإذا عُولج انفعَل الحديدُ ولا ينْفَعِلُ الحَجَرُ. واللهُ أعلمُ.

وقال أبو نُعيم: فإن قيل: فقد لَيَّن اللهُ لداودَ، عليه السلامُ، الحديدَ حتى سرَد منه الدُّروعَ السَّوابغَ. قيل: لُيِّنَت لمحمدٍ ﷺ الحجارةُ وصُمُّ الصخورِ، فعادت له غارًا استَتَر به من المشركين يومَ

(١) **إسناده صحيح:** رواه أحمد (١٤٨٦٩).

أُحُد؛ مال برأسه إلى الجبل ليُخفيَ شخصَه عنهم، فَلينَ اللهُ له الجبلَ حتى أدْخَل فيه رأسَه، وهذا أعْجَبُ؛ لان الحديدَ تُليِّنُه النارُ، ولم نَرَ النارَ تُليِّنُ الحَجَرَ. قال: وذلك بعدُ ظاهرٌ باقٍ يراه الناسُ. قال: وكذلك في بعض شعابِ مكةَ حجرٌ من جبلٍ أصَمَّ، اسْتَرْوح في صلاته إليه، فَلان له الحَجرُ حتى أثَّر فيه بذراعَيه وساعدَيه، وذلك مشهورٌ يَقْصدُه الحُجَّاجُ ويَرَونه، وعادت الصخرةُ لَيلةَ أُسْرِيَ به كهيئة العَجين، فربَط بها دابتَه البُراقَ، يلْمَسُه الناسُ، إلى يومنا هذا باقٍ.

وهذا الذي أشار إليه من يوم أُحُدٍ وبعضِ شعابِ مكةَ غريبٌ جــدًّا، ولعله قد أسْنَده هو فيـما سلَف، وليس ذلك بمعروفٍ في السيرِ المشهورة. وأمَّا ربْطُ الدابَّة في الحَجَرِ فصحيحٌ، والذي ربَطها جبريلُ كما هو في «صحيح مسلم» رحمه اللهُ.

وأما قـولُه تعالى: ﴿وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ﴾ [ص: ٢٠]. فقد كانت الحكمةُ التي أُوتيَها محمدٌ ﷺ والشِّرْعةُ التي شُرِعَت له أكملَ من كلِّ حكمةٍ وشِرْعةٍ كانت لمن قبلَه من الأنبياء، صلواتُ الله عليه وعليهم أجمعين، فإنَّ اللهَ جَمَع له مَحاسنَ مَن كان قبلَه، وفضَّله، وأكمل له وآتاه ما لم يُؤْتِ أحدًا قبلَه، وقد قال صلواتُ الله وسلامُه عليه: «أُوتيتُ جَوامعَ الكَلِم، واخْتُصِرَت ليَ الحكمةُ اختصارًا». ولا شكَّ أنَّ العربَ أفصحُ الأُمَم، وكان رسولُ الله ﷺ أفْصَحَهم نُطقًا، وأجْمَعَ لكلِّ خُلُقٍ جميلٍ مُطلقًا.

القولُ فيما أوتيَ سليمانُ بنُ داودَ عليه السلامُ

قال اللهُ تعالى: ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ﴾ [ص: ٣٦-٤٠]. وقال تعالى: ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ ﴿٨١﴾ وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ﴾ [الأنبياء: ٨١، ٨٢]. وقال تعالى: ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٢، ١٣]. وقد بسَطْنا ذلك في قصته، وفي «التفسير» أيضًا.

وفي الحديث الذي رواه الإمامُ أحمدُ وصحَّحه الترمذيُّ وابنُ ماجه وابنُ حبانَ والحاكمُ في «مُستدركه»، عن عبد الله بن عمرو، عن النبيِّ ﷺ، أن سليمانَ، عليه السلامُ، لَمَّا فرَغ من بناء بيت المقدسِ سألَ اللهَ خلالًا ثلاثًا؛ سأَل اللهَ حُكمًا يُوافقُ حُكْمَه، ومُلْكًا لا ينْبَغي لأحدٍ من بعده، وأنه لا يأتي هذا المسجدَ أحدٌ إلا خرَج من ذنوبِه كيومَ وَلَدتْه أمُّه(١).

(١) إسناده قابل للتحسين: رواه ابن ماجه (١٤٠٨).

أما تَسْخيرُ الريح لسليمانَ فقد قال اللهُ تعالىٰ في شأن الأحزاب: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ [الأحزاب: ٩].

وقد تقدَّم في الحديث الذي رواه مسلمٌ من طريق شعبةَ، عن الحكم، عن مجاهد، عن ابن عباس، أن رسولَ الله ﷺ قال: «نُصِرْتُ بالصَّبا وأُهْلكَت عادٌ بالدَّبور»[1]. ورواه مسلمٌ من طريق الأعمش، عن مسعود بن مالك، عن سعيد بن جُبَير، عن ابن عباس، عن النبيِّ ﷺ، مثلَه. وثبت في «الصحيحَيْن»: «نُصِرْتُ بالرُّعب مَسيرةَ شَهر»[2]. ومعنى ذلك أنه ﷺ كان إذا قصَد قتالَ قوم من الكُفَّار، ألقىٰ اللهُ الرُّعْبَ في قلوبهم منه قبلَ وصوله إليهم بشهر، ولو كان مَسيرُه شهرًا، فهذا في مُقابلة: ﴿غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ﴾. بل هذا أبلغُ في التمكين والنصر والتأييد والظَّفَر، وسُخِّرَت له الرياحُ تَسُوقُ السَّحابَ لإنزال المطر الذي امْتَنَّ اللهُ به حينَ استَسْقىٰ رسولُ الله ﷺ لأصحابه في غير ما موطن، كما تقدم. وقال أبو نُعيم: فإن قيل: فإن سليمانَ سُخِّرَت له الريحُ فسارت به في بلاد الله، وكان غُدُوُّها شهرًا ورَواحُها شهرًا. قيل: ما أُعْطيَ محمدٌ ﷺ أعْظمُ وأكْبَرُ؛ لأنه سار في ليلة واحدة من مكةَ إلىٰ بيت المقدس مَسيرةَ شهر، وعُرِج به في مَلَكوت السَّموات مَسيرةَ خمسين ألفَ سنة في أقلِّ من ثُلُث ليلة، فدخل السموات سماءً سماءً، ورأىٰ عَجائبَها، ووقف علىٰ الجنة والنار، وعُرِض عليه أعمالُ أُمَّته، وصلَّىٰ بالأنبياء وبملائكة السموات، واختَرق الحُجُبَ، وهذا كلُّه في ليلة، فأيُّما أكبرُ وأعْجبُ؟!

وأما تَسْخيرُ الشَّياطين بينَ يديه تَعْمَلُ ما يَشاءُ من مَحاريبَ وتَماثيلَ وجِفان كالجَواب وقُدور راسيات، فقد أنزَل اللهُ الملائكةَ المقَرَّبين لنُصْرة عبده ورسوله محمد في غير ما مَوْطن؛ يومَ بدر وأحد ويومَ الأحزاب ويومَ حنين، كما تقدَّم ذكرُنا ذلك مُفَصَّلاً في مَواضعه. وذلك أعْظمُ وأبهرُ وأجَلُّ وأعلىٰ من تَسْخير الشَّياطين. وقد ذكَر ذلك ابنُ حامد في كتابه.

وفي «الصحيحَيْن» من حديث شعبةَ، عن محمد بن زياد، عن أبي هريرةَ، عن النبيِّ ﷺ قال: «إنَّ عفريتًا من الجنِّ تفلَّت عليَّ البارحةَ - أو كلمةً نحوَها - ليَقْطَعَ عليَّ الصلاةَ فأمْكَنَني اللهُ منه، فأرَدْتُ أن أرْبطَه إلى سارية من سَواري المسجد حتى تُصْبحوا وتَنْظُروا إليه، فذكَرْتُ دَعْوةَ أخي سليمانَ: ربِّ اغفرْ لي وهَبْ لي مُلْكًا لا يَنْبَغي لأحد من بعدي»[3]. قال رَوْحٌ: فردَّه اللهُ خاسئًا. لفظُ البخاريِّ.

ولمسلم عن أبي الدَّرْداء نحوُه، قال: «ثم أرَدْتُ أخْذَه، والله لولا دعوةُ أخينا سليمانَ لأصْبَح مُوثَقًا يَلعَبُ به وِلْدانُ أهل المدينة»[4].

---

(١) **صحيح وقد تقدم.**

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٤٣٨) ومسلم (٥٢١).

(٣) **صحيح**: رواه البخاري (١٢١٠) ومسلم (٥٤١).

(٤) **سنده حسن**: رواه الإمام أحمد (١١٣٥٤).

وقد روى الإمامُ أحمدُ بسندٍ جيِّدٍ عن أبي سعيدٍ، أن رسولَ الله ﷺ قام يُصلِّي صلاةَ الصبح وهو خلفَه، فقرأ فالتبَستْ عليه القراءةُ، فلمّا فرَغ من صلاته قال: «لو رأيتُموني وإبليسَ، فأهويتُ بيدي، فما زلتُ أخنُقُه حتى وجَدْتُ بَرْدَ لُعابه بين أُصبُعَيَّ هاتين - الإبهام والتي تليها - ولولا دعوةُ أخي سليمانَ لأصبحَ مَرْبوطًا بساريةٍ من سَواري المسجد يتلاعَبُ به صبيانُ المدينة»[1] .

وقد ثبَت في الصِّحاحِ والحِسانِ والمَسانيدِ أن رسولَ الله ﷺ قال: «إذا دخَل شهرُ رمضانَ فُتِّحت أبوابُ الجنة وغُلِّقت أبوابُ النار وصُفِّدت الشياطينُ»[2] . وفي روايةٍ: «مَرَدةُ الجنِّ». فهذا من بركة ما شرَعه اللهُ له من صيامِ شهرِ رمضانَ وقيامِه، وسيأتي عندَ إبراءِ الأكمهِ والأبرصِ من مُعجزاتِ المسيحِ عيسى ابنِ مريمَ، عليه السلامُ، دعاءُ رسولِ الله ﷺ لغيرِ ما واحدٍ ممَّن به لَممٌ من الجنِّ فشُفيَ وفارقهم؛ خوفًا منه، ومَهابةً له، وامتثالاً لأمرِه، صلواتُ الله وسلامُه عليه، وقد بعَث اللهُ نفرًا من الجنِّ يستمِعون القرآنَ، فآمَنوا به وصدَّقوه، ورجَعوا إلى قومِهم، فدعَوْهم إلى دينِ محمدٍ وحذَّروهم مُخالفتَه؛ لأنه كان مبعوثًا إلى الإنسِ والجنِّ، فآمَنت طوائفُ من الجنِّ كثيرةٌ كما ذكَرْنا، ووفَدت إليه منهم وفودٌ كثيرةٌ، وقرأ عليهم سورةَ «الرَّحمنِ»، وخبَّرهم بما لمَن آمَن منهم من الجنانِ، وما لمَن كفَر من النِّيرانِ، وشرَع لهم ما يأكُلون وما يُطعِمون دوابَّهم، فدلَّ على أنه بيَّن لهم ما هو أهمُّ من ذلك وأكبرُ.

وقد ذكَر أبو نُعيمٍ ههنا حديثَ الغُولِ التي كانت تَسْرِقُ التمرَ من جماعةٍ من أصحابِه ﷺ، ويُريدون إحضارَها إليه فتَمتَنعُ كلَّ الامتناعِ؛ خوفًا من المُثولِ بينَ يديه، ثم افتَدت منهم بتعليمهم قراءةَ آيةِ الكُرسيِّ التي لا يَقرَبُ قارئَها الشيطانُ، وقد سُقْنا ذلك بطرقِه وألفاظِه عندَ تفسيرِ آيةِ الكرسيِّ من كتابِنا «التفسيرِ» ولله الحمدُ. والغُولُ هي الجنُّ المُتبدِّي بالليلِ في صورةٍ مُرعبةٍ.

وذكَر أبو نُعيمٍ ههنا حمايةَ جبريلَ له، عليه السلامُ، غيرَ ما مرَّةٍ من أبي جهلٍ، كما ذكَرْنا في السيرةِ، وذكَر مُقاتَلةَ جبريلَ وميكائيلَ عن يمينِه وشمالِه يومَ أُحدٍ.

وأما ما جمَع اللهُ تعالى لسليمانَ من النبوةِ والمُلْكِ كما كان أبوه من قبلِه، فقد خيَّر اللهُ عبدَه محمدًا ﷺ بينَ أن يكونَ مَلِكًا نبيًّا أو عبدًا رسولاً، فاستشار جبريلَ في ذلك، فأشار إليه وعليه أن يَتواضعَ، فاختار أن يكونَ عبدًا رسولاً. وقد رُويَ ذلك من حديثِ عائشةَ وابنِ عباسٍ، ولا شكَّ أن مَنصِبَ الرسالةِ أعلى، وقد عُرِضَت على نبيِّنا ﷺ كُنوزُ الأرضِ فأباها، قال: «ولو شئتُ لأجرَى اللهُ معي جبالَ الأرضِ ذهبًا، ولكن أجوعُ يومًا وأشبَعُ يومًا». وقد ذكَرْنا ذلك كله بأدلته وأسانيده في «التفسيرِ» وفي السيرةِ أيضًا، ولله الحمدُ والمنةُ.

وقد أورَد الحافظُ أبو نُعيمٍ ههنا طرَفًا منها؛ من حديثِ عبدِ الرزاقِ، عن معمرٍ، عن الزهريِّ، عن

---

(١) **سنده حسن**: رواه الإمام أحمد (١١٣٥٤).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (١٠٧٩) والترمذي (٦٨٢) وابن ماجه (١٦٤٢).

سعيد وأبي سلمة، عن أبي هريرة قال: قال رسولُ الله ﷺ: «بينا أنا نائمٌ إذ جيء بمفاتيح خزائن الأرض فجُعلت في يدي»[1]. ومن حديث الحسين بن واقد، عن أبي الزبير، عن جابر مرفوعًا: «أوتيتُ مفاتيحَ خزائن الدنيا على فرس أبلقَ جاءني به جبريلُ، عليه قطيفةٌ من سُندُس». ومن حديث القاسم، عن أبي أُمامةَ مرفوعًا: «عرَض عليَّ ربي ليجعَلَ لي بطحاءَ مكةَ ذهبًا فقلتُ: لا يا ربِّ، ولكن أشبَعُ يومًا وأجوعُ يومًا، فإذا جُعْتُ تضرَّعْتُ إليك وذكرتُك، وإذا شبِعتُ حمدتُك وشكرتُك»[2].

قال أبو نُعيم: فإن قيل: سليمانُ، عليه السلامُ، كان يَفْهَمُ كلامَ الطيرِ والنَّمْلة، كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ﴾ الآية [النمل: ١٦]. وقال: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا﴾ الآية [النمل: ١٨، ١٩]. قيل: قد أُعطيَ محمدٌ ﷺ مثلَ ذلك وأكثرَ منه، فقد تقدَّم ذكرُنا لكلام البهائم والسِّباع وحنين الجذع ورُغاء البعير وكلام الشجر وتسبيح الحصا والحجر، ودُعائه إياه واستجابته لأمره، وإقرار الذئب بنُبوَّته، وتسخير الطير لطاعته، وكلام الظَّبية وشكواها إليه، وكلام الضَّبِّ وإقراره بنُبوَّته، وما في معناه. كلُّ ذلك قد تقدَّم ذكرُه في الفُصول بما يُغني عن إعادته. انتهى كلامُه.

قلتُ: وكذلك أخبَره ذراعُ الشاة بما فيه من السُّمِّ، وكان ذلك بإقرار مَن وضَعه فيه من اليهود، وقال: إن هذه السَّحابةَ لتَستَهِلُّ بنصرك يا عمرَو بنَ سالم - يعني الخُزاعيَّ - حينَ أنشَده تلك القصيدةَ يستَعْديه فيها على بني بكر الذين نقضوا صلحَ الحُدَيبية، وكان ذلك سببَ فتح مكةَ، كما تقدم.

وقال صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: «إني لأعرفُ حجرًا كان يُسلِّمُ عليَّ بمكة قبلَ أن أُبعَثَ، إني لأعرفُه الآنَ». فهذا إن كان كلامًا مما يليقُ بحاله، ففهِم عنه الرسولُ ﷺ ذلك، فهو من هذا القبيل وأبلَغُ؛ لأنه جمادٌ بالنسبة إلى الطير والنمل؛ لأنهما من الحيوانات ذوات الأرواح، وإن كان سلامًا نُطقيًّا، وهو الأظهرُ، فهو أعجبُ من هذا الوجه أيضًا، كما قال عليٌّ: خرجْتُ مع رسول الله ﷺ في بعض شِعاب مكةَ، فما مرَّ بحجر ولا شجر ولا مَدَر إلا قال: السلامُ عليك يا رسولَ الله. فهذا النُّطقُ سمِعه رسولُ الله ﷺ وعليٌّ، رضي اللهُ عنه.

ثم قال أبو نُعيم: حدَّثنا أحمدُ بنُ محمد بن موسى العَنْبريُّ، حدَّثنا أحمدُ بنُ محمد بن يوسفَ، حدَّثنا إبراهيمُ بنُ سُوَيد الجُذُوعيُّ، حدَّثنا عبدُ الله بنُ أُذَينةَ الطائيُّ، عن ثَور بن يزيدَ، عن خالد بن مَعْدانَ، عن مُعاذ بن جبل قال: أتى النبيَّ ﷺ وهو بخيبرَ حمارٌ أسودُ، فوقَف بينَ يديه فقال: «مَن أنت؟» فقال: أنا عمرُو بنُ فلان، كنا سبعةَ إخوة، كلُّنا ركِبَنا الأنبياءُ، وأنا أصغرُهم، وكنت لك، فملَكني رجلٌ من اليهود، وكنتُ إذا ذكرتُك كبَوْتُ به فيُوجِعُني ضربًا. فقال النبيُّ ﷺ: «فأنت

---

(١) **صحيح:** رواه مسلم (٥٢٣) بنحوه.

(٢) **ضعيف:** رواه ابن حبان في «صحيحه» (٦٣٦٤) وفيه الحسين بن واقد ضعيف.

يَغْفُورٌ»[1] . وهذا الحديثُ فيه نكارةٌ شديدةٌ، ولا نحتاجُ إلى ذكره مع ما تقدَّم من الأحاديث الصحيحة التي فيها غُنْيةٌ عنه . وقد رُوِيَ على غيرِ هذه الصِّيغة، وقد نصَّ على نكارته ابنُ أبي حاتم، عن أبيه . واللهُ أعلمُ .

القولُ فيما أوتيَ عيسى ابنُ مريمَ عليه السلامُ

ويُسَمَّى المسيحَ؛ فقيل: لمَسْحِه الأرضَ. وقيل: لمَسْحِ قدمِه. وقيل: لخروجه من بطنِ أمِّه مَمْسوحًا بالدِّهانِ. وقيل: لمسحِ جبريلَ له بالبركة. وقيل: لمسحِ اللهِ الذنوبَ عنه. وقيل: لأنه كان لا يَمْسَحُ أحدًا إلا بَرِئ. حكاها كلَّها الحافظُ أبو نُعيم رحمه اللهُ.

ومن خصائصه أنه، عليه السلامُ، مَخلوقٌ بالكَلمةِ من أُنثَى بلا ذكرٍ، كما خُلقت حوَّاءُ من ذكرٍ بلا أُنثى، وكما خُلِقَ آدمُ لا من ذكرٍ ولا من أُنثَى، وإنما خلَقه اللهُ تعالى من ترابٍ، ثم قال له: كنْ فيكونُ، وكذلك يكونُ عيسى بالكلمة وبنفخِ جبريلَ في فَرْجِ مريمَ، فخلَق اللهُ منها عيسى.

ومن خصائصه وأمِّه أن إبليسَ، لعَنه اللهُ، حينَ وُلد ذهَب يَطْعُنُ فطعَن في الحجابِ[2] كما جاء في «الصحيح». ومن خصائصه أنه لم يَمُتْ، وهو حيٌّ الآنَ بجسده في السماء الدنيا، وسيَنْزِلُ قبلَ يومِ القيامة على المَنارة البَيْضاء الشرقيَّة بدمَشقَ، فيَمْلأُ الأرضَ قسْطًا وعَدْلاً، كما مُلئتْ جَوْرًا وظُلْمًا، ويحْكُمُ بهذه الشَّريعة المُحَمَّدية، ثم يَموتُ ويُدْفَنُ بالحُجرة النبويَّة، كما رواه الترمذيُّ، وقد بسَطْنا ذلك في قصته من كتابنا هذا.

وقال شيخُنا العَلاَّمةُ ابنُ الزَّمْلكانيِّ، رحمه اللهُ تعالى: وأما مُعْجزاتُ عيسى، عليه السلامُ، فمنها إحياءُ الموتى، وللنبيِّ ﷺ من ذلك كثيرٌ، وإحياءُ الجمادِ أبْلغُ من إحْياءِ الميِّت، وقد كلَّم النبيُّ ﷺ الذِّراعَ المسمومةَ، وهذا الإحْياءُ أبْلغُ من إحياءِ الإنسانِ الميت من وجوهٍ؛ أحدُها، أنه إحياءُ جزءٍ من الحيوانِ دونَ بقيَّة بدنه، وهذا مُعْجزٌ لو كان متصلاً بالبدن. الثاني: أنه أحْياه وحدَه مُنْفصلاً عن بقيَّةِ أجزاءِ ذلك الحيوانِ مع موتِ البقيَّة. الثالثُ: أنه أعاد عليه الحياةَ مع الإدْراك والعقلِ، ولم يكنْ هذا الحيوانُ يَعْقِلُ في حياته فصار جُزْؤُه حيًّا يَعْقِلُ. الرابعُ: أنه أقدَره اللهُ على النطقِ والكلام ولم يكنِ الحيوانُ الذي هو جزؤُه مما يتكَلَّمُ، وفي هذا ما هو أبْلَغُ من حياة الطيورِ التي أحْياها اللهُ لإبراهيمَ ﷺ.

قلتُ: وفي حُلولِ الحياةِ والإدْراكِ والعقلِ في الحَجَرِ الذي كان يُخاطبُ النبيَّ ﷺ بالسلام عليه، كما رُوِيَ في «صحيح مسلم»، من المُعْجزِ ما هو أبْلَغ من إحْياءِ الحيوانِ في الجملة؛ لأنه كان محَلاًّ للحياةِ في وقتٍ، بخلافِ هذا حيث لا حياةَ له بالكليَّة قبلَ ذلك، وكذلك تسْليمُ الأحجارِ والمَدَرَ

(١) منكر قاله المصنف.

(٢) صحيح رواه البخاري (٣٢٨٦) ومسلم (٢٣٦٦).

عليه، وكذلك الأشجارُ والأغصانُ وشهادتُها بالرسالة، وحَنينُ الجذعِ إليه، صلواتُ الله وسلامُه عليه. قال شيخُنا، رحمه اللهُ تعالى: وقد جَمع ابنُ أبي الدنيا كتابًا فيمَن عاش بعدَ الموت، وذكَر منها كثيرًا، وقد ثبَت عن أنسٍ، رضي اللهُ عنه، أنه قال: دخَلْنا على رجلٍ من الأنصار، وهو مَريضٌ يَعْقِلُ، فلم نَبْرَحْ حتى قَضَى، فبسَطْنا عليه ثوبَه وسجَّيْناه، وله أمٌّ عجوزٌ كبيرةٌ عندَ رأسِه، فالتفَت إليها بعضُنا، وقال: يا هذه احْتَسِبي مُصيبتَك عندَ الله. فقالت: وما ذاك؟ أمات ابني؟ قلنا: نعم. قالت: أحقٌّ ما تقولون؟! قلنا: نعم. فمدَّت يَدَيْها إلى الله تعالى فقالت: اللهم إنك تَعْلَمُ أني أسْلَمْتُ وهاجَرْتُ إلى رسولك؛ رَجاءَ أن تُغيثَني عندَ كلِّ شدةٍ ورَخاءٍ، فلا تُحَمِّلْني هذه المُصيبةَ اليومَ. قال: فكشَف الرجلُ عن وجهِه وقعَد، وما برِحْنا حتى أكَلْنا معه.

وهذه القصةُ قد تقَدَّم التَّنْبيهُ عليها في «دلائلِ النبوةِ»، وفي ذِكْرِ مُعْجِزِ الطُّوفانِ مع قصةِ العَلاءِ بنِ الحَضْرَميِّ، وهذا السِّياقُ الذي أوْرَده شيخُنا، ذكَر بعضَه بالمعنى، وقد رَواه أبو بكرِ ابنُ أبي الدنيا، والحافظُ أبو بكرٍ البيهقيُّ من غيرِ وجهٍ، عن صالح بنِ بَشيرٍ المُرِّيِّ -أحدُ زهادِ البصرةِ وعُبَّادِها وفي حديثِه لِينٌ- عن ثابتٍ، عن أنسٍ، فذكَره. وفي روايةِ البيهقيِّ: أن أمَّه كانت عجوزًا عَمْياءَ. ثم ساقه البيهقيُّ من طريقِ عيسى بنِ يونسَ، عن عبدِ الله بنِ عونٍ، عن أنسٍ، كما تقَدَّم، وسياقُه أتَمُّ، وفيه أن ذلك كان بحَضْرةِ رسولِ الله ﷺ، وهذا بإسنادٍ رجالُه ثِقاتٌ، ولكن فيه انقطاعٌ بينَ عبدِ الله بنِ عونٍ وأنسٍ. واللهُ أعلمُ.

قصة أخرى

قال الحسنُ بنُ عَرَفَةَ: حدَّثنا عبدُ الله بنُ إدريسَ، عن إسماعيلَ بنِ أبي خالدٍ، عن أبي سَبْرةَ النَّخَعيِّ قال: أقْبَل رجلٌ من اليمنِ، فلمَّا كان في بعضِ الطريقِ نفَق حمارُه، فقام وتوضَّأ، ثم صلَّى ركعتَيْن، ثم قال: اللهم إني جئتُ من الدَّثِينَةِ مُجاهدًا في سبيلك وابتغاءَ مَرْضاتك، وأنا أشْهدُ أنك تُحْيِي الموتى وتَبْعَثُ مَن في القبورِ، لا تَجْعَلْ لأحدٍ عليَّ اليومَ مِنَّةً، أطْلُبُ إليك اليومَ أن تَبْعَثَ حماري. فقام الحمارُ ينفُضُ أُذُنيه[1]. قال البيهقيُّ: هذا إسنادٌ صحيحٌ. ومثلُ هذا يكونُ كَرامةً لصاحبِ الشَّريعة. قال البيهقيُّ: وكذلك رواه محمدُ بنُ يحيى الذُّهْليُّ، وغيرُه عن محمدِ بنِ عُبَيدٍ، عن إسماعيلَ بنِ أبي خالدٍ، عن الشعبيِّ. وكأنه عندَ إسماعيلَ من الوجهين. واللهُ أعلمُ.

قلتُ: كذلك رَواه ابنُ أبي الدنيا من طريقِ إسماعيلَ، عن الشعبيِّ، فذكَره. قال الشعبيُّ، فأنا رأيتُ الحمارَ بِيع أو يُباعُ في الكُناسَةِ. يعني بالكوفة، وقد أوْرَدَها ابنُ أبي الدنيا من وجهٍ آخرَ. وأن ذلك كان في زمنِ عمرَ بنِ الخطابِ، وقد قال بعضُ قومِه في ذلك:

---

(١) صحيح وقد تقدم.

ومنّا الذي أحيا الإلهُ حمارَه وقد مات منه كلُّ عضوٍ ومفصلِ (١)

وأما قصةُ زيدِ بنِ خارجةَ وكلامُه بعدَ الموتِ، وشهادتُه للنبيِّ ﷺ ولأبي بكرٍ وعمرَ وعثمانَ بالصدقِ، فمشهورةٌ مرويَّةٌ من وجوهٍ كثيرةٍ صحيحةٍ. قال البخاريُّ في «التاريخِ الكبيرِ»: زيدُ بنُ خارجةَ الخزرجيُّ الأنصاريُّ شهد بدرًا، وتُوُفِّيَ زمنَ عثمانَ، وهو الذي تكلَّم بعدَ الموتِ. وروَى الحاكمُ في «مستدركه» والبيهقيُّ في «دلائله» وصحَّحه، كما تقدَّم من طريقِ القَعْنَبيِّ عن سليمانَ بنِ بلالٍ، عن يحيى بنِ سعيدٍ الأنصاريِّ، عن سعيدِ بنِ المسيَّبِ، أن زيدَ بنَ خارجةَ الأنصاريَّ، ثم من بني الحارثِ بنِ الخزرجِ، تُوُفِّيَ زمنَ عثمانَ بنِ عفانَ فسُجِّيَ في ثوبِه، ثم إنهم سمعوا جَلْجَلَةً في صدرِه، ثم تكلَّم ثم قال: أحمدُ أحمدُ في الكتابِ الأولِ، صدَق صدَق، أبو بكرٍ الضعيفُ في نفسِه، القويُّ في أمرِ اللهِ، في الكتابِ الأولِ، صدَق صدَق، عمرُ بنُ الخطابِ القويُّ الأمينُ، في الكتابِ الأولِ، صدَق صدَق، عثمانُ بنُ عفانَ على منهاجِهم، مضَت أربعٌ وبقِيَت ثنتان، أتَت الفتنُ وأكَل الشديدُ الضعيفَ، وقامت الساعةُ، وسيأتيكم عن جيشِكم خبرُ بئرِ أريسَ، وما بئرُ أريسَ؟. قال يحيى بنُ سعيدٍ: قال سعيدُ بنُ المسيَّبِ: ثم هلَك رجلٌ من بني خَطْمةَ فسُجِّيَ بثوبِه، فسُمِع جَلْجَلَةٌ في صدرِه، ثم تكلَّم فقال: إن أخا بني الحارثِ بنِ الخزرجِ صدَق صدَق (٢). ورواه ابنُ أبي الدنيا والبيهقيُّ أيضًا من وجهٍ آخرَ بأبسطَ من هذا وأطولَ، وصحَّحه البيهقيُّ. قال: وقد رُوِيَ في التَّكَلُّمِ بعدَ الموتِ، عن جماعةٍ بأسانيدَ صحيحةٍ. واللهُ أعلمُ.

قلتُ: قد ذكَرْتُ في قصةِ شاةِ جابرٍ يومَ الخندقِ وأكْلِ الألفِ منها ومن قليلِ شَعيرٍ، ما تقدَّم. وقد أوْرَد الحافظُ محمدُ بنُ المنذرِ المعروفُ بـ«شكَّرَ» في كتابِه «الغرائبِ والعجائبِ» بسندِه، كما سبَق، أن رسولَ اللهِ ﷺ جمَع عظامَها، ثم دَعا اللهَ تعالى، فعادت كما كانت فترَكها في منزلِهم. واللهُ أعلمُ.

قال شيخُنا: ومن مُعجزاتِ عيسى الإبراءُ من الجنونِ، وقد أبرأَ النبيُّ ﷺ. يعني من ذلك. هذا آخرُ ما وجَدْتُه مما حكَيْناه عنه. فأمَّا إبراءُ عيسى من الجنونِ، فما أعرفُ فيه نقلاً خاصًّا، وإنما كان يُبرئُ الأكمهَ والأبرصَ، والظاهرُ: ومن جميعِ العاهاتِ والأمراضِ المُزْمِنةِ.

وأما إبراءُ النبيِّ ﷺ من الجُنونِ؛ فقد روَى الإمامُ أحمدُ والحافظُ البيهقيُّ من غيرِ وجهٍ، عن يَعْلَى بنِ مُرَّةَ، أن امرأةً أتَت بابنٍ لها صغيرٍ به لَمَمٌ، ما رأيتُ لَمَمًا أشدَّ منه، قالت: يا رسولَ اللهِ، ابني هذا كما ترَى أصابه بَلاءٌ، وأصابَنا منه بَلاءٌ، يُؤْخَذُ في اليومِ ما أدْري كم مرةً. فقال رسولُ اللهِ ﷺ: «ناوِلينيه». فرفَعَته إليه فجعَلَته بينَه وبينَ واسطةِ الرَّحْلِ، ثم فَغَر فاه ونفَث فيه ثلاثًا، وقال: «بسمِ اللهِ، أنا عبدُ اللهِ، اخسَأ عدوَّ اللهِ». ثم ناولَها إياه. فذكَرَتْ أنه برَأ من ساعتِه وما رابهم منه شيءٌ بعدَ ذلك (٣).

وقال أحمدُ: حدَّثنا يزيدُ، حدَّثنا حمادُ بنُ سَلَمةَ، عن فَرْقَدٍ السَّبَخيِّ، عن سعيدِ بنِ جُبيرٍ، عن ابنِ

---

(١) تقدم.

(٢) تقدم. (٣) ضعيف وقد تقدم.

عباس، أن امرأةً جاءت بولدها إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسولَ الله، إن به لَمَمًا، وإنه يأخُذُه عندَ طعامنا فيُفسدُ علينا طعامَنا. قال: فمسَح رسولُ الله ﷺ صدْرَه، ودَعا له، فثعَّ ثَعَّةً، فخرَج منه مثلُ الجَرْوِ الأسودِ يَسْعَىٰ[1]. غريبٌ من هذا الوجه، وفَرْقَدٌ فيه كلامٌ، وإن كان من زُهَّادِ البصرةِ، لكن ما تقدَّم له شاهدٌ، وإن كانت القصةُ واحدةً. واللهُ أعلمُ.

وروىٰ البزارُ من طريقِ فَرْقَدٍ أيضًا، عن سعيدٍ، عن ابنِ عباسٍ قال: كان النبيُّ ﷺ بمكةَ فجاءته امرأةٌ من الأنصارِ فقالت: يا رسولَ الله، إن هذا الخَبيثَ قد غَلَبني. فقال لها: **«إنْ تَصبِري على ما أنتِ عليه تَجيئي يومَ القيامة ليس عليك ذنوبٌ، ولا حسابٌ»**. فقالت: والذي بعَثك بالحقِّ لأَصْبِرَنَّ حتىٰ أَلْقَىٰ اللهَ. ثم قالت: إني أخافُ الخَبيثَ أن يُجَرِّدَني. فدَعا لها، وكانت إذا خشيَت أن يأتيها تأتي أسْتارَ الكعبةِ فتعَلَّقُ بها، وتقولُ له: اخْسَأْ. فيذْهَبُ عنها[2].

وهذا دليلٌ على أن فَرْقدًا قد حفظ، فإن هذا له شاهدٌ في «صحيح البخاريِّ ومسلمٍ» من حديث عطاءِ بنِ أبي رَباحٍ قال: قال لي ابنُ عباسٍ: ألا أُريك امرأةً من أهلِ الجنة؟ قلتُ: بلىٰ. قال: هذه السَّوْداءُ أتَتْ رسولَ الله ﷺ فقالت: إني أُصْرَعُ وأتَكَشَّفُ، فادْعُ اللهَ لي. قال: **«إن شئتِ صبَرْتِ ولكِ الجنةُ، وإن شئتِ دعَوْتُ اللهَ أن يُعافيَكِ»**. قالت: لا، بل أَصْبِرُ، فادْعُ اللهَ أن لا أتَكَشَّفَ. قال: فدَعا لها فكانت لا تَتَكَشفُ[3].

ثم قال البخاريُّ: حدَّثنا محمدٌ، حدَّثنا مَخْلَدٌ عن ابنِ جُرَيْجٍ، قال: أخْبَرَني عَطاءٌ أنه رأىٰ أمَّ زُفَرَ تلك، امرأةٌ طويلةٌ سوداءُ، على ستْرِ الكعبة. وذكَر الحافظُ ابنُ الأثيرِ في كتابه «الغابة في أسْماء الصحابة» أن أمَّ زُفَرَ هذه كانت ماشطةً لخديجةَ بنتِ خُوَيْلدٍ، وأنها عُمِّرت حتىٰ رآها عطاءُ بنُ أبي رَباحٍ، رحمهما اللهُ تعالىٰ.

وأمَّا إبْراءُ عيسىٰ الأكْمَهَ، وهو الذي يُولَدُ أعْمَىٰ، وقيل: هو الذي لا يُبْصِرُ في النهارِ ويُبْصِرُ في الليلِ، وقيل غيرُ ذلك، كما بسَطْنا ذلك في «التفسير»، والأبْرَصَ الذي به بَهَقٌ، فقد ردَّ رسولُ الله ﷺ يومَ أُحُدٍ عينَ قتادةَ بنِ النُّعمانِ إلى مَوْضعها بعدَما سالت على خَدِّه، فأخَذها في يده الكريمة وأعادها إلى مَقَرِّها فاستَمَرَّت بجَمالها وبصرها، وكانت أحسنَ عينيه، رَضي اللهُ عنه، وصلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم، كما ذكَرَ ذلك محمدُ بنُ إسحاقَ بنِ يَسارٍ في «السيرة» وغيرُه، وكذلك بسَطْناه ثَمَّ، ولله الحمدُ والمنةُ، وقد دخَل بعضُ ولده، وهو عاصمُ بنُ عمرَ بنِ قتادةَ، على عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ فسأَل عنه فأنْشَأَ يقولُ:

أنا ابنُ الذي سالَتْ على الخَدِّ عينُه	فرُدَّت بكفِّ المُصْطَفَى أحْسَنَ الرَّدِّ
فعادت كما كانت لأول أمْرِها	فيا حُسْنَ ما عينٍ ويا حُسْنَ ما خَدِّ

(١) ضعيف: رواه أحمد (١/ ٢٣٩).

(٢) ضعيف: رواه البزار في «كشف الأستار» (٧٧٣).

(٣) صحيح: رواه البخاري (٥٦٥٢).

فقال عمرُ بنُ عبد العزيز:

تلك المكارمُ لا قَعْبانِ من لبنٍ ... شِيبا بماءٍ فعادا بعدُ أبوالاً

ثم أجازه فأحسَن جائزَته. وقد روَى الدارقُطنيُّ أن عينَيه أُصيبتا معًا حتى سالتا على خَدَّيه، فردَّهما رسولُ الله ﷺ إلى مكانهما. والمشهورُ الأولُ، كما ذكَره ابنُ إسحاقَ وغيرُه.

قصة الأعمى الذي ردَّ اللهُ عليه بصرَه بدُعاءِ الرسول ﷺ

قال الإمامُ أحمدُ: حدثنا رَوْحٌ وعثمانُ بنُ عمرَ، قالا: حدَّثنا شعبةُ، عن أبي جعفرٍ المدينيِّ، سمعْتُ عُمارةَ بنَ خُزَيمةَ بنِ ثابتٍ يُحدِّثُ عن عثمانَ بنِ حُنَيفٍ، أن رجلاً ضَريرًا أتى رسولَ الله ﷺ فقال: يا رسولَ الله، ادْعُ اللهَ أن يُعافِيَني. فقال: «**إن شئتَ أخَّرْتُ ذلك فهو أفضلُ لآخرتك، وإن شئتَ دعَوْتُ لك**». قال: لا، بل ادْعُ اللهَ لي. قال: فأمَره رسولُ الله ﷺ أن يتوَضَّأ وأن يصلِّيَ ركعتين وأن يدْعُوَ بهذا الدعاء: «**اللهم إني أسألُك وأتوجَّهُ إليك بنبيِّك محمدٍ ﷺ نبيِّ الرحمة، يا محمدُ، إني أتوجَّه بك إلى ربي في حاجتي هذه فتُقْضَى**». وقال في رواية عثمانَ بنِ عمرَ: «**اللهم فشَفِّعْه فيَّ**». قال: ففعَل الرجلُ فبَرَأ[1]. ورواه الترمذيُّ والنسائيُّ وابنُ ماجه من حديث شعبةَ، وقال: حسنٌ صحيحٌ غريبٌ لا نَعرِفُه إلا من حديثِ أبي جعفرٍ الخَطْميِّ. وقد رَواه البيهقيُّ عن الحاكم بسنده، إلى أبي جعفرٍ الخَطْميِّ، عن أبي أُمامةَ بنِ سهلِ بنِ حُنَيفٍ، عن عمه عثمانَ بنِ حُنَيفٍ، فذكَر نحوَه، قال عثمانُ: فوالله ما تفرَّقْنا ولا طال الحديثُ بنا حتى دخَل الرجلُ كأن لم يكنْ به ضُرٌّ قطُّ.

قصة أخرى

قال أبو بكرِ بنُ أبي شَيْبةَ: حدَّثنا محمدُ بنُ بشرٍ، حدَّثنا عبدُ العزيزِ بنُ عمرَ، حدَّثني رجلٌ من بني سَلَامانَ بنِ سعدٍ، عن أمِّه أنَّ خالَها حَبيبَ بنَ فُوَيْكٍ، حدَّثها أن أباه خرَج إلى رسول الله ﷺ، وعيناه مُبْيَضَّتان لا يُبْصِرُ بهما شيئًا أصلاً، فقال له: «**ما أصابك؟**» قال: كنتُ أمْري جملاً لي فوقَعتْ رِجلي على بَيْضِ حَيَّةٍ، فأُصيب بَصَري. فنفَث رسولُ الله ﷺ في عينيه فأبْصَر، فرأيْتُه وإنه لَيُدْخِلُ الخَيطَ في الإبْرة، وإنه لَابنُ ثمانينَ سنةً، وإن عينيه لَمُبْيَضَّتان[2]. قال البيهقيُّ: كذا في كتابه، وغيرُه يقولُ: حَبيبُ بنُ مُدْرِكٍ.

وثبَت في «الصحيح» أن رسولَ الله ﷺ نفَث في عينَيْ عليٍّ يومَ خيبرَ، وهو أرْمَدُ فبرَأ من ساعته[3]، ثم لم ترْمَدْ بعدَها أبدًا، ومسَح رِجْلَ عبدِ الله بنِ عَتِيكٍ، وقد انْكَسَرت رجلُه ليلةَ قَتَل أبا رافعٍ تاجرَ

---

(١) صحيح وقد تقدم.
(٢) تقدم.
(٣) صحيح وقد تقدم.

أهلِ الحجازِ الخَيْبريِّ، فبرأ من ساعته أيضًا[١]. وروىٰ البيهقيُّ أنه ﷺ عليه مسح يد محمد بن حاطبٍ وكانت قد احترقت بالنار فبرأ من ساعته[٢]. ومسح رجل سلمة بن الأكوع وقد أصيبت يوم خيبر. فبرأَتْ من ساعتها[٣]، ودعا لسعدِ ابنِ أبي وقَّاصٍ أن يُشْفَىٰ من مرضه فشُفي[٤]. وروىٰ البيهقيُّ أن عمَّه أبا طالبٍ مرض، فسأل منه ﷺ أن يَدْعُوَ له ربَّه أن يُعافيَه فدَعا له فشُفيَ من مرضه ذلك[٥]. وكم له من مثلها وعلىٰ مَسْلَكها؛ من إبْراء آلام؛ وإزالة أسْقام، مما يَطولُ شرحُه وبَسْطُه.

وقد وقَع في كَراماتِ الأوْلياءِ إبْراءُ الأعْمىٰ بعدَ الدعاء عليه بالعَمَىٰ أيضًا، كما رَواه الحافظُ ابنُ عَساكرَ من طريقِ أبي سعيدِ بنِ الأعْرابيِّ، عن أبي داودَ، حدَّثنا عمرُ بنُ عثمانَ، حدَّثنا بقيَّةُ، عن محمدِ بنِ زيادٍ، عن أبي مسلمٍ، أن امرأةً خَبَّبَتْ عليه امرأتَه، فدَعا عليها فذهَب بصرُها، فأتَته فقالت: يا أبا مسلمٍ، إني كنتُ فعَلْتُ وفعَلْتُ، وإني لا أعود لمثلها. فقال: اللهم إن كانت صادقةً فارْدُدْ عليها بصرَها. فأبصَرتْ[٦].

ورَواه أيضًا من طريقِ أبي بكرِ ابنِ أبي الدنيا: حدَّثنا عبدُ الرحمنِ بنُ واقدٍ، حدَّثنا ضَمْرةُ، حدَّثنا عثمانُ بنُ عطاءٍ قال: كان أبو مسلمٍ الخَوْلانيُّ إذا دخَل منزلَه سلَّم فإذا بلَغ وَسَطَ الدارِ كبَّر وكبَّرَت امرأتُه، فإذا بلَغ البيتَ كبَّر وكبَّرت امرأتُه. قال: فيَدْخُلُ فيَنْزِعُ رداءَه وحِذاءَه وتأتيه بطعامٍ فيأكُلُ، فجاء ذات ليلةٍ فكبَّر فلم تُجِبْه، ثم جاء إلىٰ بابِ البيت، فكبَّر وسلَّم فلم تُجِبْه، وإذا البَيتُ ليس فيه سِراجٌ، وإذا هي جالسةٌ بيدِها عودٌ في الأرضِ تَنْكُتُ به، فقال لها: ما لكِ؟ فقالت: الناسُ بخيرٍ وأنت أبو مسلمٍ، لو أتَيْتَ مُعاويةَ فيأمُرَ لنا بخادمٍ ويُعْطِيَك شيئًا نَعيشُ به. فقال: اللهم مَن أفْسَد عليَّ أهلي فأَعْمِ بصرَه. قال: وكانت أتَتْها امرأةٌ فقالت: أنت امرأةُ أبي مسلمٍ، فلو كلَّمْتِ زوجَك ليُكلِّمَ معاويةَ ليُخْدِمَكم ويُعْطِيَكم. قال: فبينما هذه المرأةُ في منزلِها والسِّراجُ يُزْهِر، إذ أنْكَرَت بصرَها، فقالت: سِراجُكم طَفِئ؟ قالوا: لا. قالت: إنَّا لله، أُذْهِبَ بصَري. فأقْبَلَت كما هي إلىٰ أبي مسلمٍ، فلم تَزَلْ تُناشِدُه اللهَ وتَطْلُبُ إليه، فدَعا اللهَ فردَّ بصرَها، ورجَعَت امرأتُه إلىٰ حالِها التي كانت عليها[٦].

وأما قصةُ المائدة التي قال اللهُ تعالىٰ: ﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ

---

(١) صحيح وقد تقدم.

(٢) تقدم.

(٣) تقدم.

(٤) صحيح وقد تقدم.

(٥) ضعيف: رواه البيهقي في «الدلائل» (٦/ ١٨٤) وفي سنده الهيثم البكاء ضعيف.

(٦) رواه اللالكائي في «كرامات الأولياء» (١٩٨٦) وأبو نعيم في «الحلية» (٥/ ١٣٢١).

صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ (١١٣) قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِّنكَ وَارْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (١١٤) قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَّا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾ [المائدة: ١١٢-١١٥]. وقد ذكَرْنا في «التفسيرِ» بَسطَ ذلك واختلافَ المفسِّرين فيها؛ هل نزلت أم لا، على قولَيْن، والمشهورُ عن الجمهورِ أنها نزلت، واختُلف فيما كان عليها مِن الطعامِ على أقوالٍ، وذكَر أهلُ التاريخِ أن موسى بنَ نُصَيْرٍ الذي فتَح البلادَ المَغْربيَّةَ أيامَ بني أميَّةَ وجَد المائدةَ، ولكن قيل: إنها مائدةُ سليمانَ بنِ داودَ مُرَصَّعةٌ بالجواهرِ، وهي مِن ذهبٍ، فأرْسَل بها إلى الوليدِ بنِ عبدِ الملكِ فلم تَصِلْ حتى مات، فتَسلَّمها أخوه سليمانُ. وقيل: إنها مائدةُ عيسى. لكن يُبْعِدُ هذا أن النَّصارَى لا يَعْرِفون المائدةَ، كما قاله غيرُ واحدٍ مِن العلماءِ، واللهُ أعلمُ.

والمقصودُ أن: المائدةَ سَواءٌ كانت قد نزَلت أم لم تَنْزِلْ، فقد كانت مَوائدُ رسولِ الله ﷺ تُمدُّ من السماءِ، وكانوا يَسْمَعون تَسْبيحَ الطعامِ وهو يُؤْكَلُ بينَ يديه، وكم قد أَشْبَع مِن طعامٍ يَسيرٍ ألوفًا ومئاتٍ وعشَراتٍ بعد عشَراتٍ صلواتُ اللهِ وسلامُه عليه ما تَعاقَبت الأوْقاتُ، ومادامت الأرضُ والسمواتُ. هذا وأبو مسلمٍ الخَوْلانيُّ قد ذكَر الحافظُ ابنُ عَساكرَ في ترجمته مِن «تاريخه» أمرًا عجيبًا وشأنًا غريبًا، حيث روَى مِن طريقِ إسحاقَ بنِ نَجيحٍ المَلَطيِّ، عن الأوْزاعيِّ قال: أتَى أبا مسلمٍ الخَوْلانيَّ نفرٌ مِن قومِه فقالوا: يا أبا مسلمٍ، أما تَشْتاقُ إلى الحجِّ؟ قال: بلى، لو أَصَبْتُ لي أصحابًا. قال: فقالوا: نحن أصحابُك. قال: لسْتُم لي بأصحابٍ، إنما أصحابي قومٌ لا يُريدون الزادَ ولا المَزادَ. فقالوا: سبحانَ اللهِ، وكيف يُسافرُ قومٌ بلا زادٍ ولا مَزادٍ؟! قال لهم: ألا تَرَوْنَ إلى الطيرِ تغْدو وتَرُوحُ بلا زادٍ ولا مَزادٍ، واللهُ يَرْزُقُها، وهي لا تَبِيعُ ولا تَشْتري، ولا تَحْرُثُ ولا تَزْرَعُ، واللهُ يرْزُقُها؟ قال: فقالوا: فإنا نُسافرُ معك. قال: تَهَيَّئوا على بركةِ اللهِ تعالى. قال: فغدَوْا مِن غُوطَةَ دمشقَ، ليس معهم زادٌ ولا مَزادٌ، فلما انتَهَوا إلى المنزلِ قالوا: يا أبا مسلمٍ، طعامٌ لنا وعَلَفٌ لدوابِّنا. قال: فقال لهم: نعم. فتَنَحَّى غيرَ بعيدٍ، فتَسَنَّ مسجدَ أحْجارٍ فصلَّى فيه ركعتَيْن، ثم جثَا على ركبتيه فقال: إلهي، قد تَعْلَمُ ما أخْرَجني مِن منْزلي، وإنما خرَجْتُ زائرًا لك، وقد رأيْتُ البخيلَ مِن ولدِ آدمَ تَنْزِلُ به العِصابةُ مِن الناسِ فيُوسِعُهم قرًى، وإنا أضْيافُك وزُوَّارُك، فأطْعِمْنا واسْقِنا، واعْلِفْ دوابَّنا. قال: فأُتِيَ بسُفْرةٍ فمُدَّت بينَ أيديهم، وجيء بجَفْنةٍ مِن ثَريدٍ تَبْخَرُ، وجيء بقُلَّتَيْن مِن ماءٍ، وجيء بالعَلَفِ لا يَدْرون مَن يأتي به، فلم تَزَلْ تلك حالَهم منذُ خرَجوا مِن عندِ أهاليهم حتى رجَعوا، لا يتكلَّفون زادًا ولا مَزادًا.

فهذه حالُ وَليٍّ مِن هذه الأمةِ، نزَل عليه وعلى أصحابِه كلَّ يومٍ مائدةٌ مرتَيْن، مع ما يُضافُ إليها مِن الماءِ والعَلُوفةِ لدوابِّ أصحابِه، وهذا اعتناءٌ عَظيمٌ، وإنما نال ذلك ببركةِ مُتابَعتِه لهذا النبيِّ الكريمِ، عليه أفضلُ الصلاةِ والتَّسْليمِ.

وأما قولُه تعالىٰ عن عيسىٰ ابنِ مريمَ، عليه السلامُ، أنه قال لبني إسرائيلَ: ﴿**وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ**﴾ الآية [آل عمران: ٤٩]. فهذا سهلٌ يَسيرٌ علىٰ الأنبياءِ، بل وعلىٰ كثيرٍ من الأولياءِ، وقد قال يوسفُ نبيُّ الله والصِّدِّيقُ لذَيْنك الفَتَيَيْنَ المَحْبوسَين معه: ﴿**لا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي**﴾ الآية [يوسف: ٣٧]. وقد أخْبَر رسولُ الله ﷺ بالأخْبارِ الماضيةِ طِبْقَ ما وقَع، وعن الأخبارِ الحاضرةِ سواءً بسواءٍ، كما أخْبَر عن أكْلِ الأَرَضةِ لتلك الصَّحيفةِ الظالمةِ التي كانت بُطونُ قريشٍ قد تمالأتْ علىٰ مُقاطعةِ بني هاشمٍ وبني المطلبِ حتىٰ يُسلِّموا إليهم رسولَ الله ﷺ، وكتَبوا بذلك صَحيفةً وعلَّقوها في سَقْفِ الكعبةِ، فأرْسَل اللهُ الأَرَضَةَ، فأكلَتْها إلا مَواضعَ اسمِ اللهِ تعالىٰ، وفي روايةٍ: فأكلَت اسمَ اللهِ منها تَنْزيهًا لها أن تكونَ مع الذي فيها مِن الظلمِ والعُدْوانِ. فأخْبَر بذلك رسولُ الله ﷺ عمَّه أبا طالبٍ وهم بالشِّعْبِ، فخرَج إليهم أبو طالبٍ، وقال لهم عما أخْبَره به، فقالوا: إن كان كما قال وإلا فسلِّموه إلينا فقالوا: نعم. فأنزَلوا الصَّحيفةَ، فوجَدوها كما أخْبرَ عنها رسولُ الله ﷺ سواءً بسواءٍ، فأقْلَعت بُطونُ قريشٍ عما كانوا تمالئوا عليه لبني هاشمٍ وبني المطلبِ، وهدَىٰ اللهُ بذلك خَلْقًا كثيرًا، وكم له مثلُها، كما تقدَّم بسْطُه وبَيانُه في مَواضعَ مِن السيرةِ وغيرِها، ولله الحمدُ والمنةُ.

وفي يومِ بدرٍ لَما طلَب مِن العباسِ عمِّه فِداءً ادَّعَىٰ أنه لا مالَ له، فقال له: «**فأينَ المالُ الذي دفَنْتَه أنت وأُمُّ الفَضْلِ تحت أُسْكُفَّةِ البابِ، وقلتَ لها: إن قُتِلْتُ فهو للصِّبْيةِ؟**» فقال: واللهِ يا رسولَ اللهِ، إن هذا شيءٌ لم يَطَّلِعْ عليه غيري وغيرُ أمِّ الفضلِ إلا اللهَ، عز وجل. وأخْبَر بموتِ النَّجاشيِّ[1] يومَ مات وهو بالحبشةِ، وصلَّىٰ عليه، وأخْبَر عن قتلِ الأُمراءِ يومَ مُؤْتةَ واحدًا بعدَ واحدٍ وهو علىٰ المنبرِ، وعيناه تَذْرِفان[2]، وأخْبَر عن الكتابِ الذي أَرْسَل به حاطبُ بنُ أبي بَلْتَعةَ مع سارَةَ مولاةِ بني عبدِ المطلبِ، وأرْسَل في طَلَبِها عليًّا والزبيرَ والمِقْدادَ، فوجَدوها قد جعَلَتْه في عِقاصِها[3]، وفي روايةٍ: في حُجْزتِها. وقد تقدَّم ذلك في غزوةِ الفتحِ، وقال لأميرَيْ كِسْرَىٰ - اللذين بعَث بهما نائبُ اليمنِ لكِسْرىٰ؛ ليَسْتَعْلِما أمْرَ رسولِ الله ﷺ -: «**إن ربِّي قد قتَل الليلةَ ربَّكما**». فأرَّخا تلك الليلةَ، فإذا كِسْرىٰ قد سلَّط اللهُ عليه ولَدَه فقتَله، فأسْلَما وأسْلَم باذامُ نائبُ اليمنِ، وكان ذلك سببَ مُلْكِ اليمنِ لرسولِ الله ﷺ.

وأما إخبارُه ﷺ عن الغُيوبِ المُسْتَقْبَلةِ فكثيرةٌ جدًّا - كما تقَدَّم بسطُ ذلك، وسيأتي في أثناءِ التَّواريخِ - فيقعُ ذلك طِبْقَ ما قال سواءً بسواءٍ.

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري (١٣٢٠) من حديث جابر بن عبد اللَّه رضي اللَّه عنهما يقول قال النبي ﷺ: قد تُوفي اليوم رجل صالح من الحبشة.. الحديث.

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٢٧٩٨).

(٣) **صحيح**: رواه البخاري (٣٠٠٧) ومسلم (٢٤٩٤).

وذكر ابنُ حامدٍ في مُقابلةِ سياحةِ عيسى، عليه الصلاةُ والسلامُ، كثرةَ جهادِ رسولِ الله ﷺ، وفي مُقابلةِ زُهْدِ عيسى، عليه الصلاةُ والسلامُ، زَهادَةَ رسولِ الله ﷺ عن كُنوزِ الأرضِ حينَ عُرِضَت عليه فأباها، وقال: «أجوعُ يومًا وأشبَعُ يومًا». وأنه كان له ثلاثَ عشْرةَ زوجةً يَمْضي عليهن الشهرُ والشَّهْران لا تُوقَد عندَهن نار ولا مِصْباحٌ، إنما هو الأسْودان؛ التمرُ والماءُ، وربما ربَط على بطنه الحجرَ مِن الجوعِ، وما شبِعوا مِن خُبزِ بُرٍّ ثلاثَ ليالٍ تِباعًا، وكان فِراشُه مِن أدَمٍ حَشْوُه لِيفٌ، وربما اعْتَقَل الشاةَ لِيَحْلُبَها، ورقَّع ثوبَه، وخَصَف نعلَه بيدِه الكريمةِ، صلواتُ الله وسلامُه عليه، ومات صلَّى اللهُ عليه وسلم ودِرْعُه مَرْهونةٌ عندَ يَهوديٍّ على طعامٍ اشْتراه لأهْلِه، هذا وكم آثَر بآلافٍ مُؤَلَّفةٍ والإبلِ والشاءِ والغَنائمِ والهَدايا على نفسِه وأهلِه للفقراءِ والمَحاويجِ والأراملِ والأيتامِ والأسْرَى والمَساكين.

وذكَر أبو نُعيمٍ في مُقابلةِ تَبْشيرِ الملائكةِ لمريمَ الصِّدِّيقةِ بمولدِ عيسى، ما بُشِّرت به آمنةُ أمُّ رسولِ الله ﷺ حينَ حمَلت به في مَنامِها، وما قيل لها: إنك قد حمَلْتِ بسيِّدِ هذه الأمةِ فسَمِّيه محمدًا. وقد بسَطْنا ذلك في المَوْلدِ، كما تقدَّم. وقد أوْرَد الحافظُ أبو نُعيمٍ ههنا حديثًا غريبًا مُطَوَّلًا بالمولدِ أحْبَبْنا أن نَسوقَه ليكونَ الخِتامُ نَظيرَ الافتتاحِ، وباللهِ المُسْتعانُ، وعليه التُّكْلانُ، ولله الحمدُ.

فقال: حدَّثنا سليمانُ بنُ أحمدَ، حدَّثنا حفصُ بنُ عمرَ بنِ الصَّبَّاحِ، حدَّثنا يحيى بنُ عبدِ الله البابْلُتِّيُّ، أنا أبو بكرِ ابنُ أبي مريمَ، عن سعيدِ بنِ عمرٍو الأنصاريِّ، عن أبيه قال: قال ابنُ عباسٍ: فكان مِن دَلالاتِ حَمْلِ محمدٍ ﷺ أن كلَّ دابةٍ كانت لقريشٍ نطَقت تلك الليلةَ وقالت: حُمِل برسولِ الله ﷺ وربِّ الكعبةِ، وهو أمانُ الدنيا وسِراجُ أهلِها. ولم تَبْقَ كاهنةٌ في قريشٍ ولا قَبيلةٍ مِن قَبائلِ العربِ إلا حُجِبَت عن صاحبِتها، وانْتُزِع عِلْمُ الكَهَنةِ منها، ولم يبْقَ سَريرُ مَلِكٍ مِن ملوكِ الدنيا إلا أصْبَح مَنْكوسًا، والمَلِكُ مُخَرَّسًا لا يَنْطِقُ يومَه ذلك، ومرَّت وحوشُ المشرقِ إلى وحوشِ المغربِ بالبِشاراتِ، وكذلك أهلُ البِحارِ يبشِّرُ بعضُهم بعضًا به، في كلِّ شهرٍ مِن شهورِه نداءٌ في الأرضِ ونداءٌ في السمواتِ؛ أن أبْشِروا فقد آن لأبي القاسمِ أن يَخْرُجَ إلى الأرضِ مَيْمونًا مُبارَكًا. قال: وبَقِيَ في بطنِ أمِّه تسعةَ أشْهرٍ، وهلَك أبوه عبدُ اللهِ وهو في بطنِ أمِّه، فقالت الملائكةُ: إلهَنا وسيدَنا، بَقِيَ نبيُّك هذا يتيمًا. فقال اللهُ تعالى للملائكةِ: أنا له وليٌّ وحافظٌ ونَصيرٌ، فتَبَرَّكوا بمولدِه، فمولدُه مَيْمونٌ مُبارَكٌ. وفتَح اللهُ لمولدِه أبوابَ السماءِ وجَنَّاتِه، وكانت آمنةُ تُحَدِّثُ عن نفسِها وتقولُ: أتاني آتٍ حينَ مَرَّ بي مِن حَمْلِه ستةُ أشهرٍ، فوكَزني برِجْلِه في المَنامِ، وقال: يا آمنةُ، إنك حَمَلْتِ بخيرِ العالَمين طُرًّا، فإذا ولَدْتِيه فسَمِّيه محمدًا، واكتُمي شأنَكِ. قال: وكانت تُحَدِّثُ عن نفسِها وتقولُ:

لقد أخذني ما يأخذُ النساءَ، ولم يَعْلَمْ بي أحدٌ من القوم ذكرٌ ولا أُنثىٰ، وإني لَوَحيدةٌ في المنزل، وعبدُالمطلب في طَوافه. قالت: فسمعْتُ وَجْبةً شَديدةً، وأمْرًا عظيمًا، فهالَني ذلك، وذلك يومَ الإثنين، فرأيْتُ كأنَّ جَناحَ طيرٍ أبيضَ قد مسَح علىٰ فؤادي، فذهَب عني كلُّ رُعْبٍ وكلُّ فَزَعٍ ووَجَعٍ كنتُ أجدُ، ثم الْتَفَتُّ فإذا أنا بشَرْبةٍ بيضاءَ ظَنَنْتُها لبنًا، وكنتُ عَطْشَىٰ، فتَناولَتها فشربْتُها، فأضاء مني نورٌ عالٍ، ثم رأيْتُ نسوةً كالنخلِ الطِّوالِ، كأنهن من بنات عبد المطلب يُحْدقْنَ بي، فبينا أنا أعْجَبُ وأقولُ: واغَوْثاه، من أين عَلِمْنَ بي؟ واشْتَدَّ بيَ الأمرُ، وأنا أسْمَعُ الوَجْبةَ في كلِّ ساعةٍ أعْظَمَ وأهْولَ، وإذا أنا بديباجٍ أبيضَ قد مُدَّ بينَ السماءِ والأرضِ، وإذا قائلٌ يقولُ: خُذوه عن أعينِ الناسِ.

قالت: ورأيْتُ رجالاً قد وقَفوا في الهواءِ، بأيديهم أباريقُ فضةٍ، وأنا يَرْشَحُ مني عَرَقٌ كالجُمَانِ، أطْيَبُ ريحًا من المسْك الأذْفَرِ، وأنا أقولُ: يا ليتَ عبدَ المطلب قد دخَل عليَّ، وعبدُ المطلب عني ناءٍ.

قالت: ورأيْتُ قطعةً من الطير قد أقْبَلت من حيث لا أشْعُرُ حتىٰ غطَّت حُجْرتي، مَناقيرُها من الزُّمُرُّدِ، وأجْنحتُها من اليَواقيت، فكشَف اللهُ لي عن بَصَري، فأبْصَرْتُ من ساعتي مَشارقَ الأرضِ ومَغاربَها، ورأيْتُ ثلاثةَ أعلامٍ مَضْروباتٍ؛ علَمٌ بالمشرق، وعلَمٌ بالمغرب، وعلَمٌ علىٰ ظهرِ الكعبةِ، فأخَذني المَخاضُ، واشْتَد بيَ الطَّلْقُ جدًّا، فكنتُ كأني مُسْتَنِدَةٌ إلىٰ أركانِ النساءِ، وكثُرْنَ عليَّ حتىٰ كأنَّ الأيديَ معي في البيت، وأنا لا أرَىٰ شيئًا، فولَدْتُ محمدًا، فلمَّا خرَج من بطني دُرْتُ فنظَرْتُ إليه، فإذا أنا به ساجدًا وقد رفَع أُصْبُعَيه كالمُتَضَرِّعِ المُبْتَهِلِ، ثم رأيْتُ سَحابةً بيضاءَ قد أقْبَلت من السماءِ تَنْزِلُ حتىٰ غشيَتْه، فغُيِّب عن عيني، فسمعْتُ مناديًا يُنادي؛ يقولُ: طُوفوا بمحمدٍ ﷺ شَرْقَ الأرضِ وغَرْبَها، وأدْخلوه البحارَ كلَّها؛ ليَعْرفوه باسمه ونعته وصورته، ويعْلَموا أنه سُمِّيَ الماحيَ؛ لا يَبْقىٰ شيءٌ من الشرك إلا مُحيَ به في زمنه. قالتْ: ثم تجلَّت عنه في أسْرعِ وقتٍ، فإذا أنا به مُدْرَجًا في ثوب صوفٍ أبيضَ، أشدَّ بياضًا من اللَّبَنِ، وتحتَه حَريرةٌ خَضْراءُ، وقد قبَض محمدٌ علىٰ ثلاثة مَفاتيحَ من اللؤلؤِ الرَّطْبِ الأبيضِ، وإذا قائلٌ يقولُ: قبَض محمدٌ علىٰ مَفاتيحِ النصرِ، ومَفاتيحِ الرِّيحِ، ومَفاتيحِ النُّبوَّة. هكذا أوْرَده وسكَت عليه، وهو غريبٌ جدًّا.

وقال الشيخُ جمالُ الدين أبو زكريا يحيى بنُ يوسفَ بن يحيى بن منصور بن المُعَمَّر الأنصاريُّ الصَّرْصَريُّ، المادحُ، الماهرُ، الحافظُ للأحاديث واللغة، ذو المحبة الصادقة لرسول الله ﷺ، فلذلك يُشَبَّهُ في عصره بحسانَ بنِ ثابتٍ، رضي اللهُ عنه، في ديوانه المكتوبِ عنه في مَديحِ رسولِ الله ﷺ وقد كان ضَريرَ البصرِ، بَصيرَ البَصيرةِ، وكانت وفاتُه ببَغْدادَ في سنة ستٍّ وخمسين وستِّمائةٍ، قتَله التَّتارُ في كائنة بغدادَ، كما سيأتي ذلك في موضعه، في كتابنا هذا، إن شاء اللهُ تعالىٰ، وبه الثقةُ، وعليه التُّكْلانُ. قال في قصيدته من حرفِ الحاءِ المهملة من ديوانه:

محمدٌ المبعوثُ للناسِ رَحْمةً ... يُشيِّدُ ما أوْهَى الضَّلالُ ويُصْلحُ
لئن سَبَّحَتْ صُمُّ الجبالِ مُجيبةً ... لداودَ أو لانَ الحديدُ المُصَفَّحُ
فإن الصخورَ الصُّمَّ لانَتْ بكَفِّه ... وإن الحَصا في كفِّه لَيُسَبِّحُ
وإنْ كان موسى أنبَعَ الماءَ بالعصا ... فمِن كفِّه قد أصْبَحَ الماءُ يَطْفَحُ
وإنْ كانتِ الرِّيحُ الرُّخاءُ مُطيعةً ... سليمانَ لا تألو تَرُوحُ وتَسْرَحُ
فإن الصَّبا كانت لنَصْرِ نبيِّنا ... ورعبٌ على شهرٍ به الخَصْمُ يَكْلَحُ
وإن أُوتيَ المُلْكَ العظيمَ وسُخِّرتْ ... له الجنُّ تَسْعَى في رضاه وتَكْدَحُ
فإنَّ مَفاتيحَ الكُنوزِ بأسْرِها ... أَتَتْه فرَدَّ الزاهدُ المُتَرَجِّحُ
وإن كان إبراهيمُ أُعْطيَ خُلَّةً ... وموسى بتَكْليمٍ على الطُّورِ يُمْنَحُ
فهذا حَبيبٌ بل خليلٌ مُكَلَّمٌ ... وخُصِّص بالرؤيا وبالحقِّ أَشْرَحُ
وخُصِّصَ بالحَوْضِ الرَّواءِ وباللِّوا ... ويَشْفَعُ للعاصين والنارُ تَلْفَحُ
وبالمَقْعدِ الأعْلَى المُقَرَّبِ نالَه ... عطاءٌ لعينَيه أَقَرُّ وأفْرَحُ
وبالرُّتْبةِ العُلْيا الوسيلةِ دونَها ... مَراتبُ أرْبابِ المَواهبِ تَلْمَحُ
ولَهْوَ إلى الجنَّاتِ أولُ داخلٍ ... له بابُها قبلَ الخَلائقِ يُفْتَحُ

وهذا آخرُ ما يَسَّرَ اللهُ جمعَه مِن الإخبارِ بالمُغَيَّباتِ التي وقَعت إلى زمانِنا مما يَدْخُلُ في دلائلِ النبوةِ، واللهُ الهادي، وإذا فرَغْنا، إن شاء اللهُ، مِن إيرادِ الحادثاتِ مِن بعدِ موتِه، عليه الصلاةُ والسلامُ، إلى زمانِنا، نُتْبعُ ذلك بذكرِ الفتنِ والمَلاحمِ الواقعةِ في آخرِ الزمانِ، ثم نَسوقُ بعدَ ذلك أشْراطَ الساعةِ، ثم نذكُرُ البَعْثَ والنُّشورَ، ثم ما يقَعُ يومَ القيامةِ مِن الأهْوالِ وما فيه مِن العَظَمةِ، ونَذْكُرُ الحوضَ والميزانَ والصِّراطَ، ثم نَذْكُرُ صفةَ النارِ، ثم صفةَ الجنةِ.

* * *



كتاب تاريخ الإسلام الأول من الحوادث الواقعة في الزمان، ووفيات المشاهير والأعيان

سنة إحدى عشرة من الهجرة

تقدَّم ما كان في ربيع الأول منها من وفاة رسول الله ﷺ في يوم الإثنين، وذلك الثاني عشرَ منه على المشهور، وقد بسَطْنا الكلامَ في ذلك بما فيه كفايةٌ، وبالله المستعانُ.

خلافة أبي بكر الصدّيق، رضي اللهُ عنه، وما كان في أيامه من الحوادث والأمور

قد تقدَّم أن رسولَ الله ﷺ تُوُفِّيَ يومَ الإثنين، وذلك ضُحًى، فاشتَغَل الناسُ بأمر بيعة أبي بكر الصدِّيق في سَقيفة بني ساعدةَ، ثم في المسجد البيعةُ العامَّةُ في بقيَّة يوم الإثنين وصَبيحةَ الثلاثاء، كما تقدم ذلك بطُوله، ثم أخذوا في غَسْل رسول الله ﷺ وتكْفينه، والصلاة عليه صلَّى اللهُ عليه وسلَّم تسْليمًا، بقيَّةَ يوم الثلاثاء، ودفَنوه ليلةَ الأربعاء، كما تقدم ذلك مُبرْهَنًا في مَوْضعه.

وقال محمدُ بنُ إسحاقَ بن يَسار: حدَّثني الزهريُّ، حدَّثني أنسُ بنُ مالكٍ قال: لمَّا بُويع أبو بكر في السَّقيفة وكان الغدُ، جلَس أبو بكر على المنبر، فقام عمرُ فتكلَّم قبلَ أبي بكر، فحمد اللهَ وأثنَى عليه بما هو أهلُه، ثم قال: أيُّها الناسُ، إني قد قلتُ لكم بالأمس مقالة ما كانت مما وجَدْتُها في كتاب الله، ولا كانت عَهْدًا عهده إليَّ رسولُ الله ﷺ، ولكني قد كنتُ أرَى أن رسولَ الله ﷺ سيَدْبُرُ أمْرَنا - يقولُ: يكونُ آخرَنا - وإن اللهَ قد أبْقَى فيكم كتابَه الذي به هدَى رسولَ الله ﷺ، فإن اعْتَصَمْتُم به هداكم اللهُ لما كان هداه له، وإن اللهَ قد جمع أمْرَكم على خيركم؛ صاحبِ رسول الله ﷺ وثاني اثنين إذ هما في الغار، فقوموا فبايعوه. فبايَع الناسُ أبا بكر بيعةَ العامَّة بعدَ بيعة السَّقيفة، ثم تكلَّم أبو بكر فحمد اللهَ وأثْنَى عليه بالذي هو أهلُه، ثم قال: أمَّا بعدُ، أيُّها الناسُ، فإني قد وُلِّيتُ عليكم ولسْتُ بخيركم، فإن أحْسَنْتُ فأعينوني وإن أسَأتُ فقوِّموني، الصدقُ أمانةٌ، والكَذبُ خيانةٌ، والضعيفُ فيكم قويٌّ عندي حتى أُريحَ عليه حقَّه، إن شاء اللهُ، والقويُّ فيكم ضعيفٌ عندي حتى آخُذَ الحقَّ منه، إن شاء اللهُ، لا يدَعُ قومٌ الجهادَ في سبيل الله إلا ضربَهم اللهُ بالذُّلِّ، ولا تَشيعُ الفاحشةُ في قومٍ إلا عمَّهم اللهُ بالبَلاء، أطيعوني ما أطَعْتُ اللهَ ورسولَه، فإذا عصَيْتُ اللهَ ورسولَه فلا طاعةَ لي عليكم، قُوموا إلى صلاتكم يَرْحَمْكم اللهُ[1]. وهذا إسنادٌ صحيحٌ.

وقد اتَّفَق الصحابةُ، رضي اللهُ عنهم، على بَيْعة الصدِّيق في ذلك الوقت، حتى عليُّ بنُ أبي طالبٍ والزبيرُ بنُ العوَّام، رضي اللهُ عنهما وأرضاهما، والدليلُ على ذلك ما رَواه البيهقيُّ حيث قال: أنبأنا أبو الحسين عليُّ بنُ محمد بن عليٍّ الحافظُ الإسْفَرايينيُّ، ثنا أبو عليٍّ الحسينُ بنُ عليٍّ

(1) **إسناده صحيح**: رواه ابن هشام في «السيرة» (٤/ ٥١٤، ٥١٥).

الحافظُ، ثنا أبو بكرِ بنُ خُزيمةَ وإبراهيمُ بنُ أبي طالبٍ، قالا: ثنا بُندارُ بنُ بشّارٍ، ثنا أبو هشامٍ المَخزوميُّ، ثنا وُهَيبٌ، ثنا داودُ بنُ أبي هندٍ، ثنا أبو نَضْرَةَ عن أبي سعيدٍ الخدريِّ قال: قُبِضَ رسولُ الله ﷺ، واجتمَع الناسُ في دارِ سعدِ بنِ عُبادةَ، وفيهم أبو بكرٍ وعمرُ.

قال: فقام خطيبُ الأنصارِ فقال: أتعلَمون أنَّ رسولَ الله ﷺ كان من المهاجرين، وخليفتَه من المهاجرين، ونحن كنَّا أنصارَ رسولِ الله ﷺ، فنحن أنصارُ خليفته، كما كنا أنصارَه. قال: فقام عمرُ ابنُ الخطابِ فقال: صدَق قائلُكم، ولو قلتُم غيرَ هذا لم نُتابِعْكم. فأخَذ بيدِ أبي بكرٍ، وقال: هذا صاحبُكم فبايِعوه. فبايَعه عمرُ، وبايَعه المهاجرون والأنصارُ، قال: فصعِد أبو بكرٍ المنبرَ، فنَظَر في وجوهِ القومِ، فلم يرَ الزبيرَ. قال: فدَعا بالزبيرِ فجاء، قال: قلتَ: ابنُ عمَّةِ رسولِ الله ﷺ وحواريُّه، أرَدْتَ أن تشُقَّ عصا المسلمين؟! قال: لا تثريبَ يا خليفةَ رسولِ الله. فقام فبايَعه، ثم نظَر في وجوهِ القومِ فلم يرَ عليًّا، فدَعا بعليِّ بنِ أبي طالبٍ، فجاء فقال: قلتَ: ابنُ عمِّ رسولِ الله ﷺ وختَنُه على ابنته، أرَدْتَ أن تشُقَّ عصا المسلمين؟! قال: لا تثريبَ يا خليفةَ رسولِ الله. فبايَعه[1] هذا أو معناه.

قال الحافظُ أبو عليٍّ النَّيسابوريُّ: سمعتُ ابنَ خُزيمةَ يقولُ: جاءني مسلمُ بنُ الحَجّاجِ، فسألَني عن هذا الحديثِ، فكتَبْتُه له في رُقعةٍ وقرأتُ عليه، فقال: هذا حديثٌ يُساوي بَدَنَةً. فقلتُ: يَسْوَى بَدنةً؟! بل هذا يسوَى بَدْرةً. وقد رواه الإمامُ أحمدُ عن الثِّقةِ، عن وُهَيبٍ، مُختصَرًا. وأخرَجه الحاكمُ في «مُستدرَكِه» من طريقِ عفّانَ بنِ مسلمٍ، عن وُهَيبٍ، مطوَّلًا كنحوِ ما تقدَّم. ورُوِّينا من طريقِ المَحامليِّ، عن القاسمِ بنِ سعيدِ بنِ المسيِّبِ، عن عليِّ بنِ عاصمٍ، عن الجُرَيريِّ، عن أبي نَضْرةَ، عن أبي سعيدٍ، فذكَر مثلَه في مُبايعةِ عليٍّ والزبيرِ، رضيَ اللهُ عنهما، يومَئذٍ.

وقال موسى بنُ عُقبةَ في «مَغازيه» عن سعدِ بنِ إبراهيمَ، حدَّثني أبي، أن أباه عبدَالرحمنِ بنَ عوفٍ كان مع عمرَ، وأن محمدَ بنَ مَسْلَمةَ كسَر سيفَ الزبيرِ، ثم خطَب أبو بكرٍ، واعتَذَر إلى الناسِ، وقال: واللهِ ما كنتُ حريصًا على الإمارةِ يومًا ولا ليلةً، ولا سألتُها اللهَ في سرٍّ ولا علانيةٍ. فقبِل المهاجرون مَقالتَه، وقال عليٌّ والزبيرُ: ما غضِبْنا إلا لأنّا أُخِّرْنا عن المَشورةِ، وإنا نرَى أبا بكرٍ أحقَّ الناسِ بها بعدَ رسولِ الله ﷺ، إنه لَصاحبُ الغارِ، وإنا لَنعرِفُ شرَفَه وخيرَه، ولقد أمَره رسولُ الله ﷺ بالصلاةِ بالناسِ وهو حيٌّ، وهذا اللائقُ بعليٍّ، رضيَ اللهُ عنه، والذي تدلُّ عليه الآثارُ؛ من شُهودِه معه الصلواتِ، وخُروجِه معه إلى ذي القَصَّةِ بعدَ موتِ رسولِ الله ﷺ، كما سنُورِدُه، وبَذْلِه له النَّصيحةَ والمَشورةَ بينَ يديه، وأما ما يأتي من مُبايَعته بعدَ موتِ فاطمةَ - وقد ماتَتْ بعدَ أبيها، عليه الصلاةُ والسلامُ، بستةِ أشهرٍ - فذلك محمولٌ على أنها بَيْعةٌ ثانيةٌ أزالت ما كان قد وقَع من وَحْشةٍ بسببِ الكلامِ في الميراثِ، ومَنْعِه إياهم ذلك بالنَّصِّ عن رسولِ الله ﷺ في قوله: «لا نُورَثُ، ما ترَكْنا فهو صدقةٌ»[2]. كما تقدَّم إيرادُ أسانيدِه وألفاظِه. ولله الحمدُ. وقد كتَبْنا هذه الطرقَ مُستقصاةً في الكتابِ الذي أفرَدْناه في سيرةِ الصِّدِّيقِ، رضيَ اللهُ عنه، وما أسنَده من الأحاديثِ عن رسولِ الله ﷺ،

---

(١) صحيح: رواه الحاكم في «المستدرك» (٣/ ٨٠) ورواه البيهقي في «الكبرى» (٨/ ١٤٣).

(٢) صحيح وقد تقدم.

وما روىٰ عنه من الأحكام مُبَوَّبَةً على أبواب العلم. ولله الحمدُ والمِنَّةُ.

وقال سيفُ بنُ عمرَ التَّميميُّ عن أبي ضَمْرةَ، عن أبيه، عن عاصمِ بنِ عَديٍّ قال: نادىٰ مُنادي أبي بكرٍ من الغَدِ من مُتوفَّىٰ رسولِ الله ﷺ: ليَتِمَّ بَعْثُ أُسامةَ، ألا لا يَبْقَيَنَّ بالمدينة أحدٌ من جند أسامةَ إلا خرجَ إلى عسكرِه بالجُرْف. وقام أبو بكرٍ في الناس، فحمد اللهَ وأثنىٰ عليه، وقال: أيُّها الناسُ، إنما أنا مثلُكم، وإني لا أدري لعلكم ستُكلِّفونني ما كان رسولُ الله ﷺ يُطيقُ، إن اللهَ اصطفىٰ محمدًا على العالَمين، وعصمَه من الآفات، وإنما أنا مُتَّبِعٌ ولستُ بمُبتَدِعٍ، فإن استقمتُ فتابعوني، وإن زِغْتُ فقوِّموني، وإنَّ رسولَ الله ﷺ قُبِضَ وليس أحدٌ من هذه الأُمَّة يَطْلُبُه بمَظْلمةٍ؛ ضَرْبةِ سَوْطٍ فما دونَها، وإن لي شيطانًا يَعْتَريني، فإذا أتاني فاجْتَنِبوني، لا أُؤَثِّرُ في أشعارِكم وأبشارِكم، وإنكم تَغْدُون وتَرُوحون في أجَلٍ قد غُيِّب عنكم عِلْمُه، وإن استطعتم أن لا يَمْضيَ إلا وأنتم في عملٍ صالحٍ فافعلوا، ولن تستطيعوا ذلك إلا بالله، وسابقوا في مَهَلِ آجالِكم من قبلِ أن تُسْلِمَكم آجالُكم إلى انقطاعِ الأعمال، فإن قومًا نَسُوا آجالَهم وجعلوا أعمالَهم لغيرِهم، فإياكم أن تكونوا أمثالَهم، الجِدَّ الجِدَّ، النَّجاءَ النَّجاءَ، الوَحَا الوَحَا فإن وراءَكم طالبًا حَثيثًا، وأجلًا مَرُّه سَريعٌ، احذَروا الموتَ، واعتَبِروا بالآباء والأبناء والإخوان، ولا تَغْبِطوا الأحياءَ إلا بما تَغْبِطون به الأمواتَ. قال: وقام أيضًا فحمد اللهَ وأثنىٰ عليه، ثم قال: إن اللهَ، عز وجل، لا يَقْبَلُ من الأعمال إلا ما أُريد به وَجْهُه، فأَريدوا اللهَ بأعمالِكم، فأيَّما أخلصتُم لله من الأعمال، فطاعةً أتيتموها، وحظًّا ظَفِرتُم به، وضرائبَ أدَّيتُموها، وسلَفًا قدَّمتُموه من أيامٍ فانيةٍ لأخرىٰ باقيةٍ لحينِ فَقْرِكم وحاجتِكم، اعتَبِروا عبادَ الله بمَن مات منكم، وتفكَّروا فيمَن كان قبلَكم، أين كانوا أمسِ؟ وأين هم اليومَ؟ أين الجبَّارون؟! أين الذين كان لهم ذِكْرُ القتالِ والغَلَبة في مَواطنِ الحروب؟! قد تضَعْضَع بهم الدَّهرُ، وصاروا رَميمًا، قد تُرِكَت عليهم القالاتُ، الخبيثاتُ للخبيثين، والخبيثون للخبيثات، وأين الملوكُ الذين أثاروا الأرضَ، وعمَروها؟! قد بَعُدوا ونُسِيَ ذِكْرُهم، وصاروا كَلا شيءٍ، ألا إنّ اللهَ، عز وجل، قد أبقىٰ عليهم التَّبِعاتِ، وقطَع عنهم الشَّهَواتِ، ومضَوا والأعمالُ أعمالُهم، والدنيا دنيا غيرِهم، وبَقِينا خَلَفًا بعدَهم، فإن نحن اعتَبَرْنا بهم نَجَوْنا، وإن اغتَرَرْنا بهم كنَّا مثلَهم، أين الوِضاءُ الحَسَنةُ وُجوهُهم، المُعجَبون بشبابِهم؟! صاروا تُرابًا، وصار ما فرَّطوا فيه حَسْرةً عليهم، أين الذين بَنَوا المدائنَ وحصَّنوها بالحوائطِ، وجعلوا فيها الأعاجيبَ؟! قد تركوها لِمَن خلفَهم، فتلك مساكنُهم خاويةً، وهم في ظُلُماتِ القُبورِ، هل تُحِسُّ منهم من أحدٍ أو تسمعُ لهم رِكزًا؟ أين مَن تعرِفون من آبائكم وإخوانِكم؟! قد انتهَت بهم آجالُهم، فوردوا على ما قدَّموا فحلُّوا عليه، وأقاموا للشِّقْوةِ أو السعادة فيما بعدَ الموت، ألا إنَّ اللهَ لا شريكَ له، ليس بينَه وبينَ أحدٍ من خلقه سببٌ يُعْطيه به خيرًا، ولا يَصْرِفُ عنه به سُوءًا، إلا بطاعتِه واتباعِ أمرِه، واعلَموا أنكم عَبيدٌ مَدينون، وأن ما عندَه لا يُدْرَكُ إلا بطاعتِه، أمَا إنه لا خيرَ بخيرٍ بعده النارُ، ولا شرَّ بشرٍّ بعده الجنةُ[1].

---

(1) انظر «حلية الأولياء» (١/ ٣٦) والطبري في «تاريخه» (٢/ ٢٤٥).

فصل في تنفيذه جيش أسامة بن زيد

الذين كانوا قد أمَرهم رسولُ الله ﷺ بالمسير إلى تُخوم البَلْقاء من الشام، حيث قُتل زيدُ بنُ حارثةَ وجعفرٌ وابنُ رَواحةَ فيُغيروا على تلك الأراضي، فخرَجوا إلى الجُرْف فخيَّموا به، وكان فيهم عمرُ بنُ الخطاب ـ ويقالُ: وأبو بكرٍ الصِّدِّيقُ. فاستَثْناه رسولُ الله ﷺ منهم؛ للصلاة ـ فلما ثَقُل رسولُ الله ﷺ أقاموا هنالك، فلما مات عَظُم الخَطْبُ واشتَد الحالُ ونَجَم النِّفاقُ بالمدينة، وارْتَدَّ مَن ارتدَّ من أحْياء العرب حولَ المدينة، وامْتَنَع آخرون من أداء الزكاة إلى الصِّدِّيق، ولم تَبْقَ الجُمُعةُ تُقامُ في بلدٍ سوى مكةَ والمدينة، وكانت جُوَاثا من البَحْرَين أولَ قرية أقامت الجُمُعةَ بعدَ رجوع الناس إلى الحقِّ، كما في «صحيح البخاري»[1] عن ابن عباسٍ كما سيأتي، وقد كانت ثَقيفٌ بالطائف ثَبَتوا على الإسلام، لم يَفِرُّوا ولا ارْتَدوا.

والمقصودُ أنه لما وقَعت هذه الأمورُ أشار كثيرٌ من الناس على الصِّدِّيق أن لا يُنفذَ جيشَ أسامةَ لاحتياجه إليه فيما هو أهمُّ الآنَ مما جُهِّز بسببه في حال السَّلامة، وكان من جملة مَن أشار بذلك عمرُ ابنُ الخطاب، فامْتَنع الصِّدِّيقُ من ذلك، وأبَى أشَدَّ الإباء إلا أن يُنفذ جيشَ أسامَةَ، وقال: والله لا أَحُلُّ عُقْدةً عقَدها رسولُ الله ﷺ، ولو أن الطَّيرَ تخطَفُنا، والسِّباعَ من حول المدينة، ولو أن الكلابَ جرَّتْ بأرْجُلِ أُمهاتِ المؤمنين، لأُجَهِّزَنَّ جيشَ أسامةَ. فجهَّزه وأمَرَ الحَرَسَ يكونون حولَ المدينة، فكان خروجُه في ذلك الوقت من أكبرِ المَصالحِ والحالةُ تلك، فساروا لا يَمُرُّون بحيٍّ من أحْياء العرب إلا أُرْعِبوا منهم، وقالوا: ما خرَج هؤلاء من قومٍ إلا وبهم مَنَعَةٌ شَديدةٌ. فغابوا أربعين يومًا، ويقالُ: سبعين يومًا. ثم آبوا سالِمين غانمين، ثم رَجَعوا فجَهَّزهم حينئذٍ مع الأحْياء الذين أخْرَجهم لقتال المُرْتَدَّة، ومانعي الزكاة، على ما سيأتي تَفْصيلُه.

قال سيفُ بنُ عمرَ عن هشامِ بنِ عُروةَ، عن أبيه قال: لمَّا بُويعَ أبو بكرٍ، وجَمَع الأنصارَ في الأمرِ الذي افْترَقوا فيه قال: لِيَتِمَّ بَعْثُ أسامةَ. وقد ارْتَدَّت العربُ إما عامَّةً وإما خاصَّةً في كلِّ قَبيلةٍ، ونجَم النِّفاقُ واشْرَأَبَّت اليَهوديَّةُ والنَّصْرانيَّةُ، والمسلمون كالغَنَم المَطيرةِ في الليلة الشاتية؛ لفَقْد نبيِّهم ﷺ، وقِلَّتهم، وكثرة عدوِّهم، فقال له الناسُ: إن هؤلاء جُلُّ المسلمين، والعربُ على ما ترَىٰ قد انتَقَضَت بك، وليس يَنْبَغي لك أن تُفَرِّقَ عنك جماعةَ المسلمين. فقال: والذي نفسُ أبي بكرٍ بيده لو ظَنَنْتُ أن السِّباعَ تَخْطَفُني لأَنْفَذْتُ. بعث أُسامةَ كما أمر به رسول الله ﷺ ولو لم يبق في القرىٰ غيري لأنفذته[2] وقد رُويَ هذا عن هشامِ بنِ عروةَ، عن أبيه، عن عائشة[3]، ومن حديث القاسمِ وعَمْرةَ،

(١) رواه البخاري (٨٩٢) من حديث ابن عباس بلفظ أول جمعة جمعت بعد جمعة في مسجد رسول اللَّه ﷺ في مسجد عبد القيس الجوائي من البحرين.

(٢) رواه الطبري في «تاريخه» (٢/ ٢٤٥).

(٣) انظر مابعده

عن عائشةَ قالت: لما قُبِض رسولُ الله ﷺ ارتدَّت العربُ قاطبةً واشرأبَّ النِّفاقُ، والله لقد نزَل بأبي ما لو نزَل بالجبالِ الراسياتِ لهاضها، وصار أصحابُ محمدٍ ﷺ كأنَّهم معزًى مطيرةٌ في حفشٍ في ليلةٍ مَطيرةٍ بأرضٍ مُسْبِعَةٍ، فوالله ما اختَلفوا في نُقْطةٍ إلا طارَ أبي بحَظِّها وعَنائها وفَضْلِها. ثم ذكرَتْ عمرَ فقالت: مَن رأىٰ عمرَ علِم أنه خُلِق غنًى للإسلامِ، كان والله أحوَزِيًّا نَسيجَ وَحْدِه، قد أعَدَّ للأمورِ أقْرانَها[1].

وقال الحافظُ أبو بكر البَيْهقيُّ: أنا عبد الله الحافظُ، أنا أبو العباسِ محمدُ بنُ يعقوبَ، ثنا محمدُ بنُ عليٍّ المَيْمونيُّ، ثنا الفِرْيابيُّ، ثنا عَبَّادُ بنُ كَثيرٍ، عن أبي الزِّناد، عن الأعرجِ، عن أبي هُريرةَ قال: والله الذي لا إلهَ إلا هو لولا أن أبا بكرٍ استُخْلِف ما عُبِد اللهُ. ثم قال الثانيةَ، ثم قال الثالثةَ، فقيل له: مَهْ يا أبا هريرةَ. فقال: إن رسولَ الله ﷺ وجَّه أُسامةَ بنَ زيدٍ في سبعمائةٍ إلى الشام، فلما نزَل بذي خُشُبٍ قُبِض رسولُ الله ﷺ، وارتَدَّت العربُ حولَ المدينة، فاجتَمع إليه أصحابُ رسول الله ﷺ فقالوا: يا أبا بكرٍ، رُدَّ هؤلاءِ، تُوَجِّهُ هؤلاء إلى الرومِ وقد ارتَدَّت العربُ حولَ المدينة؟! فقال: والذي لا إلهَ غيرُه لو جَرَّت الكلابُ بأرْجُلِ أزواجِ رسولِ الله ﷺ ما رددْتُ جيشًا وَجَّهه رسولُ الله ﷺ، ولا حَلَلْتُ لِواءً عقَده رسولُ الله ﷺ. فوجَّه أسامةَ، فجعَل لا يَمُرُّ بقَبيلٍ يُريدون الارتدادَ إلا قالوا: لولا أن لهؤلاءِ قوةً ما خرَج مثلُ هؤلاءِ مِن عندهم، ولكن ندَعهُم حتى يَلْقَوُا الرُّومَ. فلَقُوا الرومَ فهزَموهم وقَتَلوهم، ورجَعوا سالمين، فثبتوا على الإسلام[2]. عَبَّادُ بنُ كثيرٍ هذا أظُنُّه الرَّمْليَّ؛ لروايةِ الفِرْيابيِّ عنه، وهو مُتقاربُ الحديث، فأما البَصْريُّ الثَّقَفيُّ فمَتروكُ الحديث. واللهُ أعلمُ.

وروىٰ سيفُ بنُ عمرَ عن أبي ضَمْرةَ وأبي عمرٍو وغيرِهما، عن الحسنِ البَصْريِّ، أن أبا بكرٍ لما صمَّم على تَجْهيزِ جيشِ أسامةَ قال بعضُ الأنصارِ لعمرَ: قلْ له فلْيُؤَمِّرْ علينا غيرَ أسامةَ. فذكَر له عمرُ ذلك، فيقالُ: إنه أخَذ بلحيته وقال: ثَكِلَتْك أُمُّك يابنَ الخطاب، أُؤَمِّرُ غيرَ أميرِ رسول الله ﷺ؟! ثم نهَض بنفسه إلى الجُرْفِ فاستَعْرض جيشَ أسامةَ وأمَرهم بالمَسير، وسار معهم ماشيًا، وأسامةُ راكبًا، وعبدُ الرحمنِ بنُ عوفٍ يقودُ براحلةِ الصِّدِّيقِ، فقال أسامةُ: يا خليفةَ رسولِ الله، إما أن تَرْكَبَ وإما أن أنْزِلَ. فقال: والله لستَ بنازلٍ ولسْتُ براكبٍ. ثم استَطْلَق الصِّدِّيقُ من أُسامةَ عمرَ بنَ الخطاب - وكان مُكْتَتَبًا في جيشه - فأطْلَقه له، فلهذا كان عمرُ لا يَلْقاه بعدَ ذلك إلا قال: السلامُ عليك أيُّها الأميرُ[3].

---

(١) رواه خليفة في «تاريخه» (٨٠).
(٢) فيه ضعف.
(٣) رواه ابن جرير في «التاريخ» (٣/ ٢٢٥).

مَقتلُ الأسودِ العنسيِّ المتنبِّئِ الكذَّابِ لعنَه اللهُ وأخزاه

قال أبو جعفر ابنُ جَرير: حدَّثني عمرُ بنُ شبَّةَ النُّمَيْريُّ، ثنا عليُّ بنُ محمدٍ - يعني المَدائنيَّ - عن أبي مَعْشَرٍ ويزيدَ بنِ عِياضِ بنِ جُعْدُبَةَ وغسَّانَ بنِ عبدِ الحميدِ وجُوَيْرِيَةَ بنِ أسْماءَ، عن مَشْيَختِهم، قالوا: أمْضَى أبو بكرٍ جيشَ أسامةَ بنِ زيدٍ في آخرِ ربيعٍ الأولِ، وأتَى مَقْتَلُ الأسْودِ في آخرِ ربيعٍ الأوَّلِ بعدَ مَخْرَجِ أسامةَ، فكان ذلك أولَ فتحٍ أتَى أبا بكرٍ وهو بالمدينةِ(١).

صفةُ خروجِه وتملُّكِه ومَقتلِه

قد أسْلَفْنا فيما تقَدَّم أنَّ اليمنَ كانت قديمًا لحِمْيَرَ، وكانت مُلوكُهم يُسَمَّوْنَ التَّبابعةَ، وتكَلَّمْنا في أيامِ الجاهليةِ على طَرَفٍ صالحٍ من هذا، ثم إنَّ مَلِكَ الحَبَشَةِ بعَث أميرَيْن من قُوَّادِه، وهما أبْرَهَةُ الأشْرَمُ وأرْياطُ، فتَمَلَّكا له اليمنَ من حِمْيَرَ، وصار مُلْكُها للحبشةِ، ثم اختَلف هذان الأميران، فقُتِل أرْياطُ واستَقلَّ أبْرَهَةُ بالنِّيابةِ، وبنَى كَنيسةً سمَّاها القُلَّيْسَ؛ لارتفاعِها، وأراد أن يَصْرِفَ حَجَّ العربِ إليها دونَ الكعبةِ، فجاء بعضُ قريشٍ فأحدَثَ في هذه الكَنيسةِ، فلمَّا بلَغه ذلك حلَف لَيُخَرِّبَنَّ بيتَ مكةَ، فسار إليه ومعه الجنودُ والفيلُ محمودٌ، فكان من أمْرِهم ما قَصَّ اللهُ في كتابه. وقد تقَدَّم بَسْطُ ذلك في موضعِه، فرجَع أبْرَهَةُ ببعضِ مَن بَقِيَ من جيشِه في أسْوأِ حالٍ وشَرِّ خَيْبةٍ، ومازال تَسْقُطُ أعْضاؤُه أُنْمُلةً أُنْمُلةً، فلما وصَل إلى صَنْعاءَ انْصَدَع صدْرُه فمات، فقام بالمُلْكِ بعدَه ولدُه يَكْسُومُ بنُ أبْرهةَ ثم أخوه مَسْروقُ بنُ أبْرَهةَ، فيقالُ: إنَّه استَمَرَّ مُلْكُ اليمنِ بأيْدي الحَبَشَةِ سبعين سنةً، ثم ثار سَيْفُ بنُ ذي يَزَنَ الحِمْيَريُّ، فذهَب إلى قَيْصَرَ ملكِ الرومِ يستَنْصِرُه عليهم، فأبَى ذلك عليه؛ لما بينَه وبينَهم من الاجتماعِ في دينِ النَّصْرانيَّةِ، فسار إلى كِسْرَى ملكِ الفُرْسِ، فاستَغاث به، وله معه مَواقفُ ومَقاماتٌ في الكلامِ تقَدَّم بَسْطُ بعضِها، ثم اتَّفَق الحالُ على أن بعَث معه ممن بالسجونِ طائفةً تقَدَّمهم رجلٌ منهم يقال له: وَهْرِزُ. فاستَنْقَذَ مُلْكَ اليمنِ من الحبشةِ، وكسَر مَسْروقَ بنَ أبْرَهَةَ وقتَلَه، ودَخلوا إلى صَنْعاءَ وقرَّروا سيفَ بنَ ذي يَزَنَ في المُلْكِ على عادةِ آبائِه، وجاءت العربُ تُهَنِّئُه من كلِّ جانبٍ، غيرَ أنَّ لكِسْرَى نُوَّابًا على البلادِ، فاستَمَرَّ الحالُ على ذلك حتى بعَث اللهُ رسولَه ﷺ، فأقام بمكَّةَ ما أقام، ثم هاجَر إلى المدينةِ، فلمَّا كتَب كُتُبَه إلى مُلوكِ الآفاقِ يدْعوهم إلى عبادةِ اللهِ وحدَه لا شريكَ له، فكتَب في جملةِ ذلك إلى كِسْرَى ملكِ الفرسِ: «بسم الله الرحمن الرحيم، من محمدٍ رسولِ اللهِ إلى كِسْرَى عظيمِ الفرسِ، سلامٌ على مَن اتَّبَع الهُدَى، أما بعدُ فأسْلِمْ تَسْلَمْ». إلى آخرِه، فلما جاءه الكتابُ قال: ما هذا؟ قالوا: هذا كتابٌ جاء من عندِ رجلٍ بجزيرةِ العربِ يَزْعُمُ أنه نبيٌّ، فلما

(١) رواه ابن جرير في «التاريخ» (٣/ ٢٤٠).

فتَح الكتابَ فوجَده قد بدَأ باسمه قبلَ اسمِ كِسْرَىٰ غَضِب كِسْرَىٰ عندَ ذلك غضَبًا شَديدًا، وأخَذ الكتابَ فمزَّقه قبلَ أن يَقرَأَه، وكتَب إلىٰ عامله علىٰ اليمنِ، وكان اسمُه باذامَ: أما بعدُ فإذا جاءك كتابي هذا فابْعَثْ مِن قِبَلِك أميرَيْن إلىٰ هذا الرجلِ الذي بجزيرةِ العربِ الذي يَزْعُمُ أنه نبيٌّ، فابْعثْه إليَّ في جامعةٍ. فلما جاء الكتابُ إلىٰ باذامَ، بعَث مِن عنده أميرَيْن عاقلَيْن، وقال: اذْهَبا إلىٰ هذا الرجلِ، فانْظُرا ما هو، فإن كان كاذبًا فخذاه في جامعةٍ حتىٰ تذْهَبا به إلىٰ كِسْرَىٰ، وإن كان غيرَ ذلك فارْجِعا إليَّ فأخْبِراني ما هو، حتىٰ أنْظُرَ في أمْرِه. فقدما علىٰ رسولِ الله ﷺ إلىٰ المدينةِ، فوجَداه علىٰ أَسَدِّ الأحْوالِ وأرْشَدِها، ورأَيا منه أُمورًا عَجيبةً يَطولُ ذِكْرُها، ومكَثا عندَه شهرًا بعدَما أبلغاه ما جاءا له، ثم تَقاضاه الجوابَ بعدَ ذلك، فقال لهما: «ارْجعا إلى صاحبِكما فأخْبِراه أنَّ ربي قد قتَل الليلةَ ربَّه». فأرَّخا ذلك عندَهما، ثم رجَعا سريعًا إلىٰ اليمنِ، فأخْبَرا باذامَ بما قال لهما فقال: أَحْصُوا تلك الليلةَ، فإن ظهَر الأمْرُ كما قال فهو نبيٌّ. فجاءت الكتبُ عند مَلِكِهم أنَّه قد قُتِل كِسْرَىٰ في ليلةِ كذا وكذا، لتلك الليلةِ، وكان قد قتَله بنوه، ولهذا قال بعضُ الشُّعراءِ:

وكِسْرَىٰ إذ تَقاسَمه بَنوه ... بأسْيافٍ كما اقْتُسم اللَّحامُ
تَمَخَّضت المَنونُ له بيومٍ ... أنَىٰ ولكلِّ حامِلةٍ تَمامُ

وقام بالمُلك مِن بعده ولَدُه يَزْدَجِرْدُ، وكتَب إلىٰ باذامَ أن خُذْ ليَ البيعةَ ممَّن قِبَلَك، واعْمِدْ إلىٰ ذلك الرجلِ فلا تُهِجْه وأكْرِمْه، فدخَل الإسلامُ في قلبِ باذامَ وذَوِيه مِن أبناءِ فارسَ ممن باليمنِ، وبعَث إلىٰ رسولِ الله ﷺ بإسلامه، فبعَث إليه رسولُ الله ﷺ بنيابةِ اليمنِ بكمالها، فلم يَعْزِلْه عنها حتىٰ مات، فلما مات اسْتَناب ابنَه شَهْرَ بنَ باذامَ علىٰ صَنْعاءَ وبعضِ المخاليفِ، وبعَث طائفةً مِن أصحابه نُوَّابًا علىٰ مَخاليفَ أُخَرَ، فبعَث أولًا في سنةِ عَشْرٍ عَليًّا وخالدًا، ثم أرْسَل مُعاذًا وأبا موسىٰ الأشْعريَّ، وفرَّق عمالةَ اليمنِ بينَ جماعةٍ مِن الصحابةِ، فمنهم؛ شَهرُ بنُ باذامَ، وعامرُ بنُ شهرٍ الهَمْدانيُّ علَىٰ هَمْدانَ، وأبو موسىٰ علىٰ مَأْرِبَ، وخالدُ بنُ سعيدِ بنِ العاصِ علىٰ ما بينَ نَجْرانَ ورِمَعٍ وزَبِيدٍ، ويَعْلَىٰ بنُ أُميَّةَ علىٰ الجَنَدِ، والطاهرُ ابنُ أبي هالةَ علىٰ عَكٍّ والأشْعريِّين، وعمرُو بنُ حَزْمٍ علىٰ نَجْرانَ، وعلىٰ بلادِ حَضْرَموتَ زيادُ بنُ لَبِيدٍ، وعلىٰ السَّكاسكِ عُكَّاشةُ بنُ ثَورِ بنِ أَصْغَرَ، وعلَىٰ السَّكُونِ وبني مُعاويةَ بنِ كِندةَ، وبعَث مُعاذَ بنَ جبلٍ مُعَلِّمًا لأهلِ البَلَدَيْن؛ اليمنِ وحَضْرَمَوتَ، يَتنقَّلُ مِن بلدٍ إلىٰ بلدٍ. ذَكَرَه سيفُ بنُ عمرَ، وذلك كلُّه في سنةِ عشْرٍ في آخرِ حياةِ رسولِ الله ﷺ، فبينما هم علىٰ ذلك إذ نَجَم هذا اللَّعينُ الأسْوَدُ العَنْسيُّ.

خروجُ الأسْودِ العَنْسيِّ

واسمُه عَبْهَلَةُ بنُ كعبِ بنِ غَوْثٍ، مِن بلدٍ يقالُ لها: كهفُ خُبَّانَ. في سبعمائةِ مُقاتلٍ، وكتَب إلىٰ عُمَّالِ النبيِّ ﷺ: أيُّها المَوْرُودُون علينا، أمْسكوا علينا ما أخَذْتُم مِن أرضِنا، ووفِّروا ما جمَعْتُم، فنحن أوْلَىٰ به، وأنتم علىٰ ما أنتم عليه. ثم ركِب فتَوجَّه إلىٰ نَجْرانَ فأخَذَها بعدَ عشْرِ ليالٍ مِن مخْرجِه، ثم

قصَد إلى صَنْعاءَ، فَخَرج إليْه شَهْرُ بنُ بَاذامَ فَتقاتَلا، فَغَلَبه الأَسْودُ وقَتلَهَ، وكَسرَ جَيْشَهُ من الأَبناء، واحْتَلَّ بَلْدةَ صَنْعاءَ لخمسٍ وعشرين ليلةً من مَخْرجه، ففرَّ مُعاذُ بنُ جبلٍ من هنالك، واجْتازَ بأبي موسى الأشعريِّ، فذهَبا إلى حَضْرَموتَ، وانحاز عُمَّالُ رسولِ الله ﷺ إلى الطاهرِ، ورجَع عمرُو بنُ حَزْمٍ وخالدُ بنُ سعيدِ بنِ العاصِ إلى المدينة، واسْتَوْسَقَت اليمنُ بكمالها للأَسْودِ العَنْسيِّ، وجعَل أمْرُه يَسْتَطيرُ استطارةَ الشَّرارة، وكان جيشُه يومَ لَقي شَهْراً سبعَمائة فارسٍ، وأمراؤُه قيسُ بنُ عبدِ يَغوثَ المُراديُّ، ومُعاويةُ بنُ قيسٍ، ويزيدُ بنُ مُخَرَّمٍ، ويزيدُ بنُ حُصَينٍ الحارثيُّ، ويزيدُ بنُ الأَفْكَلِ الأزْديُّ، واشْتَد مُلْكُه، واسْتَغْلَظ أمْرُه، وارْتَدَّ خَلْقٌ من أهْلِ اليمنِ، وعامَله المسلمون الذين هناك بالتَّقيَّة، وكان خَليفتَه على مَذْحِجٍ عمرُو بنُ مَعْدِ يَكَرِبَ، وأسْنَد أمْرَ الجُنْدِ إلى قيسِ بنِ عبدِ يَغوثَ، وأسْنَد أمْرَ الأَبْناء إلى فَيْروزَ الدَّيْلميِّ وداذَوَيْه، وتزَوَّج امرأةَ شهرِ بنِ باذامَ، وهي ابنةُ عمِّ فَيْروزَ الدَّيْلميِّ، واسمُها آزاذُ، وكانت امرأةً حَسْناءَ جميلةً، وهي مع ذلك مؤمنةٌ بالله ورسولِه محمدٍ ﷺ، ومن الصالحات.

قال سيف بنُ عمرَ التَّميميُّ: وبعَث رسولُ الله ﷺ كتابَه حينَ بلَغه خبرُ الأَسْودِ العَنْسيِّ مع رجلٍ يقالُ له: وبرُ بنُ يُحَنَّسَ الدَّيْلميُّ. يأمُرُ المسلمين الذين هناك بمُقاتَلة الأَسْودِ العَنْسيِّ ومُصاولَته، وقام مُعاذُ بنُ جبلٍ بهذا الكتاب أتمَّ القيام، وكان قد تزَوَّج امرأةً من السَّكُونِ يقالُ لها: رَمْلةُ. فحَدِبَتْ عليه السَّكُونُ؛ لصهرِه فيهم، وقاموا معه في ذلك، وبلَّغوا هذا الكتابَ إلى عُمَّال النبيِّ ﷺ ومَن قدَروا عليه من الناس، واتَّفق اجتماعُهم بقَيْسِ بنِ عبدِ يَغوثَ أميرَ الجُنْد، وكان قد تَغَضَّب عليه الأَسْودُ واسْتَخَفَّ به، وهَمَّ بقتله، وكذلك كان أمْرُ فَيْروزَ الدَّيْلميِّ قد ضَعُف عندَه أيضاً، وكذا داذَوَيْه، فلمَّا أَعْلَم وبرُ بنُ يُحَنَّسَ والمسلمون قيسَ بنَ عبدِ يَغوثَ، وهو قيسُ بنُ مَكْشوحٍ، كان كأنما نزَلوا عليه من السماء، ووافَقهم على الفَتْك بالأَسْود، وتوافَق المسلمون على ذلك وتَعاقدوا عليه، فلما أيْقَن ذلك في الباطنِ اطَّلَع شيطانُ الأَسْودِ للأَسْودِ على شيءٍ من ذلك، فدَعا قيسَ بنَ مَكْشوحٍ فقال له: يا قيسُ، ما يقولُ هذا؟! قال: وما يقولُ؟ قال يقول: عمَدْتَ إلى قيسٍ فأكْرَمْتَه حتى إذا دخَل منك كلَّ مَدْخَلٍ، وصار في العزِّ مثلَك، مال مَيْلَ عدوِّك، وحاول مُلْكَك، وأضْمَر على الغَدْر، إنه يقولُ: يا أسودُ يا أسودُ، يا سَوْأَه يا سَوْأَه قطِّفْ قُنَّته، وخُذْ من قيسٍ أعْلاه، وإلا سَلَبك وقطَف قُنَّتَك. فقال قيسٌ - وحلَف له فكذَب -: وذي الخِمار لأنت أعْظَمُ في نفسي وأجَلُّ عندي من أن أُحَدِّثَ بك نفسي. فقال له الأسودُ: ما إخالُك تُكَذِّبُ المَلَكَ، فقد صدَق المَلَكُ وعرَف الآنَ أنك تائبٌ؛ لمَا اطَّلع عليه منك. ثم خرَج قيسٌ من بينِ يديه، فجاء إلى أصحابه فَيْروزَ وداذَوَيْه، فأخْبَرهم بما قال له وردَّ عليه، فقالوا: إنا كلَّنا على حَذَرٍ، فما الرَّأْيُ؟ فبينما هم يَشْتَورون إذ جاءهم رسولُه فأحْضَرهم بينَ يديه، فقال: ألم أُشْرِفْكم على قومكم؟ قالوا: بلى. قال: فماذا يَبْلُغُني عنكم؟ فقالوا: أقِلْنا مرَّتَنا هذه. فقال: لا يَبْلُغُني عنكم فأَقْتُلَكم. قال: فخرَجْنا من عنده ولم نَكَدْ وهو في ارْتيابٍ من أمْرِنا، ونحن

علىٰ خطر، فبينما نحن في ذلك إذ جاءتْنا كتبٌ من عامرِ بنِ شهرٍ أميرِ هَمْدانَ، وذي ظُلَيْمٍ، وذي كَلاعٍ، وغيرِهم من أُمراءِ اليمنِ، يَبْذُلون لنا الطاعةَ والنصرَ علىٰ مُخالفةِ الأسْودِ، وذلك حينَ جاءهم كتابُ رسولِ اللهِ ﷺ يَحُثُّهم علىٰ مُصاولةِ الأسودِ العَنْسيِّ، فكتَبْنا إليهم أن لا يُحْدِثوا شيئًا حتىٰ نُبْرِمَ الأمْرَ. قال قيسٌ: فدخَلْتُ علىٰ امرأتِه آزاذَ، فقلتُ: يا ابنةَ عمي، قد عرَفْتِ بَلاءَ هذا الرجلِ عندَ قومِك، قتَل زوجَكِ، وطَأْطَأَ في قومِك القَتْلَ، وفضَح النساءَ، فهل عندك مُمالأةٌ عليه؟ قالت: علىٰ أيِّ أمْرِه؟ قلتُ: إخراجه. قالت: أو قتله؟ قلتُ: أو قتله. قالت: نعم، واللهِ ما خلَق اللهُ شخصًا هو أبغضُ إليَّ منه، ما يقومُ للهِ علىٰ حقٍّ، ولا ينْتَهي له عن حُرْمةٍ، فإذا عزَمْتُم فأعلِموني أُخْبِرْكم بما في هذا الأمرِ. قال: فأخْرُجُ فإذا فَيْروزُ وداذَوَيْه ينْتَظِراني يُريدون أن يُناهِضوه. فما استَقَرَّ اجْتماعُه بهما حتىٰ بعَث إليه الأسودُ، فدخَل في عشَرةٍ من قومِه، فقال له: ألم أُخْبِرْك بالحقِّ وتُخْبِرْني بالكِذابةِ؟ إنه يقولُ: يا سَوْأَه يا سَوْأَه، إن لم تَقْطَعْ من قيسٍ يدَه يَقْطَعْ رقبتَك العُلْيَا. حتىٰ ظنَّ قيسٌ أنه قاتلُه، فقال: إنه ليس من الحقِّ أنْ أَهْلِكَ وأنت رسولُ اللهِ، فقَتْلِي أحَبُّ إليَّ من مَوْتاتٍ أموتُها كلَّ يومٍ. فرَقَّ له وأمَره بالانصرافِ، فخرَج إلىٰ أصحابِه وقال: اعْمَلوا عملَكم. فبينما هم وُقوفٌ بالبابِ يَشْتَوِرون إذ خرَج الأسْودُ عليهم، وقد جمَع له مائةً ما بينَ بقرةٍ وبعيرٍ، فقام وخَطَّ خَطًّا وأُقيمت من ورائِه، وقام دونَها، فنحرَها غيرَ مُحَبَّسَةٍ ولا مُعَقَّلَةٍ، ما يَقْتَحِمُ الخَطَّ منها شيءٌ، فجالت إلىٰ أن زهَقَت أرواحُها. قال قيسٌ: فما رأيْتُ أمْرًا كان أفْظَعَ منه، ولا يومًا أوْحشَ منه. ثم قال الأسْودُ: أحَقٌّ ما بلَغني عنك يا فيروزُ؟ لقد هَمَمْتُ أن أنْحَرك فأُتْبِعَكَ هذه البَهيمةَ. وبَوَّأ له الحَرْبةَ. فقال له فَيْروزُ: اخْتَرْتَنا لصِهْرِك، وفضَّلْتنا علىٰ الأبْناءِ، فلو لم تكُنْ نبيًّا ما بِعْنا نَصيبَنا منك بشيءٍ، فكيف وقد اجْتَمع لنا بك أمْرُ الآخرةِ والدنيا؟ فلا تَقْبَلْ علينا أمثالَ ما يَبْلُغُك، فإنَّا بحيث تُحِبُّ. فرضِي عنه وأمَره بقَسْمِ لحومِ تلك الأنعامِ، ففرَّقها فيروزُ في أهلِ صَنعاءَ، ثم أسْرَع اللَّحاقَ به، فإذا رجلٌ يُحَرِّضُه علىٰ فيروزَ ويَسْعَىٰ إليه فيه، فاستَمع له فَيْروزُ، فإذا الأسْودُ يقولُ: أنا قاتلُه غدًا وأصحابَه، فاغْدُ عليَّ به. ثم الْتَفت فإذا فيروزُ، فقال: مَهْ. فأخْبَرَه فيروزُ بما صنَع من قَسْمِ ذلك اللحمِ، فدخَل الأسْودُ دارَه، ورجَع فيروزُ إلىٰ أصحابِه، فأعْلَمهم بما سمع وبما قال وقيل له، فاجْتَمع رأيُهم علىٰ أن يعاودوا المرأةَ في أمْرِه، فدخَل أحدُهم -وهو فَيْروزُ- إليها، فقالت: إنه ليس من الدارِ بيتٌ إلا والحَرَسُ مُحيطون به، غيرَ هذا البيتِ، فإنَّ ظهرَه إلىٰ مكانِ كذا وكذا من الطريقِ، فإذا أمْسَيْتُم فانْقُبوا عليه من دونِ الحَرَسِ، وليس من دونِ قتلِه شيءٌ، وإني سأضَعُ في البيتِ سراجًا وسلاحًا. فلما خرَج من عندِها تَلَقَّاه الأسْودُ فقال له: ما أدْخَلك علىٰ أهلي؟ ووجَأ رأسَه، وكان الأسودُ شديدًا، فصاحت المرأةُ فأدْهَشَتْه عنه، ولولا ذلك لقتَله، وقالت: ابنُ عمِّي جاءني زائرًا. فقال: اسْكُتي لا أبا لك، قد وهَبْتُه لك. فخرَج علىٰ أصحابِه فقال: النَّجاءَ النَّجاءَ. وأخْبَرهم الخبَرَ، فحاروا ماذا يَصْنَعون؟ فبعَثتِ المرأةُ إليهم تقولُ لهم: لا تَنْثَنُوا عما كنتُم عازمين عليه. فدخَل عليها فيروزُ الدَّيْلميُّ فاسْتَثْبَت

منها الخبرَ، ودخَلوا إلى ذلك البيت فنقَبوا مِن داخله بَطائنَ؛ ليَهُونَ عليهم النَّقْبُ مِن خارج، ثم جَلَس عندها جهرةً كالزائر، فدخَل الأسْودُ فقال: وما هذا؟ فقالت: إنه أخي مِن الرَّضاعة، وهو ابنُ عمِّي. فنَهَره وأخرَجه، فرجَع إلى أصحابه، فلما كان الليلُ نقَبوا ذلك البيتَ فدخَلوا فوجَدوا فيه سراجًا تحتَ جَفْنة، فتقدَّم إليه فيروزُ الدَّيْلميُّ، والأسْودُ نائمٌ على فراشٍ مِن حرير، قد غرِق رأسُه في جسَده، وهو سكْرانُ يَغُطُّ، والمرأةُ جالسةٌ عندَه، فلما قام فيروزُ على الباب أجْلَسه شَيْطانُه وتكلَّم على لسانه - وهو نائمٌ مع ذلك يَغُطُّ - فقال: ما لي وما لك يا فيروزُ؟ فخشِيَ إن رجَع أن يَهْلِكَ وتَهْلِكَ المرأةُ، فعاجَله وخالَطه، وهو مثلُ الجمل، فأخَذ برأسه فدَقَّ عُنُقَه، ووضَع ركبتيه في ظهره حتى قتَلَه، ثم قام ليخرُجَ إلى أصحابه ليُخبِرَهم، فأخَذَت المرأةُ بذَيْله وقالت: أين تَذهَبُ عن حُرْمتكم؟ فظنَّت أنه لم يَقْتُله، فقال: أخْرُجُ لأُعْلِمَهم بقَتْله. فدخَلوا عليه ليَحْتَزُّوا رأسَه، فحرَّكه شَيْطانُه فاضْطَرب، فلم يَضْبُطوا أمرَه حتى جَلَس اثنان على ظهره، وأخَذت المرأةُ بشعره، وجعَل يُبَربِرُ بلسانه، فاحْتَزَّ الآخَرُ رقبتَه، فخار كأشدِّ خُوارِ ثَوْرٍ سُمع قطُّ، فابْتَدر الحَرَسُ إلى المَقْصورة، فقالوا: ما هذا ما هذا؟! فقالت المرأةُ: النبيُّ يُوحَى إليه. فرجَعوا، وجلَس قيسٌ وداذَوَيْه وفيروزُ يأتَمِرون كيف يُعْلِمون أشْياعَهم، فاتَّفقوا على أنه إذا كان الصباحُ يُنادُون بشعارهم الذي بينَهم وبينَ المسلمين، فلما كان الصباحُ قام أحدُهم، وهو قيسٌ، على سُور الحصن فنادَى بشعارهم، فاجْتَمَع المسلمون والكافرون حولَ الحصن، فنادَى قيسٌ - ويقالُ: وبَرُ بنُ يُحَنِّسَ - بالأذان: أشْهَدُ أنَّ محمدًا رسولُ الله، وأنَّ عَبْهَلَةَ كذَّابٌ. وألْقَى إليهم رأسَه، فانْهَزم أصحابُه، وتبِعهم الناسُ يأخُذونهم ويَرْصُدونهم في كلِّ طريقٍ يأسِرُونهم، وظَهَر الإسلامُ وأهلُه، وتَراجَع نُوَّابُ رسولِ الله ﷺ إلى أعمالهم، وتَنازَع أولئك الثلاثةُ في الإمارة، ثم اتَّفقوا على مُعاذِ بنِ جَبَلٍ يُصَلِّي بالناس، وكَتَبوا بالخبرِ إلى رسولِ الله ﷺ، وقد أطْلَعه اللهُ على الخبرِ مِن ليلَتِه.

كما قال سيفُ بنُ عمرَ التَّميميُّ عن أبي القاسم الشَّنَويِّ، عن العَلاء بن زِيَادٍ، عن ابنِ عمرَ قال: أتَى الخبرُ النبيَّ ﷺ مِن السماء الليلةَ التي قُتِل فيها العَنْسيُّ ليُبَشِّرَنا، فقال: «قُتِل العَنْسيُّ البارحةَ، قتَله رجُلٌ مُبارَكٌ من أهلِ بيت مُبارَكين». قيل: ومَن؟ قال: «فيروزُ، فاز فيروزُ». وقد قيل: إنَّ مُدَّةَ مُلْكه منذُ ظهَر إلى أن قُتِل ثلاثةُ أشْهرٍ. ويقالُ: أربعةُ أشهرٍ. فاللهُ أعلمُ.

وقال سيف بنُ عمرَ عن المُسْتَنِير، عن عُروةَ عن الضَّحَّاك، عن فيروزَ قال: قَتَلْنا الأسْودَ، وعاد أمْرُنا كما كان، إلا أنَّا أرْسَلْنا إلى مُعاذِ بنِ جبلٍ فتراضَيْنا عليه، فكان يُصَلِّي بنا في صَنْعاءَ، فواللهِ ما صلَّى بنا إلا ثلاثةَ أيامٍ حتى أتانا الخبرُ بوفاةِ رسولِ الله ﷺ، فانْتَقَضت الأمورُ، وأنْكَرْنا كثيرًا مما كنا نَعْرِفُ، واضْطَرَبت الأرضُ.

وقد قدَّمْنا أنَّ خبرَ العَنْسيِّ جاء إلى الصِّدِّيق في أواخرِ ربيعٍ الأول بعدَما جهَّز جيشَ أسامةَ، وقيل: بل جاءت البِشارةُ إلى المدينةِ صَبيحةَ تُوُفِّيَ رسولُ الله ﷺ. والأولُ أشْهرُ. واللهُ أعلمُ.

والمقصودُ أنه لم يَجِئْهم فيما يتعلَّقُ بمصالحِهم واجتماعِ كلمتِهم وتأليفِ ما بينَهم والتَّمسُّكِ بدينِ الإسلامِ إلا الصِّدِّيقُ، رضي اللهُ عنه، وسيأتي إرسالُه إليهم مَن يُمَهِّدُ الأمورَ التي اضطَرَبت في بلادِهم ويُقَوِّي أيديَ المسلمينَ، ويُثَبِّتُ أركانَ دَعائمِ الإسلامِ فيهم، رضي اللهُ عنهم.

فصلٌ في تصدِّي الصديق لقتال أهل الردة ومانعي الزكاة

قد تقدَّم أن رسولَ الله ﷺ لما تُوُفِّيَ ارتَدَّت أحياءٌ كثيرةٌ من الأعرابِ، ونَجَم النِّفاقُ بالمدينة، وانحاز إلى مُسَيْلِمةَ الكذَّابِ بنو حَنيفةَ وخَلْقٌ كثيرٌ باليَمامة، والتَفَّتْ على طُلَيحةَ الأسَديِّ بنو أسَدٍ وطَيِّئٌ، وبَشَرٌ كثيرٌ أيضًا، وادَّعى النُّبوةَ أيضًا كما ادَّعاها مُسَيْلِمةُ الكذَّابُ، وعَظُم الخَطْبُ واشْتَدَّ الحالُ، ونَفَّذ الصِّدِّيقُ جيشَ أسامةَ، فقَلَّ الجُنْدُ عندَ الصِّدِّيق، فطمِعَت كثيرٌ من الأعرابِ في المدينة، وراموا أن يَهْجُموا عليها، فجعَل الصِّدِّيقُ على أنْقابِ المدينةِ حُرَّاسًا يَبِيتون بالجيوشِ حولَها؛ فمن أُمراءِ الحَرَسِ عليُّ بنُ أبي طالبٍ، والزبيرُ بنُ العَوَّامِ، وطَلْحةُ بنُ عبيدِ الله، وسعدُ بنُ أبي وقاصٍ، وعبدُ الرحمنِ ابنُ عَوْفٍ، وعبدُ اللهِ بنُ مسعودٍ، وجَعَلَت وفودُ العربِ تَقْدَمُ المدينةَ، يُقِرُّون بالصلاة ويَمْتَنِعون من أداءِ الزكاة، ومنهم مَن امتنع من دَفْعِها إلى الصِّدِّيق، وذُكِرَ أن منهم مَن احْتَجَّ بقوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ﴾ [التوبة: ١٠٣]. قالوا: فلسنا نَدْفعُ زكاتَنا إلا إلى مَن صلاتُه سَكَنٌ لنا. وأنْشَد بعضُهم:

أطَعْنا رسولَ اللهِ إذ كان بينَنا ... فواعَجَبًا ما بالُ مُلْكِ أبي بكرِ

وقد تكلَّم الصحابةُ مع الصديقِ في أن يَتْرُكَهم وما هم عليه من مَنعِ الزكاةِ ويتألَّفَهم حتى يَتَمَكَّنَ الإيمانُ في قلوبِهم، ثم هم بعدَ ذلك يُزَكُّون، فامْتَنع الصِّدِّيقُ من ذلك وأباه.

وقد روَى الجماعةُ في كتبِهم سوى ابنِ ماجه، عن أبي هريرةَ، أن عمرَ بنَ الخطابِ قال لأبي بكرٍ: عَلامَ تُقاتِلُ الناسَ وقد قال رسولُ الله ﷺ: **«أُمِرْتُ أن أقاتِلَ الناسَ حتى يَشْهَدوا أن لا إلهَ إلا اللهُ، وأن محمدًا رسولُ الله، فإذا قالوها عصَموا مِنِّي دماءَهم وأموالَهم إلا بحقِّها»**؟ فقال أبو بكرٍ: واللهِ لو مَنَعوني عَناقًا -وفي روايةٍ: عِقالاً- كانوا يُؤَدونه إلى رسولِ الله ﷺ، لأُقاتِلَنَّهم على مَنْعِها، إن الزكاةَ حقُّ المالِ، واللهِ لأُقاتِلَنَّ مَن فرَّق بينَ الصلاةِ والزكاةِ. قال عمرُ: فما هو إلا أن رأيتُ اللهَ قد شرَح صدرَ أبي بكرٍ للقتالِ، فعرَفْتُ أنه الحقُّ[1].

قلتُ: وقد قال اللهُ تعالى: ﴿فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾ [التوبة: ٥] وثبَت في «الصحيح»: **«أُمِرْتُ أن أقاتِلَ الناسَ حتى يقولوا: لا إله إلا اللهُ، وأن محمدًا رسولُ الله. ويُقيموا الصلاةَ**

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري (١٤٠٠) ومسلم (٢٠) والترمذي (٢٦٠٧) وأبو داود (١٥٥٦) وغيرهم من حديث أبي هريرة.

ويؤتُوا الزكاةَ». وفي «الصحيحين»[1] : «بُنيَ الإسلامُ على خمسٍ؛ شهادة أن لا إلهَ إلا اللهُ، وأن محمداً رسولُ الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحجِّ البيت، وصوم رمضانَ».

وقد روى الحافظُ ابنُ عساكر[2] من طريقٍ، عن شَبَابةَ بن سَوَّارٍ، ثنا عيسى بنُ يزيد المَدينيُّ، حدَّثني صالحُ بنُ كَيْسانَ قال: لما كانت الرِّدَّةُ قام أبو بكر في الناس، فحمد اللهَ وأثنى عليه، ثم قال: الحمدُ لله الذي هدى فكفى، وأعطى فأغنى، إن اللهَ بعَث محمداً ﷺ والعلمُ شَريدٌ، والإسلامُ غريبٌ طَريدٌ، قد رَثَّ حبلُه، وخلِق عهدُه، وضلَّ أهلُه منه، ومقَت اللهُ أهلَ الكتاب فلا يُعطيهم خيراً لخيرٍ عندَهم، ولا يَصْرِفُ عنهم شرّاً لشرٍّ عندَهم، قد غيَّروا كتابهم، وألحقوا فيه ما ليس منه، والعربُ الأُمِّيُّون صفرٌ من الله لا يَعْبُدونه ولا يَدْعُونه، فأجْهَدُهم عَيْشاً، وأضلُّهم ديناً، في ظَلَفٍ من الأرض مع ما فيه من السَّحاب، فجمَعهم اللهُ بمحمدٍ ﷺ، وجعلَهم الأُمَّةَ الوُسْطَى، نصرَهم بمَن اتَّبعهم، ونصرَهم على غيرِهم، حتى قبَض اللهُ نبيَّه ﷺ، فركِب منهم الشيطانُ مَرْكَبه الذي أنزَله اللهُ عنه، وأخَذ بأيديهم، وبغَى هَلَكَتَهم ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤]. إن مَن حولَكم من العربِ منَعوا شاتَهم وبعيرَهم، ولم يكونوا في دينهم ـ وإن رجَعوا إليه ـ أزهدَ منهم يومَهم هذا، ولم تكونوا في دينكم أقوى منكم يومَكم هذا، على ما قد فقدتُم من بركةِ نبيِّكم ﷺ، ولقد وكَلَكم إلى المَوْلى الكافي، الذي وجَده ضالاً فهداه، وعائلاً فأغناه ﴿وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا﴾ [آل عمران: ١٠٣]. والله لا أدَعُ أُقاتِلُ على أمْرِ الله حتى يُنجِزَ اللهُ وعْدَه، ويُوفيَ لنا عهْدَه، ويُقْتَلَ مَن قُتِل منا شهيداً من أهلِ الجنة، ويَبْقىَ مَن بَقيَ منّا خَليفتَه وورثَتَه في أرضِه، قضاءُ اللهِ الحقُّ، وقولُه الذي لا خُلْفَ له ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ الآية [النور: ٥٥]. ثم نزَل، رحمه اللهُ.

قال الحسنُ وقَتادةُ وغيرُهما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ الآية [المائدة: ٥٤]. قالوا: المرادُ بذلك أبو بكرٍ وأصحابُه في قتالِهم المُرتدِّين ومانعي الزكاة.

وقال محمدُ بنُ إسحاقَ: وارْتَدَّت العربُ عندَ وفاة رسول الله ﷺ ما خلا أهلَ المسجدَيْن؛ مكةَ والمدينة، وارْتَدَّت أسَدٌ وغَطَفانُ، وعليهم طُلَيْحَةُ بنُ خُوَيْلدٍ الأسَديُّ الكاهن، وارْتَدَّت كِنْدةُ ومَن يَليها، وعليهم الأشْعثُ بنُ قيسٍ الكِنديُّ، وارْتَدَّت مَذْحِجٌ ومَن يَليها، وعليهم الأسودُ بنُ كعبٍ العَنْسيُّ الكاهنُ، وارْتَدَّت رَبيعةُ مع المعْرورِ بنِ النُّعمانِ بنِ المنذرِ، وكانت بنو حَنيفةَ مُقيمةً على أمْرِها مع مُسَيْلمةَ بنِ حَبيبٍ الكذَّابِ، وارْتَدَّت سُلَيْمٌ مع الفُجاءةِ، واسمُه أنسُ بنُ عبدِ ياليلَ، وارْتَدّت بنو تَميمٍ مع سَجاحِ الكاهنة.

---

(١) في البخاري برقم (٨)، ومسلم برقم (١٦).

(٢) في «تاريخ دمشق» (٣٠/ ٣١٧، ٣١٨)، وفيه انقطاع بين صالح بن كيسان والصديق رضي الله عنه.

وقال القاسمُ بنُ محمد: اجْتَمَعت أسَدٌ وغَطَفَانٌ وَطيِّءٌ على طُلَيْحةَ الأسَديِّ، وبعَثوا وُفودًا إلى المدينةِ، فنزَلوا على وُجوهِ الناسِ، فأنْزَلوهم إلا العباسَ، فحمَلوا بهم إلى أبي بكرٍ، على أن يُقيموا الصلاةَ ولا يُؤْتوا الزكاةَ، فعزَم اللهُ لأبي بكرٍ على الحقِّ، وقال: لو مَنَعوني عِقالاً لجاهَدْتُهم. فردَّهم فرجَعوا إلى عَشائرِهم، فأخْبَروهم بقلةِ أهلِ المدينةِ، وطمَّعوهم فيها، فجعَل أبو بكرٍ الحَرَسَ على أنْقابِ المدينةِ، وألْزَم أهلَ المدينةِ بحضورِ المسجدِ وقال: إن الأرضَ كافرةٌ، وقد رأَىٰ وفْدُهم منكم قِلةً، وإنكم لا تَدْرون ليلاً تُؤْتَوْن أم نهاراً، وأدْناهم منكم على بَريدٍ، وقد كان القومُ يُؤَمِّلون أن نَقبَلَ منهم ونُوادِعَهم، وقد أبَيْنا عليهم، فاسْتَعِدُّوا وأعِدُّوا. فما لبِثوا إلا ثلاثًا حتى طَرَقوا المدينةَ غارةً، وخَلَّفوا نصفَهم بذي حُسًى ليكونوا رِدْءًا لهم، وأرْسَل الحَرَسُ إلى أبي بكرٍ يُخْبِرونه بالغارةِ، فبَعث إليهم أنِ الزموا مكانَكم. وخرَج أبو بكرٍ في أهلِ المسجدِ على النَّواضِحِ إليهم، فانقَشَعَ العدوُّ، واتَّبعهم المسلمون على إبلِهم، حتى بلَغوا ذا حُسًى، فخرَج عليهم الرِّدْءُ، فالْتقَوا مع الجَميعِ فكان الفتحُ، وقد قال الخُطَيْلُ بنُ أوسٍ - ويقالُ: الحُطَيْئَةُ - في ذلك:

أطَعْنا رسولَ الله ما كان وَسْطَنا   فيا لَعِبادِ الله ما لأبي بكرِ
يُورِّثُنا بَكْرًا إذا كان بعدَه   وتلك لَعَمْرُ اللهِ قاصمةُ الظهرِ
فهَلاَّ رَدَدْتُم وَفْدَنا بزمانه   وهَلاَّ خَشِيتُم حسَّ راغيةِ البَكْرِ
وإن الذي سالوكمُ فمَنَعْتُمُ   لكالتَّمْرِ أو أحْلَى إليَّ مِن التَّمْرِ

وفي جُمادىٰ الآخِرةِ ركِب الصِّديقُ في أهلِ المدينةِ وأُمراءِ الأنْقابِ إلى مَن حولَ المدينةِ مِن الأعرابِ الذين أغاروا عليها، فلما تواجَه هو وأعداؤُه مِن بني عَبْسٍ، وبني مُرَّةَ وذُبْيانَ، ومَن ناصَبَ معهم مِن بني كِنانةَ وأمَدَّهم طُلَيْحةُ بابنِه حِبالٍ، فلما تَواجَه القومُ كانوا قد صنَعوا مَكيدةً، وهي أنهم عمَدوا إلى أنْحاءٍ فنفَخوها ثم أرْسَلوها مِن رُءوسِ الجبالِ، فلما رأَتْها إبلُ أصحابِ الصِّدِّيقِ نفَرت وذهَبت كلَّ مَذْهَبٍ، ، فلم يَمْلِكوا مِن أمْرِها شيئًا إلى الليلِ، حتى رجَعَت إلى المدينةِ، فقال في ذلك الخُطَيْلُ بنُ أوسٍ:

فدًى لبني ذُبْيانَ رَحْلي وناقتي   عَشيَّةَ يُحْذَى بالرماحِ أبو بكرِ
ولكن يُدَهْدَى بالرجالِ فهِبْنَه   إلى قَدَرٍ ما إن تُقيمُ ولا تَسْري
ولله أجْنادٌ تُذاقُ مَذاقَه   لتُحْسَبَ فيما عُدَّ من عَجَبِ الدَّهْرِ
أطَعْنا رسولَ الله ما كان بينَنا   فيا لَعِبادِ الله ما لأبي بكرِ

فلما وقَع ما وقَع ظنَّ القومُ بالمسلمين الوَهَنَ، وبعَثوا إلى عَشائرِهم مِن نَواحي أُخَرَ، فاجْتَمعوا، وبات أبو بكرٍ، رضِي اللهُ عنه، قائمًا ليلَه يَتَهَيَّأُ يُعَبِّئُ الناسَ، ثم خرَج على تَعْبِئةٍ مِن آخرِ الليلِ، وعلى مَيْمَنتِه النُّعمانُ بنُ مُقَرِّنٍ، وعلى المَيْسَرةِ أخوه عبدُ اللهِ بنُ مُقَرِّنٍ، وعلى الساقةِ أخوهما سُوَيْدُ بنُ مُقَرِّنٍ، فما طلَع الفجرُ إلا وهم والعَدُوُّ في صَعيدٍ واحدٍ، فما سمِعوا للمسلمين حِسًّا ولا هَمْسًا، حتى وَضَعوا

فيهم السيوفَ، فما طَلَعَت الشمسُ حتى ولَّوْهم الأدبارَ، وغلَبوهم على عامَّة ظهرهم، وقُتِل حِبالٌ، واتَّبَعهم أبو بكرٍ حتى نزَل بذي القَصَّة، وكان أولَ الفتح، وذَلَّ بها المشركون، وعَزَّ بها المسلمون، ووثَب بنو ذُبيانَ وعَبْسٌ على مَن فيهم من المسلمين فقتَلوهم، وفعَل من وراءَهم كفعلِهم، فحلَف أبو بكرٍ لَيَقْتُلَنَّ في كلِّ قبيلةٍ بمَن قَتَلوا من المسلمين وزيادةً، ففي ذلك يقولُ زيادُ بنُ حَنْظلةَ التَّميميُّ:

غَداةَ سعَى أبو بكرٍ إليهمْ ... كما يَسْعَى لموتتِه جُلالُ
أراح على نَواهقِها عليًّا ... ومَجَّ لهنَّ مُهجتَه حِبالُ

وقال أيضًا:

أقَمْنا لهم عُرْضَ الشِّمال فكُبْكِبوا ... ككَبْكَبَةِ الغُزَّى أناخوا على الوَفْرِ
فما صبَروا للحرب عندَ قيامِها ... صَبيحةَ يَسْمو بالرجال أبو بكرِ
طرَقْنا بني عَبْسٍ بأدنَى نباجِها ... وذُبيانَ نَهْنَهْنا بقاصمةِ الظهرِ

فكانت هذه الوَقْعةُ من أكبرِ العَوْنِ على نَصْرِ الإسلام وأهله، وذلك أنه عَزَّ المسلمون في كلِّ قَبيلةٍ، وذَلَّ الكُفارُ في كلِّ قَبيلةٍ، ورجَع أبو بكرٍ إلى المدينةِ مُؤَيَّدًا منصورًا، سالمًا غانمًا، وطرَقت المدينةَ في الليلِ صَدَقاتُ عديِّ بنِ حاتمٍ، وصفوانَ، والزِّبْرِقانِ، إحداها في أول الليل، والثانيةُ في أوْسَطه، والثالثةُ في آخره، وقدِم بكلِّ واحدةٍ منهن بَشيرٌ من أُمراءِ الأنقاب، فكان الذي بشَّر بصَفْوانَ سعدُ بنُ أبي وَقَّاصٍ، والذي بشَّر بالزِّبْرِقان عبدُ الرحمن بنُ عوفٍ، والذي بشَّر بعديِّ بنِ حاتمٍ عبدُ الله بنُ مسعودٍ، ويقالُ: أبو قَتادةَ الأنصاريُّ - رضي اللهُ عنهم - وذلك على رأسِ ستين ليلةً من مُتَوَفَّى رسولِ الله ﷺ، ثم قدِم أسامةُ بنُ زيدٍ بعدَ ذلك بليالٍ، فاستَخْلَفه أبو بكرٍ على المدينةِ، وأمَرهم أن يُريحوا ظهرَهم، ثم ركِب أبو بكرٍ في الذين كانوا معه في الوَقْعة المتقدِّمة إلى ذي القَصَّة، فقال له المسلمون: لو رجَعْتَ إلى المدينةِ وأرْسَلْتَ رجلًا. فقال: واللهِ لا أفْعَلُ، ولأُواسِيَنَّكم بنَفْسي. فخرَج في تَعْبِئتِه إلى ذي حُسًى وذي القَصَّة، والنُّعمانُ وعبدُ الله وسُوَيْدٌ بنو مُقَرِّنٍ على ما كانوا عليه، حتى نزَل على أهلِ الرَّبَذةِ بالأبْرَقِ، وهناك جماعةٌ من بني عَبْسٍ وذُبيانَ، وطائفةٌ من بني كِنانةَ، فاقْتَتلوا فهزَم اللهُ الحارثَ وعَوْفًا، فأُخِذ الحُطَيْئةُ أسيرًا، فطارت بنو عَبْسٍ وبنو بكرٍ، وأقام أبو بكرٍ على الأبْرَقِ أيامًا، وقد غلَب بنو ذُبيانَ على البلادِ، فقال: حرامٌ على بني ذُبيانَ أن يَتَمَلَّكوا هذه البلادَ إذ غنَّمَناها اللهُ، وحَمَى الأبْرَقَ بخيولِ المسلمين، وأرْعَى سائرَ بلادِ الرَّبَذة. ولمَّا فَرَّت عَبْسٌ وذُبيانُ صاروا إلى مُؤازَرةِ طُلَيحةَ وهو نازلٌ على بُزاخَةَ، وقد قال في يوم الأبْرَقِ زيادُ بنُ حَنْظَلةَ:

ويومَ بالأبارقِ قد شهِدْنا ... على ذُبيانَ يَلْتَهِبُ التِهابا
أتَيْناهُمْ بداهيةٍ نَسُوفٍ ... مع الصِّدِّيقِ إذ ترَك العِتابا

ثم رجَع الصِّدِّيقُ إلى المدينةِ مؤيَّدًا منصورًا سالمًا غانمًا - رضي اللهُ عنه وأرضاه -.

ذكر خروجه إلى ذي القصة حين عقد ألوية الأمراء الأحد عشر على ما سيأتي

وذلك بعدما جَمَّ جيشُ أسامةَ واستراحوا، ركب الصِّدِّيقُ أيضًا في الجيوش الإسلامية شاهرًا سيفَه مَسْلولاً، من المدينة إلى ذي القَصَّة، وهي من المدينة على مَرْحلة، وعليُّ بنُ أبي طالب يَقودُ براحلة الصِّدِّيق، رضي اللهُ عنهما، كما سيأتي، فسأله الصَّحابةُ، منهم عليٌّ وغيرُه، وألَحُّوا عليه أن يَرْجعَ إلى المدينة، وأن يَبْعَثَ لقتال الأعْراب غيرَه ممن يُؤَمِّرُه من الشُّجْعان الأبْطال، فأجابهم إلى ذلك، وعقَد لهم الألْويةَ الأحدَ عَشَرَ لأحَدَ عشَرَ أميرًا، على ما سنُفَصِّلُه قريبًا إن شاء اللهُ.

وقد روى الدارَقُطْنيُّ من حديث عبد الوَهَّاب بن موسى الزُّهريِّ، عن مالك، عن ابن شهاب، عن سعيد بن المُسَيَّب، عن ابن عمرَ، قال: لَمَّا برَز أبو بكر إلى ذي القَصَّة واستَوى على راحلته، أخَذ عليُّ ابنُ أبي طالب بزمامها وقال: إلى أين يا خليفةَ رسول الله ﷺ؟ أقولُ لك ما قال لك رسولُ الله ﷺ يومَ أُحُد: «شِمْ سيفَك ولا تَفْجَعْنا بنفسك». وارْجِعْ إلى المدينة، فوالله لئن فُجِعْنا بك لا يكونُ للإسلام نظامٌ أبدًا[1]. فرجَع. هذا حديثٌ غريبٌ من طريق مالك.

وقد رواه زكريا السَّاجيُّ من حديث عبد الوَهَّاب بن موسى بن عبد العزيز بن عمرَ بن عبد الرحمن ابن عوف الزهريِّ أيضًا، عن أبي الزِّناد، عن هشام بن عروةَ، عن أبيه، عن عائشة قالت: خرَج أبي شاهرًا سيفَه راكبًا على راحلته إلى ذي القَصَّة، فجاء عليُّ بنُ أبي طالب فأخَذ بزمام راحلته فقال: إلى أين يا خليفة رسول الله ﷺ؟ أقولُ لك ما قال لك رسولُ الله ﷺ يومَ أُحُد: «شِمْ سيفَك ولا تفجَعْنا بنفسك». فوالله لئن أُصِبْنا بك لا يكونُ للإسلام بعدَك نظامٌ أبدًا. فرجَع وأمْضَى الجيشَ.

وقال سيفُ بنُ عمرَ عن سهل بن يوسفَ، عن القاسم بن محمد: لَمَّا استَراح أسامةُ وجُنْدُه، وقد جاءت صدَقاتٌ كثيرةٌ تَفْضُلُ عنهم، قطَع أبو بكر البُعوثَ، وعقَد الألْويةَ، فعقَد أحدَ عشرَ لواءً؛ عقَد لخالد بن الوليد وأمَره بطُلَيْحةَ بن خُوَيْلد، فإذا فرَغ سار إلى مالك بن نُوَيْرةَ بالبُطاح إن أقام له. ولعِكْرِمَةَ بن أبي جهل، وأمَره بمُسَيْلِمةَ. وبعَث شُرَحْبِيلَ ابنَ حَسَنَةَ في أثَره إلى مُسَيْلِمةَ الكَذَّاب، ثم إلى بني قُضاعةَ. وللمُهاجر بن أبي أُمَيَّةَ، وأمَره بجنود العَنْسيِّ، ومَعونة الأبْناء على قيس بن مَكْشوح - قلتُ: وذلك لأنه كان قد نزَع يدَه من الطاعة، على ما سيأتي - قال: ولخالد بن سعيد بن العاص إلى مَشارف الشام. ولعمرو بن العاص إلى جِماع قُضاعةَ ووَديعةَ والحارث. ولحذيفةَ بن مِحْصَن الغَطَفانيِّ، وأمَره بأهل دَبَا. ولعَرْفَجَةَ بن هَرْثَمةَ وأمَره بمَهْرةَ. ولطُرَيْفةَ بن حاجز، وأمَره ببني سُلَيم ومن مَعهم من هَوازنَ. ولسُوَيْد بن مُقَرِّن، وأمَره بتهامة اليمن. وللعَلاء بن الحَضْرميِّ، وأمَره بالبَحْرَيْن. رضي اللهُ عنهم.

---

(١) انظر «الرياض النضرة» (٢/ ٤٦) لأحمد بن عبد الله بن محمد الطبري.

وقد كتب لكل أمير كتاب عهده على حدته، ففصل كلُّ أمير بجنده من ذي القصة، ورجع الصديقُ إلى المدينة، وقد كتب معهم الصديق كتابًا إلى المرتدة، وهذه نسخته: بسم الله الرحمن الرحيم، من أبي بكر خليفة رسول الله ﷺ إلى من بلغه كتابي هذا من عامة وخاصة، أقام على إسلامه أو رجع عنه، سلامٌ على من اتبع الهدى، ولم يرجع بعد الهدى إلى الضلالة والهوى، فإني أحمدُ اللهَ إليكم الذي لا إله إلا هو، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، نُقرُّ بما جاء به، ونُكَفِّرُ مَن أبى ذلك ونجاهده، أما بعدُ، فإن الله أرسل محمدًا بالحقِّ من عنده إلى خلقه بشيرًا ونذيرًا، وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا، لينذر من كان حيًّا ويحقَّ القولُ على الكافرين، فهدى اللهُ بالحقِّ من أجاب إليه، وضرب رسولُ الله ﷺ من أدبر عنه، حتى صار إلى الإسلام طوعًا وكرهًا، ثم توفَّى اللهُ رسولَه ﷺ وقد نفَّذ لأمر الله، ونصح لأمته، وقضى الذي عليه، وكان اللهُ قد بيَّن له ذلك، ولأهل الإسلام في الكتاب الذي أنزل فقال: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠]. وقال: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٤]. وقال للمؤمنين: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤]. فمن كان إنما يعبدُ محمدًا فإن محمدًا قد مات، ومن كان إنما يعبدُ اللهَ فإنَّ اللهَ حيٌّ لا يموتُ، ولا تأخذه سنةٌ ولا نومٌ، حافظٌ لأمره، منتقمٌ من عدوه، وإني أوصيكم بتقوى الله وحظِّكم ونصيبِكم من الله وما جاءكم به نبيكم ﷺ، وأن تهتدوا بهداه، وأن تعتصموا بدين الله، فإن كلَّ من لم يهده اللهُ ضالٌّ، وكلَّ من لم يعافه مبتلى، وكلَّ من لم يعنه اللهُ مخذولٌ، ومن هداه اللهُ كان مهتديًا، ومن أضله كان ضالاً، قال الله تعالى: ﴿مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾ [الكهف: ١٧]. ولم يُقبل منه في الدنيا عملٌ حتى يُقرَّ به، ولم يُقبل منه في الآخرة صرفٌ ولا عدلٌ، وقد بلغني رجوعُ من رجع منكم عن دينه بعد أن أقرَّ بالإسلام وعمل به؛ اغترارًا بالله وجهلاً بأمره، وإجابةً للشيطان، قال اللهُ تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾ [الكهف: ٥٠]. وقال: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [فاطر: ٦]. وإني بعثتُ إليكم فلانًا في جيشٍ من المهاجرين والأنصار، والتابعين بإحسان، وأمرته أن لا يقبل من أحدٍ إلا الإيمانَ بالله، ولا يقتله حتى يدعوه إلى الله، عزَّ وجلَّ، فإن أجاب وأقرَّ وعمل صالحًا، قَبِل منه وأعانه عليه، وإن أبى حاربه عليه حتى يفيءَ إلى أمر الله، ثم لا يُبقي على أحدٍ منهم قدر عليه، وأن يحرقهم بالنار وأن يقتلهم كلَّ قِتلة، وأن يسبي النساءَ والذراريَّ، ولا يقبل من أحدٍ غير الإسلام، فمن اتَّبعه فهو خيرٌ له، ومن تركه فلن يُعجز اللهَ، وقد أمرتُ رسولي أن يقرأ كتابي في كلِّ مجمعٍ لكم، والداعيةُ الأذانُ، فإذا أذَّن المسلمون فكفُّوا عنهم، وإن لم يؤذِّنوا عاجلوهم، وإن أذَّنوا فسلوهم ما عليهم، فإن أبوا عاجلوهم، وإن أقرُّوا قَبِل منهم وحملهم على ما ينبغي لهم. رواه سيفُ بنُ عمرَ، عن عبد الله بن سعيد، عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك.

فصل في مسير الأمراء من ذي القصة على ما عوهدوا عليه

وكان سيِّدَ الأُمراء ورأسَ الشُّجعان الصَّناديد أبو سليمانَ خالدُ بنُ الوليد.

روىٰ الإمامُ أحمدُ من طريقِ وَحْشيِّ بنِ حربٍ، أن أبا بكر الصِّدِّيقَ لمَّا عقد لخالد بن الوليد على قتالِ أهل الرِّدَّة قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «نِعْمَ عبدُ الله وأخو العَشيرة خالدُ بنُ الوليد، سيفٌ من سيوف الله سلَّه اللهُ، عزَّ وجلَّ، على الكُفَّار والمنافقين»(١).

ولمَّا توَجَّه خالدٌ من ذي القَصَّة وفارقَه الصِّدِّيقُ، واعَده أنه سيَلْقاه من ناحية خيبرَ بمَن معه من الأمراء، وأظهَروا ذلك ليُرْعِبوا الأعْرابَ، وأمَره أن يَذْهَبَ أولاً إلىٰ طُلَيْحةَ الأسَديِّ، ثم يذْهَبَ بعدَه إلىٰ بني تَميمٍ، وكان طُلَيحةُ بنُ خُوَيْلدٍ في قومه بني أسَدٍ، وفي غَطَفانَ، وانْضَمَّ إليهم بنو عَبْسٍ وذُبْيانُ، وبعَث إلىٰ بني جَديلةَ والغَوْث وطَيِّئٍ يسْتَدْعيهم إليه، فبعَثوا أقوامًا منهم بينَ أيديهم، ليَلْحَقوهم علىٰ أثَرهم سريعًا، وكان عَديُّ بنُ حاتمٍ والزِّبْرِقانُ بنُ بدرٍ قد قَدما علىٰ أبي بكرٍ بصَدَقاتِ قومِهما بعد وفاة النبيِّ ﷺ ليَقْوَىٰ بها أبو بكرٍ علىٰ قتال أهلِ الرِّدَّة، ولم يزَل لعديٍّ والزِّبْرِقان بذلك الشرفُ علىٰ قومِهما ومن سواهما، وكان الصدِّيقُ قد بعَث عَديَّ بنَ حاتمٍ قبلَ خالد بن الوليد، وقال له: أدْرِكْ قَوْمَك لا يَلْحَقوا بطُلَيْحةَ فيكونَ دَمارُهم. فذهَب عَديٌّ إلىٰ قومه بني طَيِّئٍ، فأمَرهم أن يُبايِعوا الصِّدِّيقَ، وأن يُراجِعوا أمْرَ الله، فقالوا: لا نُبايعُ أبا الفصيلِ أبدًا. يَعْنون أبا بكرٍ، رضي اللهُ عنه، فقال: والله لَيأتينَّكم جيشٌ فلا يَزالون يُقاتلونكم حتىٰ تَعْلَموا أنه أبو الفَحْلِ الأكبرِ. ولم يَزَلْ عَديٌّ يَفْتِلُ لهم في الذِّرْوة والغارب حتىٰ لانُوا، وجاء خالدٌ في الجنود، وعلىٰ مُقَدِّمة الأنصار الذين معه ثابتُ بنُ قيسِ بنِ شَمَّاسٍ، وبعَث بينَ يديه ثابتَ بنَ أقْرَمَ وعُكَّاشَةَ بنَ مِحْصَنٍ طَليعةً، فتَلَقَّاهما طُلَيحةُ وأخوه سَلَمةُ فيمَن معهما، فلما وجَدا ثابتًا وعُكَّاشةَ تَبارَزوا، فقتَل عُكَّاشةُ حِبالَ بنَ طُلَيْحةَ - وقيل: بل كان قتَل حِبالاً قبلَ ذلك - وأخَذ ما معه، وحمَل عليه طُلَيْحةُ فقتَله، وقتَل هو وأخوه سَلَمةُ ثابتَ بنَ أقرمَ، وجاء خالدٌ بمَن معه فوجَدوهما صَريعَيْن، فشَقَّ ذلك علىٰ المسلمين، ثم أمر بهما فَدُفِنا بدمائهما في ثيابِهما. وقد قال طُلَيْحةُ في ذلك:

عَشِيَّةَ غادَرْتُ ابنَ أقْرَمَ ثاويًا ... وعكَّاشةَ الغَنْمِيَّ تحتَ مَجالِ
أقَمْتُ لهمْ صدرَ الحِمالة إنها ... مُعَوَّدةٌ قبلَ الكُماة نزالِ
فيومًا تراها في الجِلال مَصُونةً ... ويومًا تراها في ظِلال عَوالي
وإن تَكُ أذوادٌ أُصِبْنَ ونِسْوةٌ ... فلم يَذْهَبوا فَرْغًا بقَتْلِ حِبالِ

ومال خالدٌ إلىٰ بني طَيِّئٍ، فخرَج إليه عَديُّ بنُ حاتمٍ فقال: أنْظِرْني ثلاثةَ أيامٍ؛ فإنهم قد

---

(١) **إسناده ضعيف**: رواه أحمد(١/ ٨) وفيه وحشي بن حرب وحشي مجهول وأبوه مقبول.

استنظروني حتى يبعثوا إلى مَن تعجّل منهم إلى طُلَيحة حتى يَرْجعوا إليهم، فإنهم يَخشَوْنَ إن تابعوك أن يَقْتُلَ طُلَيحةُ مَن سار إليه منهم، وهذا أحَبُّ إليك من أن يُعَجِّلَهم إلى النار. فلما كان بعدَ ثلاث جاءه عَديٌّ في خمسمائة مُقاتلٍ ممّن راجع الحقّ، فانضافوا إلى جيش خالد، وقصَد خالدٌ بني جَديلةَ، فقال له عَديٌّ: أجِّلْني أيامًا حتى آتيَهم فلعلَّ اللهَ أن يُنقِذَهم كما أنقذ طَيِّئًا، فأتاهم عَديٌّ فلم يَزَل بهم حتى بايَعوه، فجاء خالدًا بإسلامهم، ولحِقَ بالمسلمين منهم ألفُ راكب، فكان عَديٌّ خيرَ مَولودٍ وأعظَمَه بركةً على قومه، رضي اللهُ عنه. قالوا: ثم سار خالدٌ حتى نزَل بأجَإٍ وسَلْمَى، وعَبَّأ جيشَه هنالك، والتَقَى مع طُلَيحةَ الأسَديِّ بمكانٍ يقالُ له: بُزاخةُ. ووقَفَت أحياءٌ كثيرةٌ من الأعراب يَنظُرون على مَن تكونُ الدائرةُ، وجاء طُلَيحةُ فيمَن معه من قومه ومَن التَفَّ معهم وانضاف إليهم، وقد حضَر معه عُيَيْنةُ بنُ حصْنٍ في سبعمائة من قومه بني فَزارة، واصْطَفَّ الناسُ، وجلَس طُلَيحة مُلتَفًّا في كِساءٍ له يَتنبَّأُ لهم، يَنظُرُ ما يُوحَى إليه فيما يَزعُمُ، وجعَل عُيَيْنةُ يُقاتِلُ ما يُقاتِلُ، حتى إذا ضجِر من القتال يَجيءُ إلى طُلَيحةَ وهو مُلتَفٌّ في كسائه فيقولُ: أجاءك جبْريلُ؟ فيقولُ: لا. فيَرْجِعُ فيُقاتِلُ، ثم يَرْجِعُ فيَقولُ له مثلَ ذلك ويَرُدُّ عليه مثلَ ذلك، فلما كان في الثالثة قال له: هل جاءكَ جبريلُ؟ قال: نعم. قال: فما قال لك؟ قال: قال لي: إن لك رَحًا كرَحاه، وحديثًا لا تَنساه. قال: يقولُ عُيَيْنةُ: أظُنُّ أن قد علِم اللهُ أن سيكُونُ لك حديثٌ لا تَنساه. ثم قال: يا بني فَزارةَ، انصَرِفوا. وانهَزم، وانهَزم الناسُ عن طُلَيحةَ، فلما جاءه المسلمون ركِب على فرسٍ كان قد أعَدَّها له، وأركَب امرأتَه النَّوارَ على بعيرٍ له، ثم انهزم بها إلى الشام وتفرَّق جمعُه، وقد قتَل اللهُ طائفةً ممّن كان معه، فلمَّا أوقَع اللهُ بطُلَيحةَ وفَزارةَ ما أوقَع، قالت بنو عامرٍ وسُلَيمٍ وهَوازنُ: نَدخُلُ فيما خرَجْنا منه، ونُؤمِنُ بالله ورسوله، ونُسَلِّمُ لحُكْمه في أموالنا وأنفسنا.

قلتُ: وقد كان طُلَيحةُ الأسَديُّ ارتَدَّ في حياة النبيِّ ﷺ، فلما مات رسولُ الله ﷺ قام بمُؤازَرته عُيَيْنةُ بنُ حصْنِ بن بدرٍ، وارتَدَّ عن الإسلام، وقال لقومه: واللهِ لَنبيٌّ من بني أسَدٍ أحَبُّ إليَّ من نبيٍّ من بني هاشمٍ، وقد مات محمدٌ، وهذا طُلَيحةُ فاتَّبِعوه. فوافَقه قومُه بنو فَزارةَ على ذلك، فلما كسَرهما خالدٌ هرَب طُلَيحةُ بامرأته إلى الشام، فنزَل على بني كَلْب، وأسَر خالدٌ عُيَيْنةَ بنَ حصْنٍ، وبعَث به إلى المدينة مَجْموعةً يداه إلى عنقه، فدخَل المدينة وهو كذلك، فجعَل الوِلْدانُ والغِلْمانُ يَطْعُنونه بأيديهم، ويقولون: أي عدوَّ الله ارتَدَدْتَ عن الإسلام؟ فيقولُ: والله ما كنتُ آمنتُ قطُّ. فلما وقَف بينَ يدَي الصدِّيق استَتابه وحقَن دمَه، ثم حَسُن إسلامُه بعدَ ذلك، وكذلك مَنَّ على قُرَّةَ بنِ هُبَيْرةَ، وكان أحدَ الأُمراء مع طُلَيحةَ، فأسَره مع عُيَيْنةَ، وأمَّا طُلَيحةُ فإنه راجَع الإسلامَ بعدَ ذلك أيضًا، وذهَب إلى مكةَ مُعتَمِرًا أيامَ الصدِّيق، واستَحيَا أن يواجِهَه مدةَ حياته، وقد رجَع فشهِد القتالَ مع خالدٍ، وكتَب الصدِّيقُ إلى خالدٍ أن استَشِرْه في الحرب ولا تُؤَمِّرْه، يعني مُعامَلَتَه له بنَقيضِ ما كان

قصدَه من الرِّياسة في الباطلِ. وهذا من فقه الصِّدِّيق، رضي اللهُ عنه وأرضاه.

وقد قال خالدُ بنُ الوليد لبعضِ أصحاب طُلَيحةَ ممن أسْلَم وحَسُن إسلامُه: أخبِرْنا عما كان يقولُ لكم طُلَيحةُ من الوَحْي. فقال: إنه كان يقولُ: والحَمامِ واليَمام، والصُّرَد الصوَّام، قد صُمْنَ قبلَكم بأعوام، لَيَبْلُغَنَّ مُلْكُنا العراقَ والشام. إلى غير ذلك من الخُرافات والهَذَيانات السَّمِجَة.

وقد كتَب أبو بكرٍ الصِّدِّيقُ إلى خالد بنِ الوليد حينَ جاءه أنه كسَر طُلَيحةَ ومَن كان في صفِّه، وقام بنصرِه، فكتَب إليه: لِيَزِدْك ما أنعَم اللهُ به خيرًا، واتَّقِ اللهَ في أمْرِك، فإن اللهَ مع الذين اتَّقَوْا والذين هم مُحْسِنون، جِدَّ في أمْرِك ولا تَنِيَنَّ، ولا تَظْفَرْ بأحدٍ من المشركين قتَل من المسلمين إلا نَكَّلْتَ به، ومَن أخَذْتَ ممَّن حادَّ اللهَ أو ضادَّه ممَّن يرى أن في ذلك صَلاحًا فاقْتُلْه. فأقام خالدٌ ببُزاخةَ شهرًا، يُصَعِّدُ فيها ويُصَوِّبُ، ويَرْجِعُ إليها في طلبِ الذين وَصَّاه بسببِهم الصِّدِّيقُ، فجعَل يَتَرَدَّدُ في طلبِ هؤلاءِ شهرًا، يأخُذُ بثأرِ مَن قتَلوا من المسلمين الذين كانوا بينَ أظْهُرِهم حينَ ارْتَدُّوا؛ فمنهم مَن حرَّقه بالنارِ، ومنهم مَن رضَخه بالحجارةِ، ومنهم مَن رمَى به من شَواهقِ الجبالِ، كلُّ هذا لِيُشَرِّدَ بهم مَن يَسْمَعُ بخبرِهم من مُرْتَدَّةِ العربِ. رضي اللهُ عنه.

وقال الثوريُّ، عن قيسِ بنِ مسلمٍ، عن طارقِ بنِ شهابٍ قال: لما قدِم وفدُ بُزاخةَ؛ أسَدٌ وغَطَفَانُ على أبي بكرٍ يسألونه الصُّلْحَ، خيَّرهم أبو بكرٍ بينَ حربٍ مُجْليةٍ أو حِطَّةٍ مُخْزِيةٍ. فقالوا: يا خليفةَ رسولِ اللهِ، أمَّا الحَرْبُ المُجْليةُ فقد عرَفْناها، فما الحِطَّةُ المُخْزِيةُ؟ قال: تُؤْخَذُ منكم الحَلْقَةُ والكُراعُ، وتُتْرَكون أقوامًا يتَّبِعون أذنابَ الإبلِ حتى يُرِيَ اللهُ خليفةَ نبيِّه والمؤمنين أمرًا يَعْذِرونكم به، وتُؤَدُّون ما أصَبْتُم منا، ولا نُؤَدِّي ما أصَبْنا منكم، وتَشْهَدون أن قتلانا في الجنة وأن قتلاكم في النارِ، وتَدُون قتلانا ولا نَدِي قتلاكم. فقال عمرُ: أمّا قولُك: تَدُون قتلانا. فإن قتلانا قُتِلوا على أمرِ اللهِ لا دِيَاتِ لهم. فاتَّبَع عمرَ. وقال عمرُ في الثاني: نِعْمَ ما رأيتَ. ورَواه البخاريُّ من حديثِ الثوريِّ بسندِه مُخْتَصرًا[1].

وقعة أخرى

كان قد اجتَمع طائفةٌ كثيرةٌ من الفُلَّالِ يومَ بُزاخةَ من أصحابِ طُلَيحةَ من بني غَطَفَانَ، فاجتَمعوا إلى امرأةٍ يقالُ لها: أمُّ زِمْلٍ سَلْمَى بنتُ مالكِ بنِ حُذَيفةَ. وكانت من سيِّداتِ العربِ، كأُمِّها أمِّ قِرْفَةَ، وكان يُضْرَبُ بأمِّها المَثَلُ في الشرفِ؛ لكثرةِ أولادِها وعزَّةِ قَبيلتِها وبيتِها، فلما اجتَمعوا إليها ذَمَّرَتْهم لقتالِ خالدٍ، فهاجوا لذلك، وتأشَّب إليهم آخرون من بني سُلَيمٍ وطَيِّئٍ وهَوازِنَ وأسَدٍ، فصاروا جيشًا كثيفًا، وتفحَّل أمرُ هذه المرأةِ، فلما سمِع بهم خالدُ بنُ الوليد سار إليهم، واقتَتلوا قتالًا شديدًا، وهي راكبةٌ على جملِ أمِّها الذي كان يُقالُ: مَن نَخَسَ جملَها فله مائةٌ من الإبلِ. وذلك لعزِّها، فهزَمهم خالدٌ وعقَر جملَها وقتَلها وبعَث بالفتحِ إلى الصِّدِّيقِ، رضي اللهُ عنه.

---

(١) رواه البخاري (٧٢٢١).

قصة الفُجاءة

واسْمُه إياسُ بنُ عبدِ الله بنِ عبدِ ياليلَ بنِ عُمَيْرةَ بنِ خُفَافٍ، من بني سُلَيْم. قاله ابنُ إسحاقَ. وقد كان الصِّدِّيقُ -حرَّقَ الفُجَاءَةَ بالبَقيعِ في المدينةِ، وكان سببَه أنه قدم عليه فزَعَم أنه مسْلمٌ، وسأل منه أن يُجَهِّزَ معه جيشًا يُقاتِلُ به أهلَ الرِّدَّة، فجهَّز معه جيشًا، فلما سار جعَل لا يَمُرُّ بمسلمٍ ولا مُرْتَدٍّ إلا قَتَله وأخَذ مالَه، فلما سمع الصِّدِّيقُ بعَث وراءَه جيشًا فرَدَّه، فلما أمْكَنه بعَث به إلى البَقيعِ، فجُمِعت يَداه إلى قَفاه وأُلْقِيَ في النارِ، فحرَّقه وهو مَقْموطٌ.

قصة سَجاح وبني تميم

كانت بنو تَميمٍ قد اخْتَلَفَت آراؤُهم أيامَ الرِّدَّة؛ فمنهم مَن ارْتَدَّ ومنَع الزكاةَ، ومنهم مَن بعَث بأموالِ الصَّدَقات إلى الصِّدِّيقِ، ومنهم مَن توقَّف لِيَنْظُرَ في أمْرِه، فبينما هم كذلك إذ أقْبَلَت سَجَاحِ بنتُ الحارثِ بنِ سُوَيْدِ بنِ عُقْفانَ التَّغْلِبيةُ من الجزيرة، وهي من نَصارَىٰ العربِ، وقد ادَّعَت النُّبوَّةَ، ومعها جُنودٌ من قومِها ومَن الْتَفَّ بهم، وقد عزَموا على غزوِ أبي بكرٍ الصِّدِّيقِ، فلما مرَّت ببلادِ بني تَميمٍ دعَتْهم إلى أمْرِها، فاستَجاب لها عامَّتُهم، وكان ممَّن استَجاب لها مالكُ بنُ نُوَيْرةَ التَّميميُّ، وعُطارِدُ بنُ حاجبٍ، وجماعةٌ من ساداتِ أُمراءِ بني تَميمٍ، وتخَلَّف آخرون منهم عنها، ثم اصْطَلحوا على أن لا حربَ بينَهم، إلا أنَّ مالكَ بنَ نُوَيْرةَ لَمَّا وادَعها ثَنَاها عن غَزْوِها، وحرَّضها على بني يَرْبوعٍ، ثم اتَّفَق الجميعُ على قِتالِ الناسِ، وقالوا: بمن نَبْدأُ؟ فقالت لهم فيما تَسْجَعُه: أعِدُّوا الرِّكابَ، واسْتَعِدُّوا للنِّهابِ، ثم أَغِيروا على الرِّبابِ، فليس دونَهم حجابٌ. ثم إنهم تَعاهَدوا على نصرِها، فقال قائلٌ منهم:

أتَتْنا أخْتُ تَغْلِبَ في رِجالٍ ... جَلائبَ من سَراةِ بني أَبِينا
وأرْسَتْ دعوةً فينا سَفاهًا ... وكانت مِن عَمائرَ آخَرِينا
فما كنا لنَرْزِيَهم زِبالاً ... وما كانت لتُسْلِمَ إذ أُتِينا
ألا سَفِهَتْ حُلومُكُمُ وضَلَّتْ ... عَشِيَّةَ تَحْشِدُون لها ثُبِينا

وقال عُطارِدُ بنُ حاجبٍ في ذلك:

أمْسَتْ نَبِيَّتُنا أُنْثى نُطيفُ بها ... وأصْبَحتْ أنبياءُ الناسِ ذُكْرانا

ثم إنَّ سَجاحِ قصَدت بجنودِها اليَمامةَ؛ لتأخُذَها مِن مُسَيْلِمةَ بنِ حَبيبٍ الكَذَّابِ، فهابه قومُها، وقالوا: إنه قد استَفْحَل أمْرُه وعظُم. فقالت لهم فيما تقولُه: عليكم باليَمامهْ، دُفُّوا دَفيفَ الحَمامهْ، فإنها غَزْوةٌ صرَّامهْ، لا تَلْحَقُكم بعدَها مَلامَهْ. قال: فقصَدوا نحوَ مُسَيْلِمةَ، فلما سمع بمَسيرِها إليه خافها على بلادِه، وذلك أنه مَشْغولٌ بمُقاتلةِ ثُمامةَ بنِ أُثالٍ، وقد ساعَده عِكْرِمةُ بنُ أبي جَهلٍ بجنودِ المسلمين، وهم نازلون ببعضِ بلادِه ينتَظِرون قدومَ خالدِ بنِ الوليدِ، كما سيأتي، فبعَث إليها يَستأْمِنُها

ويَضْمَنُ لها أن يُعْطِيَها نصفَ الأرضِ الذي كان لقريشٍ لو عدلَت، فقد ردَّه اللهُ عليك فحَباك به، وراسَلها ليَجْتَمعَ بها في طائفةٍ مِن قومِه وقومِها، فركِب في أربعين مِن قومه وجاء إليها، فاجْتَمعا في خَيْمةٍ، فلما خَلا بها وعرَض عليها ما عرَض مِن نصفِ الأرضِ وقبِلَت ذلك، قال مُسيْلمةُ: سمع اللهُ لِمَن سمِعْ، وأطْمَعه بالخيرِ إذا طَمِعْ، ولا يَزالُ أمْرُه في كلِّ ما سرَّ نَفْسَه مُجْتَمِعْ، رآكم ربُّكم فحَيَّاكم، ومِن وَحْشَةٍ أخْلاكم، ويومَ دينِه أنجاكم، فأحْياكم علينا مِن صلواتِ مَعْشَرٍ أبرار، لا أشْقياءَ ولا فُجَّار، يقومون الليلَ ويصومون النهار، لربِّكم الكُبَّار، ربِّ الغُيومِ والأمْطار. وقال أيضًا: لَمَّا رأيْتُ وُجوهَهم حَسُنَتْ، وأبْشارَهم صَفَتْ، وأيديَهم طَفُلت، قلتُ لهم: لا النساءَ تأتون، ولا الخمرَ تَشْربون، ولكنَّكم مَعْشَرٌ أبْرارٌ تصومون، فسبحانَ الله إذا جاءت الحياةُ كيف تَحْيَون، وإلى مَلِكِ السماءِ كيف تَرْقَون، فلو أنها حَبَّةُ خَرْدَلةٍ لَقام عليها شهيدٌ يَعْلَمُ ما في الصُّدورِ، ولأكْثَرَ الناسُ فيها الثُّبور.

وقد كان مُسَيْلِمةُ، لعَنه اللهُ، شرَع لِمَن اتَّبعه أنَّ العَزَبَ يَتزوَّجُ، فإذا وُلِد له ذَكَرٌ فيَحْرُمُ عليه النِّساءُ حينَئذٍ، إلا أن يموتَ ذلك الولدُ الذكرُ، فتَحِلَّ له النساءُ حتى يُولَدَ له ذكرٌ، هذا مما اقْتَرحه، لعَنه اللهُ، مِن تِلْقاءِ نفسِه. ويقالُ: إنه لما خلا بسَجاح سألَها ماذا يُوحَى إليها؟ فقالت: وهل يكونُ النِّساءُ يَبْتَدِئْنَ؟ بل أنت ماذا أُوحِيَ إليك؟ فقال: ألم تَرَ إلى ربِّك كيف فعَل بالحُبْلَى، أخْرَج منها نَسَمةً تَسْعَى، مِن بينِ صِفاقٍ وحَشا. قالت: وماذا؟ فقال: إنَّ اللهَ خلَق النساءَ أفراجا، وجَعل الرجالَ لهن أزواجا، فنُولِجُ فيهن قُعْسًا إيلاجًا، ثم نُخْرِجُها إذا نَشاءُ إخْراجًا، فيُنْتِجْنَ لنا سِخالاً إنتاجًا. فقالت: أشْهَدُ أنك نبيٌّ. فقال لها: هل لكِ أن أتَزَوَّجَكِ وآكُلَ بقومِي وقومِكِ العربَ؟ قالت: نعم. فقال:

ألا قُومي إلى النَّيْكِ	فقد هُيِّي لكِ المَضْجَعْ
فإن شئتِ ففي البيتِ	وإن شئتِ ففي المَخْدَعْ
وإن شئتِ سَلَقْناكِ	وإن شئتِ على أربَعْ
وإن شئتِ بثُلُثَيْهِ	وإن شئتِ به أجْمَعْ

فقالت: بل به أجْمَعْ. فقال: بذلك أُوحِيَ إليَّ. وأقامت عندَه ثلاثةَ أيامٍ، ثم رجَعت إلى قومِها فقالوا: ما أصْدَقَك؟ فقالت: لم يُصْدِقْني شيئًا. فقالوا: إنه قَبيحٌ على مثلِك أن تَتَزَوَّجَ بغيرِ صَداقٍ. فبعَثت إليه تَسْأَلُه صَداقَها، فقال: أرْسِلي إليَّ مُؤَذِّنَك. فبعَثَتْه إليه، وهو شَبَثُ بنُ رِبْعِيٍّ، فقال: نادِ في قومِكَ: إنَّ مُسَيْلِمةَ بنَ حَبيبٍ رسولَ اللهِ قد وضَع عنكم صَلاتَين مما أتاكم به محمدٌ. يعني صلاةَ الفجرِ وصلاةَ العشاءِ الآخرةِ. وقيل: بل قال لهم: إني وضَعْتُ عنكم ما أتاكم به محمدٌ من الصَّلَوات، وأبَحْتُ فروجَ المؤمنات، وشُرْبَ الخمرِ في الكاسات. فكان هذا صَداقَها عليه، لعَنهما اللهُ، ثم انْشَمَرتْ سَجاحِ راجعةً إلى بلادها، وذلك حينَ بلَغها دُنُوُّ خالدٍ من أرضِ اليَمامة، فكَرَّت راجعةً إلى الجَزيرةِ بعدَما قَبضت مِن مُسَيْلمةَ نصفَ خَراجِ أرْضِه، فأقامت في قومِها بني تَغْلِبَ إلى زمانِ مُعاويةَ، فأجْلاهم منها عامَ الجماعةِ، كما سيأتي بيانُه في موضعِه.

فصلٌ في خبر مالك بن نُوَيْرة اليَرْبوعيّ التّميميّ

كان قد صانَع سَجاحِ حينَ قدمَت من أرض الجزيرة، فلما اتّصَلت بمُسَيْلمةَ، لعَنهما اللهُ، ثم ترَحَّلت إلى بلادها، فلما كان ذلك ندم مالكُ بنُ نُوَيْرةَ على ما كان من أمْرِه، وتَلَوَّم في شأنه، وهو نازلٌ بمكانٍ يقالُ له: البُطاحُ. فقصَدها خالدٌ بجنوده وتأخَّرت عنه الأنصارُ، وقالوا: إنا قد قضَيْنا ما أمَرَنا به الصِّدِّيقُ. فقال لهم خالدٌ: إنَّ هذا أمْرٌ لا بُدَّ من فعله، وفُرصةٌ لا بُدَّ من انتهازها وإن لم يأْتني فيها كتابٌ، وأنا الأميرُ وإليَّ تَرِدُ الأخبارُ، ولستُ بالذي أُجْبِرُكم على المَسيرِ، وأنا قاصدٌ البُطاحَ. فسار يومين، ثم لحقه رسولُ الأنصار يَطْلُبون منه الانْتظارَ، فلَحِقوا به، فلما وصَل البُطاحَ وعليها مالكُ بنُ نُوَيْرةَ، فبَثَّ خالدٌ السَّرايا في البُطاحِ يَدْعون الناسَ، فاسْتَقْبَله أُمراءُ بني تَميمٍ بالسَّمع والطاعة، وبذَلوا الزَّكَوات، إلا ما كان من مالك بن نُوَيْرةَ، فإنَّه مُتَحَيِّرٌ في أمْرِه، مُتَنَحٍّ عن الناس، فجاءته السَّرايا فأسَروه وأسَروا معه أصحابَه، واخْتَلَفت السَّرِيَّةُ فيهم، فشهِد أبو قتادةَ الحارثُ بنُ رِبْعيٍّ الأنصاريُّ أنَّهم أقاموا الصَّلاةَ، وقال آخرون: إنَّهم لم يُؤَذِّنوا ولا صَلَّوا. فيُقالُ: إنَّ الأُسارَىٰ باتوا في كُبولهم في ليلةٍ باردةٍ شديدة البرد، فنادَىٰ مُنادي خالدٍ أن دافئوا أسْراكم. فظَنَّ القومُ أنه أراد القتلَ، فقتَلوهم، وقتَل ضِرارُ بنُ الأزْوَرِ مالكَ بنَ نُوَيْرةَ، فلما سمع خالدٌ الواعيةَ خرَج وقد فرَغوا منهم، فقال: إذا أراد اللهُ أمْرًا أصابه. واصْطَفَىٰ خالدٌ امرأةَ مالكِ بنِ نُوَيْرةَ، وهي أمُّ تَميمٍ ابنةُ المِنْهال، وكانت جميلةً، فلما حَلَّت بنَىٰ بها. ويقالُ: بل اسْتَدْعَىٰ خالدٌ مالكَ بنَ نُوَيْرةَ فأنَّبَه على ما صدَر منه من مُتابعة سَجَاح، وعلى منْعه الزكاةَ، وقال: ألم تَعْلَمْ أنها قَرينةُ الصلاة؟ فقال مالكٌ: إنَّ صاحبَكم كان يَزْعُمُ ذلك. فقال: أهو صاحبُنا وليس بصاحبك؟! يا ضِرارُ، اضْرِبْ عنقَه. فضَرَب عنقَه، وأمَر برأسه فجُعِل مع حَجَرين، وطَبَخ على الثلاثة قِدْرًا، فأكَل منها خالدٌ تلك الليلةَ ليُرْهِبَ بذلك الأعرابَ من المُرْتَدَّة وغيرِهم. ويقالُ: إنَّ شعْرَ مالكٍ جعلَت النارُ تَعْمَلُ فيه إلى أن نَضِج لحمُ القِدْرِ، ولم يَفْرُغ الشعْرُ لكثرته. وقد تكَلَّم أبو قَتادةَ مع خالدٍ فيما صنَع، وتَقاوَلا في ذلك، حتى ذهَب أبو قَتادةَ فشكاه إلى الصِّدِّيقِ، وتكَلَّم عمرُ مع أبي قَتادةَ في خالدٍ، وقال للصِّدِّيقِ: اعْزِلْه فإن في سيفه رَهَقًا. فقال أبو بكرٍ: لا أَشِيمُ سيفًا سَلَّه اللهُ على الكفارِ. وجاء مُتَمِّمُ بنُ نُوَيْرةَ فجَعَل يَشْكو إلى الصِّدِّيقِ خالدًا، وعمرُ يُساعِدُه، ويُنْشِدُ الصِّدِّيقَ ما قال في أخيه من المَراثي، فوَدَاه الصِّدِّيقُ من عنده. ومن قول مُتَمِّمٍ في ذلك:

وكُنّا كنَدْمانَيْ جَذيمةَ بُرْهَةً	من الدَّهْر حتى قيل لن يَتَصَدَّعَا
وعِشْنا بخيرٍ ما حَيِينا وقَبلَنا	أباد المَنايا قومَ كِسْرى وتُبَّعَا
فلمَّا تَفَرَّقْنا كأنِّي ومالكًا	لطول اجْتماعٍ لم نَبِتْ ليلةً معَا
تَراه كنَصْلِ السيفِ يَهْتَزُّ للنَّدَى	إذا لم يجِدْ عندَ امْرِئِ السَّوءِ مطمَعا

وما كان وقَّافًا إذا الخيلُ أحجمتْ ... ولا طالبًا من خَشْيَة الموت مَفزَعا
ولا بِكَهامٍ سَيفُهُ عن عدُوِّه ... إذا هوَ لاقَى حاسرًا أو مُقنَّعا
وإنِّي متى ما أدْعُ باسمك لم تُجبْ ... وكنتَ حَريا أن تُجيبَ وتَسْمَعا
وما شارفٌ حنَّت حنينًا ورجَّعَتْ ... أنينًا فأبكَى شَجْوُها البَرْكَ أجمَعا
بأوجدَ منِّي يومَ قام بمالك ... مناد فصيحٌ بالفراق فأسْمَعا
تَحيَّتُهُ منِّي وإن كان نائيًا ... وأمْسَى ترابًا فوقَه الأرضُ بَلقَعا
سَقَى اللهُ أرضًا حلَّها قبرُ مالكٍ ... ذِهابَ الغَوادي المُدْجِنات فأمْرَعا

في أبياتٍ أُخرَ اختصَرْناها. وقيل: إنَّ متمِّمًا حَزِن على أخيه مالكٍ حُزْنًا شديدًا؛ مكَث سَنةً كاملةً لم يَنَمِ الليلَ، ولم يَزَلْ حزينًا عليه يُنْشدُ فيه الأشعارَ حتى مات، وكان أعورَ، فلم يَزَلْ يَبْكِيه حتى سالَت عينُه العوراءُ بالدُّموعِ، وهذا أبلغُ ما يكونُ مِن الحُزْنِ.

وقال أيضًا:

لقد لامني عندَ القُبورِ على البُكَا ... رَفيقي لتَذْراف الدموعِ السَّوافك
وقال أتَبْكي كلَّ قبرٍ رأيْتَه ... لقبرٍ ثَوَى بينَ اللِّوى فالدَّكادكَ
فقلتُ له إنَّ الأسَى يبعَثُ الأسَى ... فدَعْني فهذا كلُّه قبرُ مالكَ

والمقصودُ أنَّه لم يَزَلْ عمرُ بنُ الخطابِ، رضِي اللهُ عنه، يُحَرِّضُ الصِّدِّيقَ ويَذْمُرُه على عَزْلِ خالدٍ عن الإمْرةِ ويقولُ: إنَّ في سيفِه لَرَهقًا، قتَل مالكًا ونَزَىٰ على امرأتِه. حتى بعَث الصِّدِّيقُ إلى خالدِ بنِ الوليدِ، فقَدِم عليه المدينةَ وقد لبِس عليه دِرْعَه التي مِن حديدٍ، قد صَدِئَ مِن كثرةِ الدماءِ، وغرَز في عِمامتِه النُّشَّابَ المُضمَّخَ بالدِّماءِ، فلما دخَل المسجدَ قام إليه عمرُ بنُ الخطابِ، فانْتَزَعَ الأسْهُمَ مِن عِمامةِ خالدٍ فحطَمها، وقال: أَرِياءً قتَلْت امْرأً مُسْلِمًا ثم نزَوْتَ على امرأتِه؟! واللهِ لأَرْجُمَنَّك بأحْجارِك. وخالدٌ لا يُكلِّمُه، ولا يَظُنُّ إلا أنَّ رأْيَ الصِّدِّيقِ فيه كرأْيِ عمرَ، حتى دخَل على أبي بكرٍ فاعْتَذر إليه، فعذره وتَجاوَز عنه ما كان منه في ذلك، ووَدَىٰ مالكَ بنَ نُوَيْرةَ، فخرَج مِن عندِه وعمرُ جالسٌ في المسجدِ، فقال خالدٌ: هَلُمَّ إليَّ يا ابنَ أمِّ شَمْلةَ. فلم يَرُدَّ عليه، وعرَف أنَّ الصِّدِّيقَ قد رَضِي عنه، واستَمَرَّ أبو بكرٍ بخالدٍ على الإمْرةِ، وإن كان قد اجْتَهد في قتلِ مالكِ بنِ نُوَيْرةَ وأخطَأ في قتلِه، كما أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ لما بعثَه إلى بني جَذِيمةَ، فقتَل أولئك الأسارَىٰ الذين قالوا: صَبَأْنا صَبَأْنا. ولم يُحْسِنوا أن يَقولوا: أسْلَمنا. فوَداهم رسولُ اللهِ ﷺ حتى رَدَّ إليهم مِيلَغةَ الكلبِ، ورفَع يَدَيه وقال: «**اللهم إني أبرأُ إليك مما صنَع خالدٌ**»[1]. ومع هذا لم يَعْزِلْ خالدًا عن الإمْرةِ.

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٤٣٣٩، ٧١٨٩) وغيره من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

مقتل مُسيلمة الكذاب، لعنه الله وأخزاه

لَمَّا رضي الصِّدِّيقُ عن خالد بن الوليد وعذَره بما اعتذر به، بعثه إلى قتال بني حَنيفةَ باليمامة، وأوعَب معه المسلمون، وعلى الأنصار ثابتُ بنُ قيس بن شمَّاس، فسار لا يمُرُّ بأحدٍ من المرتدِّين إلا نكَّل بهم، وقد اجتاز بخيول لأصحاب سَجاح فشرَّدهم، وأمَر بإخراجهم من جزيرة العرب، وأردَف الصِّدِّيقُ خالدًا بسريَّة؛ لتكونَ ردءًا له من ورائه، وقد كان بعَث قبلَه إلى مُسَيْلِمةَ عِكرمةَ بنَ أبي جهل، وشُرَحْبيلَ ابنَ حَسَنةَ، فلم يُقاوما بني حَنيفةَ؛ لأنهم في نحوٍ من أربعين ألفًا من المُقاتلة، فعجِل عكرمةُ قبلَ مَجيء صاحبه شُرَحْبيلَ، فناجزَهم فنُكِب، فانتَظَر خالدًا، فلما سمع مُسَيْلِمةُ بقدوم خالد، عَسْكَرَ بمكانٍ يقالُ له: عَقْرَباءُ. في طَرَف اليَمامة، والرِّيفُ وراءَ ظهورهم، وندَب له الناسَ وحثَّهم، فحشَد له أهلَ اليَمامة، وجعَل على مُجَنِّبَتَيْ جيشه المُحَكَّمَ بنَ الطُّفَيْل، والرَّجَّالَ بنَ عُنْفُوَةَ بنِ نَهْشَل، وكان الرَّجَّالُ هذا صديقَه الذي شهِد له أنه سمع رسولَ الله ﷺ يقولُ أنه قد أشْرَك معه مُسَيْلِمةَ بنَ حَبيبٍ في الأمر، فكان هذا الملعونُ من أكبرِ ما أضلَّ أهلَ اليَمامة، حتى اتَّبعوا مُسَيْلِمةَ، لعَنهما اللهُ، وقد كان الرَّجَّالُ هذا قد وفَد إلى النبيِّ ﷺ وقرأ «البقرة»، وجاء زمنَ الرِّدَّة إلى أبي بكر، فبعَثه إلى أهل اليَمامة يَدْعوهم إلى الله، ويُثبِّتُهم على الإسلام، فارْتَدَّ مع مُسَيْلِمةَ وشهِد له بالنُّبوَّة.

قال سيفُ بنُ عمرَ: عن طَلْحةَ، عن عكرمةَ، عن أبي هريرةَ: كنتُ يومًا عندَ النبيِّ ﷺ في رَهْط، معنا الرَّجَّالُ بنُ عُنْفُوَةَ، فقال: «**إن فيكم لَرجلاً ضِرسُه في النار أعظَمُ من أُحُد**». فهلَك القومُ وبقيتُ أنا والرَّجَّالُ، وكنتُ مُتخوِّفًا لها، حتى خرج الرَّجَّالُ مع مُسَيْلِمةَ، وشهِد له بالنُّبوَّة، فكانت فتنةُ الرَّجَّال أعْظَمَ من فتنة مُسَيْلِمةَ[1]. ورَواه ابنُ إسحاقَ عن شيخ، عن أبي هريرةَ.

واقْتَرب خالدٌ وقد جعَل على المُقدِّمة شُرَحْبيلَ بنَ حَسَنةَ، وعلى المُجَنِّبَتَيْن زيدًا وأبا حُذَيفةَ، وقد مرَّت المُقَدِّمةُ في الليل بنحوٍ من أربعين، وقيل: ستين فارسًا. عليهم مُجَّاعةُ بنُ مُرارةَ، وكان قد ذَهب لأخذ ثأرٍ له في بني تَميم وبني عامر وهو راجعٌ إلى قومه، فأخذوهم فلما جيء بهم إلى خالد، سألَهم عن خبرهم فاعْتذروا إليه فلم يُصدِّقْهم. وأمَر بضَرْب أعْناقهم كلِّهم سوى مُجَّاعةَ فإنه استَبْقاه مُقَيَّدًا عندَه؛ لعلمه بالحرب والمكيدة، وكان سيِّدًا في بني حَنيفةَ شريفًا مُطاعًا. ويقالُ: إن خالدًا لمَّا عُرِضوا عليه قال لهم: ماذا تقولون يا بني حَنيفةَ؟ قالوا: نقولُ: منا نبيٌّ ومنكم نبيٌّ. فقتَلهم إلا واحدًا اسمُه ساريةُ، فقال له: أيُّها الرجلُ، إن كنتَ تُريدُ غدًا بعُدول هؤلاء خيرًا أو شرًّا فاستَبْق هذا الرجلَ. يعني مُجَّاعةَ بنَ مُرارةَ. فاستَبْقاه خالدٌ مُقَيَّدًا، وجعَله في الخَيْمة مع امرأته، وقال: استَوْصِ به خيرًا. فلمَّا تواجَه الجيشان قال مُسَيْلِمةُ لقومه: اليومَ يومُ الغَيْرة، اليومَ إن هُزِمْتُم تُسْتَرْدَف النِّساءُ

(١) رواه الطبراني في «تاريخه» (٢/ ٢٧٨).

سَبِيَّاتٍ، ويُنْكَحْن غيرَ حَظِيَّاتٍ، فقاتلوا عن أحسابِكم وامْنَعوا نساءَكم. وتقدَّم المسلمون حتى نزَل بهم خالدٌ على كثيبٍ يُشرِفُ على اليَمامة، فضرَب به عَسْكرَه، ورايةُ المهاجرين مع سالمٍ مولى أبي حُذَيفةَ، ورايةُ الأنصارِ مع ثابتِ بنِ قيسِ بنِ شَمَّاسٍ، والعربُ على راياتها، ومُجَّاعةُ بنُ مُرارةَ مُقيَّدٌ في الخَيمةِ مع أمِّ تَميمٍ امرأةِ خالدٍ، فاصطَدَم المسلمون والكُفَّارُ، فكانت للمسلمين جَولةٌ، وانهزَمت الأعرابُ حتى دخَلَت بنو حَنيفةَ خَيمةَ خالدِ بنِ الوليدِ، وهَمُّوا بقتلِ أمِّ تَميمٍ، حتى أجارَها مُجَّاعةُ، وقال: نِعْمَتِ الحُرَّةُ هذه. وقد قُتِل الرَّجَّالُ بنُ عُنْفُوَةَ، لعَنه اللهُ، في هذه الجَولة، قتَله زيدُ بنُ الخطابِ، ثم تَذامَر الصحابةُ بينَهم، وقال ثابتُ بنُ قيسِ بنِ شَمَّاسٍ: بئس ما عوَّدتُم أقرانَكم. ونادَوا من كلِّ جانبٍ: أخْلِصْنا يا خالدُ. فخلَصت ثُلَّةٌ من المهاجرين والأنصارِ، وحمِيَ البَراءُ بنُ مالكٍ، وكان إذا رأى الحربَ أخَذَته العُرَواءُ فيَجلِسُ على ظهرِ الرِّجالِ وينتفضُ حتى يبولَ في سَراويلِه، ثم يثورُ كما يثورُ الأسَدُ، وقاتَلَت بنو حَنيفةَ قتالًا لم يُعْهَدْ مثلُه، وجعَلت الصحابةُ يتَواصَوْن بينَهم ويقولون: يا أصحابَ «البقرة»، بطَل السِّحْرُ اليومَ. وحفَر ثابتُ بنُ قيسٍ لقدميه في الأرضِ إلى أنصافِ ساقَيه، وهو حاملٌ لواءَ الأنصارِ بعدَما تَحنَّط وتكَفَّن، فلم يَزَلْ ثابتًا حتى قُتِل هناك، وقال المهاجرون لسالمٍ مولى أبي حُذَيفةَ: أتَخْشَى أن نُؤتَى من قِبَلِك؟ فقال: بئس حاملُ القرآنِ أنا إذًا. وقال زيدُ بنُ الخطابِ: أيُّها الناسُ، عَضُّوا على أضراسِكم، واضرِبوا في عدوِّكم، وامضُوا قُدُمًا. وقال: واللهِ لا أتكلَّمُ حتى يَهزِمَهم اللهُ أو ألقَى اللهَ فأُكلِّمَه بحُجَّتي. فقُتِل شهيدًا، رضِي اللهُ عنه. وقال أبو حُذَيفةَ: يا أهلَ القرآنِ، زيِّنوا القرآنَ بالفِعالِ. وحمَل فيهم حتى أبعَدَهم وأُصيبَ، رضِي اللهُ عنه، وحمَل خالدُ بنُ الوليدِ حتى جاوَزَهم، وسار بحِيالِ مُسَيلِمةَ وجعَل يترقَّبُ أن يَصِلَ إليه فيَقْتُلَه، ثم رجَع ثم وثَب بينَ الصَّفَّيْنِ ودعا إلى البِرازِ، وقال: أنا ابنُ الوليدِ العَوْدُ، أنا ابنُ عامرٍ وزيدٌ. ثم نادَى بشِعارِ المسلمين، وكان شِعارُهم يومَئذٍ: يا مُحمَّداه. وجعَل لا يَبْرُزُ له أحدٌ إلا قتَله، ولا يَدْنو منه شيءٌ إلا أكَله، ودارت رَحَى المسلمين، ثم اقتَرب من مُسَيلِمةَ فعرَض عليه النِّصْفَ والرجوعَ إلى الحقِّ، فجعَل شيطانُ مُسَيلِمةَ يَلْوِي عُنُقَه، لا يقبَلُ منه شيئًا، وكلما أراد مُسَيلِمةُ يُقاربُ من الأمرِ صرَفه عنه شيطانُه، فانصرَف عنه خالدٌ، وقد ميَّز خالدٌ المهاجرين من الأنصارِ من الأعرابِ، وكلَّ بني أبٍ على رايتِهم، يُقاتِلون تحتَها، حتى يعرِفَ الناسُ من أين يُؤتَوْن، وصبَرت الصَّحابةُ في هذا الموطنِ صبرًا لم يُعْهَدْ مثلُه، ولم يزالوا يتقدَّمون إلى نُحورِ عدوِّهم حتى فتَح اللهُ عليهم، وولَّى الكُفَّارُ الأدبارَ، واتَّبعوهم يُقتِّلون في أقفائهم، ويضَعون السيوفَ في رقابِهم حيث شاءوا، حتى ألجئوهم إلى حديقةِ الموتِ، وقد أشار عليهم مُحَكَّمُ اليَمامةِ، وهو مُحَكَّمُ بنُ الطُّفَيلِ، لعَنه اللهُ، بدخولِها، فدخَلوها وفيها عدوُّ اللهِ مُسَيلِمةُ، لعَنه اللهُ، وأدرَك عبدُ الرحمنِ ابنُ أبي بكرٍ مُحَكَّمَ بنَ الطُّفَيلِ، فرَماه بسهمٍ في عنقِه، وهو يَخْطُبُ فقتَله، وأغلَقَت بنو حَنيفةَ الحديقةَ عليهم، وأحاط بهم الصحابةُ، وقال البَراءُ بنُ مالكٍ: يا مَعْشَرَ المسلمين، ألقُوني عليهم في الحديقةِ. فاحتَملوه فوقَ

الحَجَف ورفَعوها بالرِّماحِ حتى ألقَوْه عليهم من فوقِ سُورِها، فلم يزَلْ يُقاتلُهم دونَ بابِها حتى فتَحه، ودخَل المسلمون الحديقةَ من حيطانِها وأبوابِها يَقتُلون مَن فيها من المُرتَدَّةِ من أهلِ اليمامةِ، حتى خلَصوا إلى مُسَيْلِمةَ، لعَنه اللهُ، وإذا هو واقفٌ في ثُلْمةِ جدارٍ، كأنه جملٌ أورَقُ، وهو مُزْبِدٌ متساندٌ، لا يَعْقِلُ من الغيظِ، وكان إذا اعتَراه شيطانُه أزْبَد حتى يَخْرُجَ الزَّبَدُ من شِدْقَيْه، فتقَدَّم إليه وَحْشِيُّ بنُ حربٍ مولى جُبَيرِ بنِ مُطْعِمٍ، قاتلُ حمزةَ، فرَماه بحَرْبَتِه فأصابه وخرَجَتْ من الجانبِ الآخرِ، وسارع إليه أبو دُجانةَ سِماكُ بنُ خَرَشَةَ، فضربَه بالسيفِ فسقَط، فنادَت امرأةٌ من القَصْرِ: وا أميرَ المؤمنيناه، قتَله العبدُ الأسودُ. فكان جملةُ مَن قُتِلوا في الحديقةِ وفي المعركةِ قريبًا من عشَرةِ آلافِ مُقاتِلٍ - وقيل: أحدٌ وعشرون ألفًا - وقُتِل من المسلمين ستُّمائةٍ - وقيل: خمسُمائةٍ - فاللهُ أعلمُ. وفيهم من ساداتِ الصحابةِ، وأعيانِ الناسِ مَن يُذْكَرُ بعدُ، وخرَج خالدٌ ومعه مُجَّاعةُ بنُ مُرارةَ يَرْسُفُ في قيودِه، فجعَل يُريه القَتْلَى ليُعَرِّفَه بمُسَيْلِمةَ، فلما مرُّوا بالرَّجَّالِ بنِ عُنْفُوَةَ قال له خالدٌ: أهذا هو؟ قال: لا، واللهِ هذا خيرٌ منه، هذا الرَّجَّالُ بنُ عُنْفُوَةَ.

قال سيفُ بنُ عمرَ: ثم مَرُّوا برُوَيْجِلٍ أُصَيْفِرَ أُخَينِسَ، فقال: هذا صاحبُكم. فقال خالدٌ: قبَّحكم اللهُ على اتِّباعِكم هذا. ثم بعَث خالدٌ الخُيولَ حولَ اليمامةِ يلتَقِطون ما حولَ حُصونِها من مالٍ وسَبْيٍ، ثم عزَم على غزوِ الحُصونِ، ولم يكُنْ بَقِيَ فيها إلا النساءُ والصِّبيانُ والشيوخُ الكِبارُ، فخدَعه مُجَّاعةُ فقال: إنَّها مَلأَى رجالاً ومُقاتِلةً فهَلُمَّ فصالِحْني عنهم. فصالحَه خالدٌ؛ لما رأى بالمسلمين من الجَهْدِ، وقد كَلُّوا من كثرةِ الحروبِ والقتالِ، فقال: دَعْني حتى أذْهَبَ إليهم ليُوافِقوني على الصُّلْحِ. فقال: اذْهَبْ. فسار إليهم مُجَّاعةُ، فأمَر النساءَ أن يَلْبَسْنَ الحديدَ ويَبْرُزْن على رُءوسِ الحُصونِ، فنظَر خالدٌ فإذا الشُّرفاتُ مُمْتلئةٌ من رُءوسِ الناسِ، فظنَّهم كما قال مُجَّاعةُ، فانْتَظَم الصُّلْحُ، فصالحَهم على البيضاءِ والصَّفْراءِ والحَلْقَةِ والكُراعِ ونصفِ الرقيقِ. وقيل لخالدٍ: إن مُجَّاعةَ قد خدَعك فقال له: يا مُجَّاعةُ، خدعتَني. فقال: إنهم قومي وقد أفنيتَهم، فلا تَلُمْني على ذلك. ولما فرَغ من قتالِ بني حنيفةَ، خطَب إلى مُجَّاعةَ ابنتَه وألحَّ عليه، فزوَّجه إياها، ولَمَّا بلَغ أبا بكرٍ ذلك كتَب إليه: إنك لفارغُ القلبِ؛ تتزوَّجُ النساءَ وحولَ خِبائِك ألفٌ ومائتان من المسلمين لم تجِفَّ دماؤهم؟! وبعدُ، فإذا جاءك كتابي هذا فالحَقْ بمَن معك من جموعِ المسلمين إلى العراقِ. وبَعَث بالكتابِ مع أبي سعيدٍ الخدريِّ، وقال: لا تفارِقْه حتى تُشْخِصَه. فلما قرَأ خالدٌ الكتابَ قال: هذا من عملِ الأُعَيْسِرِ عمرَ بنِ الخطابِ. ودَعاهم خالدٌ إلى الإسلامِ، فأسْلَموا عن آخرِهم ورجَعوا إلى الحقِّ، وردَّ عليهم خالدٌ بعضَ ما كان أخَذ من السَّبْيِ، وساق الباقِين إلى الصِّدِّيقِ، وقد تَسَرَّى عليُّ بنُ أبي طالبٍ بجاريةٍ منهم، وهي أمُّ ابنه محمدٍ الذي يقالُ له: محمدُ ابنُ الحَنَفيَّةِ. رضِي اللهُ عنه. وقد قال ضِرارُ بنُ الأزْورِ في غزوةِ اليمامةِ هذه:

ولو سُئلَتْ عنا جَنوبُ لأخْبَرَتْ ... عشيَّةَ سالَتْ عَقْرَباءُ ومَلْهَمُ
وسال بفَرعِ الوادِ حتى ترقْرقَتْ ... حجارتُه فيه مِنِ القومِ بالدمِ
عشيَّةَ لا تُغني الرِّماحُ مكانَها ... ولا النَّبلُ إلا المَشْرَفيُّ المُصَمِّمُ
فإن تبْتَغي الكفارَ غيرَ مُليمَة ... جنوبُ فإني تابعُ الدينِ مُسْلمِ
أُجاهدُ إذ كانَ الجِهادُ غَنيمةً ... ولله بالمَرْءِ المُجاهِدِ أعلم

وقد قال خَليفةُ بنُ خيَّاط ومحمدُ بنُ جَرير وخَلقٌ من السَّلَف: كانت وَقْعةُ اليَمامةِ في سنةِ إحْدىٰ عشْرةَ. وقال ابنُ قانعٍ: في آخرِها. وقال الواقديُّ وآخرون: كانَت في سنةِ ثنتَيْ عشْرةَ. والجمعُ بينَها أن ابتداءَها في سنةِ إحْدىٰ عشْرةَ، والفراغَ منها في سنة ثنْتَيْ عشْرة. واللهُ أعلمُ.

ولَمّا قَدمَتْ وفودُ بني حَنيفةَ على الصِّدِّيقِ قال لهم: أسْمِعونا شيئًا من قرآنِ مُسَيْلمةَ. فقالوا: أوَ تُعْفينا يا خليفةَ رسولِ الله؟ فقال: لا بدَّ من ذلك. فقالوا: كان يقولُ: يا ضِفْدَعَ بنتَ الضِّفْدَعينْ، نِقِّي كم تَنقِّينْ، لا الماءَ تُكدِّرينْ، ولا الشاربَ تَمنَعينْ، رأسُكِ في الماءِ وذَنَبُك في الطِّينْ. وكان يقولُ: والمُبَذِّراتِ زَرْعًا، والحاصداتِ حَصْدا، والذَّارياتِ قَمْحا، والطاحناتِ طَحْنا، والخابزاتِ خَبْزا، والثارِداتِ ثَرْدا، واللاقماتِ لَقْما؛ إهالةً وسَمنا، لقد فُضِّلْتُم علىٰ أهلِ الوَبَر، وما سبَقَكم أهلُ المَدَر، رفيقَكم فامْنَعُوه، والمُعْتَرَّ فآوُوه، والباغيَ فناوئوه. وذكَروا أشياءَ مِن هذه الخُرافاتِ التي يَأْنَفُ مِن قولِها الصِّبيانُ وهم يَلْعَبون، فيقالُ: إن الصديقَ قال لهم: ويْحكم! أين كان يُذْهَبُ بعقولِكم؟ إن هذا الكلامَ لم يَخْرُجْ مِن إلٍّ. وكان يقولُ: والفيلْ، وما أدراك ما الفيلْ، له زَلُّومٌ طويلْ. وكان يقولُ: والليلِ الدامسْ، والذئبِ الهامسْ، ما قَطَعَت أسدٌ مِن رَطْبٍ ولا يابسْ. وتقدَّم قولُه: لقد أنْعَم اللهُ على الحُبْلَىٰ، أخْرَج منها نَسَمةً تَسْعَىٰ، مِن بينِ صِفاقٍ وحَشَا. وأشياءُ مِن هذا الكلامِ السَّخيفِ الرَّكيكِ البارِدِ السَّمِجِ. وقد أوْرَد أبو بكرِ بنُ الباقِلَّانيِّ، رحمه اللهُ، في كتابِه «إعْجازِ القرآن» أشْياءَ مِن كلامِ هؤلاءِ الجَهَلَةِ المُتَنَبِّئين كمُسَيْلِمةَ وطُلَيْحةَ والأسْودِ وسَجاحِ وغيرِهم، مما يَدُلُّ علىٰ ضَعْفِ عقولِهم وعُقولِ مِن اتَّبعهم علىٰ ضَلالِهم ومِحالهم. وقد رُوِّينا عن عمرِو بنِ العاصِ، أنه وفَد إلىٰ مُسَيْلمةَ في أيامِ جاهليَّتِه، فقال له مُسَيْلِمةُ: ماذا أُنزل علىٰ صاحبِكم في هذا الحينِ؟ فقال له عمرٌو: لقد أُنْزِل عليه سورةٌ وجِيزةٌ بَليغةٌ. فقال: وما هي؟ قال: أُنْزِل عليه: ﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾. قال: ففكَّر مُسَيْلِمةُ ساعةً، ثم رفَع رأسَه فقال: ولقد أُنْزِل عليَّ مثلُها. فقال له عمرٌو: وما هو؟ فقال مُسَيْلِمةُ: يا وَبْرُ يا وَبْرُ، إنما أنت أُذُنانِ وصدرٌ، وسائرُك حَقْرٌ نَقْرٌ. ثم قال: كيف ترَىٰ يا عمرُو؟ فقال له عمرٌو: واللهِ إنك لَتعْلَمُ أني أعْلَمُ إنك لَتَكْذِبُ. وذكر عُلماءُ التاريخِ أنه كان يتَشَبَّهُ بالنبيِّ ﷺ، بلَغه أن رسولَ الله ﷺ بصَق في بئرٍ، فغزُر ماؤُها، فبصَق في بئرٍ فغاض ماؤُها بالكُلِّيَّة، وفي أخرَىٰ فصار ماؤُها أُجاجًا، وتوَضَّأ وسقَىٰ بوَضوئِه نَخْلاً فيَبِسَت وهلَكَت، وأُتِيَ بوِلدانٍ يُبَرِّكُ عليهم فجعَل يَمْسَحُ رءوسَهم، فمنهم مَن

قرع رأسه، ومنهم مَن لثغ لسانُه، ويقالُ: إنه دَعا لرجلٍ أصابه وَجَعٌ في عينيه فمسَحهما فعَمِيَ.

وقال سيفُ بنُ عمرَ: عن خُلَيدِ بنِ ذَفَرَةَ النَّمَرِيِّ، عن عُمَيرِ بنِ طَلْحةَ، عن أبيه، أنه جاء إلى اليَمامةِ فقال: أين مُسَيْلِمةُ؟ قالوا: مَهْ، رسولُ الله. فقال: لا، حتى أراه. فلما جاءه قال: أنت مُسَيْلِمةُ؟ فقال: نعم. قال: مَن يأتيك؟ قال: رحمنٌ. قال: أفي نورٍ أم في ظُلْمةٍ؟ فقال: في ظُلْمةٍ. فقال: أشْهَدُ أنك كَذَّابٌ وأن محمدًا صادقٌ، ولكن كَذَّابُ رَبيعةَ أحبُّ إلينا من صادقِ مُضَرَ. واتَّبَعه هذا الأعرابيُّ الجِلْفُ، لعَنه اللهُ، حتى قُتِل معه يومَ عَقْرَباءَ، لا رحمه اللهُ.

ذِكْرُ رِدَّةِ أهلِ البَحْرَيْنِ وعَوْدِهم إلى الإسلام

كان من خبرِهم أن رسولَ الله ﷺ كان قد بعَث العَلاءَ بنَ الحَضْرَميِّ إلى مَلِكِها المنذرِ بنِ ساوىٰ العبديِّ، فأسْلَمَ على يَدَيْه وأقام فيهم الإسْلامَ والعَدْلَ، فلمَّا تُوُفِّيَ رسولُ الله ﷺ تُوُفِّيَ المنذرُ بعدَه بقليلٍ، وكان قد حضَر عندَه في مرضِه عمرُو بنُ العاصِ، فقال له: يا عمرُو، هل كان رسولُ الله ﷺ يَجْعَلُ للمريضِ شيئًا من ماله؟ قال: نعم، الثُّلُثَ. قال: ماذا أصْنَعُ به؟ قال: إن شئتَ تَصَدَّقْتَ به على أقْربائك، وإن شئتَ على المَحاويجِ، وإن شئتَ جَعَلْتَه صدقةً من بعدك حَبْسًا مُحَرَّمًا، فقال: إني أكْرَهُ أن أجْعَلَه كالبَحيرةِ والسائبةِ والوَصيلةِ والحامي، ولكنِّي أتَصَدَّقُ به. ففعَل، ومات فكان عمرُو بنُ العاصِ يتَعَجَّبُ منه. فلما مات المنذرُ ارْتَدَّ أهلُ البَحْرَيْنِ وملَّكوا عليهم الغَرورَ، وهو المُنذرُ ابنُ النُّعْمانِ بنِ المُنْذرِ. وقال قائلُهم: لو كان محمدٌ نبيًّا ما مات. ولم يَبْقَ بها بَلْدةٌ على الثَّباتِ سوىٰ قريةٍ يقالُ لها: جُواثَىٰ. كانت أولَ قريةٍ أقامت الجُمُعةَ من أهلِ الرِّدَّةِ، كما ثبَت ذلك في البخاريِّ عن ابنِ عباسٍ. وقد حاصَرهم المُرْتَدُّون وضيَّقوا عليهم، حتى مُنِعوا من الأقواتِ، وجاعوا جُوعًا شديدًا حتى فرَّج اللهُ، وقد قال رجلٌ منهم يقالُ له: عبدُ اللهِ بنُ حَذَفٍ. أحدُ بني بكرِ بنِ كِلابٍ، وقد اشْتَدَّ عليه الجُوعُ:

ألا أبْلِغْ أبا بكرٍ رسولاً	وفِتْيانَ المدينةِ أجْمَعينا
فهل لكمُ إلى قومٍ كرامٍ	قُعودٍ في جُواثَىٰ مُحْصَرينا
كأنَّ دماءَهمْ في كلِّ فَجٍّ	شُعاعُ الشمسِ يَغْشَى النَّاظِرينا
توكَّلْنا على الرحمنِ إنَّا	وَجَدْنا الصبرَ للمُتَوكِّلينا

وقد قام فيهم رجلٌ من أشْرافِهم، وهو الجارودُ بنُ المُعَلَّىٰ، وكان ممَّن هاجَر إلى رسولِ الله ﷺ، خَطيبًا، وقد جمَعهم فقال: يا معشرَ عبدِ القَيْسِ، إني سائلُكم عن أمرٍ، فأخْبِروني إن علِمْتُموه ولا تُجيبوني إن لم تَعْلَموه. فقالوا: سَلْ. قال: أتَعْلَمون أنه كان لله أنْبياءُ قبلَ محمدٍ؟ قالوا: نعم. قال: تَعْلَمونه أم تَرَوْنه؟ قالوا: نَعْلَمُه. قال: فما فعَلوا؟ قالوا: ماتوا. قال: فإن محمدًا ﷺ مات كما ماتوا، وإني أشْهَدُ أن لا إله إلا اللهُ، وأن محمدًا رسولُ الله. فقالوا: ونحن أيضًا نَشْهَدُ أن لا إله إلا اللهُ، وأن محمدًا رسولُ اللهِ، وأنت أفضَلُنا وسيِّدُنا. وثبَتوا على إسلامِهم، وتركوا بقيَّةَ الناسِ

فيما هم فيه. وبعَث الصِّدِّيقُ - رضي اللهُ عنه - كما قدَّمْنا، إليهم العَلاءَ بنَ الحَضْرميِّ، فلما دَنا من البَحْرَيْن جاء إليه ثُمامةُ بنُ أُثالٍ في جَحْفَلٍ كثيرٍ، وجاء كلُّ أُمراءِ تلك النواحي، فانْضافوا إلى جيشِ العَلاءِ بنِ الحَضْرميِّ، فأكْرَمهم العَلاءُ وتَرَحَّب بهم وأحْسَن إليهم. وقد كان العَلاءُ من ساداتِ الصحابةِ العُلماءِ العُبَّادِ مُجابي الدَّعوةِ، اتَّفَق له في هذه الغزوةِ أنه نزَل مَنْزِلاً، فلم يَسْتَقِرَّ الناسُ على الأرضِ حتى نفَرَت الإبلُ بما عليها من زادِ الجيشِ وخيامِهم وشَرابِهم، وبَقُوا على الأرضِ ليس معهم شيءٌ سوى ثيابِهم، وذلك ليلاً، ولم يَقْدِروا منها على بعيرٍ واحدٍ، فركِب الناسَ من الهَمِّ والغَمِّ ما لا يُحَدُّ ولا يُوصَفُ، وجعَل بعضُهم يُوصي إلى بعضٍ، فنادَى مُنادي العَلاءِ، فاجْتَمَع الناسُ إليه، فقال: أيُّها الناسُ ألسْتُم المسلمين؟ ألسْتُم في سبيلِ الله؟ ألسْتُم أنصارَ الله؟ قالوا: بلى. قال: فأبْشِروا، فوالله لا يَخْذُلُ اللهُ مَن كان في مثلِ حالِكم. ونُوديَ بصلاةِ الصُّبحِ حينَ طلَع الفجرُ، فصلَّى بالناسِ، فلمَّا قضَى الصلاةَ جثا على رُكْبَتَيْه وجثا الناسُ، ونَصِب في الدعاءِ ورفَع يدَيْه، وفعَل الناسُ مثلَه حتى طلَعت الشمسُ، وجعَل الناسُ يَنْظُرون إلى سَرابِ الشمسِ يَلْمَعُ مرةً بعدَ أخرى، وهو يَجْتَهِدُ في الدُّعاءِ، فلمَّا لَمَع الثالثةَ، إذا قد خلَق اللهُ إلى جانبِهم غَديرًا عظيمًا من الماءِ القَراحِ، فمشَى ومشَى الناسُ إليه فشرِبوا واغْتَسَلوا، فما تَعالى النهارُ حتى أقْبَلت الإبلُ من كلِّ فَجٍّ بما عليها، لم يَفْقِد الناسُ من أمْتِعَتِهم سِلْكًا، فسَقَوُا الإبلَ عَلَلاً بعدَ نَهَلٍ، فكان هذا مما عايَن الناسُ من آياتِ الله بهذه السَّرِيَّةِ، ثُم لما اقْتَرب من جُيوشِ المُرْتَدَّةِ - وقد حشَدوا وجَمعوا خَلْقًا عظيمًا - نزَل ونزَلوا، وباتوا مُتجاورِين في المَنازلِ، فبينما المسلمون في الليلِ إذ سمِع العَلاءُ أصواتًا عاليةً في جيشِ المُرْتَدِّين، فقال: مَن رجلٌ يَكْشِفُ لنا خبرَ هؤلاء؟ فقام عبدُ الله بنُ حَذَفٍ، فدخَل فيهم فوجَدهم سُكارَى لا يَعْقِلون من الشَّرابِ، فرجَع إليه فأخْبَره، فركِب العَلاءُ من فَوْرِه هو والجيشُ معه، فكبسوا أولئك فقتَلوهم قتلاً عَظيمًا، وقَلَّ مَن هرَب منهم، واسْتَوْلى على جميعِ أموالِهم وحَواصلِهم وأثْقالِهم، فكانت غَنيمةً عظيمةً جَسيمةً، وكان الحُطَمُ بنُ ضُبَيْعةَ - أخو بني قيسِ بنِ ثَعْلَبةَ من ساداتِ القومِ - نائمًا، فقام دَهِشًا حينَ اقْتَحَم المسلمون عليهم، فركِب جَوادَه، فانْقَطَع رِكابُه فجعَل يقولُ: مَن يُصْلِحُ لي رِكابي؟ فجاءه رجلٌ من المسلمين في الليلِ فقال: أنا أُصْلِحُها لك، ارْفَعْ رِجْلَك. فلمَّا رفَعها ضرَبه بالسيفِ فقطَعها مع قدمِه. فقال له: أجْهِزْ عليَّ. فقال: لا أفْعَلُ. فوقَع صَريعًا كلما مَرَّ به أحدٌ يَسْأَلُه أن يَقْتُلَه فيَأْبَى، حتى مَرَّ به قيسُ بنُ عاصمٍ فقال له: أنا الحُطَمُ فاقْتُلْني. فقتَله، فلما رأى رِجْلَه مَقْطوعةً ندِم على قتلِه وقال: واسَوْأتاه، لو أعْلَمُ ما به لم أُحَرِّكْه. ثم ركِب المسلمون في آثارِ المُنْهَزِمين، يَقْتُلونهم بكلِّ مَرْصَدٍ وطريقٍ، وذهَب مَن فَرَّ منهم أو أكثرُهم في البحرِ إلى دارِينَ، ركِبوا إليها السفنَ، ثم شرَع العَلاءُ بنُ الحَضْرميِّ في قَسْمِ الغَنيمةِ ونَفْلِ الأنفالِ، وفرَغ من ذلك وقال للمسلمين: اذْهَبوا بنا إلى دارِينَ؛ لنَغْزُوَ مَن بها من الأعداءِ. فأجابوا إلى ذلك سَريعًا، فسار بهم حتى أتَى ساحلَ البحرِ؛ ليَرْكَبوا في السفنِ، فرأَى أن الشُّقَّةَ بعيدةٌ، لا يَصِلون إليهم في السُّفُنِ حتى

يَذْهَبَ أعداءُ الله فاقْتَحَم البحرَ بفرسه، وهو يقولُ: يا أرْحمَ الراحمين، يا حَليمُ يا كَريمُ، يا أحَدُ يا صَمَدُ، يا حَيُّ يا مُحْيي الموتىٰ، يا حَيُّ يا قَيُّومُ، لا إلهَ إلا أنت يا ربَّنا. وأمَر الجيشَ أن يَقولوا ذلك ويَقْتَحِموا، ففعَلوا ذلك فأجاز بهم الخليجَ بإذْنِ الله يَمْشون على مثلِ رَمْلةٍ دَمِثةٍ، فوقَها ماءٌ لا يَغْمُرُ أخْفافَ الإبلِ، ولا يَصِلُ إلىٰ رُكَبِ الخيلِ، ومَسيرتُه للسفنِ يومٌ وليلةٌ، فقطَعه إلى الساحلِ الآخَرِ، فقاتَل عدوَّه وقَهَرهم، واحْتاز غَنائمَهم، ثم رجَع فقطَعه إلى الجانبِ الآخَرِ، فعاد إلى موضعه الأول، وذلك كلُّه في يومٍ، ولم يَترُكْ من العدوِّ مُخْبِرًا، واستاق الذَّراريَّ والأنعامَ والأموالَ، ولم يَفْقِدِ المسلمون في البحرِ شيئًا سوىٰ عَليقةِ فرسٍ لرجلٍ من المسلمين، ومع هذا رجَع العَلاءُ فجاءه بها، ثم قسَم غَنائمَ المسلمين فيهم، فأصاب الفارسُ ألفَيْن والراجلُ ألفًا، مع كثرةِ الجيشِ، وكتَب إلى الصِّدِّيقِ فأعْلَمَه بذلك، فبعَث الصِّدِّيقُ يشكُرُه على ما صنَع، وقد قال رجلٌ من المسلمين في مُرورِهم في البحرِ، وهو عَفيفُ بنُ المُنذرِ:

ألم تَرَ أن اللهَ ذَلَّل بَحْرَه	وأنزَل بالكُفَّارِ إحْدى الجَلائلِ
دَعَوْنا الذي شَقَّ البحارَ فجاءنا	بأعْجَبَ من فَلْقِ البحارِ الأوائلِ

وقد ذكَر سيفُ بنُ عمرَ التَّميميُّ أنه كان مع المسلمين في هذه المَواقفِ والمَشاهدِ التي رأَوْها من أمْرِ العَلاءِ، وما أجْرَىٰ اللهُ على يديه من الكَراماتِ، رجلٌ من أهلِ هَجَرَ، راهبٌ، فأسْلَم حينَئذٍ، فقيل له: ما دَعاك إلى الإسْلامِ؟ فقال: خشيتُ إن لم أفْعَلْ أن يَمْسَخَني اللهُ؛ لما شاهَدْتُ من الآياتِ. قال: وقد سمِعْتُ في الهواءِ وقتَ السَّحَرِ دُعاءً. قالوا: وما هو؟ قال: اللهم أنت الرحمنُ الرحيمُ لا إلهَ غيرُك، والبديعُ ليس قبلَك شيءٌ، والدائمُ غيرُ الغافلِ، والحَيُّ الذي لا يَموتُ، وخالقُ ما يُرَىٰ وما لا يُرَىٰ، وكلَّ يومٍ أنت في شأنٍ، وعَلِمْتَ اللهمَّ كلَّ شيءٍ علمًا. قال: فعلِمْتُ أن القومَ لم يُعانوا بالمَلائكةِ إلا وهم على أمْرِ اللهِ. قال: فحَسُن إسلامُه، وكان الصحابةُ يَسْمَعون منه.

ذكرُ رِدَّةِ أهلِ عُمانَ ومَهْرةَ واليمنِ

أمَّا أهلُ عُمانَ فنبَغ فيهم رجلٌ يقالُ له: ذو التاجِ. لَقيطُ بنُ مالكٍ الأزْديُّ، وكان تَسامَىٰ في الجاهليةِ الجُلَنْدَىٰ، فادَّعَىٰ النُّبوَّةَ أيضًا، وتابَعه الجَهَلةُ من أهلِ عُمانَ، فتغلَّب عليها وقهَر جَيْفرًا وعبَّادًا، وألجأهما إلى أطرافِها، من نَواحي الجبالِ والبَحْرِ، فبعَث جَيْفَرٌ إلى الصِّدِّيقِ، فأخْبَرَه الخبرَ واستَجاشَه، فبعَث إليه الصديقُ بأميرَيْن، وهما حذيفةُ بنُ مِحْصَنٍ الحِمْيَريُّ، وعَرْفجةُ البارقيُّ من الأزْدِ؛ حُذَيفةُ إلى عُمانَ، وعَرْفَجةُ إلى مَهْرةَ، وأمَرهما أن يَجْتَمِعا ويَتَّفِقا ويَبْتَدِئا بعُمانَ وحُذَيْفةُ هو الأميرُ، فإذا ساروا إلى بلادِ مَهْرةَ فعَرْفَجةُ الأميرُ.

وقد قدَّمْنا أن عكرمةَ بنَ أبي جَهلٍ لمَّا بعثَه الصِّدِّيقُ إلى مُسَيْلمةَ وأتْبَعه بشُرَحْبيلَ ابنِ حَسَنةَ، عجِل عِكْرمةُ وناهَض مُسَيْلِمةَ قبلَ مَجيءِ شُرَحْبيلَ؛ ليَفوزَ بالظَّفَرِ وحدَه، فنالَه من مُسَيْلمةَ قرحٌ والذين

معه، فتقَهْقَر حتىٰ جاء خالدُ بنُ الوليدِ، فقهرَ مُسَيْلِمةَ، كما تقدَّم، وكتَب إليه الصِّدِّيقُ يَلومُه علىٰ تَسرُّعِه، قال: لا أَرَيَنَّك ولا أَسْمَعَنَّ بك إلا بعدَ بَلاءٍ. وأمَره أن يَلْحَقَ بحُذَيْفةَ وعَرْفَجةَ إلىٰ عُمانَ، وكلٌّ منكم أميرٌ علىٰ خيلِه، وحُذَيْفةُ مادُمْتُم بعُمانَ فهو أميرُ الناسِ، فإذا فرَغْتُم فاذْهَبوا إلىٰ مَهْرةَ، فإذا فرَغْتُم منها فاذْهَبْ إلىٰ اليمنِ وحَضْرَمَوْتَ فكنْ مع المُهاجِرِ ابنِ أبي أُمَيَّةَ، ومَن لَقِيتَه من المُرْتَدَّةِ بينَ عُمانَ إلىٰ حَضْرَموتَ واليمنِ فنَكِّلْ به، فسار عِكْرمةُ لِما أمَره به الصِّدِّيقُ، فلَحِق حُذَيْفةَ وعَرْفَجةَ قبلَ أن يَصلا إلىٰ عُمانَ، وقد كتب إليهما الصِّدِّيق أن ينتهيا إلىٰ رأي عكرمة بعد الفراغ من السير من عمان أو المُقامِ بها، فساروا فلما اقْتَربوا من عُمانَ راسَلوا جَيْفَرًا وعَبَّادًا، وبلَغ لَقيطَ بنَ مالكٍ مَجِيءُ الجيشِ، فخَرج في جُموعِه فعَسْكَر بمكانٍ يقالُ له: دَبَا. وهي مِصْرُ تلك البلادِ وسُوقُها العُظْمىٰ، وجعَل الذَّراريَّ والأَمْوالَ وراءَ ظُهورِهم؛ ليكونَ أقْوَىٰ لحَرْبِهم، واجْتَمع جَيْفَرٌ وعَبَّادٌ بمكانٍ يقالُ له: صُحَارُ. فعَسْكَرا به وبعَثا إلىٰ أُمراءِ الصِّدِّيقِ، فقدموا علىٰ المسلمين، فتَقابَل الجَيْشان هنالك، وتَقاتَلوا قتالاً شديدًا، وابْتُلِيَ المسلمون وكادوا أن يُوَلُّوا، فمَنَّ اللهُ بكرمِه ولُطْفِه؛ أن بعَث إليهم مَدَدًا في الساعةِ الراهنةِ مِن بني ناجيةَ وعبدِ القَيْسِ، في جماعةٍ مِن الأُمراءِ، فلمَّا وصَلوا إليهم كان الفتحُ والنَّصْرُ، فولَّىٰ المشركون مُدْبِرِين، وركِب المسلمون ظُهورَهم، فقتَلوا منهم عَشْرةَ آلافِ مُقاتِلٍ وسَبَوُا الذَّراريَّ، وأخذَوا الأَمْوالَ والسُّوقَ بحَذافيرِها، وبعَثوا بالخُمُسِ إلىٰ الصِّدِّيقِ، رضِي اللهُ عنه، مع أحدِ الأُمراءِ، وهو عَرْفَجةُ، ثم رجَع إلىٰ أصحابِه.

وأما مَهْرةُ فإنهم لما فرَغوا مِن عُمانَ كما ذكَرْنا، سار عِكْرِمةُ بالناسِ إلىٰ بلادِ مَهْرةَ، بمَن معه مِن الجيوشِ ومَن أُضيف إليها، حتىٰ اقْتَحم علىٰ مَهْرةَ بلادَها، فوجَدهم جُنْدَيْن؛ علىٰ أحدِهما - وهم الأكثرُ - أميرٌ يقالُ له: المُصَبِّحُ. أحدُ بني مُحاربٍ، وعلىٰ الجُندِ الآخَرِ أميرٌ يقالُ له: شِخْريتُ. وهما مُخْتَلِفان، وكان هذا الاختلافُ رحمةً علىٰ المؤمنين، فراسَل عِكْرمةُ شِخْريتَ، فأجابه وانْضاف إلىٰ عِكْرمةَ، فقَوِيَ بذلك المسلمون، وضَعُف جَأْشُ المُصَبِّحِ، فبعَث إليه عكرمةُ يَدْعوه إلىٰ الله وإلىٰ السمعِ والطاعةِ، فاغْتَرَّ بكثرةِ مَن معه ومُخالفةً لشِخْريتَ، فتَمادَىٰ في طُغْيانِه، فسار إليه عكرمةُ بمَن معه مِن الجنودِ، فاقْتَتلوا مع المُصَبِّحِ أشدَّ مِن قتالِ دَبَا المُتَقَدِّمِ، ثم فتَح اللهُ بالنَّصْرِ والظَّفَرِ، ففَرَّ المشركون، وقُتِل المُصَبِّحُ وخَلْقٌ كثيرٌ مِن قومِه، وغنِم المسلمون أمْوالَهم، فكان في جملةِ ما غَنِموا أَلْفَا نَجيبةٍ، فخَمَّس عِكْرمةُ ذلك كلَّه، وبعَث بخُمُسِه إلىٰ الصِّدِّيقِ مع شِخْريتَ، وأخْبَره بما فتَح اللهُ عليه، والبِشارةِ مع رجلٍ يقالُ له: السائبُ. مِن بني عابدٍ مِن مَخْزومٍ، وقد قال في ذلك رجلٌ يقالُ له عُلْجُومٌ:

جَزى اللهُ شِخْريتًا وأفْناءَ هاشمٍ ... وفَرْضِمَ إذ سارت إلينا الحَلائبُ

جزاءَ مُسِيءٍ لم يُراقِبْ لذِمَّةٍ ... ولم يَرْجُها فيما يُرَجَّى الأقاربُ

أعِكْرِمُ لولا جَمْعُ قومي وفِعْلُهم ... لَضاقَت عليكم بالفَضاءِ المَذاهبُ

وكنا كمَنْ اقْتاد كَفًّا بأُخْتِها ... وحَلَّت علينا في الدُّهورِ النَّوائبُ

وأما أهلُ اليمنِ فقد قدَّمْنا أن الأسْودَ العَنْسيَّ، لعَنه اللهُ لما نبَغ باليمنِ، أضَلَّ خَلْقًا كثيرًا مِن ضُعفاءِ

العُقولِ والأديانِ، حتىٰ ارْتَدَّ كثيرٌ منهم أو أكثَرُهم عن الإسلام، وأنه لمَّا قتَله الأمراءُ الثلاثةُ؛ قيسُ بنُ مَكْشوحٍ وفَيروزُ الدَّيْلميُّ وداذَوَيْهِ، وكان ما قدَّمْنا ذكرَه، ولما بلَغهم موتُ رسول الله ﷺ ازداد بعضُ أهلِ اليمنِ فيما كانوا فيه من الحَيرةِ والشَّكِّ، أجارنا اللهُ من ذلك، وطمع قيسُ بنُ مَكْشوحٍ في الإمْرةِ باليمنِ، فعمِل لذلك، وارْتَدَّ عن الإسلام، وتابعَه عَوامُّ أهلِ اليمنِ، وكتَب الصِّدِّيقُ إلىٰ الأمراءِ والرُّؤساءِ من أهلِ اليمنِ، أن يكونوا عَونًا إلىٰ فَيروزَ والأبناءِ علىٰ قيسِ بنِ مَكْشوحٍ، حتىٰ تأتيَهم جُنودُه سَريعًا، وحَرَص قيسٌ علىٰ قَتْلِ الأميرَيْنِ الأخيرَيْنِ، فلم يَقْدِرْ إلا علىٰ داذَوَيْهِ، واحْتَرَز منه فَيروزُ الدَّيْلميُّ، وذلك أنه عمِل طَعامًا وأرْسَل إلىٰ داذَوَيْهِ أوَّلًا، فلمَّا جاءه عجِل عليه فقتَله، ثم أرْسَل إلىٰ فَيروزَ ليَحْضُرَ عندَه، فلمَّا كان ببعضِ الطريقِ سمِع امْرأةً تقولُ لأخرىٰ: وهذا أيضًا واللهِ مَقْتولٌ كما قُتِل صاحبُه. فرجَع من الطريقِ، وأخْبَر أصحابَه بقَتْلِ داذَوَيْهِ، وخرَج إلىٰ أخْوالِه؛ خَوْلانَ، فتحَصَّن عندَهم وساعَدَتْه عُقَيْلٌ وعَكٌّ، وخَلْقٌ، وعمَد قيسٌ إلىٰ ذَراريِّ فَيْروزَ وداذَوَيْهِ والأبناءِ، فأجْلاهم عن اليمنِ، وأرْسَل طائفةً في البَرِّ وطائفةً في البحرِ، فاحْتَدَّ فيروزُ فخرَج في خَلْقٍ كثيرٍ، فتَصافَّ هو وقيسٌ، فاقْتَتلوا قتالًا شديدًا، فهزَم قَيْسًا وجُنْدَه من العَوامِّ، وبَقيَّةَ جُنْدِ الأسْوَدِ العَنْسيِّ، فهرَبوا في كلِّ وَجْهٍ، وأُسِر قيسٌ وعمرُو بنُ مَعْديكرِبَ، وكان عمرٌو قد ارْتَدَّ أيضًا، وتابعَ الأسْوَدَ العَنْسيَّ، وبعَث بهما المُهاجِرُ بنُ أبي أُميَّةَ إلىٰ أبي بكرٍ أسيرَيْنِ، فعنَّفهما وأنَّبهما، فاعْتَذَرا إليه فقبِل منهما علانِيَتَهما، ووكَل سَرائرَهما إلىٰ الله، عز وجل، وأطْلَق سَراحَهما وردَّهما إلىٰ قومِهما.

ورجَعت عُمَّالُ رسولِ الله ﷺ الذين كانوا باليمنِ إلىٰ أماكنِهم التي كانوا عليها في حياتِه، عليه الصلاةُ والسلامُ، بعدَ حُروبٍ طويلةٍ لو استَقْصَيْنا إيرادَها لطال ذكرُها، ومُلَخَّصُها أنه ما من ناحيةٍ من جزيرةِ العربِ إلا وحصَل في أهلِها رِدَّةٌ لبعضِ الناسِ، فبعَث الصِّدِّيقُ إليهم جُيوشًا وأُمراءَ يكونون عَونًا لمن في تلك الناحيةِ من المؤمنين، فلا يَتواجَهُ المشركون والمؤمنون في مَوْطنٍ من تلك المواطنِ إلا غلَب جيشُ الصِّدِّيقِ لمن هنالك من المُرْتَدِّين، ولله الحمدُ والمِنَّةُ، وقتَلوا منهم مَقْتَلةً عَظيمةً، وغنِموا مَغانمَ كَثيرةً، فيَتَقَوَّوْن بذلك علىٰ مَن هنالك، ويَبْعَثون بأخْماسِ ما يَغْنَمون إلىٰ الصِّدِّيقِ فيُنْفِقُه في الناسِ، فيَحْصُلُ لهم قوةٌ أيضًا، ويَسْتَعِدُّون به علىٰ قِتالِ مَن يُريدون قتالَهم من الأعاجمِ والرُّومِ، علىٰ ما سيأتي تفصيلُه، ولم يَزَلِ الأمرُ كذلك حتىٰ لم يَبْقَ بجَزيرةِ العربِ إلا أهلُ طاعةٍ للهِ ولرسولِه، أو أهلُ ذِمَّةٍ من الصِّدِّيقِ، كأهْلِ نَجْرانَ وما جرىٰ مَجْراهم، ولله الحمدُ.

وعامَّةُ ما وقَع من هذه الحروبِ كان في أواخرِ سنةِ إحْدىٰ عشْرةَ وأوائلِ سنةِ ثنتَيْ عشْرةَ، ولْنَذْكُرْ بعدَ إيرادِ هذه الحَوادثِ مَن تُوُفِّيَ في هذه السنةِ من الأعْيانِ والمَشاهيرِ، وباللهِ المُسْتعانُ. وفيها رجَع مُعاذُ بنُ جبلٍ من اليمنِ، وفيها استَقْضىٰ أبو بكرٍ الصِّدِّيقُ عمرَ بنَ الخطابِ، رضِي اللهُ عنهما.

ذكر مَن تُوفي في هذه السنة

أعني سنةَ إحْدَىٰ عشْرةَ، من الأعْيانِ والمَشاهيرِ، وذكَرْنا معهم مَن قُتِل باليَمامة؛ لأنَّها كانت في سنة إحْدَىٰ عشْرةَ على قول بعضهم، وإن كان المشهورُ أنَّها في ربيع سنةَ ثِنْتَيْ عشْرةَ.

تُوُفِّيَ فيها رسولُ الله ﷺ؛ محمدُ بنُ عبد الله، سيِّدُ وَلَدِ آدمَ في الدنيا والآخرة، وذلك في رَبيعها الأوَّل يومَ الإثنين ثانيَ عَشَرَةَ على المَشْهورِ، كما قدَّمْنا بيانَه، وبعدَه بستة أشْهُر - على الأشْهر - تُوُفِّيَت ابنتُه فاطمةُ، رضي اللهُ عنها، وتُكَنَّىٰ بأمِّ أبيها، وقد كان صلواتُ الله وسلامُه عليه عَهِد إليها أنَّها أولُ أهله لُحوقًا به، وقال لها مع ذلك: «أما تَرْضَيْن أن تكوني سيِّدةَ نساء أهلِ الجنة؟»[1] . وكانت أصغرَ بنات النبيِّ ﷺ على المشهور، ولم يَبْقَ بعدَه سِواها، فلهذا عظُم أجْرُها؛ لأنَّها أُصيبَت به، عليه الصلاةُ والسلامُ، ويقالُ: إنها كانت تَوْأمًا لعبد الله ابنِ رسول الله ﷺ. وليس له، عليه الصلاةُ والسلامُ، نَسْلٌ إلا من جهتِها، قاله الزُّبيرُ بنُ بكَّار. وقد وَرَد أنه، عليه الصلاةُ والسلامُ، ليلةَ زِفاف عليٍّ على فاطمةَ تَوَضَّأ وصبَّ عليه وعلى فاطمةَ، ودَعا لهما أن يُبارِكَ في نَسْلِهما. وقد تزوَّجها ابنُ عمِّها عليُّ ابنُ أبي طالبٍ بعدَ الهجرة، وذلك بعدَ بدرٍ، وقيل: بعدَ أُحُدٍ. وقيل: بعدَ تَزْويج رسول الله ﷺ عائشةَ بأربعة أشْهُرٍ ونصفٍ. وبنَىٰ بها بعدَ ذلك بسبعة أشهرٍ ونصفٍ، أصْدَقها دِرْعَه الحُطَمِيَّةَ، وقيمتُه أربعُمائة درهمٍ، وكان عمرُها إذ ذاك خمسَ عشْرةَ سنةً وخَمْسةَ أشهرٍ، وكان عليٌّ أسَنَّ منها بستِّ سنينَ. وقد ورَدَت أحاديثُ مَوْضوعةٌ في تَزْويج عليٍّ بفاطمةَ، لم نَذْكُرْها؛ رَغْبةً عنها، فولَدت له حَسَنًا وحُسَيْنًا ومُحَسِّنًا وأمَّ كُلْثومٍ، التي تَزَوَّج بها عمرُ بنُ الخطاب بعدَ ذلك.

قد قال الإمامُ أحمدُ: حدَّثنا عَفَّانُ، ثنا حَمَّادٌ، أنا عَطاءُ بنُ السائبِ، عن أبيه، عن عليٍّ، أنَّ رسولَ الله ﷺ لمَّا زوَّجه فاطمةَ بعَث معها بخَميلةٍ، ووسادةٍ من أَدَمٍ حَشْوُها ليفٌ، ورحَيَيْنِ وسِقاءٍ وجَرَّتَيْنِ، فقال عليٌّ لفاطمةَ ذاتَ يومٍ: والله لقد سَنَوْتُ حتى لقد اشْتَكَيْتُ صَدْري، وقد جاء اللهُ أباكِ بسَبْيٍ فاذْهَبي فاسْتَخْدميه. فقالت: وأنا والله لقد طحَنْتُ حتى مَجِلَتْ يَدايَ. فأتَت النبيَّ ﷺ فقال: «ما جاء بك أيْ بُنَيَّةُ؟» قالت: جئت لأسلم عليك واستحييت أن تسأله ورجعت فقال: ما فعلت؟ قالت: استَحْيَيْتُ أن أسْأَلَه. فأتَياه جميعًا، فقال عليٌّ: يا رسولَ الله، والله لقد سَنَوْتُ حتى اشْتَكَيْتُ صدري. وقالت فاطمةُ: لقد طحَنْتُ حتى مَجِلَت يدايَ، وقد جاءك اللهُ بسَبْيٍ وسَعَةٍ فأخْدِمْنا. فقال: «والله لا أُعطيكما وأدَعُ أهلَ الصُّفَّة تطوَى بُطونُهم، لا أجِدُ ما أُنفِقُ عليهم، ولكنِّي أبيعُهم وأُنفِقُ عليهم أثْمانَهم» فرجَعا فأتاهما رسولُ الله ﷺ وقد دخَلا في قَطيفَتِهما، إذا غَطَّت رُءوسَهما تَكَشَّفَت أقدامُهما، وإذا غَطَّيا أقْدامَهما تَكَشَّفَت رءوسُهما، فثارا، فقال: «مكانَكما». ثم قال: «ألا أُخْبِرُكما بخير مما سألْتُماني؟» قالا: بلى. قال: «كلماتٌ علَّمَنيهن جبريلُ؛ تُسَبِّحان في دُبُر كلِّ صلاة عَشْرًا،

---

(1) صحيح وقد تقدم.

وتَحمدَان عَشرًا، وتُكَبِّران عشرًا، وإذا أويتُما إلى فراشكما فسَبِّحا ثلاثًا وثلاثين، واحمَدا ثلاثًا وثلاثين، وكبِّرا أربعًا وثلاثين». قال: فوالله ما تركتُهن منذُ علَّمنيهن رسولُ الله ﷺ. قال: فقال له ابنُ الكَوَّاء: ولا ليلةَ صِفِّينَ؟ فقال: قاتَلكم اللهُ يا أهلَ العراقِ، نعم ولا ليلةَ صِفِّينَ[1]. وآخرُ هذا الحديث ثابتٌ في «الصحيحَيْن» مِن غيرِ هذا الوجه. فقد كانت فاطمةُ صابرةً مع عليٍّ على جَهْدِ العيشِ وضِيقه[2]، ولم يَتَزوَّجْ عليها حتى ماتت، ولكنَّه أراد أن يَتَزوَّجَ في وقتٍ بدُرَّةَ ابنِ أبي جهلٍ، فأَنِف رسولُ الله ﷺ مِن ذلك، وخطَبَ الناسَ، فقال: «**إنِّي لا أُحَرِّمُ حَلالاً ولا أُحِلُّ حرامًا، وإنَّ فاطمةَ بَضْعةٌ منِّي يَريبُني ما رابها، ويُؤْذِيني ما آذاها، وإني أَخْشَى أن تُفْتَنَ عن دينها، ولكن إن أَحَبَّ ابنُ أبي طالب أن يُطَلِّقَها ويَتَزوَّجَ بنتَ أبي جهلٍ، فإنَّه والله لا تَجْتَمِعُ بنتُ نبيِّ الله وبنتُ عدوِّ الله تحتَ رجلٍ واحد أبدًا**»[3]. قال: فترك عليٌّ الخِطْبَةَ.

ولما مات رسولُ الله ﷺ سأَلَت من أبي بكرٍ الميراثَ، فأخبَرها أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «**لا نُورَثُ، ما تركْنا فهو صدقةٌ**»[4]. فسأَلَت أن يكونَ زوجُها ناظرًا على هذه الصدقةِ، فأبَى ذلك وقال: إنِّي أَعُولُ مَن كان رسولُ الله ﷺ يَعولُ، وإني أَخْشَى إن تَرَكْتُ شيئًا مما كان رسولُ الله ﷺ يَفْعَلُه أن أَضِلَّ، ووالله لَقَرابةُ رسولِ الله ﷺ أحَبُّ إليَّ أن أَصِلَ مِن قَرابتي. فكأنها وجَدَت في نفسها مِن ذلك، فلم تَزلْ مُغْضَبَةً مدةَ حياتِها، فلمَّا مرِضت جاءها الصِّدِّيقُ، فدخَل عليها، فجعَل يَتَرَضَّاها، وقال: والله ما تركْتُ الدارَ والمالَ والأهلَ والعَشيرةَ، إلا ابْتغاءَ مَرْضاةِ الله ومَرْضاةِ رسولِه ومَرْضاتِكم أهلَ البيتِ. فرضِيَت، رضِي اللهُ عنهما[5]. رَواه البيهقيّ مِن طريقِ إسماعيلَ بنِ أبي خالدٍ، عن الشَّعبيِّ، ثم قال: وهذا مُرْسَلٌ حسنٌ بإسنادٍ صحيحٍ. ولَّما حضَرَتْها الوفاةُ أوْصَتْ إلى أسْماءَ بنت عُمَيْسٍ امرأةِ الصِّدِّيقِ أن تُغَسِّلَها، فغَسَّلَتها هي وعليٌّ بنُ أبي طالبٍ وسَلْمَى أمُّ رافعٍ، قيل: والعباسُ بنُ عبدِ المطَّلبِ. وما رُوِيَ مِن أنَّها اغْتَسلَت قبلَ وفاتِها وأوْصَت أن لا تُغَسَّلَ بعدَ ذلك فضعيفٌ لا يُعَوَّلُ عليه. واللهُ أعلمُ.

وكان الذي صلَّى عليها زوجُها عليٌّ، وقيل: عمُّها العباسُ. وقيل: أبو بكرٍ الصِّدِّيقُ. فاللهُ أعلمُ. ودُفِنت ليلاً، وذلك ليلةَ الثلاثاءِ لثلاثٍ خَلَوْنَ مِن رمضانَ سنةَ إحْدَى عشْرةَ، وقيل: إنها تُوُفِّيَت بعدَه، عليه الصلاةُ والسلامُ، بشهرين. وقيل: بسبعين يومًا. وقيل: بخمسةٍ وسبعين يومًا. وقيل: بثلاثةِ أشهرٍ. وقيل: بثمانيةِ أشهرٍ.

والصحيحُ ما ثبَت في «الصحيحِ» مِن طريقِ الزهريِّ، عن عروةَ، عن عائشةَ، أنَّ فاطمةَ عاشت

---

(١) إسناده حسن: رواه أحمد (١/ ١٠٦).

(٢) صحيح: رواه البخاري (٣٧٠٥) ومسلم (٢٧٢٧).

(٣) صحيح: رواه البخاري (٥٢٣٠) ومسلم (٢٤٤٩) من حديث المسور بن مخرمة.

(٤) صحيح: رواه البخاري (٣٧١٢) ومسلم (١٧٥٨).

(٥) رواه البيهقي في «الكبرى» (٦/ ٣٠١) وابن سعد في «الطبقات» (٨/ ٢٧).

بعدَ النبيِّ ﷺ ستةَ أشهرٍ، ودُفنَت ليلاً[1]، ويقالُ: إنَّها لم تَضْحَكْ في مدة بقائها بعدَه، عليه الصلاةُ والسلامُ، وإنَّها كادت تَذُوبُ من حُزْنِها عليه، وشَوْقِها إليه. واختُلف في مِقْدارِ سنِّها يومَئذٍ، فقيل: سبعٌ. وقيل: ثمانٌ. وقيل: تسعٌ وعشرون. وقيل: ثلاثون. وقيل: خمسٌ وثلاثون سنةً. وهذا بعيدٌ، وما قبلَه أقربُ منه، واللهُ أعلمُ. ودُفنَت بالبَقيعِ، وهي أولُ مَن سُتِر سَريرُها.

وقد ثبَت في «الصحيح» أنَّ عليًّا كان له وجهٌ من الناسِ حياةَ فاطمةَ، فلما ماتت التَمَس مُبايعةَ الصِّدِّيقِ فبايَعه[2]. كما هو مَرْوِيٌّ في «البخاريِّ». وهذه البيعةُ لإزالة ما كان وقَع من وَحْشةٍ حصَلت بسببِ الميراثِ، ولا يَنْفِي ما ثبَت من البيعة المتقدِّمة عليها كما قرَّرْنا. واللهُ أعلمُ.

وممَّن تُوُفِّيَ في هذه السنة أمُّ أيمنَ، بَرَكةُ بنتُ ثَعْلَبَةَ بن عمرو بن حُصين بن مالك بن سَلَمةَ بن عمرو ابن النُّعمان، مَوْلاةُ رسولِ الله ﷺ، ورِثها من أبيه، وقيل: من أمِّه. وحضَنَتْه وهو صغيرٌ، وكذلك بعدَ ذلك، وقد شرِبَت بولَه، فقال لها: «لقد احْتَظَرْتِ بحظارٍ من النار». وقد أعْتَقها وزوجَها عُبَيدًا، فولَدت منه ابنَها أيمنَ فعُرِفت به، ثم تزَوَّجها زيدُ بنُ حارثةَ مَوْلى رسولِ الله ﷺ، فولَدت أسامةَ بنَ زيدٍ، وقد هاجَرت الهجرتَيْن؛ إلى الحبشة والمدينة، وكانت من الصالحات، وكان عليه الصلاةُ والسلامُ يَزورُها في بيتِها ويقولُ: «هي أمِّي بعدَ أمِّي». وكذلك كان أبو بكرٍ وعمرُ يَزُورانها في بيتها، كما تقدَّم ذلك في ذكرِ الموالي، وقد تُوُفِّيَت بعدَه، عليه الصلاةُ والسلامُ، بخمسة أشهرٍ، وقيل: بستَّة أشهرٍ.

ومنهم ثابتُ بنُ أقْرَمَ بن ثَعْلبةَ بن عَديِّ بن العَجْلان البَلَويُّ، حليفُ الأنصارِ، شهِد بدرًا وما بعدَها، وكان ممَّن حضَر مُؤْتةَ، فلما قُتِل عبدُالله بنُ رَواحةَ دُفِعت الرايةُ إليه، فسلَّمها لخالدِ بنِ الوليد، وقال: أنت أعْلَمُ بالقتالِ منِّي. وقد تقَدَّم أنَّ طُلَيْحةَ الأسَديَّ قتَله وقتَل معه عُكَّاشةَ بنَ مِحْصَنٍ، وذلك حينَ يقولُ طُلَيحةُ:

عشيَّةَ غادَرْتُ ابنَ أقْرمَ ثاويًا … وعُكَّاشةَ الغَنْميَّ تحتَ مَجالِ

وذلك في سنة إحْدَىٰ عشْرةَ، وقيل: سنةَ ثنتَيْ عشْرةَ. وعن عروةَ أنه قُتِل في حياةِ النبيِّ ﷺ. وهذا غريبٌ، والصحيحُ الأولُ. واللهُ أعلَمُ.

ومنهم ثابتُ بنُ قيسِ بن شَمَّاس الأنصاريُّ الخزرجيُّ، أبو محمد خَطيبُ الأنصار، ويقالُ له أيضًا: خَطيبُ النبيِّ ﷺ. وقد ثبَت عنه، عليه الصلاةُ والسلامُ، أنَّه بشَّرَه بالجنَّةِ وأنه بشَّرَه بالشَّهادة ـ وقد تقَدَّم الحديثُ في «دلائل النبوة» ـ فقُتِل يومَ اليَمامة شَهيدًا، وكانت رايةُ الأنصار يومَئذٍ بيده. وروَىٰ الترمذيُّ بإسنادٍ على شرطِ مسلمٍ، عن أبي هُرَيرةَ، أنَّ رسولَ الله قال: «نعم الرجلُ ثابتُ بنُ قيسِ بن شَمَّاسٍ»[3].

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٤٢٤١).
(٢) صحيح: رواه البخاري (٤٢٤١) من حديث عائشة رضي الله عنها.
(٣) حسن: رواه الترمذي (٣٧٩٥).

وقال أبو القاسم الطبراني: ثنا أحمدُ بنُ المُعَلّى الدِّمشقيُّ، ثنا سليمانُ بنُ عبدِ الرحمنِ، ثنا الوليدُ بنُ مسلمٍ، حدثني عبدُ الرحمنِ بنُ يزيدَ بنِ جابرٍ، عن عطاءٍ الخُراسانيِّ قال: قدمتُ المدينةَ فسألتُ عمَّن يُحدِّثني بحديثِ ثابتِ بنِ قيسِ بنِ شمّاسٍ، فأرشدوني إلى ابنته، فسألتُها، فقالت: سمعتُ أبي يقولُ: لمّا أُنزل على رسولِ الله ﷺ: ﴿إنَّ اللهَ لا يُحبُّ كلَّ مُختالٍ فخورٍ﴾ [لقمان: ١٨]. اشتدت على ثابتٍ وغلّق عليه بابَه، وطفِق يبكي، فأُخبِر رسولُ الله ﷺ، فسأله فأخبره بما كَبُر عليه منها، وقال: أنا رجلٌ أُحبُّ الجمالَ، وأنا أسودُ قومي. فقال: «إنك لستَ منهم، بل تعيشُ بخيرٍ وتموتُ بخيرٍ، ويُدخلُك اللهُ الجنةَ». فلما أُنزل على رسول الله ﷺ: ﴿يا أيُّها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتَكم فوقَ صوتِ النبيِّ ولا تجهروا له بالقولِ﴾ [الحجرات: ٢]. فعل مثلَ ذلك، فأُخبِر النبيُّ ﷺ فأرسل إليه، فأخبره بما كَبُر عليه منها، وأنه جهيرُ الصوت، وأنه يتخوَّفُ أن يكونَ ممَّن حَبِط عملُه، فقال: «إنك لستَ منهم، بل تعيشُ حميدًا، وتُقتَلُ شهيدًا، ويُدخلُك اللهُ الجنةَ». فلما استنفر أبو بكرٍ المسلمين إلى أهلِ الرِّدَّةِ واليمامةِ ومُسيلمةَ الكذّابِ، سار ثابتُ بنُ قيسٍ فيمن سار، فلما لقُوا مُسيلمةَ وبني حنيفةَ هزموا المسلمين ثلاثَ مراتٍ، فقال ثابتٌ وسالمٌ مولى أبي حذيفةَ: ما هكذا كنا نُقاتلُ مع رسولِ الله ﷺ. فجعلا لأنفسهما حُفرةً فدخلا فيها، فقاتلا حتى قُتلا. قالت: وأُرِيَ رجلٌ من المسلمين ثابتَ بنَ قيسٍ في منامه، فقال: إني لمّا قُتلتُ بالأمسِ مرَّ بي رجلٌ من المسلمين، فانتزع مني درعًا نفيسةً، ومنزلُه في أقصى العسكرِ، وعند منزله فرسٌ يستنُّ في طِوَله، وقد أكفأ على الدرعِ بُرْمةً، وجعل فوقَ البُرمةِ رَحْلًا، وائتِ خالدَ بنَ الوليدِ، فليبعثْ إلى درعي فليأخذْها، فإذا قدمتَ على خليفةِ رسولِ الله ﷺ فأعلمْه أنَّ عليَّ من الدَّين كذا، ولي من المال كذا، وفلانٌ من رقيقي عتيقٌ، وإياك أن تقولَ: هذا حُلْمٌ، فتُضيِّعَه. قال: فأتى خالدًا فوجَّه إلى الدرعِ فوجدها كما ذكر، وقدم على أبي بكرٍ، فأخبره فأنفذ أبو بكرٍ وصيتَه بعدَ موته، فلا نعلمُ أحدًا جازت وصيتُه بعدَ موته إلا ثابتَ بنَ قيسِ بنِ شمّاسٍ(١). ولهذا الحديثِ وهذه القصةِ شواهدُ أُخَرُ، والحديثُ المتعلِّقُ بقوله: ﴿لا ترفعوا أصواتَكم فوقَ صوتِ النبيِّ﴾. في «صحيح مسلم» عن أنسٍ(٢).

وقال حمادُ بنُ سلمةَ عن ثابتٍ، عن أنسٍ، أنَّ ثابتَ بنَ قيسِ بنِ شمّاسٍ جاءَ يومَ اليمامةِ وقد تحنَّط ونشر أكفانَه، وقال: اللهم إني أبرأُ إليك مما جاء به هؤلاء وأعتذرُ إليك مما صنع هؤلاء. فقُتل، وكانت له درعٌ فسُرقت، فرآه رجلٌ فيما يرى النائمُ، فقال: إن درعي في قِدْرٍ تحتَ الكانونِ في مكانِ كذا وكذا. وأوصاه بوصايا، فطلبوا الدرعَ فوجدوها وأنفذوا الوصايا(٣). رواه الطبرانيُّ أيضًا.

ومنهم حَزْنُ بنُ أبي وهبِ بنِ عمرِو بنِ عائذِ بنِ عمرانَ المخزوميُّ، له هجرةٌ، ويقالُ: أسلم عامَ

---

(١) رواه الطبراني في «الكبير» (٢/ ٧٠).
(٢) صحيح: رواه مسلم (١١٩).
(٣) رواه الطبراني في «الكبير» (٢/ ٦٥).

الفتح. وهو جدُّ سعيد بن المسيَّب، أراد رسولُ الله ﷺ أن يُسَمِّيَه سَهْلاً فامْتَنع وقال: لا أُغَيِّرُ اسمًا سَمَّانيه أبواي. قال سعيدٌ: فلم تَزَل الحُزونةُ فينا. استُشْهِد يومَ اليَمامة، وقُتِل معه أيضًا ابناه عبدُالرحمن ووَهْبٌ، وابنُ ابنه حكيمُ بنُ وهب بن حَزْن.

ومن استُشْهِد في هذه السنة داذَوَيْه الفارسيُّ، أحدُ أُمراءِ اليمنِ الذين قتَلوا الأسْوَدَ العَنْسيَّ، قتَله غِيلَةً قيسُ بنُ مَكْشوحٍ حينَ ارْتَدَّ قبلَ أن يَرْجِعَ قَيْسٌ إلى الإسلامِ، فلما عنَّفه الصِّدِّيقُ على قتلِه أنكر ذلك، فقبِل عَلانيَته وإسْلامَه.

ومنهم زَيْدُ بنُ الخطاب بن نُفَيْل القُرَشيُّ العَدَويُّ أبو محمد، وهو أخو عمرَ بنِ الخطاب لأبيه، وكان زيدٌ أكبرَ من عمرَ، أسْلَم قديمًا، وشهد بدرًا وما بعدَها، وقد آخَى رسولُ الله ﷺ بينَه وبينَ مَعْنِ بنِ عَدِيٍّ الأنصاريِّ، وقد قُتِلا جميعًا باليَمامة، وقد كانت رايةُ المُهاجرين يومَئذٍ بيده، فلم يَزَلْ يتقدَّمُ بها حتى قُتِل فسقَطت، فأخَذها سالمٌ مَولَى أبي حُذَيفةَ، وقد قتَل زيدٌ يومَئذٍ الرَّجَّالَ بنَ عُنْفُوَة، واسمُه نَهارٌ، وكان الرَّجَّالُ هذا قد أسْلَم وقرأ «البَقَرة»، ثم ارتَدَّ ورجَع فصدَّق مُسَيْلِمةَ، وشهِد له بالرسالة، فحصَل به فتنةٌ عظيمةٌ، فكانت وفاتُه على يدِ زيدٍ، رضي اللهُ عن زيدٍ، ثم قتَل زيدًا رجلٌ يقالُ له: أبو مَرْيَمَ الحَنَفيُّ. وقد أسْلَم بعدَ ذلك وقال لعمرَ: يا أميرَ المؤمنين، إن اللهَ أكرَم زيدًا بيدي ولم يُهِنِّي على يده. وقيل: إنما قتَله سَلَمةُ بنُ صُبَيْحٍ، ابنُ عمِّ أبي مَرْيَمَ هذا. ورجَّحه أبو عمرَ، وقال: لأن عمرَ استَقْضَى أبا مريمَ. وهذا لا يدُلُّ على نَفْيِ ما تقدَّم. واللهُ أعلمُ. وقد قال عمرُ لما بلَغه مَقْتَلُ زيدِ بنِ الخطاب: سبَقني إلى الحُسْنَيَيْن؛ أسْلَم قبلي، واستُشْهِد قبلي. وقال لمُتَمِّمِ بنِ نُوَيْرةَ حينَ جعَل يَرْثي أخاه مَالكًا بتلك الأبياتِ المُتَقَدِّمِ ذِكْرُها: لو كنتُ أُحْسِنُ الشعرَ لقلتُ كما قلتَ. فقال له مُتَمِّمٌ: لو أن أخي ذهَب على ما ذهَب عليه أخوك ما حَزِنتُ عليه. فقال له عمرُ: ما عَزَّاني أحدٌ بمثلِ ما عزَّيْتَني به. ومع هذا كان عمرُ يقولُ: ما هَبَّتِ الصَّبَا إلا ذكَّرَتْني زيدَ بنَ الخطاب. رضي اللهُ عنه. وكان له من الولد عبدُ الرحمن وأسماءُ، تزوَّجها عبدُ الله بنُ عمرَ.

ومنهم سالمُ بنُ عُبَيْد، ويقال: ابنُ مَعْقِل. مَولَى أبي حُذَيفةَ بنِ عُتْبةَ بنِ رَبيعةَ، وإنما كان مُعْتَقًا لزوجته ثُبَيْتةَ بنتِ يَعارٍ، وقد تَبَنَّاه أبو حُذَيفةَ وزَوَّجَه بابنةِ أخيه فاطمةَ بنتِ الوليدِ بنِ عُتْبةَ، فلما أنزَل اللهُ ﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٥]. جاءت امرأةُ أبي حُذَيفةَ سَهْلةُ بنتُ سُهَيلِ بنِ عمرٍو، فقالت: يا رسولَ الله، إن سالمًا يَدْخُلُ عليَّ وأنا فُضُلٌ. فأمَرها أن تُرْضِعَه فأرْضَعَتْه، فكان يَدْخُلُ عليها بتلك الرَّضاعة. وكان من ساداتِ المسلمين، أسْلَم قديمًا وهاجَر إلى المدينة قبلَ رسولِ الله ﷺ، فكان يُصَلِّي بمَن بها من المهاجرين وفيهم عمرُ بنُ الخطاب؛ لكثرةِ حفْظِه القرآنَ، وشهِد بدرًا وما بعدَها، وهو أحَدُ الأربعةِ الذين قال فيهم رسولُ الله ﷺ: «استَقْرِئوا القرآنَ من أربعة»[1]. فذكَر منهم سالمًا

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٣٧٦٠) ومسلم (٢٤٦٤).

مولَى أبي حُذَيفةَ .

ورُوِيَ عن عمرَ أنه قال لَمّا احتُضِر : لو كان سالمٌ حيًا لَمَا جعلْتُها شُورَىٰ .

قال أبو عمرَ بنُ عبد البَرِّ : معناه أنه كان يَصْدُرُ عن رأيه فيمَن يُوليِّه الخلافةَ .

ولَمّا أخذ الرايةَ يومَ اليمامة بعدَ مَقْتَلِ زيد بنِ الخَطَّاب قال له المهاجرون : أتَخْشَىٰ أن نُؤْتَىٰ من قِبَلِك؟ فقال : بئس حاملُ القرآن أنا إذًا . انْقَطَعت يدُه اليُمْنَىٰ فأخذها بيسَاره ، فقُطِعت فاحْتَضَنَها وهو يقولُ : ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ [آل عمران: ١٤٤] . ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٤٦] . فلما صُرِع قال لأصحابه : ما فعَل أبو حُذَيفةَ؟ قالوا : قُتِل قال : فما فعَل فلانٌ؟ قالوا : قُتِل . قال : فأضْجِعوني بينَهما .

وقد بَعَث عمرُ بميراثه إلىٰ مَوْلاته التي أعْتَقَتْه ؛ ثُبَيْتَةَ ، فرَدَّته وقالت : إنما أعْتَقْتُه سائبةً . فجعلَه عمرُ في بيتِ المال .

ومنهم أبو دُجانةَ سماكُ بنُ خَرَشةَ - ويقالُ : سماكُ بنُ أوسِ بنِ خَرَشةَ - ابنِ لَوْذانَ بنِ عبد وُدِّ بنِ زيد ابنِ ثَعْلبةَ بنِ الخَزْرج بنِ ساعدةَ بنِ كعب بنِ الخَزْرَج ، الأنصاريُّ الخَزْرجيُّ ، شهد بدرًا وأبْلَىٰ يومَ أُحدٍ ، وقاتَل قتالاً شديدًا ، وأعْطاه رسولُ الله ﷺ يومَئذٍ سيفًا فأعْطاه حقَّه ، وكان يَتَبَخْتَرُ عندَ الحرب ، فقال عليه الصلاةُ والسلامُ : «إن هذه لَمِشْيةٌ يُبغِضُها اللهُ إلا في هذا الموْطن»[١] . وكان يَعْصِبُ رأسَه بعِصابةٍ حَمْراءَ ؛ شعارًا له بالشَّجاعة ، وشهد اليَمامةَ ، ويقالُ : إنه ممَّن اقْتَحم علىٰ بني حَنيفةَ يومَئذٍ الحَديقةَ ، فانْكَسَرَت رِجْلُه ، فلم يَزَلْ يُقاتِلُ حتىٰ قُتِل يومَئذٍ .

وقد قَتَل مُسَيْلِمةَ مع وَحْشيِّ بنِ حربٍ ؛ رَماه وَحْشيٌّ بالحربة ، وعلاه أبو دُجانةَ بالسيف . قال وَحْشيٌّ : فربُّك أعْلَمُ أيُّنا قتَلَه . وقد قيل : إنه عاش حتىٰ شهد صِفِّينَ مع عليٍّ . والأولُ أصحُّ . وأما ما يُرْوَىٰ عنه من ذكرِ الحِرْزِ المنسوبِ إلىٰ أبي دُجانةَ[٢] ، فإسْنادُه ضَعيفٌ ، ولا يُلْتَفَتُ إليه . واللهُ أعْلَمُ .

ومنهم شُجاعُ بنُ وَهْبِ بنِ رَبيعةَ الأسَديُّ ، حَليفُ بني عبد شَمس ، أسْلَم قديمًا وهاجَر ، وشهد بدرًا وما بعدَها ، وكان رسولَ رسولِ الله ﷺ إلىٰ الحارثِ بنِ أبي شَمِرٍ الغَسَّانيِّ ، فلم يُسْلِمْ ، وأسْلَم حاجبُه مِري . واسْتُشْهد شُجاعُ بنُ وَهْبٍ يومَ اليَمامة عن بِضْعٍ وأربعين سنةً ، وكان رجلاً طُوَالاً نَحيفًا أجْنأَ .

ومنهم الطُّفَيْلُ بنُ عمرِو بنِ طَريف بنِ العاصِ بنِ ثَعْلبةَ بنِ سُلَيم بنِ فَهْم بنِ غَنْم بنِ دَوْس الدَّوْسيُّ ، أسْلَم قديمًا قبلَ الهجرة ، وذهَب إلىٰ قومه فدعَاهم إلىٰ الله ، فهداهم اللهُ علىٰ يديه ، فلما هاجَر النبيُّ ﷺ إلىٰ المدينة جاءه بتسعين أهلَ بيتٍ من دَوْسٍ مسلمين ، وقد خرَج عامَ اليَمامة مع المسلمين ، ومعه ابنُه عمرٌو ، فرأىٰ الطُّفَيلُ في المَنام كأنَّ رأسَه قد حُلِق ، وكأنَّ امرأةً أدْخَلَتْه في فَرْجِها ، وكأنَّ ابنَه يَجْتَهِدُ أن

---

(١) رواه البيهقي في «الدلائل» (٣/ ٢٢٣) .

(٢) ضعيف: انظر «الاستيعاب» (٢/ ٧٠٧) .

يَلْحَقَه فلم يَصِلْ. فأَوَّلَها بأنه سيُقْتَلُ ويُدْفَنُ، وأن ابنَه يَحْرِصُ على الشَّهادةِ فلا يَنالُها عامَه ذلك. وقد وقَع الأمرُ كما أَوَّلَها، ثم قُتِل ابنُه شهيدًا يومَ اليَرْموك، كما سيأتي.

ومنهم عَبَّادُ بنُ بِشْرِ بن وَقْشٍ الأنصاريُّ، أسلَم على يَدَيْ مُصْعَبِ بنِ عُمَيْرٍ قبلَ الهجرة، قبلَ إسلامِ مُعاذٍ وأُسَيْدِ بنِ الحُضَيْرِ، وشهِد بدرًا وما بعدَها، وكان ممَّن قتل كعبَ بنَ الأشرف، وكانت عَصاه تُضِيءُ له إذا خرَج من عندِ رسولِ اللهِ ﷺ في ظُلْمة. قال موسى بنُ عُقْبةَ عن الزهريِّ: قُتِل يومَ اليَمامةِ شهيدًا عن خمسٍ وأربعين سنةً، وكان له بَلاءٌ وغَناءٌ. وقال محمدُ بنُ إسحاقَ عن محمدِ بنِ جعفرِ بنِ الزبيرِ، عن عَبَّادِ بنِ عبدِ اللهِ بنِ الزبيرِ، عن عائشةَ قالت: تهَجَّد رسولُ اللهِ ﷺ، فسمع صوتَ عَبَّادٍ فقال: «اللهم اغفِرْ له».

ومنهم السائبُ بنُ عثمانَ بنِ مَظْعون، بَدْرِيٌّ، من الرُّماة، أصابه يومَ اليَمامةِ سَهْمٌ فقتَله وهو شابٌّ، رحمه اللهُ.

ومنهم السائبُ بنُ العَوَّام، أخو الزبيرِ بنِ العَوَّام، استُشْهِد يومَئذٍ، رحمه اللهُ.

ومنهم عبدُ اللهِ بنُ سُهَيلِ بنِ عَمْرِو بنِ عبدِ شَمْسِ بنِ عبدِ وُدٍّ القُرَشيُّ العامريُّ، أسلَم قديمًا وهاجَر، ثم استُضْعِف بمكةَ، فلما كان يومُ بدرٍ خرَج معَهم، فلمَّا تواجَهوا فَرَّ إلى المسلمين فشهِدها معهم، وما بعدَها، وقُتِل يومَ اليَمامة، فلمَّا حجَّ أبو بكرٍ عَزَّى أباه فيه، فقال سُهَيْلٌ: بلَغني أن رسولَ اللهِ ﷺ قال: «إن الشَّهيدَ يَشْفَعُ لسبعين من أهله». فأرْجُو أن يَبْدَأَ بي.

ومنهم عبدُ اللهِ بنُ عبدِ اللهِ بنِ أُبَيِّ ابنِ سَلُولَ الأنصاريُّ الخزرجيُّ، كان من ساداتِ الصحابةِ وفُضَلائِهم، شهِد بدرًا وما بعدَها، وكان أبوه رأسَ المُنافقين، وكان أشدَّ الناسِ على أبيه، ولو أذِن له رسولُ اللهِ ﷺ فيه لَضرَب عُنُقَه، وكان اسمُه الحُبابَ، فسمَّاه رسولُ اللهِ ﷺ عبدَ الله، وقد استُشْهِد يومَ اليَمامةِ، رضِي اللهُ عنه.

ومنهم عبدُ اللهِ بنُ أبي بكرٍ الصِّدِّيق، أسلَم قديمًا، ويقالُ: إنه الذي كان يأتي بالطعامِ والشرابِ والأخبارِ، إلى رسولِ اللهِ ﷺ وإلى أبيه أبي بكرٍ وهما بغارِ ثَوْرٍ، ويَبِيتُ عندَهما ويُصْبِحُ بمكةَ كبائتٍ، فلا يَسْمَعُ بأمرٍ يُكادانِ به إلا أخبَرهما به.

وقد شهِد الطائفَ، فرَماه رجلٌ يقالُ له: أبو مِحْجَنٍ الثقفيُّ. بسهمٍ فدُوِّيَ منها فاندَمَلَت، ولكن لم يَزَلْ منها ضَمِنًا حتى مات في شَوَّالٍ سنةَ إحدى عشْرةَ.

ومنهم عُكَّاشةُ بنُ مِحْصَنِ بنِ حُرْثانَ بنِ قيسِ بنِ مُرَّةَ بنِ كَثيرِ بنِ غَنْمِ بنِ دُودانَ بنِ أسَدِ بنِ خُزَيمةَ الأسَديُّ، حليفُ بني عبدِ شمسٍ، يُكْنَى أبا مِحْصَنٍ، وكان من ساداتِ الصحابةِ وفُضَلائِهم، هاجَر وشهِد بدرًا، وأبْلَى يومَئذٍ بَلاءً حسنًا، وانكَسر سيفُه، فأعطاه رسولُ اللهِ ﷺ يومَئذٍ عُرْجونًا، فعاد في يدِه سيفًا أبيضَ الحديدِ شديدَ المَتْنِ. وكان ذلك السيفُ يُسَمَّى العَوْنَ. وشهِد أُحُدًا والخندقَ وما بعدَها.

ولَمَّا ذكَر رسولُ الله ﷺ السبعين ألفًا الذين يَدْخُلون الجنةَ بغيرِ حساب، قال عُكَّاشةُ: يا رسولَ الله، ادْعُ اللهَ أن يَجْعَلَني منهم. فقال: «اللهم اجْعَلْه منهم». ثم قام رجلٌ آخرُ فقال: يا رسولَ الله، ادْعُ اللهَ أن يَجْعَلَني منهم. فقال: «سبَقك بها عُكَّاشةُ»[1]. والحديثُ مَرْوِيٌّ من طرقٍ تُفيدُ القَطْعَ. وقد خَرَج عُكَّاشةُ مع خالدٍ يومَ أمَّرَه الصِّدِّيقُ بذي القَصَّة، فبعَثه وثابتَ بنَ أقْرمَ بينَ يديه طَليعةً، فتَلَقَّاهما طُلَيْحةُ الأسَديُّ وأخوه سَلَمةُ فقتَلاهما، وقد قتَل عُكَّاشةُ قبلَ مَقْتله حِبالَ بنَ طُلَيْحةَ، ثم أسْلَم طُلَيْحةُ بعدَ ذلك، كما ذكَرْنا، وكان عُمْرُ عُكَّاشةَ يومَئذٍ أربعًا وأربعين سنةً، وكان من أجْملِ الناسِ، رضِي اللهُ عنه.

ومنهم مَعْنُ بنُ عَديِّ بنِ الجَدِّ بنِ عَجْلانَ بنِ ضُبَيْعةَ البَلَويُّ، حَليفُ بني عمرِو بنِ عَوْفٍ، وهو أخو عاصمِ بنِ عَديٍّ، شهِد العَقَبةَ وبَدْرًا وأُحُدًا والخَنْدقَ وسائرَ المَشاهدِ، وكان قد آخَى رسولُ الله ﷺ بينه وبينَ زيدِ بنِ الخطابِ، فقُتِلا جميعًا يومَ اليمامةِ، رضِي اللهُ عنهما.

وقال مالكٌ عن ابنِ شِهابٍ، عن سالمٍ، عن أبيه قال: بكَى الناسُ على رسولِ الله ﷺ حينَ مات وقالوا: واللهِ ودِدْنا أنَّا مُتْنا قبلَه، نَخْشَى أن نُفْتَتَنَ بعدَه. فقال مَعْنُ بنُ عَديٍّ: لكني واللهِ ما أُحِبُّ أن أموتَ قبلَه؛ لأُصَدِّقَه ميِّتًا كما صدَّقْتُه حيًّا.

ومنهم الوليدُ وأبو عُبَيْدةَ ابنا عُمارةَ بنِ الوليدِ بنِ المُغيرة، قُتِلا مع عمِّهما خالدِ بنِ الوليدِ بالبُطاحِ، وأبوهما عُمارةُ بنُ الوَليدِ، هو صاحبُ عمرِو بنِ العاصِ إلى النَّجاشيِّ، وقصتُه مَشْهورةٌ.

ومنهم أبو حُذَيفةَ بنُ عُتْبةَ بنِ رَبيعةَ بنِ عبدِ شَمْسٍ القُرَشيُّ العَبْشَميُّ، أسْلَم قديمًا قبلَ دارِ الأرْقمِ، وهاجَر إلى الحَبَشةِ وإلى المدينةِ، وشهِد بدرًا وما بعدَها، وآخَى رسولُ الله ﷺ بينَه وبينَ عَبَّادِ بنِ بِشْرٍ، وقد قُتِلا شهيدَيْن يومَ اليَمامةِ. وكان عُمْرُ أبي حُذَيفةَ يومَئذٍ ثلاثًا أو أربعًا وخمسين سنةً، وكان طويلًا، حسَنَ الوجهِ، أحْوَلَ أثْعَلَ، وهو الذي له سِنٌّ زائدةٌ، وكان اسمُه هُشَيْمًا، وقيل: مُهَشِّمٌ. وقيل: هاشمٌ.

وبالجملةِ فقد قُتِل من المسلمين يومَ اليَمامةِ أربعُمائةٍ وخمسون من حَمَلةِ القرآنِ ومن الصحابةِ وغيرِهم. وإنما أوْرَدْنا هؤلاء لشُهْرتِهم، وباللهِ المُستعانُ.

قلتُ: وممَّن استُشْهِد يومَئذٍ من المهاجرين؛ مالكُ بنُ عمرٍو، حليفُ بني غَنْمٍ، مُهاجِريٌّ بَدْريٌّ. ويزيدُ بنُ رُقَيْشِ بنِ رِئابٍ الأسَديُّ، بدريٌّ. والحَكَمُ بنُ سعيدِ بنِ العاصِ بنِ أُمَيَّةَ الأمويُّ، وجُبَيْرُ بنُ مالكٍ ابنُ بُحَيْنةَ، أخو عبدِ اللهِ بنِ مالكٍ الأزديُّ، حَليفُ بني المُطَّلِبِ بنِ عبدِ مَنافٍ، وعامرُ بنُ البُكَيْرِ اللَّيْثيُّ، حليفُ بني عَديٍّ، بدريٌّ، ومالكُ بنُ رَبيعةَ، حليفُ بني عبدِ شمسٍ، وأبو أُمَيَّةَ صفوانُ بنُ أُمَيَّةَ بنِ عمرٍو، ويزيدُ بنُ أوسٍ، حَليفُ بني عبدِ الدارِ. وحُيَيٌّ ويقالُ: مُعَلَّى بنُ حارثةَ الثَّقَفيُّ، وحَبيبُ بنُ أَسيدِ بنِ جاريةَ الثَّقَفيُّ، والوليدُ بنُ عبدِ شمسٍ المَخْزوميُّ، وعبدُ اللهِ بنُ عمرِو بنِ بُجرةَ العَدَويُّ، وأبو قيسِ بنُ الحارثِ ابنِ قيسٍ السَّهْميُّ، وهو من مُهاجِرةِ الحَبَشةِ، وعبدُ اللهِ بنُ الحارثِ

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٥٤١)، ومسلم برقم (٢١٨).

ابنِ قيسٍ، وعبدُ اللهِ بنُ مَخرَمةَ بنِ عبدِ العُزَّىٰ بنِ أبي قيسِ بنِ عبدِ وُدِّ بنِ نصرٍ العامريُّ، مِن المُهاجِرين الأوَّلين، شهِد بدرًا وما بعدَها، وقُتِل يومَئذٍ، وعمرُو بنُ أُوَيسِ بنِ سعدِ بنِ أبي سَرْحٍ العامريُّ، وسَلِيطُ بنُ عمرٍو العامريُّ، ورَبيعةُ بنُ أبي خَرَشَةَ العامريُّ، وعبدُ اللهِ بنُ الحارثِ بنِ رَحْضةَ، مِن بني عامرٍ.

ومن الأنصارِ غيرِ مَن ذَكَرْنا تَراجمَهم؛ عُمارةُ بنُ حَزْمِ بنِ زيدِ بنِ لَوْذانَ النَّجَّاريُّ، وهو أخو عمرِو ابنِ حَزْمٍ، كانت معه رايةُ قومه يومَ الفتحِ، وقد شهِد بدرًا، وقُتِل يومَئذٍ، وعُقْبةُ بنُ عامرِ بنِ نابي بنِ زيدِ بنِ حَرامٍ السَّلَميُّ، شهِد العَقَبةَ الأولىٰ وشهِد بدرًا وما بعدَها، وثابتُ بنُ هَزَّالٍ مِن بني سالمِ بنِ عوفٍ، بَدْريٌّ في قولٍ، وأبو عَقيلٍ عبدُ الرحمنِ بنُ عبدِ اللهِ بنِ ثَعْلَبةَ، مِن بني جَحْجَبَىٰ، شهِد بدرًا وما بعدَها، فلما كان يومُ اليَمامةِ أصابه سَهْمٌ فنزَعه، ثم تَحَزَّم وأخَذ سيفَه، فقاتَل حتىٰ قُتِل، وقد أصابتْه جِراحاتٌ كثيرةٌ، وعبدُ اللهِ بنُ عتيكٍ. ورافعُ بنُ سهلٍ، وحاجبُ بنُ يزيدَ الأشْهليُّ، وسهلُ ابنُ عَديٍّ، ومالكُ بنُ أوسٍ، وعُمَيرُ بنُ أوسٍ، وطَلْحةُ بنُ عُتْبةَ، مِن بني جَحْجَبَىٰ. ورَباحٌ مولىٰ الحارثِ، ومَعْنُ بنُ عَديٍّ، وجَزْءُ بنُ مالكِ بنِ عامرٍ، مِن بني جَحْجَبَىٰ، ووَدَقةُ بنُ إياسِ بنِ عمرٍو الخَزْرَجيُّ، بَدْريٌّ، وجَرْوَلُ بنُ العباسِ، وعامرُ بنُ ثابتٍ، وبِشْرُ بنُ عبدِ اللهِ الخَزرجيُّ، وكُلَيبُ بنُ تَميمٍ، وعبدُ اللهِ بنُ عِتْبانَ، وإياسُ بنُ وَدَقةَ، وأُسَيْدُ بنُ يَرْبوعٍ، وسعدُ بنُ حارثةَ، وسعدُ بنُ حِمّانَ، ومُخاشِنُ بنُ حُمَيِّرَ، وسَلَمةُ بنُ مَسْعودٍ، وقيل: مسعودُ بنُ سِنانٍ، وضَمْرةُ بنُ عِياضٍ، وعبدُ اللهِ بنُ أُنَيسٍ، وأبو حَبَّةَ بنُ غَزِيَّةَ المازنيُّ، وحَبيبُ بنُ زيدٍ، وحَبيبُ بنُ عمرِو بنِ مِحْصَنٍ، وثابتُ بنُ خالدٍ، وفَرْوةُ بنُ النُّعمانِ، وعائذُ بنُ ماعصٍ، ويزيدُ بنُ ثابتِ بنِ الضَّحَّاكِ، أخو زيدِ بنِ ثابتٍ.

قال خَليفةُ بنُ خَيَّاطٍ: فجميعُ مَن استُشْهِدَ مِن المهاجرين والأنْصارِ يومَ اليَمامةِ ثمانيةٌ وخمسون رجلاً. يعني وبقيَّةُ الأربَعمائةِ والخمسين مِن غيرِهم. واللهُ أعلمُ.

وقد قُتِل مِن الكُفارِ فيما سُقْنا مِن المَواطِنِ التي الْتقَىٰ فيها المسلمون والمشركون في هذه وأوائلِ التي قبلَها، ما يُنَيِّفُ علىٰ خمسين ألفًا، ولله الحمدُ والمنةُ، وبه التوفيقُ والعِصْمةُ.

فمِن مَشاهيرِهم؛ **الأسْودُ العَنْسيُّ، لعَنه اللهُ**، واسمُه عَبْهَلَةُ بنُ كعبِ بنِ غَوْثٍ، خرَج أولَ مَخْرَجِه مِن بلدةٍ باليمنِ يقالُ لها: كَهْفُ خُبَّانَ. ومعه سبعُمائةِ مُقاتِلٍ، فما مضَىٰ شهرٌ حتىٰ مَلَك صَنْعاءَ، ثم اسْتَوْسَقَت له اليمنُ بحَذافِيرِها في أقْصَرِ مدةٍ، وكان معه شَيْطانٌ يُمَخْرِقُ له، ولكن خانَه أحْوَجَ ما كان إليه، ثم لم تَمْضِ له ثلاثةُ أشهرٍ أو أربعةُ أشهرٍ حتىٰ قتَله اللهُ علىٰ يَدَيْ إخْوانِ صِدْقٍ، وأُمراءِ حَقٍّ، كما قدَّمْنا ذكْرَه؛ وهم داذَوَيْهِ الفارسيُّ، وفَيْروزُ الدَّيْلَميُّ، وقيسُ بنُ مَكْشوحٍ المُراديُّ، وذلك في ربيعٍ الأولِ مِن سنةِ إحْدىٰ عَشْرةَ، قبلَ وَفاةِ رسولِ اللهِ ﷺ بليالٍ، وقيل: بليلةٍ. فاللهُ أعلمُ. وقد أطْلَع اللهُ رسولَه ليلةَ قتله علىٰ ذلك، كما أسْلَفْناه.

ومنهم مُسَيْلِمَة بنُ حَبِيبٍ الحنفيُّ اليَمامِيُّ الكذّابُ لعنه اللهُ

قدِم المدينةَ وافداً إلى رسولِ الله ﷺ مع قومه بني حَنيفةَ، وقد وقَف عليه رسولُ الله ﷺ فسمعه وهو يقولُ: إن جعَل لي محمدٌ الأمرَ من بعده اتَّبَعْته. فقال له: «لو سألتني هذا العُودَ - لعُرْجُونٍ في يده - ما أعطيْتُكه، ولئن أدبَرْتَ ليَعْقِرَنَّك اللهُ، وإني لأراك الذي أُرِيتُ فيه ما أُرِيتُ». وكان رسولُ الله ﷺ قد رأى في المَنام كأن في يده سِوارَيْن من ذهبٍ، فأهَمَّه شأنُهما، فأوحَى اللهُ إليه في المَنام أن انْفُخْهما، فنفَخهما فطارا، فأوَّلَهما بكذَّابَيْن يَخْرُجان، وهما صاحبُ صَنْعاءَ، وصاحبُ اليَمامة. وهكذا وقَع؛ فإنهما ذهَبا وذهَب أمرُهما؛ أما الأسْوَدُ فذُبِح في داره، وأما مُسَيْلِمةُ فعقَره اللهُ على يدَيْ وَحْشيِّ بنِ حربٍ، رَماه بالحَرْبة فأنفَذَه كما تُعْقَرُ الإبلُ، وضرَبه أبو دُجانةَ على رأسه ففلَقه، وذلك بعُقْرِ داره في الحَديقة التي يُقالُ لها: حَديقةُ الموْت. وقد وقَف عليه خالدُ بنُ الوليد وهو طَريحٌ، أراه إياه من بين القَتْلَى مُجَّاعةُ بنُ مُرارةَ. ويقالُ: كان أُصَيْفِرَ أُخَيْنِسَ. وقيل: كان ضَخْمًا أسْمَرَ اللون كأنه جَمَلٌ أوْرَقُ. ويقالُ: إنه مات وعمرُه مائةٌ وأربعون سنةً. فاللهُ أعلَمُ.

وقد قُتِل قبلَه وَزِيراه ومُسْتَشاراه، لعَنهما اللهُ، وهما مُحَكَّمُ بنُ الطُّفَيْلِ الذي يقالُ له: مُحَكَّمُ اليَمامة، قتَله عبدُ الرحمنِ بنُ أبي بكرٍ، رَماه بسهمٍ وهو يَخطُبُ قومَه يأمُرُهم بمَصالحِ حربِهم فقتَله، والآخرُ نَهَارُ بنُ عُنْفُوَةَ الذي يقالُ له: الرَّجَّالُ بنُ عُنْفُوَةَ. وكان ممَّن أسْلَم، ثم ارْتَدَّ وصدَّق مُسَيْلِمةَ، لعَنهما اللهُ، وشهِد له أنه سمِع النبيَّ يَذْكُرُ له أنه قد أُشْرِك في الأمرِ معه، وقد كذَب الرجَّالُ، لعَنه اللهُ، في هذه الشَّهادة، وقد رزَق اللهُ زيدَ بنَ الخطاب قتْلَه قبلَ أن يُقْتَلَ زيدٌ، رضِي اللهُ عنه.

ومما يَدُلُّ على كذِبِ الرَّجَّالِ في هذه الشَّهادة الضَّرورةُ في دينِ الإسلام، وما رَواه البُخاريُّ وغيرُه أن مُسَيْلِمةَ، لعَنه اللهُ، كتَب إلى رسولِ الله ﷺ: بسمِ الله الرحمنِ الرحيم، من مُسَيْلِمةَ رسولِ الله إلى محمدٍ رسولِ الله، سَلامٌ عليك، أما بعدُ فإني قد أُشْرِكْتُ في الأمْرِ معك، فلك المَدَرُ ولي الوَبَرُ. ويُرْوَى: فلكم نصفُ الأرضِ ولنا نصفُها، ولكنَّ قُرَيْشًا قومٌ يَعْتَدون. فكتَب إليه رسولُ الله ﷺ: «بسمِ الله الرحمنِ الرحيم، من محمدٍ رسولِ الله إلى مُسَيْلِمةَ الكذَّابِ، سَلامٌ على مَن اتَّبَع الهُدَى، أما بعدُ، فإن الأرضَ لله يُورِثُها مَن يَشاءُ من عباده، والعاقبةُ للمتَّقين»[(١)].

وقد قدَّمْنا ما كان يَتَعاطاه مُسَيْلِمةُ ويَتعاناه، لعَنه اللهُ، من الكلام الذي هو أسْخَفُ من الهَذَيانِ، مما كان يَزْعُمُ أنه وَحْيٌ من الرحمنِ، تَعالَى اللهُ عما يقولُه وأمثالُه عُلُوًّا كبيرًا.

ولما مات رسولُ الله ﷺ زعَم أنه قد استَقَلَّ بالأمْرِ من بعده، واستَخَفَّ قومَه فأطاعوه، وكان يقولُ:

---

(١) رواه البيهقي في «الدلائل» (٥/ ٣٣١).

خُذِي الدُّفَّ يا هذِهِ والعَبِي ... وبُثِّي مَحاسِنَ هذا النبي
تولَّى نبيُّ بني هاشمٍ ... وقامَ نبيٌّ بني يَعْرُبِ

فلم يُمْهِلْه اللهُ بعدَ وفاةِ رسولِ الله ﷺ إلا قليلاً حتى سلَّط اللهُ عليه سَيْفًا من سُيوفِه، وحَتْفًا من حُتوفِه، فبَعَج بطنَه، وفَلَق رأسَه وعجَّل اللهُ برُوحِه إلى النارِ، فبئسَ القرارُ، قال اللهُ تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الانعام: ٩٣]. فمُسَيْلِمةُ والأسْودُ وأمْثالُهما، لعَنهم اللهُ، أحَقُّ الناسِ دُخولاً في هذه الآيةِ الكريمةِ، وأوْلاهم بهذه العقوبةِ العظيمةِ.



سنة ثِنْتَيْ عشْرةَ مِن الهجرةِ النبويّة

اسْتَهَلَّت هذه السنةُ وجيوشُ الصِّدِّيقِ وأمراؤُه الذين بعَثهم لِقتالِ أهلِ الرِّدَّةِ جَوَّالون في البلادِ يمينًا وشِمالاً؛ لتمهيدِ قواعدِ الإسْلامِ وقِتالِ الطُّغاةِ مِن الأنامِ، حتى رُدَّ شاردُ الدِّينِ بعدَ ذَهابِه، ورجَع الحقُّ إلى نِصابِه، وتَمَهَّدَت جزيرةُ العربِ، وصار البَعيدُ الأقْصَى كالقريبِ الأدْنَى.

وقد قال جماعةٌ مِن عُلماءِ السِّيَرِ والتَّواريخِ: إن وَقْعةَ اليَمامةِ كانت في ربيعٍ الأولِ مِن هذه السنةِ. وقيل: إنها كانت في أواخرِ السنةِ التي قبلَها. والجمعُ بينَ القولَيْن أن ابْتداءَها كان في السنةِ الماضيةِ، وانتهاءَها وقَع في هذه السنةِ الآتيةِ، فعلى قولِ الأوَّلين يَنْبَغي أن تُنْقَلَ تراجمُ مَن ذَكَرْنا أنه قُتِل في اليمامةِ إلى هذه السنةِ، وعلى القولِ الآخرِ ينْبَغي أن يُذْكَروا في السنةِ الماضيةِ كما ذكَرْناه؛ لاحتمالِ أنهم قُتِلوا في الماضيةِ، ومُبادرةً إلى استيفاءِ تَراجِمِهم قبلَ أن يُذْكَروا مع مَن قُتِل بالشامِ والعراقِ في هذه السنةِ، على ما سَنَذْكُرُ إن شاء اللهُ، وبه الثقةُ وعليه التُّكْلانُ.

وقد قيل: إن وَقْعةَ جُواثَى وعُمانَ ومَهْرةَ، وما كان مِن الوَقائعِ التي أشرْنا إليها إنما كانت في سنةِ ثِنْتَيْ عشْرةَ. وفيها كان قَتْلُ المُلُوكِ الأربعةِ؛ جَمْدٌ، ومِخْوَسٌ، وأبْضَعَةُ، ومِشْرَحٌ، وأخْتُهم العَمَرَّدَةُ، الذين ورَد الحديثُ في مسندِ أحمدَ بلَعْنِهم. وكان الذي قتَلهم زيادُ بنُ لَبيدٍ الأنصاريُّ.

بعثُ خالدِ بنِ الوليدِ إلى العراقِ

لَمَّا فرَغ خالدُ بنُ الوَليدِ مِن اليَمامةِ، بعَث إليه الصِّدِّيقُ أن يَسيرَ إلى العراقِ، وأن يَبْدَأَ بفَرْجِ الهندِ، وهي الأُبُلَّةُ، ويأتي العراقَ مِن أعاليها، وأن يَتَأَلَّفَ الناسَ ويَدْعُوَهم إلى اللهِ، عز وجل، فإن أجابوا وإلا أخَذ منهم الجِزْيَةَ، فإن امْتَنعوا مِن ذلك كلِّه قاتَلهم في اللهِ، وأمره أن لا يُكْرِهَ أحدًا على المَسيرِ

معه، ولا يَسْتعينَ بمَن ارْتَدَّ عن الإسلام، وإن كان قد عاد إليه، وأمَره أن يَسْتَصْحِبَ كلَّ امْرِئٍ مَرَّ به مِن المسلمين، وشرَع أبو بكر في تَجْهيزِ السَّرايا والبُعوث والجُيوشِ إمْدادًا لخالدٍ، رضِي اللهُ عنه.

قال الواقديُّ: اختُلف في خالدٍ، فقائلٌ يقولُ: مضَىٰ مِن وجهِه ذلك مِن اليَمامةِ إلى العراقِ. وقائلٌ يقولُ: رجَع مِن اليَمامةِ إلى المدينة، ثم سار إلى العراقِ مِن المدينة، فمَرَّ على طريقِ الكوفةِ حتى انْتَهَىٰ إلى الحيرة. قلتُ: والمَشْهورُ الأولُ.

وقد ذكَر المَدائنيُّ بإسناده أن خالدًا توجَّه إلى العراق في المُحَرَّم سنةَ اثْنَتَيْ عشْرةَ، فجعَل طريقَه البَصْرةَ وفيها قُطْبةُ بنُ قَتادةَ، وعلى الكوفة المُثَنَّى بنُ حارثةَ الشَّيْبانيُّ.

وقال محمدُ بنُ إسحاقَ عن صالحِ بنِ كَيْسانَ: إن أبا بكرٍ كتَب إلى خالدٍ أن يَسيرَ إلى العراقِ، فمضَىٰ خالدٌ يُريدُ العراقَ حتى نزَل بقُرَيَّاتٍ مِن السَّوادِ يقالُ لها: بانِقْيَا، وبارُوسْمَا، وأُلَّيْسٌ وصاحبها جابانُ، فصالَحه أهلُها[1].

قلتُ: وقد قتَل منهم المسلمون قبلَ الصُّلْحِ خَلْقًا كثيرًا، وكان الصُّلْحُ على ألفِ دِرْهمٍ، وقيل: دينارٍ، في رجبٍ، وكان الذي صالحَه بُصْبُهْرَىٰ بنُ صَلُوبَا، ويقالُ: صَلُوبَا بنُ بُصْبُهْرَىٰ. فقبِل منهم خالدٌ، وكتَب لهم كتابًا، ثم أقْبَل حتى نزَل الحيرةَ، فخرَج إليه أشْرافُها مع قَبيصةَ بنِ إياسِ بنِ حَيَّةَ الطَّائيِّ، وكان أمَّره عليها كِسرىٰ بعدَ النُّعمانِ بنِ المنذرِ، فقال لهم خالدٌ: أدْعوكم إلى اللهِ وإلى الإسلامِ، فإن أجَبْتُم إليه فأنتم مِن المسلمين، لكم ما لهم وعليكم ما عليهم، فإن أبَيْتُم فالجزيةُ، فإن أبَيْتُم الجزيةَ فقد أتَيْتُكم بأقوامٍ هم أحْرصُ على الموتِ منكم على الحياة؛ جاهَدْناكم حتى يَحْكُمَ اللهُ بينَنا وبينَكم. فقال له قَبيصةُ: ما لنا بحربِك مِن حاجةٍ، بل نُقيمُ على ديننا ونُعطيكم الجزيةَ. فقال لهم خالدٌ: تَبًّا لكم! إن الكفرَ فَلاةٌ مُضِلَّةٌ، فأحْمَقُ العربِ مَن سلَكها، فلَقِيَه منهم رجلان؛ أحدُهما عربيٌّ والآخرُ أعْجَميٌّ، فتركَه واسْتَدَلَّ بالعَجَميِّ. ثم صالَحهم على تسعين ألفًا. وفي روايةٍ: مائتَيْ ألفِ دِرْهمٍ. فكانت أولَ جِزْيةٍ أُخِذَت مِن العراقِ وحُمِلَت إلى المدينةِ هي والقُرَيَّاتِ قبلَها التي صالَح عليها ابنُ صَلُوبَا.

قلتُ: وقد كان مع نائبِ كِسرىٰ على الحيرةِ ممن وفَد إلى خالدٍ عبدُ المسيحِ بنُ عمرِو بنِ حَيَّانَ بنِ بُقَيْلَةَ، وكان مِن نَصارَىٰ العربِ، فقال له خالدٌ: مِن أين أثَرُك؟ قال: مِن ظهرِ أبي. قال: ومِن أين خرَجْتَ؟ قال: مِن بطنِ أمي. قال: وَيْحَك! على أيِّ شيءٍ أنت؟ قال: على الأرضِ. قال: وَيْلَكَ! وفي أيِّ شيءٍ أنت؟ قال: في ثِيابي. قال: وَيْحَك! تَعْقِلُ؟! قال: نعم وأُقَيِّدُ. قال: إنما أسْألُك. قال: وأنا أُجيبُك. قال: أسِلْمٌ أنت أم حَرْبٌ؟ قال: بل سِلْمٌ. قال: فما هذه الحُصونُ التي أرَىٰ؟ قال: بَنَيْناها للسَّفيهِ نَحْبِسُه حتى يجيءَ الحَليمُ فيَنهاه. ثم دَعاهم إلى الإسلامِ أو الجزيةِ أو القِتالِ،

(١) رواه الطبري في «تاريخه» (٣/ ٣٤٣).

فأجابوا إلى الجزية بتسعين أو مائتي ألف، كما تقدم.

ثم بعث خالدُ بنُ الوليد كتابًا إلى أُمراء كسرى بالمدائن ومرازبته ووزرائه، كما قال هشامُ بنُ الكلبيُّ عن أبي مخنف، عن مُجالد، عن الشعبيِّ قال: أقرأني بنو بُقَيلة كتابَ خالد بن الوليد إلى أهل المدائن: من خالد بن الوليد إلى مرازبة أهل فارس، سلامٌ على من اتَّبع الهدى، أما بعدُ، فالحمدُ لله الذي فضَّ خَدَمتكم وسلَب مُلككم، ووهَّن كيدكم، وإنه من صلَّى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فذلك المسلمُ الذي له ما لنا وعليه ما علينا، أما بعدُ، فإذا جاءكم كتابي فابعثوا إليَّ بالرُّهن، واعتقدوا مني الذِّمَّة، وإلا فوالذي لا إله غيره لأبعثنَّ إليكم قومًا يُحبُّون الموت كما تُحبُّون أنتم الحياة. فلمَّا قرءُوا الكتاب أخذوا يتعجَّبون.

وقال سيفُ بنُ عمرَ عن طلحة الأعلم، عن المغيرة بن عُتيبة، وكان قاضيَ أهل الكوفة، قال: فرَّق خالدٌ مخرجَه من اليمامة إلى العراق، جُندَه ثلاثَ فِرَق، ولم يحملهم على طريق واحدة، فسرَّح المُثنَّى قبله بيومين ودليلُه ظَفَرٌ، وسرَّح عديَّ بنَ حاتم وعاصمَ بنَ عمرو ودليلاهما مالكُ بنُ عبَّاد وسالمُ بنُ نصر، أحدُهما قبلَ صاحبه بيوم، وخرج خالدٌ - يعني في آخرهم - ودليلُه رافعٌ، فواعدهم جميعًا الحفيرَ ليجتمعوا به، ويُصادموا عدوَّهم، وكان فَرْجُ الهند أعظمَ فُروج فارس شأنًا وأشدَّها شوكةً، وكان صاحبُه يُحاربُ العربَ في البرِّ، والهندَ في البحر، وهو هُرْمُزُ، فكتب إليه خالدٌ، فبعث هُرْمُزُ بكتاب خالد إلى شيرى بن كسرى، وأردشير بن شيرى، وجمع هُرْمُزُ وهو نائبُ كسرى، جُموعًا كثيرةً، وسار بهم إلى كاظمة، وعلى مُجنِّبتيه قُباذُ وأنوشجانُ - وهما من بيت الملك - وقد تقرَّن الجيشُ في السَّلاسل؛ لئلا يفرُّوا، وكان هُرْمُزُ هذا من أخبث الناس طويَّةً وأشدِّهم كفرًا، وكان شريفًا في الفُرس، وكان الرجلُ كلما ازداد شرفًا زاد في حليته، فكانت قَلَنْسُوةُ هُرْمُزَ بمائة ألف، وقدم خالدٌ بمن معه من الجيش، وهم ثمانيةَ عشرَ ألفًا فنزل تُجاههم على غير ماء، فشكى إليه أصحابُه ذلك، فقال: جالدوهم حتى تُجلوهم عن الماء، فإن اللهَ جاعلُ الماء لأصبر الطائفتين. فلمَّا استقرَّ بالمسلمين المنزلُ وهم رُكبانٌ على خيولهم، بعث اللهُ سحابةً فأمطرتهم حتى صار لهم غُدرانٌ من ماء، فقوي المسلمون بذلك، وفرحوا فرحًا شديدًا، فلما تواجه الصفَّان وتقابل الفريقان، ترجَّل هُرْمُزُ ودعا إلى البراز، فترجَّل خالدٌ وتقدَّم إلى هُرْمُزَ، فاختلفا ضربتين واحتضنه خالدٌ، وجاءت حاميةُ هُرْمُزَ، فما شغله عن قتله، وحمل القعقاعُ بنُ عمرو على حامية هُرْمُزَ فأناموهم، وانهزم أهلُ فارس، وركب المسلمون أكتافهم إلى الليل، واستحوذ خالدٌ على أمتعتهم وسلاحهم، فبلغ وقرَ ألف بعير، وسُمِّيت هذه الغزوةُ ذاتَ السَّلاسل؛ لكثرة من سُلسل بها من فُرسان فارس، وأفلت قُباذُ وأنوشجانُ. ولما رجع الطَّلَبُ نادى مُنادي خالد بالرحيل، فسار بالناس وتبعته الأثقالُ حتى نزل بموضع الجسر الأعظم من البصرة اليوم، وبعث بالفتح والبشارة والخُمس، مع زرِّ بن كُليب، إلى الصِّدِّيق، وبعث معه بفيل، فلما رآه نسوةُ أهل المدينة جعلن يقُلْن: أمن خلق الله هذا أم شيءٌ

مَصْنوعٌ؟! فردَّه الصِّدِّيقُ مع زِرٍّ، وبعث أبو بكر لمَّا بلَغه الخبرُ إلى خالدٍ، فنفَّله سَلَبَ هُرْمُزَ، وكانت قَلَنْسُوَتُه بمائة ألفٍ، وكانت مُرَصَّعةً بالجَوْهَرِ، وبعَث خالدٌ الأمراءَ يمينًا وشمالاً يُحاصِرون حُصونًا هنالك، ففتَحوها عَنْوةً وصُلْحًا، وأخَذوا منها أموالاً جَمَّةً، ولم يَكُنْ خالدٌ يتَعَرَّضُ للفلاحين - مَن لم يُقاتِلْ منهم - ولا لأولادهم، بل للمُقاتلة مِن أهلِ فارسَ.

ثم كانت وَقْعةُ المَذَارِ في صَفَرٍ من هذه السنة. ويقالُ لها: وَقْعةُ الثِّنْي. وهو النهرُ. قال ابنُ جَريرٍ: ويومَئذٍ قال الناسُ: صَفَرُ الأصْفارِ، فيه يُقْتَلُ كلُّ جَبَّارٍ، على مجمع الأنهار. وكان سببَها أن هُرْمُزَ كان قد كتَب إلى أَرْدَشيرَ وشيرَىٰ بقُدومِ خالدٍ نحوَه من اليَمامة، فبعَث إليه كسرى بمَدَدٍ مع أميرٍ يقالُ له: قارِنُ بنُ قريانسَ. فلم يَصِلْ إلى هُرْمُزَ حتى كان من أمْرِه مع خالدٍ ما تقَدَّم، وفَرَّ مَن فَرَّ من الفرسِ، فتلَقَّاهم قارِنُ، فالْتَفُّوا عليه فتذامَروا واتَّفَقوا على العَوْدِ إلى خالدٍ، فساروا إلى مَوْضعٍ يقالُ له: المَذَارُ. وعلى مُجَنِّبَتَيْ قارنَ قُبَاذُ وأَنُوشَجانُ، فلمَّا انْتَهى الخبرُ إلى خالدٍ، قسَم ما كان معه من أربعةِ أخْماسِ غَنيمةِ يومِ ذاتِ السَّلاسلِ، وأرْسَل إلى الصِّدِّيقِ بخبره مع الوليدِ بنِ عقبةَ، وسار خالدٌ بمَن معه من الجُيوشِ حتى نزَل على المَذَارِ، وهو على تَعْبئته، فاقْتَتلوا قتالَ حَنَقٍ وحَفِيظةٍ، وخرَج قارنُ يدْعو إلى البِرازِ، فبَرَز إليه خالدٌ، وابْتَدره الشُّجْعانُ من الأمراءِ، فقتَل مَعْقِلُ بنُ الأعْشى بنِ النَّبَّاشِ قارنَ، وقتَل عَديُّ بنُ حاتمٍ قُبَاذَ، وقتَل عاصمٌ أنوشَجانَ، وفرَّتِ الفرسُ، وركِبهم المسلمون في ظُهورِهم، فقتَلوا منهم يومَئذٍ ثلاثين ألفًا، وغَرِق كثيرٌ منهم في الأنهارِ والمياهِ، وأقام خالدٌ بالمَذارِ، وسلَّم الأسْلابَ إلى مَن قَتَل - وكان قارنُ قد انْتَهى شرَفُه في أبناءِ فارسَ - وجَمَع بقيَّةَ الغَنيمةِ وخَمَّسَها، وبعَث بالخُمُسِ والفتحِ والبِشارةِ إلى الصِّدِّيقِ، مع سعيدِ بنِ النعمانِ، أخي بني عَديِّ بنِ كعبٍ، وأقام خالدٌ هناك حتى قسَم أربعةَ الأخْماسِ وسَبَى ذَراريَّ مَن حَضَره من المُقاتلة، دونَ الفَلاحين؛ فإنه أقَرَّهم بالجِزْيةِ، وكان في هذا السَّبْي حَبيبٌ أبو الحسنِ البَصْريُّ، وكان نصرانيًّا، ومافَنَّةُ مولى عثمانَ، وأبو زيادٍ مولى المُغيرةِ بنِ شُعْبةَ. ثم أمَّر على الجُنْدِ سعيدَ بنَ النعمانِ وعلى الجِزْيةِ سُوَيْدَ بنَ مُقَرِّنٍ، وأمَرَه أن يَنْزِلَ الحَفيرَ؛ ليَجْبِيَ إليه الأموالَ، وأقام خالدٌ يتَحَسَّسُ الأخْبارَ عن الأعداءِ.

ثم كان أمْرُ الوَلَجةِ في صَفَرٍ أيضًا من هذه السنة، فيما ذكَره ابنُ جَريرٍ، وذلك لأنه لمَّا انْتَهى الخبرُ بما كان بالمَذارِ من قَتْلِ قارنَ وأصحابِه، إلى أَرْدَشيرَ، وهو ملكُ الفرسِ يومَئذٍ، بعَث أميرًا شُجاعًا يقالُ له: الأَنْدَرْزَغَرُ. وكان من أبناءِ السَّوادِ، وُلِد بالمَدائنِ ونشَأ بها، وأمَدَّه بجيشٍ آخرَ مع أميرٍ يقالُ له: بَهْمَنُ جاذَوَيْه. فساروا حتى بلَغوا مكانًا يقالُ له: الوَلَجةُ. فسمع بهم خالدٌ فسار بمَن معه من الجنودِ، ووصَّى مَن اسْتَخْلَفه هنالك بالحَذَرِ وقلةِ الغَفْلةِ، فنازَل أَنْدَرْزَغَرَ ومَن تأشَّب معه، واجْتَمع عندَه بالوَلَجةِ، فاقْتَتلوا قتالاً شديدًا هو أشَدُّ مما قبلَه، حتى ظَنَّ الفَريقان أن الصبرَ قد فرَغ، واسْتَبْطأ كَمينَه؛ الذين كان قد أرْصَدهم وراءَه في مَوْضعَيْن، فما كان إلا يسيرٌ حتى خرَج الكَمينان من ههنا وههنا،

ففرَّت صفوفُ الأعاجم، فأخذهم خالدٌ من أمامهم، والكَمينان من ورائهم، فلم يَعْرِفْ رجلٌ منهم مَقْتَلَ صاحبه، وهرَب الأَنْدَرْزَغَرُ من الوقْعة فمات عَطَشًا، وقام خالدٌ في الناس خطيبًا فرغَّبَهم في بلاد الأعاجم، وزهَّدهم في بلاد العرب، وقال: ألا تَرَوْن ما ههنا من الأَطْعِمات؟ وبالله لو لم يَلْزَمْنا الجهادُ في سبيل الله والدعاءُ إلى الإسلام، ولم يكنْ إلا المعاشُ، لكان الرأيُ أن نُقاتِلَ على هذا الرِّيف حتى نكونَ أَوْلَى به، ونُوَلِّيَ الجُوعَ والإقلالَ مَن تولاه ممن اثَّاقَل عما أنتم عليه. ثم خمَّس الغَنيمةَ، وقسَم أربعةَ أخماسها بينَ الغانمين، وبعَث الخُمُسَ إلى الصِّدِّيق، وأسَر مَن أسَر من ذَراريِّ المُقاتلة، وأقرَّ الفَلاحين بالجِزْية.

وقال سيفُ بنُ عمرَ عن عمرو، عن الشعبيِّ قال: بارَز خالدٌ يومَ الوَلَجة رجلاً من الأعاجم يَعْدِلُ بألف رجل، فقتَله، ثم اتَّكأ عليه وأُتِيَ بغَدائه فأكَله وهو مُتَّكِئٌ عليه. يَعْني بينَ الصَّفَّين.

ثم كانت وَقْعةُ أُلَّيْس في صَفَر أيضًا، وذلك أن خالدًا كان قد قتَل يومَ الوَلَجة طائفةً من بكر بن وائل، من نَصارَى العرب ممَّن كان مع الفرس، فاجْتَمع عَشائرُهم، وأشَدُّهم حَنَقًا عبدُ الأسود العِجْليُّ، وكان قد قُتِل له ابنٌ بالأمس، فكاتَبوا الأعاجمَ فأرْسَل إليهم أرْدَشيرُ جَيْشًا مددًا، فاجْتَمعوا بمكانٍ يقالُ له: أُلَّيْسٌ. فبينما هم قد نصَبوا لهم سماطًا فيه طعامٌ يُريدون أكْلَه، إذ غافَلهم خالدٌ بجيشه، فلما رأَوْه أشار من أشار منهم بأكل الطعام وعدم الاعْتناء بخالد، وقال أميرُ كِسْرَى، واسمُه جابانُ: بل نَنْهَضُ إليه. فلم يَسْمَعوا منه. فلمَّا نزَل خالدٌ تقدَّم بينَ يَدَيْ جيشه ونادَى بأعْلَى صوته لشُجْعانِ مَن هنالك من الأعراب: أين فلانٌ، أين فلانٌ؟ فكلُّهم نكَلوا عنه إلا رجلاً يقالُ له: مالكُ ابنُ قيسٍ، من بني جِذْرَةَ، فإنه برَز إليه، فقال له خالدٌ: يابنَ الخَبيثة، ما جرَّأك عليَّ من بينهم وليس فيك وَفاءٌ؟! فضربه فقتَله. ونفَرت الأعاجمُ عن الطعام، وقاموا إلى السلاح، فاقْتَتَلوا قتالاً شديدًا جـــدًّا، والمشركون يَرْقُبون قُدومَ بَهْمَنَ مَدَدًا من جهة الملك إليهم، فهم في قوة وشدة وكَلَب في القتال، وصبَر المسلمون صَبْرًا بَليغًا، وقال خالدٌ: اللهم لك عليَّ إن مَنَحْتَنا أكْتافَهم أن لا أسْتَبْقِيَ منهم أحدًا أقْدِرُ عليه حتى أُجْرِيَ نَهرَهم بدمائهم. ثم إن اللهَ، عزَّ وجلَّ، منَح المسلمين أكْتافَهم، فنادَى مُنادي خالد: الأسْرَ، الأسْرَ، لا تَقْتُلوا إلا مَن امْتَنع من الأسْر. فأقْبَلَت الخُيولُ به أفْواجًا يُساقُون سَوْقًا، وقد وكَّل بهم رجالاً يَضْرِبون أعناقَهم في النهر، ففعَل ذلك بهم خالدٌ يومًا وليلةً، ويَطْلُبُهم في الغد ومن بعد الغد، كلما حضَر منهم أحدٌ ضُرِبت عنقُه في النهر، وقد صرَف ماءَ النهر إلى موضع آخرَ، فقال له بعضُ الأمراء: إن النهرَ لا يَجْري بدمائهم حتى تُرْسِلَ الماءَ على الدم فيَجْرِيَ معه، فتُبِرَّ يَمينَك. فأرْسَله فسال النهرُ دمًا عَبيطًا، فلذلك سُمِّيَ نهرَ الدم، إلى اليوم، فدارت الطَّواحينُ بذلك الماء المُخْتَلط بالدم العَبيط ما كفَى العَسْكَرَ بكماله ثلاثةَ أيام، وبلَغ عددُ القَتْلَى سبعين ألفًا، ولمَّا هزَم خالدٌ الجيشَ ورجَع مَن رجَع من الناس، عدَل خالدٌ إلى الطعام الذي كانوا قد وضَعوه ليَأْكُلوه، فقال للمسلمين: هذا نَفَلٌ فانْزِلوا فكُلوا. فنزَل الناسُ فأكَلوا عشاءً. وقد جعَل الأعاجمُ

على طعامهم جَرْدَقًا كثيراً، فجعل مَن يَراه من أهلِ البادية من الأعراب يقولون: ما هذه الرُّقَعُ؟ يَحْسَبونها ثيابًا. فيقولُ لهم مَن يَعْرِفُ ذلك من أهلِ الأرْياف والمُدُن: أما سمعتُم برَقيقِ العَيْش؟ قالوا: بلى. قالوا: فهذا رَقيقُ العَيْش. فسَمَّوه يومئذٍ رُقاقًا، وإنما كانت العربُ تُسَمِّيه القرنَ.

وقد قال سيفُ بنُ عمرَ عن عمرِو بنِ محمدٍ، عن الشعبيِّ، عمَّن حدَّث عن خالدٍ، أن رسولَ الله ﷺ نفَّل الناسَ يومَ خيبرَ الخبزَ والطَّبيخَ والشِّواءَ وما أكلوا غيرَ ذلك، غيرَ مُتأثِّليه[1].

وكان كلُّ مَن قُتِل بهذه الوقعةِ يومَ أُلَّيسٍ من بلدةٍ يقالُ لها: أَمْغِيشيا. فعدَل إليها خالدٌ وأمَر بخرابِها، واستَوْلى على ما بها، فوجَدوا فيها مَغْنَمًا عظيمًا، فقسَم بينَ الغانمين فأصاب الفارسُ بعدَ النَّفَلِ ألفًا وخمسَمائةٍ، غيرَ ما تَهَيَّأ له مما قبلَه. وبعَث خالدٌ إلى الصِّدِّيق بالبِشارةِ والفتحِ والخُمُسِ من الأمْوالِ والسَّبْيِ مع رجلٍ يقالُ له: جَنْدَلٌ. من بني عِجْلٍ، وكان دليلاً صارمًا، فلما بلَّغ الصِّدِّيقَ الرِّسالةَ، وأدَّى الأمانةَ، أثْنى عليه وأجازه جاريةً من السَّبْيِ، وقال الصِّدِّيقُ: يا مَعْشرَ قريشٍ، إن أسَدَكم قد عَدا على الأسَد، فغلَبه على خَراذيله، عجَزَت النساءُ أن تَلِدْنَ مثلَ خالدِ بنِ الوليد. ثم جرَت أمورٌ طَويلةٌ لخالدٍ في أماكنَ متعددةٍ يُمَلُّ سَماعُها، وهو مع ذلك لا يَكِلُّ ولا يَمَلُّ ولا يَهِنُ ولا يَحْزَنُ، بل كلُّ ما له في قوةٍ وصَرامةٍ وشدةٍ وشَهامةٍ، ومثلُ هذا إنما خلَقه اللهُ، عزَّ وجلَّ، عِــزًّا للإسلامِ وأهلِه، وذُلاًّ للكفرِ وشَتاتِ شَمْلِه.

فصلٌ

ثم سار خالدٌ فنزَل الخَوَرْنَقَ والسَّديرَ والنَّجَفَ، وبَثَّ سراياه ههنا وههنا، يُحاصِرون الحصونَ من الحِيرةِ، ويستَنْزِلونَ أهلَها قَسْرًا وقَهْرًا، وصُلْحًا ويُسْرًا، وكان في جملةِ مَن نزَل بالصُّلْحِ قومٌ من نَصارى العربِ، فيهم ابنُ بُقَيْلةَ المتقدمُ ذِكْرُه، وكتَب لأهلِ الحِيرةِ كتابَ أمانٍ، فكان الذي راوضَهُ عليه عمرُو بنُ عبدِ المسيحِ بنِ بُقَيْلةَ، ووجَد خالدٌ معه كيسًا، فقال: ما في هذا؟ - وفتَحه خالدٌ فوجَد فيه شيئًا - فقال ابنُ بُقَيْلةَ: هو سمٌّ ساعةٍ. فقال: ولِمَ استَصْحَبْتَه معك؟ فقال: حتى إذا رأيتُ مَكْروهًا في قومي أكَلْتُه، فالموتُ أحَبُّ إليَّ من ذلك. فأخَذه خالدٌ في يده وقال: إنه لن تموتَ نفسٌ حتى تأتيَ على أجلِها. ثم قال: بسمِ الله خيرِ الأسْماءِ، ربِّ الأرضِ والسماءِ، الذي ليس يَضُرُّ مع اسمه داءٌ، الرحمنِ الرحيمِ. قال: وأهْوَى إليه الأمراءُ؛ ليَمْنَعوه منه فبادَرَهم فابْتَلَعه، فلمَّا رأى ذلك ابنُ بُقَيْلةَ قال: واللهِ يا معشرَ العربِ لَتَمْلِكُنَّ ما أرَدْتُم مادام منكم أحدٌ. ثم الْتَفَت إلى أهلِ الحِيرةِ، فقال: لم أرَ كاليومِ أوْضَحَ إقْبالاً من هذا. ثم دَعاهم وسألُوا خالدًا الصُّلْحَ، فصالَحهم، وكتَب لهم كتابًا بالصُّلْحِ، وأخَذ منهم أربعَمائةِ ألفِ درهمٍ عاجلةً، ولم يَكُنْ صالَحهم حتى سَلَّموا كَرامةَ بنتَ عبدِ المسيحِ إلى رجلٍ من الصحابةِ يقالُ له: شُوَيْلٌ. وذلك أنه لمَّا ذكَر رسولُ الله ﷺ قُصورَ الحِيرةِ كأنَّ شُرَفَها أنيابُ

(١) رواه الطبري في «تاريخه» (٣/ ٣٥٧).

الكلاب، فقال له: يا رسولَ الله، هَبْ لي ابنةَ بُقَيْلَةَ. فقال: «هي لك». فلما فُتِحَت ادَّعاها شُوَيْلٌ، وشهد له اثنانِ من الصَّحابة، فامْتَنَعوا من تَسْليمها إليه وقالوا: ما تُريدُ إلى امرأة ابنة ثمانين سنةً؟ فقالت لقومها: ادْفَعوني إليه فإني سأَفْتَدي منه، وإنه قد رآني وأنا شابَّةٌ. فسُلِّمَتْ إليه فلما خَلا بها قالت: ما تُريدُ إلى امرأةٍ ابنة ثمانين سنةً؟ وأنا أفْتَدي منك فاحْكُمْ بما أرَدْتَ. فقال: والله لا أفديك بأقلَّ من عشْرِ مائة. فاستَكْثَرَتْها خَديعةً منها، ثم أتَتْ قومَها فأحْضَروا له ألفَ درهم، ولامَه الناسُ وقالوا: لو طلَبْتَ أكثرَ من مائة ألفٍ لَدَفَعوها إليك. قال: وهل عددٌ أكثرُ من عشْرِ مائة؟ وذهَب إلى خالدٍ وقال: إنما أرَدْتُ أكثرَ العدد. فقال خالدٌ: أرَدْتَ أمرًا وأراد اللهُ غيرَه، وإنا نَحْكُمُ بظاهرِ قولِك، ونيَّتُك عندَ الله، كاذبًا كنتَ أم صادقًا.

وقال سيفُ بنُ عمرَ عن عمرِو بنِ محمدٍ، عن الشعبيِّ: لما افْتَتَح خالدٌ الحيرةَ صلَّى ثمانيَ رَكَعاتٍ بتَسْليمةٍ واحدةٍ. وقد قال القَعْقاعُ بنُ عمرٍو في هذه الأيام ومَن قُتِل من المسلمين بها وأيام الرِّدَّة:

سقَى اللهُ قَتْلَى بالفُراتِ مُقيمةً ... وأخْرَى بأثْباجِ النِّجافِ الكَوانِفِ
ونحن وطئْنا بالكَواظمِ هُرْمُزًا ... وبالثِّنْيِ قَرْنَيْ قارِنٍ بالجَوارِفِ
ويومَ أحَطْنا بالقُصورِ تَتابَعَتْ ... على الحيرةِ الرَّوْحاءُ إحْدى المَصارِفِ
حطَطْناهُمُ منها وقد كادَ عرشُهم ... يَميلُ بهم فِعْلَ الجَبانِ المُخالِفِ
رَمَيْنا عليهم بالقَبولِ وقد رأَوْا ... غَبُوقَ المَنايا حولَ تلك المَحارِفِ
صَبيحةَ قالوا نحن قَومٌ تَنزَّلوا ... إلى الرِّيفِ من أرضِ العُرَيْبِ المَقانِفِ

وقد قدم جريرُ بنُ عبدِ الله البَجَليُّ على خالدِ بنِ الوليد وهو بالحيرةِ بعدَ الوَقَعاتِ المتعدِّدة، والغَنائمِ المُتَقَدِّمِ ذكرُها، ولم يَحْضُرْ شيئًا منها؛ وذلك لأنه كان قد بعثَه الصِّدِّيقُ مع خالدِ بنِ سعيدِ بنِ العاصِ إلى الشَّام، فاستأْذَنَ خالدَ بنَ سعيدٍ في الرجوعِ إلى الصِّدِّيقِ؛ ليَجْمَعَ له قومَه من بَجيلةَ فيكونوا معه، فلما قدم على الصِّدِّيقِ فسأله ذلك، غضب الصِّدِّيقُ وقال: أتَيْتَني لتَشْغَلَني عما هو أرْضَى للهِ من الذي تَدْعوني إليه. ثم سيَّره الصِّدِّيقُ إلى خالدِ بنِ الوليدِ بالعراق.

قال سيفٌ بأسانيده: ثم جاء ابنُ صَلُوبا فصالَح خالدًا على بانِقْيا وبارُوسْما وما حولَ ذلك على عشْرة آلافِ دينارٍ، وجاءه دَهاقِينُ تلك البلادِ فصالَحوه على بُلْدانهم وأهاليهم، كما صالَح أهلُ الحيرةِ على الحيرة، واتَّفق في تلك الأيام -التي كان خالدٌ قد تَمكَّنَ بأطرافِ العراق، واستَحْوذَ على الحيرةِ وتلك البُلْدانِ وأوْقَع بأهلِ أُلَّيْسٍ والثِّنْي وما بعدَها بفارسَ ومَن تأشَّب معهم، ما أوْقَع من القَتْلِ الفَظيعِ في فُرْسانهم- أن عَدَتْ فارسُ على ملكِهم الأكبرِ أرْدَشيرَ وابنه شيرَى، فقتَلوهما وقَتلوا كلَّ مَن يَنْتَسبُ إليهما، وبقِيَت الفرسُ حائرين لِمَن يُوَلُّونه أمرَهم؟ واختَلفوا فيما بينَهم، غيرَ أنَّهم جهَّزوا جُيوشًا تكونُ حائلةً بين خالدٍ وبينَ المَدائنِ التي فيها إيوانُ كِسْرَى وسَريرُ مَمْلَكتِه، فحينئذٍ كتَب خالدٌ إلى مَن هنالك من المَرازِبةِ والأُمراءِ والوُزَراءِ والدَّوْلةِ، يدْعوهم إلى اللهِ وإلى الدخولِ في دينِ

الإسلام؛ ليُثبتَ مُلكَهم عليهم، وإلا فليَدْفَعوا الجزيَةَ، وإلا فليَعلَموا وليَستَعِدُّوا لقُدومه عليهم بقوم يُحِبُّون الموت كما يُحِبُّون هم الحياةَ، فجعلَوا يَعْجَبون من جُرأة خالد وشجاعته، ويَسْخَرون من ذلك لحَماقتهم ورُعونتهم في أنفسهم، وقد أقام خالدٌ هنالك بعدَ صُلْحِ الحِيرةِ سنةً يَترَدَّدُ في بلادِ فارسَ ههنا وههنا، ويُوقعُ بأهلها من البَأسِ الشديد، والسَّطْوةِ الباهرة، ما يُبْهِرُ الأبصارَ لمن شاهَد ذلك، ويُشنِّفُ أسماعَ مَن بلَغه ذلك، ويُحيِّرُ العُقولَ لمَن تَدَبَّره.

فتح خالد للأنبار، وتسمَّى هذه الغزوة ذاتَ العيون

ركب خالدٌ في جيوشه، فسار حتى انتهى إلى الأنبار، وعليها رجلٌ من أعقَلِ الفُرسِ وأسودهم في أنفسهم، يقالُ له: شيرزاذُ. فأحاط بها خالدٌ وعليها خَندقٌ وحولَه أعرابٌ من قومهم على دينهم، واجتَمع معهم أهلُ أرضِهم، فمانَعوا خالدًا أن يَصِلَ إلى الخندق، فضَرب معهم رأسًا، ولما تواجَه الفريقان أمرَ خالدٌ أصحابَه فرشَقوهم بالنِّبال حتى فقَئُوا منهم ألفَ عينٍ، فتَصايح الناسُ: ذهَبت عُيونُ أهلِ الأنبار. فسُمِّيَت هذه الغزوةُ ذاتَ العُيون، فراسَل شيرزاذُ خالدًا في الصُّلح، فاشتَرط خالدٌ أمورًا امتَنع شيرزاذُ من قَبولها، فتقَدَّم خالدٌ إلى الخَندق فاستَدعى برَذِيِّ الأموالِ من الإبلِ فذبَحها حتى ردَم الخَندقَ بها، وجاز هو وأصحابُه فوقَها، فلما رأى شيرزاذُ ذلك أجاب إلى الصُّلحِ على الشروط التي اشتَرطَها خالدٌ، وسأله أن يَرُدَّه إلى مأمَنه، فوفَّى له خالدٌ بذلك، وخرَج شيرزاذُ من الأنبارِ وتسَلَّمها خالدٌ، فنزلَها واطْمأنَّ بها، وتعَلَّم الصحابةُ ممَّن بها من العربِ الكتابةَ العربيةَ، وكان أولئك العربُ قد تعَلَّموها من عربٍ قبلَهم وهم بنو إيادٍ، كانوا بها من زمانِ بُخْتَ نَصَّرَ حينَ أباح العراقَ للعربِ، وأنشَدوا خالدًا قولَ بعضِ إيادٍ يَمتَدحُ قومَه:

قومي إيادٌ لو أنَّهم أمَمُ	أو لو أقاموا فتُهْزَلَ النَّعَمُ
قومٌ لهم باحةُ العراقِ إذا	ساروا جميعًا واللوحُ والقلمُ

ثم صالَح خالدٌ أهلَ البَوازِيجِ وكَلْواذَى. قال: ثم نقَض أهلُ الأنبارِ ومَن حولَهم عهدَهم لما اضطَرَبَت بعضُ الأحوال، ولم يَبْقَ على عهده سوى البَوازيج وبانِقْيا.

قال سيفُ بنُ عمرَ عن عبدِ العزيزِ بنِ سِياهٍ، عن حَبيبِ بنِ أبي ثابتٍ قال: ليس لأحدٍ من أهلِ السَّوادِ عَقْدٌ قبلَ الوَقْعَةِ إلا بني صَلُوبا، وهم أهلُ الحِيرةِ وكَلْواذَى وقُرًى من قُرَى الفُراتِ، حتى غدَروا، حتى دُعوا إلى الذِّمَّة بعدَما غدَروا[1].

وقال سيفٌ عن محمدِ بنِ قيسٍ قلتُ للشعبيِّ: أُخذ السَّوادُ عَنوةً؟ قال: نعم، وكلُّ أرضٍ إلا بعضَ القِلاعِ والحُصونِ. قال: بعضٌ صالَح وبعضٌ غالَبَ. قلتُ: فهل لأهلِ السَّوادِ ذِمَّةٌ اعتَقدوها قبلَ الهرَبِ؟ قال: لا، ولكنَّهم لما دُعُوا ورَضُوا بالخَراجِ وأُخذ منهم صاروا ذِمَّةً[2].

(١) رواه الطبري في «التاريخ» (٣/ ٣٧٥).
(٢) رواه الطبري في «التاريخ» (٣/ ٣٧٥).

وقعة عين التمر

لما استَقَلَّ خالدٌ بالأنبارِ استَناب عليها الزِّبرِقانَ بنَ بدرٍ، وقصَد عينَ التَّمْرِ، وبها يومَئذٍ مُهْرانُ بنُ بَهْرامَ جُوبينَ في جَمْعٍ عظيمٍ مِن العجمِ، وحولَهم مِن الأعْرابِ طَوائفُ مِن النَّمرِ وتَغْلبَ وإيادٍ ومَن لاقاهم، وعليهم عَقَّةُ بنُ أبي عَقَّةَ، فلما دَنا خالدٌ، قال عَقَّةُ لِمْهرانَ: إنَّ العربَ أعْلَمُ بقِتالِ العربِ، فدَعْنا وخالدًا. فقال له: دونَكم وإياهم، وإنِ احْتَجْتُم إلينا أعَنَّاكم. فلامَت العَجَمُ أميرَهم على هذا، فقال: دَعُوهم، فإن غلَبوا خالدًا فهو لكم، وإن غُلِبوا قتَلْنا خالدًا وقد ضَعُفوا ونحن أقْوياءُ. فاعْتَرفوا له بفَضْلِ الرأي عليهم، وسار خالدٌ وتَلَقَّاه عَقَّةُ، فلمَّا تَواجَهوا قال خالدٌ لُمجَنِّبَتَيْه: احْفَظوا مكانَكم فإني حاملٌ. وأمَر حُماتَه أن يكونوا مِن وَرائِه، وحمَل على عَقَّةَ وهو يُسَوِّي الصُّفوفَ، فاحْتَضَنه وأسَره، وانْهَزم جيشُ عَقَّةَ مِن غيرِ قِتالٍ، فأكْثَروا فيهم الأسْرَ، وقصَد خالدٌ حصْنَ عينِ التَّمرِ، فلمَّا بلَغ مِهْرانَ هَزيمةُ عَقَّةَ وجيشِه، نزَل مِن الحِصنِ وهرَب وترَكه، ورجَعت فُلالُ نَصارَى الأعْرابِ إلى الحصنِ، فوجَدوه مَفْتوحًا فدخَلوه واحْتَمَوا به، فجاء خالدٌ فأحاط به وحاصَرهم أشدَّ الحِصارِ، فلمَّا رأَوْا ذلك سأَلوه الصُّلْحَ، فأبَى إلا أن يَنْزِلوا على حكمِه، فنزَلوا على حُكْمِ خالدٍ، فجُعِلوا في السَّلاسلِ وتسلَّم الحِصْنَ، ثم أمَر فضُرِبَت عُنُقُ عَقَّةَ، ومَن كان أُسِر معه، والذين نزَلوا على حُكْمِه أيضًا أجْمَعين، وغنِم جميعَ ما كان في ذلك الحصنِ، ووجَد في الكَنيسةِ التي به أربعين غلامًا يَتَعلَّمون الإنْجيلَ، وعليهم بابٌ مُغْلَقٌ، فكسَره خالدٌ وفرَّقهم في الأُمراءِ وأهلِ الغَناءِ، كان فيهم حُمْرانُ، صار إلى عثمانَ بنِ عفانَ مِن الخُمُسِ، ومنهم سِيرينُ والدُ محمدِ بنِ سِيرينَ، أخَذه أنسُ بنُ مالكٍ، وجماعةٌ آخرون مِن المَوالي المَشاهيرِ أراد اللهُ بهم وبذَراريِّهم خيرًا.

ولما قدِم الوليدُ بنُ عُقْبةَ على الصِّدِّيقِ بالخُمُسِ ردَّه الصديقُ إلى عِياضِ بنِ غَنْمٍ مَددا له وهو مُحاصِرٌ دُومةَ الجَنْدلِ، فلما قدم عليه وجَده في ناحيةٍ مِن العراقِ يُحاصِرُ قومًا وهم قد أخَذوا عليه الطُّرُقَ، فهو مَحْصورٌ أيضًا، فقال عِياضٌ للوليدِ: إن بعضَ الرأيِ خيرٌ مِن جيشٍ كَثيفٍ، ماذا ترى فيما نحن فيه؟ فقال له الوليدُ: اكْتُبْ إلى خالدٍ يُمِدُّك بجيشٍ مِن عندِه، فكتَب إليه يَسْتَمِدُّه، فقدِم كتابُه على خالدٍ غِبَّ وَقْعةِ عينِ التمرِ، وهو يَسْتَغيثُ به، فكتَب إليه: مِن خالدٍ إلى عِياضٍ، إيَّاك أريدُ:

لَبِّثْ قليلًا تأتِكَ الحَلائبُ ... يَحْمِلْن آسادًا عليها القاشبُ

كَتائبٌ تَتْبَعُها كَتائبُ

خبر دُومة الجَنْدل

لما فرَغ خالدٌ من عين التمر قصَد إلى دُومة الجَنْدل، واستَخْلَف على عين التمر عُوَيْمرَ بنَ الكاهن الأسْلميَّ، فلمَّا سمع أهلُ دُومة الجَنْدل بمَسيره إليهم، بعَثوا إلى أحْزابهم من بَهْراءَ وتَنُوخَ وكَلْب وغَسَّانَ والضجاعم، فأقْبَلوا إليهم وعلى غَسَّان وتَنُوخَ ابنُ الأيْهَم وعلى الضجاعم ابنُ الحِدْرِجان، وجِماعُ الناس بدُومةَ إلى رجلين؛ أُكَيْدِرِ بنِ عبدِ الملك، والجُوديِّ بنِ رَبيعةَ، فاختَلَفا، فقال أُكَيْدِرٌ: أنا أعْلَمُ الناس بخالدٍ، لا أحدَ أيْمَنُ طائرًا منه في حربٍ ولا أحَدُّ منه، ولا يَرَى وجهَ خالدٍ قومٌ أبدًا؛ قلُّوا أم كثُروا إلا انْهَزموا عنه، فأطيعوني وصالحوا القومَ. فأبَوْا عليه، فقال: لن أُمالئكم على حرب خالدٍ. وفارَقَهم، فبعَث إليه خالدٌ عاصمَ بنَ عمرٍو فعارَضه فأخَذه، فلمَّا أتى به خالدًا أمَر فضُرِبتْ عنقُه وأخَذ ما كان معه، ثم تواجَه خالدٌ وأهلُ دُومة الجَنْدل وعليهم الجُوديُّ بنُ ربيعةَ، وكلُّ قَبيلةٍ مع أميرِها من الأعْراب، وجعَل خالدٌ دُومةَ بينَه وبينَ جيشِ عياضِ بنِ غَنْم، وافْتَرق جيشُ الأعْراب فِرْقَتَيْن؛ فرقةٌ نحوَ خالدٍ، وفرقةٌ نحوَ عياضٍ، وحمَل خالدٌ على مَن قِبَلَه، وحمَل عياضٌ على أولئك، فأسَر خالدٌ الجُوديَّ، وأسَر الأقْرَعُ بنُ حابسٍ وَديعةَ، وفرَّت الأعْرابُ إلى الحصنِ، فملئوه وبَقِيَ منهم خَلْقٌ ضاق عنهم، فعَطَفَت بنو تَميمٍ على مَن هو خارجَ الحصنِ فأعْطَوْهم ميرةً، فنَجا بعضُهم، وجاء خالدٌ فضرَب أعْناقَ مَن وجَده خارجَ الحصنِ، وأمَر بضربِ عُنُقِ الجُوديِّ ومَن كان معه من الأسارَى، إلا أُسارَى بني كَلْبٍ؛ فإنَّ عاصمَ بن عمرٍو والأقرعَ بنَ حابسٍ وبني تَميمٍ أجاروهم، فقال لهم خالدٌ: ما لي ولكم، أتَحْفَظون أمْرَ الجاهليةِ وتُضَيِّعون أمْرَ الإسلام؟! فقال له عاصمُ بنُ عمرٍو: أتَحْسُدونهم العافيةَ وتُحَوِّزونَهم إلى الشيطان. ثم أطاف خالدٌ بالباب فلم يَزُلْ عنه حتى اقْتَلَعه، واقْتَحموا الحصنَ فقتَلوا مَن فيه من المُقاتلة، وسَبَوُا الذَّراريَّ، فتَبايَعوهم بينَهم فيمَن يَزيدُ، واشْتَرى خالدٌ يومَئذٍ ابنةَ الجُوديِّ، وكانت مَوْصوفةً بالجمال، وأقام بدُومة الجَنْدل، ورَدَّ الأقْرعَ إلى الأنْبارِ، ثم رجَع خالدٌ إلى الحِيرة، فتلَقَّاه أهلُها من أهلِ الأرضِ بالتَّقْليسِ، فسمع رجلاً منهم يقولُ لصاحبِه: مُرَّ بنا فهذا يومُ فرحِ الشرِّ.

خبر وَقْعتي الحُصَيْد والمُصَيَّخ

قال سيفٌ عن محمدٍ وطَلْحةَ والمُهلَّب، قالوا: وقد كان خالدٌ أقام بدُومة الجَنْدل، فظَنَّ الأعاجمُ به، وكاتَبوا عربَ الجَزيرة، فاجْتَمعوا لحربه، وقصَدوا الأنْبارَ يُريدون انْتزاعَها من الزِّبْرِقان، وهو نائبُ خالدٍ عليها، فلما بلَغ ذلك الزِّبْرِقانَ كتَب إلى القَعْقاع بنِ عمرٍو نائبِ خالدٍ على الحِيرة، فبعَث القَعْقاعُ أعبدَ بنَ فَدَكيٍّ السَّعْديَّ، وأمَره بالحُصَيْد، وبعَث عُروةَ بنَ الجَعْدِ البارِقيَّ وأمَره بالخَنافِس، ورجَع خالدٌ من دُومة إلى الحيرة وهو عازمٌ على مُصادَمة أهلِ المَدائنِ مَحَلَّةِ كِسْرَى، لكنه يَكْرَهُ أن يَفْعَلَ ذلك بغير إذْنِ أبي بكر الصِّدِّيق، وشغَله ما قد اجْتَمَع من جُيوشِ الأعاجمِ مع نَصارَى الأعْراب

يُريدون حَرْبَه، انبعَثَ القَعْقاعُ بنَ عَمْرٍو أميراً على الناسِ، فالْتَقَوْا بمكانٍ يقالُ له: الحُصَيْدُ. وعلى العَجَمِ رجلٌ منهم يقالُ له: رُوزْبَه. وأمدَّه أميرٌ آخرُ يقالُ له: زَرْمِهْرُ. فاقْتَتَلوا قتالاً شديداً، وهُزِمَ المُشْركون، فقتَلَ منهم المسلمون خَلْقًا كثيراً، وقتَلَ القَعْقاعُ بيدِ زَرْمِهْرَ، وقتَلَ رجلٌ يقالُ له: عِصْمَةُ ابنُ عبدِ اللهِ الضَّبِّيُّ رُوزْبَه. وغنِمَ المسلمون شيئًا كثيراً، وهرَبَ مَن هرَبَ من العَجَمِ، فلجئوا إلى مكانٍ يقالُ له: خَنافِسُ. فسار إليهم أبو لَيْلى ابنُ فَدَكِيٍّ السَّعْديُّ، فلما أحَسُّوا بذلك ساروا إلى المُصَيَّخِ، فلما استَقَرُّوا بها بمَن معهم من الأعاجمِ والأعرابِ قصَدهم خالدُ بنُ الوليدِ بمَن معه من الجُنودِ، وقسَم الجيشَ ثلاثَ فِرَقٍ، وأغار عليهم ليلاً وهم نائمون فأنامهم، ولم يُفْلِتْ منهم إلا اليَسيرُ، فما شُبِّهوا إلا بغَنَمٍ مُصَرَّعَةٍ، وقد روَى ابنُ جَريرٍ عن عَدِيِّ بنِ حاتمٍ قال: انْتَهَيْنا في هذه الغارةِ إلى رجلٍ يقالُ له: حُرْقُوصُ بنُ النُّعمانِ النَّمَرِيُّ. وحولَه بنوه وبناتُه وامْرأتُه، وقد وَضَع لهم جَفْنَةً من خمرٍ وهم يقولون: أحدٌ يَشْرَبُ هذه الساعةَ، وهذه جيوشُ خالدٍ قد أقْبَلَت؟! فقال لهم: اشْرَبوا شُرْبَ وَداعٍ، فما أرَى أن تَشْرَبوا خمراً بعدَها. فشربوا وجعَل يقولُ:

ألا فاسْقِياني قبلَ ثائرةِ الفَجْرِ ... لعلَّ مَنايانا قريبٌ ولا نَدْري

القصيدةَ إلى آخرِها. قال: فهجَم الناسُ عليه، فضرَب رجلٌ رأسَه، فإذا هو في جَفْنَتِه، وأُخذت بنوه وبناتُه وامرأتُه.

وقد قُتِل في هذه المعركةِ رجلان كانا قد أسْلَما ومعهما كتابٌ من الصِّدِّيقِ بالأمانِ، ولم يَعْلَمْ بذلك المسلمون، وهما عبدُ بن العُزَّى بنُ أبي رُهْمِ بنِ قِرْواشٍ، قتَله جَريرُ بنُ عبدِ اللهِ البَجَليُّ، والآخرُ لَبيدُ بنُ جَريرٍ، قتَله بعضُ المسلمين، فلمَّا بلَغ خبرُهما الصديقَ وَداهما، وبعَث بالوَصاةِ بأولادِهما، وتكَلَّم عمرُ بنُ الخطابِ في خالدٍ بسببِهما، كما تكَلَّم فيه بسببِ مالكِ بنِ نُوَيْرَةَ، فقال له الصِّدِّيقُ: كذلك يَلْقَى مَن ساكَن أهلَ الحربِ في ديارِهم. أي: الذنبُ لهما في مُجاورَتِهما المشركينَ. وهذا كما في الحديثِ: «أنا بَرِيءٌ من كلِّ مَن ساكَن المُشْركَ في دارِه»[1]. وفي الحديثِ الآخرِ: «لا تَتَراءَى نارَاهُما»[2]. أي لا يَجْتَمِعُ المسلمون والمُشْركون في مَحَلَّةٍ واحدةٍ.

ثم كانت وَقْعةُ الثِّنْيِ والزُّمَيْلِ، وقد بيَّتوهم، فقتَلوا مَن كان هنالك من الأعْرابِ والأعاجمِ، فلم يُفْلِتْ منهم أحدٌ، ولا انْبَعَث مُخبِرٌ، ثم بعَث خالدٌ بالخُمُسِ من الأموالِ والسَّبْيِ إلى الصِّدِّيقِ، وقد اشْتَرَى عليُّ بنُ أبي طالبٍ من هذا السَّبْيِ جاريةً من العربِ، وهي ابنةُ رَبيعةَ بنِ بُجَيْرٍ التَّغْلِبيِّ، فاسْتَوْلَدَها عمرَ ورُقَيَّةَ، رضِيَ اللهُ عنهم أجْمَعين.

---

(١) إسناده صحيح: رواه أبو داود (٢٦٤٥) والترمذي (١٦٠٤) بلفظ: أنا بريء من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين قالوا: يا رسول الله لم؟ قال: لا تراءي ناراهما وهو من حديث جرير بن عبد الله.

(٢) قطعة من الحديث الماضي.

وقعة الفراض

ثم سار خالدٌ بمَن معه من المسلمين إلى الفراض، وهي تُخومُ الشام والعراق والجزيرة، فأقام هنالك شهرَ رمضانَ مُفطرًا؛ لشُغله بالأعداء، ولما بلَغ الرومَ أمرُ خالدٍ ومَصيرُه إلى قُرْبِ بلادهم، حَمُوا وغضبوا وجمَعوا جُموعًا كثيرةً، واستَمَدُّوا تَغْلِبَ وإيادًا والنَّمِرَ، ثم ناهَدوا خالدًا، فحالت الفُراتُ بينَهم، فقالت الرومُ لخالدٍ: اعْبُرْ إلينا. وقال خالدٌ للرُّوم: بل اعْبُروا أنتم. فعبَرت الرومُ إليهم، وذلك للنِّصْفِ من ذي القَعْدة سنةَ ثِنْتَيْ عشْرةَ، فاقْتَتَلوا هنالك قتالاً عَظيمًا بليغًا، ثم هزَم اللهُ جُموعَ الروم، وتمكَّن المسلمون من أقْفائهم، فقُتِل في هذه المعركة مائةُ ألفٍ، وأقام خالدٌ بعدَ ذلك بالفراضِ عشَرةَ أيامٍ، ثم أذِن بالقُفُولِ إلى الحيرة، لخمسٍ بقِين من ذي القَعْدة، وأمَر عاصمَ بنَ عمرو أن يَسيرَ في المُقَدِّمة، وأمَر شَجَرةَ بنَ الأعَزِّ أن يَسيرَ في السَّاقة، وأظهَر خالدٌ أنه يَسيرُ في الساقة، وسار خالدٌ في عِدَّةٍ من أصحابه، وقصَد شَطْرَ المسجد الحَرام، وسار إلى مكةَ في طريقٍ لم تُسْلَكْ قبلَه قطُّ، وتأتَّى له في ذلك أمرٌ لم يَقَعْ لغيره، فجعَل يَسيرُ مُعْتَسِفًا على غير جادَّةٍ، حتى انْتَهى إلى مكةَ فأدْرَك الحجَّ هذه السنةَ، ثم عاد فأدْرَك آخرَ الساقة قبلَ أن يَصِلوا إلى الحيرة، ولم يَعْلَمْ أحدٌ بحَجِّ خالدٍ هذه السنةَ إلا القليلُ من الناس ممَّن كان معه، ولم يَعْلَمْ أبو بكرٍ الصِّدِّيقُ بذلك أيضًا إلا بعدَما رجَع أهلُ الحَجِّ من المَوْسِم، فبعَث يَعْتِبُ عليه في مُفارَقَته الجيشَ، وكانت عُقوبتُه عندَه أن صرَفه من غَزْوِ العراق إلى غَزْوِ الشام، وقال له فيما كتَب إليه يقولُ له: وإن الجُموعَ لم تَشْجُ بعَوْنِ الله شَجِيَك، فلْيَهْنِكَ أبا سليمانَ النِّيَّةُ والحُظْوةُ، فأتمِمْ يُتْمِمِ اللهُ لك، ولا يَدْخُلَنَّك عُجْبٌ فتَخْسَرَ وتُخْذَلَ، وإياك أن تُدِلَّ بعملٍ، فإنَّ اللهَ له المَنُّ، وهو وَلِيُّ الجزاء.

فصلٌ فيما كان من الحوادث في هذه السنة

فيها أمَر الصِّدِّيقُ زيدَ بنَ ثابتٍ أن يَجْمَعَ القُرآنَ من اللِّخاف والعُسُب وصُدورِ الرجال، وذلك بعدَ ما استَحَرَّ القَتْلُ في القُرَّاء يومَ اليَمامة كما ثبَت به الحديثُ في «صحيح البخاري»[1].

وفيها تزَوَّج عليُّ بنُ أبي طالبٍ بأُمامةَ بنتِ زَيْنبَ بنتِ رسول الله ﷺ، وهي من أبي العاصِ بنِ الرَّبيع بنِ عبدِ شَمْسٍ الأُمَويِّ، وقد تُوُفِّي أبوها في هذا العام، وهذه هي التي كان رسولُ الله ﷺ يَحْمِلُها في الصلاة فيَضَعُها إذا سجَد ويَرْفَعُها إذا قام[2].

وفيها تزَوَّج عمرُ بنُ الخطاب عاتكةَ بنتَ زيدِ بنِ عمرِو بنِ نُفَيْلٍ، وهي ابنةُ عمِّه، وكان لها مُحِبًّا وبها مُعْجَبًا، وكان لا يَمنَعُها من الخروج إلى الصلاة، ويَكْرَهُ خروجَها، فجلَس لها ذاتَ ليلةٍ في الطَّريقِ في ظُلْمةٍ، فلمَّا مرَّت ضرَب بيده على عَجُزِها، فرجَعت إلى منزلها ولم تَخْرُجْ بعدَ ذلك،

(١) صحيح رواه البخاري (٤٩٨٦).
(٢) صحيح رواه البخاري (٥١٦)، ومسلم (٥٤٣).

وقد كانت قبلَه تحتَ أخيه زيد بنِ الخطَّابِ فيما قيل، فقُتِل عنها، وكانت قبلَ زيد تحتَ عبدِ اللهِ بنِ أبي بكرٍ فقُتِل عنها، ولما مات عمرُ تزوَّجها بعدَه الزُّبيرُ، فلما قُتِل خطَبها عليُّ بنُ أبي طالبٍ فقالت: إني أَرْغَبُ بك عن الموت. وامتَنَعت من التزويج حتى ماتت.

وفيها اشْتَرىٰ عمرُ مولاه أسْلَمَ، ثم صار منه أن كان أحَدَ ساداتِ التابعين، وابنُه زيدُ بنُ أسْلَمَ أحَدُ الثِّقاتِ الرُّفعاء.

وفيها حَجَّ بالناسِ أبو بكرٍ الصِّدِّيقُ، رضي اللهُ عنه، واستَخْلَف على المدينة عثمانَ بنَ عَفَّانَ. رَواه ابنُ إسحاقَ عن العَلاءِ بنِ عبدِ الرحمنِ بنِ يَعقوبَ مَولى الحُرَقَة، عن رجلٍ من بني سَهْمٍ، عن أبي ماجدةَ، قال: حَجَّ بنا أبو بكرٍ في خلافته سنةَ ثِنتَيْ عشْرةَ. فذكر حديثًا في القِصاصِ من قَطْعِ الأذُنِ، وأنَّ عمر حكَم في ذلك بأمْرِ الصِّدِّيقِ.

قال ابن إسحاق: وقال بعضُ الناسِ: لم يَحجَّ أبو بكرٍ في خلافته، وإنه بعث على الموسم سنة ثنتي عشرة عُمرَ بن الخطاب أو عبد الرحمٰن بن عوفٍ.

فصلٌ فيمَن تُوفِّيَ في هذه السنة

قد قيل: إنَّ وَقْعةَ اليَمامة وما بعدَها كانت في سنة ثِنتَيْ عشْرةَ. فلْيُذكَرْ ههنا مَن تقدَّم ذكرُه في سنة إحْدَىٰ عشْرَةَ مَن قُتِل باليَمامةِ، وما بعدَها، ولكن المشهور ما ذكَرْناه.

ومِمَّن تُوفِّيَ في هذه السَّنة بَشيرُ بنُ سعد بن ثَعْلبةَ الخَزْرجيُّ، والدُ النُّعْمانِ بنِ بَشيرٍ، شهِد العَقَبةَ الثانيةَ وبدرًا وما بعدَها، ويقالُ: إنه أولُ مَن أَسْلَم من الأنصارِ. وهو أولُ مَن بايعَ الصِّدِّيقَ يومَ السَّقيفة من الأنصارِ، وشهِد مع خالدٍ حُروبَه إلى أن قُتِل بعينِ التَّمرِ، رضي اللهُ عنه. روى له النسائيُّ حديثَ النُّحْلِ.

والصَّعْبُ بنُ جَثَّامةَ اللَّيْثيُّ، أخو مُحَلِّم بن جَثَّامةَ، له عن رسولِ اللهِ ﷺ أحاديثُ. قال أبو حاتمٍ: هاجَر، وكان ينزِلُ وَدَّانَ، ومات في خلافة الصِّدِّيقِ.

وأبو مَرْثَدٍ الغَنَويُّ، واسمُه كَنَّازُ بنُ الحُصَيْن ـ ويقالُ: ابنُ حُصَيْن ـ ابنِ يَرْبوعِ بنِ عمرِو بنِ يَرْبوعِ بنِ خَرَشَةَ بنِ سعدِ بنِ طَريفِ بنِ جَلانَ بنِ غَنْمِ بنِ غَنِيِّ بنِ أعْصُرَ بنِ سعدِ بنِ قيسِ بنِ عَيْلانَ بنِ مُضَرَ بنِ نزارٍ، أبو مَرْثَدٍ الغَنَويُّ، شهِد هو وابنُه مَرْثَدٌ بدرًا، ولم يَشهَدْها رجلٌ هو وابنُه سواهما، واستُشْهِد ابنُه مَرْثَدٌ يومَ الرَّجيعِ كما تقدَّم، وابنُ ابنه أُنَيسُ بنُ مَرْثَدِ بنِ أبي مَرْثَدٍ، له صُحْبةٌ أيضًا، شهِد الفتحَ وحُنَيْنًا، وكان عَيْنَ رسولِ الله ﷺ يومَ أوْطاسٍ، فهم ثلاثةٌ نَسَقًا، وقد كان أبو مَرْثَدٍ حَليفًا للعباسِ بنِ عبدِ المُطَّلبِ، ويُروىٰ له عن النبيِّ ﷺ حديثٌ واحدٌ أنه قال: «**لا تُصلُّوا إلى القبور ولا تجلسوا إليها**»[1] رَواه مسلمٌ، وأبو داودَ، والترمذيُّ، والنَّسائيُّ، من طريقِ واثِلَةَ بنِ الأسْقَعِ عنه. قال الواقديُّ: تُوُفِّيَ

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٩٧٢) والترمذي (١٠٥٠) وأبو داود (٣٢٢٩).

سنةَ ثنتيْ عشْرةَ. زاد غيرُه: بالشام. وزاد غيرُه: عن ستٍّ وستين سنةً. وكان رجلاً طويلاً كثيرَ الشَّعْرِ. قلتُ: وفي قِبْليِّ دمشقَ قبرٌ يُعْرَفُ بقبرِ كثير، وكأنَّه من تصْحيفِ بعضِ العامّةِ. والذي قرأتُه على قبره: هذا قبرُ كنَّازِ بنِ الحُصَيْنِ صاحبِ رسولِ الله ﷺ. ورأيتُ على ذلك المكانِ رَوْحًا وجَلالةً، والعَجَبُ أنَّ الحافظَ ابنَ عساكرَ لم يَذْكُرْه في «تاريخ الشام». فاللهُ أعلمُ.

وممَّن تُوفِّيَ في هذه السنة أبو العاص بنُ الربيعِ بنِ عبدِ العُزَّى بنِ عبدِ شمسِ بنِ عبدِ مَنافِ بنِ قُصَيٍّ القُرشيُّ العَبْشَميُّ، زوجُ أكبرِ بناتِ رسولِ الله ﷺ زينبَ، وكان مُحْسنًا إليها ومُحبًّا لها، ولمّا أمَره المُشركون بطَلاقِها حينَ بُعِث رسولُ الله ﷺ أبى عليهم ذلك، وكان ابنَ أختِ خديجةَ بنتِ خُوَيْلِدٍ، واسْمُ أمِّه هالةُ، ويقالُ: هندُ بنتُ خُوَيْلدٍ. واختُلِف في اسمِه فقيل: لَقِيطٌ. وهو الأشهرُ، وقيل: مُهَشِّمٌ. وقيل: هُشَيْمٌ. وقد شهد بدرًا من ناحيةِ الكفارِ فأُسِر، فجاء أخوه عمرُو بنُ الربيعِ ليُفاديَه، وأحْضَرَ معه في الفداءِ قلادةً كانت خديجةُ أخرَجَتْها مع ابنتِها زينبَ حينَ تزوَّج أبو العاصِ بها، فلما رآها رسولُ الله ﷺ رَقَّ لها رقَّةً شديدةً، وأطْلَقه بسببِها، واشْترط عليه أن يَبْعثَ له زينبَ إلى المدينة، فوفَّى له بذلك، واستَمرَّ أبو العاصِ على كفرِه بمكَّةَ إلى قُبَيْلِ الفتحِ بقَليلٍ، فخرَج في تجارةٍ لقريشٍ، فاعتَرضه زيدُ بنُ حارثةَ في سريَّةٍ، فقتَلوا جماعةً من أصحابِه وغنِموا العيرَ، وفرَّ أبو العاصِ هاربًا إلى المدينة، فاستَجار بامرأتِه زينبَ فأجارته، فأجاز رسولُ الله ﷺ جوارَها، وردَّ عليه ما كان معه من أموالِ قريشٍ، فرجَع بها أبو العاصِ إليهم، وردَّ كلَّ مالٍ إلى صاحبِه، ثم تشهَّد شهادةَ الحقِّ وهاجَر إلى المدينةِ، وردَّ عليه رسولُ الله ﷺ زينبَ بالنِّكاحِ الأوَّلِ، وكان بينَ فراقِها له وبينَ اجتماعِها ستُّ سنينَ، وذلك بعدَ سنتين من وقتِ تَحْريمِ المُسْلمات على المشركين في عُمْرةِ الحُدَيْبية، وقيل: إنما ردَّها عليه بنكاحٍ جديدٍ. فاللهُ أعلمُ. وقد وُلِد له من زينبَ عليُّ بنُ أبي العاصِ، وأُمامَةُ بنتُ أبي العاصِ، وخرَج مع عليٍّ إلى اليمنِ حينَ بعَثه إليها رسولُ الله ﷺ، وكان رسولُ الله ﷺ يُثْني عليه خيرًا في صِهَارَتِه، ويقولُ: «حدَّثني فصدَقني، ووعَدني فوفَّى لي»[1]. وقد تُوُفِّي في أيامِ الصِّدِّيقِ سنةَ ثنتيْ عشْرةَ. وفي هذه السنةِ تزوَّج عليُّ بنُ أبي طالبٍ بابنتِه أُمامةَ بنتِ أبي العاصِ، بعدَ وفاةِ خالتِها فاطمةَ، وما أدْري هل كان ذلك قبلَ وفاةِ أبيها أبي العاصِ أو بعدَه. فاللهُ أعلمُ.

سنة ثلاث عشرة من الهجرة

استَهَلَّت هذه السنةُ والصِّدِّيقُ عازمٌ على جَمْعِ الجُنودِ؛ ليَبْعثَهم إلى الشام، وذلك بعدَ مَرْجِعِه من الحجِّ، وذلك عَمَلاً بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ١٢٣]. وبقوله تعالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ الآية [التوبة: ٢٩]. واقتداءً برسولِ الله ﷺ؛ فإنَّه جمَع المسلمين لغزوِ الشامِ، وذلك عامَ تبوكَ، حتى

[1] صحيح: رواه البخاري (٣١١٠) ومسلم (٢٤٤٩).

وَصَلَها في حرٍّ شديدٍ وجَهْدٍ، فرجَع عامَه ذلك، ثُم بَعَث قَبلَ مُؤْتَةَ أسامةَ بنَ زيدٍ مَوْلاه؛ ليغزوَ تُخُومَ الشام، كما تقدَّم، ولَمَّا تَفَرَّغ الصديقُ من أمْرِ جزيرةِ العرب بَسَط يمينَه إلى العراق، فبعَثَ إليها خالدَ بنَ الوليد، ثُم أراد أن يَبْعَثَ إلى الشام كما بَعَث إلى العراق، فشرَع في جَمْعِ الأُمراءِ في أماكنَ متفرِّقةٍ مِن جزيرةِ العرب. وكان قد استَعْمل عمرو بنَ العاصِ على صَدَقَات قُضاعةَ، ومعه الوليدُ بنُ عُقْبةَ فيهم، فكَتَب إليه يَسْتَنْفِرُه إلى الشام: إني كنتُ قد رددتُك على العملِ الذي ولَاكه رسولُ الله ﷺ مرةً، وسمَّاه لك أخرى، وقد أحْبَبْتُ، أبا عبدِ الله أن أُفَرِّغَك لما هو خيرٌ لك في حياتك ومَعادك منه، إلا أن يكونَ الذي أنت فيه أحبَّ إليك. فكتَب إليه عمرُو بنُ العاص: إنِّي سَهْمٌ من سِهامِ الإسلام، وأنت فعبدُ الله الرامي بها، والجامعُ لها، فانظر أشَدَّها وأخْشَاها فارْمِ بي فيها. وكَتَب إلى الوليدِ بنِ عقبةَ بمثلِ ذلك وردَّ عليه مثلَه، وأقبَلا - بعدَما استَخْلَفا في عملهما - إلى المدينة.

وقَدِم خالدُ بنُ سعيدِ بنِ العاصِ من اليمنِ، فدخَل المدينةَ وعليه جُبَّةُ ديباجٍ، فلمَّا رآها عمرُ عليه أمَر مَن هنالك من الناسِ بتَمْزيقِها عنه، فغضِب خالدُ بنُ سعيدٍ، وقال لعليِّ بنِ أبي طالب: يا أبا الحسن، أَغُلِبْتُم يا بني عبدِ مَنافٍ عن الإمْرَة؟ فقال له عليٌّ: أمُغالَبَةً تَراها أم خلافةً؟ فقال: لا يُغالَبُ على هذا الأمرِ أوْلَى منكم. فقال له عمرُ بنُ الخطاب: اسْكُتْ فَضَّ اللهُ فاك، واللهِ لا تَزالُ كاذبًا تَخوض فيما قلتَ، ثُم لا تَضُرُّ إلا نفسَك. وأبْلَغها عمرُ أبا بكرٍ، فلم يَتَأثَّرْ لها أبو بكرٍ، ولَمَّا اجْتَمَع عندَ الصِّدِّيقِ من الجُيوشِ ما أراد، قام في الناسِ خَطيبًا، فأثْنَى على الله بما هو أهلُه، ثُم حثَّ الناسَ على الجهادِ فقال: ألا لكُلِّ أمرٍ جَوامعُ، فمَن بَلَغَها فهي حَسْبُه، ومَن عَمِل لله كفاه اللهُ، عليكم بالجِدِّ والقَصْد، فإن القَصْدَ أبْلَغُ، ألا إنه لا دينَ لأحدٍ لا إيمانَ له، ولا إيمانَ لمن لا حِسْبَةَ له، ولا عَمَلَ لمن لا نيَّةَ له، ألا وإنَّ في كتابِ الله من الثوابِ على الجهادِ في سبيلِ الله لَمَا يَنْبَغي للمسلمِ أن يُحِبَّ أن يُخَصَّ به، هي التجارةُ التي دلَّ اللهُ عليها، ونَجَّى بها من الخِزْيِ، وألْحَق بها الكَرامةَ.

ثُم شرع الصِّدِّيقُ في تَوْلِيةِ الأمراءِ، وعَقْدِ الألْويةِ والراياتِ، فيقالُ: إن أولَ لواءٍ عَقَده لخالدِ بنِ سعيدِ بنِ العاصِ، فجاء عمرُ بنُ الخطابِ فثَنَاه عنه وذكَّره بما قال، فلم يَتَأثَّرْ به الصِّدِّيقُ كما تَأثَّر به عمرُ، بل عَزَله عن الشامِ وولاه أرضَ تَيْماءَ، يكونُ بها فيمَن معه من المسلمين حتى يأتيَه أمْرُه. ثم عقَد لواءَ يزيدَ بنِ أبي سفيانَ، ومعه جُمْهورُ الناسِ، ومعه سُهَيْلُ بنُ عمرٍو وأشباهُه من أهلِ مكةَ، وخرَج معه ماشيًا يُوصيه بما اعْتَمده في حَرْبِه ومَن معه من المسلمين، وجعَل له دمشقَ. وبعَث أبا عُبَيدةَ بنَ الجَرَّاحِ على جُنْدٍ آخرَ، وخرج معه ماشيًا يُوصيه، وجعَل له نيابةَ حِمْصَ. وبعَث عمرَو بنَ العاصِ ومعه جُنْدٌ آخرُ، وجَعَله على فِلَسْطينَ. وأمَر كلَّ أميرٍ أن يَسْلُكَ طريقًا غيرَ طريقِ الآخرِ؛ لِمَا لَحَظ في ذلك من المصالح، وكان الصِّدِّيقُ اقْتَدى في ذلك بنبيِّ الله يَعْقوبَ حينَ قال لبَنِيه: ﴿يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنكُم مِّنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [يوسف: ٦٧]. فكان سُلوكُ يزيدَ بنِ أبي سُفيانَ على تَبوكَ. قال المَدائنيُّ

بإسناده عن شيوخه، قالوا: وكان بَعْثُ أبي بكر هذه الجيوشَ في أول سنة ثلاثَ عشْرةَ.

قال محمدُ بنُ إسحاقَ عن صالح بن كَيْسانَ: خرجَ أبو بكر ماشيًا ويَزيدُ بنُ أبي سفيانَ راكبًا، فجعَل يُوصيه، فلما فرَغ قال: أُقْرِئُك السلامَ وأستَوْدِعُك اللهَ. ثم انصرَف ومضَى يزيدُ فأخَذَ التَّبوكيَّةَ، ثُم تَبِعَه شُرَحْبيلُ ابنُ حَسَنةَ، ثُم أبو عُبيدةَ مَدَدًا لهما، فسلَكوا ذلك الطريقَ، وخرجَ عمرُو ابنُ العاصِ حتى نزَل العَرَباتِ من أرضِ الشام. ويقالُ: إن يزيدَ بنَ أبي سُفيانَ نَزَل البَلْقاءَ أولاً، ونزَل شُرَحْبيلُ بالأُرْدُنِّ، ويقالُ: ببُصْرَى. ونزَل أبو عُبَيْدةَ بالجابية، وجعَل الصِّدِّيقُ يُمدُّهم بالجيوشِ، وأمَر كلَّ واحدٍ منهم أن يَنْضافَ إلى مَن أحبَّ من الأُمراء. ويقالُ: إن أبا عُبَيدةَ لمَّا مَرَّ بمَآبَ من أرضِ البَلْقاءِ قاتلَهم حتى صالَحوه، وكان أولَ صُلْحٍ وقَع بالشام.

ويقالُ: إن أولَ حربٍ وقَع بالشام أن الرومَ اجْتَمعوا بمكانٍ يقالُ له: العَرَبةُ. من أرضِ فِلَسْطينَ، فوَجَّه إليهم يزيدُ أبا أُمامةَ في سَرِيَّةٍ فقتَلهم وغنِم منهم، وقتل منهم بطريقًا عظيمًا. ثُم كانت بعدَ هذه وقعةُ مَرْجِ الصُّفَّرِ، استُشْهِد فيها خالدُ بنُ سعيدِ بنِ العاصِ وجماعةٌ من المسلمين. ويقالُ: إن الذي استُشْهِد في مَرْجِ الصُّفَّرِ ابنٌ لخالدِ بنِ سعيدٍ. وأمَّا هو ففرَّ حتى انْحاز إلى أرضِ الحجاز[1]. فاللهُ أعلمُ. حكاه ابنُ جَرير.

قال ابنُ جَرير: ولمَّا انْتَهى خالدُ بنُ سعيدٍ إلى تَيْماءَ، اجْتَمَع له جنودٌ من الروم في جَمْعٍ كثيرٍ من نَصارى العرب؛ من بَهْراءَ، وتَنُوخَ، وبني كَلْبٍ، وسَلِيحٍ، ولَخْمٍ، وجُذامَ، وغَسَّانَ، فتَقَدَّم إليهم خالدُ بنُ سعيدٍ، فلمَّا اقْتَرَب منهم تَفَرَّقوا عنه ودَخَل كثيرٌ منهم في الإسلام، وبعَث إلى الصِّدِّيقِ يُعْلِمُه بما وقَع من الفتح، فأمَره الصِّدِّيقُ أن يَتَقَدَّمَ ولا يُحْجِمَ، وأمَدَّه بالوليدِ بنِ عُقْبةَ وعِكْرِمةَ بنِ أبي جهلٍ وجماعةٍ، فسار إلى قَريبٍ من آبِلَ، فالْتَقى هو وأميرٌ من الروم يقالُ له: باهانُ. فكَسَرَه، ولجَأ باهانُ إلى دمشقَ، فلحقه خالدُ بنُ سعيدٍ، وبادَر الجيوشَ إلى نَحْوِ دمشقَ وطَلَب الحُظْوة، فوصَلوا إلى مَرْجِ الصُّفَّرِ، فانطَوت عليه مَسالحُ باهانَ، وأخَذوا عليهم الطريقَ، وزَحَف باهانُ، ففَرَّ خالدُ بنُ سعيدٍ، فلم يَرِدْ إلى ذي المَرْوة، واستَحْوَذ الرومُ على جيشِهم إلا مَن فَرَّ على الخيلِ، وثبَت عكرمةُ بنُ أبي جهلٍ، وقد تَقَهْقَر عن الشامِ قريبًا، وبَقِيَ رِدْءًا لمن نَفَر إليه، وأقْبَل شُرَحْبيلُ ابنُ حَسَنةَ من العراق؛ من عندِ خالدِ بنِ الوليدِ إلى الصِّدِّيقِ، فأمَّره على جيشٍ وبعَثَه إلى الشام، فلمَّا مَرَّ بخالدِ بنِ سعيدٍ بذي المَرْوة، أخَذ جُمهورَ أصحابِه الذين هرَبوا معه إلى ذي المَرْوة، ثُم اجْتَمَع عندَ الصِّدِّيقِ طائفةٌ من الناسِ، فأمَّر عليهم معاويةَ بنَ أبي سُفيانَ، وأرْسَله وراءَ أخيه يزيدَ بنِ أبي سُفيانَ، ولما مَرَّ بخالدِ بنِ سعيدٍ أخَذ مَن كان بَقِيَ معه بذي المَرْوةِ إلى الشام، ثم أذِن الصِّدِّيقُ لخالدِ بنِ سعيدٍ في الدخولِ إلى المدينةِ وقال: كان عمرُ أعلَمَ بخالدٍ[2].

---

(١) رواه الحاكم في «المستدرك» (٣/ ٢٧٨).

(٢) رواه ابن جرير في «تاريخه» (٣/ ٣٨٨).

وَقْعةُ اليَرْمُوك

علىٰ ما ذكَره سيفُ بنُ عمرَ في هذه السنة قبلَ فتح دمشقَ، وتَبِعَه علىٰ ذلك أبو جعفرِ بنُ جَرِير، رَحِمه اللهُ. وأمَّا الحافظُ ابنُ عَساكِر، رَحِمه اللهُ، فإنَّه نَقَل عن يزيدَ بنِ عبيدَة والوليد وابنِ لَهِيعةَ والليث وأبي مَعْشَر، أنَّها كانت في سنة خَمْسَ عشْرةَ بعدَ فتحِ دمَشقَ. وقال محمدُ بنُ إسحاقَ: كانت في رجبٍ سنةَ خَمْسَ عَشْرةَ[1]. وقال خليفةُ بنُ خَيَّاط: قال ابنُ الكَلْبيِّ: كانت وَقْعةُ اليَرْموكِ يومَ الإثنين لخمسٍ مَضَين من رجبٍ سنةَ خَمْسَ عشْرةَ. قال ابنُ عَساكرَ: وهذا هو المحفوظُ، وما قاله سيفٌ من أنها قبلَ فتحِ دمَشْقَ سنةَ ثلاثَ عشْرةَ، فلم يُتابَعْ عليه.

قلتُ: وهذا ذكْرُ سِياقِ سيفٍ وغيرِه علىٰ ما أوْرَده ابنُ جَرِيرٍ وغيرُه، قالوا: ولما تَوَجَّهَتْ هذه الجيوشُ نحوَ الشامِ أفْزَعَ ذلك الرومَ وخافوا خوفًا شديدًا، وكتَبوا إلى هِرَقْلَ يُعْلِمونه بما كان من الأمْرِ، فيُقالُ: إنه كان يومَئذٍ بحِمْصَ. ويُقالُ: بل كان حَجَّ عامَه ذلك إلى بيت المقدس. فلمَّا انْتَهَىٰ إليه الخبرُ قال لهم: وَيْحكم! إنَّ هؤلاء أهلُ دينٍ جديدٍ، وإنهم لا قِبَلَ لأحدٍ بهم، فأطِيعوني وصالِحُوهم بما تُصالِحونهم علىٰ نصفِ خَراجِ الشامِ، ويَبْقَىٰ لكم جبالُ الرومِ وإن أنتم أبَيْتُم ذلك، أخَذوا منكم الشامَ وضَيَّقوا عليكم جبالَ الرومِ. فنَخَروا من ذلك نَخْرةَ حُمُرِ الوَحْشِ، كما هي عاداتُهم في قِلَّةِ المعرفةِ والرأيِ بالحربِ والنُّصْرةِ في الدينِ والدنيا. فعندَ ذلك سار إلى حِمْصَ، وأمَر هِرَقْلُ بخروجِ الجيوشِ الروميَّةِ صُحْبةَ الأُمراءِ، في مُقابلةِ كلِّ أميرٍ من المسلمين جيشٌ كثيفٌ، فبعَث إلىٰ عمرِو بنِ العاصِ أخاه لأبويه تَذَارِقَ في تسعين ألفًا من المُقاتلة، وبعَث جَرَجَةَ بنَ توذرا إلىٰ ناحيةِ يزيدَ بنِ أبي سُفيانَ، فعَسْكَر بإزائه، وبعَث الدُّراقِصَ إلىٰ شُرَحْبيلَ ابنِ حَسَنَةَ، وبعَث القيقارَ -ويقالُ: القيقلانُ. قال ابنُ إسحاقَ: وهو خَصِيُّ هِرَقْلَ- ابنَ نَسْطُورسَ، في ستين ألفًا إلىٰ أبي عُبَيدةَ بنِ الجرَّاح. وقالت الرومُ: والله لَنَشْغَلَنَّ أبا بكرٍ عن أن يُورِدَ الخُيولَ إلىٰ أرضنا. وجميعُ عَساكرِ المسلمين أحَدٌ وعشرون ألفًا سوىٰ الجيشِ الذي مع عِكْرِمةَ بنِ أبي جهلٍ، وكان واقفًا في طَرَفِ الشامِ رِدْءًا للناسِ في ستة آلافٍ، فكتَب الأُمراءُ إلىٰ أبي بكرٍ وعمرَ يُعْلِمونهما بما وقَع من الأمرِ العظيمِ، فكتَب إليهم أن يَجْتَمِعوا فيكونوا جُنْدًا واحدًا، والْقَوْا جنودَ المشركين، فأنتم أعوانُ اللهِ، واللهُ ناصرٌ مَن نصَره، وخاذلٌ مَن كَفَرَه، ولن يُؤْتَىٰ مثلُكم عن قِلَّةٍ، ولكنْ مِن تلْقاءِ الذنوبِ، فاحْتَرِسوا منها، ولْيُصَلِّ كلُّ رجلٍ منكم بأصحابِه. وقال الصِّدِّيقُ: والله لأَشْغَلَنَّ النَّصارَىٰ عن وَساوِسِ الشيطانِ بخالدِ بنِ الوليدِ. وبعَث إليه وهو بالعراقِ لِيَقْدَمَ إلى الشامِ، فيَكُونَ الأميرَ علىٰ مَن به، فإذا فَرَغ عاد إلىٰ عمله بالعراقِ. فكان ما سنَذْكُرُه. ولمَّا بَلَغ هِرَقْلَ ما أمَر به الصِّدِّيقُ أُمراءَه من الاجْتماعِ، بعَث إلىٰ أُمرائه أن يَجْتَمِعوا أيضًا، وأن يَنْزِلوا بالجيشِ مَنْزِلًا واسعَ العَطَنِ، واسعَ المَطْرَدِ، ضَيِّقَ المَهْرَبِ، وعلىٰ الناسِ أخوه تَذَارِقُ، وعلىٰ المُقَدِّمةِ جَرَجَةُ، وعلىٰ المُجَنِّبَتَيْنِ باهانُ والدُّراقِصُ، وعلىٰ الحربِ القيقلانُ.

---

(١) رواه ابن جرير في «تاريخه» (٣/ ٤٤١).

وقال محمدُ بنُ عائذ عن عبدِ الأعلى، عن سعيدِ بنِ عبدِ العزيز: إن المسلمين كانوا أربعةً وعشرين ألفًا، وعليهم أبو عُبَيدةَ، والرومَ كانوا عشرين ومائةَ ألفٍ، عليهم باهانُ وسقلابُ، يومَ اليَرْمُوك.

وكذا ذكَر ابنُ إسحاقَ أن سقلابَ الخَصِيَّ كان على الروم يومئذٍ في مائة ألفٍ، وعلى المُقَدِّمة جَرَجَةُ مِن أَرْمِينِيَةَ في اثني عشرَ ألفًا، ومن المُسْتَعْرِبة اثْنَا عشرَ ألفًا عليهم جَبَلَةُ بنُ الأيْهَم، والمسلمون في أربعةٍ وعشرين ألفًا، فقاتَلوا قتالاً شديدًا، حتى قاتَلَت النساءُ مِن ورائهم أشدَّ القتال.

وقال الوليدُ، عن صَفْوانَ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ جُبَيرٍ قال: بَعَثَ هِرَقْلُ مائتَيْ ألفٍ، عليهم باهانُ الأَرْمَنيُّ.

قال سيفٌ: فسارت الرومُ فنزَلوا الواقُوصَةَ قريبًا مِن اليَرْمُوك، وصار الوادي خَنْدقًا عليهم، وبعَث الصحابةُ إلى الصِّدِّيقِ يستمِدُّونه، ويُعْلِمونه بما اجْتَمع مِن جيشِ الروم باليَرْمُوك، فكَتَب الصديقُ عندَ ذلك إلى خالدِ بنِ الوَليدِ أن يَستَنيبَ على العراق، وأن يَقْفِلَ بمَن معه إلى الشام، فإذا وصَل إليهم فهو الأميرُ عليهم. فاسْتَناب المُثَنَّى بنَ حارثةَ على العراق، فسار خالدٌ مُسْرِعًا في تسعةِ آلافٍ - ويُقالُ: ثمانُمائةٍ، أو خمسُمائةٍ - ودليلُه رافعُ بنُ عُمَيرةَ الطائيُّ، فأخَذ به على السَّماوَة، حتى انْتَهى إلى قُراقِرَ، وسلَك به أراضيَ لم يَسْلُكْها قبلَه أحدٌ، فاجْتاب البَراريَّ والقِفارَ، وقطَع الأوْديةَ، وتصَعَّد على الجبال، وسار في غيرِ مَهْيَعٍ، وجعَل رافعٌ يَدُلُّهم في مَسيرِهم على الطريقِ وهو أَرْمَدُ، وعَطَّش النُّوقَ وسَقاها الماءَ عَلَلاً بعدَ نَهَلٍ، وقطَع مَشافِرَها وكَعَمَها حتى لا تَجْتَرَّ وخَلَّ أدبارَها، واسْتَقاها معه، فلمَّا فقَدوا الماءَ نَحَرها فشربوا ما في أجْوافِها مِن الماء، ويقالُ: بل سَقاه الخيلَ وشَرِبوا ما كانت تَحْمِلُه مِن الماءِ وأكَلوا لُحومَها، ووصَل، ولله الحمدُ والمِنَّةُ، في خمسةِ أيامٍ، فخرَج على الرومِ مِن ناحيةِ تَدْمُرَ، فصالَح أهلَ تَدْمُرَ وأرَكَ، ولمَّا مَرَّ بعَذْراءَ أباحها وغَنِم لغَسَّانَ أموالاً عظيمةً، وخرَج مِن شَرْقيِّ دمشقَ، ثم سار حتى وصَل إلى قَناةِ بُصْرَى، فوجَد الصحابةَ مُحاصِرِيها، فصالحَه صاحبُها وسلَّمها إليه، فكانت أولَ مدينةٍ فُتِحَت مِن الشام[1]. ولله الحمدُ.

وبعَث خالدٌ بأخماسِ ما غنِم مِن غَسَّانَ مع بلالِ بنِ الحارثِ المُزَنيِّ إلى الصِّدِّيق، ثُم سار خالدٌ وأبو عُبَيدةَ ويزيدُ وشُرَحْبيلُ إلى عمرِو بنِ العاصِ، وقد قَصَده الرومُ بأرضِ العَرَباتِ مِن الغَوْرِ، فكانت وقعةُ أجْنادينَ، وقد قال رجلٌ مِن المسلمين في مَسيرِهم هذا مع خالد:

للهِ عينا رافعٍ أنَّى اهْتَدَى	فوَّزَ مِن قُراقِرٍ إلى سُوَى
خِمْسًا إذا ما سارَها الجيشُ بَكَى	ما سارَها قَبْلَكَ إنسيٌّ أرَى

وقد كان بعضُ العربِ قال له في هذا المَسيرِ: إن أنت أصبَحْتَ عندَ الشجرةِ الفُلانيَّةِ، نَجَوْتَ أنت ومَن معك، وإن لم تُدْرِكْها هَلَكْتَ أنت ومَن معك. فسار خالدٌ بمَن معه وسَرَوْا سَرْوَةً عظيمةً، فأصْبَحوا عندَها، فقال خالدٌ: عندَ الصباحِ يَحْمَدُ القومُ السُّرَى. فأرْسَلها مثلاً، وهو أولُ مَن قالها، رضِي اللهُ عنه.

(١) رواه ابن جرير في «تاريخه» (٣/ ٣٩٣).

قال غيرُ ابنِ إسْحاقَ كسيف بن عمرَ وأبي مخنَف وغيرهما في تكْميل السِّياق الأول: حينَ اجْتَمَعَت الرومُ مع أُمرائها بالواقُوصَة، وانْتَقَل الصحَابةُ من مَنْزلهم الذي كانوا فيه فنَزَلوا قريبًا من الروم في طريقهم الذي ليس لهم طريقٌ غيرُه، فقال عمرُو بنُ العاص: أبْشِروا أيُّها الناسُ، فقد حُصِرت والله الرومُ، وقلَّما جاءَ مَحْصورٌ بخير. ويقالُ: إن الصحابةَ لَمَّا اجْتَمَعوا للمَشورة في كيفية المَسير إلى الروم، جلَس الأُمراءُ لذلك، فجاء أبو سفيانَ فقال: ما كنتُ أظُنُّ أني أُعَمَّرُ حتى أُدْرِكَ قومًا يَجْتَمعون لحربٍ ولا أحْضُرُهم. ثُم أشار أن يَتَجزَّأَ الجيشُ ثلاثةَ أجزاءٍ، فيَسيرُ ثُلُثُه فينزِلون تُجاه الروم، ثُم تَسيرُ الأثقالُ والذَّراريُّ في الثُّلُث الآخَر، ويتَأخَّرُ خالدٌ بالثُّلُث الآخرِ، حتى إذا وَصَلَت الأثقالُ إلى أولئك سار بعدَهم، ونزَلوا في مكانٍ تكونُ البَرِّيَّةُ من وراء ظهورِهم؛ ليَصِلَ إليهم البُرُدُ والمَدَدُ. فامْتَثَلوا ما أشار به، ونِعْمَ الرأيُ هو.

وذكَر الوليدُ عن صَفْوانَ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ جُبَيرٍ، أن الرومَ نزَلوا فيما بينَ دَيْرِ أيوبَ واليَرْموك، ونزَلَ المسلمون من وراءِ النهرِ من الجانبِ الآخَرِ، وأذْرِعاتٌ خلفَهم؛ ليَصِلَ إليهم المَدَدُ من المدينة.

ويُقالُ: إن خالدًا إنَّما قَدِم عليهم بعدَما نزَل الصحابةُ تُجاهَ الروم، بعدَما صابَروهم وحاصَروهم شهرَ ربيعٍ الأول بكماله، فلما انْسَلَخ وأمْكَن القتالُ لقلَّة الماء، بعَثوا إلى الصِّدِّيق يَسْتَمدُّونه، فقال: خالدٌ لها. فبَعَث إلى خالدٍ، فقدِم عليهم في ربيعٍ الآخِرِ، فعندَ وصولِ خالدٍ إليهم أقْبَل باهانُ مَدَدًا للروم، ومعه القَساقِسَةُ، والشَّمامِسَةُ والرُّهْبانُ، يَحُثُّونهم ويُحَرِّضُونهم على القتال لنَصْرِ دينِ النَّصْرانية، فتكامَلَ جيشُ الروم أربعين ومائتَيْ ألفٍ؛ ثمانون ألفَ مُسَلْسَلٍ بالحَديدِ والحبالِ، وثمانون ألفَ فارسٍ، وثمانون ألفَ راجلٍ.

وقيل: بل كان الذين تَسَلْسَلوا - كلُّ عشَرةٍ في سِلْسلةٍ؛ لئلا يَفِرُّوا - ثلاثين ألفًا. فاللهُ أعلمُ.

قال سيفٌ: وقدِم عِكْرِمةُ بمَن معه من الجيوشِ، فتكامَل جيشُ الصَّحابة ستةً وثلاثين ألفًا إلى الأربعين ألفًا.

وعندَ ابنِ إسحاقَ والمَدائنيِّ أيضًا أن وَقْعَةَ أجْنادينَ قبلَ وَقْعة اليَرْموك، وكانت وَقْعةُ أجْنادينَ لليلتَيْن بَقِيَتا من جُمادَى الأولى سنةَ ثلاثَ عشْرةَ، وقُتِل بها بَشَرٌ كثيرٌ من الصحابة، وهُزِم الرومُ وقُتِل أميرُهم القيقَلانُ. وكان قد بعَث رجلًا من نَصارَى العرب يَجُسُّ له أمْرَ الصَّحابة، فلما رجَع إليه قال: وجَدْتُ قومًا رُهْبانًا بالليلِ فُرْسانًا بالنهار، والله لو سرَق فيهم ابنُ مَلِكهم قَطَعوه، أو زَنَى لَرَجَموه. فقال له القيقَلانُ: والله لئن كنتَ صادقًا لَبَطْنُ الأرضِ خيرٌ من ظهرِها.

وقال سيفُ بنُ عمرَ في سياقه: ووجَد خالدٌ الجُيوشَ مُتَفَرِّقةً؛ فجيشُ أبي عُبَيدةَ وعمرِو بنِ العاصِ ناحيةٌ، وجيشُ يزيدَ وشُرَحْبيلَ ناحيةٌ، فقام خالدٌ في الناسِ خَطيبًا، فأمَرهم بالاجْتماعِ ونَهاهم عن التَّفَرُّقِ والاخْتلافِ، فاجْتَمع الناسُ وتَصافُّوا مع عدوِّهم في أولِ جُمادَى الآخرةِ، وقام خالدُ بنُ

الوليد في الناس، فحمدَ اللهَ وأثنى عليه وقال: إن هذا يومٌ من أيام الله، لا ينبغي فيه الفخرُ ولا البغيُ، أخلصوا جهادكم وأريدوا اللهَ بعملكم، وإن هذا يومٌ له ما بعده، إن رددناهم اليومَ إلى خندقهم فلا نزالُ نردُّهم، وإن هزموا لا نُفلحُ بعدها أبداً، فتعالَوا فلنتعاوَرِ الإمارةَ، فليكُنْ عليها بعضُنا اليومَ، والآخرُ غداً، والآخرُ بعدَ غدٍ، حتى يتأمَّرَ كلُّكم، ودعوني اليومَ أليكم. فأمَّروه عليهم، وهم يظُنُّون أن الأمرَ يطولُ جداً، فخرجَتِ الرومُ في تَعْبئةٍ لم يُرَ مثلُها قطُّ، وخرج خالدٌ في تَعبئةٍ لم تُعبِّها العربُ قبلَ ذلك؛ فخرج في ستةٍ وثلاثين كُرْدُوساً إلى الأربعين، كلُّ كُرْدوسٍ ألفُ رجلٍ عليهم أميرٌ، وجعل أبا عُبَيدةَ في القَلْبِ، وعلى المَيْمَنةِ عمرَو بنَ العاصِ ومعه شُرَحْبيلَ ابنَ حَسَنَةَ، وعلى المَيْسَرةِ يزيدَ بنَ أبي سفيانَ، وأمَّر على كلِّ كردوسٍ أميراً، وعلى الطَّلائعِ قُباثَ بنَ أَشْيَمَ، وعلى الأقباضِ عبدَ الله بنَ مسعودٍ، والقاضي يومئذٍ أبو الدَّرْداء، وقاصُّهم الذي يَعِظُهم ويَحُثُّهم على القتالِ أبو سفيانَ بنُ حربٍ، وقارئُهم الذي يدورُ على الناسِ فيَقرأُ سورةَ «الأنفال» وآيات الجهاد المقدادُ بنُ الأسود[1] .

وذكر إسحاقُ بنُ بشرٍ بإسناده، أن أُمراءَ الأرْباعِ يومئذٍ كانوا أربعةً؛ أبو عُبَيدةَ، وعمرُو بنُ العاصِ، وشُرَحْبيلُ ابنُ حَسَنَةَ، ويزيدُ بنُ أبي سُفْيانَ، وخرجَ الناسف على راياتهم، وعلى المَيْمَنةِ مُعاذُ بنُ جَبَلٍ، وعلى المَيْسَرةِ قُباثُ بنُ أشْيَمَ الكنانيُّ، وعلى الرَّجَّالةِ هاشمُ بنُ عُتْبةَ بنِ أبي وقَّاصٍ، وعلى الخَيَّالةِ خالدُ بنُ الوليد؛ وهو المُشيرُ في الحربِ الذي يَصْدُرُ الناسُ كلُّهم عن رأيه.

ولمَّا أقبلَتِ الرومُ في خُيَلائها وفَخرِها قد سدَّت أقطارَ تلك البُقْعةِ سَهْلَها ووَعْرَها، كأنهم غَمامةٌ سَوْداءُ يَصيحون بأصواتٍ مُرتفعةٍ، ورُهْبانُهم يتلُون الإنجيلَ ويَحُثُّونهم على القتال، وكان خالدٌ في الخيلِ بينَ يدَيِ الجيشِ، فساق بفرسه إلى أبي عُبَيدةَ، فقال له: إني مُشيرٌ بأمرٍ. فقال: قلْ ما أراك اللهُ، أسْمَعْ لك وأُطِعْ. فقال له خالدٌ: إنَّ هؤلاء القومَ لابُدَّ لهم من حَمْلةٍ عظيمةٍ لا مَحيدَ لهم عنها، وإني أخشى على المَيْمَنةِ والمَيْسَرةِ، وقد رأيتُ أن أُفَرِّقَ الخيلَ فِرْقَتَيْنِ وأجعلَها من وراء المَيْمَنةِ والمَيْسَرةِ، حتى إذا صَدَموهم كانوا لهم رِدْءاً من ورائهم. فقال له: نِعْمَ ما رأيتَ. فكان خالدٌ في أحد الخَيْلَيْنِ من وراء المَيمنةِ، وجعَل قيسَ بنَ هُبَيرةَ في الخيلِ الأخرى، وأمَر أبا عُبَيدةَ أن يتأخَّرَ عن القَلْبِ إلى وراء الجيشِ كلِّه؛ لكي إذا رآه المُنهزِمُ استَحيى منه، ورجع إلى القتال، فجعل أبو عُبَيدةَ مكانَه في القَلْبِ سعيدَ بنَ زيدٍ العَدَويَّ أحدَ العشرةِ، رضي اللهُ عنهم، وساق خالدٌ إلى النساء من وراء الجيشِ، ومعهنَّ عددٌ من السيوفِ وغيرِها، فقال لهن: مَن رأيتُموه مُوَلِّياً فاقْتُلْنَه. ثُم رجَع إلى موقفه، رضي اللهُ عنه.

ولمَّا تراءَى الجَمْعانِ وتبارَزَ الفريقانِ، وعَظَ أبو عُبَيدةَ المسلمين فقال: عبادَ الله، انصُروا اللهَ يَنصُرْكم ويُثَبِّتْ أقدامَكم، يا معشرَ المسلمين، اصبِروا؛ فإن الصبرَ مَنْجاةٌ من الكفرِ، ومَرْضاةٌ للربِّ، ومَدْحَضَةٌ للعارِ، ولا تَبْرَحوا مَصافَّكم، ولا تَخْطُوا إليهم خُطْوةً، ولا تَبْدَءُوهم بالقتالِ، وأَشْرِعوا

(١) رواه ابن جرير في «تاريخه» (٢/ ٣٣٦).

الرِّماحَ واسْتَتِروا بالدَّرَقِ، والْزَموا الصَّمْتَ إلا مِن ذِكْرِ اللهِ في أنْفُسِكم، حتى آمُرَكم إن شاءَ اللهُ تعالى.

قــالوا: وخرَج مُعاذُ بنُ جبلٍ على الناسِ، فجعَل يُذَكِّرُهم ويقولُ: يا أهلَ القُرآنِ ومُسْتَحْفَظِي الكتابِ، وأنصارَ الهُدَى والحقِّ، إن رحمةَ الله لا تُنالُ وجنتَه لا تُدْخَلُ بالأمانيِّ، ولا يُؤْتِي اللهُ المَغْفِرةَ والرحمةَ الواسعةَ إلا الصادقَ المُصَدِّقَ، ألم تَسْمَعوا لقولِ الله: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ الآيةَ [النور: ٥٥]. فاسْتَحْيُوا، رَحِمكم اللهُ، مِن ربِّكم أن يَراكم فُرَّارًا مِن عدوِّكم وأنتم في قَبْضَتِه، وليس لكم مُلْتَحَدٌ مِن دونِه، ولا عِزٌّ بغيرِه.

وقال عمرُو بنُ العاصِ: يا أيُّها المسلمون، غُضُّوا الأبْصارَ، واجْثُوا على الرُّكَبِ، وأشْرِعوا الرِّماحَ، فإذا حمَلوا عليكم فأمْهِلوهم، حتى إذا ركِبوا أطْرافَ الأسنَّةِ فثِبُوا إليهم وَثْبَةَ الأسدِ، فوالذي يَرْضَى الصِّدقَ ويُثيبُ عليه، ويَمْقُتُ الكَذِبَ، ويَجْزِي بالإحْسانِ إحْسانًا، لقد سَمِعْتُ أنَّ المسلمين سيَفْتَحونها كَفْرًا كَفْرًا، وقَصْرًا قَصْرًا، فلا يَهُولَنَّكم جُموعُهم ولا عَدَدُهم، فإنَّكم لو صدَقْتُموهم الشدَّ تَطايَروا تَطايُرَ أولادِ الحَجَلِ.

وقال أبو سُفيانَ: يا معشرَ المسلمين، أنتم العربُ، وقد أصْبَحْتُم في دارِ العَجَمِ مُنْقَطِعِين عن الأهلِ، نائِين عن أميرِ المؤمنين وأمْدادِ المسلمين، وقد واللهِ أصْبَحْتُم بإزاءِ عدوٍّ كثيرٍ عدَدُه، شديدٍ عليكم حَنَقُه، وقد وتَرْتُموهم في أنفسِهم وبلادِهم ونسائِهم، واللهِ لا يُنَجِّيكم مِن هؤلاءِ القومِ، ولا يُبَلِّغُ بكم رِضوانَ اللهِ غدًا، إلا بصِدْقِ اللِّقاءِ والصَّبْرِ في المَواطِنِ المَكْروهةِ، ألا وإنَّها سُنَّةٌ لازِمةٌ، وإنَّ الأرضَ وراءَكم، بينَكم وبينَ أميرِ المؤمنين وجماعةِ المسلمين صَحَارَى وبَرَارِيُّ، ليس لأحدٍ فيها مَعْقِلٌ ولا مَعْدِلٌ إلا الصبرُ ورَجاءُ ما وَعَد اللهُ، فهو خيرُ مُعَوَّلٍ، فامْتَنِعوا بسيوفِكم وتَعاوَنوا، ولْتَكُنْ هي الحُصونَ. ثُم ذهَب إلى النساءِ فوَصَّاهُنَّ، ثُم عاد فنادَى: يا معشرَ أهلِ الإسلامِ، حضَر ما تَرَوْن، فهذا رسولُ اللهِ ﷺ والجنةُ أمامَكم، والشيطانُ والنارُ خلفَكم. ثُم سار إلى مَوْقِفِه، رحِمه اللهُ.

وقد وَعَظ الناسَ أبو هريرةَ أيضًا فجعَل يقولُ: سارِعوا إلى الحُورِ العينِ وجِوارِ ربِّكم، عزَّ وجَلَّ، في جناتِ النَّعيمِ، ما أنتم إلى ربِّكم في مَوْطِنٍ أحَبَّ إليه منكم في مثلِ هذا المَوْطِنِ، ألا وإن للصابرين فضلَهم.

قال سيفُ بنُ عمرَ بإسنادِه عن شيوخِه: إنهم قالوا: كان في ذلك الجمعِ ألفُ رجلٍ مِن الصحابةِ؛ منهم مائةٌ مِن أهلِ بدرٍ. وجعَل أبو سُفْيانَ يقِفُ على كلِّ كُرْدوسٍ ويقولُ: اللهَ اللهَ، إنكم دارةُ العربِ وأنْصارُ الإسلامِ، وإنهم دارةُ الرومِ وأنْصارُ الشِّركِ، اللهم إنَّ هذا يومٌ مِن أيامِك، اللهم أنْزِلْ نَصْرَك على عبادِك. قالوا: ولما أقْبَل خالدٌ مِن العراقِ قال رجلٌ مِن نَصارَى العربِ لخالدِ بنِ الوليدِ: ما أكْثَرَ الرومَ وأقَلَّ المسلمين! فقال خالدٌ: وَيْلَكَ، أتُخَوِّفُني بالرومِ؟ إنَّما تَكْثُرُ الجُنودُ بالنصرِ، وتَقِلُّ بالخِذْلانِ لا بعدَدِ الرِّجالِ، واللهِ لَوَدِدْتُ أنَّ الأشْقَرَ بَرَاءٌ مِن تَوَجِّيهِ وأنَّهم أضْعَفوا في العددِ. وكان فرسُه قد

حَفِيَ واشتكىٰ في مجيئه من العراق. ولما تقارَب الناسُ تقدَّم أبو عُبيدةَ ويزيدُ بنُ أبي سُفيانَ، ومعهما ضِرارُ بنُ الأزوَرِ، والحارثُ بنُ هشامٍ، وأبو جَندلِ بنُ سُهَيلٍ، ونادَوْا: إنَّما نُريدُ أميرَكم لنَجتَمعَ به. فأُذِن لهم في الدُّخولِ علىٰ تَذَارِقَ، وإذا هو جالسٌ في خَيمةٍ من حَريرٍ، فقال الصحابةُ: لا نَستَحِلُّ دُخولَها. فأمَرَ لهم بفُرُشٍ؛ بُسُطٍ من حريرٍ، فقالوا: ولا نَجْلِسُ علىٰ هذه. فجلَس معهم حيث أحَبُّوا، وتَراضَوا علىٰ الصُّلحِ، ورجَع عنهم الصحابةُ بعدَما دَعَوْهم إلىٰ الله، عز وجل، فلم يَتِمَّ ذلك.

وذكَر الوليدُ بنُ مُسلمٍ أن باهانَ طلَب خالدًا؛ ليَبرُزَ إليه فيما بينَ الصَّفَّين، فيَجتَمعا في مَصلَحةٍ لهم، فقال باهانُ: إنّا قد علِمْنا أنَّ ما أخرَجكم من بلادكم الجَهْدُ والجُوعُ، فهَلُمُّوا إلىٰ أن أُعطيَ كلَّ رجلٍ منكم عشَرةَ دَنانيرَ وكِسْوةً وطعامًا، وتَرجِعون إلىٰ بلادكم، فإذا كان من العامِ المُقبِلِ بَعَثْنا لكم بمِثْلِها. فقال خالدٌ: إنَّه لم يُخرِجْنا من بلادنا ما ذَكَرْتَ، غيرَ أنَّا قومٌ نَشرَبُ الدِّماءَ، وأنَّه بَلَغَنا أنَّه لا دمَ أطيَبُ من دمِ الرومِ، فجئْنا لذلك. فقال أصحابُ باهانَ: هذا والله ما كنا نُحدَّثُ به عن العربِ.

قالوا: ثم تَقَدَّم خالدٌ إلىٰ عِكرِمةَ بنِ أبي جهلٍ والقَعْقاعِ بنِ عَمْرٍو - وهما علىٰ مُجَنِّبَتَي القَلْبِ - أن يُنْشِئا القتالَ، فبَدَرا يرتَجِزان ودَعَوَا إلىٰ البِرازِ، وتَنازَلَ الأبطالُ، وتَجاوَلوا وحَمِيَ الحربُ، وقامت علىٰ ساقٍ، هذا وخالدٌ معه كُرْدُوسٌ من الحُماةِ الشُّجْعانِ الأبطالِ بينَ يدي الصُّفوفِ، والأبطالُ يَتَصاوَلون من الفريقَيْن بينَ يديه، وهو يَنظُرُ ويَبعَثُ إلىٰ كلِّ قومٍ من أصحابِه بما يَعتَمِدونه من الأفاعيلِ، ويُدَبِّرُ أمرَ الحربِ أتَمَّ تَدبيرٍ.

وقال إسحاقُ بنُ بِشْرٍ: عن سعيدِ بنِ عبدِ العزيزِ، عن قُدَماءِ مَشايخِ دمشقَ، قالوا: ثم زحَف باهانُ، فخرَج أبو عُبَيدةَ وقد جعَل علىٰ الميمَنةِ مُعاذَ بنَ جَبَلٍ، وعلىٰ الميسَرةِ قُباثَ بنَ أشْيَمَ الكِنانيَّ، وعلىٰ الرَّجَّالةِ هاشمَ بنَ عُتْبةَ بنِ أبي وَقَّاصٍ، وعلىٰ الخيلِ خالدَ بنَ الوَليدِ، وخرَج الناسُ علىٰ راياتِهم، وسار أبو عُبَيدةَ بالمسلمين وهو يقولُ: عبادَ الله، انصُروا اللهَ يَنصُرْكم ويُثَبِّتْ أقدامَكم، يا معشَرَ المسلمين، اصْبِروا؛ فإن الصَّبرَ مَنْجاةٌ من الكفرِ، ومَرْضاةٌ للربِّ، ومَدْحَضةٌ للعارِ، ولا تَبرَحوا مَصافَّكم، ولا تَخْطوا إليهم خُطْوةً، ولا تَبدَءوهم بالقِتالِ، وأشْرِعوا الرِّماحَ، واستَتِروا بالدَّرَقِ، والزَموا الصَّمْتَ إلا من ذِكرِ الله.

وخَرَج مُعاذُ بنُ جبلٍ، فجَعَل يُذَكِّرُهم، ويقولُ: يا أهلَ القرآنِ، ومُستَحْفَظي الكتابِ، وأنصارَ الهُدىٰ والحَقِّ، إن رحمةَ الله لا تُنالُ وجَنَّتَه لا تُدْخَلُ بالأمانيِّ، ولا يُؤْتي اللهُ المغفرةَ والرحمةَ الواسعةَ إلا الصادقَ المُصَدِّقَ، ألم تَسمَعوا لقولِ الله عز وجل: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ إلىٰ آخرِ الآيةِ [النور: ٥٥]. فاستَحْيُوا، رَحِمكم اللهُ، من ربِّكم أن يَراكم فُرَّارًا من عدوِّكم، وأنتم في قَبضَتِه، وليس لكم مُلتَحَدٌ من دونه.

وسار عمرُو بنُ العاصِ في الناسِ وهو يقولُ: أيها المسلمون، غُضُّوا الأبصارَ، واجْثُوا علىٰ الرُّكَبِ، وأشْرِعوا الرِّماحَ، فإذا حمَلوا عليكم فأمْهِلوهم، حتىٰ إذا رَكِبوا أطرافَ الأسنَّةِ فثِبوا وثْبةَ

الأسدِ، فوالذي يَرْضَىٰ الصِّدْقَ ويُثِيبُ عليه، ويَمْقُتُ الكذبَ ويَجْزِي الإحْسانَ إحْسانًا، لقد سَمِعْتُ أن المسلمين سيَفْتَحونها كَفْرًا كَفْرًا، وقَصْرًا قَصْرًا، فلا يَهُولَنَّكم جُموعُهم ولا عُدَدُهم، فإنكم لو صدَقْتُموهم الشدَّ لتَطايَرُوا تَطايُرَ أولادِ الحَجَلِ.

ثُم تكَلَّم أبو سفيانَ فأحْسَن وحَثَّ علىٰ القتال، فأبْلَغَ في كلام طويلٍ، ثُم قال حينَ تَواجَهَ الناسُ: يا مَعْشرَ أهلِ الإسلام، حَضَر ما تَرَوْن، فهذا رسولُ الله ﷺ والجنةُ أمامكم، والشيطانُ والنارُ خلفَكم. وحرَّض أبو سُفْيانَ النساءَ فقال: مَن رأيْتُنَّه فارًّا فاضْرِبْنَه بهذه الأحْجارِ والعِصِيِّ حتىٰ يَرْجعَ. وأشار خالدٌ أن يَقِفَ في القَلْبِ سعيدُ بنُ زيدٍ، وأن يكونَ أبو عُبيدةَ من وراءِ الناسِ ليَرُدَّ المُنهَزِمَ، وقَسَم خالدٌ الخيلَ قِسْمَيْن؛ فجَعَل فِرْقَةً وراءَ المَيْمَنة، وفِرْقةً وراءَ المَيْسَرة؛ لئَلا يَفِرَّ الناسُ وليَكُونوا رِدْءًا لهم مِن ورائهم، فقال له أصحابُه: افْعَلْ ما أراك اللهُ. وامْتَثَلوا ما أشار به خالدٌ، رَضِي اللهُ عنه، وأقْبَلَت الرومُ رافعةً صُلْبانَها، ولهم أصواتٌ مُزْعِجةٌ كالرَّعْد، والقَساقسةُ والبَطارقةُ تُحَرِّضُهم علىٰ القتالِ، وهم في عَدَدٍ وعُدَدٍ لم يُرَ مثلُه. فاللهُ المُسْتعانُ وعليه التُّكْلانُ.

وقد كان فيمَن شهِد اليَرْموك الزبيرُ بنُ العوامِ، وهو أفضلُ مَن هناك من الصحابة، وكان من فُرْسانِ الناسِ وشُجْعانهم، فاجْتَمَع إليه جماعةٌ من الأبطال يومَئذٍ فقالوا: ألا تَحْمِلُ فنَحْمِلَ معك؟ فقال: إنكم لا تَثْبُتون. فقالوا: بلىٰ. فحَمَل وحمَلوا، فلمَّا واجَهوا صُفوفَ الرومِ أحْجَموا وأقْدَم هو؛ فاخْتَرَق صُفوفَ الرومِ حتىٰ خرَج من الجانبِ الآخَرِ وعاد إلىٰ أصحابه، ثم جاءُوا إليه مَرَّةً ثانيةً، ففعَل كما فعَل في الأولىٰ، وجُرِح يومَئذٍ جُرْحَين بينَ كتِفَيْه[1]، وفي روايةٍ: جُرْحٌ. وقد روىٰ البخاريُّ معنىٰ ما ذكَرْناه في «صحيحه».

وجعَل مُعاذُ بنُ جبلٍ كلما سمع أصواتَ القسِّيسين والرُّهْبان يقولُ: اللهم زَلْزِلْ أقدامَهم، وأرْعِبْ قُلُوبَهم، وأنزِلْ علينا السَّكينةَ، وألْزِمْنا كلمةَ التَّقْوىٰ، وحَبِّبْ إلينا اللِّقاءَ، ورَضِّنا بالقضاءِ. وخَرَج باهانُ، فأمَر صاحبَ المَيْسَرة، وهو الدريجانُ، وكان عدوُّ الله مُتَنَسِّكًا فيهم، فحَمَل علىٰ المَيْمنة، وفيها الأزْدُ ومَذْحِجٌ وحَضْرَمَوْتُ وخَوْلانُ، فثبتوا حتىٰ صَدَقوا أعْداءَ الله، ثُم ركِبهم من الروم أمثالُ الجبالِ، فزال المسلمون من المَيْمَنة إلىٰ ناحيةِ القَلْبِ، وانْكَشَفَتْ طائفةٌ من الناس إلىٰ العَسْكَرِ، وثبَت صَدْرٌ من المسلمين عظيمٌ يُقاتلون تحت راياتهم، وانْكَشَفَتْ زُبَيْدٌ، ثُم تَنادَوْا فتَراجَعوا وحَمَلوا حتىٰ نَهْنَهوا مَن أمامَهم من الروم وأشْغَلوهم عن اتِّباعِ مَن انْكَشَف من الناس، واستَقْبل النساءُ مَن انْهَزم من سَرَعانِ الناسِ يَضْرِبْنَهم بالخُشُبِ والحجارة، وجَعَلَت خَوْلَةُ بنتُ ثَعْلَبَةَ تقولُ:

يا هاربًا عن نِسْوةٍ تَقِيَّاتْ ... فعن قليلٍ ما تَرَىٰ سَبِيَّاتْ
ولا حَظِيَّاتٍ ولا رَضِيَّاتْ

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٣٧٢١) من حديث الزبير رضي الله عنه.

قال: فتَراجَع الناسُ إلى مواقفهم.

وقال سيفُ بنُ عمرَ، عن أبي عُثمانَ الغَسَّانيِّ، عن أبيه قال: قال عِكْرِمةُ بنُ أبي جَهْلٍ يومَ اليَرْموك: قاتَلْتُ رسولَ الله ﷺ في مَواطِنَ وأفِرُّ منكم اليومَ؟! ثُم نادَىٰ: مَن يُبايِعُ على الموت؟ فبايَعه عمُّه الحارثُ بنُ هشامٍ وضِرارُ بنُ الأزْوَرِ في أرْبعمائةٍ من وُجوهِ المسلمين وفُرْسانهم، فقاتَلوا قُدَّامَ فُسْطاطِ خالدٍ حتىٰ أُثْبِتوا جميعًا جِراحًا، وقُتِل منهم خَلْقٌ، منهم ضِرارُ بنُ الأزْوَرِ، رَضِي اللهُ عنهم.

وقد ذكَر الواقديُّ وغيرُه، أنَّهم لَمَّا صُرِعوا من الجِراحِ اسْتَسْقَوْا ماءً، فجِيء إليهم بشَرْبةِ ماءٍ، فلما قُرِّبت إلىٰ أحدهم نَظَر إليه الآخَرُ، فقال: ادْفَعْها إليه. فلمَّا دُفِعتْ إليه نظَر إليه الآخَرُ، فقال: ادْفَعْها إليه. فتَدافَعوها بينَهم، مِن واحدٍ إلىٰ واحدٍ حتىٰ ماتوا جميعًا، ولم يَشْرَبْها أحدٌ منهم، رَضِي اللهُ عنهم أجْمَعين.

ويقالُ: إنَّ أولَ مَن قُتِل من المسلمين يومَئذٍ شهيدًا رجلٌ جاء إلىٰ أبي عُبَيدةَ فقال: إنِّي قد تَهَيَّأْتُ لأمْري، فهل لك مِن حاجةٍ إلىٰ رسولِ الله ﷺ؟ قال: نعم، تُقْرِئُه عني السلامَ وتقولُ: يا رسولَ الله إنَّا قد وجَدْنا ما وعَدَنا ربُّنا حقًّا. قال: فتقَدَّم هذا الرجلُ فقاتَلَ حتىٰ قُتِل، رَحِمه اللهُ.

قالوا: وثَبَتَ كلُّ قومٍ على رايتِهم حتىٰ صارت الرومُ تَدورُ كأنها الرَّحَىٰ. فلم يُرَ يومَ اليَرْمُوك أكثرُ قِحْفًا ساقطًا، ومِعْصَمًا نادرًا، وكفًّا طائرةً، من ذلك المَوْطِنِ، ثُم حَمَل خالدٌ بمَن معه من الخَيَّالةِ على المَيْسرةِ التي حَمَلَتْ علىٰ مَيْمَنة المسلمين فأزالوهم إلى القَلْبِ، فقتَل في حَمْلَته هذه ستةَ آلافٍ منهم، ثُم قال: والذي نفسي بيده لم يَبْقَ عندَهم من الصبرِ والجَلَدِ غيرُ ما رأيْتُم، وإني لأرْجو أن يَمْنَحكم اللهُ أكتافَهم. ثُم اعْتَرَضَهم فحَمَل بمائةِ فارسٍ معه علىٰ نحوٍ من مائةِ ألفٍ، فما وصَل إليهم حتىٰ انْفَضَّ جَمْعُهم، وحَمَل المسلمون عليهم حَمْلَةَ رجلٍ واحدٍ فانْكَشَفوا، وتَبِعَهم المسلمون لا يَمْتَنِعون منهم.

قالوا: وبينما هم في جَوْلةِ الحَرْبِ وحَوْمةِ الوَغَىٰ، والأبطالُ يَتَصاوَلون من كلِّ جانبٍ، إذ قَدِم البَرِيدُ من نحوِ الحجازِ، فدُفِع إلىٰ خالدِ بنِ الوليدِ فقال له: ما الخبرُ؟ فقال له، فيما بينَه وبينَه: إنَّ الصِّدِّيقَ، رَضِي اللهُ عنه، قد تُوُفِّيَ، واسْتَخْلَفَ عمرَ، فاسْتَنَاب على الجيوشِ أبا عُبَيدةَ عامرَ بنَ الجَرَّاحِ. فأسَرَّها خالدٌ، ولم يُبْدِ ذلك للناسِ؛ لِئَلا يَحْصُلَ ضَعْفٌ ووَهَنٌ في تلك الحالِ، وقال له والناسُ يَسْمَعون: أحْسَنْتَ. وأخَذ منه الكتابَ فوضَعه في كنانته، واشْتَغل بما كان فيه من تَدْبيرِ الحربِ والمُقاتلةِ، وأوْقَفَ الرسولَ الذي جاء بالكتابِ - وهو مَحْمِيَةُ بنُ زُنَيْمٍ - إلىٰ جانبِه. كذا ذكَره ابنُ جَريرٍ بأسانيده.

قالوا: وخَرَج جرَجَةُ أحدُ الأمراءِ الكبارِ من الصفِّ، واسْتَدْعَىٰ خالدَ بنَ الوليدِ فجاء إليه حتىٰ اخْتَلَفَتْ أعْناقُ فَرَسَيْهما، فقال جَرَجَةُ: يا خالدُ، أخْبِرْني فاصْدُقْني ولا تَكْذِبْني، فإنَّ الحُرَّ لا يَكْذِبُ، ولا تُخادِعْني، فإنَّ الكريمَ لا يُخادِعُ المُسْتَرْسِلَ باللهِ، هل أنْزَل اللهُ علىٰ نبيِّكم سَيْفًا من

السماء فأعطاكه فلا تَسُلُّه على أحدٍ إلا هزَمْتَهم؟ قال: لا. قال: فبِمَ سُمِّيتَ سيفَ الله؟ قال: إنَّ اللهَ بعَث فينا نبيَّه ﷺ، فدعانا فنَفَرْنا منه ونَأَيْنا عنه جميعًا، ثُم إن بعضَنا صدَّقه وتابَعه، وبعضَنا كذَّبه وباعَدَه، فكنتُ فيمن كذَّبه وباعَدَه، ثُم إن اللهَ أخَذ بقُلوبنا ونَواصينا فهدانا به وبايَعْناه، فقال لي: «أنت سيفٌ من سيوف الله سَلَّه اللهُ على المُشْركين». ودَعا لي بالنصر، فسُمِّيتُ سيفَ الله بذلك، فأنا من أشَدِّ المسلمين على المُشْركين. فقال جَرَجَةُ: يا خالدُ، إلامَ تَدْعُون؟ قال: إلى شهادة أن لا إلهَ إلا اللهُ، وأنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه، والإقرارِ بما جاء به من عند الله، عزَّ وجلَّ. قال: فمَن لم يُجِبْكم؟ قال: فالجزيةُ ونَمْنَعُهم. قال: فإن لم يُعْطِها؟ قال: نُؤْذِنُه بالحرب ثم نُقاتِلُه. قال: فما مَنْزِلةُ مَن يُجيبُكم ويَدْخُلُ في هذا الأمرِ اليومَ؟ قال: مَنْزِلَتُنا واحدةٌ فيما افْتَرض اللهُ علينا، شَريفُنا ووَضيعُنا وأوَّلُنا وآخِرُنا. قال جَرَجَةُ: فَلِمَن دَخَل فيكم اليومَ مِن الأجرِ مثلُ ما لكم من الأجرِ والذُّخْرِ؟ قال: نعم وأفضلُ. قال: وكيف يُساوِيكم وقد سبَقْتُموه؟ فقال خالدٌ: إنا دخَلْنا في هذا الأمْرِ، وبايَعْنا نبيَّنا ﷺ وهو حَيٌّ بينَ أظهُرِنا تأتيه أخْبارُ السماء، ويُخبِرُنا بالكُتُبِ ويُرينا الآيات، وحُقَّ لِمَن رأَى ما رأَيْنا وسَمِع ما سمِعْنا أن يُسْلِمَ ويُبايِعَ، وإنَّكم أنتم لم تَرَوْا ما رأَيْنا، ولم تَسْمَعوا ما سَمِعْنا، من العَجائبِ والحُجَجِ، فمَن دخَلَ في هذا الأمْرِ منكم بحَقيقةٍ ونيَّةٍ كان أفضَلَ منا. فقال جَرَجَةُ: باللهِ لقد صَدَقْتَني ولم تُخادِعْني؟ قال: باللهِ لقد صدَقْتُك، وإنَّ اللهَ وَلِيٌّ ما سأَلْتَ عنه. فعندَ ذلك قَلَبَ جَرَجَةُ التُّرْسَ ومال مع خالدٍ، وقال: عَلِّمْني الإسلامَ. فمال به خالدٌ إلى فُسْطاطه، فشنَّ عليه قِرْبةً من ماءٍ، ثُم صلَّى به ركعَتَيْن، وحَمَلَتِ الرومُ مع انْقلابه إلى خالدٍ، وهم يَرَوْن أنَّها منه حَمْلةٌ، فأزالوا المسلمين عن مَواقفِهم إلا المُحاميةَ، عليهم عِكْرِمةُ بنُ أبي جهلٍ والحارثُ بنُ هشام، فركِبَ خالدٌ وجَرَجَةُ معه، والرومُ خِلالَ المسلمين، فتَنادَى الناسُ وثابوا، وتَراجَعَتِ الرومُ إلى مَواقفِهم، وزحَف خالدٌ بالمسلمين حتى تَصافَحوا بالسيوف، فضَرب فيهم خالدٌ وجَرَجَةُ من لَدُن ارتفاع النهارِ إلى جُنوحِ الشمسِ للغروب، وصَلَّى المسلمون صلاةَ الظُّهْرِ وصلاةَ العَصْرِ إيماءً، وأُصيبَ جَرَجَةُ، رحمَه اللهُ، ولم يُصَلِّ للهِ إلا تلك الركعتَين مع خالدٍ رَضِي اللهُ عنهما، وتَضَعْضَعَتِ الروم عندَ ذلك، ثُم نَهَد خالدٌ بالقَلْبِ حتى صار في وَسَط خُيولِ الروم، فعندَ ذلك هَرَبَت خَيَّالتُهم، واشْتَدَّتْ بهم في تلك الصَّحْراء، وأفرَج المسلمون بخُيولِهم حتى ذَهبوا، وأخَّر الناسُ صَلاتَيِ العشاءِ حتى اسْتَقَرَّ الفتحُ، وعَمَد خالدٌ إلى رَجْلِ الروم - وهم الرَّجَّالةُ - ففَصَلوهم عن آخرِهم، حتى صاروا كأنَّهم حائطٌ قد هُدِم، ثُم تَبِعوا مَن فَرَّ من الخَيَّالةِ، واقْتَحم خالدٌ عليهم خَنْدَقَهم، وجاء الرومُ في ظَلامِ الليلِ إلى الواقُوصَةِ، فجعَلَ الذين تَسَلْسَلوا وقَيَّدوا بَعْضَهم ببعضٍ إذا سقَط واحدٌ منهم سقَط الذين معه. قال ابنُ جَريرٍ وغيرُه: فسَقَط فيها وقُتِل عندها مائةُ ألفٍ وعشرون ألفًا سوى مَن قُتِل في المعركة.

وقد قاتَل نساءُ المسلمين في هذا اليوم، وقتَلوا خَلْقًا كثيرًا من الروم. وكُنَّ يَضْرِبْنَ مَن انْهَزَم من المسلمين ويَقُلْنَ: أينَ تَذْهَبون وتَدَعُوننا للعُلُوجِ؟! فإذا زَجَرْنَهم لا يَمْلِكُ أحدٌ نفسَه حتى يَرْجِعَ إلى القِتال.

قال: وتَجَلَّل القيقلانُ وأشرافٌ من قومه من الروم ببرانسهم، وقالوا: إذا لم نَقْدِرْ على نَصْرِ دينِ النَّصْرانيةِ، فلْنَمُتْ على دينهم. فجاء المسلمون فقتلوهم عن آخرهم.

قالوا: وقُتِل في هذا اليوم من المسلمين ثلاثةُ آلافٍ، منهم؛ عِكْرِمةُ وابنُه عمرٌو، وسَلَمةُ بنُ هشام، وعمرُو بنُ سعيدٍ، وأبانُ بنُ سَعيدٍ، وأُثْبِتَ خالدُ بنُ سَعيدٍ فلا يُدْرَىٰ أين ذهَب، وضِرارُ بن الأَزْوَرِ، وهشامُ بنُ العاصِ، وعمرُو بنُ الطُّفَيْلِ بنِ عمرٍو الدَّوْسيُّ، وحقَّق اللهُ رؤيا أبيه يومَ اليَمامةِ.

وقد انْكَشَفَ في هذا اليوم جَماعةٌ من الناسِ؛ انْهَزَم عمرُو بنُ العاصِ في أربعةٍ، حتى وصَلوا إلى النِّساءِ، ثم رجعوا حينَ زَجرَهم النساءُ، وانْكَشَف شُرَحْبيلُ ابنُ حَسَنَةَ وأصحابُه، ثم تَراجَعوا حين وعَظَهم الأميرُ بقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم﴾ الآيةَ [التوبة: ١١١]. وثبَت يومَئذٍ يزيدُ بنُ أبي سُفيانَ، وقاتَل قتالاً شديدًا، وذلك أنَّ أباه مرَّ به فقال له: يا بُنَيَّ، عليك بتَقْوَىٰ الله والصَّبْرِ؛ فإنه ليس رجلٌ بهذا الوادي من المسلمين إلاَّ مَحْفوفًا بالقتال، فكيف بك وبأشْباهك الذين وُلُّوا أمورَ المسلمين؟ أولئك أحقُّ الناسِ بالصبرِ والنَّصيحةِ، فاتَّقِ اللهَ يا بُنيَّ، ولا يكونَنَّ أحدٌ من أصحابك بأرْغَبَ في الأجرِ والصَّبْرِ في الحربِ، ولا أجْرَأَ على عدوِّ الإسلام منك. فقال: أفْعَلُ إن شاءَ اللهُ. فقاتَل يومَئذٍ قتالاً شديدًا، وكان من ناحيةِ القَلْبِ، رَضيَ اللهُ عنه.

وقال سعيدُ بنُ المُسَيَّبِ، عن أبيه قال: هَدَأَت الأصْواتُ يومَ اليَرْموكِ فسَمِعْنا صوتًا يَكادُ يَمْلأُ العَسْكَرَ يقولُ: يا نَصْرَ اللهِ اقْتَرِبْ، الثَّباتَ الثَّباتَ يا معشرَ المسلمين. قال: فنظَرْنا فإذا هو أبو سُفيانَ تحت رايةِ ابنه يزيدَ. وأكْمَل خالدٌ ليلَتَه في خَيْمةِ تَذارِقَ أخي هِرَقْلَ، وهو أميرُ الروم كلِّهم يومَئذٍ، هرب فيمَن هرَب، وباتَت الخُيولُ تَجولُ نحوَ خَيْمةِ خالدٍ يَقْتُلون مَن مرَّ بهم من الرومِ حتى أصْبَحوا، وقُتِل تذارقُ، وكان له ثلاثون سُرادقًا وثلاثون رُواقًا من ديباجٍ بما فيها من الفُرُشِ والحريرِ، فلمَّا كان الصَّباحُ حازوا ما كان هنالك من الغَنائمِ، وما فَرِحوا بما وجَدوا بقَدْرِ حُزْنِهم على الصِّدِّيقِ حينَ أعْلَمَهم خالدٌ بذلك، ولكنْ عَوَّضَهم اللهُ بالفاروقِ، رَضيَ اللهُ عنه. وقال خالدٌ حينَ عزَّىٰ المسلمين في الصِّدِّيقِ: الحمدُ للهِ الذي قضَىٰ على أبي بكرٍ بالموتِ وكان أحبَّ إليَّ من عُمرَ، والحمدُ للهِ الذي ولَّىٰ عمرَ وكان أبْغَضَ إليَّ من أبي بكرٍ، وألْزَمَني حُبَّه.

وقد اتَّبَع خالدٌ مَن انْهَزَم من الرومِ حتى وصَل إلى دِمَشْقَ، فخرَج إليه أهلُها فقالوا: نحن على عَهْدِنا وصُلْحِنا؟ قال: نعم. ثم اتَّبَعهم إلى ثَنِيَّةِ العُقابِ، فقتَل منهم خَلْقًا كثيرًا، ثم ساق وراءَهم إلى حِمْصَ، فخرَج إليه أهلُها فصالَحهم كما صالَح أهلَ دِمَشْقَ، وبعَث أبو عُبَيدةَ عياضَ بنَ غَنْمٍ وراءَهم أيضًا، فساق حتى وصَل مَلَطْيَةَ، فصالَحه أهلُها ورجَع، فلما بلَغ هِرَقْلَ ذلك بعَث إلى مُقاتِليها فحضَروا بينَ يديه، وأمَر بمَلَطْيَةَ فحُرِقَت، وانْتَهَت الرومُ مُنْهزِمةً إلى هِرَقْلَ وهو بحِمْصَ، والمسلمون في آثارِهم يَقْتُلون ويأسِرون ويَغْنَمون، فلما وصَل الخبرُ إلى هِرَقْلَ ارْتَحل من حِمْصَ، وجعَلها بينَه وبينَ المسلمين، وترَّس بها، وقال هِرَقْلُ: أما الشامُ فلا شامَ، ووَيْلٌ للرومِ من المَوْلودِ المَشْئومِ.

ومما قيل من الأشْعارِ في يومِ اليَرْموكِ قولُ القَعْقاعِ بنِ عَمرٍو:

ألم تَرَنا على اليَرْموكِ فُزْنا ... كما فُزْنا بأيامِ العِراق
فَتَحْنا قبلَها بُصْرَى وكانت ... مُحَرَّمةَ الجَنابِ لدى البُعاقَ
وعَذْراءَ المَدائنِ قد فَتَحْنا ... ومَرْجَ الصُّفَّرَيْنِ على العِتاقَ
قَتَلْنا مَن أقام لنا وفينا ... نِهابُهمُ بأسْيافٍ رِقاقَ
قَتَلْنا الرومَ حتى ما تُساوِي ... على اليَرْموكِ ثُفْرُوقَ الوِراقَ
فضَضْنا جمعَهم لما اسْتَحالوا ... على الواقُوصَ بالبُتْرِ الرِّقاقَ
غداةَ تَهافَتوا فيها فصاروا ... إلى أمْرٍ يُعَضِّلُ بالذَّواقِ

وقال الأسود أبو مُفَزِّرٍ التَّميميُّ

وكم قد أغَرْنا غارةً بعدَ غارة ... ويومًا ويومًا قد كشَفْنا أهاوِلَهْ
ولولا رجالٌ كان حشوُ غَنيمةً ... لدى مَأْقَطٍ رجَّتْ علينا أوائلُهْ
لقِيناهمُ اليَرْموكَ لما تَضايَقَتْ ... بمَن حَلَّ باليَرْمُوكِ منه حَمائلُهْ
فلا يَعْدَمَنْ منَّا هِرَقْلُ كتائبًا ... إذا رامَها رامَ الذي لا يُحاوِلُه

وقال عمرُو بنُ العاصِ:

القومُ لَخْمٌ وجُذامٌ في الحرِبْ ... ونحن والرومُ بمَرْجٍ نَضْطَرِبْ
فإن يَعودوا بعدَها لا نَصْطَحِبْ ... بل نَعْصِبُ الفُرَّارَ بالضَّرْبِ الكَلِبْ

ورَوىٰ أحمدُ بنُ مَرْوانَ المالكيُّ في «المُجالَسةِ»، ثنا أبو إسماعيلَ التِّرمذيُّ، ثنا مُعاويةُ بنُ عمرٍو، عن أبي إسْحاقَ قال: كان أصحابُ رسولِ الله ﷺ لا يَثْبُتُ لهم العدوُّ فُواقَ ناقةٍ عندَ اللقاءِ. فقال هِرَقْلُ وهو علىٰ أنْطَاكِيَةَ لما قدِمَت مُنْهَزِمةُ الرومِ: ويْلَكم! أخْبِروني عن هؤلاءِ القومِ الذين يُقاتِلونكم، ألَيسوا هم بَشَرًا مثلَكم؟! قالوا: بلىٰ. قال: فأنتم أكثرُ أم هم؟ قالوا: بل نحن أكثرُ منهم أضْعافًا في كلِّ مَوْطِنٍ. قال: فما بالُكم تَنْهَزِمون كلما لَقِيتُموهم؟! فقال شيخٌ مِن عُظمائِهم: مِن أجْلِ أنهم يقومون الليلَ، ويصومون النهارَ، ويُوفون بالعهدِ، ويأمُرون بالمعروفِ، ويَنْهَوْن عن المنكرِ، ويَتَناصَفون بينَهم، ومن أجْلِ أنَّا نَشْرَبُ الخمرَ، ونَزْني، ونَرْكَبُ الحَرامَ، ونَنْقُضُ العهدَ، ونَغْصِبُ ونَظْلِمُ، ونأْمُرُ بما يُسْخِطُ اللهَ، ونَنْهَىٰ عما يُرْضِي اللهَ، ونُفْسِدُ في الأرضِ، فقال: أنت صَدَقْتَني.

وقال الوليدُ بنُ مسلمٍ: أخْبَرَني مَن سمع يحيىٰ بنَ يحيىٰ الغَسَّانيَّ يُحَدِّثُ عن رجلين مِن قومِه، قالا: لَمَّا نزَل المسلمون بناحيةِ الأُرْدُنِّ تحَدَّثْنا بينَنا أن دمشقَ ستُحاصَرُ، فذهَبْنا نَتَسَوَّقُ منها قبلَ ذلك، فبينا نحن فيها إذ أرْسَل إلينا بِطْرِيقُها فجِئْناه فقال: أنتما مِن العربِ؟ قلنا: نعم. قال: وعلىٰ النَّصْرانيَّةِ؟ قلنا: نعم. فقال: لِيَذْهَبْ أحدُكما فلْيَتَجَسَّسْ لنا عن هؤلاءِ القومِ ورأْيِهم، ولْيَثْبُتِ الآخرُ

على متاع صاحبه. ففعَل ذلك أحدُنا، فلبث مَليًّا ثم جاءه فقال: جئتُك من عند رِجَالٍ دِقاقٍ، يَرْكَبون خُيولاً عتاقٍ، أما الليلُ فرُهْبان، وأما النَّهارُ ففُرْسان، يَرِيشون النَّبْلَ ويَبْرُونها، ويُثَقِّفون القَنَا، لو حَدَّثْتَ جَليسَك حديثًا ما فهِمه عنك؛ لِمَا علا من أصْواتِهم بالقرآنِ والذِّكْرِ. قال: فالْتَفَت إلى أصحابِه وقال: أتاكم منهم ما لا طاقةَ لكم به.

انتقالُ إمْرةِ الشام من خالد إلى أبي عبيدة في الدولةِ العُمَريّةِ وذلك بعدَ وَقعةِ اليرموك وصَيْرورةِ الإمْرةِ بالشام إلى أبي عُبَيدة فكان أبو عُبَيدة أولَ مَن سُمِّيَ أميرَ الأمراءِ

قد تقدَّم أن البَريدَ قدِم بموتِ الصِّدِّيق والمسلمون مُصَافُّو الروم يومَ اليَرْموك، وأن خالدًا كتَم ذلك عن المسلمين؛ لئلا يَقَعَ وَهَنٌ، فلما أصبَحوا أجلَى لهم الأمْرَ، وقال ما قال، ثم شرَع أبو عُبيدةَ في جَمْعِ الغَنيمةِ وتَخميسِها، وبعَث بالفتحِ والخُمُسِ مع قُباثِ بنِ أشْيَمَ إلى الحجازِ، ثم نُودِيَ بالرَّحيلِ إلى دمشقَ، فساروا حتى نزَلوا مَرْجَ الصُّفَّرِ، وبعَث أبو عُبَيْدةَ بينَ يديه طَليعةً أبا أُمامةَ الباهليَّ، ومعه رجلان من أصحابه. قال أبو أُمامةَ: فسِرْتُ، فلما كان ببعضِ الطريقِ أمَرْتُ الواحدَ، فكمَن هناك وسِرْتُ أنا والآخرُ، فلما كان ببعضِ الطريقِ أمَرْت الآخر، فكمَن هناك، ثم سرتُ أنا وَحْدي حتى جِئْتُ بابَ البلد وهو مُغْلَقٌ في الليلِ، وليس هناك أحدٌ، فنزَلْتُ وغرَزْتُ رُمْحي بالأرضِ، ونزَعْتُ لجَامَ فَرَسي، وعلَّقْتُ عليه مِخْلاتَه ونِمْتُ، فلما أصبَح الصَّباحُ قُمْتُ فتوَضَّأْتُ وصلَّيْتُ الفجرَ، فإذا بابُ المدينة يقَعْقِعُ، فلما فُتِح حمَلْتُ على البوَّابِ فطَعَنْتُه بالرُّمْحِ فقتَلْتُه، ثم رجَعْتُ والطَّلَبُ ورائي، فلما انْتَهَيْنا إلى الرجلِ الذي في الطريقِ من أصحابي ظَنُّوا أنه كَمينٌ فرجَعوا عني، ثم سِرْنا حتى أخَذْنا صاحبَنا الآخرَ، وجِئْتُ إلى أبي عُبَيدةَ فأخْبَرْتُه بما رأيْتُ، فأقام أبو عُبَيدةَ يَنْتَظِرُ كتابَ عمرَ فيما يَعْتَمِدُه من أمْرِ دمشقَ، فجاءه الكتابُ يأمُرُه بالمَسيرِ إليها، فساروا إليها حتى أحاطوا بها، واسْتَخْلَف أبو عُبَيدةَ على اليَرْموكِ بَشيرَ بنَ كعبٍ، في خَيْلٍ هناك.

وَقعةٌ جرَت بالعراقِ بعدَ مجيءِ خالدٍ إلى الشام

وذلك أن أهلَ فارسَ اجْتَمعوا بعدَ مَقْتلِ مَلِكهم وابنه على تَمْليك شَهْريارَ بنِ أَرْدشيرَ بنِ شَهْرِيارَ، واسْتَغْنَموا غَيْبةَ خالدٍ عنهم، فبَعَثوا إلى نائبِه المُثَنَّى بنِ حَارثَةَ جيشًا كثيفًا نحوًا من عشَرةِ آلافٍ، عليهم هُرْمُزُ بنُ جاذَوَيْه، وكتَب شَهْريارُ إلى المُثَنَّى: إني قد بعَثْتُ إليك جُنْدًا من وحْشِ أهلِ فارسَ، إنما هم رُعاةُ الدَّجاجِ والخَنازيرِ، ولسْتُ أُقاتِلُك إلا بهم. فكتَب إليه المُثَنَّى: من المُثَنَّى إلى شَهْريار، إنما أنت أحدُ رجلين؛ إمَّا باغٍ فذلك شرٌّ لك وخيرٌ لنا، وإمَّا كاذبٌ فأعْظَمُ الكاذبينَ عقوبةً وفَضيحةً عندَ اللهِ في

الناسِ المُلوكُ، وأمَّا الذي يَدُلُّنا عليه الرأيُ فإنَّكم إنَّما اضْطُررتم إليهم، فالحمدُ لله الذي ردَّ كيْدَكم إلى رُعاةِ الدَّجاجِ والخنازيرِ. قال: فجزِع أهلُ فارسَ من هذا الكتابِ، ولاموا شَهْريارَ على كتابه إليه واستَهْجَنوا رأيَه، وسار المُثنَّى من الحَرَّةِ إلى بابلَ، ولَمَّا التَقَى المُثنَّى وجَيْشُهم بمكانٍ عندَ عُدْوَةِ الصَّرَاةِ الأولى، اقْتَتلوا قتالاً شديدًا جدًّا، وأرْسَل الفرسُ فيلاً بينَ صُفوفِ الخيلِ ليُفَرِّقَ خُيولَ المسلمين، فحمَل عليه أميرُ المسلمين المُثنَّى بنُ حارثةَ فقتَله، وأمَر المسلمين فحمَلوا، فلم تكُنْ إلا هزيمةُ الفرسِ، فقتَلوهم قتلاً ذَريعًا، وغَنموا منهم مالاً عظيمًا، وفرَّت الفرسُ حتى انْتهَوْا إلى المَدائنِ في شرِّ حالةٍ، ووجَدوا الملكَ قد مات، فملَّكُوا عليهم ابنةَ كِسرَى بُورَانَ بنتَ أبَرْويزَ، فأقامت العَدْلَ، وأحْسَنَت السيرةَ، فأقامت سنةً وسبعةَ شُهورٍ، ثُم ماتتْ، فملَّكوا عليهم أُختَها آزَرْميدُخْتَ زنانَ، فلم يَنْتَظِمْ لهم أمْرٌ، فملَّكوا عليهم سابورَ بنَ شَهْريارَ، وجعَلوا أمْرَه إلى الفَرُّخْزاذِ بنِ البِنْدَوان، فزوَّجَه سابورُ بابنةِ كِسرَى آزَرْميدُخْتَ، فكَرِهَتْ ذلك وقالت: إنما هذا عبدٌ من عَبِيدنا. فلمَّا كان ليلةُ عُرْسِها عليه هَمُّوا إليه فقتَلوه، ثُم ساروا إلى سابورَ فقتَلوه أيضًا، وملَّكوا عليهم هذه المرأةَ، وهي آزَرْميدُخْتُ ابنةُ كسرى، ولعِبَت فارسُ بمُلكِها لَعِبًا كثيرًا، وآخِرُ ما استَقَرَّ أمْرُهم عليه في هذه السنة أن مَلَّكوا امرأةً، وقد قال رسولُ الله ﷺ: «لن يُفْلِحَ قومٌ ولَّوا أمْرَهم امرأةً».

وفي هذه الوَقْعةِ التي ذكَرْنا يقولُ عَبْدةُ بنُ الطَّبِيبِ السَّعْديُّ، وكان قد هاجَر لُمهاجَرَةِ حَليلةٍ له حتى شهِد وَقْعةَ بابلَ هذه، فلما آيَسَتْه رجَع إلى البادية وقال:

هل حَبْلُ خَوْلةَ بعدَ البَيْنِ مَوْصولُ ... أم أنتَ عنها بعيدُ الدارِ مشغولُ
وللأحِبَّةِ أيامٌ تَذَكَّرُها ... وللنَّوَى قبلَ يومِ البَيْنِ تَأويلُ
حَلَّتْ خُوَيْلةُ في حَيٍّ عَهِدْتُهمُ ... دونَ المدينةِ فيها الدِّيكُ والفيلُ
يُقارِعون رءوسَ العُجْمِ ضاحِيةً ... منهمْ فَوارسُ لا عُزْلٌ ولا مِيلُ

وقد قال الفَرَزْدَقُ في شعرِه يَذْكُرُ قَتْلَ المُثنَّى ذلك الفيلَ:

وبَيْتُ المُثَنَّى قاتلُ الفيلِ عَنْوةً ... ببابلَ إذ في فارسٍ مُلْكُ بابلِ

ثم إن المُثنَّى بنَ حارثةَ استَبْطأَ أخبارَ الصِّدِّيقِ لتَشاغُلِه بأهلِ الشامِ، وما فيه من حربِ اليَرْمُوك المتقدِّمِ ذكرُه، فسار المُثنَّى بنفسه إلى الصِّدِّيقِ، واستَناب على العراقِ بَشيرَ بنَ الخَصاصيةِ، وعلى المَسالحِ سعيدَ بنَ مُرَّةَ العِجْليَّ، فلمَّا انْتهى المُثنَّى إلى المدينة وَجدَ الصِّدِّيقَ في آخرِ مَرضِ الموتِ، وقد عَهِد إلى عمرَ بنِ الخطابِ، ولمَّا رأى الصِّدِّيقُ المُثنَّى قال لعمرَ: إذا أنا مُتُّ فلا تُمْسِيَنَّ حتى تَنْدُبَ الناس لحربِ أهلِ العراقِ مع المُثنَّى، وإذا فَتَح اللهُ على أُمَرائنا بالشام فارْدُدْ أصحابَ خالدٍ إلى العراقِ، فإنهم أعلَمُ بحَرْبِه. فلمَّا مات الصِّدِّيقُ نَدَب عمرُ المسلمين إلى الجهادِ بأرضِ العراقِ؛ لقلَّةِ مَن بَقِيَ فيه من المُقاتلةِ بعدَ خالدِ بنِ الوليد، فانْتَدَب خَلْقٌ، وأمَّر عليهم أبا عُبَيْدِ بنَ مسعودٍ، وكان شابًّا شجاعًا، خَبيرًا بالحربِ والمَكيدةِ. وهذا آخرُ ما يَتعلَّقُ بخبرِ العراقِ إلى آخرِ أيامِ الصِّدِّيقِ وأولِ دولةِ الفاروقِ.

خلافة عمر بن الخطاب
رضي الله عنه وأرضاه

كانت وفاةُ الصدِّيق، رضي اللهُ عنه، في يوم الإثنين عَشيةً. وقيل: بعدَ المغرب. ودُفن من ليلته، وذلك لثمانٍ بَقِينَ من جُمادَىٰ الآخرة سنةَ ثلاثَ عشْرة، بعدَ مرض خمسةَ عشرَ يومًا. وكان عمرُ بنُ الخطاب يُصلّي عنه فيها بالمسلمين، وفي أثناء هذا المرض عَهِدَ بالأمرِ من بعده إلى عمرَ بنِ الخطاب، وكان الذي كتَب العهدَ عثمانُ بن عفانَ، وقُرِئ على المسلمين فأقرُّوا به وسَمِعوا له وأطاعوا، فكانت خلافةُ الصدِّيق سنتَيْن وثلاثةَ أشهرٍ وعشرَةَ أيام. وقيل: وعشرين يومًا. وقيل: سنتين وأربعةَ أشهر. وكان عمْرُه يومَ تُوُفِّيَ ثلاثًا وستين سنةً، للسِّنِّ الذي تُوُفِّيَ فيه رسولُ الله ﷺ، وقد جَمَع اللهُ بينَهما في التُّربةِ كما جمَع بينَهما في الحَياة، فرَضِيَ اللهُ عنه وأرْضاه.

قال محمدُ بنُ سعد: عن أبي قَطَنٍ عمرِو بنِ الهَيْثم، عن الرَّبيع، عن حبّانَ الصائغ قال: كان نَقْشُ خاتَم أبي بكر: نِعْمَ القادرُ اللهُ. وهذا غريبٌ، وقد ذكَرْنا ترجمةَ الصدِّيق، رَضِيَ اللهُ عنه، وسيرتَه وأيامَه، وما روَىٰ من الأحاديث، وما رُوِيَ عنه من الأحْكام، في مُجلَّدٍ، ولله الحمدُ والمنةُ.

فقام بالأمرِ من بعده أتَمَّ القيام الفاروقُ أميرُ المؤمنين عمرُ بنُ الخطاب، رَضِيَ اللهُ عنه، وهو أولُ مَن سُمِّيَ بأمير المؤمنين، وكان أولَ مَن حيَّاه بها المُغيرةُ بنُ شُعْبةَ، وقيل: غيرُه. كما بَسَطْنا ذلك في ترجمة عمرَ بنِ الخطَّاب وسيرته التي أفرَدْناها في مُجلَّدٍ، ومُسْنَده والآثار المَرْوِيَّة، مُرَتَّبًا على الأبواب في مُجَلَّدٍ آخرَ، ولله الحمدُ.

وقد كَتَب بوفاة الصدِّيق إلى أُمراء الشام مع شدَّاد بنِ أوْسٍ، ومَحْمِيَةَ بنِ جَزْءٍ، فوصَلا والناسُ مُصافُّون جُيوشَ الروم يومَ اليَرْموك، كما قدَّمْنا، وقد أمَّر عمرُ على الجُيوش أبا عُبَيدةَ، وعزلَ خالدَ ابنَ الوليد.

وذكَر سَلَمةُ، عن محمد بنِ إسحاقَ، أن عمرَ إنما عزَل خالدًا لكلامٍ بلَغَه عنه، ولِمَا كان من أمْر مالكِ بنِ نُوَيرَةَ، وما كان يَعْتَمِدُه في حربه، فلما وُلِّيَ عمرُ كان أولَ ما تَكَلَّم به أن عزَل خالدًا، وقال: لا يَلِي لي عَمَلاً أبدًا. وكتَب عمرُ إلى أبي عُبَيدةَ: إنْ أكْذَبَ خالدٌ نفسَه فهو أميرٌ على ما كان عليه، وإن لم يُكذِبْ نفسَه فهو مَعْزولٌ، فانزِعْ عِمامتَه عن رأسه وقاسِمْه مالَه نصفَيْن. فلمَّا قال أبو عُبيدةَ ذلك لخالدٍ قال له خالدٌ: أمْهِلْني حتى أستَشيرَ أُختي. فذهَب إلى أخته فاطمةَ، وكانت تحتَ الحارث ابنِ هشام، فاستَشارها في ذلك، فقالت له: إن عمرَ لا يُحبُّك أبدًا، وإنه سيَعْزِلُك وإن أكذَبْتَ نفسَك. فقال لها: صَدَقْتِ والله. فقاسمَه أبو عُبيدةَ حتى أخَذَ أحدَ نَعْلَيْه وترَك له الآخرَ، وخالدٌ يقولُ: سَمْعًا وطاعةً لأمير المؤمنين.

وقد روَىٰ ابنُ جَرير، عن صالح بنِ كَيْسانَ أنه قال: كان أولَ كتابٍ كتَبه عمرُ إلى أبي عُبَيدةَ حينَ

وَلاه وعزَل خالدًا أن قال: وأُوصيك بتقوى الله الذي يبقى ويفنى ما سواه، الذي هدانا من الضَّلالة، وأخرجنا من الظُّلمات إلى النور، وقد استعملتُك على جُنْد خالد بن الوليد، فقُمْ بأمرهم الذي يحقُّ عليك، لا تُقدِّم المسلمين إلى هَلَكة رجاءَ غنيمة، ولا تُنزلهم منزلاً قبلَ أن تستريده لهم، وتعلَم كيف مأتاه، ولا تَبعث سريَّة إلا في كثف من الناس، وإياك وإلقاءَ المسلمين في الهَلَكة، وقد أبلاك اللهُ بي وأبلاني بك، فغُضَّ بصرك عن الدنيا، وألْهِ قلبَك عنها، وإياك أن تُهلِكَك كما أهلكَتْ مَن كان قبلَك، فقد رأيتَ مَصارعَهم. وأمَرهم بالمسير إلى دمشقَ، وذلك بعدما بلَغه الخبرُ بفتح اليرموك وجاءته به البِشارةُ، وحُمِل الخُمُسُ إليه.

وقد ذكَر ابنُ إسحاقَ أن الصَّحابةَ قاتلوا بعدَ اليرموك بأجنادينَ، ثُم بفِحْلٍ من أرض الغَوْرِ قريبًا من بَيْسانَ بمكانٍ يقالُ له: الرَّدْغَةُ. سُمِّي بذلك لكثرة ما لَقُوا من الأوحال فيها، ثُم لمَّا فَرَّت الرومُ من هذه الوقعة الجُئوهم إلى دمشقَ، فقصَدوهم فيها فأغلَقوها عليهم، وأحاط بها الصحابةُ. قال: وحينئذٍ جاءت الإمارةُ لأبي عُبَيدةَ من جهة عمرَ، وعُزِل خالدٌ. وهذا الذي ذكَره ابنُ إسحاقَ من مجيء الإمارة لأبي عُبَيدةَ في حصار دمشقَ هو المشهورُ.

ذكرُ فتح دمشقَ

قال سيفُ بنُ عمرَ: لما ارتَحل أبو عُبيدةَ من اليرموك، فنزَل بالجنود على مَرْج الصُّفَّر، وهو عازمٌ على حصار دمشقَ إذ أتاه الخبرُ بقُدوم مَددٍ لهم من حِمْصَ، وجاءه الخبرُ بأنه قد اجتَمع طائفةٌ كثيرةٌ من الروم بفِحْلٍ من أرض فلَسْطينَ، فهو لا يَدري بأيِّ الأمرَين يبدأُ، فكتَب إلى عمرَ في ذلك، فجاء الجوابُ أن ابْدَأْ بدمشقَ فإنها حصنُ الشام وبيتُ مملكتهم، فانْهَدْ لها واشغَلوا عنكم أهلَ فِحْلٍ بخيولٍ تكونُ تِلقاءَهم، فإن فتَحها اللهُ قبلَ دمشقَ فذلك الذي نُحبُّ، وإن فُتحت دمشقُ قبلَها فسِرْ أنت ومَن معك واستَخلِفْ على دمشقَ، فإذا فتَح اللهُ عليكم فِحْلاً فسِرْ أنت وخالدٌ إلى حِمْصَ واترُكْ عَمْرًا وشُرَحْبيلَ على الأُرْدُنِّ وفلَسْطينَ. قال: فسرَّح أبو عُبَيدةَ إلى فِحْلٍ عشَرةَ أُمراءَ، مع كلِّ أميرٍ خمسةُ أُمراءَ، وعلى الجميع عُمارةُ بنُ مَخْشيٍّ، صحابيٌّ، فساروا من مَرْج الصُّفَّر إلى فِحْلٍ، فوجَدوا الرومَ هنالك قريبًا من ثمانين ألفًا، وقد أرسَلوا المياهَ حولَهم حتى أردَغت الأرضُ، فسمَّوا ذلك الموضعَ الرَّدْغةَ، وفتَحها اللهُ على المسلمين، فكانت أولَ حصنٍ فُتح قبلَ دمشقَ[1]، على ما سيأتي تفصيله، ولله الحمدُ.

وبعَث أبو عُبيدةَ جيشًا يكونُ بينَ دمشقَ وبينَ فلَسْطينَ، وبعَث ذا الكَلاع في جيشٍ يكونُ بينَ دمشقَ وبينَ حِمْصَ؛ ليَرُدَّ مَن يَرِدُ إليهم من المَدَد من جهة هِرَقْلَ، ثم سار أبو عُبَيدةَ من مَرج الصُّفَّر قاصدًا دمشقَ، وقد جعَل خالدَ بنَ الوليد في القَلْب، وركِب أبو عُبَيدةَ وعمرُو بنُ العاص في

(١) رواه ابن جرير في «تاريخه» (٣/ ٤٣٦).

المُجَنَّبَتَيْن، وعلى الخيلِ عِياضُ بنُ غَنْم، وعلى الرَّجَّالة شُرَحْبِيلُ ابنُ حَسَنَةَ، فقدموا دمشقَ وعليها نِسْطاسُ بنُ نَسْطُورسَ، فنزَل خالدُ بنُ الوليد على الباب الشرقيِّ وإليه بابُ كَيْسانَ أيضًا، ونزَل أبو عُبيدةَ على باب الجابية الكبير، ونزَل يزيدُ بنُ أبي سُفيانَ على باب الجابية الصغير، ونزَل عمرُو بنُ العاص وشُرَحْبيلُ ابنُ حَسَنَةَ على بقية أبواب البلد، ونصَبوا المَجانيقَ والدَّبَّابات، وقد أرْصَد أبو عُبَيدةَ أبا الدَّرْداء على جيش ببَرْزَةَ يكونون رِدْءًا له، وكذا الذي بينَه وبينَ حِمْصَ، وحاصَروها حصارًا شديدًا سبعين ليلةً، وقيل: أربعةَ أشهر. وقيل: ستةَ أشهر. وقيل: أربعةَ عشَرَ شهرًا. فاللهُ أعلمُ.

وأهلُ دمشقَ مُمْتَنِعون منهم غايةَ الامْتناع، ويُرْسِلون إلى مَلِكِهم هِرَقْلَ وهو مُقيمٌ بحِمْصَ، يَطْلُبون منه المَدَدَ، فلا يُمْكِنُ وصولُ المَدَدِ إليهم من ذي الكَلاع الذي قد أرْصَده أبو عُبَيدةَ، رضي اللهُ عنه، بينَ دمشقَ وبينَ حِمْصَ - عن دمشقَ ليلةً - فلما أيْقَن أهلُ دمشقَ أنه لا يَصِلُ إليهم مَدَدٌ أبْلَسوا وفشِلوا وضَعُفُوا، وقوِيَ المسلمون واشْتَدَّ حِصارُهم، وجاء فصلُ الشِّتاء واشْتَدَّ البردُ وعسُر الحالُ وعَسُرُ القتالُ، فقدَّر اللهُ الكَبيرُ المُتَعالي، ذو العزَّةِ والجلال، أن وُلِد لبِطْرِيقِ دمشقَ مولودٌ في تلك الليالي، فصَنَع لهم طعامًا وسَقَاهم بعدَه شَرابًا، وباتوا عندَه في وليمته قد أكَلوا وشرِبوا وتَعِبوا، فناموا عن مَواقفِهم، واشْتَغلوا عن أماكنِهم، وفَطِن لذلك أميرُ الحرب خالدُ بنُ الوَليد، فإنه كان لا يَنامُ ولا يَتْرُكُ أحدًا يَنامُ، بل مُراصِدٌ لهم ليلًا ونَهارًا، وله عُيونٌ وقُصَّادٌ يَرْفَعون إليه أحوالَ المُقاتلة صَباحًا ومَساءً، فلمَّا رأى خَمْدَةَ تلك الليلة، وأنه لا يُقاتِلُ على السُّور أحدٌ، كان قد أعَدَّ سَلاليمَ من حِبال، فجاء هو وأصحابُه من الصَّناديد الأبْطال، مثلَ القَعْقاع بن عمرٍو ومَذْعورِ بن عَدِيٍّ، وقد أحْضَر جيشَه عندَ الباب، وقال لهم: إذا سمِعْتُم تَكْبيرَنا فوقَ السُّور فارْقَوْا إلينا. ثم نهَد هو وأصحابه فقطَعوا الخَندَقَ سِباحةً بقِرَبٍ في أعْناقِهم، ثم نَصبوا تلك السَّلالمَ وأثْبَتوا أعاليَها بالشُّرُفات، وأكَّدوا أسافلَها خارجَ الخَنْدق، وصعِدوا فيها، فلما استَوَوا على السُّور رفَعوا أصواتَهم بالتَّكْبير، وجاء المسلمون فصعِدوا في تلك السَّلالم وانحَدر خالدٌ وأصحابُه الشُّجْعانُ من السُّور إلى البَوَّابين فقتَلوهم، وقطَع خالدٌ وأصحابُه أغاليقَ الباب بالسُّيوف وفتَحوا البابَ، فدخَل الجيشُ الخالديُّ من الباب الشَّرْقيِّ، ولمَّا سمِع أهلُ البلد التَّكْبيرَ ثاروا، وذهَب كلُّ فَريقٍ إلى أماكنِهم من السُّور، لا يَدْرُون ما الخَبرُ، فجعَل كلما قدِم أحدٌ من أصحاب الباب الشَّرْقيِّ قتَلَه أصحابُ خالدٍ، ودخَل خالدٌ البلدَ عَنْوةً، فقتَل مَن وجَده، وذهَب أهلُ كلِّ بابٍ فسألوا من أميرِهم الذي عندَ البابِ من خارجِ الصُّلْحَ - وقد كان المسلمون دَعَوْهم إلى المُشاطَرة فيأبَون عليهم - فلما دَعَوْهم إلى ذلك أجابوهم، ولم يَعْلَمْ بقيَّةُ الصَّحابة ما صنَع خالدٌ، ودخَل المسلمون من كلِّ جانبٍ وبابٍ، فوجَدوا خالدًا وهو يَقْتُلُ مَن وجَده، فقالوا له: إنا قد أمَّنَّاهم. فقال: إني فتَحْتُها عَنوةً. والْتَقَت الأُمراءُ في وسَط البلد عندَ كَنيسة المِقْسلاط بالقرب من دَرْبِ الرَّيْحان اليومَ. هكذا ذكَره سيفُ بنُ عمرَ وغيرُه، وهو المَشْهورُ أن خالدًا فتَح البابَ قَسْرًا.

وقال آخرون: بل الذي فتَحها عَنْوةً أبو عُبَيدةَ، وقيل: يزيدُ بنُ أبي سُفيانَ، وخالدٌ صالَح أهلَ

البلد. فعكَسوا المشهورَ المعروفَ. واللهُ أعلمُ.

وقد اختلَف الصحابةُ، فقال قائلون: هي صلحٌ. يعني على ما صالحَهم الأميرُ في نفسِ الأمرِ، وهو أبو عُبَيدةَ. وقال آخرون: بل هي عَنْوةٌ. لأن خالدًا افتَتَحها بالسَّيفِ أولاً كما ذكَرنا، فلمَّا أحَسُّوا بذلك ذهَبوا إلى بقيَّةِ الأمراءِ، ومنهم أبو عُبَيدةَ فصالَحوهم، فاتَّفقوا فيما بينَهم على أن جَعَلوا نصفَها صُلْحًا ونصفَها عَنْوةً، فملَك أهلُها نصفَ ما كان بأيديهم وأقَرُّوا عليه، واستَقَرَّت يدُ الصَّحابةِ على النِّصفِ. ويُقَوِّي هذا ما ذكَره سيفُ بنُ عمرَ من أن الصحابةَ كانوا يَطْلُبون إليهم أن يُصالِحوهم على المُشاطَرةِ فيَأْبَوْن، فلمَّا أحَسُّوا باليَأْسِ أنابوا إلى ما كانت الصحابةُ دَعَوْهم إليه فبادَروا إلى إجابتِهم. ولم يَعْلَمِ الصحابةُ بما كان من خالدٍ إليهم. واللهُ أعلمُ.

ولهذا أخَذ الصَّحابةُ نصفَ الكَنيسةِ العُظْمَى التي كانت بدمشقَ، وتُعْرفُ بكَنيسةِ يُوحَنَّا، فاتَّخذوا الجانبَ الشَّرقيَّ منها مسجدًا، وأبْقَوْا لهم نصفَها الغربيَّ كَنيسةً، وقد أبْقَوا لهم مع ذلك أربعَ عشْرَةَ كَنيسةً أخرى مع نصفِ الكَنيسةِ المعروفةِ بيُوحَنَّا، والتي هي جامعُ دمشقَ اليومَ، وقد كتَب لهم بذلك خالدُ بنُ الوليدِ كتابًا، وكتَب فيه شَهادتَه أبو عُبَيدةَ وعمرُو بنُ العاصِ ويَزيدُ وشُرَحْبيلُ؛ إحداها كنيسةُ المِقْسلاطِ التي اجْتَمع عندَها أُمراءُ الصَّحابةِ، وكانت مَبْنيَّةً على ظَهْرِ السوقِ الكبيرِ، وهذه القَناطرُ المُشاهَدةُ في سُوقِ الصابونيِّين من بقيَّةِ القَناطرِ التي كانت تحتَها، ثم بادت فيما بعدُ، وأُخِذَت حجارتُها في العِماراتِ. الثانيةُ: كنيسةٌ كانت في رأسِ دَرْبِ القُرَشيِّين، وكانت صغيرةً. قال الحافظُ ابنُ عَساكرَ: وبعضُها باقٍ إلى اليومِ، وقد تشعَّث. الثالثةُ: كانت بدارِ البِطِّيخِ العَتيقةِ. قلتُ: وهي داخلَ البلدِ بقربِ الكُوشَك، وأظُنُّها هي المسجدَ الذي قِبَلَ هذا المكانِ المذكورِ، فإنها خَرِبت من دَهرٍ. واللهُ أعلَمُ. الرابعةُ: كانت بضرْبِ بني نَصْرٍ بينَ دَرْبِ الحَبَّالين ودَرْبِ التَّميميِّ. قال الحافظُ ابنُ عَساكرَ: وقد أدرَكْتُ بعضَ بُنْيانِها، وقد خَرِب أكثرُها. الخامسةُ: كنيسةُ بُولصَ. قال ابنُ عَساكرَ: وكانت غربيَّ القَيْساريَّةِ الفخريةِ، وقد أدرَكْتُ من بُنْيانها بعضَ أساسِ الحَنْيَةِ. السادسةُ: كانت في مَوْضِعِ دارِ الوَكالةِ، وتُعْرفُ اليومَ بكنيسةِ القَلانسيِّين. قلتُ: والقلانسيِّين هي الخَوَّاصين اليومَ. السابعةُ: التي بدَرْبِ السقيلِ اليومَ، وتُعْرفُ بكَنيسةِ حُمَيدِ بنِ دُرَّةَ سابقًا؛ لأن هذا الدَّرْبَ كان إقْطاعًا له، وهو حميدُ بنُ عمرِو بنِ مُساحقٍ القُرَشيُّ العامريُّ، ودُرَّةُ أُمُّه، وهي دُرَّةُ بنتُ أبي هاشمِ بنِ عُتْبةَ بنِ رَبيعةَ، فأبوها خالُ مُعاويةَ. وكان قد أُقْطِع هذا الدَّرْبَ فنُسِبَت هذه الكنيسةُ إليه، وكان مسلمًا، ولم يَبْقَ لهم اليومَ سواها، وقد خَرِب أكثرُها. ولليَعْقُوبيَّةِ منهم كَنيسةٌ داخلَ بابِ تُوما بينَ رَحْبةِ خالدٍ -وهو خالدُ بنُ أَسيدِ بنِ أبي العِيصِ- وبينَ دَرْبِ طَلْحةَ بنِ عمرِو بنِ مُرَّةَ الجُهَنيِّ، وهي الكَنيسةُ الثامنةُ، وكانت لليَعْقوبيِّين كنيسةٌ أخرى فيما بينَ دَرْبِ السُّوسيِّ وسُوقِ عليٍّ. قال ابنُ عَساكرَ: قد بَقِيَ من بُنْيانِها بعضُه، وقد خَرِبت منذُ دَهْرٍ. وهي الكَنيسةُ التاسعةُ. وأما العاشرةُ فهي الكَنيسةُ المُصلَّبةُ، قال الحافظُ ابنُ عَساكرَ: وهي باقيةٌ إلى اليومِ بينَ البابِ الشرقيِّ وبابِ تُوما بقربِ النَّيْبَطُنِ

عندَ السُّورِ. والناسُ اليومَ يقولون: النَّيبَطُونُ. قال ابنُ عَساكرَ: وقد خَرِب أكثرُها. هكذا قال، وقد خربت هذه الكنيسةُ وهُدِمَت في أيامِ صَلاحِ الدِّينِ فاتحِ القدسِ بعدَ الثمانين وخمسِمائةٍ بعدَ موتِ الحافظِ ابنِ عَساكرَ، رحمه اللهُ. الحاديةَ عشْرةَ: كَنيسةُ مَرْيَمَ داخلَ البابِ الشَّرْقيِّ. قال ابنُ عَساكرَ: وهي مِن أكبرِ ما بَقِيَ بأيديهم. قلتُ: ثم خَرِبت بعدَ موته بدَهْرٍ في أيامِ الملكِ الظَّاهرِ رُكْنِ الدِّينِ بَيْبَرسَ البُنْدُقْدارِيِّ، علىٰ ما سيأتي بيانُه. الثانيةَ عشْرةَ: كنيسةُ اليَهودِ التي بأيديهم اليومَ في حارتِهم، ومَحلُّها مَعْروفٌ بالقُرْبِ مِن الحيرِ وتُسَمِّيه الناسُ اليومَ بُسْتانَ القطِّ، وكانت لهم كَنيسةٌ في دَرْبِ البلاغةِ، لم تَكُنْ داخلةً في العَهْدِ، فهُدِمتْ فيما بعدُ، وجُعِل مكانَها المسجدُ المَعْروفُ بمسجدِ ابنِ الشَّهْرزُوريِّ، والناسُ اليومَ يقولون: دَرْبُ الشاذوريِّ.

قلتُ: وقد أُخْرِبَت لهم كنيسةٌ كانوا قد أحْدَثوها لم يَذْكُرُها أحدٌ مِن عُلماءِ التاريخِ، لا ابنُ عَساكرَ ولا غيرُه، وكان إخْرابُها في حدودِ سنةِ سبعَ عشْرةَ وسبعِمائةٍ، ولم يَتَعَرَّضِ الحافظُ ابنُ عَساكرَ لذكرِ كنيسةِ السامِرةِ بمَرَّةٍ. ثم قال ابنُ عَساكرَ: ومما أَحْدَث - يعني النَّصارىٰ - كنيسةٌ بناها أبو جَعْفرٍ المنصورُ لبني قطيطا في الفورنقِ عندَ قَناةِ صالحٍ قريبًا مِن دارِ بَهَادُرْ آص اليومَ، وقد أُخْرِبت فيما بعدُ، وجُعِلت مَسْجدًا يُعْرَفُ بمسجدِ الجينيقِ، وهو مسجدُ أبي اليمنِ. قال: ومما أُحْدِث كنيستا العُبّادِ؛ إحداهما عندَ دارِ ابنِ الماشَكيِّ، وقد جُعِلت مسجدًا، والأخرىٰ التي في رأسِ دَرْبِ النقّاشِينَ، وقد جُعِلت مسجدًا. انتهىٰ ما ذكَره الحافظُ ابنُ عَساكرَ الدِّمَشقيُّ، رحمه اللهُ.

قلت: وظاهرُ سِياقِ سيفِ بنِ عمرَ يَقْتَضِي أن فتحَ دمشقَ وقَع في سنةِ ثلاثَ عشْرةَ، ولكن نصَّ سيفٌ علىٰ ما نصَّ عليه الجُمهورُ مِن أنها فُتِحت في نصفِ رَجَبٍ سنةَ أرْبعَ عشْرةَ. وكذا حكاه الحافظُ ابنُ عَساكرَ مِن طريقِ محمدِ بنِ عائذٍ القُرَشيِّ الدمشقيِّ، عن الوليدِ بنِ مسلمٍ، عن عثمانَ بنِ حِصْنِ ابنِ عَلاقٍ، عن يزيدَ بنِ عُبَيدةَ، قال: فُتِحت دمشقُ سنةَ أربعَ عشْرةَ. ورواه دُحَيْمٌ، عن الوليد، قال: سمعت أشيخانا يقولون: إن دمشق فُتِحَتْ سنة أربع عشرة وهكذا قال سعيدُ بنُ عبدِ العزيزِ وأبو مَعْشَرٍ ومحمدُ بنُ إسحاقَ ومَعْمَرٌ والأُمَويُّ - وحكاه عن مَشايخِه - وابنُ الكَلْبيِّ وخَليفةُ بنُ خَيَّاطٍ وأبو عُبَيْدٍ القاسمُ بنُ سَلامٍ؛ أنَّ فتْحَ دمشقَ كان في سنةِ أربعَ عشْرةَ. وزاد سعيدُ بنُ عبدِ العزيزِ وأبو مَعْشَرٍ والأُمويُّ: وكانت اليَرْمُوكُ بعدَها بسنةٍ. وقال بعضُهم: بل كان فَتْحُها في شوالٍ سنةَ أربعَ عشْرةَ. وقال خَليفةُ: حاصَرهم أبو عُبَيدة في رجبٍ وشعبانَ ورَمضانَ وشَوَّالٍ، وتَمَّ الصُّلْحُ في ذي القَعْدة. وقال الأُمويُّ في «مَغازيه»: كانت وَقْعةُ أجْنادِينَ في جُمادَىٰ الأولىٰ، ووَقْعةُ فِحْلٍ في ذي القَعْدة من سنةِ ثلاثَ عشْرةَ. يعني: ووَقْعةُ دِمشقَ سنةَ أرْبَعَ عشْرةَ. وقال دُحَيْمٌ عن الوليدِ: حدَّثني الأُمويُّ أن وَقْعةَ فِحْلٍ وأجْنادِينَ كانت في خلافةِ أبي بكرٍ، ثم مضَىٰ المسلمون إلىٰ دمَشقَ، فنزَلوا عليها في رجبٍ سنةَ ثلاثَ عشْرةَ. يعني ففتَحوها في سنةِ أربعَ عشْرةَ. وكانت اليرمُوكُ سنةَ خمسَ عشْرة، وقدِم عمرُ إلىٰ بيتِ المقدسِ سنةَ ستَّ عشْرةَ.

فصلٌ

واختلف العلماءُ في دمشقَ؛ هل فُتحت صُلْحًا أو عَنوةً؟ فأكثرُ العُلماء على أنه استَقرَّ أمرُها على الصُّلح؛ لأنَّهم شكُّوا في المُتَقدِّم على الآخر؛ أفُتحت عَنوةً ثم عدَلَ الرومُ إلى المُصالحة، أو فُتحت صُلْحًا واتَّفق الاستيلاءُ من الجانب الآخر قَسْرًا؟ فلما شكُّوا في ذلك جَعَلوها صُلْحًا احتياطًا وقيل: بل جُعل نصفُها صُلْحًا ونصفُها عَنوةً. وهذا القولُ قد يَظهَرُ من صَنيع الصَّحابة في الكَنيسة العُظمى التي كانت أكبرَ مَعابدهم، حينَ أخذوا نصفَها وتركوا لهم نصفَها. واللهُ أعلمُ.

ثم قيل: إن أبا عُبَيدةَ هو الذي كتَب لهم كتابَ الصُّلح، وهذا هو الأنسبُ والأشهرُ، فإن خالدًا كان قد عُزل عن الإمْرة. وقيل: بل الذي كتَب لهم الصلحَ خالدُ بنُ الوليد، ولكن أقرَّه على ذلك أبو عُبيدةَ. فاللهُ أعلمُ.

وذكَر أبو حُذَيفةَ إسحاقَ بنُ بِشْر أن الصِّدِّيقَ تُوُفِّيَ قبلَ فتح دِمَشقَ، وأن عمرَ كتَب إلى أبي عُبَيدةَ يُعزِّيه والمسلمين في الصِّدِّيق، وأنه قد استَنابه على مَن بالشام، وأمَره أن يَستَشيرَ خالدًا في الحرب، فلمَّا وصَل الكتابُ إلى أبي عُبَيدةَ كتَمه من خالد حتَّى فُتحتْ دمشقُ بنحو من عشرين ليلة، فقال له خالدٌ: يَرْحَمُك اللهُ، ما مَنَعك أن تُعْلِمَني حينَ جاءك؟ فقال: إني كَرِهتُ أن أكْسرَ عليك حَرْبَك، وما سُلْطانَ الدنيا أُريدُ، ولا للدنيا أَعْمَلُ، وما تَرَىٰ سيَصيرُ إلى زَوالٍ وانقطاع، وإنما نحن إخوانٌ، وما يَضُرُّ الرجلَ أن يَلِيَه أخوه في دينه ولا دُنياه.

ومن أعْجَب ما يُذْكَرُ ههنا ما رَواه يعقوبُ بنُ سُفيانَ الفَسَويُّ، حدَّثنا هشامُ بنُ عَمَّار، ثنا عبدُالملك ابنُ محمد، ثنا راشدُ بنُ داودَ الصَّنْعانيُّ، حدَّثني أبو عُثمانَ الصَّنْعانيُّ شَراحيلُ بنُ مَرْثَد، قال: بعَث أبو بكرٍ خالدَ بنَ الوَليد إلى أهل اليمامة، وبعَث يزيدَ بنَ أبي سُفيانَ إلى الشام. فذكَر الراوي قتالَ خالد لأهل اليَمامة، إلى أن قال: ومات أبو بكر واستَخلَف عمرَ، فبعَث أبا عُبَيدةَ إلى الشام، فقدِم دمشقَ، فاستَمَدَّ أبو عُبيدةَ عمر، فكتَب عمرُ إلى خالد بن الوليد أن يَسيرَ إلى أبي عُبَيدةَ بالشام. فذكَر مَسيرَ خالد من العراق إلى الشام كما تقدَّم. وهذا غريبٌ جدًّا، فإن الذي لا يُشَكُّ فيه أن الصِّدِّيقَ هو الذي بعَث أبا عُبَيدةَ وغيرَه من الأُمراء إلى الشام، وهو الذي كتَب إلى خالد بن الوَليد أن يَقْدَمَ من العراق إلى الشام ليكونَ مَدَدًا لمن به وأميرًا عليهم، ففتَح اللهُ تعالى عليه وعلى يَدَيْه جميعَ الشام، على ما سنَذكُرُه إن شاء اللهُ تعالى.

وقال محمدُ بنُ عائذ: قال الوليدُ بنُ مُسْلم: أخبَرني صَفْوانُ بنُ عمرو، عن عبد الرحمن بن جُبَير ابن نُفَيْر، أن المسلمين لمَّا افتَتَحوا مدينةَ دمشقَ بعَثوا أبا عُبَيدةَ بنَ الجَرَّاح وافدًا إلى أبي بكر بشيرًا بالفتح، فقدم المدينةَ فوجَد أبا بكر قد تُوُفِّيَ، واستَخلف عمرَ بنَ الخطَّاب، فأعْظَم أن يَتَأمَّرَ أحدٌ من أصْحابه عليه، فوَلَّاه جماعةَ الناس، فقدِم عليهم فقالوا: مَرْحبًا بمَن بعَثْناه بَريدًا فقدِم علينا أميرًا.

وقد روى الليثُ وابنُ لَهِيعةَ وحَيْوةُ بنُ شُرَيحٍ ومُفَضَّلُ بنُ فَضالةَ وعمرُو بنُ الحارثِ وغيرُ واحدٍ، عن يزيدَ بنِ أبي حَبيبٍ، عن عبدِ اللهِ بنِ الحَكَمِ، عن عُلَيِّ بنِ رَباحٍ، عن عُقْبةَ بنِ عامرٍ، أنه بعَثه أبو عُبَيدةَ بَريدًا بفَتْحِ دمشقَ. قال: فقدِمْتُ على عمرَ يومَ الجُمُعةِ فقال لي: منذ كم لم تَنزِعْ خُفَّيْكَ؟ فقلتُ: من يومِ الجُمُعةِ وهذا يومُ الجُمُعةِ. فقال: أصَبْتَ السُّنَّةَ. قال الليثُ: وبه نأخُذُ. يعني أن المسحَ على الخُفَّيْنِ للمسافرِ لا يَتَأَقَّتُ، بل له أن يَمْسَحَ عليهما ما شاء، وإليه ذهَب الشافعيُّ في القديمِ. وقد روى أحمدُ وأبو داودَ، عن أُبَيِّ بنِ عُمارةَ مَرْفوعًا مثلَ هذا [١]، والجمهورُ على ما رواه مُسْلمٌ عن عليٍّ في تأْقيتِ المَسْحِ؛ للمُسافرِ ثلاثةُ أيامٍ ولَياليهن، وللمقيمِ يومٌ وليلةٌ [٢]. ومن الناسِ مَن فصَل بينَ البَريدِ ومَن في معناه وغيرِه، فقال في الأولِ: لا يَتَأَقَّتُ. وفيما عداه: يَتَأَقَّتُ؛ لحديثِ عُقْبةَ وحديثِ عليٍّ. واللهُ أعلمُ.

فصلٌ

ثم إنَّ أبا عُبَيدةَ بعَث خالدَ بنَ الوليدِ إلى البِقاعِ ففتَحه بالسيفِ، وبعَث سَرِيَّةً فالْتَقَوْا مع الرومِ بعينِ ميسنونَ، وعلى الرومِ رجلٌ يقالُ له: سِنانٌ. تَحَدَّر على المسلمين من عَقَبةِ بَيْروتَ، فقُتِل من المسلمين يومَئذٍ جماعةٌ من الشُّهداءِ فكانوا يُسَمُّون عينَ ميسنونَ عينَ الشُّهداءِ. واسْتَخْلف أبو عُبَيدةَ على دمشقَ يزيدَ بنَ أبي سُفْيانَ، كما وعَده بها الصِّدِّيقُ، وبعَث يزيدُ دِحْيةَ بنَ خَليفةَ إلى تَدْمُرَ في سَرِيَّةٍ ليُمَهِّدوا أمْرَها، وبعَث أبا الزَّهْراءِ القُشَيْريَّ إلى البَثَنِيَّةِ وحَوْرانَ فصالَح أهْلَها.

قال أبو عُبَيد القاسمُ بنُ سَلامٍ، رحمه اللهُ: افْتَتَح خالدٌ دمشقَ صُلْحًا، وهكذا سائرُ مُدُنِ الشامِ كانت صُلْحًا دونَ أرضِها، فعلى يدَيْ يزيدَ بنِ أبي سفيانَ وشُرَحْبيلَ ابنِ حَسَنةَ وأبي عُبَيدةَ. وقال الوليدُ بنُ مسلمٍ: أخْبَرني غيرُ واحدٍ من شُيوخِ دمشقَ أن المسلمين بينما هم على حصارِ دمشقَ إذ أقْبَلت خَيْلٌ من عَقَبةِ السَّلَمْيَةِ مُخَمَّرَةٌ بالحَريرِ، فثار إليهم المسلمون، فالْتَقَوْا فيما بينَ بيتِ لَهْيَا والعَقَبةِ التي أقْبَلوا منها، فهزَموهم وطَرَدُوهم إلى أبوابِ حِمْصَ، فلما رأى أهلُ حِمْصَ ذلك ظَنُّوا أنهم قد فتَحوا دمشقَ، فقال لهم أهلُ حِمْصَ: إنا نُصالحُكم على ما صالَحْتُم عليه أهلَ دمَشقَ. ففعَلوا.

وقال خَليفةُ بنُ خَيَّاطٍ: حدَّثني عبدُ اللهِ بنُ المُغيرةِ، عن أبيه قال: افْتَتَح شُرَحْبيلُ ابنُ حَسَنةَ الأُرْدُنَّ كلَّها عَنْوةً ما خلا طَبَرِيَّةَ، فإنَّ أهلَها صالَحوه. وهكذا قال ابنُ الكَلْبيِّ. وقالا: بعَث أبو عُبَيدةَ خالدًا فغلَب على أرضِ البِقاعِ، وصالَحه أهلُ بَعْلَبَكَّ وكتَب لهم كتابًا. وقال ابنُ المُغيرةِ عن أبيه: وصالَحهم على أنْصافِ مَنازِلِهم وكَنائسِهم، ووَضَع الخَراجَ. وقال ابنُ إسحاقَ وغيرُه: وفي سنةِ أربعَ عشْرةَ فُتِحت حِمْصُ وبَعْلَبَكُّ صُلْحًا على يدَيْ أبي عُبَيدةَ في ذي القَعْدةِ. قال خَليفةُ: ويقالُ: في سنةِ خمسَ عشْرةَ.

---

(١) **ضعيف** رواه أبو داود (١٥٨) وابن ماجه (٥٥٧) وفي سنده اثنان؛ الأول: محمد بن يزيد مجهول والثاني: أيوب بن قطن ضعيف.

(٢) **صحيح** رواه مسلم (٢٧٦) وابن ماجه (٥٥٢).

وَقْعَةُ فِحْلٍ، بكسر الفاءِ، قيل: والحاءِ. والصحيحُ تسكينُها

قد ذكَرها كثيرٌ مِن عُلماءِ السِّيَرِ قبلَ فتحِ دِمشقَ، وإنما ذكَرها الإمامُ أبو جعفرِ بنُ جَريرٍ بعدَ فتحِ دِمشقَ، وتبع في ذلك سِياقَ سيفِ بنِ عمرَ، فيما رَواه عن أبي عُثمانَ يزيدَ بنِ أَسيدٍ الغَسَّانيِّ وأبي حارثةَ العَبْشَميِّ قالا: خلَّف الناسُ يزيدَ بنَ أبي سُفيانَ في خَيْلِه في دِمشقَ، وساروا نحو فِحْلٍ، وعلى الناسِ الذين هم بالغَوْرِ شُرَحْبيلُ ابنُ حَسَنةَ، وسار أبو عُبَيدةَ وقد جعَل على المُقَدِّمةِ خالدَ بنَ الوليدِ، وأبو عُبَيدةَ على المَيمنةِ، وعمرو بنَ العاصِ على المَيسَرةِ، وعلى الخَيْلِ ضِرارَ بنَ الأزْوَرِ، وعلى الرَّجَّالةِ عِياضَ بنَ غَنْمٍ، فوصَلوا إلى فِحْلٍ، وهي بَلْدةٌ بالغَوْرِ، وقد انْحاز الرومُ إلى بَيْسانَ، وأرْسَلوا مِياهَ تلك الأراضي على ما هنالك مِن الأراضي، فحال بينَهم وبينَ المسلمين، وأرسَل المسلمون إلى عمرَ يُخْبِرونه بما هم فيه مِن مُصابَرةِ عدوِّهم، وما صنَعه الرومُ مِن تلك المَكيدةِ، إلا أن المسلمين في عَيْشٍ رَغيدٍ ومَدَدٍ كثيرٍ، وهم على أُهْبَةٍ مِن أمْرِهم، وأميرُ هذا الحربِ شُرَحْبيلُ ابنُ حَسَنةَ، وهو لا يَبِيتُ ولا يُصْبِحُ إلا على تَعْبِئةٍ، وظَنَّ الرومُ أن المسلمين على غِرَّةٍ، فركِبوا في بعضِ الليالي لِيُبَيِّتوهم، وعلى الرومِ سِقْلابُ بنُ مخراقَ، فهجَموا على المسلمين فنهَضوا إليهم نَهْضَةَ رجلٍ واحدٍ؛ لأنهم على أُهْبَةٍ دائمًا، فقاتَلوهم حتى الصباحِ وذلك اليومَ بكمالِه إلى الليلِ، فلما أظْلَم الليلُ فرَّ الرومُ وقُتِل أميرُهم سِقْلابُ، وركِب المسلمون أكْتافَهم وأسْلَمَتْهم هَزِيمَتُهم إلى ذلك الوَحْلِ الذي كانوا قد كادوا به المسلمين، فغرَّقهم اللهُ فيه، وقتَل منهم المسلمون بأطرافِ الرِّماحِ ما قارَب الثمانين ألفًا، لم يَنْجُ منهم إلا الشَّرِيدُ، وغَنِموا منهم شيئًا كثيرًا ومالًا جَزِيلًا، وانْصَرف أبو عُبَيدةَ وخالدٌ بمَن معهما مِن الجُيوشِ نحوَ حِمْصَ، كما أمَر أميرُ المؤمنين عمرُ بنُ الخَطَّابِ، واسْتَخْلف أبو عُبَيدةَ على الأُرْدُنِّ شُرَحْبيلَ ابنَ حَسَنةَ، فسارَ شُرَحْبيلُ ومعه عمرُو بنُ العاصِ، فحاصَر بَيْسانَ، فخَرَجوا إليه فقتَل منهم مَقْتَلةً عظيمةً، ثم صالَحوه على مثلِ ما صالَحَتْ عليه دمشقُ، وضرَب عليهم الجزيةَ، والخَراجَ على أراضيهم، وكذلك فعَل أبو الأعْورِ السُّلَميُّ بأهلِ طَبَرِيَّةَ سواءً.

فصلٌ فيما وقع بأرضِ العراقِ في هذه المدَّةِ من القتالِ

قد قدَّمْنا أن المُثَنَّى بنَ حارثةَ لما سار خالدٌ مِن العراقِ بمَن صحِبه إلى الشامِ - وقد قيل: إنه سار بتسعةِ آلافٍ. وقيل: بثلاثةِ آلافٍ. وقيل: بسبعِمائةٍ. وقيل: بأقلَّ. إلا أنهم صَناديدُ جيشِ العراقِ - فأقام المُثَنَّى بمَن بَقِيَ، فاسْتَقَلَّ عددَهم، وخاف مِن سَطْوةِ الفُرْسِ لولا اشْتغالُهم بتَبْديلِ مُلوكِهم ومَلِكاتِهم، واسْتَبْطأ المُثَنَّى خبرَ الصِّدِّيقِ، فسار إلى المدينةِ، فوجَد الصِّدِّيقَ في السِّياقِ، فأخْبَره بأمْرِ العراقِ فأوْصَى الصِّدِّيقُ عمرَ أن يَنْدُبَ الناسَ لقِتالِ أهلِ العِراقِ، فلما مات الصِّدِّيقُ ودُفِن ليلةَ الثلاثاءِ،

أصبح عمرُ فندبَ الناسَ وحثَّهم على قتال أهل العراق، وحرَّضهم ورغَّبهم في الثَّواب على ذلك، فلم يَقُمْ أحدٌ؛ لأن الناسَ كانوا يكرهون قتالَ الفُرْس؛ لقوة سَطْوتهم، وشدة قتالهم، ثم ندبهم في اليوم الثاني والثالث، فلم يَقُمْ أحدٌ، وتكلَّم المُثَنَّى بنُ حارثةَ فأحْسَنَ، وأخبرهم بما فتح اللهُ تعالى على يَدَي خالدٍ من مُعظم أرض العراق، وما لهم هنالك من الأموال والأملاك والأمتعة والزاد، فلم يَقُمْ أحدٌ في اليوم الثالث، فلما كان اليومُ الرابعُ كان أولَ مَن انْتَدَبَ من المسلمين أبو عُبَيد بنُ مَسْعودٍ الثقفيُّ(١)، ثم تتابع الناسُ في الإجابة، وأمَّر عمرُ طائفةً من أهل المدينة، وأمَّر على الجميع أبا عُبَيدٍ هذا، ولم يَكُنْ صحابيًّا(١)، فقيل لعمرَ: هلاَّ أمَّرْتَ عليهم رجلاً من الصَّحابة؟ فقال: إنما أُؤَمِّرُ أولَ مَن استجاب، إنكم إنما سَبَقْتُم الناسَ بنُصْرة هذا الدِّين، وإن هذا هو الذي استجاب قبلَكم. ثم دعاه فوصَّاه في خاصَّة نفسه بتقوى الله وبمن معه من المسلمين خيرًا، وأمَره أن يَسْتشيرَ أصحابَ رسول الله ﷺ، وأن يستشيرَ سَليطَ ابنَ قَيسٍ؛ فإنه رجلٌ باشرَ الحُروبَ. فسار المسلمون إلى أرض العراق، وهم سبعةُ آلاف رجلٍ، وكتب عمرُ إلى أبي عُبَيدةَ أن يُرْسِلَ مَن كان بالعراق ممَّن قدم مع خالدٍ إلى العراق، فجهَّز عشرةَ آلافٍ، عليهم هاشمُ بنُ عُتْبةَ، وأرْسَلَ عمرُ جريرَ بنَ عبد الله البَجَليَّ في أربعة آلافٍ إلى العراق، فقدم الكُوفةَ، ثم خرج منها، فواقع هرقرانَ المدارَ فقتَله وانهزم جيشُه، وغرق أكثرُهم في دِجْلةَ، فلما وصَل الناسُ إلى العراق وجدوا الفرسَ مُضطَربين في مُلْكهم، وآخرُ ما استقرَّ عليه أمرُهم أن ملَّكوا عليهم بُورانَ بنتَ كِسْرَى بعدما قتَلوا التي كانت قبلَها آزَرْميدُخْتَ، وفوَّضت بُورانُ أمرَ المُلْك عشرَ سنين إلى رجلٍ منهم يقالُ له: رُسْتُمُ بنُ فَرُّخْزاذَ. على أن يقومَ بأمر الحرب، ثم يَصيرَ المُلْكُ إلى آل كِسْرَى، فقبِل ذلك. وكان رُسْتُمُ هذا مُنَجِّمًا يَعْرفُ النُّجومَ وعِلْمَها جيدًا، فقيل له: ما حمَلك على هذا؟ يَعْنون وأنت تَعْلَمُ أن هذا لا يَتِمُّ لك، فقال: الطَّمَعُ وحُبُّ الشَّرَف.

وقعة النمارق

بعث رُسْتُمُ أميرًا يقالُ له: جابانُ. وعلى مُجَنِّبَتَيْه رجلان يقالُ لأحدهما: جُشْنَسُ ماه. ويقالُ للآخر: مَرْدانْ شاه. وهو خَصِيُّ أميرِ حاجبِ الفُرْس، فالْتَقَوْا مع أبي عُبَيدٍ بمكانٍ يقالُ له: النَّمارقُ. بينَ الحيرة والقادسيَّة، وعلى الخيل المُثَنَّى بنُ حارثةَ، وعلى المَيْسَرة عمرُو بنُ الهَيْثم، فاقْتَتَلوا هنالك قتالاً شديدًا، وهزَم اللهُ الفرسَ، وأُسِر جابانُ ومَرْدانْ شاه. فأمَّا مَرْدانْ شاه فإنه قتَله الذي أسرَه، وأمَّا جابانُ فإنه خدَع الذي أسَره حتى أطْلَقه، فأمْسَكه المسلمون وأبَوْا أن يُطْلِقوه، وقالوا: إن هذا هو الأميرُ. وجاءُوا به إلى أبي عُبيدٍ، فقالوا: اقْتُلْه فإنه الأميرُ. فقال: وإن كان الأميرَ، فإني لا أقْتُلُه وقد أمَّنه رجلٌ من المسلمين. ثم ركب أبو عُبَيدٍ في آثار مَن انْهَزم منهم، وقد لَجئوا إلى مدينة كَسْكَرَ التي لابن خالة كِسْرَى، واسمُه نَرْسي، فوازَرهم نَرْسي على قِتال أبي عُبيدٍ، فقهَرهم أبو عُبَيدٍ، وغَنِم

(١) انظر «الاستيعاب» (٢/ ١٤)، و«معجم البلدان» (٢/ ١٤٠).

منهم شيئًا كثيرًا وأطعمات كثيرة جدًا، ولله الحمدُ. وبعث بخُمُسِ ما غنِم من المال والطَّعام إلى عمرَ ابنِ الخطَّاب بالمدينة، وقد قال في ذلك رجلٌ من المسلمين:

لَعَمْري وما عَمْري عليَّ بهيِّنٍ لقد صُبِّحَتْ بالخِزْيِ أهلُ النَّمارِقِ
بأيدي رجالٍ هاجَروا نحوَ ربِّهم يَجوسُونهم ما بينَ دُرْنا وبارقِ
قتلْناهمُ ما بينَ مَرْجِ مُسَلَّحٍ وبينَ الهَوافي من طريقِ البَذارِقِ

فالْتَقَوْا بمكانٍ بينَ كَسْكَرَ والسَّقاطيَّةِ، وعلى مَيْمَنةِ نَرْسي ومَيْسَرته ابنا خاله بندَوَيْه وتيرَوَيْه أولادُ بِسطامَ، وكان رُسْتُمُ قد جهَّز الجيوشَ مع الجالنوسِ، فلمَّا بلَغ أبا عُبَيدٍ ذلك أعْجَل نَرْسي بالقتال قبلَ وُصولِهم، فاقْتَتَلوا قتالاً شديدًا، فانهَزَمت الفرسُ، وهرَب نَرْسي والجالنوسُ إلى المَدائنِ بعدَ وَقْعةٍ جرَتْ من أبي عُبَيدٍ مع الجالنوسِ بمكانٍ يقالُ له: بارُوسْمَا. فبعَث أبو عُبَيدٍ المُثَنَّى بنَ حارثةَ وسَرايا أُخَرَ إلى ما تاخَمَ تلك الناحيةَ كنهرِ جَوْبَرَ ونحوها، ففتَحها صُلْحًا وقَهْرًا، وضرَبوا الجِزْيةَ والخَراجَ، وغَنِموا الأموالَ الجَزيلةَ، ولله الحمدُ والمِنَّةُ، وكسرَوا الجالنوسَ الذي جاء لنُصْرةِ جابانَ، وغَنِموا جيشَه وأموالَه، وكرَّ هاربًا إلى قومِه حقيرًا ذَليلاً.

وقعة جسر أبي عُبَيد التي قتل فيها أميرُ المسلمين وخلقٌ كثيرٌ منهم، فإنا لله وإنا إليه راجعون

لما رجَع الجالنوسُ هاربًا مما لَقِيَ من المسلمين تَذامَرت الفرسُ بينَهم واجتَمعوا إلى رُسْتُمَ، فأرسَل جيشًا كثيفًا عليهم ذا الحاجب بَهْمَنْ جاذَوَيْه، وأعْطاه رايةَ أفْريدُونَ، وتُسَمَّى دِرَفْشَ كابيانَ، وكانت الفرسُ تَتَيمَّنُ بها، وحملوا معهم رايةَ كِسْرَى، وكانت من جُلود النُّمورِ، عَرْضُها ثمانيةُ أذْرُعٍ، فوصَلوا إلى المسلمين وبينَهم النَّهرُ، وعليه جِسْرٌ، فأرْسَلوا: إما أن تَعْبُروا إلينا وإما أن نَعْبُرَ إليكم. فقال المسلمون لأميرهم أبي عُبَيدٍ: مُرْهم فلْيَعْبُرُوا هم إلينا. فقال: ما هم بأجْرأَ على الموت منا. ثم اقْتَحَم إليهم، فاجتَمعوا في مكانٍ ضيقٍ فالتَقَوا هنالك، فاقْتَتَلوا قتالاً شديدًا لم يُعْهَدْ مثلُه، والمسلمون في نحوٍ من عشَرة آلافٍ، وقد جاءت الفُرْسُ معهم بأفْيلة كثيرة، عليها الجَلاجِلُ والنَّخْلُ قائمةً لتَذْعَرَ خُيولَ المسلمين، فجعَلوا كلما حمَلوا على المسلمين فرَّتْ خُيولُهم من الفيَلة، ومما تَسْمَعُ من الجَلاجِلِ التي عليها، ولا يَثْبُتُ منها إلا القليلُ على قَسْرٍ، وإذا حَمَل المسلمون عليهم لا تُقْدِمُ خَيْلُهم على الفِيَلة، ورَشَقَتْهم الفُرسُ بالنَّبْلِ، فنالوا منهم خَلْقًا كَثيرًا، وقتَل المسلمون منهم مع ذلك ستةَ آلافٍ، وأمَر أبو عُبيدٍ المسلمين أن يَقْتُلوا الفِيَلةَ أولاً، فاحْتَوَشُوها فقتَلوها عن آخرِها، وقد قدَّمَت الفرسُ بينَ أيديهم فيلاً عظيمًا أبيضَ، فتقدَّم إليه أبو عُبَيدٍ فضربَه بالسَّيف فقطَع زلومَه، فحَمِيَ الفيلُ وصاح صَيْحةً هائلةً وحمَل عليه، فتَخَبَّطَه برجْله فقتَله ووقَف فوقَه، فحمَل على الفيل خَليفةُ أبي عُبَيدٍ الذي كان أوْصَى أن يكونَ أميرًا بعدَه فقُتِل، ثم آخَرُ، ثم آخَرُ، حتى قُتِل سبعةٌ من ثَقيفٍ كان قد نَصَّ

أبو عُبَيدٍ عليهم واحدًا بعدَ واحد، ثم صارت إلى المُثَنَّى بن حارثة بمُقتضى الوصيَّة أيضًا، وقد كانت دَوْمَةُ امرأةُ أبي عُبيدٍ رأتْ مَنامًا يَدُلُّ على ما وقَع سواءً بسواء، فلمَّا رأى المسلمون ذلك وَهَنوا عندَ ذلك، ولم يَكُنْ بَقِيَ إلا الظَّفَرُ بالفُرس، وضَعُف أمرُهم، وذَهَبَت ريحُهم، وولَّوْا مُدبِرين، وساقت الفُرسُ خلفهم يَقتُلون بَشَرًا كثيرًا، وانْكشَف الناسُ، فكان أمرًا بَليغًا، وجاءُوا إلى الجِسْر، فمرَّ بعضُ الناس، ثم انْكسَر الجِسْرُ فتَحَكَّم فيمَن وراءَه الفُرسُ، فقتَلوا من المسلمينَ، وغرِق في الفُرات نحوٌ من أربعة آلاف، فإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون، وسار المُثَنَّى بنُ حارثةَ، فوقَف عندَ الجِسْرِ الذي جاءوا منه، وكان الناسُ لمَّا انهزَموا جعَل بعضُهم يُلقي بنفسه في الفُرات فيَغْرَقُ، فنادَى المُثَنَّى: أيُّها الناسُ، على هِينَتِكم، فإني واقفٌ على فَمِ الجِسْرِ لا أَجوزُه حتى لا يَبْقى منكم أحدٌ ههنا. فلمَّا عدَّى الناسُ إلى النَّاحية الأخرى سار المُثَنَّى فنزَل بهم أولَ مَنْزلٍ، وقام يَحْرُسُهم هو وشُجْعانُ المسلمينَ، وقد جُرِح أكثرُهم وأُثْخِنوا، ومِن الناس مَن ذهَب في البَرِّيَّة لا يُدْرَى أينَ ذهَب، ومنهم مَن رجع إلى المدينة النبوية مَذْعورًا، وذهَب بالخبرِ عبدُ الله بنُ زيد بن عاصم المازنيُّ إلى عمرَ بنِ الخَطَّاب، فوجَده على المِنْبر، فقال له عمرُ: ما وراءَك يا عبدَ الله بنَ زيد؟ فقال: أتاك الخبرُ اليَقِينُ يا أميرَ المؤمنين. ثم صعد إليه المِنبرَ فأخْبَره الخبرَ سرًّا، ويقالُ: كان أولَ مَن قدِم بخبرِ الناس عبدُ الله بنُ يَزيدَ بنِ الحُصَيْنِ الخَطْميُّ. فاللهُ أعلمُ. قال سيفُ بنُ عمرَ: وكانت هذه الوَقْعةُ في شَعْبانَ من سنة ثلاثَ عشْرةَ بعدَ اليَرْموك بأربعين يومًا. فاللهُ أعلمُ. وتَراجَع المسلمون بعضُهم إلى بعض، وكان منهم مَن فَرَّ إلى المدينة، فلم يُؤَنِّبْ عمرُ الناسَ، بل قال: أنا فِئَتُكم. وأشْغَل اللهُ المَجوسَ بأمرِ مَلِكِهم؛ وذلك أنَّ أهلَ المَدائنِ عَدَوْا على رُسْتُمَ فخَلَعوه، ثم ولَّوه، وأضافوا إليه الفَيْرُزانَ، واختَلفوا على فِرْقَتَيْن، فركِب الفُرسُ إلى المَدائن، ولحِقهم المُثَنَّى بنُ حارثةَ في نفرٍ من المسلمينَ، فعارَضه أميران من أُمرائهم في جيشِهم، فأسَرهما وأسَر معهما بشرًا كثيرًا، فضرَب أعْناقَهم، ثم أرْسَل المُثَنَّى إلى مَن بالعراق من أُمراء المسلمين يَسْتَمِدُّهم، فبعَثوا إليه بالأمْداد، وبعَث إليه عمرُ بنُ الخطاب بمَدَدٍ كثير، فيهم جَريرُ بنُ عبد الله البَجَليُّ في قومه بَجيلةَ بكمالِها، وغيرُه من ساداتِ المسلمين، حتى كثُر جيشُه.

وقعة البُوَيْب التي اقتصَّ فيها المسلمون من الفُرس

فلما سمع أُمراءُ الفُرْس بكثرة جُيوشِ المُثَنَّى، بعَثوا إليه جيشًا آخرَ مع رجلٍ يقالُ له: مِهْرانُ. فتَوافَوْا هم وإياهم بمكانٍ يقالُ له: البُوَيبُ. قريبٍ من مكان الكوفة اليوم، وبينَهما الفُراتُ، فقالوا: إمَّا أن تَعْبُروا إلينا أو نَعْبُرَ إليكم. فقال المسلمون: بل اعْبُروا إلينا. فعبَرت الفرسُ إليهم فتَواقَفوا، وذلك في شهرِ رمضانَ، فعزَم المُثَنَّى على المسلمين في الفِطْر، فأفْطَروا عن آخرِهم ليكونَ أقْوَى لهم، وعَبَّى الجيشَ، وجعَل يَمُرُّ على كلِّ رايةٍ من راياتِ الأُمراءِ على القَبائلِ ويَعِظُهم ويَحُثُّهم على الجهاد

والصَّبْرِ والصَّمْتِ والثَّباتِ، وفي القومِ جَريرُ بنُ عبدِ اللهِ البَجَليُّ في بَجيلةَ، وجماعةٌ من ساداتِ المسلمينَ، وقال المُثَنَّى لهم: إني مُكبِّرٌ ثلاثَ تكبيراتٍ فتهيَّئوا، فإذا كبَّرْتُ الرابعةَ فاحْملوا. فقابَلوا قولَه بالسمعِ والطاعةِ والقَبولِ. فلما كبَّر أولَ تكبيرةٍ عاجَلَتْهم الفُرْسُ فحمَلوا حتى غالَقوهم، واقْتَتَلوا قتالاً شديدًا، وركَدت الحربُ، ورأى المُثَنَّى في بعضِ صُفوفِه خَلَلاً، فبعَث إليهم رجلاً يقولُ: الأميرُ يَقرأُ عليكم السَّلامَ ويقولُ لكم: لا تَفْضَحوا المُسْلمين اليوم. فاعْتَدَلوا، فلمَّا رأى ذلك منهم -وهم بنو عِجْلٍ- أعْجَبه وضحِك، وبعَث إليهم يقولُ: يا معشرَ المسلمين، عاداتِكم، انْصُروا اللهَ يَنصُرْكم. وجعَل المُثَنَّى والمسلمون يَدْعون اللهَ بالظَّفَرِ والنَّصْرِ، فلما طالت مدَّةُ الحربِ جَمَع المُثَنَّى جماعةً من أصحابِه الأبطالِ يَحْمُون ظَهْرَه، وحمَل على مِهْرانَ فأزاله عن مَوضعِه حتى دخَل المَيْمَنةَ، وحمَل غلامٌ من بني تَغْلِبَ نَصْرانيٌّ فقَتَل مِهْرانَ وركِب فرسَه. كذا ذكَره سيفُ بنُ عمرَ[1].

وقال محمدُ بنُ إسحاقَ: بل حمل عليه المُنْذِرُ بنُ حَسَّانَ بنِ ضِرارٍ الضَّبِّيُّ فطعَنه، واحْتَزَّ رأسَه جَريرُ بنُ عبدِ اللهِ البَجَليُّ، واخْتَصما في سَلَبِه، فأخَذ جَريرٌ السِّلاحَ وأخَذ المُنْذِرُ مِنْطَقَتَه، وهرَبت المَجوسُ وركِب المسلمون أكْتافَهم يَفْصِلونهم فَصْلاً، وسبَق المُثَنَّى بنُ حارثةَ إلى الجِسْرِ فوقَف عليه لِيَمْنَعَ الفُرْسَ من الجَوازِ عليه لِيَتَمكَّنَ منهم المسلمون، فركِبوا أكْتافَهم بَقيَّةَ ذلك اليومِ وتلك الليلةَ، ومن الغدِ إلى الليلِ، فيقالُ: إنَّه قُتِل منهم يومَئذٍ وغرِق قريبٌ من مائةِ ألفٍ. وللهِ الحمدُ والمِنَّةُ. وغَنِم المسلمون مالاً جَزيلاً وطَعامًا كثيرًا، وبعَثوا بالبِشارةِ والأخْماسِ إلى عُمرَ، رضِي اللهُ عنه. وقد قُتِل من ساداتِ المسلمينَ في هذا اليومِ بَشَرٌ كثيرٌ أيضًا، وذَلَّتْ لهذه الوَقْعةِ رِقابُ الفُرْسِ، وتَمكَّن الصحابةُ من الغاراتِ في بلادِهم فيما بينَ الفُراتِ ودِجْلةَ، فغَنِموا شيئًا عظيمًا لا يُمكِنُ حَصْرُه، وجرَت أمورٌ يَطولُ ذكْرُها بعدَ يومِ البُوَيْبِ، وكانت هذه الوقْعةُ بالعراقِ نَظيرَ اليَرْموكِ بالشامِ. وقد قال الأعْوَرُ الشَّنِّيُّ العَبْدِيُّ في ذلك:

هاجتْ لأعْوَرَ دارُ الحيِّ أحْزانَا ... واسْتَبْدَلَتْ بعد عبدِ القيسِ خَفَّانا
وقد أرانا بها والشَّمْلُ مُجْتَمِعٌ ... إذ بالنُّخَيْلةِ قَتْلى جُندِ مِهْرانا
إذ كان سارَ المُثَنَّى بالخُيولِ لهم ... فقَتَّل الزَّحْفَ من فُرْسٍ وجِيلانا
سَما لِمِهْرانَ والجيشِ الذي معه ... حتى أبادَهمُ مَثْنَى ووُحْدانا[2]

فصلٌ

ثم بعَث أميرُ المؤمنين عمرُ بنُ الخطابِ سعدَ بنَ أبي وَقَّاصٍ الزُّهْريَّ أحدَ العشَرةِ، في ستَّةِ آلافٍ أميرًا على العراقِ، وكتَب إلى جَريرِ بنِ عبدِ اللهِ والمُثَنَّى بنِ حارثةَ أن يكونا تَبَعًا له، وأن يَسْمَعا له ويُطيعا،

(١) رواه ابن جرير في «تاريخه» (٣/ ٤٦٠).
(٢) رواه ابن جرير في «تاريخه» (٢/ ٣٧٥).

فلمَّا وصَل إلى العراق كانا معه، وكانا قَدْ تَنازَعا الإمْرةَ، فالمُثنَّى يقولُ لجَرير: إنما بعَثك أميرُ المؤمنين مَدَدًا لي. ويقولُ جريرٌ: إنما بعَثني أميرًا عليك. فلما قدم سعدٌ على إمْرة العراق انْقَطَع نزاعُهما. قال ابنُ إسحاقَ: وتُوُفِّيَ المُثنَّى بنُ حارثةَ في هذه السنةِ. كذا قال ابنُ إسحاقَ. والصحيحُ أنَّ بَعْث عمر سعدًا إنما كان في أولِ سنةِ أرْبَعَ عشْرةَ كما سيأتي.

ذكرُ اجتماعِ الفُرْسِ على يَزْدَجِرْدَ بعدَ اختلافِهم واضطرابِهم ثم اجتمعتْ كلمتُهم

كان شيرينُ قد جَمَع آلَ كِسْرَىٰ في القصرِ الأبْيضِ، وأمَرَ بقَتْلِ ذُكْرانِهم كلِّهم، وكانت أمُّ يَزْدَجِرْدَ فيهم، ومعها ابنُها وهو صَغيرٌ، فواعَدَت أخْوالَه، فجاءوا فأخَذوه منها وذهَبوا به إلى بلادِهم، فلمَّا وقَع ما وقَع يومَ البُوَيبِ، وقُتِل مَن قُتِل منهم كما ذكَرْنا، وركِب المسلمون أكْتافَهم وانْتَصروا عليهم وعلى أخْذِ بُلْدانِهم ومَحالِّهم وأقاليمِهم، ثم سمِعوا بقُدومِ سعدِ بنِ أبي وَقَّاصٍ من جهةِ عمرَ، اجْتَمعوا فيما بينَهم وأحْضَروا الأميرَيْن الكبيرَيْن فيهم، وهما رُسْتُمُ والفيرُزانُ، فتَذامروا فيما بينَهم وتَواصَوْا، وقالوا لهما: لئن لم تَقُوما بالحربِ كما يَنْبَغي لَنَقْتُلَنَّكما ونَشْتَفي بكما. ثم رأَوْا فيما بينَهم أن يَبْعَثوا خلفَ نساءِ كِسْرَىٰ من كلِّ فَجٍّ ومن كلِّ بُقْعةٍ، فمَن كان لها ولدٌ من آلِ كِسْرَىٰ ملَّكوه عليهم، فجعَلوا إذا أتَوْا بالمرأةِ عاقَبوها: هل لها ولدٌ، وهي تُنْكِرُ ذلك خوفًا على ولدِها إن كان لها ولدٌ، فلم يَزالوا حتى دُلُّوا على أمِّ يَزْدَجِرْدَ، فأحْضَروها وأحْضَروا ولدَها فملَّكوه عليهم، وهو ابنُ إحْدَىٰ وعشرين سنةً، وهو من ولدِ شَهْريارَ بنِ كِسْرَىٰ، وعَزَلوا بوران، واسْتَوْسَقَت المَمالكُ له، واجْتَمَعوا عليه وفرِحوا به، وقاموا بينَ يديه بالنُّصْرةِ أتَمَّ قيامٍ، واسْتَفْحَل أمْرُه فيهم، وقَوِيَت شَوْكَتُهم به، وبعَثوا إلى الأقاليمِ والرَّساتيقِ، فخلَعوا الطاعةَ للصَّحابةِ ونَقَضوا عُهودَهم وذِمَمَهم، وبعَث الصَّحابةُ إلى عمرَ بالخبرِ، فأمَرهم عمرُ أن يَتَبَرَّزوا من بينِ ظَهْرانَيْهم وليكونوا على أطْرافِ البلادِ حولَهم على المياهِ، وأن تَكونَ كلُّ قَبيلةٍ تَنْظُرُ إلى الأخرىٰ بحيثُ إذا حَدَث حَدَثٌ على قَبيلةٍ لا يَخْفَىٰ أمْرُها على جيرانِهم. وتَفاقَم الحالُ جِدًّا، وذلك في ذي القَعْدةِ من سنةِ ثلاثَ عشْرةَ. وقد حَجَّ بالناسِ عمرُ في هذه السنةِ. وقيل: بل حَجَّ بهم عبدُ الرحمنِ بنُ عَوْفٍ، ولم يَحُجَّ عمرُ هذه السنةَ. واللهُ أعْلَمُ.

ذكرُ ما وقَع في هذه السنةِ أعني سنةَ ثلاثَ عشْرةَ من الحوادثِ إجْمالًا، ومَن توفي فيها من الأعْيان

كانت فيها وَقائعُ تقَدَّم تَفْصيلُها ببلادِ العراقِ على يدَيْ خالدِ بنِ الوَليدِ، رضِي اللهُ عنه؛ فُتِحت فيها الحيرةُ والأنْبارُ وغيرُهما من الأمْصارِ، وفيها سار خالدُ بنُ الوَليدِ من العراقِ إلى الشامِ، على المَشْهورِ.

وفيها كانت وقعةُ اليرْموك في قول سيفِ بن عمرَ واختيار ابن جَرير، وقُتل بها مَن قُتل من الأعْيان ممَّن يَطولُ ذِكرُهم وتَراجِمُهم، رضي اللهُ عنهم أجْمَعين. وفيها تُوُفِّيَ أبو بكرٍ الصِّدِّيقُ، رضي اللهُ عنه، وقد أفْرَدْنا سيرته في مُجَلَّدٍ، ولله الحمدُ.

وفيها وُلِّيَ عمرُ بنُ الخَطَّاب، رضي اللهُ عنه، يومَ الثلاثاء لثمانٍ بَقِينَ من جُمادَىٰ الآخرةِ منها، فولَّىٰ قَضاءَ المدينة عليَّ بنَ أبي طالبٍ، رضي اللهُ عنه، واستَنابَ على الشام أبا عُبَيدةَ عامرَ بنَ عبد الله بنِ الجَرَّاح الفِهْريَّ، وعزَل عنها خالدَ بنَ الوليدِ المخزوميَّ، وأبقاه على شُورَىٰ الحَرْبِ. وفيها فُتحت بُصْرَىٰ صُلْحًا، وهي أولُ مَدينة فُتحت من الشام.

وفيها فُتحت دمشقُ في قولِ سيفٍ وغيرِه، كما قدَّمْنا. واستُنيب فيها يَزيدُ ابنُ أبي سفيانَ، فهو أولُ مَن وَلِيَها من أُمراء المسلمين، رضي اللهُ عنهم.

وفيها كانت وَقعةُ فِحْلٍ من أرضِ الغَوْر، وقد قُتل بها جماعةٌ من الصَّحابة وغيرهم.

وفيها كانت وَقعةُ جِسْرِ أبي عُبَيدٍ، فقُتل فيها أربعةُ آلافٍ من المسلمين؛ منهم أميرُهم أبو عُبَيدِ بنُ مَسْعودٍ الثَّقفيُّ، وهو والدُ صَفيةَ امرأةِ عبد الله بن عمرَ، وكانت امرأةً صالحةً، رحمَهما اللهُ، ووالدُ المُخْتارِ بنِ أبي عُبَيدٍ كذَّابِ ثَقيفٍ، وقد كان نائبًا على العراقِ في بعضِ وَقَعات العراقِ كما سيأتي.

وفيها تُوُفِّي المُثَنَّىٰ بنُ حارثةَ في قولِ ابنِ إسحاقَ، وقد كان نائبًا على العراق؛ استَخْلَفه خالدُ بنُ الوليدِ حينَ سار إلى الشام، وقد شهد مَواقفَ مَشْهورةً، وله أيامٌ مَذْكورةٌ، ولا سيَّما يومَ البُويبِ بعدَ جِسْرِ أبي عُبَيدٍ، قُتل فيه من الفُرسِ وغرِق بالفُرات قريبٌ من مائة ألفٍ، والذي عليه الجُمهورُ أنه بَقِيَ إلى سنة أربعَ عشْرةَ، كما سيأتي بَيانُه.

وفيها حَجَّ بالناسِ عمرُ بنُ الخطابِ في قولِ بعضِهم، وقيل: بل حَجَّ عبدُ الرحمنِ بنُ عَوْفٍ.

وفيها استَنْفَر عمرُ قَبائلَ العربِ لغَزْوِ العِراقِ والشامِ، فأقْبَلوا من كلِّ النَّواحي، فرمَىٰ بهم الشامَ والعراقَ.

وفيها كانت وَقعةُ أجْنادينَ في قولِ ابنِ إسحاقَ يومَ السبتِ لثلاثٍ بَقِينَ من جُمادَىٰ الأولى منها، وكذا عندَ الواقديِّ، فيما بينَ الرَّمْلةِ وبَيْتِ جَبْرِينَ، وعلى الرومِ القيقلانُ، وأميرُ المسلمين عمرُو بنُ العاصِ، وهو في عشرين ألفًا في قولٍ، فقُتل القيقلانُ وانْهَزَمت الرومُ، وقُتل منهم خَلْقٌ كثيرٌ، واستُشْهد من المسلمين أيضًا جماعةٌ؛ منهم هشامُ بنُ العاصِ والفضلُ بنُ العبَّاس، وأبانُ بنُ سعيدٍ وأخَواه خالدٌ وعمرٌو، ونُعَيْمُ بنُ عبدِ الله بنِ النَّحَّام، والطُّفَيْلُ بنُ عمرٍو وعبدُ الله بنُ عمرٍو الدَّوْسيَّان، وضِرارُ بنُ الأزْوَرِ، وعِكْرِمةُ بنُ أبي جَهْلٍ، وعمُّه سَلَمَةُ بنُ هشامٍ، وهَبَّارُ بنُ سفيانَ، وصَخْرُ بنُ نصرٍ، وتَميمٌ وسعيدٌ ابنا الحارثِ بنِ قيسٍ رضي اللهُ عنهم.

وقال محمدُ بنُ سعدٍ: قُتل يومَئذٍ طُلَيْبُ بنُ عُمَيْرٍ وأمُّه أرْوَىٰ بنتُ عبدِ المطَّلبِ عَمَّةُ

رسولِ اللهِ ﷺ. وممن قُتِل يومَئذٍ عبد اللهِ بنُ الزُّبيرِ بنِ عبدِ المطَّلبِ، وكان عمرُه يومَئذ ثلاثين سنةً[١] فيما ذكَره الواقديُّ، قال: ولم يَكُنْ له روايةٌ. وكان ممن صَبرَ يومَ حُنَينٍ. قال ابنُ جَرير: وقُتل يومَئذٍ عثمانُ بنُ طَلْحةَ بنِ أبي طَلْحةَ، والحارثُ بنُ أوْسِ بنِ عَتيكٍ، رضي اللهُ عنهم.

وفيها كانت وَقْعةُ مَرْجِ الصُّفَّرِ في قول خَليفةَ بنِ خيَّاطٍ، وذلك لثنتَيْ عشْرةَ ليلة بقيَت من جُمادَىٰ الأولىٰ، وأميرُ الناسِ خالدُ بنُ سعيدِ بنِ العاصِ، فقُتِل يومَئذٍ، وقيل: إنما قُتِل أخوه عمرو. وقيل: ابنُه. فاللهُ أعلمُ.

قال ابنُ إسحاقَ: وكان أميرُ الرومِ قلقطَ، فقُتل منِ الرومِ مَقْتَلةٌ عَظيمةٌ حتىٰ جرَت طاحونٌ هناك من دمائهم[٢]. والصحيحُ أنَّ وَقْعةَ مَرْجِ الصُّفَّرِ في أوَّلِ سنةِ أربعَ عشْرةَ كما سيأتي.

ذكرُ المتوفَّيْن في هذه السنة مُرتَّبين على الحروف كما ذكرهم شيخُنا الحافظ الذَّهبيُّ في «تاريخه»:

أبانُ بنُ سعيد بن العاص بن أُميةَ الأُمَويُّ أبو الوليد المكِّيُّ، صحابيٌّ جَليلٌ، وهو الذي أجار عُثْمانَ بنَ عَفَّانَ يومَ الحُدَيْبِيةِ حتىٰ دخَل مكةَ لأداءِ رسالةِ رسولِ اللهِ ﷺ، أسْلَم بعدَ مَرْجعِ أخوَيْه من الحبشةِ؛ خالدٍ، وعمرٍو، فدَعَواه إلىٰ الإسلامِ فأجابهما، وساروا فوجَدوا رسولَ الله ﷺ قد فتَح خيبرَ، وقد استعْمله رسولُ الله ﷺ سنةَ تسعٍ علىٰ البَحْرَيْن وقُتِل بأجْنادِينَ.

أَنَسَةُ مولى رسول الله ﷺ: المَشْهورُ أنه قُتِل ببدرٍ فيما ذكَره البخاريُّ وغيرُه. وزعَم الواقديُّ فيما نقَله عن أهلِ العلمِ أنه شهِد أُحُدًا، وأنه بَقِيَ بعدَ ذلك زمانًا، قال: وحدَّثني ابنُ أبي الزِّنادِ عن محمد ابنِ يوسُفَ، أن أنَسَةَ مات في خلافةِ أبي بكر الصِّدِّيقِ، وكان يُكنَىٰ أبا مَسْروحٍ. وقال الزهريُّ: كان يأْذَنُ للناسِ علىٰ النبيِّ ﷺ.

تَميمُ بنُ الحارثِ بنِ قَيْسٍ السَّهْميُّ وأخوه سعيدٌ؛ صَحابيَّانِ جَليلان هاجَرا إلىٰ الحبشةِ، وقُتلا بأجْنادِينَ.

الحارثُ بنُ أوس بن عَتيك، من مُهاجِرةِ الحَبَشةِ، قُتِل بأجْنادِينَ.

خالدُ بنُ سعيد بنِ العاصِ الأُمَويُّ، من السابقِين الأوَّلِين، ممَّن هاجر إلىٰ الحبشة، وأقام بها بِضْعَ عشْرةَ سنةً، ويقالُ: إنه كان علىٰ صَنْعاءَ من جهةِ رسولِ الله ﷺ، وأمَّره الصِّدِّيقُ علىٰ بعضِ الفُتوحاتِ كما تقدَّم، قُتِل يومَ مَرْجِ الصُّفَّرِ في قولٍ، وقيل: بل هرَب فلم يُمَكِّنه الصِّدِّيقُ من دُخولِ المدينةِ تَعْزيرًا له، فأقام شهرًا في بعضِ ظَواهرِها حتىٰ أذِن له. ويقالُ: إن الذي قتَله أسْلَمَ، وقال: رأيتُ له حينَ قتَلْتُه نُورًا ساطعًا إلىٰ السماءِ. رضي اللهُ عنه.

---

(١) انظر «الطبقات» (٣/ ١٢٤).

(٢) انظر تاريخ خليفة (١٠٤).

سعدُ بنُ عُبادةَ بنِ دُلَيمِ بنِ حارثةَ بنِ أبي حَزيمةَ ـ ويقالُ: حارثةُ بنُ حرامِ بنِ حَزيمةَ ـ بنِ ثَعْلبةَ بنِ طَريفِ بنِ الخَزْرجِ بنِ ساعدةَ بنِ كعبِ بنِ الخَزْرَجِ، الأنصاريُّ الخزرجيُّ سيدُهم، أبو ثابتٍ ويقالُ: أبو قيسٍ. صحابيٌّ جليلٌ، كان أحَدَ النُّقَباءِ ليلةَ العَقَبةِ، وشهد بدرًا في قولِ عُرْوةَ وموسى بنِ عُقْبةَ والبخاريِّ وابنِ ماكُولا.

وروى ابنُ عَساكرَ من طريقِ حَجَّاجِ بنِ أرْطاةَ، عن الحَكَمِ، عن مِقْسَمٍ، عن ابنِ عَبَّاسٍ أن رايةَ المهاجرِين يومَ بَدْرٍ كانت مع عليٍّ، ورايةَ الأنصارِ كانت مع سعدِ بنِ عُبادةَ، رضيَ اللهُ عنهما. قلتُ: والمَشْهورُ أن هذا كان يومَ الفتحِ. واللهُ أعلَمُ.

وقال الواقديُّ: لم يَشْهَدْها؛ لأنه نَهَسَتْه حَيَّةٌ، فشَغَلَتْه عنه بعدَ أن تَجهَّزَ لها، فضرَب له رسولُ اللهِ ﷺ بسَهْمِه وأجْرِه، وشهد أُحُدًا وما بعدَها. وكذا قال خَليفةُ بنُ خَيَّاطٍ. وكانت له جَفْنةٌ تَدورُ مع النبيِّ ﷺ حيث دارَ من بُيوتِ نسائِه بلَحْمٍ وثَريدٍ، أو لَبَنٍ وخُبْزٍ، أو خُبْزٍ وسمنٍ، أو بخَلٍّ وزيتٍ، وكان يُنادي عندَ أُطُمِه كلَّ لَيلةٍ لمن أراد القِرَى، وكان يُحْسِنُ الكتابةَ بالعَربيَّةِ والرَّمْيَ والسِّباحةَ، وكان يُسَمَّى مَن أحْسَنَ ذلك كاملًا. وقد ذكَر أبو عمرَ بنُ عبدِ البَرِّ ما ذكَره غيرُ واحدٍ من عُلماءِ التاريخِ أنه تخلَّف عن بَيْعةِ الصِّدِّيقِ حتى خرَج إلى الشامِ. فمات بقريةٍ من حَوْرانَ سنةَ ثلاثَ عشْرةَ في خلافةِ الصِّدِّيقِ. قاله ابنُ إسحاقَ والمَدائنيُّ وخَليفةُ. قال: وقيل: في أولِ خلافةِ عمرَ. وقيل: سنةَ أربعَ عشْرةَ. وقيل: سنةَ خمسَ عشْرةَ. وقال الفَلاسُ وابنُ بُكيرٍ: سنةَ ستَّ عشْرةَ.

قلتُ: أما بَيْعةُ الصِّدِّيقِ، فقد رُوِّينا في «مسند الإمامِ أحمدَ» أنه سَلَّم للصِّدِّيقِ ما قاله من أن الخُلفاءَ من قُريشٍ. وأما موتُه بأرضِ الشامِ فمُحقَّقٌ، والمَشْهورُ أنه بحَوْرانَ.

قال محمدُ بنُ عائذٍ الدِّمشقيُّ، عن عبدِ الأعْلَى، عن سعيدِ بنِ عبدِ العزيزِ، أنه قال: أولُ مَدينةٍ فُتِحت من الشامِ بُصْرَى، وبها تُوُفِّي سعدُ بنُ عُبادةَ. وعندَ كثيرٍ من أهلِ زَمانِنا أنه دُفِن بقريةٍ من غُوطةِ دمشقَ يقالُ لها: المَنِيحةُ. وبها قبرٌ مَشْهورٌ به. ولم أرَ الحافظَ ابنَ عَساكرَ تَعَرَّض لذكْرِ هذا القبرِ في ترجمتِه بالكُلِّيَّةِ. فاللهُ أعلمُ.

قال ابنُ عبدِ البَرِّ: ولم يَختلِفوا أنه وُجِد مَيِّتًا في مُغْتَسَلِه وقد اخْضَرَّ جسدُه، ولم يَشْعُروا بموتِه حتى سمعوا قائلًا يقولُ:

قَتَلْنا سَيِّدَ الخَزْرَ ... جِ سعدَ بنَ عُبادَهْ
رَمَيْناه بسهمينِ ... فلم نُخْطِ فُؤادَهْ

قال ابنُ جُرَيجٍ: سمِعْتُ عَطاءً يقولُ: سمِعْتُ أنَّ الجنَّ قالوا في سعدِ بنِ عُبادةَ هذَيْن البيتَيْن.

له عن النبيِّ ﷺ أحاديثُ، وكان، رضي اللهُ عنه، من أشَدِّ الناسِ غَيْرةً، ما تزَوَّج امرأةً إلا بكْرًا، ولا طلَّق امرأةً فتَجاسَرَ أحدٌ أن يَخطُبَها بعدَه. وقد رُوِي أنه لما خرَج من المدينةِ قسَم مالَه بينَ بنيه، فلما تُوُفِّيَ وُلِدَ له وَلَدٌ، فجاء أبو بكرٍ وعمرُ إلى ابنِه قيسِ بنِ سعدٍ، فأمَراه أن يُدْخِلَ هذا معهم، فقال: إني

لا أُغَيِّرُ ما صنَع سعدٌ، ولكن نَصِيبي لهذا الولدِ.

سَلَمةُ بنُ هشامِ بنِ المُغيرة، أخو أبي جَهْلِ بنِ هشام،أسْلَم سَلَمةُ قديمًا وهاجَر إلى الحَبَشةِ، فلمَّا رجَع منها حبَسه أخوه وأجاعَه، فكان رسولُ اللهِ ﷺ يَدْعو له في القُنوتِ ولجماعةٍ معه مِن المُسْتَضْعَفين. ثم انسَلَّ فلحِق برسولِ اللهِ ﷺ بالمدينةِ بعدَ الخَنْدقِ، وكان معه بها، وقد شهِد أجْنادِينَ وقُتِل بها، رضِي اللهُ عنه.

ضِرارُ بنُ الأزْوَرِ الأسَديُّ،كان مِن الفُرْسانِ المَشْهورِين، والأبْطالِ المَذْكُورين، له مَواقفُ مَشْهودَةٌ، وأحْوالٌ مَحْمودةٌ. ذكَر عُرْوةُ وموسى بنُ عُقْبةَ أنه قُتِل بأجْنادِينَ. له حديثٌ في اسْتِحْبابِ إبْقاءِ شيءٍ مِن اللبنِ في الضَّرْعِ عندَ الحلْبِ [1].

طُلَيْبُ بنُ عُمَيْرِ بنِ وَهْبِ بنِ كَثِيرِ بنِ عبدِ بنِ قُصَيٍّ القرشيُّ العَبْديُّ،أمُّه أَرْوَى بنتُ عبدِ المطلبِ عَمَّةُ النبيِّ ﷺ، أسْلَم قديمًا وهاجَر إلى الحَبَشةِ الهِجْرةَ الثانيةَ، وشهِد بدرًا. قاله ابنُ إسحاقَ والواقديُّ والزبيرُ بنُ بَكَّارٍ. ويُقالُ: إنه أولُ مَن ضرَب مُشْرِكًا. وذلك أن أبا جهلٍ سَبَّ النبيَّ ﷺ فضرَبه طُلَيْبٌ بلَحْيِ جملٍ فشَجَّه. اسْتُشْهِد طُلَيْبٌ بأجْنادِينَ وقد شاخ. رضِي اللهُ عنه.

عبدُ اللهِ بنُ الزُّبيرِ بنِ عبدِ المطلبِ بنِ هاشمٍ القرشيُّ الهاشميُّ،ابنُ عَمِّ النبيِّ ﷺ، كان من الأبْطالِ المَذْكورين والشُّجعانِ المَشْهورِين، قُتِل يومَ أجْنادِين بعدَما قتَل عشَرةً مِن الرُّومِ مُبارَزةً، كلُّهم بَطارِقةٌ أبْطالٌ. وله مِن العمرِ يومَئذٍ بِضْعٌ وثلاثون سنةً.

عبدُ اللهِ بنُ عمرٍو الدَّوْسيُّ،قُتِل بأجْنادِينَ. وليس هذا الرجلُ مَعْروفًا.

عثمانُ بنُ طَلْحةَ العَبْدَريُّ الحَجَبيُّ،قيل: إنه قُتِل بأجْنادِين. والصَّحيحُ أنه تأخَّر إلى ما بعدَ الأرْبعينَ.

عَتَّابُ بنُ أَسِيدِ بنِ أبي العِيصِ بنِ أُميةَ الأُمَويُّ. أبو عبدِ الرحمنِ،أميرُ مكةَ نِيابةً عن رسولِ اللهِ ﷺ، اسْتَعْمَلَه عليها عامَ الفَتْحِ، وله مِن العمرِ عشرون سنةً، فحَجَّ بالناسِ عامَئذٍ، واسْتَنابه عليها أبو بكرٍ بعدَه عليه الصلاةُ والسلامُ. وكانت وَفاتُه بمكةَ، قيل: يومَ تُوفِّيَ أبو بكرٍ. رضِي اللهُ عنهما. له حديثٌ واحدٌ رَواه أهلُ السُّنَنِ الأرْبعةِ.

عِكْرِمةُ بنُ أبي جَهْلٍ عمرِو بنِ هشامِ بنِ المُغيرةِ بنِ عبدِ اللهِ بنِ عمرَ بنِ مَخْزومٍ، أبو عثمانَ القُرَشيُّ المَخْزوميُّ،كان مِن ساداتِ الجاهليةِ كأبيه، ثم أسْلَم عامَ الفَتْحِ بعدَما فَرَّ، ثم رجَع إلى الحقِّ، واسْتَعْمَلَه الصِّدِّيقُ على عُمَانَ حينَ ارْتَدُّوا، فظفِر بهم، كما تقَدَّم، ثم قدِم الشامَ وكان أميرًا على بعضِ الكَرَادِيسِ، ويقالُ: إنه لا يُعْرَفُ له ذَنْبٌ بعدَما أسْلَم. وكان يُقَبِّلُ المُصْحَفَ ويَبْكي ويقولُ: كلامُ ربي كلامُ ربي [2]. احْتَج بهذا الإمامُ أحمدُ على جوازِ تَقْبيلِ المُصْحَفِ ومَشْرُوعِيَّته. وقال الشافعيُّ: كان عِكْرِمةُ مَحْمودَ البَلاءِ في الإسلامِ. قال عروةُ: قُتِل بأجْنادِينَ. وقال غيرُه: باليَرْموكِ

---

(١) إسناده ضعيف رواه أحمد (٤/ ٣١١) والدارمي (١٩١٣) وفي سنده يعقوب بن بحير لا يعرف.

(٢) رواه الحاكم في «مستدركه» (٣/ ٢٧١) والطبراني في «الكبير» (١٧/ ٣٧١) والخطيب في «تاريخ بغداد» (١٠/ ٣٢٠) بلفظ: يأخذ المصحف فيضعه على وجهه ويبكي ويقول/ كلام ربي كتاب ربي قال الهيثمي في «مجمعه» (٩/ ٣٨٥) رواه الطبراني مرسلاً ورجاله رجال الصحيح.

بعد ما وُجد به بضعٌ وسبعون ما بين ضَرْبةٍ وطَعْنةٍ. رضي اللهُ عنه.

الفَضْلُ بنُ العَبَّاسِ بن عبدِ المطَّلب،قيل: إنه تُوُفِّي في هذه السنةِ، والصحيحُ أنه تأخَّر إلى سنةِ ثمانيَ عشْرة.

نُعَيمُ بنُ عبد الله النَّحَّام،أحَدُ بني عَديٍّ، أسْلَم قديمًا قبلَ عُمرَ، ولم يَتَهيَّأْ له هجرةٌ إلى ما بعدَ الحُدَيْبية؛ وذلك لأنه كان فيه برٌّ بأقاربه، فقالت له قريشٌ: أقِمْ عندَنا على أيِّ دينٍ شئتَ، فواللهِ لا يَتَعرَّضُك أحدٌ إلا ذهَبَتْ أنفسُنا دونَك. استُشْهِد يومَ أجْنادين، وقيل: يومَ اليَرْموك. رضي اللهُ عنه.

هَبَّارُ بنُ الأسْود بن أسد. أبو الأسْود القُرَشيُّ الأسَديُّ،هذا الرجلُ كان قد طعَن راحلةَ زَيْنبَ بنتِ النبيِّ ﷺ يومَ خرجَتْ من مكةَ حتى أسْقَطَت، ثم أسْلَم بعدُ فحَسُن إسلامُه، وقُتل بأجْنادينَ، رضي اللهُ عنه.

هَبَّارُ بنُ سفيانَ بن عبد الأسد المَخْزوميُّ،ابنُ أخي أبي سَلَمةَ. أسْلَم قديمًا وهاجَر إلى الحبشةِ، واستُشْهِد يومَ أجْنادين على الصَّحيح، وقيل: قُتل يومَ مُؤْتَةَ. واللهُ أعلمُ.

هشامُ بنُ العاص بن وائل السَّهْميُّ،أخو عمرِو بن العاص. روى التِّرْمذيُّ، أن رسولَ الله ﷺ قال: **«ابنا العاص مُؤْمنان»**[1]. وقد أسْلَم هشامٌ قبلَ عمرٍو، وهاجرَ إلى الحبشةِ، فلمَّا رجَع منا احْتُبِس بمكةَ، ثم هاجَر بعدَ الخَنْدق، وقد أرْسَله الصِّدِّيقُ إلى ملكِ الروم، وكان من الفُرْسانِ. وقُتِل بأجْنادينَ، وقيل: باليَرْموك. والأولُ أصحُّ. واللهُ أعلمُ.

أبو بكرٍ الصِّدِّيقُ،رضي اللهُ عنه، تقدَّم، وله تَرْجمةٌ مُفْردةٌ، ولله الحمدُ.



سنة أربعَ عشْرة من الهجرة

استَهَلَّت هذه السنةُ، والخَليفةُ عمرُ بنُ الخَطَّاب، يَحُثُّ الناسَ ويُحَرِّضُهم على جهادِ أهلِ العراقِ، وذلك لِما بلَغه من قَتْلِ أبي عُبَيدٍ يومَ الجِسْرِ، وانتظامِ شَمْلِ الفرسِ، واجتماعِ أمْرِهم على يَزْدَجِرْدَ الذي أقاموه من بيتِ الملك، ونَقْضِ أهلِ الذِّمَّةِ بالعراق عُهودَهم، ونَبْذِهم المَواثيقَ التي كانت عليهم، وآذَوا المسلمين وأخرَجوا العُمَّالَ من بينَ أظْهُرِهم، وقد كتَب عمرُ إلى مَن هنالك من الجيشِ أن يَتَبرَّزوا من بين أظْهُرِهم إلى أطْرافِ البلاد.

قال ابنُ جَرير، رحمه اللهُ:وركِب عمرُ، رَضي اللهُ عنه، في أولِ يومٍ من المُحَرَّم هذه السنةَ في الجيوشِ من المدينة، فنَزَل على ماءٍ يقالُ له: صِرارٌ. فعَسْكر به عازمًا على غَزْوِ العراقِ بنفسه، واستَخْلف على المدينةِ عليَّ بنَ أبي طالبٍ، واستَصْحب معه عثمانَ بنَ عَفَّانَ وساداتِ الصَّحابةِ، ثم عقَد

---

(١) حسن:رواه أحمد (٢/ ٣٠٤، ٣٢٧، ٣٥٣) والحاكم في «المستدرك» (٣/ ٢٦٨، ٥١٢) والطبراني في «الكبير» (٢٢/ ١٧٧) وأبو بكر الشيباني في «الآحاد والمثاني» (٢/ ٩٩) بلفظ: ابنا العاص مؤمنان: عمرو وهشام.

مَجْلسًا لاستشارة الصَّحابة فيما عزَم عليه، ونُودِيَ: إن الصلاةَ جامعةٌ. وقد أرسَل إلى عليٍّ، فقدم من المدينة، ثم استَشارهم، فكلُّهم وافَقه على الذَّهاب إلى العراق، إلا عبدَ الرحمنِ بنَ عَوْفٍ، فإنه قال له: إني أخْشَى إن كُسِرْتَ أن تُضْعِفَ المسلمين في سائرِ أقْطارِ الأرضِ، وإني أرَى أن تَبْعَثَ رجلاً، وتَرْجِعَ أنت إلى المدينة. فأرْفَأَ عمرُ والناسُ عندَ ذلك، واستَصْوَبوا رأْيَ ابنِ عَوْفٍ. فقال عمرُ: فمَن تَرَى أن نَبْعَثَ إلى العراقِ؟ فقال: قد وجَدْتُه. قال: ومَن هو؟ قال: الأسَدُ في بَراثِنه سعدُ بنُ مالكٍ الزهريُّ. فاستَجاد قولَه فأرْسَل إلى سعدٍ، فأمَّره على العراقِ، وأوْصاه فقال: يا سعدَ بني وُهَيْبٍ، لا يَغُرَّنَّك مِن الله أن قيل: خالُ رسولِ الله ﷺ وصاحبُه. فإن اللهَ لا يَمْحُو السَّيِّئَ بالسَّيِّئِ، ولكن يَمْحو السَّيِّئَ بالحَسَنِ، وإن اللهَ ليس بينَه وبينَ أحدٍ نَسَبٌ إلا بطاعته، فالناسُ شريفُهم ووَضيعُهم في ذاتِ الله سواءٌ؛ اللهُ ربُّهم، وهم عِبادُه، يتَفاضَلون بالعافيةِ ويُدْرِكون ما عندَ الله بالطاعة فانْظُرِ الأمْرَ الذي رأيْتَ رسولَ الله ﷺ عليه منذُ بُعِث إلى أن فارَقَنا فالْزَمْه؛ فإنه الأمْرُ، هذه عِظَتي إياك، إن ترَكْتَها ورَغِبْتَ عنها حبِط عمَلُك وكنتَ من الخاسرين. ولما أراد فِراقَه قال له: إنك ستُقْدِمُ على أمْرٍ شديدٍ، فالصَّبْرَ الصبرَ على ما أصابك ونابك تُجْمَعْ لك خَشْيةُ الله، واعلَمْ أن خَشْيةَ الله تَجْتَمعُ في أمْرَيْن؛ في طاعته واجْتنابِ مَعْصيته، وإنما أطاعه مَن أطاعه ببُغْضِ الدنيا وحُبِّ الآخرةِ، وإنما عِصْيانُ مَن عَصاه بحُبِّ الدنيا وبُغْضِ الآخرةِ، وللقلوبِ حَقائقُ يُنْشِئُها اللهُ إنْشاءً، منها السِّرُّ ومنها العَلانيةُ؛ فأمَّا العلانيةُ فأن يكونَ حامدُه وذامُّه في الحَقِّ سَواءً، وأما السِّرُّ فيُعْرفُ بظهورِ الحكْمة من قَلْبه على لسانه، وبمَحبَّةِ الناسِ فلا تَزْهَدْ في التَّحبُّبِ، فإن النَّبيين قد سألوا مَحبَّتَهم، وإن اللهَ إذا أحَبَّ عبدًا حبَّبه، وإذا أبْغَض عبدًا بَغَّضَه، فاعتَبِرْ منزلتَك عندَ الله بمنزلتِك عندَ الناس. قالوا: فسار سعدٌ نحوَ العراقِ في أربعة آلافٍ؛ ثلاثة آلافٍ من أهلِ اليمنِ، وألفٍ من سائرِ الناسِ. وقيل: في ستةِ آلافٍ وشيَّعهم عمرُ من صِرارٍ إلى الأعْوصِ، وقام عمرُ في الناسِ خَطيبًا هنالك فقال: إن اللهَ إنما ضرَب لكم الأمْثالَ، وصرَّف لكم القَوْلَ ليُحْيِيَ به القلوبَ، فإن القلوبَ مَيِّتةٌ في صُدورِها حتى يُحْيِيَها اللهُ، مَن علِم شيئًا فلْيَنْتَفِعْ به، فإن للعدْلِ أماراتٍ وتَباشيرَ؛ فأمَّا الأماراتُ فالحَياءُ والسَّخاءُ والهَيْنُ واللَّيْنُ، وأمَّا التَّباشيرُ فالرحمةُ، وقد جعَل اللهُ لكلِّ أمْرٍ بابًا، ويَسَّر لكلِّ بابٍ مِفْتاحًا؛ فبابُ العَدْلِ الاعْتبارُ، ومِفتاحُه الزُّهْدُ، والاعْتبارُ ذِكْرُ الموتِ والاستعدادُ بتَقْديمِ الأعمالِ، والزُّهْدُ أخذُ الحقِّ من كلِّ أحدٍ قِبَلَه حقٌّ والاكتفاءُ بما يَكْفيه من الكَفافِ، فإن مَن لم يَكْفِه الكَفافُ لم يُغْنِه شيءٌ، إني بينكم وبينَ الله، وليس بيني وبينَه أحدٌ، وإنَّ اللهَ قد ألْزَمَني دَفْعَ الدُّعاءِ عنه، فأنْهُوا شكاتَكم إلينا، فمَن لم يَستَطِعْ فإلى مَن يُبَلِّغُناه نأْخُذْ له الحَقَّ غيرَ مُتَعْتَعٍ. ثم سار سَعْدٌ إلى العراقِ، ورجَع عمرُ بمَن معه من المسلمين إلى المدينة، ولما انْتَهى سعدٌ إلى نهرِ زَرُودَ، ولم يَبْقَ بينَه وبينَ أن يَجْتَمِعَ بالمُثَنَّى بنِ حارثةَ إلا اليَسيرُ، وكلٌّ منهما مُشْتاقٌ إلى صاحبه، انْتَقَض جُرْحُ المُثَنَّى بنِ حارثةَ الذي كان جُرِحَه يومَ الجِسْرِ، فمات رحمه اللهُ ورضِي اللهُ عنه، واستَخْلف على الجيشِ بَشيرَ بنَ الخَصاصيَةِ، ولما بلَغ سعدًا موتُه ترَحَّم عليه وتزوَّج زَوْجتَه سَلْمَى، ولما وصَل سعدٌ إلى مَحلَّةِ الجُيوشِ

انتهت إليه رياستُها وإمْرتُها، ولم يَبْقَ بالعراق أميرٌ من سادات العرب إلا تحتَ أمره، وأمَدَّه عمرُ بأمْدادٍ أُخَرَ حتى اجْتمع معه يومَ القادسية ثلاثون ألفًا، وقيل: ستةٌ وثلاثون. وقال عمرُ: والله لأرْمِيَنَّ مُلوكَ العَجَم بمُلوك العرب. وكتَب إلى سعدٍ أن يَجْعَلَ الأمراءَ على القَبائلِ، والعُرفاءَ على كلِّ عشَرةٍ عَريفًا على الجيوشِ، وأن يُواعدَهم إلى القادسية، ففعَل ذلك سعدٌ؛ عرَّف العُرفاءَ، وأمَّر على القَبائلِ، وولّى على الطَّلائع، والمُقدِّمات، والمُجنِّبات والساقات، والرَّجَّالة، والرُّكْبان، كما أمَر أميرُ المؤمنين عمرُ.

قال سيفٌ بإسناده عن مشايخه قالوا: وجعَل عمرُ على قَضاء الناسِ عبدَ الرحمنِ بنَ ربيعةَ الباهليَّ ذا النُّورِ، وجعَل إليه الأقباضَ وقِسْمةَ الفيء، وجعَل داعيةَ الناسِ وقاصَّهم سَلْمانَ الفارسيَّ، وجعَل الكاتبَ زيادَ بنَ أبي سُفْيانَ. قالوا: وكان في هذا الجيشِ كلِّه من الصَّحابة ثلاثُمائةٍ وبِضْعةَ عشَرَ صحابيًّا، منهم بِضْعةٌ وسبعون بَدْريًّا، وكان فيه سبعُمائةٍ من أبناء الصَّحابة، رضي اللهُ عنهم.

وبعَث عمرُ كتابَه إلى سعدٍ يأمُرُه بالمُبادَرة إلى القادسية، والقادسيةُ بابُ فارسَ في الجاهلية، وأن يكون منزلُه بينَ الحَجَرِ والمَدَرِ، وأن يأخُذَ الطُّرُقَ والمَسالكَ على فارسَ، وأن يَبْدُروهم بالضَّرْبِ والشِّدة، ولا يَهولَنَّك كثرةُ عَدَدِهم وعُدَدِهم، فإنهم قومٌ خَدَعةٌ مَكَرةٌ، فإن أنتم صَبَرْتم لعدوِّكم واحتسَبْتُم لقتاله ونَوَيْتُم الأمانةَ رجَوْتُ أن تُنصَروا عليهم، ثم لم يَجْتَمعْ لهم شَمْلُهم أبدًا، إلا أن يَجْتَمعوا وليست معهم قلوبُهم، وإن كانت الأخرى فارْجِعوا إلى ما وراءَكم حتى تَصِلوا إلى الحَجَرِ فإنكم عليه أجْرأُ، وإنهم عنه أجْبَنُ وبه أجْهَلُ، حتى يأتيَ اللهُ بالفتح عليهم ويَرُدَّ لكم الكَرَّةَ. وأمَره بمُحاسبةِ نَفْسه ومَوْعظةِ جَيْشه، وأمَرهم بالنية الحَسَنة والصَّبْر، فإن النصرَ يأتي من الله على قَدْرِ النية، والأجرَ على قَدْرِ الحِسْبة، وسَلُوا اللهَ العافيةَ، وأكثِروا من قولِ: لا حولَ ولا قوةَ إلا بالله. واكْتُبْ إليَّ بجَميعِ أحْوالِكم وتَفاصيلها، وكيف تَنزِلون وأين يكونُ منكم عَدُوُّكم، واجْعَلْني بكتبِك إليَّ كأني أنْظُرُ إليكم، واجْعَلْني من أمْركم على الجَلِيَّة، وخَفِ اللهَ وارْجُه ولا تَدِلَّ بشيء، واعْلَمْ أن اللهَ قد توكَّل لهذا الأمرِ بما لا خُلْفَ له، فاحْذَرْ أن يَصْرِفَه عنك ويَسْتَبْدِلَ بكم غيرَكم.

فكتَب إليه سعدٌ يَصِفُ له كَيفيةَ تلك المَنازلِ والأراضي بحيث كأنه يُشاهِدُها، وكتَب إليه يُخبِرُه بأن الفرسَ قد جرَّدوا لحَرْبه رُسْتُمَ وأمثالَه، فهم يَطْلُبونَنا ونحن نَطْلُبُهم، وأمْرُ اللهِ بعدُ ماضٍ، وقضاؤُه مُسَلِّمٌ لنا إلى ما قُدِّر لنا وعلينا، فنَسْأَلُ اللهَ خيرَ القَضاء وخيرَ القَدَرِ في عافية.

وكتَب إليه عمرُ: قد جاءني كتابُك وفهِمتُه، فإذا لقِيتَ عدوَّك ومنَحك اللهُ أدْبارَهم، فإنه قد أُلْقِيَ في رُوعي أنكم ستَهْزِمونهم، فلا تَشُكَّنَّ في ذلك، فإذا هَزَمْتَهم فلا تَنزِعْ عنهم حتى تَقْتَحِمَ عليهم المَدائنَ؛ فإنه خَرابُها، إن شاء اللهُ. وجعَل عمرُ يَدْعوا لسعدٍ خاصةً وللمسلمين عامةً.

ولمَّا بلَغ سعدٌ العُذَيْبَ اعترَض المسلمين جيشٌ للفرسِ مع شيرزاذَ بنِ آزاذَوَيْه، فغَنِموا مما معه شيئًا كثيرًا، ووقَع منهم موقعًا كبيرًا، فخمَّسها سعدٌ، وقسمَ أربعةَ أخماسها في الناس، واستَبْشَر الناسُ بذلك وفرِحوا وتَفاءَلوا، وأفرد سعدٌ سَرِيَّةً تكونُ حِياطةً لمن معهم من الحَريمِ، على هذه السَّرِيةِ غالبُ ابنُ عبدِ اللهِ اللَّيْثيُّ.

فصلٌ في غزوة القادسية

ثم سار سعدٌ فنزَل القادسيةَ، وبَثَّ سَراياه، وأقام بها شهرًا لم يَرَ أحدًا مِن الفرس، فكتَب إلى عمرَ بذلك، والسَّرايا تأتي بالميرةِ من كلِّ مكانٍ، فعجَّت رَعايا الفُرْسِ مِن أطْراف بلادهم إلى يَزْدَجِرْدَ مِن الذي يَلْقون مِن المسلمين مِن النَّهْبِ والسِّباءِ. وقالوا: إن لم تُنْجِدونا وإلا أعْطَيْنا ما بأيدينا وسلَّمْنا إليهم الحُصونَ. واجْتَمع رأيُ الفرسِ على إرْسالِ رُسْتُمَ إليهم، فبَعث إليه يَزْدَجِرْدُ، فأمَّره على الجيشِ، فاسْتَعْفَى رُسْتُمُ مِن ذلك وقال: إن هذا ليس برأيٍ في الحربِ، إنَّ إرْسالَ الجُيوشِ بعدَ الجيوشِ أَشدُّ على العربِ مِن أن يَكْسِروا جيشًا كثيفًا مرةً واحدةً. فأبَى المَلِكُ إلا ذلك، فتَجَهَّز رُسْتُمُ للخروجِ، ثم بعَث سعدٌ كاشفًا إلى الحيرةِ، وإلى صلُوبَا، فأتاه الخبرُ بأن المَلِكَ قد أمَّر على الحربِ رُسْتُمَ بنَ الفرُّخْزاذِ الأرْمنيَّ، وأمَدَّه بالعَساكرِ، فكتَب سعدٌ إلى عمرَ بذلك، فكتَب إليه عمرُ: لا يَكْرُبَنَّك ما يأتيك عنهم، ولا ما يَأْتونك به، واسْتَعِنْ باللهِ وتوكَّلْ عليه، وابْعَث إليه رجالاً من أهلِ النظَرِ والرأيِ والجَلَدِ يَدْعونه، فإنَّ اللهَ جاعلٌ دُعاءَهم تَوْهِينًا لهم وفلْجًا عليهم، واكْتُبْ إليَّ في كلِّ يومٍ.

ولما اقْتَرب رُسْتُمُ بجيوشه وعَسْكَر بسَابَاطَ كتَب سعدٌ إلى عمرَ يقولُ: إن رُسْتُمَ قد عَسْكَرَ بساباطَ، وجرَّ الخُيولَ والفُيولَ وزحَف علينا بها، وليس شيء أهَمَّ عندي ولا أكْثرَ ذِكْرًا مني لِمَا أحْبَبْتُ أن أكونَ عليه مِن الاسْتِعانةِ والتَوكُّلِ.

وعبَّأ رُسْتُمُ، فجعَل على المُقدِّمةِ - وهي أربعون ألفًا - الجالِنوسَ، وعلى المَيمَنةِ الهُرْمُزانَ، وعلى المَيْسَرةِ مِهْرانَ بنَ بَهْرامَ، وذلك ستون ألفًا، وعلى السَّاقة البندرانَ في عشرين ألفًا، فالجيشُ كلُّه ثمانون ألفًا، فيما ذكَره سيفٌ وغيرُه. وفي روايةٍ: كان رُسْتُمُ في مائةٍ وعشرين ألفًا، يَتْبعُها ثمانون ألفًا، وكان معه ثلاثةٌ وثلاثون فيلاً، منها فيلٌ أبيَضُ كان لسابورَ، فهو أعْظَمُها وأقْدَمُها، وكانت الفِيلَةُ تألَفُه.

ثم بعَث سعدٌ جماعةً مِن الساداتِ، منهم النُّعمانُ بنُ مُقَرِّنٍ، وفُراتُ بنُ حَيَّانَ، وحَنْظلةُ بنُ الربيعِ التَّميميُّ، وعُطارِدُ بنُ حاجبٍ، والأشْعثُ بنُ قيسٍ، والمُغِيرةُ بنُ شُعْبةَ، وعمرُو بنُ مَعْدِيكَرِبَ، يَدْعون رُسْتُمَ إلى اللهِ عز وجل، فقال لهم رُسْتُمُ: ما أقْدَمَكم؟ فقالوا: جِئْنا لموعودِ الله إيانا؛ أَخْذِ بلادِكم وسَبْيِ نسائِكم وأبْنائِكم وأخْذِ أموالِكم، فنحن على يقينٍ مِن ذلك. وقد رَأَى رُسْتُمُ في مَنامه كأنَّ مَلَكًا نزَل مِن السماءِ، فختَم على سِلاحِ الفُرْسِ كلِّه، ودفَعه إلى رسولِ الله ﷺ، فدفعَه رسولُ اللهِ ﷺ إلى عمرَ.

وذكَر سيفُ بنُ عمرَ، أنَّ رُسْتُمَ طاول سعدًا في اللِّقاءِ حتى كان بينَ خُروجِه مِن المَدائنِ ومُلْتَقاه سعدًا بالقادسيةِ أربعةُ أشْهُرٍ، كلُّ ذلك لعَلَّه يُضْجِرُ سعدًا ومَن معه ليَرْجِعوا، ولولا أنَّ المَلِكَ اسْتَعْجَله

ما اتَّقاه؛ لما يَعْلَمُ من غَلَبة المسلمينَ لهم ونَصْرِهم عليهم، لما رأىٰ في مَنامه، ولما يَتَوسَّمُه، ولما سمع منهم، ولما عندَه من عِلْم النُّجوم الذي يَعْتَقِدُ صحتَه في نفسه؛ لما له من المُمَارَسة لهذا الفَنِّ.
ولَمَّا دَنا جيشُ رُسْتُمَ من سعدٍ، أحَبَّ سعدٌ أن يَطَّلِعَ علىٰ أخبارِهم علىٰ الجَلِيَّة، فبعَث سَرِيَّةً لتأتيَه برجلٍ من الفُرْسِ، وكان في السَّرِيَّة طُلَيْحةُ الأسَديُّ الذي كان ادَّعَىٰ النُّبوةَ ثم تاب، وتقدَّم الحارثُ مع أصحابه حتىٰ رجَعوا، فلما بعَث سعدٌ السَّرِيَّةَ اختَرق طُلَيْحةُ الجُيوشَ والصُّفوفَ، وتخَطَّىٰ الألوفَ، وقتَل جماعةً من الأبطال حتىٰ أسَر أحدَهم، وجاء به لا يَمْلِكُ من نفسه شيئًا، فسأَله سعدٌ عن القوم، فجعَل يَصِفُ شَجاعةَ طُلَيْحةَ، فقال: دَعْنا من هذا وأخْبِرْنا عن رُسْتُمَ. فقال: هو في مائةِ ألفٍ وعشرين ألفًا، ويَتْبَعُها مثلُها. وأسْلَم الرجلُ من فَوْرِه، رحمه اللهُ.

قال سيفٌ عن شيوخه: ولَمَّا تَواجَهَ الجيشان بعَث رُسْتُمُ إلىٰ سعدٍ أن يَبْعَثَ إليه برجلٍ عاقلٍ عالمٍ بما أسْألُه عنه. فبعَث إليه المُغيرةَ بنَ شُعْبةَ، رضي اللهُ عنه، فلما قدِم عليه جعَل رُسْتُمُ يقولُ له: إنكم جيرانُنا وكنا نُحْسِنُ إليكم ونَكُفُّ الأذىٰ عنكم، فارْجِعوا إلىٰ بلادكم ولا نَمْنَعُ تُجَّارَكم من الدُّخول إلىٰ بلادنا. فقال له المُغيرةُ: إنا ليس طَلَبُنا الدُّنيا، وإنما هَمُّنا وطَلَبُنا الآخرةُ، وقد بعَث اللهُ إلينا رسولاً قال له: إني قد سلَّطتُ هذه الطائفةَ علىٰ مَن لم يَدِنْ بديني، فأنا مُنْتَقِمٌ بهم منهم، وأجْعَلُ لهم الغَلَبةَ ماداموا مُقِرِّين به، وهو دينُ الحقِّ، لا يَرْغَبُ عنه أحدٌ إلا ذلَّ، ولا يَعْتَصِمُ به أحدٌ إلا عزَّ. فقال له رُسْتُمُ؟ فما هو؟ فقال: أمّا عَموده الذي لا يَصْلُحُ شيءٌ منه إلا به، فشَهادةُ أن لا إله إلا اللهُ وأنَّ محمدًا رسولُ الله، والإقرارُ بما جاء من عند الله. قال: ما أحْسَنَ هذا! وأيُّ شيءٍ أيضًا؟ قال: وإخراجُ العِباد من عِبادة العِباد إلىٰ عِبادة الله. قال: وحَسَنٌ أيضًا، وأيُّ شيءٍ أيضًا؟ قال: والناسُ بنو آدمَ، فهم إخوةٌ لأبٍ وأُمٍّ. قال: وحَسَنٌ أيضًا. ثم قال رُسْتُمُ: أرأيتَ إن دخَلْنا في دينكم، أتَرْجِعون عن بلادنا؟ قال: إي والله، ثم لا نَقْرَبُ بلادَكم إلا في تجارةٍ أو حاجةٍ. قال: وحَسَنٌ أيضًا. قال: ولما خرَج المُغيرةُ من عنده ذاكَر رُسْتُمُ رُؤساءَ قومِه في الإسلام، فأَنِفوا من ذلك وأبَوْا أن يَدْخُلوا فيه، قبَّحهم اللهُ وأخزاهم، وقد فعَل.

قالوا: ثم بعَث إليه سعدٌ رسولاً آخَرَ بطَلَبه، وهو رِبْعيُّ بنُ عامرٍ، فدخَل عليه وقد زَيَّنوا مَجْلِسَه بالنَّمارِقِ المُذَهَّبة والزَّرابيِّ الحَرير، وأظْهَر اليَواقيت واللآلئ الثَّمينة، والزِّينة العَظيمة، وعليه تاجُه، وغيرُ ذلك من الأمْتعة الثَّمينة، وقد جلَس علىٰ سَريرٍ من ذَهَبٍ، ودَخَل رِبْعيٌّ بثيابٍ صَفيقةٍ وسيفٍ وتُرْسٍ وفرسٍ قَصيرةٍ، ولم يَزَلْ راكبَها حتىٰ داس بها علىٰ طَرَفِ البُساط، ثم نَزَل وربَطها ببعضِ تلك الوَسائد، وأقْبَل وعليه سلاحُه ودِرْعُه وبَيْضةٌ علىٰ رأسه، فقالوا له: ضَعْ سلاحَك. فقال: إني لم آتِكم، وإنما جئتُكم حينَ دَعَوْتُموني، فإن ترَكْتُموني هكذا وإلا رَجَعْتُ. فقال رُسْتُمُ: ائْذَنوا له. فأقْبَل يَتَوكَّأُ علىٰ رُمْحه فوقَ النَّمارِقِ فخرَّق عامَّتَها، فقالوا له: ما جاء بكم؟ فقال: اللهُ ابْتَعَثَنا لنُخْرِجَ مَن شاء من عبادة العِباد إلىٰ عبادة الله، ومن ضِيقِ الدُّنيا إلىٰ سَعَتِها، ومن جَوْرِ الأدْيان إلىٰ عَدْلِ

الإسلام، فأرْسَلَنا بدينه إلى خلقه لنَدْعُوَهم إليه، فمَن قَبِل ذلك قَبِلْنا منه ورجَعْنا عنه، ومَن أبَى قاتَلْناه أبدًا حتى نُفْضِيَ إلى مَوْعودِ الله. قالوا: وما مَوعودُ الله؟ قال: الجَنّةُ لمن مات على قتال مَن أبَى، والظَّفَرُ لمن بَقِيَ. فقال رُسْتُمُ: قد سمعْتُ مَقالتَكم، فهل لكم أن تُؤَخِّروا هذا الأمرَ حتى نَنْظُرَ فيه وتَنْظُروا؟ قال: نعم، كم أحَبُّ إليكم؟ أيومًا أو يومين؟ قال: لا، بل حتى نُكاتبَ أهلَ رأْينا ورُؤساءَ قَوْمنا. فقال: ما سَنَّ لنا رسولُ الله ﷺ أن نُؤَخِّرَ الأعداءَ عندَ اللِّقاء أكثَرَ من ثلاث، فانظُرْ في أمرِك وأمرِهم، واختَرْ واحدةً من ثلاثٍ بعدَ الأجَلِ. فقال: أسَيِّدُهم أنت؟ قال: لا، ولكنِ المسلمون كالجَسَدِ الواحدِ يُجيرُ أدْناهم على أعْلاهم. فاجْتَمَع رُسْتُمُ برُؤَساءِ قومه، فقال: هل رأيْتُم قطُّ أعَزَّ وأرْجَحَ من كلام هذا الرجلِ؟ فقالوا: مَعاذَ الله أن تَميلَ إلى شيءٍ من هذا وتَدَعَ دينَك لهذا الكَلْبِ! أما تَرَى إلى ثيابه؟! فقال: ويْلَكم لا تَنْظُروا إلى الثيابِ، وانظُروا إلى الرأيِ والكلامِ والسِّيرة، إنَّ العربَ يَسْتَخِفُّون بالثِّيابِ والمأْكَلِ، ويَصُونون الأحْسابَ.

ثم بعثوا يَطْلُبون في اليوم الثاني رجلاً، فبُعث إليهم حُذَيفةُ بنُ مِحْصَنٍ، فتكلَّم نحوَ ما قال رِبْعيٌّ.
وفي اليوم الثالث المُغيرةُ بنُ شُعْبَةَ، فتكَلَّم بكلامٍ حسنٍ طويلٍ، قال فيه رُسْتُمُ للمُغيرة: إنما مَثَلُكم في دُخولِكم أرْضَنا كمَثَلِ الذُّبابِ رأَى العَسَلَ فقال: مَن يُوصِلُني إليه وله دِرْهمان؟ فلما سقَط عليه غرِق فيه، فجعَل يَطْلُبُ الخلاصَ فلا يَجِدُه، وجعَل يقولُ: مَن يُخَلِّصُني وله أربعةُ دراهمَ؟ ومَثَلُكم كمَثَلِ ثعلبٍ ضَعيفٍ دخَل جُحْرًا في كَرْمٍ، فلما رآه صاحبُ الكَرْمِ ضَعيفًا رحِمه فتركه، فلما سَمِن أفْسَد شيئًا كثيرًا فجاء بجَيشِه، واسْتَعان عليه بغِلْمانه، فذهَب ليَخْرُجَ فلم يَسْتَطِعْ لسِمَنِه، فضرَبه حتى قتَله، فهكذا تَخْرُجون من بلادنا. ثم اسْتَشاط غَضَبًا، وأقْسَم بالشمسِ لأقْتُلَنَّكم غدًا. فقال المغيرةُ: ستَعْلَمُ. ثم قال رُسْتُمُ للمُغيرة: قد أمَرْتُ لكم بكِسْوةٍ، ولأميرِكم بألفِ دينارٍ وكِسْوةٍ ومَرْكوبٍ وتَنْصَرِفون عنا. فقال المغيرةُ: أبَعْدَ أن أوْهَنَّا مُلْكَكم وضعَّفْنا عِزَّكم؟! ولنا مُدَّةٌ نحوَ بلادكم، ونأْخُذُ الجِزْيةَ منكم عن يدٍ وأنتم صاغِرون، وستَصِيرون لنا عَبيدًا على رَغْمِكم. فلما قال ذلك اسْتَشاط غضبًا.

وقال ابنُ جَريرٍ: حدَّثني محمدُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ صَفْوانَ الثَّقفيُّ، ثنا أُمَيَّةُ بنُ خالدٍ، ثنا أبو عَوانةَ، عن حُصَينِ بنِ عبدِ الرحمنِ، قال: قال أبو وائلٍ: جاء سعدٌ حتى نزَل القادسيَّةَ ومعه الناسُ. قال: لا أدْري لعلنا لا نَزيدُ على سبعةِ آلافٍ أو ثمانيةِ آلافٍ، بينَ ذلك، والمشركون ثلاثون ألفًا أو نحوُ ذلك، فقالوا: لا يدَ لكم ولا قوةَ ولا سلاحَ، ما جاء بكم؟ ارْجِعوا. قال: قُلْنا: ما نحن براجعين. فكانوا يَضْحَكون من نَبْلِنا، ويقولون: دوك دوك. وشَبَّهونا بالمَغازِلِ. فلما أبَيْنا عليهم أن نَرْجِعَ. قالوا: ابْعَثوا إلينا رجلاً منكم عاقلاً يُبَيِّنُ لنا ما جاء بكم. فقال المغيرةُ بنُ شُعْبةَ: أنا. فعبرَ إليهم فقعَد مع رُسْتُمَ على السَّريرِ فنخَروا وصاحوا، فقال: إن هذا لم يَزِدْني رِفْعةً ولم يَنْقُصْ صاحبَكم. فقال رُسْتُمُ: صدَق، ما جاء بكم؟ فقال: إنا كنا قومًا في شَرٍّ وضَلالةٍ، فبعَث اللهُ فينا نبيًّا، فهَدانا اللهُ به

ورزَقَنا على يدَيه، فكان فيما رزَقَنا حَبَّةٌ تَنْبُتُ بهذا البلد، فلما أكَلْناها وأطْعَمْناها أهْلِينا، قالوا: لا صَبْرَ لنا عنها، أنزِلونا هذه الأرضَ حتى نأْكُلَ مِن هذه الحَبَّة. فقال رُسْتُم: إذًا نَقْتُلَكم. قال: إن قتَلْتُمونا دَخَلْنا الجَنَّةَ، وإن قتَلْناكم دخَلْتُم النارَ، أو أدَّيْتُم الجِزْيَةَ. قال: فلما قال: أو أدَّيْتُم الجِزْيَة. نخَروا وصاحوا، وقالوا: لا صُلْحَ بينَنا وبينَكم. فقال المُغيرةُ: تَعْبُرون إلينا أو نَعْبُرُ إليكم؟ فقال رُسْتُمُ: بل نَعْبُرُ إليكم. فاسْتَأْخَر المسلمون حتى عبَروا، فحمَلوا عليهم فهزَموهم.

وذكر سيفٌ أنَّ سعدًا كان به عِرْقُ النَّسا يومَئذٍ، وأنه خطَب الناسَ وتَلاَ قولَه تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥]. وصلَّى بالناسِ الظُّهرَ، ثم كبَّر أربعًا، وحمَلوا بعدَ أن أمَرهم أن يقولوا: لا حولَ ولا قوةَ إلا باللهِ. ثم ذكَر الحديثَ في طَرْدهم إياهم، وقَتْلِهم لهم، وقُعودِهم لهم كلَّ مَرْصَدٍ، وحَصْرِهم لبعضِهم في بعضِ الأماكنِ حتى أكَلوا الكِلابَ والسَّنانيرَ، وما رُدَّ شارِدُهم حتى وصَل إلى نَهاوَنْدَ، ولجأ أكثرُهم إلى المَدائنِ، ولحِقهم المسلمون إلى أبوابِها. وكان سعدٌ قد بعَث طائفةً مِن أصحابِه إلى كِسْرَى يَدْعُونه إلى اللهِ قبلَ الوَقْعةِ، فاسْتَأْذَنوا على كِسْرَى، فأذِن لهم، وخرَج أهلُ البلدِ يَنْظُرون إلى أشْكالِهم، وأرْدِيتِهم على عَواتِقِهم، وسِياطِهم بأيديهم، والنِّعالِ في أرجلِهم، وخُيولِهم الضَّعيفةِ، وخَبْطِها الأرضَ بأرجلِها، وجعَلوا يَتَعَجَّبون منهم غايةَ العَجَبِ، كيف مِثْلُ هؤلاءِ يَقْهَرون جُيوشَهم مع كثرةِ عَدَدِها وعُدَدِها. ولما اسْتَأْذَنوا على الملكِ يَزْدَجِرْدَ أذِن لهم وأجْلَسهم بينَ يديه، وكان مُتَكَبِّرًا قليلَ الأدبِ، ثم جعَل يَسْأَلُهم عن مَلابِسِهم هذه ما اسمُها؛ عن الأرْديةِ، والنِّعالِ، والسِّياطِ، ثم كلما قالوا له شيئًا مِن ذلك تَفاءل، فرَدَّ اللهُ فَأْلَه على رأسِه. ثم قال لهم: ما الذي أقْدَمَكم هذه البلادَ؟ أظَنَنْتُم أنَّا لمَّا تشاغَلْنا بأنفسِنا اجْتَرَأْتُم علينا؟! فقال له النُّعمانُ بنُ مُقَرِّنٍ: إنَّ اللهَ رحِمَنا فأرْسَل إلينا رسولاً يَدُلُّنا على الخيرِ ويأمُرُنا به، ويُعَرِّفُنا الشَّرَّ وينْهانا عنه، ووعَدَنا على إجابتِه خيرَ الدنيا والآخرةِ، فلم يَدْعُ إلى ذلك قَبيلةً إلا صاروا فِرْقَتَيْن، فِرْقةٌ تُقارِبُه وفِرْقةٌ تُباعِدُه، ولا يَدْخُلُ معه في دينِه إلا الخَواصُّ، فمكَث بذلك ما شاء اللهُ أن يَمْكُثَ، ثم أُمِر أن يَنْبِذَ إلى مَن خالَفه مِن العربِ ويَبْدَأَ بهم، ففعَل، فدخَلوا معه جميعًا على وجهَيْن؛ مكروهٍ عليه فاغْتَبَط، وطائعٍ أتاه فازْداد، فعرَفْنا جميعًا فَضْلَ ما جاء به على الذي كنا عليه مِن العَداوةِ والضِّيقِ، وأمَرَنا أن نَبْدَأَ بمَن يَلينا مِن الأممِ فنَدْعُوَهم إلى الإنصافِ، فنحن نَدْعوكم إلى دينِنا، وهو دينٌ حسَّن الحسنَ وقبَّح القبيحَ كلَّه، فإن أبَيْتُم فأمرٌ مِن الشرِّ هو أهْوَنُ مِن آخَرَ شرٌّ منه؛ الجزاءُ، فإن أبَيْتُم فالمُناجَزةُ، وإن أجَبْتُم إلى دينِنا خَلَّفْنا فيكم كتابَ اللهِ، وأقَمْناكم عليه على أن تَحْكُموا بأحْكامِه ونَرْجِعَ عنكم، وشَأْنَكم وبِلادَكم، وإن اتَّقَيْتُمونا بالجِزَيِ قَبِلْنا ومَنَعْناكم، وإلا قاتَلْناكم. قال: فتكَلَّم يَزْدَجِرْدُ فقال: إني لا أعْلَمُ في الأرضِ أُمَّةً كانت أشْقَى ولا أقَلَّ عددًا ولا أسْوَأَ ذاتِ بَيْنٍ منكم، قد كنا نُوَكِّلُ بكم قُرَى الضَّواحي فيَكْفُوناكم، لا تَغْزوكم فارسُ ولا تَطْمَعون أن تَقوموا لهم، فإن كان عَدَدُكم كَثُر فلا يَغُرَّنَّكم منَّا، وإن كان الجَهْدُ دَعاكم فرَضْنا لكم قُوتًا إلى

خصْبِكم، وأكرَمْنا وُجوهكم وكَسَوْناكم، ومَلَّكْنا عليكم مَلكًا يَرْفُقُ بكم. فأسكَتَ القومُ، فقام المُغيرةُ بنُ زُرارةَ فقال: أيُّها الملكُ، إن هؤلاء رُءوسُ العربِ ووُجوهُهم، وهم أشرافٌ يَستَحْيُون مِن الأشْرافِ، وإنما يُكْرِمُ الأشْرافَ الأشْرافُ، ويُعَظِّمُ حُقوقَ الأشْرافِ الأشْرافُ، وليس كلُّ ما أُرسِلوا له جَمعوه لك، ولا كلُّ ما تَكَلَّمْتَ به أجابوك عنه، وقد أحْسَنوا، ولا يَحْسُنُ بمِثلِهم إلا ذلك، فجاوِبْني فأكونَ أنا الذي أُبَلِّغُك ويَشْهَدون على ذلك؛ إنك قد وَصَفْتَنا صفةً لم تَكُنْ بها عالمًا، فأمَّا ما ذكَرْتَ مِن سُوءِ الحالِ، فما كان أسْوأَ حالاً منا، وأما جُوعُنا فلم يكُنْ يُشْبِهُ الجُوعَ؛ كنا نأكُلُ الخنافسَ والجِعْلانَ والعَقارِبَ والحيَّاتِ، ونَرَىٰ ذلك طَعامَنا، وأما المَنازِلُ فإنما هي ظَهْرُ الأرضِ، ولا نَلْبَسُ إلا ما غزَلْنا مِن أوبارِ الإبلِ وأشْعارِ الغنمِ، دِينُنا أن يَقْتُلَ بعضُنا بعضًا، وأن يُغيرَ بعضُنا علىٰ بعضٍ، وإن كان أحدُنا ليَدْفِنُ ابنتَه وهي حيةٌ؛ كراهيةَ أن تأكُلَ مِن طَعامِه، فكانت حالُنا قبلَ اليومِ علىٰ ما ذكَرْتُ لك، فبعَثَ اللهُ إلينا رجلاً مَعْروفًا؛ نَعْرِفُ نَسَبَه، ونَعْرِفُ وجهَه ومَوْلِدَه، فأرضُه خيرُ أرضِنا، وحَسَبُه خيرُ أحْسابِنا، وبيتُه خيرُ بُيوتِنا، وقَبيلتُه خيرُ قَبائلِنا، وهو نفسُه كان خيرَنا في الحالِ التي كان فيها أصْدَقَنا وأحْلَمَنا، فدَعانا إلىٰ أمْرٍ فلم يُجِبْه أحدٌ أوّل مِن تِرْبٍ كان له وكان الخليفةَ مِن بَعْدِه، فقال وقُلْنا، وصدَق وكَذَبْنا، وزاد ونقَصْنا، فلم يَقُلْ شيئًا إلا كان، فقَذَف اللهُ في قلوبِنا التَّصْديقَ له واتِّباعَه، فصار فيما بينَنا وبينَ ربِّ العالمين، فما قال لنا فهو قولُ اللهِ، وما أمَرَنا فهو أمْرُ الله فقال لنا: إن ربَّكم يقولُ: أنا اللهُ وحْدي لا شَريكَ لي، كنتُ إذ لم يَكُنْ شيء، وكلُّ شيء هالكٌ إلا وجهي، وأنا خَلَقْتُ كلَّ شيء، وإليَّ يَصيرُ كلُّ شيء، وإنَّ رَحْمتي أدرَكَتْكم فبعَثْتُ إليكم هذا الرجلَ لأدُلَّكم علىٰ السَّبيلِ التي بها أُنَجِّيكم بعدَ الموتِ مِن عَذابي، ولأُحِلَّكم داري دارَ السَّلامِ. فنَشْهَدُ عليه أنه جاء بالحقِّ مِن عندِ الحقِّ. وقال: مَن تابَعكم علىٰ هذا فله ما لَكم وعليه ما عليكم، ومَن أَبىٰ فاعْرِضوا عليه الجِزْيَةَ، ثم امْنَعوه مما تَمْنَعون منه أنفسَكم، ومَن أَبىٰ فقاتِلوه، فأنا الحَكَمُ بينَكم، فمن قُتِل منكم أدْخَلْتُه جنَّتي، ومَن بَقِيَ منكم أعْقَبْتُه النَّصرَ علىٰ مَن ناوَأَه. فاخْتَرْ إن شئتَ الجِزْيةَ وأنت صاغِرٌ، وإن شئتَ فالسيفَ، أو تُسْلِمَ فتُنَجِّيَ نَفْسَك. فقال يزْدَجِرْدُ: اسْتَقْبَلْتَني بمِثلِ هذا؟! فقال: ما اسْتَقْبَلْتُ إلا مَن كلَّمني، ولو كلَّمني غيرُك لم أسْتَقْبِلْك به. فقال: لولا أنَّ الرُّسُلَ لا تُقْتَلُ لقَتَلْتُكم، لا شيء لكم عندي. وقال: ائْتوني بوِقْرٍ مِن ترابٍ، فاحْمِلوه علىٰ أشْرَفِ هؤلاءِ، ثم سُوقوه حتىٰ يَخْرُجَ مِن أبْياتِ المَدائنِ، ارْجِعوا إلىٰ صاحِبِكم فأعْلِموه أني مُرْسِلٌ إليه رُسْتُمَ حتىٰ يَدْفِنَه وجُنْدَه في خَنْدقِ القادسيةِ ويُنَكِّلَ به وبكم مِن بَعْدُ، ثم أُورِدُه بلادَكم حتىٰ أَشْغَلَكم في أنفسِكم بأشَدَّ مما نالكم مِن سابورَ. ثم قال: مَن أشْرَفُكم؟ فسكَتَ القومُ، فقال عاصمُ بنُ عمرٍ، وافْتاتَ ليأخُذَ التُّرابَ: أنا أشْرَفُهم، أنا سيدُ هؤلاءِ، فحَمِّلْنيه. فقال: أكذاك؟ قالوا: نعم. فحمَّله علىٰ عُنُقِه فخرَج به مِن الإيوانِ والدارِ حتىٰ أتَىٰ راحلتَه، فحمَلَه عليها، ثم انْجَذب في السَّيْرِ فأتَوا به سعدًا، وسبَقهم عاصمٌ، فمَرَّ ببابِ قُدَيْسٍ فطَواه فقال: بَشِّروا الأميرَ بالظَّفَرِ، ظَفِرْنا إن شاء اللهُ تعالىٰ. ثم مضَىٰ حتىٰ جعَل الترابَ في

الحِجْرِ، ثم رَجَع فدخَل على سعدٍ فأخْبَره الخبرَ. فقال: أبْشِروا فقد والله أعْطانا اللهُ أقاليدَ مُلْكِهم. وتَفاءلوا بذلك أخْذَ بلادهم، ثم لم يَزَلْ أمْرُ الصَّحابة يَزْدادُ في كلِّ يومٍ عُلُوًّا وشَرَفًا ورِفْعةً، ويَنْحَطُّ أمْرُ الفُرْسِ سُفْلاً وذُلاً ووَهَنًا.

ولما رَجع رُسْتُمُ إلى المَلِك يَسْأله عن حال مَن رأىٰ من المسلمين، فذكَر له عَقْلَهم وفَصاحَتَهم وحِدَّةَ جَوابِهم، وأنهم يَرُومون أمْرًا يُوشِكُ أن يُدْرِكوه، وذكَر له ما أمَر به أشْرَفهم من حَمْلِ التُّراب، وأنه اسْتَحْمَق أشْرَفَهم في حَمْله الترابَ على رأسه، ولو شاء اتَّقَىٰ بغيره وأنا لا أشْعُرُ، فقال له رُسْتُمُ: إنه ليس بأحْمَقَ، وليس هو بأشْرفِهم، إنما أراد أن يَفْتَدِيَ قومَه بنفسِه، ولكنْ والله ذهَبوا بمَفاتيحِ أرْضِنا.

وكان رُسْتُم مُنَجِّمًا، ثم أرْسَل رجلاً وراءَهم، وقال: إن أدْرَكَ التُّرابَ وراءَهم فرَدَّه تَدارَكْنا أمْرَنا، وإن ذهَبوا به إلى أميرِهم غلَبونا على أرضِنا. قال: فساق وراءَهم فلم يُدْرِكْهم، بل سبَقوه إلى سعدٍ بالتُّرابِ، وساء ذلك فارسَ وغضِبوا من ذلك أشَدَّ الغَضَبِ، واسْتَهْجَنوا رأْيَ المَلِك.

فصل

كانت وَقْعةُ القادسيةِ وَقْعةً عظيمةً لم يَكُنْ بالعراقِ أعْجَبُ منها؛ وذلك أنه لما تَواجَه الصَّفَّان كان سعدٌ، رضي اللهُ عنه، قد أصابه عِرْقُ النَّسا، ودَماملُ في جَسَدِه، فهو لا يَسْتَطيعُ الرُّكوبَ، وإنما هو في قَصْرٍ مُتَكِئٌ على صدره فوقَ وِسادةٍ، وهو يَنْظُرُ إلى الجيشِ ويُدَبِّرُ أمْرَه، وقد جعَل أمْرَ الحربِ إلى خالدِ ابنِ عُرْفُطَةَ، وجعَل على المَيْمَنة جَريرَ بنَ عبدِ الله البَجَليَّ، وعلى المَيْسَرة قيسَ بنَ مَكْشوحٍ، وكان قيسٌ والمغيرةُ بنُ شُعْبةَ قد قدما على سعدٍ مَدَدًا من عند أبي عُبَيدةَ من الشام بعدَما شهِدا وَقْعةَ اليَرْموك.

وزعَم ابنُ إسحاقَ أن المسلمين كانوا ما بينَ السبعة آلافٍ إلى الثمانية آلافٍ، وأن رُسْتُمَ كان في ستين ألفًا، فصلَّىٰ سعدٌ بالناسِ الظُّهْرَ، ثم خطَب الناسَ فوعَظهم وحثَّهم وتَلا قولَه تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥]. وقرَأ القُرَّاءُ آياتِ الجهادِ وسُوَرَه، ثم كبَّر سعدٌ أربعًا، ثم حمَلوا بعدَ الرابعة، فاقْتَتلوا حتى كان الليلُ، فتَحاجَزوا، وقد قُتِل من الفريقَين بَشَرٌ كثيرٌ، ثم أصْبَحوا إلى مَواقفِهم، فاقْتَتلوا يومَهم ذلك وعامَّةَ ليلتِهم، ثم أصْبَحوا كما أمْسَوا على مَواقفِهم، فاقْتَتلوا حتى أمْسَوا، ثم اقْتَتلوا في اليوم الثالث كذلك، وأمْسَتْ هذه الليلةُ تُسَمَّىٰ ليلةَ الهَريرِ، فلما أصْبَحَ اليومُ الرابعُ اقْتَتَلوا قتالاً شَديدًا، وقد قاسَوْا من الفِيَلة بالنسبة إلى الخُيولِ العربية بسببِ نفْرتِها منها، أمْرًا بَليغًا، وقد أباد الصحابةُ الفِيَلةَ ومَن عليها، وقلَعوا عُيونَها، وأبْلَىٰ جماعةٌ من الشُّجعانِ في هذه الأيام مثلُ طُلَيحةَ الأسَديِّ، وعمرِو بن مَعْدِ يكرِبَ، والقَعْقاعِ بنِ عَمْرٍو، وجَريرِ بنِ عبدِ الله البَجَليِّ، وضِرارِ بنِ الخطاب، وخالدِ بنِ عُرْفُطَةَ، وأشْكالِهم وأضرابِهم، فلما كان وقتُ الزَّوالِ من هذا اليوم - ويُسَمَّىٰ يومَ القادسية، وكان يومَ الإثنين من المُحَرَّم سنةَ أربعَ عشْرةَ، كما قاله سيفُ بنُ عمرَ التَّميميُّ - هَبَّت ريحٌ شَديدةٌ فرفَعتْ خيامَ الفرسِ عن أماكنها، وألْقَتْ

سَرِيرَ رُسْتُمَ الذي هو مَنْصوبٌ له، فبادَر فركِب بَغْلَته وهرَب، فأدْرَكه المسلمون فقتَلوه، وقتَلوا الجالنوسَ مُقَدَّمَ الطَّلائعِ الفارسيةِ، وانهَزَمت الفرسُ - ولله الحمدُ والمِنَّةُ - عن بَكْرةِ أبيهم، ولحقهم المسلمون في أقْفائهم، فقُتِل يومَئذٍ المُسَلْسَلون بكَمالهم، وكانوا ثلاثين ألفًا، وقُتِل في المعركة عشَرةُ آلافٍ، وقتَلوا قبلَ ذلك قريبًا من ذلك، وقُتِل من المسلمين في هذا اليوم وما قبلَه من الأيام ألفان وخمسُمائةٍ، رحمهم اللهُ.

وساق المسلمون خلفَ المُنْهَزِمين حتى دخَلوا وراءَهم مدينةَ المَلِك، وهي المَدائنُ التي فيها الإيوانُ الكِسْرَويُّ، وقد أذِن لِمَن ذَكَرْنا عليه، فكان منهم إليه ما قدَّمْنا. وقد غنِم المسلمون من وَقْعةِ القادسيةِ هذه من الأموالِ والسِّلاحِ ما لا يُحَدُّ ولا يُوصَفُ كثرةً، فحُصِّلَتْ الغَنائم بعدَ صَرْفِ الأَسْلابِ، وخُمِّسَت وبُعِث بالخُمُسِ والبِشارةِ إلى أميرِ المؤمنين عمرَ بنِ الخطابِ، رضي اللهُ عنه.

وقد كان عمرُ، رضي اللهُ عنه، يَسْتَخْبِرُ عن أمْرِ القادسيةِ كلَّ مَن لقِيَه من الرُّكْبانِ، ويَخْرجُ من المَدينةِ إلى ناحيةِ العراقِ يَسْتَنْشِقُ الخَبَرَ، فبينما هو ذاتَ يومٍ من الأيامِ إذا هو براكبٍ يَلوحُ من بُعْدٍ، فاسْتَقْبَلَه عمرُ فاسْتَخْبَره، فقال له: فتَح اللهُ على المسلمين بالقادسيةِ، وغَنِموا غَنائمَ كثيرةً. وجعَل يُحَدِّثُه، وهو لا يَعْرِفُ عمرَ، وعمرُ ماشٍ تحتَ راحلتِه، فلمَّا اقْتَرَبا من المدينةِ جَعَل الناسُ يُحَيُّون عمرَ بالإمارةِ، فعرَف الرجلُ عمرَ فقال: يَرْحَمُك اللهُ يا أميرَ المؤمنين، هَلاَّ أعْلَمْتَني أنك الخَليفةُ؟ فقال: لا حرَجَ عليك يا أخي.

وقد تَقَدَّم أن سعدًا، رضي اللهُ عنه، كان به قُروحٌ وعِرْقُ النَّسا، فمنَعه من شُهودِ القِتالِ، لكنه جالسٌ في رأسِ القَصْرِ يَنْظُرُ في مَصالحِ الجيشِ، وكان مع ذلك لا يُغْلَقُ عليه بابَ القصرِ؛ لشَجاعته، ولو فَرَّ الناسُ لأخَذَتْه الفرسُ قَبْضًا باليدِ، لا يَمْتَنِعُ منهم، وعندَه امرأتُه سَلْمَى بنتُ حَفْصٍ التي كانت قبلَه عندَ المُثَنَّى بنِ حارثةَ، فلما فَرَّ بعضُ الخيلِ يومَئذٍ فزِعَت وقالت: وامُثَنَّياه، ولا مُثَنَّى لِيَ اليومَ، فغضِب سعدٌ من ذلك ولطَم وجهَها، فقالت: أغَيْرةً وجُبْنًا؟ يعني أنها تُعَيِّرُه بجُلوسه في القَصْرِ يومَ الحربِ وهذا عِنادٌ منها، فإنها أعْلَمُ الناسِ بعُذْرِه، وما هو فيه من المرضِ المانعِ من ذلك.

وكان عندَه في القَصْرِ رجلٌ مَسْجونٌ على الشَّرابِ، كان قد حُدَّ فيه مراتٍ مُتَعددةً، يقالُ: سبعَ مراتٍ. فأمَر به سعدٌ فقُيِّد وأُودِعَ القَصْرَ، فلما رأى الخيولَ تَجولُ حولَ حِمَى القصرِ، وكان من الشُّجْعانِ الأبطالِ، قال:

كفى حَزَنًا أن تُدْحَمَ الخيلُ بالقَنا ... وأُتْرَكَ مَشْدودًا عليَّ وَثاقِيا
إذا قُمْتُ عَنَّاني الحديدُ وأُغْلِقَتْ ... مَصاريعُ من دوني تَصُمُّ المُناديا
وقد كنتُ ذا مالٍ كثيرٍ وإخوةٍ ... وقد تركوني مُفْرَدًا لا أخا لِيا

ثم سأل من زَبْراءَ أمِّ ولدِ سعدٍ أن تُطْلِقَه وتُعيرَه فرسَ سعدٍ، وحلَف لها أنه يَرْجِعُ آخرَ النَّهارِ، فيَضَعُ

رجلَه في القَيْد، فأطْلَقَتْه، وركِب فرسَ سعدٍ وخرَج فقاتَل قِتالاً شديدًا، وجعل سعدٌ يَنْظُرُ إلى فرسِه فيَعْرِفُها ويُنْكِرُها، ويُشَبِّهُه بأبي مِحْجَنٍ، ولكن يَشُكُّ لظنِّه أنه في القصرِ مُوثَقٌ، فلما كان آخرُ النهارِ رجَع فوضَع رجلَه في قَيْدِها، ونزَل سعدٌ فوجَد فرسَه يَعْرَقُ فقال: ما هذا؟ فذكَروا له قصة أبي مِحْجَنٍ، فرضِي عنه وأطْلَقه، رضِي اللهُ عنهما. وقد قال رجلٌ مِن المسلمين في سعدٍ، رضِي اللهُ عنه:

نُقاتِلُ حتى أنزَلَ اللهُ نصرَهُ ... وسعدٌ ببابِ القادسيَّةِ مُعْصِمُ
فأُبْنا وقد آمَتْ نساءٌ كثيرةٌ ... ونسوةُ سعدٍ ليسَ فيهنَّ أَيِّمُ

فيقالُ: إن سعدًا نزَل إلى الناسِ، فاعْتَذَر إليهم بما فيه مِن القُروحِ في فَخِذيه وأَلْيَتَيْه، فعذَره الناسُ. وذكروا أنه دَعا على قائلِ هذين البيتَيْن وقال: اللهم إن كان كاذبًا أو قال الذي قال رياءً وسُمْعةً وكَذِبًا فاقْطَعْ لِسانَه ويدَه. فجاءه سهمٌ وهو واقفٌ بينَ الصَّفَّين، فوقَع في لسانِه فبطَل شِقُّه، فلم يَتَكَلَّم حتى مات. رواه سَيْفٌ عن عبدِ الملكِ بنِ عُمَيرٍ، عن قَبيصةَ بنِ جابرٍ، فذكَره. وقال سيف عن المِقْدام بنِ شُرَيْحٍ الحارثيِّ، عن أبيه قال: قال جَرِيرُ بنُ عبدِ اللهِ البَجَليُّ:

أنا جَريرٌ كُنْيَتي أبو عَمِرْو ... قد فتَح اللهُ وسعدٌ في القَصِرْ

فأشْرَف سعدٌ مِن قَصْرِه وقال:

وما أرْجُو بَجِيلةَ غيرَ أني ... أُؤَمِّلُ أجْرَها يومَ الحسابِ
وقد لَقِيَت خيولُهمُ خيولاً ... وقد وقَع الفوارسُ في الضِّرابِ
وقد دَلَفَتْ بعَرْصَتِهم فُيولٌ ... كأنَّ زُهاءَها إبِلُ الجِرابِ
فلولا جَمْعُ قَعْقاعِ بنِ عمرو ... وحَمَّالٍ لَلَجُّوا في الرِّكابِ
ولولا ذاك أُلفِيتُمْ رَعَاعًا ... تسيلُ جُمُوعُكمْ مثلَ الذُّبابِ

وقد روَى محمدُ بنُ إسحاقَ عن إسماعيلَ بنِ أبي خالدٍ، عن قيسِ بنِ أبي حازمٍ البَجَليِّ - وكان ممن شهِد القادسيةَ - قال: كان معنا رجلٌ مِن ثَقيفٍ، فلحِق بالفُرْسِ مُرْتَدًّا، فأخْبَرهم أن بأسَ الناسِ في الجانبِ الذي فيه بَجيلةُ. قال: وكنا رُبُعَ الناسِ. قال: فوجَّهوا إلينا ستةَ عشَرَ فيلاً، وجعَلوا يُلْقون تحتَ أرْجُلِ خيولِنا حَسَكَ الحديد، ويَرْشُقوننا بالنُّشَّابِ، فَلَكأنه المَطَرُ، وقرَنوا خُيولَهم بعضَها إلى بعضٍ لِئلاَّ يَفِرُّوا. قال: وكان عمرُو بنُ مَعْدِ يكَرِبَ الزُّبَيْديُّ يَمُرُّ بنا فيقولُ: يا معشرَ المهاجرين، كونوا أُسُودًا، فإنما الفارسيُّ تَيسٌ. قال: وكان فيهم أُسْوارٌ لا تَكادُ تَسقُطُ له نُشَّابةٌ، فقلنا له: يا أبا ثَورٍ، اتَّقِ ذاك الفارسيَّ؛ فإنه لا تَسْقُطُ له نُشَّابةٌ. فتوجَّه إليه، ورَماه الفارسيُّ بنُشَّابةٍ فأصاب تُرْسَه، وحَمَل عليه عمرٌو، فاعْتَنَقه فذبَحه، فاسْتَلَبه سِوارَيْنِ من ذهبٍ، ومِنْطَقةً مِن ذَهَبٍ، ويَلْمَقًا من دِيباجٍ. قال: وكان المسلمون ستةَ آلافٍ أو سبعةَ آلافٍ، فقتَل اللهُ رُسْتُمَ، وكان الذي قتَله رجلٌ يقالُ له: هلالُ بنُ عُلَّفَةَ التَّيْميُّ. رَماه رُسْتُمُ بنُشَّابةٍ، فأصاب قدمَه، وحَمَل عليه هلالٌ فقتَله واحْتَزَّ رأسَه، وولَّت الفرسُ، فأتْبعهم المسلمون يُقَتِّلُونهم، فأدْركوهم في مكانٍ قد نزَلوا فيه واطْمَأَنُّوا، فبينما هم سُكارَىٰ

قد شربوا ولَعِبوا إذا هَجَم عليهم المسلمون، فقتَلوا منهم مَقْتَلةً عظيمةً، وقُتل هنالك الجالنوسُ، قتَله زُهْرةُ بنُ حَوِيَّةَ التَّميميُّ، ثم ساروا خلفهم، فكلما تَواجَه الفريقان نصَر اللهُ حزْبَ الرحمنِ، وخَذَل حزْبَ الشيطانِ وعَبَدَةَ النِّيرانِ، واحْتاز المسلمون من الأموالِ ما يَعْجِزُ عن حصرِه ميزانٌ وقَبَّانٌ، حتى إن منهم مَن يقولُ: مَن يُقايِضُ بَيضاءَ بصَفْراءَ. لكثرةِ ما غَنِموا من الفُرْسانِ. ولم يَزالوا يَتْبعونهم حتى جازوا الفُراتَ وراءَهم، وفتَحوا المَدائنَ وجَلُولاءَ، على ما سيأتي تَفْصيلُه في مَوْضِعِه، إن شاء اللهُ تعالى وبه الثقةُ.

وقال سيفُ بنُ عمرَ عن سليمانَ بنِ بَشيرٍ، عن أمِّ كَثيرٍ امرأةِ هَمَّامِ بنِ الحارثِ النَّخَعيِّ قالت: شَهِدْنا القادسيةَ مع سعدٍ مع أزْواجِنا، فلمَّا أتانا أن قد فُرِغَ من الناسِ، شدَدْنا علينا ثيابَنا وأخَذْنا الهَراوَى، ثم أتَيْنا القَتْلَى، فمَن كان من المسلمين سَقَيْناه ورَفَعْناه، ومَن كان من المشركين أجْهَزْنا عليه، ومعنا الصِّبْيانُ فنُوَلِّيهم ذلك. تعني اسْتِلابَهم؛ لئلا يَكْشِفْنَ عن عَوْراتِ الرِّجالِ.

وقال سيفٌ بأسانيدِه عن شيوخِه قالوا: وكتَب سعدٌ إلى عمرَ يُخبِرُه بالفَتْحِ وبعِدَّةِ مَن قَتَلوا من المُشْرِكين، وبعِدَّةِ مَن قُتِل من المسلمين، وبعَث بالكتابِ مع سعدِ بنِ عُمَيْلةَ الفَزاريِّ، وصورتُه: أما بعدُ، فإن اللهَ نَصَرَنا على أهلِ فارسَ، ومنَحهم سَنَنَ مَن كان قبلَهم من أهلِ دينِهم بعدَ قتالٍ طويلٍ، وزِلْزالٍ شديدٍ، وقد لَقُوا المسلمين بعُدَّةٍ لم يَرَ الراءُون مثلَ زُهائِها، فلم يَنْفَعْهم اللهُ بذلك، بل سلَبوه، ونقَله عنهم إلى المسلمين، وأتْبَعهم المسلمون على الأنهارِ، وصُفوفِ الآجامِ، وفي الفِجاجِ، وأُصيب من المسلمين سعدُ بنُ عُبَيدٍ القاريُّ وفلانٌ وفلانٌ، ورجالٌ من المسلمين لا يَعْلَمُهم إلا اللهُ، فإنه بهم عالمٌ، كانوا يُدَوُّون بالقرآنِ إذا جَنَّ عليهم الليلُ كدَوِيِّ النَّحلِ، وهم آسادٌ في النهارِ لا تُشْبِهُهم الأسودُ، ولم يَفْضُلْ مَن مضَى منهم مَن بَقِيَ إلا بفَضْلِ الشَّهادةِ إذا لم تُكْتَبْ لهم. فيقالُ: إن عمرَ قرَأ هذه البِشارةَ على الناسِ فوقَ المنبرِ، رضي اللهُ عنهم. ثم قال عمرُ للناسِ: إني حَريصٌ على أن لا أرى حاجةً إلا سدَدْتُها ما اتَّسَعَ بعضُنا لبعضٍ، فإذا عجَز ذلك عنا تأسَّيْنا في عَيْشِنا حتى نَسْتَوِيَ في الكَفافِ، ولَوَدِدْتُ أنكم علِمْتُم من نفسي مثلَ الذي وقَع فيها لكم، ولستُ مُعْلِمَكم إلا بالعملِ، إني واللهِ لستُ بمَلِكٍ فأسْتَعْبِدَكم، ولكني عبدُ اللهِ، عرَض عليَّ الأمانةَ، فإن أبَيْتُها ورَدَدْتُها عليكم واتَّبَعْتُكم حتى تَشْبَعوا في بيوتِكم وتَرْوَوْا سَعِدْتُ بكم، وإن أنا حمَلْتُها واسْتَتْبَعْتُها إلى بيتي شَقِيتُ بكم، ففَرِحْتُ قليلاً وحَزِنْتُ طويلاً، فبَقِيتُ لا أُقالُ ولا أُرَدُّ فأُسْتَعْتَبَ.

وقال سيفٌ عن شيوخِه قالوا: وكانت العربُ من العُذَيْبِ إلى عَدَنَ أَبْيَنَ يَتَرَبَّصون وَقْعةَ القادسيةِ هذه، يَرَوْن أن ثَباتَ مُلْكِهم وزَوالَه بها، وقد بعَث أهلُ كلِّ بَلْدةٍ قاصدًا يَكْشِفُ ما يكونُ من خبرِهم، فلما كان ما كان من الفَتْحِ سبقَت الجنُّ بالبِشارةِ إلى أقْصَى البلادِ قبلَ رُسُلِ الإنسِ، فسُمِعَت امرأةٌ ليلاً بصَنْعاءَ على رأسِ جبلٍ وهي تقولُ:

فحُيِّيت عنَّا عكرِمَ ابنةَ خالد ... وما خيرُ زاد بالقليلِ المُصَرَّدِ
وحَيَّتك عنِّي الشمسُ عند طلُوعها ... وحَيّاك عنِّي كلُّ ناجٍ مُفَرَّدَ
وحَيَّتكَ عنِّي عُصْبةٌ نخَعيّةٌ ... حِسانُ الوجوه آمَنوا بمحمد
أقاموا لكسرى يَضْربونَ جنودَه ... بكلِّ رقيقِ الشفرتَين مُهَنَّدَ
إذا ثوّبَ الداعي أناخوا بكَلْكَلِ ... منَ الموتِ مُسْوَدِّ الغَيَاطِلِ أجْرَدَ

قالوا: وسمع أهلُ اليَمامةِ مُجْتازًا يُغَنِّي بهذه الأبْياتِ:

وجدْنا الأكثرين بني تميمٍ ... غداةَ الرَّوعِ أكثرَهم رجالا
همُ ساروا بأرْعَنَ مُكْفَهِرٍ ... إلى لَجِبٍ فزرتُهمْ رِعالا
بُحُورٌ للأكاسرِ من رجالٍ ... كأُسْدِ الغَابِ تَحْسَبُهم جبالا
تَركْنَ لهمْ بقادسَ عِزَّ فَخْرٍ ... وبالخَيْفَين أيامًا طوالا
مُقَطَّعةً أكفُّهمُ وسُوقٌ ... بمُرْدٍ حيث قابلَتِ الرِّجالا

قالوا: وسُمع ذلك في سائرِ بلادِ العربِ.

وقد كانت بلادُ العراقِ بكمالِها التي فتَحها خالدٌ نقَضَت العُهودَ والذِّمَمَ والمَواثيقَ التي كانوا أعْطَوْها خالدًا سوى أهلِ بانقْيَا وباروسْما وأهلِ أُلَيْسِ الآخرةِ، ثم عاد الجميعُ بعدَ هذه الوَقْعة التي أوْرَدْناها، وادَّعَوا أن الفرسَ أجْبَروهم على نَقْضِ العُهودِ، وأخَذوا منهم الخَراجَ وغير ذلك. فصدَّقوهم في ذلك؛ تألُّفًا لقلوبِهم، وسنَذْكُرُ حُكْمَ أهلِ السَّوادِ في كتابِنا «الأحكام الكبيرِ» إن شاء اللهُ تعالى.

وقد ذهَب ابنُ إسحاقَ وغيرُه إلى أنَّ وَقْعةَ القادسية كانت في سنة خمسَ عشْرةَ. وزعَم الواقديُّ أنها كانت في سنة ستَّ عشْرةَ. وأما سيفُ بنُ عمرَ وجماعةٌ فذكَروها في سنة أربعَ عَشْرةَ، وفيها ذَكرها ابنُ جَرير. فاللهُ أعلمُ.

قال ابنُ جَرير والواقديُّ: وفي سنة أربعَ عشْرةَ جمع عمرُ بنُ الخطاب الناسَ على أُبَيِّ بنِ كعبٍ في التَّراويحِ، وذلكَ في شهرِ رمضانَ منها، وكتَب إلى سائرِ الأمْصارِ يأمُرُهم بالاجْتماعِ في قيامِ شهرِ رمضانَ.

قال ابنُ جرير: وفيها بعَث عمرُ بنُ الخَطابِ عُتْبةَ بنَ غَزْوانَ إلى البَصْرةِ، وأمَره أن يَنْزِلَ بها ومَن معه مِن المسلمين، وقَطْعِ مادَّةِ أهلِ فارسَ عن الذين بالمَدائنِ ونَواحِيها منهم، في قولِ المَدائنيِّ. وروايتُه قال: وزعَم سيفٌ أن البَصْرةَ إنما مُصِّرت في ربيعٍ من سنة ستَّ عشْرةَ، وأن عُتْبةَ بنَ غَزْوانَ إنما خرَج إلى البَصْرةِ مِن المَدائنِ بعدَ فراغِ سعدٍ من جَلُولاءَ وتَكْرِيتَ، وجَّهه إليها سعدٌ بأمْرِ عمرَ، رضِي اللهُ عنهم.

وقال أبو مِخْنَف عن مُجالدٍ، عن الشَّعْبيِّ: إن عمرَ بعَث عُتْبةَ بنَ غَزْوانَ إلى أرضِ البَصْرة في ثلاثمائةٍ وبِضْعَةَ عشرَ رجلًا، وسار إليه مِن الأعْرابِ ما كمَّل معه خَمسَمائةٍ، فنزَلها في ربيع الأول

سنةَ أربعَ عشْرةَ، والبَصْرةُ يومَئذٍ تُدْعَىٰ أرضَ الهند، فيها حجارةٌ بِيضٌ خشنةٌ، وجعَل يَرْتادُ لهم مَنْزِلاً حتىٰ جاءوا حِيالَ الجِسْرِ الصَّغيرِ، فإذا فيه حَلَفٌ وقَصَبٌ نابتٌ فنزَلوا، فركِب إليهم صاحبُ الفُراتِ في أربعةِ آلافِ أُسْوارٍ، فالْتقاه عُتبةُ بعدَما زالت الشمسُ، وأمَر أصحابَه فحمَلوا عليهم فقتَلوا الفرسَ عن آخرِهم، وأسَروا صاحبَ الفُرات، وقام عُتْبةُ خطيبًا فقال في خُطْبته: إن الدنيا قد آذَنَت بصُرْمٍ، ووَلَّت حَذَّاءَ، ولم يَبْقَ منها إلا صُبابةٌ كصُبابةِ الإناءِ، وإنكم مُنْتَقِلون منها إلىٰ دارِ القَرارِ، فانْتَقِلوا بخيرِ ما بحضْرَتِكم، فقد ذُكِر لي لو أنَّ صَخْرةً أُلْقِيَت من شَفِيرِ جَهَنَّمَ هَوَت سبْعين خَريفًا ولَتَمْلأَنَّه، أوَ عجِبْتُم؟! ولقد ذُكِر لي أن ما بينَ مِصْراعَين من مَصاريعِ الجنةِ مسيرةُ أربعين عامًا، ولَيَأْتِيَنَّ عليه يومٌ وهو كَظِيظٌ من الزِّحامِ، ولقد رأيْتُني وأنا سابعُ سبعةٍ، وأنا مع رسولِ الله ﷺ ما لنا طَعامٌ إلا ورَقُ السَّمُرِ، حتىٰ تقرَّحتْ أشْداقُنا، والْتَقَطْتُ بُرْدةً فشقَقْتُها بيني وبينَ سعدٍ، فما منا من أولئك السبعةِ من أحدٍ إلا هو أميرٌ علىٰ مِصْرٍ من الأمْصارِ، وستُجَرِّبون الناسَ بعدَنا[1]. وهذا الحديثُ في «صحيح مسلم» بنحوٍ من هذا السِّياق.

وروَىٰ عليُّ بنُ محمدٍ المَدائنيُّ، أن عمرَ كتَب إلىٰ عُتْبةَ بنِ غَزْوانَ حينَ وجَّهه إلى البَصْرةِ: يا عُتْبةُ، إني اسْتَعْمَلْتُك علىٰ أرضِ الهندِ، وهي حَوْمةٌ من حَوْمةِ العدوِّ، وأرْجو أن يَكْفِيَك اللهُ ما حولَها، وأن يُعينَك عليها، وقد كتَبْتُ إلىٰ العَلاءِ بنِ الحَضْرميِّ يُمِدُّك بعَرْفَجةَ بنِ هَرْثَمةَ، فإذا قدِم عليك فاسْتَشِرْه وقرِّبْه، وادْعُ إلى الله فمَن أجابك فاقْبَلْ منه، ومَن أبَىٰ فالجِزْيةُ عن صَغارٍ وذِلَّةٍ، وإلا فالسيفُ في غيرِ هوادةٍ، واتَّقِ اللهَ فيما وُلِّيتَ، وإياك أن تُنازِعَك نفسُك إلىٰ كِبْرٍ فتُفْسِدَ عليك آخرتَك، وقد صَحِبْتَ رسولَ الله ﷺ، فعزِزْتَ به بعدَ الذِّلَّةِ، وقَوِيتَ به بعدَ الضَّعفِ، حتىٰ صِرْتَ أميرًا مُسَلَّطًا، ومَلِكًا مُطاعًا، تقولُ فيُسْمَعُ منك، وتأْمُرُ فيُطاعُ أمْرُك، فيا لها من نعمةٍ إن لم تَرْقَ فوقَ قَدْرِك وتَبْطَرْ علىٰ مَن دونَك، احْتَفِظْ من النِّعمةِ احْتِفاظَك من المَعْصيةِ، ولَهِيَ أخْوفُهما عندي عليك أن تَسْتَدْرِجَك وتَخْدَعَك فتَسْقُطَ سَقْطةً تَصِيرَ بها إلىٰ جَهَنَّمَ، أُعِيذُك باللهِ ونفسي من ذلك، إن الناسَ أسْرَعوا إلى اللهِ حتىٰ رُفِعَت لهم الدنيا فأرادوها، فأَرِدِ اللهَ ولا تُرِدِ الدنيا، واتَّقِ مَصارعَ الظالمين.

وقد فَتَح عُتْبةُ الأُبُلَّةَ في رَجَبٍ أو شعبانَ من هذه السنة، ولما مات عُتْبةُ بنُ غَزْوانَ في هذه السنةِ اسْتَعْمَل عمرُ علىٰ البصرةِ المُغيرةَ بنَ شُعْبةَ سنتين، فلما رُمِيَ بما رُمِيَ به عَزَلَه ووَلَّىٰ عليها أبا موسى الأشْعريَّ، رضِي اللهُ عنهم.

وفي هذه السنة ضرَب عمرُ بنُ الخَطَّاب ابنَه عُبَيدَ الله في الشَّراب هو وجماعةً معه، وفيها ضرَب أبا مِحْجَنٍ الثقفيَّ في الشَّرابِ أيضًا سبعَ مراتٍ، وضرَب معه ربيعةَ بنَ أميةَ بنِ خلفٍ. وفيها نزَل سعدُ

(1) رواه مسلم (٢٩٦٧) وابن ماجه (٤١٥٦).

ابنُ أبي وَقَّاصٍ بالكوفة. وحَجَّ بالناسِ في هذه السنةِ عمرُ بنُ الخطاب. قال: وكان بمكةَ عَتَّابُ بنُ أَسِيدٍ، وبالشامِ أبو عُبَيدةَ، وبالبَحْرَيْن عثمانُ بنُ أبي العاصِ، وقيل: العَلاءُ بنُ الحَضْرميِّ. وعلى العراقِ سعدٌ، وعلى عُمَانَ حُذَيفةُ بنُ مِحْصَنٍ.

ذِكرُ مَن تُوُفِّي في هذا العام مِن المشاهير والأعيان

ففيها تُوُفِّي سعدُ بنُ عُبادةَ في قولٍ، والصحيحُ في التي قبلَها. واللهُ أعلمُ.

وفيها تُوُفِّيَ عُتْبةُ بنُ غَزْوانَ بن جابر بن وُهَيْب المازنيُّ، حَليفُ بني عبدِ شمسٍ، صحابيٌّ بَدْرِيٌّ وأسْلَم قديمًا بعدَ ستةٍ، وهاجَر إلى أرضِ الحَبَشة، وهو أولُ من اختَطَّ البَصْرةَ عن أمرِ عمرَ، وإمْرتُه له على ذلك كما تقدَّم، وله فَضائلُ ومآثِرُ، وتُوُفِّيَ سنةَ أربعَ عشْرةَ، وقيل: سنةَ خمسَ عشْرةَ. وقيل: سنةَ سبعَ عشْرةَ. وقيل: سنةَ عشرين. فاللهُ أعلمُ. وقد جاوَز الخمسين. وقيل: بلَغ ستين سنةً، رضِي اللهُ عنه.

عمرُو بنُ أمِّ مكتوم الأعمَى، ويُقالُ: اسمه عبدُ الله. صحابيٌّ مُهاجِريٌّ، هاجَر بعدَ مُصْعبِ بنِ عُمَيرٍ قبلَ النبيِّ ﷺ، فكان يُقرِئُ الناسَ القرآنَ، وقد استَخْلَفه رسولُ الله ﷺ على المدينة غيرَ مرةٍ، فيقالُ: ثلاثَ عشْرةَ مرةً. وشهِد القادسيةَ مع سعدٍ زمنَ عمرَ، فيقالُ: إنه قُتِل بها شهيدًا. ويقالُ: إنه رجَع إلى المدينة وتُوُفِّيَ بها. فاللهُ أعلمُ.

المُثَنَّى بنُ حارثةَ بن سَلَمةَ بن ضَمْضَم بن سعد بن مُرَّةَ بن ذُهْل بن شَيْبانَ الشَّيْبانيُّ، نائبُ خالدٍ على العراقِ، وهو الذي صارت إليه الإمْرةُ بعدَ أبي عُبَيدٍ يومَ الجِسْرِ، فدارَى بالمسلمين حتى خَلَّصهم من الفرسِ يومَئذٍ، وكان أحدَ الفُرْسانِ الأبطالِ، وهو الذي ركِب إلى الصِّدِّيقِ فحرَّضه على غَزْوِ العراقِ، ولما تُوُفِّي تَزَوَّج سعدُ بنُ أبي وَقَّاصٍ بامرأتِه سَلْمَى بنتِ حَفْصٍ، رضِي اللهُ عنهما وأرْضاهما، وقد ذكَره ابنُ الأثيرِ في كتابه «الغابة في أسماء الصَّحابة».

أبو زيد الأنصاريُّ النَّجَّاريُّ، أحدُ القُرَّاءِ الأربعة الذين حَفَظوا القرآن من الأنصارِ في عهدِ رسولِ الله ﷺ، كما ثبَت ذلك في حديثِ أنسِ بنِ مالكٍ، وهم: مُعاذُ بنُ جبلٍ، وأُبَيُّ بنُ كعبٍ، وزيدُ بنُ ثابتٍ، وأبو زيدٍ. قال أنسٌ: أحدُ عُمومتي. قال ابنُ الكَلْبيِّ: واسمُ أبي زيدٍ هذا قيسُ بنُ السَّكَنِ بنِ قيسِ بنِ زَعُوراءَ بنِ حَرامِ بنِ جُنْدُبِ بنِ غَنْمِ بنِ عَدِيِّ بنِ النَّجارِ، شهِد بدرًا. قال موسى ابنُ عُقْبةَ: واستُشْهِد يومَ جِسْرِ أبي عُبَيدٍ. وهي عندَه في سنة أربعَ عشْرةَ. وقال بعضُ الناسِ: أبو زيدٍ الذي جَمَع القرآنَ سعدُ بنُ عُبَيدٍ. ورَدُّوا هذا بروايةِ قَتادةَ عن أنسِ بنِ مالكٍ قال: افْتَخَرت الأوسُ والخَزْرجُ، فقالت الأوسُ: منا غَسيلُ المَلائكة حَنْظلةُ بنُ أبي عامرٍ، ومنا الذي حَمَتْه الدَّبْرُ عاصمُ بنُ ثابتِ بنِ أبي الأقْلَحِ، ومنا الذي اهْتَزَّ له عرشُ الرحمنِ سعدُ بنُ مُعاذٍ، ومنا الذي جُعِلت شَهادتُه شَهادةَ رجلين خُزَيمةُ بنُ ثابتٍ. فقالت الخزرجُ: منا أربعةٌ جَمَعوا القرآنَ على عهدِ رسولِ الله ﷺ،

أُبيٌّ، وزيدُ بنُ ثابتٍ، ومُعاذٌ، وأبو زيدٍ[1]. رضي اللهُ عنهم أجمعين.

أبو عُبَيد بنُ مسعود بن عمرو الثَّقفيُّ، والدُ المُختار بن أبي عُبَيد أمير العراق ووالدُ صَفيةَ امْرأة عبدِ الله بن عمرَ، أسْلَمَ أبو عُبَيدٍ في حياة النبيِّ ﷺ، وذكَره الشيخُ أبو عمرَ بنُ عبدِ البَرِّ في الصَّحابة.

قال شيخُنا الحافظُ أبو عبد الله الذَّهبيُّ: ولا يَبْعُدُ أن يكونَ له روايةٌ. واللهُ أعلمُ.

أبو قُحافة والدُ الصِّدِّيق، واسْمُ أبي بكرٍ الصِّدِّيق عبدُ الله بنُ أبي قُحافة عثمانَ بنِ عامرِ بنِ صَخْرِ بنِ كعبِ بنِ سعدِ بنِ تَيم بنِ مُرَّةَ بنِ كعبِ بنِ لُؤَيِّ بنِ غالبٍ، أسْلَم أبو قُحافة عامَ الفَتْح، فجاء به الصِّدِّيقُ يَقودُه إلى النبيِّ ﷺ فقال: «**هلاَّ أقْرَرْتُم الشيخَ في بيته حتى كنا نحن نأتيه**». تَكْرِمةً لأبي بكرٍ، رضي اللهُ عنه، فقال: بل هو أحَقُّ بالسَّعْي إليك يا رسولَ الله. فأجْلَسه رسولُ الله ﷺ بينَ يدَيه، ورأسُه كالثَّغامة بَياضًا، ودَعا له، وقال: «**غيِّروا هذا الشَّيْبَ بشيءٍ، وجنِّبوه السَّوادَ**»[2]. ولما تُوُفِّيَ رسولُ الله ﷺ، وصارت الخلافةُ إلى الصِّدِّيق أخْبَره المسلمون بذلك وهو بمكةَ، فقال: وأقَرَّت بذلك بنو هاشمٍ وبنو مَخْزومٍ؟ قالوا: نعم. قال: ذلك فَضْلُ الله يُؤْتيه مَن يَشاءُ. ثم أُصيب بابنه الصِّدِّيق، رضي اللهُ عنه، ثم تُوُفِّيَ أبو قُحافةَ في مُحَرَّمٍ، وقيل: في رَجَبٍ سنةَ أربعَ عشْرةَ بمكةَ. عن أربعٍ وتسعين سنةً، رحمه اللهُ وأكرَم مثْواه.

وممن ذكر شيخنا أبو عبد الله الذَّهبيُّ من المستشهدين في هذه السنة مُرَتَّبِين على الحُروف

أوسُ بنُ أوسِ بن عَتيك. قُتل يومَ الجِسْرِ.

بَشيرُ بنُ عَنْبَسِ بنِ يَزيدَ الظَّفَريُّ أُحُديٌّ، وهو ابنُ عمِّ قَتادةَ بنِ النُّعمان، ويُعْرَفُ بفارسِ الحَوَّاء؛ اسم فرسه.

ثابتُ ابنُ عَتيك، من بني عمرو بنِ مَبْذولٍ، صحابيٌّ قُتل يومَ الجِسْر.

ثَعْلبةُ بنُ عمرو بنِ مِحْصَن النَّجَّاريُّ، بَدْريٌّ، قُتل يومَئذٍ.

الحارثُ بنُ عَتيك بنِ النُّعمان النَّجَّاريُّ، شهد أُحُدًا، قُتل يومَئذٍ.

الحارثُ بنُ مَسْعود بنِ عَبْدةَ، صحابيٌّ أنصاريٌّ، قُتل يومَئذٍ.

الحارثُ بنُ عَديِّ بنِ مالك، أنصاريٌّ أُحُديٌّ، قُتل يومَئذٍ. **خالدُ بنُ سعيد بن العاص**، قيل: إنه اسْتُشْهد يومَ مَرْج الصُّفَّر، وكان في سَنة أربعَ عشْرةَ في قولٍ، **خُزَيْمةُ بنُ أوسٍ الأشْهَليُّ**، قُتل يومَ الجِسْرِ. **ربيعةُ بنُ الحارث بن عبد المُطَّلب**، أرَّخ وَفاتَه في هذه السنة ابنُ قانعٍ. **زيدُ بنُ سُراقةَ**، يومَ الجِسْرِ. **سعدُ بنُ سَلامةَ بنِ وَقْشٍ الأشْهَليُّ**. **سعدُ بنُ عُبادةَ**، في قولٍ. **سَلَمةُ بنُ أسْلَمَ بنِ حَريشٍ** يومَ الجِسْرِ. **سَلَمةُ بنُ هشامٍ**، يومَ مَرْج

---

(١) إسناده صحيح: رواه أبو يعلى في «مسنده» (٥/ ٣٢٩) والضياء المقدسي في «المختارة» (٧/ ١٣٧، ١٣٨).

(٢) رواه أحمد (٣/ ١٦٠) مطولاً، رواه مسلم (٢١٠٢) وأبو داود (٤٢٠٤) مختصراً.

الصُّفَّرِ، وقد كان في سنةِ أربعَ عشرةَ في قولٍ.سَليطُ بنُ قيسِ بنِ عمرٍو الأنصاريُّ، يومَ الجسرِ.ضَمْرةُ بنُ غَزِيَّةَ يومَ الجِسْرِ.عبَّادٌ وعبدُ الله وعبدُ الرحمنِ بنو مِربَعِ بنِ قَيْظيٍّ قُتِلوا يومَئذٍ.عبدُ الله بنُ صَعْصَعةَ بنِ وَهْبٍ الأنصاريُّ النَّجَّاريُّ، شهِدَ أُحُدًا وما بعدَها. قال ابنُ الأثيرِ في «الغابةِ»: وقُتِل يومَ الجِسْرِ.عُتْبةُ بنُ غَزْوانَ، تقَدَّم.عُقْبةُ وأخوه عبدُ اللهِ حضَرا الجِسْرَ مع أبيهما قَيْظيِّ بنِ قيسٍ، وقُتِلا يومَئذٍ.العَلاءُ بنُ الحَضْرميِّ، تُوُفِّيَ في هذه السنةِ في قولٍ، وقيل: بعدَها. وسيأتي.عمرُ بنُ أبي اليَسَرِ، قُتِل يومَ الجِسْرِ، قيسُ بنُ السَّكَنِ أبو زيدٍ الأنصاريُّ، رضِي اللهُ عنه، تقَدَّم.المُثَنَّى بنُ حارثةَ الشَّيْبانيُّ، تُوُفِّيَ في هذه السنةِ، رحِمه اللهُ، وقد تقَدَّم.نافعُ بنُ غَيْلانَ قُتِل يومَئذٍ.نوفلُ بنُ الحارثِ بنِ عبدِ المطلبِ، وكان أسَنَّ من عمِّه العباسِ، قيل: إنّه تُوُفِّيَ في هذه السنةِ. والمَشْهورُ قبلَها كما تقَدَّم.واقدُ بنُ عبدِ اللهِ، قُتِل يومَ.يزيدُ بنُ قيسِ بنِ الخَطيمِ الأنصاريُّ الظَّفَريُّ، شهِد أُحُدًا وما بعدَها، قُتِل يومَ الجِسْرِ، وقد أصابه يومَ أُحُدٍ جِراحاتٌ كثيرةٌ، وكان أبوه شاعرًا مَشْهورًا.أبو عُبَيد بنُ مَسْعودٍ الثَّقَفيُّ، أميرُ يومِ الجِسْرِ، وبه عُرِف؛ لقتله عندَه، تَخَبَّطه الفيلُ حتى قتَله، رضِي اللهُ عنه، بعدَما قطَع بسيفِه خُرْطُومَه كما تقَدَّم.أبو قُحافةَ التَّيْميُّ والدُ أبي بكرٍ الصِّدِّيقُ، تُوُفِّيَ في هذه السنةِ، رضِي اللهُ عنه.هندُ بنتُ عُتْبةَ بنِ رَبيعةَ بنِ عبدِ شمسِ بنِ أُمَيَّةَ الأمويةُ، والدةُ مُعاويةَ بنِ أبي سُفْيانَ، وكانت من سَيداتِ نساءِ قُرَيْشٍ، ذاتَ رأيٍ ودَهاءٍ ورياسةٍ في قومِها، وقد شَهِدَت يومَ أُحُدٍ مع زوجِها، وكان لها تَحْريضٌ على قتلِ المسلمين يومَئذٍ، ولما قُتِل حَمْزةُ مَثَّلَت به، وأخَذَت من كَبِدِه فلاكَتْها فلم تَسْتَطِعْ إساغَتَها؛ لأنَّه كان قد قتَل أباها وأخاها يومَ بدرٍ، ثم بعدَ ذلك كلِّه أسلَمَت-وحَسُنَ إسلامُها-عامَ الفتحِ بعدَ زوجِها بليلةٍ، ولما أرادت الذَّهابَ إلى رسولِ الله ﷺ لتُبايِعَه استَأْذَنت أبا سفيانَ، فقال لها: قد كنتِ بالأمسِ مُكَذِّبةً بهذا الأمرِ. فقالت: واللهِ ما رأيتُ اللهَ عُبِد حقَّ عبادتِه بهذا المسجدِ قبلَ هذه الليلةِ، واللهِ لقد باتوا ليلَهم كلَّهم يُصَلُّون فيه. فقال لها: إنك قد فعَلْتِ ما فعَلْتِ فلا تَذْهَبي وحدَكِ. فذهَبت إلى عثمانَ بنِ عفَّانَ-ويُقالُ: إلى أخيها أبي حُذَيفةَ بنِ عُتْبةَ-فذهَب معها، فدخَلت وهي مُتَنَقِّبةٌ، فلمَّا بايَعَها رسولُ الله ﷺ مع غيرِها من النِّساءِ قال: «على أن لا تُشْرِكْنَ بالله شيئًا، ولا تَسْرِقْنَ ولا تَزْنِينَ». فقالت: أوَتَزْني الحُرَّةُ؟![1] «﴿وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ﴾». قالت: قد ربَّيْناهم صغارًا فقَتَلْتَهم كِبارًا. فتَبَسَّم رسولُ الله ﷺ. «﴿وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ﴾». فبادَرَت وقالت: في معروفٍ. فقال: ﴿فِي مَعْرُوفٍ﴾. وهذا من فَصاحتِها وحَزْمِها، وقد قالت لرسولِ الله ﷺ: واللهِ يا محمدُ ما كان على ظهرِ الأرضِ أهلُ خِباءٍ أحَبَّ إليَّ من أن يَذِلُّوا من أهلِ خِبائك، فقد واللهِ أصبح وما على ظهرِ الأرضِ من أهلِ خِباءٍ أحَبَّ إليَّ من أن يَعِزُّوا من أهلِ خِبائك. فقال: «وكذلك والذي نفسي بيدِه»[2]. وشكَت من شُحِّ أبي سفيانَ، فأمَرها أن تأخُذَ ما يَكْفيها ويَكْفي بَنيها بالمعروفِ. وقصَّتُها مع الفاكهِ بنِ المُغيرةِ مَشْهورةٌ، وقد شَهِدَت اليَرْموكَ مع زوجِها، وماتَتْ يومَ مات أبو قُحافةَ، في سنةِ أربعَ عشْرةَ.

---

(١) **ضعيف:** أخرجه الحازمي في «الاعتبار» (ص ٥١٣) من طريق خالد الطحان عن حصين عن الشعبي به مرسلاً، وأبو يعلى في «مسنده» برقم (٤٧٥٤) من طريق غبطة عجوز من بني مجاشع حدثتني عمتي عن جدتي عن عائشة به قال الحافظ ابن حجر في «التلخيص» (٤/ ٥٢): في إسناده مجهولات. . وذكر للحديث طرقًا أخرى وأشار لضعفها.

(٢) أخرجه البخاري برقم (٦٦٤١) ومسلم برقم (١٧١٤)، عن عائشة.

ثم دخلت سنة خمس عشرة

قال ابنُ جَرير: قال بعضُهم: فيها مصَّر سعدُ بنُ أبي وقَّاصٍ الكوفةَ، دلَّهم عليها ابنُ بُقَيْلةَ؛ قال لسعد: أَدُلُّك على أرضٍ ارتفَعت عن البَقِّ، وانحَدرت عن الفَلاة؟ فدلَّهم على مَوْضعِ الكوفة اليومَ.

قال: وفيها كانت وَقعةُ مَرْجِ الرومِ؛ وذلك لمَّا انصرَف أبو عُبَيدةَ وخالدٌ من وَقعةِ فِحْلٍ قاصدين إلى حِمْصَ، حسَبَ ما أمَر به أميرُ المؤمنين عمرُ بنُ الخطَّاب، رضِي اللهُ عنه كما تَقدَّم في روايةِ سيفِ بنِ عمرَ، فسارا حتى نزَلا على ذي الكَلاعِ، فبعَث هِرَقْلُ بِطْريقًا يقالُ له: توذَرا. في جيشٍ معه. فنزَل بمَرْجِ دِمَشْقَ وغَرْبيِّها، وقد هجَم الشتاءُ، فبدأ أبو عُبَيدةَ بمَرْجِ الرومِ، وجاء أميرٌ آخرُ من الرومِ يقالُ له: شَنَسُ. وعَسكَرٌ معه كثيفٌ، فنازَله أبو عُبَيدةَ فاشتَغلوا به عن توذرا، فسار توذرا نحوَ دمشقَ لينازلَها وينتزعَها من يدِ يزيدَ بنِ أبي سُفيانَ، فاتَّبعه خالدُ بنُ الوليد، وبرَز إليه يزيدُ بنُ أبي سُفيانَ من دمشقَ، فاقتَتلوا، وجاء خالدٌ وهم في المعركةِ فجعَل يُقَتِّلُهم من ورائهم، ويزيدُ يُقصِّلُ فيهم من أمامِهم، حتى أناموهم ولم يُفلتْ منهم إلا الشاردُ، وقتَل خالدٌ توذرا، وأخذوا من الرومِ أموالًا عظيمةً فاقتَسماها، ورجَع يزيدُ إلى دمشقَ، وانصرَف خالدٌ إلى أبي عُبيدةَ، فوجَده قد واقع شَنَسَ بمَرْجِ الرومِ، فقتَلهم فيه مَقتَلةً عظيمةً حتى أنتَنَت الأرضُ من زَهَمِهم، وقتَل أبو عُبَيدةَ شَنَسَ، وركِبوا أكتافَهم إلى حِمْصَ، فنزَل عليها يُحاصرُها.

وقعة حمص الأولى

لمَّا وصَل أبو عُبيدةَ في اتِّباعِه الرومَ المُنهَزمين إلى حِمْصَ، نزَل حولَها يُحاصرُها، ولحِقه خالدُ بنُ الوليدِ فحاصَروها حصارًا شديدًا، وذلك في زمنِ البَرْدِ الشَّديد، وصابَر أهلُ البلدِ؛ رَجاءَ أن يَصرِفَهم عنهم شدَّةُ البَرْدِ، وصبَر الصَّحابةُ صبرًا عظيمًا، بحيث إنه ذكَر غيرُ واحدٍ أن من الرومِ مَن كان يَرجِعُ وقد سقَطَت رِجْلُه وهي في الخُفِّ، والصحابةُ ليس في أرجلِهم شيءٌ سوى النِّعالِ، ومع هذا لم يُصَبْ منهم قدمٌ ولا أُصْبُعٌ أيضًا، ولم يَزالوا كذلك حتى انسَلخ فصلُ الشِّتاءِ فاشتَدَّ الحصارُ، وأشار بعضُ كِبارِ أهلِ حِمْصَ عليهم بالمُصالحة، فأبَوْا عليه ذلك وقالوا: أنُصالحُ والمَلِكُ منا قَريبٌ؟ فيقالُ: إن الصَّحابةَ كبَّروا في بعضِ الأيام تكبيرةً ارتجَّت منها المدينةُ حتى تَفطَّرَت منها بعضُ الجُدْران، ثم تَكبيرةً أُخرى فسقَطَت بعضُ الدُّورِ، فجاءت عامَّتُهم إلى خاصَّتِهم فقالوا: ألا تَنْظُرون إلى ما نزَل بنا، وما نحن فيه؟ ألا تُصالحون القومَ عنا؟ قال: فصالَحوهم على ما صالَحوا عليه أهلَ دمشقَ؛ على نصفِ المَنازلِ، وضَرْبِ الخَراجِ على الأراضي، وأخْذِ الجِزْيةِ على الرِّقابِ بحَسَبِ الغِنَى والفَقْرِ. وبعَث أبو عُبَيدةَ بالأخماسِ والبِشارةِ إلى عمرَ مع عبدِ الله بنِ مَسْعودٍ. وأنزَل أبو عُبَيدةَ بحِمْصَ جيشًا كثيفًا يكونُ بها، مع جماعةٍ من الأُمراءِ، منهم بلالٌ والمِقدادُ، وكتَب أبو عُبَيدةَ إلى عمرَ يُخبِرُه بأن هِرَقْلَ قد قطَع الماءَ إلى الجَزيرةِ، وأنه يَظْهَرُ تارةً ويَخْفَى أخرى. فبعَث إليه عمرُ يأمُرُه بالمُقامِ ببلدِه.

وقعة قنسرين

لمَّا فتح أبو عُبَيدة حِمْصَ بعث خالدَ بنَ الوليدِ إلىٰ قِنَّسْرِينَ، فلما جاءها ثار إليه أهلُها ومَن عندَهم من نَصَارىٰ العرب، فقاتَلهم خالدٌ فيها قتالاً شديدًا، وقتَل منهم خَلْقًا كثيرًا، فأما مَن هناك من الروم فأبادهم، وقتَل أميرَهم ميناسَ، وأمَّا الأعرابُ فإنهم اعتَذروا إليه بأن هذا القتالَ لم يكُنْ عن رأْينا، فقبِل منهم خالدٌ وكفَّ عنهم، ثم خلَص إلىٰ البلدِ فتحصَّنوا فيه، فقال لهم خالدٌ، إنكم لو كنتم في السَّحاب لَحَمَلَنا اللهُ إليكم أو لأنزَلَكم إلينا. ولم يزَل به حتىٰ فتَحها اللهُ عليه، ولله الحمدُ. فلما بلَغ عمرَ ما صنَعه خالدٌ في هذه الوقْعة قال: يرْحَمُ اللهُ أبا بكرٍ، كان أعلَمَ بالرجالِ منِّي، واللهِ إني لم أَعْزِلْه عن رِيبةٍ، ولكن خَشِيتُ أن يُوكَلَ الناسُ إليه.

وفي هذه السنة تَقَهْقَر هِرَقْلُ بجنوده، وارْتحَل عن بلادِ الشام إلىٰ بلادِ الروم. هكذا ذكَره ابنُ جَرير عن محمدِ بنِ إسحاقَ. قال: وقال سيفٌ: كان ذلك في سنة ستَّ عشْرةَ. قالوا: وكان هِرَقْلُ كلما حَجَّ إلىٰ بيتِ المقدسِ، وخرَج منها يقولُ: عليك السلامُ يا سُوريةُ تَسْليمَ مُوَدِّعٍ لم يَقْضِ منك وَطَرَهُ وهو عائدٌ. فلما عزَم علىٰ الرَّحيلِ من الشامِ وبلَغ الرُّهاءَ، طَلَب من أهلها أن يَصْحَبوه إلىٰ الرومِ، فقالوا: إن بقاءَنا ههنا أنفَعُ لك من رَحيلِنا معك. فترَكهم، فلمَّا وصَل إلىٰ شِمْشاطَ وعَلا علىٰ شَرَفٍ هنالك، الْتَفَت إلىٰ نحوِ بيتِ المَقْدسِ، وقال: عليكِ السلامُ يا سُوريةُ سَلامًا لا اجْتماعَ بعدَه، إلا أن أُسَلِّمَ عليكِ تَسْليمَ المُفارِقِ، ولا يَعودُ إليكِ رُوميٌّ أبدًا إلا خائفًا حتىٰ يُولَدَ المَوْلودُ المَشْئومُ، ويا ليتَه لم يُولَدْ، ما أحْلَىٰ فعلَه، وأمَرَّ عاقبتَه علىٰ الرومِ! ثم سار هِرَقْلُ حتىٰ نزَل القُسْطَنْطينيَّةَ، واسْتَقَرَّ بها مُلْكُه. وقد سأَل رجلاً ممَّن اتَّبَعه كان قد أُسِر مع المسلمين، فقال: أخْبِرْني عن هؤلاءِ القومِ. فقال: أُخْبِرُك كأنك تَنْظُرُ إليهم؛ هم فُرْسانٌ بالنَّهارِ، رُهْبانٌ بالليلِ، لا يأْكُلون في ذِمَّتِهم إلا بثَمَنٍ، ولا يَدْخُلون إلا بسَلامٍ، يَقِفون علىٰ مَن حارَبوه حتىٰ يأْتوا عليه. فقال: لئن كنتَ صَدَقْتَني لَيَمْلِكُنَّ مَوْضِعَ قدميَّ هاتين.

قلتُ: وقد حاصَر المسلمون قُسْطَنْطِينيَّةَ في زمانِ بني أميةَ، فلم يَمْلِكوها، ولكن سَيَمْلِكُها المسلمون في آخرِ الزمانِ، كما سنبيِّنُه في كتابِ المَلاحمِ، وذلك قبلَ خُروجِ الدَّجالِ بقليلٍ علىٰ ما صحَّت به الأحاديثُ عن رسولِ الله ﷺ في «صحيحِ مسلمٍ»[1] وغيرِه من الأئمة، ولله الحمدُ والمنةُ.

وقد حرَّم اللهُ علىٰ الرومِ أن يَمْلِكوا بلادَ الشامِ برُمَّتِها إلىٰ آخرِ الدهرِ، كما ثبَت به الحديثُ في «الصحيحَيْن». عن أبي هريرةَ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إذا هلَك كسْرَىٰ فلا كسْرَىٰ بعدَه، وإذا هلَك قَيْصَرُ فلا قَيْصرَ بعدَه، والذي نفسي بيده لَتُنْفَقَنَّ كنوزُهما في سبيلِ الله عز وجل»[2]. وقد وقَع ما أخْبَر به، صلواتُ اللهِ وسلامُه عليه، كما رأيْتَ، وسيكونُ ما أَخْبَر به جَزْمًا، لا يعودُ مُلْكُ القَياصِرةِ إلىٰ الشامِ

(١) رواه مسلم (٢٨٩٧) من حديث أبي هريرة.

(٢) صحيح وقد تقدم.

أبدًا؛ لأن قَيْصَرَ عَلَمُ جنسٍ عندَ العربِ يُطْلَقُ على كلِّ مَن ملَك الشامَ مع بلادِ الرومِ. فهذا لا يَعودُ لهم أبدًا.

وقعة قَيْسارِيَّة

قال ابنُ جَرِيرٍ: وفي هذه السنة أمَّر عمرُ مُعاويةَ بنَ أبي سُفْيانَ على قَيْسارِيَّةَ، وكتَب إليه: أما بعدُ، فقد ولَّيْتُك قَيْسارِيَّةَ، فسِرْ إليها واسْتَنْصِرِ اللهَ عليهم، وأكْثِرْ من قولِ: لا حولَ ولا قوةَ إلا باللهِ العليِّ العظيمِ، اللهُ ربُّنا وثِقَتُنا، ورَجاؤُنا ومَوْلانا، فنِعْمَ المَوْلى ونِعْمَ النَّصِيرُ. فسار إليها فحاصَرها، وزاحَفه أهلُها مَرَّاتٍ عَديدةً، وكان آخرَها وَقْعةً أن قاتَلوا قتالاً عظيمًا، وصَمَّم عليهم مُعاويةُ، واجْتَهد في القتالِ حتى فتَح اللهُ عليه، فما انْفَصل الحالُ حتى قُتِل منهم نحوًا من ثمانين ألفًا، وكمَّل المائةَ الألفِ مِن الذين انْهَزموا عن المعركةِ، وبعَث بالفتحِ والأخْماسِ إلى أميرِ المؤمنين عمرَ، رضِي اللهُ عنه.

قال ابنُ جَريرٍ: وفيها كتَب عمرُ بنُ الخَطَّابِ إلى عمرِو بنِ العاصِ بالمَسيرِ إلى إيلياءَ، ومُناجَزةِ صاحبِها، فاجْتاز في طريقه عندَ الرَّمْلةِ بطائفةٍ مِن الرومِ، فكانت:

وقعة أجْنادِينَ

وذلك أنه سار بجيشِه وعلى مَيْمَنَته ابنُه عبدُ اللهِ بنُ عمرٍو، وعلى مَيْسَرَته جُنادةُ بنُ تَميمٍ المالكيُّ؛ مِن بني مالكِ بنِ كِنانةَ، ومعه شُرَحْبيلُ ابنُ حَسَنَةَ، واسْتَخْلف على الأُرْدُنِّ أبا الأعْورِ السُّلَميَّ، فلما وصَل إلى الرَّمْلةِ وجَد عندَها جَمْعًا مِن الرومِ عليهم الأرْطَبونُ، وكان أدْهَى الرومِ وأبْعَدَها غَوْرًا، وأنْكَاها فِعْلاً، وقد كان وضَع بالرَّمْلةِ جُنْدًا عظيمًا وبإيلياءَ جُنْدًا عظيمًا، فكتَب عمرٌو، إلى عمرَ بالخبرِ. فلمَّا جاءه كتابُ عمرٍو قال: قد رمَيْنا أرْطَبونَ الرومِ بأرْطَبونِ العربِ، فانْظُروا عما تَنْفَرِجُ. وبعَث عمرُو بنُ العاصِ عَلْقَمةَ بنَ حكيمٍ الفراسيَّ، ومَسْروقَ ابنَ فلانٍ العَكِّيَّ على قتالِ أهلِ إيلياءَ، وأبا أيوبَ المالكيَّ إلى الرَّمْلةِ وعليها التَّذارِقُ، فكانوا بإزائهم؛ ليَشْغَلوهم عن عمرِو بنِ العاصِ وجيشِه، وجعَل عمرٌو كلما قدِم عليه أمْدادٌ مِن جهةِ عمرَ يَبْعَثُ منهم طائفةً إلى هؤلاءِ وطائفةً إلى هؤلاءِ، وأقام عمرٌو على أجْنادِينَ لا يَقْدِرُ مِن الأرْطَبونِ على سَقْطةٍ ولا تَشْفيه الرسلُ، فوليَه بنفسِه، فدخَل عليه كأنه رسولٌ، فأبْلَغه ما يريدُ وسمِع كلامَه وتأمَّل حُصُونَه حتى عرَف ما أراد، وقال الأرْطَبونُ في نفسِه: واللهِ إن هذا لَعمرٌو، أو إنه الذي يأخُذُ عمرٌو برأيِه، وما كنتُ لأُصِيبَ القومَ بأمرٍ هو أعظمُ مِن قتلِه. فدعا حَرَسيًّا فسارَّه فأمَره بقتْلِه، فقال: اذْهَبْ فقُمْ في مكانِ كذا وكذا، فإذا مَرَّ بك فاقْتُلْه. ففطِن عمرُو بنُ العاصِ، فقال للأرْطَبونِ: أيُّها الأميرُ، إني قد سمِعْتُ كلامَك وسمِعْتَ كلامي، وإني واحدٌ مِن عَشَرةٍ بعَثَنا عمرُ بنُ الخطابِ؛ لنكونَ مع هذا الوالي؛ لِنَشْهَدَ أُمورَه، وقد أحْبَبْتُ أن آتيَك بهم؛ ليَسْمَعوا كلامَك ويَرَوْا ما رأيْتُ. فقال الأرْطَبونُ: نعم، فاذْهَبْ فأْتِني بهم.

ودَعا رجلاً فسارَّه فقال: اذْهَبْ إلى فلانٍ فرُدَّه. وقام عمرٌو فذَهَبَ إلى جيشِه، ثم تَحَقَّق الأرْطَبونُ أنه عمرُو بنُ العاصِ. فقال: خدَعني الرجلُ، هذا والله أدْهَى العرب. وبلَغَت عمرَ بنَ الخطابِ فقال: غلَبه عمرٌو، لله دَرُّ عمرٍو. ثم ناهَضه عمرٌو، فاقْتَتلوا بأجْنادينَ قِتالاً عظيمًا كقِتالِ اليَرْموكِ، حتى كثُرت القَتْلى بينَهم، ثم اجْتَمَعت بقيَّةُ الجيوشِ إلى عمرِو بنِ العاصِ، وذلك حينَ أعْياهم صاحبُ إيلياءَ وتحصَّن منهم بالبلدِ، وكثُر جيشُه، فكتَب أرطَبونُ إلى عمرٍو بأنك صَديقي ونَظيري، أنت في قومِك مثْلي في قومي، والله لا تَفْتَحُ من فِلَسْطينَ شيئًا بعدَ أجْنادينَ، فارْجِعْ ولا تُغَرَّ؛ فتَلْقَى مثلَ ما لَقِيَ الذين قبلَك من الهزيمةِ. فدَعا عمرٌو رجلاً يتكلَّمُ بالروميةِ فبعَثه إلى أرْطَبونَ وقال: اسْمَعْ ما يقولُ لك، ثم ارْجِعْ فأخبِرْني. وكتَب إليه معه: جاءني كتابُك، وأنت نظيري ومثْلي في قومِك، لو أخْطَأَتْك خَصْلَةٌ تجاهَلتَ فَضيلتي، وقد علِمْتَ أني صاحبُ فتحِ هذه البلادِ، واقْرَأْ كتابي هذا بمَحْضَرٍ من أصحابِك ووُزرائِك. فلمَّا وصَله الكتابُ جمَع وُزراءَه، وقرَأ عليهم الكتابَ، فقالوا للأرْطَبونِ: من أين عَلِمْتَ أنه ليس بصاحبِ فتحِ هذه البلادِ؟ فقال: صاحبُها رجلٌ اسمُه على ثلاثةِ أحْرفٍ. فرجَع الرسولُ إلى عمرٍو فأخبَره بما قال، فكتَب عمرٌو إلى عمرَ يَسْتَمِدُّه ويقولُ له: إني أُعالجُ حَرْبًا كَئودًا صَدُومًا، وبلادًا ادُّخِرَت لك، فرَأْيَك. فلما وصَل الكتابُ إلى عمرَ علِم أن عَمْرًا لم يَقُلْ ذلك إلا لأمرٍ عَلِمه، فعزَم عمرُ على الدخولِ إلى الشامِ لفتحِ بيتِ المقدسِ، كما سَنَذْكُرُ تَفْصيلَه.

قال سيفُ بنُ عمرَ عن شيوخِه: وقد دخَل عمرُ الشامَ أربعَ مراتٍ؛ الأولى كان راكبًا فَرَسًا حينَ فتَح بيتَ المقدسِ، والثانيةَ على بعيرٍ، والثالثةَ وصلَ إلى سَرْغٍ، ثم رجَع لأجلِ ما وقَع بالشامِ من الوَباءِ، والرابعةَ دخَلها على حمارٍ. هكذا نقَله ابنُ جَريرٍ عنه.

فتحُ بيتِ المقدسِ على يدَيْ عمرَ بنِ الخطابِ

ذكَره أبو جَعفرِ بنُ جَريرٍ في هذه السنةِ عن روايةِ سيفِ بنِ عمرَ، ومُلَخَّصُ ما ذكَره، هو وغيره، أنَّ أبا عُبَيدةَ لمَّا فرَغ من دمشقَ، كتَب إلى أهلِ إيلياءَ يَدْعوهم إلى اللهِ وإلى الإسلامِ، أو يَبْذُلون الجِزْيَةَ أو يُؤْذَنون بحربٍ. فأبَوْا أن يُجيبوا إلى ما دَعاهم إليه. فركِب إليهم في جُنودِه، واسْتَخْلف على دمشقَ سعيدَ بنَ زيدٍ، ثم حاصَر بيتَ المقدسِ، وضيَّقَ عليهم حتى أجابوا إلى الصُّلْحِ بشَرْطِ أن يَقْدَمَ إليهم أميرُ المؤمنين عمرُ بنُ الخطابِ. فكتَب إليه أبو عُبَيدةَ بذلك فاسْتَشار عمرُ الناسَ في ذلك، فأشار عثمانُ بنُ عفانَ بأن لا يَرْكَبَ إليهم؛ ليكونَ أحْقَرَ لهم وأرْغَمَ لأنوفِهم، وأشار عليُّ بنُ أبي طالبٍ بالمَسيرِ إليهم؛ ليكونَ أخَفَّ وَطْأةً على المسلمين في حصارِهم بينَهم، فهَوِيَ ما قال عليٌّ ولم يَهْوَ ما قال عثمانُ. وسار بالجيوشِ نحوَهم، واسْتَخْلَف على المدينةِ عليَّ بنَ أبي طالبٍ، وسار العباسُ بنُ عبدِ المُطَّلبِ على مُقَدِّمتِه، فلما وصَل إلى الشامِ تَلَقَّاه أبو عُبَيدةَ ورءوسُ الأمراءِ؛ كخالدِ بنِ الوليدِ،

ويَزيدَ بنِ أبي سفيانَ، فترَجَّل أبو عُبَيدةَ وترَجَّل عمرُ، فأشار أبو عُبَيدةَ ليُقبِّلَ يدَ عمرَ، فهَمَّ عمرُ بتَقبيلِ رِجْلِ أبي عُبَيدةَ، فكفَّ أبو عُبَيدةَ، فكَفَّ عمرُ. ثم سار حتى صالَحَ نَصارىٰ بيتِ المَقدسِ، واشتَرط عليهم إجْلاءَ الرومِ إلى ثلاثٍ، ثم دخَلها إذ دخَل المسجدَ من البابِ الذي دخَل منه رسولُ الله ﷺ ليلةَ الإسْراءِ. ويُقالُ: إنه لبَّىٰ حينَ دخَل بيتَ المقدسِ، فصلَّىٰ فيه تحيةَ المسجدِ بمِحْرابِ داودَ، وصلَّىٰ بالمسلمين فيه صلاةَ الغَداةِ من الغدِ، فقرَأ في الأولىٰ بسورةِ «ص» وسجد فيها والمسلمون معه، وفي الثانيةِ بسورةِ «بني إسرائيل»، ثم جاء إلى الصَّخْرةِ فاستَدَلَّ علىٰ مكانها من كعبِ الأحْبارِ، وأشار عليه كعبٌ أن يَجْعَلَ المسجدَ من ورائه، فقال: ضاهَيْتَ اليهوديةَ. ثم جعَل المسجدَ في قِبْليِّ بيتِ المقدسِ، وهو العُمَريُّ اليومَ، ثم نقَل الترابَ عن الصخرةِ في طَرَفِ ردائه وقَبائه، ونقَل المسلمون معه في ذلك. وسُخِّر أهلُ الأُرْدُنِّ في نَقْلِ بقيتِها، وقد كانت الرومُ جعَلوا الصخرةَ مَزْبَلَةً؛ لأنها قِبْلَةُ اليهودِ، حتى إن المرأةَ كانت تُرْسِلُ خِرْقةَ حَيضَتِها من داخلِ الحَوْزِ لتُلْقَىٰ في الصخرةِ، وذلك مُكافأةً لما كانت اليهودُ عامَلَتْ به القُمامةَ، وهي المكانُ الذي كانت اليهودُ صلَبوا فيه المَصْلوبَ، فجعَلوا يُلْقون علىٰ قبرِه القُمامةَ، فلأجْلِ ذلك سُمِّيَ ذلك الموضعُ القُمامةَ، وانسَحَب هذا الاسمُ على الكَنيسةِ التي بَناها النَّصارىٰ هنالك. وقد كان هِرَقْلُ حينَ جاءه الكتابُ النَّبويُّ وهو بإيلياءَ، وعَظ النَّصارىٰ فيما كانوا قد بالَغوا في إلقاءِ الكُناسةِ علىٰ الصَّخْرةِ حتى وصَلت إلى مِحْرابِ داودَ، قال لهم: إنكم لَخَليقٌ أن تُقْتَلوا علىٰ هذه الكُناسةِ مما امتَهَنْتُم هذا المسجدَ، كما قُتِلت بنو إسرائيلَ علىٰ دمِ يحيىٰ بنِ زكريا. ثم أُمِروا بإزالتِها، فشرَعوا في ذلك، فما أزالوا ثُلُثَها حتى فتَحها المسلمون، فأزالها عمرُ بنُ الخطابِ. وقد استَقْصَىٰ هذا كلَّه بأسانيدِه ومُتونِه الحافظُ بَهاءُ الدينِ بنُ الحافظِ أبو القاسمِ ابنِ عَساكرَ في كتابِه «المُسْتَقْصَىٰ في فَضائلِ المَسْجدِ الأقْصَىٰ».

وذكر سيفٌ في سياقِه أن عمرَ، رضِي اللهُ عنه، ركِب من المدينةِ علىٰ فرسٍ؛ ليُسْرِعَ السَّيْرَ بعدَما استَخْلَف عليها عليَّ بنَ أبي طالبٍ، فسار حتى قدِم الجابيةَ، فنزَل بها وخطَب بالجابيةِ خُطْبةً طويلةً بليغةً منها: أيُّها الناسُ، أصْلِحوا سَرائرَكم تَصْلُحْ عَلانيتُكم، واعْمَلوا لآخرتِكم تُكْفَوْا أمرَ دُنْياكم، واعلَموا أن رجلًا ليس بينَه وبينَ آدمَ أبٌ حَيٌّ ولا بينَه وبينَ اللهِ هَوادةٌ، فمَن أراد لَحْبَ وجهِ الجنةِ فلْيَلزَمِ الجماعةَ؛ فإن الشَّيطانَ مع الواحدِ، وهو مع الاثنين أبْعَدُ، ولا يَخْلُوَنَّ أحدُكم بامرأةٍ؛ فإن الشيطانَ ثالثُهما، ومَن سرَّته حَسَنَتُه وساءَته سيئتُه فهو مؤمنٌ. وهي خُطْبةٌ طَويلةٌ اخْتَصَرْناها. ثم صالَح عمرُ أهلَ الجابيةِ ورحَل إلى بيتِ المَقْدسِ.

وقد كتَب إلى أُمراءِ الأجْنادِ أن يُوافوه في اليومِ الفُلانيِّ إلى الجابيةِ، فتَوافَوْا أجْمعون في ذلك اليومِ إلى الجابيةِ، فكان أولَ مَن تَلَقَّاه يزيدُ بنُ أبي سُفيانَ، ثم أبو عُبَيدةَ، ثم خالدُ بنُ الوليدِ في خُيولِ المسلمين وعليهم يَلامِقُ الدِّيباجِ، فسار إليهم عمرُ ليَحْصِبَهم، فاعتَذَروا إليه بأن عليهم السِّلاحَ، وأنهم يَحْتاجون إليه في حُروبِهم، فسكت عنهم، واجْتَمع الأُمراءُ كلُّهم بعدَما استَخْلَفوا علىٰ

أعمالهم سوى عمرو بن العاص وشُرَحْبيلَ فإنهما مُوافقان الأرْطَبونَ بأجْنادينَ، فبينما عمرُ في الجابية إذا بكُرْدوسٍ من الروم بأيديهم سيوفٌ مُسَلَّلةٌ، فسار إليهم المسلمون بالسلاح، فقال عمرُ: إن هؤلاء قومٌ يَسْتَأمنون. فساروا نحوَهم، فإذا هم جُنْدٌ من بيت المقدس يَطْلُبون الأمانَ والصُّلْحَ من أمير المؤمنين حينَ سمعوا بقُدومه، فأجابهم عمرُ، رضي اللهُ عنه، إلى ما سألوا، وكتَب لهم كتابَ أمانٍ ومصالحةٍ، وضرَب عليهم الجِزْيَةَ، واشْتَرط عليهم شُروطًا ذكَرها ابنُ جَرير، وشَهِد في الكتاب خالدُ بنُ الوليدِ، وعمرُو بنُ العاصِ، وعبدُ الرحمنِ بنُ عَوْفٍ، ومُعاويةُ ابنُ أبي سُفيانَ، وهو كاتبُ الكتاب، وذلك في سنة خَمْسَ عَشْرةَ.

ثم كتَب لأهلِ لُدٍّ ومَن هنالك من الناسِ كتابًا آخرَ، وضرَب عليهم الجِزْيَةَ، ودخَلوا فيما صالَح عليه أهلَ إيلياءَ. وفَرَّ الأرْطَبونُ إلى بلادِ مصرَ، فكان بها حتى فتَحها عمرُو بنُ العاصِ، ثم فَرَّ إلى البحرِ، فكان يَلي بعضَ السَّرايا الذين يُقاتِلون المسلمين، فظفِر به رجلٌ من قيسٍ، فقطَع يدَ القَيْسيِّ، وقتَله القَيْسيُّ، وقال في ذلك:

فإن يكنْ أرْطَبونُ الرومِ أفْسدها	فإنَّ فيها بحمدِ اللهِ مُنْتَفَعَا
وإن يكنْ أرْطَبونُ الرومِ قطَّعها	فقد تركْتُ بها أوصالَه قِطَعَا

ولما صالَح أهلَ الرَّمْلةِ وتلك البلادَ، أقْبَل عمرُو بنُ العاصِ وشُرَحْبيلُ ابنُ حَسَنةَ حتى قدِما الجابيةَ، فوجَدا أميرَ المؤمنين عمرَ بنَ الخطاب راكبًا، فلمَّا اقْتَربا منه أكَبَّا على رُكْبتَيه فقَبَّلاها واعْتَنَقهما عمرُ معًا، رضي اللهُ عنهم.

قال سيفٌ: ثم سار عمرُ إلى بيتِ المقدسِ من الجابية، وقد تَوَجَّى فرسُه، فأتَوْه ببِرْذَوْنٍ، فركبه فجعَل يُهَمْلِجُ به، فنزَل عنه وضرب وجهَه، وقال: لا عَلَّم اللهُ مَن علَّمك، هذا من الخُيَلاءِ. ثم لم يَرْكَبْ بِرْذَوْنًا قبلَه ولا بعدَه، فَفُتِحت إيلياءُ وأرضُها على يدَيه ما خلا أجْنادينَ فعلى يَدَيْ عمرٍو، وقَيْساريَّةَ فعلى يدَيْ معاويةَ. هذا سِياقُ سيفِ بنِ عمرَ، وقد خالَفه غيرُه من أئمة السِّيَرِ، فذهَبوا إلى أنَّ فتحَ بيتِ المقدسِ كان في سنة ستَّ عشْرةَ.

قال محمدُ بنُ عائذ عن الوليدِ بنِ مسلمٍ، عن عثمانَ بنِ حِصْنِ بنِ عَلَّاقٍ قال: قال يزيدُ بنُ عَبيدةَ: فُتحت بيتُ المقدسِ سنَةَ ستَّ عشْرةَ، وفيها قدِمَ عمرُ بنُ الخطابِ الجابيةَ.

وقال أبو زُرعةَ الدِّمشقيُّ عن دُحَيْمٍ، عن الوليدِ بنِ مسلمٍ قال: ثم عاد في سنةِ سبعَ عشْرةَ، فرجَع من سَرْغٍ، ثم قدِم سنةَ ثماني عشْرةَ، فاجْتَمع إليه الأمراءُ، وسلَّموا إليه ما اجْتَمع عندَهم من الأموالِ، فقسَمها وجنَّد الأجْنادَ ومَصَّرَ الأمْصارَ، ثم عاد إلى المدينة.

وقال يعقوبُ بنُ سفيانَ: ثم كان فتحُ الجابيةِ وبيتِ المقدسِ سنةَ ستَّ عشْرةَ. وقال أبو مَعْشَرٍ: ثم كان عَمَواسُ والجابيةُ في سنةِ ستَّ عشْرةَ. ثم كانت سَرْغٌ في سنةِ سبعَ عَشْرةَ، ثم كان عامُ الرَّمادةِ في سنةِ ثمانيَ عشْرةَ. قال: وكان فيها طاعونُ عَمَواسَ. يعني فتحَ البلدةِ المعروفةِ بعَمَواسَ، فأما

الطاعونُ المنسوبُ إليها، فكان في سنة ثماني عشْرةَ. كما سيأتي قريبًا، إن شاء اللهُ تعالى.

قال أبو مخنف: لما قدم عمرُ الشامَ فرأى غُوطةَ دمشقَ، ونظَر إلى المدينة والقُصور والبَساتين تلا قولَه تعالى: ﴿كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾ [الدخان: ٢٥-٢٨]. ثم أنشَد قولَ النابغة:

همـا فَـتَـيـا دهرٍ يكُرُّ عليهـمـا ... نهـارٌ وليلٌ يَلحَـقـان التَّـواليـا
إذا مـا همـا مـرَّا بـحيٍّ بغـبْطةٍ ... أناخـا بهم حـتى يُلاقـوا الدَّواهيـا

وهذا يَقْتَضِي باديَ الرأيِ أنه دخَل دمشقَ، وليس كذلك، فإنه لم يَنْقُلْ أحدٌ أنه دخَلها في شيءٍ من قَدَماته الثلاث إلى الشام؛ أما الأولى، وهي هذه، فإنه سار من الجابية إلى بيت المقدس، كما ذكَر سيفٌ وغيرُه، واللهُ أعلمُ.

وقال الواقديُّ: أما روايةُ أهلِ الشام أن عمرَ دخَل الشامَ مرتَين، ورجَع الثالثةَ من سَرْغ، فليس بمعروفٍ، وإنَّما قدِم مَرَّةً واحدةً عامَ الجابية حينَ صالَح أهلَ بيت المَقْدس سنة ستَّ عشْرةَ، ورجَع من سَرْغ سنةَ سبعَ عشْرةَ، وهم يقولون: دخَل في الثالثة دمشقَ وحِمْصَ. وأنكَر الواقديُّ ذلك.

قلتُ: ولا يُعْرَفُ أنه دخَل دمشقَ إلا في الجاهلية قبلَ إسلامه كما بسَطْنا ذلك في «سيرته». وقد رُوِّينا أن عمرَ حينَ دخَل بيتَ المقدس سأَل كعبَ الأحْبار عن مكان الصَّخْرة، فقال: يا أميرَ المؤمنين، اذْرَعْ من الحائط الذي يلي وادي جهنمَ، كذا وكذا ذراعًا فهي ثَمَّ. فذَرَعوا فوجَدوها وقد اتَّخَذَها النَّصارىٰ مَزْبَلةً، كما فعلَت اليهودُ بمكان القُمامة، وهو المكانُ الذي صُلب فيه المَصْلوبُ الذي شُبِّه بعيسىٰ، فاعْتَقَدت النَّصارىٰ واليهودُ أنه المَسيحُ، وقد كذَبوا في اعْتقادهم هذا، كما نصَّ اللهُ تعالىٰ على خَطئهم في ذلك.

والمقصودُ أن النَّصارىٰ لَمَّا حَكَموا على بيت المقدس قبلَ البِعْثة بنحو من ثلاثمائة سنة، طَهَّروا مكانَ القُمامة، واتَّخَذوه كَنيسةً هائلةً بنَتْها أمُّ المَلِك قُسْطَنْطِينَ باني المدينة المَنسوبة إليه، واسْمُ أمِّه هَيلانةُ الحَرَّانيةُ الفُنْدُقانيَّةُ، وأمَرت ابنَها فبنَىٰ للنَّصارىٰ بيتَ لَحْم على موضع الميلاد، وبنَتْ هي على موضع القبر، فيما يَزْعُمون. والغرضُ أنهم اتَّخَذوا مكانَ قِبْلة اليَهود مَزْبَلةً أيضًا، في مُقابلة ما صَنعوا في قديم الزمان وحَديثه، فلمَّا فتَح عمرُ بيتَ المقدس، وتَحَقَّق موضعَ الصَّخْرة، أمَر بإزالة ما عليها من الكُناسة حتى قيل: إنه كَنَسها بردائه. ثم استَشار كعبًا أين يَضَعُ المسجدَ؟ فأشار عليه بأن يَجْعَلَه من وراء الصَّخْرة، فضرَب في صدره وقال: يا بنَ أمِّ كعبٍ، ضارَعْتَ اليهوديَّةَ. وأمَر ببنائه في مُقَدَّم بيت المقدس.

قال الإمامُ أحمدُ[1]: حدَّثنا أسْوَدُ بنُ عامرٍ، ثنا حمادُ بنُ سَلَمةَ، عن أبي سِنانٍ، عن عُبَيد بن آدمَ وأبي مَرْيَمَ وأبي شُعَيْبٍ، أن عمرَ بنَ الخطاب كان بالجابية، فذكَر فتحَ بيت المقدس. قال: قال ابنُ سَلَمةَ: فحدَّثني أبو سِنانٍ، عن عُبَيد بن آدمَ، سمِعْتُ عمرَ يقولُ لكعبٍ: أينَ تُرَىٰ أن أُصَلِّي؟ قال:

(١) في «المسند» (٣٨/١). قال الهيثمي في «المجمع» (٦/٤): «رواه أحمد وفيه عيسىٰ بن سنان القسملي وثقه ابن حبان وغيره وضعفه أحمد وغيره وبقية رجاله ثقات».

إن أخذتَ عنّي صلّيتَ خلفَ الصَّخرة، فكانت القدسُ كلُّها بينَ يدَيك. فقال عمرُ: ضاهَيْتَ اليهوديةَ، لا ولكن أُصلِّي حيث صلّى رسولُ الله ﷺ. فتقدَّم إلى القِبْلة فصلّى، ثم جاء فبسَط رداءَه وكنَس الكُناسةَ في ردائه وكنَس الناسُ. وهذا إسنادٌ جيدٌ اختاره الحافظُ ضياءُ الدين المَقْدسيُّ في كتابه «المُستخرَج»[1]. وقد تكلّمنا على رجاله في كتابنا الذي أفرَدْناه في مسند عمرَ؛ ما رَواه من الأحاديث المرفوعة وما رُوِيَ عنه من الآثار المَوْقوفة مُبَوَّبًا على أبواب الفقه، ولله الحمدُ والمنةُ.

وقد روى سيفُ بنُ عمرَ عن شيوخه، عن سالم قال: لمّا دخَل عمرُ الشامَ تَلَقَّاه رجلٌ من يهودِ دمشقَ، فقال: السلامُ عليك يا فاروقُ، أنت صاحبُ إيلياءَ، لا ها الله لا تَرْجِعْ حتى يَفْتَحَ اللهُ عليك إيلياءَ.

وقد روى أحمدُ بنُ مَرْوانَ الدِّينَوَريُّ عن محمد بنِ عبد العزيز، عن أبيه، عن الهَيْثم بن عَديٍّ، عن أسامةَ بن زيد بنِ أسْلَمَ، عن أبيه، عن جدِّه أسْلَمَ مولى عمرَ، عن عمرَ بنِ الخطّاب، أنه قدم دمشقَ في تُجّارٍ من قريش، فلما خرَجوا تخلَّف عمرُ لبعض حاجته، فبينما هو في البلد إذا هو ببِطريقٍ يأخُذُ بعُنُقه، فذهَب يُنازِعُه فلم يَقْدِرْ، فأدْخَله دارًا فيها تُرابٌ وفأسٌ ومِجْرَفةٌ وزِنْبيلٌ، وقال له: حوِّلْ هذا من ههنا إلى ههنا. وغلَّق عليه البابَ وانصرَف، فلم يَجِئْ إلى نصف النهار. قال: وجلَسْتُ مُفَكِّرًا، ولم أفْعَلْ مما قال لي شيئًا. فلما جاء قال: ما لك لم تَفْعَلْ؟ ولكَمَني في رأسي بيده، قال: فأخَذْتُ الفأسَ فضربْتُه بها فقتَلْتُه، وخرَجْتُ على وجْهي فجئْتُ دَيْرًا لراهبٍ، فجلَسْتُ عندَه من العَشِيِّ، فأشْرَف عليَّ، فنزَل وأدْخَلني الدَّيْر فأطْعَمَني وسَقاني، وأتْحَفَني، وجعَل يُحَقِّقُ النَّظَرَ فيَّ، وسألَني عن أمْري، فقلتُ: إني أضْلَلْتُ عن أصْحابي. فقال: إنك لَتَنْظُرُ بعينِ خائفٍ. وجعَل يَتَوَسَّمُني، ثم قال: لقد علِم أهلُ دينِ النَّصْرانية أني أعْلَمُهم بكتابهم، وإني لأراك الذي تُخْرِجُنا من بلادنا هذه، فهل لك أن تَكْتُبَ لي كتابَ أمانٍ على دَيْري هذا؟ فقلتُ: يا هذا، لقد ذهَبْتَ غيرَ مَذْهَبٍ. فلم يَزَلْ بي حتى كَتَبْتُ له صَحيفةً بما طلَب مني، فلما كان وقتُ الانصراف أعْطاني أتانًا، فقال لي: ارْكَبْها، فإذا وصَلْتَ إلى أصحابك فابْعَثْ إليَّ بها وحدَها فإنها لا تَمُرُّ بدَيْرٍ إلا أكْرَموها. ففعَلْتُ ما أمَرَني به، فلما قدم عمرُ لفَتْح بيت المقدس أتاه ذلك الراهبُ وهو بالجابية بتلك الصَّحيفة، فأمْضاها له عمرُ، واشْتَرَط عليه ضيافةَ مَن يَمُرُّ به من المسلمين، وأن يُرْشِدَهم إلى الطَّريق. رَواه ابنُ عساكرَ وغيرُه. وقد ساقه ابنُ عَساكرَ من طريقٍ أخرى في ترجمة يحيى بنِ عبد الله بنِ أُسامةَ القُرَشيِّ البَلْقاويِّ، عن زيد بنِ أسْلَمَ، عن أبيه، فذكَر حديثًا طويلاً عَجيبًا، هذا بعضُه وقد ذكَرْنا الشُّروطَ العُمَرية على نَصارى الشام مُطَوَّلاً في كتابنا «الأحكام»، وأفرَدْنا له مُصَنَّفًا على حِدَة، ولله الحمدُ والمنةُ.

وقد ذكَرْنا خُطْبتَه في الجابية بألفاظها وأسانيدها في الكتاب الذي أفْرَدْناه لمسند عمرَ، وذكَرْنا تَواضُعَه في دُخوله الشامَ في السِّيرة التي أفْرَدْناها له.

---

(١) في «المسند» (١/ ٣٨). قال الهيثمي في «المجمع» (٦/ ٤): «رواه أحمد وفيه عيسى بن سنان القسملي وثقه ابن حبان وغيره وضعفه أحمد وغيره وبقية رجاله ثقات».

وقال أبو بكر بنُ أبي الدُّنيا: حدَّثني الربيعُ بنُ ثَعْلبٍ، ثنا أبو إسماعيل المُؤدِّبُ، عن عبدِ اللهِ بنِ مسلم بنِ هُرْمُزَ المكيِّ، عن أبي العاليةِ الشاميِّ قال: قدم عمرُ بنُ الخطَّاب الجابيةَ على طريقِ إيلياءَ على جَمَلٍ أوْرَقَ تَلوحُ صَلْعَتُه للشمسِ، ليس عليه قَلَنْسُوَةٌ ولا عِمامةٌ، تَصْطَفِقُ رِجْلاه بينَ شُعْبَتَيِ الرَّحْلِ بلا رِكابٍ، وِطاؤُه كِساءٌ أنْبِجانيٌّ ذو صوفٍ، هو وِطاؤُه إذا ركِب، وفراشُه إذا نزَل، حَقيبتُه نَمِرةٌ أو شَمْلةٌ مَحْشُوَّةٌ لِيفًا، هي حَقيبتُه إذا ركِب، ووِسادتُه إذا نزَل، وعليه قميصٌ من كَرابِيسَ قد دَسِم وتَخَرَّق جيبُه. فقال: ادْعُوا لي رأسَ القومِ. فدَعَوْا له الجلومسَ، فقال: اغْسِلوا قَميصي وخَيِّطوه، وأعيروني قميصًا أو ثوبًا فأُتِيَ بقَميصِ كتَّانٍ فقال: ما هذا؟ قالوا: كتَّانٌ. قال: وما الكتَّانُ؟ فأخْبَروه، فنزَع قميصَه فغُسِل ورُقِّع، وأُتِيَ به، فنزَع قميصَهم ولبِس قميصَه. فقال له الجلومسُ: أنت ملكُ العربِ، وهذه بلادٌ لا تَصْلحُ بها الإبلُ. فأُتِيَ بِبِرْذَوْنٍ فطُرِح عليه قَطيفةٌ بلا سَرْجٍ ولا رَحْلٍ، فركِبه فقال: احْبِسوا احْبِسوا، ما كنتُ أظنُّ الناسَ يَرْكَبون الشيطانَ قبلَ هذا، هاتوا جملي. فأُتِيَ بجمله فركِبه.

وقال إسماعيلُ بنُ محمد الصفَّارُ: حدَّثنا سَعْدانُ بنُ نصرٍ، حدَّثنا سفيانُ عن أيوبَ الطَّائيِّ، عن قيسِ بنِ مسلمٍ، عن طارقِ بنِ شِهابٍ قال: لما قدِم عمرُ الشامَ عَرَضَتْ له مَخاضةٌ، فنزَل عن بعيرِه ونزَع مُوقَيْه، فأمْسَكهما بيده وخاض الماءَ ومعه بعيرُه، فقال له أبو عُبَيدةَ: قد صنَعْتَ اليومَ صَنيعًا عظيمًا عندَ أهلِ الأرضِ؛ صنَعْتَ كذا وكذا. قال: فصَكَّ في صَدْرِه. وقال: أَوَّه، لو غيرُك يقولُها يا أبا عُبَيدةَ! إنكم كنتُم أذَلَّ الناسِ وأحْقَرَ الناسِ وأقَلَّ الناسِ، فأعَزَّكم اللهُ بالإسلامِ، فمهما تَطْلُبوا العِزَّ بغيرِه يُذِلَّكم اللهُ.

قال ابنُ جَرير: وفي هذه السنةِ - أعْني سنةَ خمسَ عشْرةَ - كانت بينَ المسلمين وفارسَ وَقَعاتٌ في قولِ سيفِ بنِ عمرَ.

وقال ابنُ إسحاقَ والواقديُّ: إنما كان ذلك في سنةِ ستَّ عشْرةَ. ثم ذكَر ابنُ جَريرٍ وَقَعاتٍ كثيرةً كانت بينَهم، وذلك حينَ بعَث عمرُ بنُ الخطاب إلى سعدِ بنِ أبي وقَّاصٍ يأمُرُه بالمَسيرِ إلى المَدائنِ، وأن يُخَلِّفَ النِّساءَ والعِيالَ بالعَقيقِ في خيلٍ كثيرةٍ كثيفةٍ، فلما تفَرَّغ سعدٌ من أمرِ القادسيةِ بعَث على المُقَدِّمةِ زُهْرةَ بنَ حَوِيَّةَ، ثم أتْبَعه بالأمراءِ واحدًا بعدَ واحدٍ، ثم سار في الجيوشِ، وقد جعَل هاشمَ بنَ عُتْبةَ بنِ أبي وقَّاصٍ على خلافتِه مكانَ خالدِ بنِ عُرْفُطةَ، وجعَل خالدًا هذا على الساقةِ، فساروا في خيولٍ عظيمةٍ، وسلاحٍ كثيرٍ، وذلك لأيامٍ بَقِين من شوَّالٍ من هذه السنةِ، فنزَلوا الكوفةَ، وارْتَحَل زُهْرةُ بينَ أيديهم نحوَ المَدائنِ، فلقِيَه بها بُصْبُهْرَى في جيشٍ من فارسَ، فهزَمهم زُهْرةُ، وذهَبَت الفرسُ في هزيمتِهم إلى بابلَ، وبها جمعٌ كثيرٌ ممن انْهَزم يومَ القادسيةِ، قد جعَلوا عليهم الفَيْرُزانَ،

فبعث زُهْرةُ إلى سعدٍ، فأعلَمه باجتماعِ المُنهَزِمينَ ببابلَ، فسار سعدٌ بالجيوشِ إلى بابلَ، فتَقابَل هو والفَيْرُزانُ عندَ بابلَ فهزَمهم كأسْرَعَ مِن لَفَّةِ الرِّداءِ، وانهَزموا بينَ يديه فِرْقَتَيْن؛ ففِرْقةٌ ذهَبَت إلى المَدائنِ، وأُخرَى سارت إلى نَهاوَنْدَ، وأقام سعدٌ ببابلَ أيامًا، ثم سار منها نحوَ المَدائنِ فلَقُوا جَمْعًا آخرَ مِن الفرسِ، فاقْتَتلوا قتالاً شديدًا وبارَزوا أميرَ الفرسِ، وهو شَهْريارُ، فبرَز إليه رجلٌ مِن المسلمين يقالُ له: نايلٌ الأعْرَجيُّ أبو نُباتةَ. مِن شُجْعانِ بني تَميمٍ، فتَجاوَلا ساعةً بالرِّماحِ، ثم ألقَياها فانْتَضَيا سيفَيْهما وتَصاوَلا بهما، ثم تَعانَقا وسقَطا عن فرسَيْهما إلى الأرضِ، فوقَع شَهْريارُ على صدرِ أبي نُباتةَ، وأخرَج خِنجرًا ليَذْبَحَه بها، فوقَعت أُصبُعُه في فمِ أبي نُباتةَ فقَضَمها حتى شغَله عن نفسِه، وأخَذ الخِنجرَ فذبحَ شَهْريارَ بها وأخذ فرسَه وسوارَيْه وسَلَبه، وانْكَشَف أصحابُه فهُزِموا، فأقْسَم سعدٌ على نايلٍ ليَلْبَسُ سوارَيْ شَهْريارَ وسلاحَه، وليَرْكَبَنَّ فرسَه إذا كان حربٌ، فكان يَفْعَلُ ذلك. قالوا: وكان أولَ مَن تَسَوَّرَ بالعراقِ. وذلك بمكانٍ يقالُ له: كُوثَى. وزار المكانَ الذي حُبِس فيه الخليلُ، وصلَّى عليه وعلى سائرِ الأنبياءِ، وقرَأ: ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ الآية [آل عمران: ١٤٠].

وقعة بَهُرَسِيرَ

قالوا: ثم قدَّم سعدٌ زُهْرةَ بينَ يدَيه مِن كُوثَى إلى بَهُرَسيرَ، فمضَى إلى المُقدِّمة، وقد تَلَقَّاه شيرَزاذُ إلى ساباطَ بالصُّلحِ والجِزْيةِ، فبعثَه إلى سعدٍ فأمْضاه، ووصَل سعدٌ بالجنودِ إلى مكانٍ يقالُ له: مُظْلِمُ ساباطَ. فوجَدوا هنالك كَتائبَ كثيرةً لكِسْرَى يُسَمُّونها بُورانَ، وهم يُقْسِمون كلَّ يومٍ: لا يَزولُ مُلْكُ فارسَ ما عِشْنا. ومعهم أسدٌ كبيرٌ لكِسْرَى يقالُ له: المُقَرَّطُ. قد أرْصَدوه في طريقِ المسلمين، فتقَدَّم إليه ابنُ أخي سعدٍ، وهو هاشمُ بنُ عُتْبةَ، فقتَل الأسدَ والناسُ يَنْظُرون، وسُمِّيَ يومَئذٍ سيفُه المَتِينَ، وقبَّل سعدٌ يومَئذٍ رأسَ هاشمٍ، وقبَّل هاشمٌ قَدَمَ سعدٍ، وحَمَل هاشمٌ على الفُرْسِ، فأزالهم عن أماكنِهم وهزَمهم وهو يَتْلُو قولَه تعالى: ﴿أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ﴾ [إبراهيم: ٤٤]. فلما كان الليلُ ارْتَحل المسلمون ونزَلوا بَهُرَسيرَ، فجعَلوا كلما وقَفوا كبَّروا، وكذلك حتى كان آخرُهم مع سعدٍ، فأقاموا بها شهرين، ودخَلوا في الثالثِ وفرَغت السنةُ.

قال ابنُ جَريرٍ: وفيها حَجَّ بالناسِ عمرُ، وكان عاملَه فيها على مكةَ عَتَّابُ بنُ أَسِيدٍ، وعلى الشامِ أبو عُبَيدةَ، وعلى الكوفةِ والعراقِ سعدٌ، وعلى الطائفِ يَعْلَى بنُ أميةَ، وعلى البَحْرَيْن واليَمامةِ عثمانُ بنُ أبي العاصِ، وعلى عُمَانَ حُذَيفةُ بنُ مِحْصَنٍ.

قلتُ: وكانت وَقْعةُ اليَرْموكِ في سنةِ خمسَ عشْرةَ في رجبٍ منها، عندَ الليثِ بنِ سعدٍ وابنِ لَهِيعةَ وأبي مَعْشَرٍ والوليدِ بنِ مسلمٍ ويزيدَ بنِ عَبِيدةَ وخَليفةَ بنِ خَيَّاطٍ وابنِ الكَلْبيِّ ومحمدِ بنِ عائذٍ وابنِ عَساكرَ وشيخِنا أبي عبدِ اللهِ الذَّهَبيِّ الحافظِ. وأما سيفُ بنُ عمرَ وأبو جَعْفرِ بنُ جَريرٍ، فذَكَروا وَقْعةَ اليَرْموكِ في سنةِ ثلاثَ عشْرةَ، وقد قدَّمْنا ذِكْرَها هنالك تَبَعًا لابنِ جَريرٍ. وهكذا وَقْعةُ القادسيةِ عندَ

بعضِ الحُفّاظ أنها كانت في أواخرِ هذه السنة؛ سنة خمس عشْرةَ، وتبِعهم في ذلك شيخُنا الحافظُ الذّهبيُّ، والمشهورُ أنها كانت في سنةِ أربعَ عشْرةَ كما تقدَّم.

ثم ذكر شيخنا الذهبيُّ مَن توُفيَ في هذه السنة مُرتَّبين على الحروف

سعدُ بنُ عُبادةَ الأنصاريُّ الخزرجيُّ، وهو أحدُ أقوال المُؤرِّخين، وقد تقدَّم.

سعدُ بنُ عُبَيد بن النعمان أبو زيد الأنصاريُّ الأوْسيُّ، قُتِل بالقادسية، ويُقالُ: إنه أبو زيدٍ القاريُّ. أحدُ الأربعة الذين جَمَعوا القُرآنَ على عهدِ رسول الله ﷺ، وأنكر آخَرون ذلك، ويُقالُ: إنه والدُ عُمَيْرِ بنِ سعدٍ الزاهدِ أميرِ حِمْصَ. وذكَر محمدُ بنُ سعدٍ وفاتَه بالقادسية وقال: كانت في سنةِ ستَّ عشْرةَ. واللهُ أعلمُ.

سُهَيْلُ بنُ عمرو بن عبد شَمْس بن عبد وُدِّ بن نصر بن مالك بن حِسْل بن عامر بن لُؤَيٍّ، أبو يَزيدَ العـامـريُّ، أحدُ خُطَباءِ قريشٍ وأشرافِهم، أسْلَم يومَ الفتح وحَسُن إسلامُه، وكان سَمْحًا جَوادًا فَصيحًا، كثيرَ الصلاة والصوم والصدقة وقراءة القرآن والبُكاء. ويقالُ: إنه قام وصام حتى شَحَب لونُه. وله سَعْيٌ مَشْكورٌ في صُلْح الحُدَيْبِية، ولمّا مات رسولُ الله ﷺ خطَب الناسَ بمكةَ خُطْبةً عظيمةً تُثبِّتُ الناسَ على الإسْلام، وكانت خُطبتُه بمكةَ قريبًا مِن خُطْبةِ الصِّدّيقِ بالمدينة، ثم خرَج في جماعةٍ إلى الشامِ مُجاهدًا، فحضَر اليَرْموكَ، وكان أميرًا على بعضِ الكَراديس، ويقالُ: إنه استُشْهِد يومَئذٍ. وقال الواقديُّ والشافعيُّ: تُوُفِّيَ بطاعون عَمَواسَ.

عامرُ بنُ مالك بنُ أُهَيْب الزُّهْريُّ، أخو سعد بن أبي وَقّاص، هاجَر إلى الحبشة، وهو الذي قدِم بكتاب عمرَ إلى أبي عُبَيدةَ بولايته على الشام وعزْلِ خالدٍ عنها، استُشْهِدَ يومَ اليَرْموك.

عبدُ الله بنُ سُفْيانَ بن عبد الأسد المَخزوميُّ، صحابيٌّ هاجَر إلى الحَبَشة مع عمِّه أبي سَلَمةَ بنِ عبدِ الأسَد. روَى عنه عمرُو بنُ دينارٍ مُنْقَطِعًا؛ لأنه قُتِل يومَ اليَرْموك.

عبدُ الرحمن بنُ العَوّام، أخو الزبير بنِ العَوّام، حضَر بدرًا مُشْرِكًا، ثم أسْلَم واستُشْهِد يومَ اليَرْموكِ في قولٍ.

عُتْبةُ بنُ غَزْوانَ، تُوُفِّيَ فيها في قولٍ.

عكرِمةُ بنُ أبي جَهْل، استُشْهِد باليَرْموك في قولٍ.

عَمرُو بنُ أمِّ مَكْتوم استُشْهِد يومَ القادسية، وقد تقدَّم. ويقالُ: بل رَجَع إلى المدينة.

عمرُو بنُ الطُّفَيْل بن عمرو، تَقَدَّم.

عيّاشُ بنُ أبي رَبيعةَ، تَقدَّم.

فِراسُ بنُ النَّضْر بن الحارث، يقالُ: استُشْهِد يومَ اليَرْموك.

قيسُ بنُ عَدِيِّ بنِ سعد بنِ سَهْمٍ، مِن مُهاجِرةِ الحَبَشةِ، قُتِلَ باليَرْموكِ.

قيسُ بنُ أبي صَعْصَعةَ عمرِو بنِ زيدِ بنِ عَوْفٍ الأنصاريُّ المازنيُّ، شهِد العَقبةَ وبَدْرًا، وكان أحدَ أُمراءِ الكَراديسِ يومَ اليَرْموكِ، وقُتِلَ يومَئذٍ، ولَه حديثٌ، قال: قلتُ: يا رسولَ اللهِ، في كم أَقْرأُ القرآنَ؟ قال: «**في خمسَ عشْرةَ**»[1] . الحديثَ. قال شيخُنا أبو عبدِ اللهِ الذَّهَبيُّ: ففيه دليلٌ علىٰ أنه مِمَّن جمَع القرآنَ في عهدِ رسولِ اللهِ ﷺ.

نُضَيرُ بنُ الحارثِ بنِ عَلْقمةَ بنِ كَلَدَةَ بنِ عبدِ مَنافِ بنِ عبدِ الدارِ بنِ قُصَيٍّ القُرَشيُّ العَبْدريُّ، أسْلَم عامَ الفتحِ، وكان مِن عُلماءِ قُرَيشٍ، وأعْطاه رسولُ اللهِ ﷺ يومَ حُنَيْنٍ مائةً مِن الإبلِ، فتَوَقَّف في أخْذِها وقال: لا أرْتَشي علىٰ الإسلامِ. ثم قال: واللهِ ما طَلَبْتُها ولا سَأَلْتُها، وهي عَطِيةٌ مِن رسولِ اللهِ ﷺ. فأخَذَها وحَسُن إسلامُه، واستُشْهِد يومَ اليَرْموكِ.

نَوْفَلُ بنُ الحارثِ بنِ عبدِ المُطَّلبِ، ابنُ عَمِّ رسولِ اللهِ ﷺ، كان أسَنَّ مَن أسْلَم مِن بني عبدِ المُطَّلبِ، وكان مِمَّن أُسِر يومَ بدرٍ، ففداه العباسُ، ويُقالُ: إنه هاجَر أيامَ الخَنْدقِ، وشهِد الحُدَيْبيةَ والفتحَ، وأعان رسولَ اللهِ ﷺ يومَ حُنَيْنٍ بثلاثةِ آلافِ رُمْحٍ، وثبَت يومَئذٍ، وتُوُفِّيَ سنةَ خمسَ عشْرةَ، وقيل: سنةَ عشرين. واللهُ أعْلَمُ. تُوُفِّيَ بالمدينةِ، وصلَّىٰ عليه عمرُ، ومشَىٰ في جِنازتِه ودُفِن بالبَقيعِ، وخلَّف عدةَ أوْلادٍ فُضَلاءَ وأكابرَ.

هشام بن العاص، أخو عمرو بن العاص، تقدم، وقال ابن سعد: قتل يوم اليرموك.

---

(١) **إسناده ضعيف**: أخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٩/ ٤٦٧، ٤٦٨)، من طرق عن ابن لهيعة، حدثني حبان بن واسع بن حبان، عن أبيه، عن قيس بن أبي صعصعة به.
وفيه ابن لهيعة: ضعيف.

بسم الله الرحمن الرحيم

ثم دخلت سنة ست عشرة

اسْتَهَلَّت هذه السنةُ وسعدُ ابنُ أبي وقاصٍ مُنازلٌ مدينةَ بَهُرَسِيرَ، وهي إحدَىٰ مَدينَتَيْ كِسْرَىٰ مما يلي دِجْلَةَ مِن الغربِ، وكان قُدومُ سعدٍ إليها في ذي الحِجَّةِ مِن سنةِ خمسَ عشْرةَ، واسْتَهَلَّت هذه السنةُ وهو نازلٌ عندَها، وقد بعَث السرايا والخيولَ في كلِّ وجهٍ، فلم يَجِدوا واحدًا مِن الجُنْدِ، بل جَمَعوا مِن الفلاّحين مائةَ ألفٍ، فحُبِسوا حتى كتَب إلىٰ عمرَ ما يفعَلُ بهم، فكتَب إليه عمرُ: إنَّ مَن كان مِن الفلاّحين لم يُعِنْ عليكم، وهو مقيمٌ ببلدِه فهو أمانُه، ومَن هرَب فأدْرَكتموه فشأنَكم به. فأطلَقهم سعدٌ بعدَ ما دَعاهم إلى الإسلامِ، فأبَوْا إلاّ الجزيةَ. ولم يَبْقَ مِن غربيِّ دِجْلَةَ إلىٰ أرضِ العربِ أحدٌ مِن الفلاّحين إلاّ تحتَ الجزيةِ والخَراجِ.

وامتنَعَت بَهُرَسِيرُ مِن سعدٍ أشدَّ الامتناعِ، وقد بعَث إليهم سعدٌ سلمانَ الفارسيَّ فدَعاهم إلى الله عزَّ وجلَّ، أو الجزيةِ، أو المقاتَلةِ، فأبَوْا إلاّ المقاتَلةَ والعِصيانَ، ونصَبوا المجانيقَ والدَّبّاباتِ، وأمَر سعدٌ بعملِ المَجانيقِ، فعُمِلت عشرون مَنْجَنيقًا، ونُصِبَت علىٰ بَهُرَسِيرَ، واشتدَّ الحصارُ، وكان أهلُ بَهُرَسِيرَ يَخْرُجون فيُقاتلون قتالاً شديدًا، ويحلفون أن لا يفِرُّوا أبدًا، فأكذَبهم اللهُ، وهزَمهم زُهْرَةُ بنُ حَوِيَّةَ بعدَ ما أصابه سهمٌ، وقتَل بعدَ مُصابِه به كثيرًا مِن الفُرْسِ، وفرُّوا بينَ يدَيه، ولَجَئُوا إلىٰ بلدِهم، فكانوا يُحاصَرون فيه أشدَّ الحصارِ، وقد انحصَر أهلُ البلدِ حتىٰ أكَلوا الكلابَ والسنانيرَ. وقد أشرَف رجلٌ منهم علىٰ المسلمين فقال: يقولُ لكم الملكُ: هل لكم إلىٰ المصالحةِ، علىٰ أنَّ لنا ما يلينا مِن دِجْلَةَ إلىٰ جَبَلِنا، ولكم ما يليكم مِن دِجْلَةَ إلىٰ جبلِكم، أما شبِعتم! لا أشبَع اللهُ بُطونَكم. قال: فبدَر الناسَ رجلٌ، يُقالُ له: أبو مُفَزِّرٍ الأسودُ بنُ قُطْبَةَ. فأنطقَه اللهُ بكلامٍ لم يَدْرِ ما قال لهم، قال: فرجَع الرجلُ ورأيْناهم يقطَعون مِن بَهُرَسِيرَ إلىٰ المدائنِ. فقال الناسُ لأبي مُفَزِّرٍ: ما قلتَ لهم؟ قال: والذي بعَث محمدًا بالحقِّ ما أدري ما قلتُ لهم، إلاّ أنَّ عليَّ سكينةً، وأنا أرجُو أن أكونَ قد أُنْطِقتُ بالذي هو خيرٌ. وجعَل الناسُ يَنْتابونه، يسألونه عن ذلك، وكان في مَن سأله سعدُ ابنُ أبي وقاصٍ، وجاءه سعدٌ إلىٰ منزلِه فقال: يا أبا مُفَزِّرٍ ما قلتَ؟ واللهِ إنَّهم هُرّابٌ. فحلَف له أنَّه لا يَدْري ما قال.

فنادَىٰ سعدٌ في الناسِ ونهَد بهم إلىٰ البلدِ، والمجانيقُ تضرِبُ في البلدِ، فنادَىٰ رجلٌ مِن البلدِ بالأمانِ فأمَّناه، فقال: وللهِ ما بالبلدِ أحدٌ. فتسوَّر الناسُ السورَ، فما وَجَدْنا فيها أحدًا إلاّ قد هرَبوا إلىٰ المدائنِ. وذلك في شهرِ صفرٍ مِن هذه السنةِ. فسألْنا ذلك الرجلَ وأُناسًا مِن الأُسارَىٰ فيها لأيِّ شيءٍ هرَبوا؟ قالوا: بعثَ الملكُ إليكم يَعرِضُ عليكم الصلحَ، فأجابه ذلك الرجلُ بأنَّه لا يكونُ بينَكم وبينَهم صلحٌ أبدًا، حتىٰ نأكُلَ عسلَ أفرندينَ بأُتْرُجِّ كُوثَىٰ. فقال الملكُ: يا وَيْلاه، إنَّ الملائكةَ لتتكلَّمُ علىٰ ألسنتِهم، تَرُدُّ علينا وتجيبُنا عن العربِ. ثم أمَر الناسَ بالرحيلِ مِن هناك إلىٰ المدائنِ، فجازُوا في

السُّفُنِ منها إليها، وبينَهما دِجْلَة، وهي قريبةٌ منها جداً.

ولمَّا دخَل المساحون بَهُرَسِيرَ في الليلِ، لاح لهم القصرُ الأبيضُ مِن المدائنِ، وهو قصرُ الملكِ الذي ذكَره رسولُ الله ﷺ أنَّه سيفتَحُه اللهُ على أمته، وذلك قَرِيبُ الصباحِ، فكان أولَ مَن رآه من المسلمين ضِرارُ بنُ الخطابِ، فقال: اللهُ أكبرُ، أبيضُ كسرى، هذا ما وعدَنا اللهُ ورسولُه. ونظَر الناسُ إليه فتابَعوا التكبيرَ إلى الصبحِ.

ذكرُ فتحِ المدائنِ التي هي مستقرُّ مُلكِ كسرى

لما فَتَح سعدٌ بَهُرَسِيرَ واستقرَّ بها، وذلك في صفرٍ، لم يجدْ فيها أحداً ولا شيئاً مما يُغْنَمُ، بل قد تحوَّلوا بكمالِهم إلى المدائنِ، وركِبوا السفُنَ، وضمُّوا السُّفُنَ إليهم، ولم يجدْ سعدٌ، رضي اللهُ عنه، شيئاً مِن السُّفُنِ، وتعذَّر عليه تحصيلُ شيءٍ منها بالكليَّةِ، وقد زادت دِجْلَةُ زيادةً عظيمةً، واسودَّ ماؤُها، ورَمَت بالزَّبدِ مِن كثرةِ الماءِ بها، وأُخبِر سعدٌ، بأنَّ كِسْرَىٰ يَزْدَجِرْدَ عازمٌ على أخذِ الأموالِ والأمتعةِ مِن المدائنِ إلى حُلْوانَ، وأنَّك إن لم تُدرِكْه قبلَ ثلاثٍ، فات عليك وتفارَط الأمرُ، فخطَب سعدٌ المسلمين على شاطئِ دِجْلَةَ، فحمِد اللهَ وأثْنَى عليه، وقال: إنَّ عدوَّكم قد اعتَصَم منكم بهذا البحرِ؛ فلا تَخلُصون إليه معه، وهم يخلُصون إليكم إذا شاءوا فيُناوِشُونكم في سُفُنِهم، وليس وراءَكم شيءٌ تخافون أن تؤتَوْا منه، وقد رأيتُ أن تُبادِروا جهادَ العدوِّ بنيَّاتِكم قبلَ أن تحصُرَكم الدُّنيا، ألا إنِّي قد عزَمتُ على قطعِ هذا البحرِ إليهم. فقالوا جميعاً: عزَم اللهُ لنا ولك على الرُّشْدِ، فافْعَلْ.

فعندَ ذلك نَدَب سعدٌ الناسَ إلى العبورِ، ويقولُ: مَن يبدأُ فيحمِيَ لنا الفِراضَ - يعني ثُغْرَةَ المخاضةِ مِن الناحيةِ الأُخرى - ليجوزَ الناسُ إليهم آمنينَ. فانتَدَب عاصمُ بنُ عمرٍو وذَوو البأسِ مِن الناسِ، قريبٌ مِن ستِّمائةٍ، فأمَّر سعدٌ عليهم عاصمَ بنَ عمرٍو، فوقفوا على حافَّةِ دِجلةَ، فقال عاصمٌ: مَن ينتدبُ معي لنكونَ قبلَ الناسِ دخولاً في هذا البحرِ، فنحمِيَ الفِراضَ مِن الجانبِ الآخَرِ؟ فانتَدَب له ستُّون مِن الشُّجعانِ المذكورين؛ والأعاجمُ وقوفٌ صفوفاً مِن الجانبِ الآخَرِ، فتقدَّم رجلٌ مِن المسلمين وقد أحجَم الناسُ عن الخوضِ في دِجْلَةَ، فقال: أتَخافون مِن هذه النُّطْفَةِ؟ ثم تلا قولَه تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّؤَجَّلًا﴾ [آل عمران: ١٤٥]. ثم أقحَم فرسَه فيها واقتَحم الناسُ، وقد افترَق الستون فِرْقَتَين؛ أصحابُ الخيلِ الذكورِ، وأصحابُ الخيلِ الإناثِ، فلمَّا رآهم الفرسُ يَطْفُون على وجهِ الماءِ قالوا: ديوانا ديوانا. يقولون: مجانينُ مجانينُ. ثم قالوا: والله ما تقاتلون إنساً بل تقاتلون جنّاً. ثم أرسَلوا فرساناً منهم في الماءِ يلتقُون أولَ المسلمين ليمنَعوهم مِن الخروجِ مِن الماءِ، فأمَر عاصمُ ابنُ عمرٍو أصحابَه أن يشرَعوا لهم الرِّماحَ ويتوخَّوُا الأعينَ، ففعلوا ذلك بالفُرْسِ فقلَعوا عيونَ خيولِهم، فرجَعوا أمامَ المسلمين لا يملِكون كفَّ خيولِهم حتى خرَجوا مِن الماءِ، واتَّبَعهم عاصمٌ وأصحابُه فساقُوا وراءَهم حتى طرَدُوهم عن الجانبِ الآخرِ، ووَقَفُوا على حافَّةِ الدِّجْلَةِ مِن الجانبِ

الآخَرِ، ونزَلَ بقيةُ أصحابِ عاصمٍ من الستِّمائة في دِجْلَةَ، فخاضُوها، حتىٰ وصَلوا إلىٰ أصحابهم من الجانبِ الآخَرِ، فقاتَلوا مع أصحابهم حتىٰ نَفَوُا الفُرْسَ عن ذلك الجانبِ. وكانوا يسمُّون الكتيبةَ الأُولَىٰ كتيبةَ الأهوال، وأميرُها عاصمُ بنُ عمرو، والكتيبةَ الثانيةَ الكتيبةَ الخرساءَ، وأميرُها القَعْقَاعُ ابنُ عمرو. وهذا كُلُّه وسعدٌ والمسلمون ينظُرون إلىٰ ما يصنعُ هؤلاءِ الفرسانُ بالفُرْسِ، وسعدٌ واقفٌ علىٰ شاطئِ دِجْلَةَ. ثم نزَل سعدٌ ببقيةِ الجيشِ، وذلك حينَ نَظَروا إلىٰ الجانبِ الآخَرِ وقد تحصَّن بمَن حصَل فيه من الفرسانِ المسلمين، وقد أمَر سعدٌ المسلمين عندَ دخولِ الماءِ أن يقولوا: نستعينُ باللهِ، ونتوكَّلُ عليه، حسبُنا اللهُ ونعْمَ الوكيلُ، ولا حولَ ولا قوةَ إلاَّ باللهِ العليِّ العظيمِ. ثم اقتَحم بفرسِه دِجْلَةَ، واقتَحم الناسُ لم يتخلَّفْ عنه أحدٌ، فساروا فيها كأنَّما يسيرون علىٰ وجهِ الأرضِ، حتىٰ ملئُوا ما بينَ الجانبَيْنِ، فلا يُرَىٰ وجهُ الماءِ من الفُرْسانِ والرَّجَّالة، وجعَل الناسُ يتحدَّثُون علىٰ وجهِ الماءِ كما يتحدَّثُون علىٰ وجهِ الأرضِ؛ وذلك لما حصَل لهم من الطُّمأْنينةِ والأمنِ، والوثوقِ بأمرِ اللهِ ووعدِه ونصرِه، وتأييدِه، ولأنَّ أميرَهم سعدَ بنَ أبي وقاصٍ أحدُ العشَرةِ المشهودِ لهم بالجنةِ، وقد تُوُفِّي رسولُ اللهِ ﷺ وهو عنه راضٍ، ودَعا له، فقال: «اللهمَّ أجِبْ دعْوتَه، وسدِّدْ رَمْيَتَه».

والمقطوعُ به أنَّ سعدًا دعا لجيشِه هذا في هذا اليومِ بالسلامةِ والنصرِ، وقد رمَىٰ بهم في هذا اليمِّ، فسدَّدهم اللهُ وسلَّمهم، فلم يُفْقَدْ من المسلمين رجلٌ واحدٌ، غيرَ أن رجلاً واحدًا يقالُ له: غَرْقَدَةُ البارِقيُّ، زلَّ عن فرسٍ له شقْراءَ، فأخَذ القَعْقاعُ بنُ عمرٍو بلجامِها، وأخَذ بيدِ الرجلِ حتىٰ عدَلَه علىٰ فرسِه، وكان من الشُّجعانِ، فقال: عجَز النساءُ أن يلِدْنَ مثلَ القَعْقاعِ بنِ عمرٍو. ولم يُعْدَمْ للمسلمين شيءٌ من أمتعتِهم غيرُ قَدَحٍ من خشبٍ لرجلٍ يقالُ له: مالكُ بنُ عامرٍ. كانت علاقتُه رثَّةً، فأخذَه الموجُ، فدعا صاحبُه اللهَ عزَّ وجلَّ، وقال: اللهمَّ لا تجعلْني من بينِهم يذهبُ متاعي. فردَّه الموجُ إلىٰ الجانبِ الذي يقصِدونه، فأخَذه الناسُ ثم ردُّوه علىٰ صاحبِه بعينِه. وكان الفَرَسُ إذا أعْيا وهو في الماءِ، يُقيِّضُ اللهُ له مثلَ النَّشْزِ المرتفعِ، فيقفُ عليه فيستريحُ، وحتىٰ إنَّ بعضَ الخيلِ ليسيرُ وما يصلُ الماءُ إلىٰ حزامِها، وكان يومًا عظيمًا، وأمرًا هائلاً، وخطبًا جليلاً، وخارقًا باهرًا، ومعجزةً لرسولِ اللهِ ﷺ، خلَقها اللهُ لأصحابِه، لم يُرَ مثلُها في تلك البلادِ، ولا في بُقعةٍ من البِقاعِ، سوَىٰ قضيةِ العلاءِ بنِ الحَضْرَميِّ المتقدِّمة، بل هذا أجلُّ وأعظمُ؛ فإنَّ هذا الجيشَ كان أضعافَ ذلك. قالوا: وكان الذي يسايرُ سعدَ بنَ أبي وقاصٍ في الماءِ سلمانُ الفارسيُّ. فجعَل سعدٌ يقولُ: حسبُنا اللهُ ونعْمَ الوكيلُ، واللهِ ليَنْصُرَنَّ اللهُ وليَّه، وليُظهِرنَّ اللهُ دينَه، وليَهزِمَنَّ اللهُ عدوَّه، إن لم يكنْ في الجيشِ بغيٌ أو ذنوبٌ تغلبُ الحسناتِ. فقال له سلمانُ: إنَّ الإسلامَ جديدٌ، ذُلِّلَت لهم واللهِ البحورُ، كما ذُلِّلَ لهم البرُّ، أمَا والذي نفسُ سلمانَ بيدِه ليخرُجُنَّ منه أفواجًا كما دخَلوا أفواجًا. فخرَجوا منه كما قال سلمانُ، لم يَغْرَقْ منهم أحدٌ، ولم يفقِدوا شيئًا.

ولَمّا استقلَّ المسلمون على وجه الأرض، خرجت الخيولُ تَنفُضُ أعرافَها صاهلةً، فساقُوا وراءَ الأعاجم حتى دَخلوا المدائن، فلم يجدوا بها أحدًا، بل قد أخَذ كِسْرَىٰ أهلَه وما قَدَروا عليه من الأموال والأمتعة والحواصل، وتركوا ما عَجزوا عنه من الأنعام، والثياب، والمتاع، والآنية، والألطاف، والأدهان ما لا يُدْرَىٰ قيمتُه. وكان في خزانة كِسْرَىٰ ثلاثةُ آلاف ألف ألف ألف دينار، ثلاثَ مرات، فأخَذوا من ذلك ما قدَروا عليه، وتركوا ما عجَزوا عنه، وهو مقدارُ النصف من ذلك أو ما يُقاربه.

فكان أولَ من دخَل المدائنَ كتيبةُ الأهوال، ثم الكتيبةُ الخرساءُ، فأخَذوا في سككها لا يلقَوْن أحدًا ولا يخشَوْنه، غيرَ القصر الأبيض، ففيه مُقاتِلةٌ، وهو مُحصَّنٌ. فلما جاء سعدٌ بالجيش، دعا أهلَ القصر الأبيض ثلاثةَ أيام، على لسان سلمانَ الفارسيِّ، فلمّا كان اليومُ الثالثُ نزلوا منه، وسكَنه سعدٌ واتخَذ الإيوانَ مصلًّى وحينَ دخَله تلا قولَه تعالى: ﴿كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾ [الدخان: ٢٥-٢٨]. ثم تقدَّم إلى صدره فصلّى ثمانَ ركَعاتٍ صلاةَ الفتح، وذكَر سيفٌ في روايته أنَّه صلاَّها بتسليمة واحدة، وأنَّه جمَّع بالإيوان، في صفر من هذه السنة، فكانت أولَ جُمُعة جُمِّعَت بالعراق؛ وذلك لأنَّ سعدًا نوَىٰ الإقامةَ بها، وبعَث إلى العيالات فأنزَلهم دورَ المدائن واستوطَنوها، حتى فتحوا جَلُولاءَ وتكْريتَ والمَوْصِلَ، ثم تحوَّلوا إلى الكوفة بعدَ ذلك، كما سنذكُره.

ثم أرسَل السرايا في إثْر كِسْرَىٰ يَزْدَجِرْدَ، فلحق بهم طائفةٌ فقتَلوهم وشرَّدوهم، واستلبُوا منهم أموالاً عظيمةً، أكثرُها من ملابس كِسْرَىٰ وتاجه وحُليِّه. وشرَع سعدٌ في تحصيل ما هنالك من الأموال والحواصل والتُّحف، مما لا يُقَوَّمُ ولا يُحَدُّ ولا يوصفُ؛ كثرةً وعظمةً.

وقد رُوينا أنَّه كان هناك تماثيلُ من جصٍّ، فنَظر سعدٌ إلى أحدها وإذا هو يُشيرُ بأُصْبَعه إلى مكانٍ، فقال سعدٌ: إنَّ هذا لم يوضعْ هكذا سُدًى. فأخذوا ما يُسامتُ أُصْبُعَه، فوجَدوا قُبالتَها كنزًا عظيمًا من كنوز الأكاسرة الأوائل، فأخرَجوا منه أموالاً عظيمةً جزيلةً، وحواصلَ باهرةً، وتحفًا فاخرةً. واستحوَذ المسلمون على ما هُنالك أجمعَ، مما لم يَرَ أحدٌ في الدنيا أعجبَ منه. وكان في جُملة ذلك تاجُ كِسْرَىٰ وهو مكلَّلٌ بالجواهر النفيسة التي تُحيِّرُ الأبصارَ، ومِنْطَقَتُه كذلك، وسيفُه وسِواراه وقَباؤُه، وبساطُ إيوانه، وكان مربَّعًا، ستون ذراعًا في مثلها، من كلِّ جانبٍ، والبساطُ مثلُه سواءً، وهو منسوجٌ بالذهب واللآلئ والجواهر الثمينة، وفيه مصوَّرٌ جميع ممالك كِسْرَىٰ؛ بلادُه بأنهارها وقلاعها وأقاليمها وكُوَرها، وصفة الزروع والأشجار التي في بلاده. فكان إذا جلَس على كرسيِّ مملكته، ودخَل تحت تاجه، وتاجُه معلقٌ بسلاسلِ الذهب؛ لأنَّه كان لا يستطيعُ أن يُقلَّه على رأسه لثقَله، بل كان يجيءُ فيجلسُ تحتَه، ثم يُدخِلُ رأسَه تحتَ التاج، والسلاسلُ الذهبُ تحملُه عنه، وهو يستُره حالَ لُبْسه، فإذا رُفع الحجابُ عنه، خرَّت له الأمراءُ سجودًا، وعليه المِنْطَقَةُ والسِّواران والسيفُ

والقَباءُ المُرصَّعُ بالجواهرِ، فينظُرُ في البُلدانِ واحدةً واحدةً، فيسألُ عنها، ومَن فيها من النوابِ، وهل حدَث فيها شيءٌ من الأحداثِ؟ فيُخبِرُه بذلك وُلاةُ الأُمورِ بينَ يَدَيه، ثم ينتقِلُ إلى الأُخرىٰ، وهكذا حتىٰ يسألَ عن أحوالِ بلادِه في كلِّ وقتٍ، لا يُهمِلُ أمرَ المملكةِ، وقد وضعَوا هذا البِساطَ بينَ يدَيه، تذكارًا له بشأنِ الممالكِ، وهو اصطلاحٌ جيِّدٌ منهم في أمرِ السياسةِ. فلمّا جاء قدَرُ اللهِ زالت تلك الأيدي عن تلك الممالكِ والأراضي، وتسلَّمها المسلمون من أيديهم قسْرًا، وكسَروا شوكتَهم عنها، وأخَذوها بأمرِ اللهِ صافيةً ضافيةً، ولله الحمدُ والمِنةُ.

وقد جعَل سعدُ بنُ أبي وقاصٍ على الأقْباضِ عمرَو بنَ عمرِو بنِ مُقَرِّنٍ، فكان أولُ ما حصَّل ما كان في القصرِ الأبيضِ، ومنازلِ كِسْرَىٰ، وسائرِ دُورِ المدائنِ، وما كان بالإيوانِ ممّا ذكَرْنا، وما يَفِدُ من السرايا الذين في صُحبةِ زُهْرَةَ بنِ حَوِيَّةَ، وكان فيما ردَّ زُهْرَةُ بغلٌ كان قد أدركه وغصَبه من الفُرْسِ، وكانت تحوطُه بالسيوفِ، فاستنقذَه منهم، وقال: إنَّ لهذا لشأنًا. فردَّه إلى الأقباضِ، وإذا عليه سَفَطان فيهما ثيابُ كِسْرَىٰ وحُلِيُّه، ولُبسُه الذي كان يلبَسُه على السَّريرِ كما ذكَرْنا، وبغلٌ آخرُ عليه تاجُه الذي ذكَرْنا في سَفَطَين أيضًا، رُدَّا من الطريقِ ممّا استلَبه أصحابُ السرايا.

وكان فيما ردَّت السرايا أموالٌ عظيمةٌ وفيها أكثرُ أثاثِ كِسْرَىٰ، وأمتعتُه والأشياءُ النفيسةُ التي استَصْحَبُوها معهم، فلحِقهم المسلمون فاستلَبوها منهم. ولم تقدِرِ الفُرْسُ على حملِ البِساطِ لثِقَلِه عليهم، ولا حملِ الأموالِ لكثرتِها؛ فإنَّه كان المسلمون يجيئُون بعضَ تلك الدورِ فيجدُون البيتَ مَلْآنًا إلى أعْلاه من أواني الذهبِ والفضةِ، ويجدُون من الكافورِ شيئًا كثيرًا، فيَحْسَبُونه مِلْحًا، وربَّما استعْمَله بعضُهم في العجينِ فوجَدوه مرًّا، حتىٰ تبيَّنُوا أمرَه.

فتحَصَّلَ الفيءُ على أمرٍ عظيمٍ من الأموالِ، وشرَع سعدٌ فخمَّسه، وأمَر سلمانَ بنَ ربيعةَ الباهليَّ فقسَم الأربعةَ الأخماسَ بينَ الغانمين، فحصَلَ لكلِّ واحدٍ من الفرسانِ اثنا عشرَ ألفًا، وكانوا كلُّهم فرسانًا، ومع بعضِهم جنائبُ. واستوْهَب سعدٌ أربعةَ أخماسِ البِساطِ ولُبْسَ كِسْرَىٰ من المسلمين؛ ليبعَثَه إلى عمرَ والمسلمين بالمدينةِ لينظُروا إليه، ويتعجَّبُوا منه، فطيَّبوا له ذلك وأذِنوا فيه، فبعَثه سعدٌ إلى عمرَ مع الخُمُسِ مع بَشيرِ بنِ الخَصَاصِيَةِ، وكان الذي بشَّر بالفتحِ قبلَه حُلَيْسُ بنُ فلانٍ الأسَديُّ، فرُوِّينا أنَّ عمرَ لمّا نظَر إلى ذلك قال: إنَّ قومًا أدَّوْا هذا لأُمَناءُ. فقال له عليُّ بنُ أبي طالبٍ: إنَّك عفَفتَ فعفَّت رعيَّتُك، ولو رتَعْتَ لرتَعَتْ. ثم قسَم عمرُ ذلك في المسلمين. فأصاب عليًّا قطعةٌ من البِساطِ فباعَها بعشرين ألفًا.

وقد ذكَر سيفُ بنُ عمرَ، أنَّ عمرَ بنَ الخطابِ ألْبَس ثيابَ كِسْرَىٰ لخشبةٍ، ونصَبها أمامَه، ليُرِيَ الناسَ ما في هذه الزينةِ من العَجَبِ، وما عليها من زَهْرَةِ الحياةِ الدنيا الفانيةِ.

وقد رُوِّينا أنَّ عمرَ ألْبَسَ ثيابَ كِسْرَىٰ لسُراقَةَ بنِ مالكِ بنِ جُعْشُمٍ، أميرِ بني مُدْلِجٍ، رضِي اللهُ عنه. قال الحافظُ أبو بكرٍ البَيْهَقِيُّ في «دلائلِ النُّبوَّةِ»: أخبَرَنا عبدُ اللهِ بنُ يُوسُفَ الأصْبَهانيُّ، ثنا أبو

سعيد بنُ الأعرابيِّ، قال: وجَدْتُ في كتابي بخَطِّ يدي عن أبي داودَ، حدَّثنا محمدُ بنُ عُبَيْدٍ، حدَّثنا حمّادٌ، ثنا يونُسُ، عن الحسنِ، أنَّ عمرَ بنَ الخطاب أُتِيَ بفَرْوَةِ كسرَىٰ فوُضِعَتْ بينَ يَدَيْه وفي القومِ سُراقةُ بنُ مالكِ بنِ جُعْشُمٍ، قال: فألقَىٰ إليه سوارَيْ كسرَىٰ بنِ هُرْمُزَ فجعلَهما في يَدَيْه، فبلَغا مَنْكِبَيْه، فلمّا رآهما في يَدَيْ سُراقَةَ قال: الحمدُ للهِ، سوارَيْ كسرَىٰ بنِ هُرْمُزَ في يَدَيْ سُراقَةَ بنِ مالكِ ابنِ جُعْشُمٍ، أعرابيٌّ من بني مُدْلِجٍ. وذكَر الحديثَ[1]. هكذا ساقه البَيْهقيُّ. ثم حكَىٰ عن الشافعيِّ أنَّه قال: وإنَّما ألبَسهما سراقةَ؛ لأنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال لسُراقةَ ونظَر إلىٰ ذراعَيْه: «كأنِّي بك وقد لبِسْتَ سوارَيْ كسرَىٰ»[2].

قال الشافعيُّ: وقد قال عمرُ لسُراقةَ حينَ ألبَسَه سوارَيْ كسرَىٰ: قل: اللهُ أكبرُ. فقال: اللهُ أكبرُ. ثم قال: قل: الحمدُ للهِ الذي سلَبهما كسرَىٰ بنَ هُرْمُزَ وألبسَهما سُراقةَ بنَ مالكٍ، أعرابيًّا من بني مُدْلِجٍ.

وقال الهَيْثَمُ بنُ عَدِيٍّ: أخبَرَنا أسامةُ بنُ زيدٍ الليثيُّ، ثنا القاسمُ بنُ محمدِ ابنِ أبي بكرٍ، قال: بعَث سعدُ ابنُ أبي وقاصٍ، أيامَ القادسيةِ، إلىٰ عمرَ بقَباءِ كسرَىٰ وسيفِه ومِنْطَقَتِه وسوارَيْه وسَراويلِه وقميصِه وتاجِه وخُفَّيْه، قال: فنظَر عمرُ في وجوهِ القومِ، فكان أجْسَمَهم وأبْدَنَهم قامةً سُراقةُ بنُ مالكِ بنِ جُعْشُمٍ، فقال: يا سُرَاقُ قُمْ فالبَسْ. قال سُراقةُ: فطمِعْتُ فيه فقُمْتُ فلبِسْتُ. فقال: أدْبِرْ. فأدْبَرْتُ، ثم قال: أقْبِلْ. فأقبَلْتُ، ثم قال: بَخٍ بَخٍ، أُعَيْرابِيٌّ من بني مُدْلِجٍ عليه قَباءُ كسرَىٰ وسَراويلُه وسيفُه ومنطَقَتُه وتاجُه وخُفّاه، رُبَّ يومٍ يا سُرَاقُ بنَ مالكٍ، لو كان عليك فيه هذا من متاعِ كسرَىٰ وآلِ كسرَىٰ، كان شرفًا لك ولقومِك، انزِعْ. فنَزَعْتُ، فقال: اللهمَّ إنَّك منَعْتَ هذا رسولَك ونبيَّك، وكان أحَبَّ إليك منِّي، وأكْرَمَ عليك منِّي، ومنَعْتَه أبا بكرٍ، وكان أحبَّ إليك منِّي، وأكْرَمَ عليك منِّي، وأعْطَيْتَنيه، فأعُوذُ بك أن تكونَ أعْطَيْتَنيه لتمكُرَ بي. ثم بكَىٰ حتىٰ رحِمه مَن كان عندَه. ثم قال لعبدِ الرحمنِ بنِ عوفٍ: أقْسَمْتُ عليك لَما بعتَه ثم قَسَمْتَه قبلَ أن تُمْسِيَ[3].

وذكَر سيفُ بنُ عمرَ التَّميميُّ أنَّ عمرَ حينَ ملَك تلك الملابسَ والجواهرَ، جيءَ بسيفِ كسرَىٰ ومعه عدَّةُ سُيُوفٍ؛ منها سيفُ النُّعْمانِ بنِ المنذرِ نائبِ كسرَىٰ علىٰ الحيرةِ، وأنَّ عمرَ قال: الحمدُ للهِ الذي جعَل سيفَ كسرَىٰ فيما يَضُرُّه ولا يَنْفَعُه. ثم قال: إنَّ قومًا أدَّوْا هذا لذوو أمانةٍ. ثم قال: إنَّ كسرَىٰ لم يَزِدْ علىٰ أن تشاغَلَ بما أُوتِيَ عن آخرتِه، فجمَع لزوجِ امرأتِه، أو زوجِ ابنتِه، ولم يُقَدِّمْ لنفسِه، ولو قدَّم لنفسِه ووضَع الفُضُولَ مواضعَها لحصَل له.

---

(١) **إسناده ضعيف**: من أجل الانقطاع بين الحسن البصري وعمر والأثر أخرجه الذهبي في «دلائل النبوة» (٦/ ٣٢٥).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) **إسناده ضعيف**: لضعف في أسامة بن زيد الليثي هذا إن كان القاسم سمع من سعد بن أبي وقاص. انظر «جامع التحصيل» ص٢٥٣ مع هامشه.

وقد قال بعضُ المسلمين، وهو أبو بُجَيد نافعُ بنُ الأسود، في ذلك:

وأمَلْنا على المدائنِ خَيلاً ... بحرُها مثلُ بَرِّهنَّ أريضا
فانتثَلْنا خزائنَ المرءِ كِسْرَى ... يومَ ولَّوا وحاصَ منّا جَريضا

وقعة جلولاء

لمّا سار كِسْرَىٰ وهو يَزْدَجِرْدُ بنُ شَهْرِيارَ من المدائنِ هاربًا إلىٰ حُلْوانَ، شرَع في أثناء الطريقِ في جمعِ رجالٍ وأعوانٍ وجنودٍ، من البُلدانِ التي هناك، فاجْتَمَع إليه خلقٌ كثيرٌ، وجمٌّ غفيرٌ من الفُرسِ، وأمّر على الجميعِ مِهْرانَ، وسار كِسْرَىٰ إلىٰ حُلْوانَ، وأقام الجمعُ الذي جمَعه بينَه وبين المسلمين في جَلُولاءَ، واحتَفَروا خندقًا عظيمًا حولَها، وأقاموا بها في العَدَدِ والعُدَدِ وآلاتِ الحصارِ، فكتَب سعدٌ إلىٰ عمرَ يُخبِرُه بذلك، فكتَب إليه عمرُ، أن يقيمَ هو بالمدائنِ، ويبعَثَ ابنَ أخيه هاشمَ بنَ عُتْبَةَ أميرًا على الجيشِ الذي يبعثُه إلىٰ كِسْرَىٰ، ويكونَ على المقدِّمةِ القَعْقاعُ بنُ عمرٍو، وعلى المَيمنةِ سِعْرُ بنُ مالكٍ، وعلى المَيْسرَةِ أخوه عمرُ بنُ مالكٍ، وعلى السّاقةِ عمرُو بنُ مُرَّةَ الجُهَنيُّ. ففعَل سعدٌ ذلك، وبعَث مع ابنِ أخيه جيشًا كثيفًا يقاربُ اثْنَيْ عشَرَ ألفًا، من ساداتِ المسلمين ووُجُوهِ المهاجرين والأنصارِ، ورُءوسِ العربِ. وذلك في صَفَرٍ من هذه السنةِ، بعدَ فراغِهم من أمرِ المدائنِ، فساروا حتى انتهَوْا إلىٰ المجوسِ وهم بجَلُولاءَ قد خَنْدَقُوا عليهم، فحاصَرَهم هاشمُ بنُ عُتْبَةَ، وكانوا يَخرُجون من بلدِهم للقتالِ في كلِّ وَقْتٍ، فيُقاتِلون قتالاً لم يُسْمَعْ بمثلِه. وجعَل كِسْرَىٰ يَبْعَثُ إليهم الأمدادَ، وكذلك سعدٌ يَبْعَثُ المددَ إلىٰ ابنِ أخيه، مَرّةً بعدَ أُخرىٰ. وحمِي القتالُ، واشتَدَّ النِّزالُ، واضْطَرَمَتْ نارُ الحربِ، وقام في الناسِ هاشمٌ فخطَبهم غيرَ مَرَّةٍ، فحرّضَهم على القتالِ، والتوكُّلِ على اللهِ. وقد تعاقَدَتِ الفُرْسُ وتعاهَدَت، وحلَفوا بالنارِ أن لا يَفِرُّوا أبدًا حتى يُفْنُوا العربَ. فلمّا كان الموقفُ الأخيرُ، وهو يومُ الفَيْصَلِ والفُرْقانِ، تواقَفُوا من أولِ النهارِ، فاقْتَتَلوا قتالاً شديدًا لم يُعْهَدْ مثلُه حتى فَنِيَ النُّشّابُ من الطَّرَفَين، وتَقَصَّفَتِ الرِّماحُ من هؤلاءِ وهؤلاءِ، وصاروا إلىٰ السُّيوفِ والطَّبَرْزِيناتِ، وحانت صلاةُ الظهرِ فصلَّى المسلمون إيماءً، وذهَبت فرقةُ المجوسِ وجاءَتْ مكانَها أُخْرَىٰ، فقام القَعْقاعُ بنُ عمرٍو في المسلمين فقال: أهالَكم ما رأيتم أيُّها المسلمون؟ قالوا: نعم، إنّا كالُّون وهم مُريحُون. فقال: بل إنّا حاملون عليهم، ومُجِدُّون في طَلَبِهم حتى يحكُمَ اللهُ بينَنا، فاحملوا عليهم حَمْلَةَ رجلٍ واحدٍ حتى نُخالِطَهم. فحمَل وحمَل الناسُ، فأمّا القَعْقاعُ فإنّه صَمَّم الحَمْلَةَ في جماعةٍ من الفُرْسانِ والأبطالِ والشُّجْعانِ، حتى انْتَهىٰ إلىٰ بابِ الخَنْدَقِ، وأقبلَ الليلُ بظَلامِه، وجالت بقيّةُ الأبطالِ بمَن معهم في الناسِ، وجعَلوا يأْخُذون في التحاجُزِ من أجلِ إقبالِ الليلِ، وفي الأبطالِ يومَئذٍ طُلَيحةُ الأسَديُّ، وعمرُو بنُ مَعدِ يكَرِبَ، وقَيسُ بنُ مَكْشُوحٍ، وحُجْرُ بنُ عَدِيٍّ، ولم يَعْلَموا بما صنَعه القَعْقاعُ في ظُلْمةِ الليلِ، ولم يَشْعُروا بذلك، لولا مُناديه يُنادي: أين أيُّها

المسلمون؟! هذا أميرُكم على بابِ خَنْدَقِهم. فلمّا سمع ذلك المجوسُ فرُّوا، وحمَل المسلمون نحوَ القَعْقاعِ بنِ عمرٍو، فإذا هو على بابِ الخندقِ قد ملكه عليهم، وهربَتِ الفُرْسُ كلَّ مَهْرَبٍ، وأخَذهم المسلمون من كلِّ وجهٍ، وقعَدوا لهم كلَّ مَرْصَدٍ، فقُتِلَ منهم في ذلك الموقفِ مائةُ ألفٍ، حتى جَلَّلوا وجهَ الأرضِ بالقَتْلى، فلذلك سُمِّيَتْ جَلُولاءَ. وغنِموا من الأموالِ والسلاحِ والذهبِ والفضةِ قريبًا مما غنِموا من المدائنِ قبلَها.

وبعَث هاشمُ بنُ عُتْبَةَ القَعْقاعَ بنَ عمرٍو في إثْرِ مَن انهزَم منهم وراءَ كِسْرى، فساق خلفَهم حتى أدْرَك مِهْرانَ مُنهزِمًا، فقتَله القَعْقاعُ بنُ عمرٍو، وأفلَتَهم الفَيْرُزانُ فاستَمرَّ مُنهزِمًا، وأسَر سبايا كثيرةً بعَث بها إلى هاشمِ بنِ عُتْبَةَ، وغنِموا دوابَّ كثيرةً جدًّا. ثم بعَث هاشمٌ بالغنائمِ والأموالِ إلى عمِّه سعدِ ابنِ أبي وقّاصٍ، فنفَّل سعدٌ ذوي النَّجْدَةِ، ثم أمَر بقَسْمِ ذلك على الغانمين.

قال الشَّعْبيُّ: كان المالُ المتحصِّلُ من وَقْعةِ جَلُولاءَ ثلاثين ألفَ ألفٍ، وكان خُمُسُه ستةَ آلافِ ألفٍ. وقال غيرُه: كان الذي أصاب كلُّ فارسٍ يومَ جَلُولاءَ نظيرَ ما حَصَل له يومَ المدائنِ. يعْني اثْنَيْ عَشَرَ ألفًا لكلِّ فارسٍ. وقيل: أصاب كلُّ فارسٍ تسعةَ آلافٍ وتسعَ دَوابَّ.

وكان الذي وَلِيَ قَسْمَ ذلك بينَ المسلمين وتَحْصيله سلمانُ بنُ ربيعةَ رَضِيَ اللهُ عنه. ثم بعَث سعدٌ بالأخماسِ من المالِ والرقيقِ والدوابِّ مع زيادِ بنِ أبي سُفْيانَ، وقُضاعيِّ بنِ عمرٍو، وأبي مُفَزِّرٍ الأسودِ. فلمّا قدِموا على عمرَ سأل عمرُ زيادَ بنَ أبي سفيانَ عن كيفيَّةِ الوقعةِ، فذكَرها له، وكان زيادٌ فصيحًا، فأعجَبَ إيرادُه لها عمرَ بنَ الخطابِ، رضِي اللهُ عنه، وأحبَّ أن يسمَعَ المسلمون منه ذلك، فقال له: أتستطيعُ أن تخطُبَ الناسَ بما أخبرْتَني به؟ قال: نعم يا أميرَ المؤمنين، إنَّه ليس أحدٌ على وجهِ الأرضِ أهيبَ عندي منك، فكيف لا أقْوى على هذا مع غيرِك؟ فقام في الناسِ فقصَّ عليهم خبرَ الوقعةِ، وكم قتَلوا، وكم غنِموا، بعبارةٍ عظيمةٍ بليغةٍ، فقال عمرُ: إنَّ هذا لهو الخطيبُ المِصْقَعُ. يَعْني الفَصيحَ. فقال زيادٌ: إنَّ جندَنا أطلَقوا بالفَعالِ لسانَنا. ثم حلَف عمرُ بنُ الخطابِ أن لا يُجِنَّ هذا المالَ الذي جاءوا به سقفٌ حتى يَقْسِمَه، فباتَ عبدُ اللهِ بنُ أرْقَمَ وعبدُ الرحمنِ بنُ عوفٍ يَحْرُسانِه في المسجدِ، فلمّا أصبَح جاء عمرُ في الناسِ، بعدَ ما صلَّى الغداةَ وطلَعَت الشمسُ، فأمَرَ فكشَف عنه جلابيبَه، فلَمّا نظَر إلى ياقُوتِه وزَبَرْجَدِه وذهبِه الأصفرِ وفضَّتِه البيضاءِ، بكى عمرُ، فقال له عبدُ الرحمنِ: ما يُبْكيك يا أميرَ المؤمنين؟ فواللهِ إنَّ هذا لموطنُ شُكْرٍ. فقال عمرُ: واللهِ ما ذاك يُبْكيني، وتاللهِ ما أعطَى اللهُ هذا قومًا إلا تحاسَدوا وتباغَضُوا، ولا تحاسَدُوا إلا أُلْقِيَ بأْسُهم بينَهم. ثم قسَمه كما قسَم أموالَ القادسيَّةِ.

وروى سيفُ بنُ عمرَ عن شُيُوخِه أنَّهم قالوا: وكان فتحُ جَلُولاءَ في ذي القَعْدَةِ من سنةِ ستَّ عشْرَةَ، وكان بينَه وبينَ فتحِ المدائنِ تسعةُ أشهرٍ. وقد تكلَّم ابنُ جريرٍ هٰهُنا فيما رَواه عن سيفٍ، على ما يتعلَّقُ بأرضِ السَّوادِ وخَراجِها، وموضعُ تحريرِ ذلك كتابُ «الأحكام».

وقد قال هاشمُ بنُ عُتْبَةَ في يوم جَلُولاءَ:

يومُ جَلُولاءَ ويومُ رُسْتَمْ
ويومُ زَحفِ الكوفةِ المُقدَّمْ
ويومُ عَرْضِ النَّهَرِ المحرَّمْ
وأيامٌ خلتْ من شَهْرٍ صُرَّمْ
شَيَّبْنَ أصْدُغي فهُنَّ هُرَّمْ
مثلُ ثَغامِ البَلَدِ المحرَّمْ

وقال أبو بُجَيْدٍ في ذلك:

ويومُ جَلُولاءَ الوقيعةِ أصبَحتْ ... كتائبُنا تَرْدي بأُسْدٍ عَوابِسِ
فضَضْتُ جموعَ الفُرْسِ ثم أنَمْتُهمْ ... فتبًّا لأجسادِ المجوسِ النّجائسِ
وأفلَتَهُنَّ الفَيْرُزانُ بجَرْعَةٍ ... ومِهْرانُ أرْدَتْ يومَ حَزِّ القوانسِ
أقاموا بدارٍ للمنيَّةِ موعدٌ ... وللتُّرْبِ تَحْثُوها خَجُوجُ الروامسِ

ذِكرُ فتحِ حُلوانَ

ولَمّا انقَضَت الوقعةُ، أقام هاشمُ بنُ عُتْبَةَ بجَلُولاءَ عن أمرِ عمرَ بنِ الخطاب ـ في كتابِه إلى سعدٍ ـ وتقدَّم القَعْقاعُ بنُ عمرٍو إلى حُلْوانَ، عن أمرِ عمرَ أيضًا؛ ليكونَ رِدْءًا للمسلمين هنالك، ومُرابطًا لكِسْرَىٰ حيث هرَب. فسار كما قدَّمنا وأدرَك أميرَ الوقعة، وهو مِهْرانُ الرّازيُّ، فقتَله وهرَب منه الفَيْرُزانُ، فلمّا وصَل إلى كِسْرَىٰ وأخبَره بما كان من أمرِ جَلُولاء، وما جرَىٰ على الفُرْسِ بعدَه، وكيف قُتِل منهم مائةُ ألفٍ، وأُدرِك مِهْرانُ فقُتِل، هرَب عندَ ذلك كِسْرَىٰ من حُلْوانَ إلى الرَّيِّ، واستَناب على حُلْوانَ أميرًا يقالُ له: خُسْرَوْ شُنُومُ. فتَقدَّم إليه القَعْقاعُ بنُ عمرٍو، وبرَز إليه خُسْرَوْ شُنُومُ إلى مكانٍ خارجٍ من حُلْوانَ، فاقْتَتلوا هنالك قتالاً شديدًا، ثم فَتَح اللهُ ونصَر المسلمين وانهَزَمَ خُسْرَوْ شُنُومُ، وساق القَعْقاعُ إلى حُلْوانَ فتسلَّمها، ودَخلها المسلمون فغنِموا وسبَوْا، وأقاموا بها، وضرَبوا الجزيةَ على مَن حولَها من الكُوَرِ والأقاليمِ، بعدَما دُعُوا إلى الدخُولِ في الإسلام، فأبَوْا إلاّ الجزيةَ. فلم يَزَلِ القَعْقاعُ بها حتى تَحَوَّلَ سعدٌ من المدائنِ إلى الكوفةِ، فسار إليه، كما سنذْكُرُه، إن شاء اللهُ تعالى.

فتحُ تكريتَ والمَوْصِلِ

لَمّا افتَتح سعدٌ المدائنَ بلَغه أنّ أهلَ المَوْصِلِ قد اجتَمَعوا بتَكْرِيتَ على رجلٍ من الكَفَرة، يقالُ له: الأنطاقُ. فكتَب إلى عمرَ بأمرِ جَلُولاء واجتماعِ الفُرْسِ بها، وبأمرِ أهلِ المَوصِلِ، فتقدَّم ما ذكَرْناه من كتابِ عمرَ في أهلِ جَلُولاءَ، وما كان من أمْرِها. وكتَب عمرُ في قضيةِ أهلِ المَوْصِلِ الذين قد اجتَمَعوا

بتكريتَ على الأنطاق، أن يُعَيِّنَ جيشًا لحربهم، ويُؤمِّرَ عليه عبدَ الله بنَ المُعْتَمِّ، وأن يَجْعَلَ على مُقَدِّمَته رِبْعِيَّ بنَ الأفكلِ العَنَزِيَّ، وعلى المَيمَنة الحارثَ بنَ حَسّانَ الذُّهليَّ، وعلى المَيْسَرَة فُرَاتَ بنَ حَيَّانَ العِجْليَّ، وعلى الساقة هانئَ بنَ قَيْسٍ، وعلى الخيلِ عَرْفَجَةَ بنَ هَرْثَمَةَ. ففصَلَ عبدُ الله بنُ المُعْتَمِّ في خمسةِ آلافٍ من المدائنِ، فسار في أربعٍ حتى نزَلَ بتَكْرِيتَ على الأنطاقِ، وقد اجتمعَ إليه جماعةٌ من الروم، ومن الشهارجة، ومن نصارى العرب، من إيادَ وتَغْلِبَ والنَّمرِ، وقد خندقوا بتكريت، فحاصرَهم عبدُ الله بنُ المُعْتَمِّ أربعين يومًا، وزاحفُوه في هذه المدَّةِ أربعةً وعشرين مرَّةً، ما من مرَّةٍ إلاَّ وينتصرُ عليهم، ويَقِلُّ جُموعُهم، فضَعُفَ جأشُهم، وعزَمَتِ الرومُ على الذَّهابِ في السُّفُنِ بأموالِهم، وراسَلَ عبدُ الله بنُ المُعْتَمِّ مَن هنالك من الأعرابِ، فدَعاهم إلى الدُّخولِ معه في النُّصْرةِ على أهلِ البلدِ، فجاءت القُصّادُ إليه عنهم بالإجابةِ إلى ذلك، فأرسلَ إليهم: إن كنتم صادقين فيما قلتم، فاشهَدوا أن لا إلهَ إلاَّ اللهُ، وأنَّ محمدًا رسولُ اللهِ، وأقِرُّوا بما جاء من عند اللهِ. فرجَعَت القُصّادُ إليه بأنَّهم قد أسْلَموا، فبعَثَ إليهم: إن كنتم صادقين، فإذا كبَّرْنا وحمَلْنا على البلدِ الليلة، فأمْسِكوا علينا أبوابَ السفُنِ، وامْنَعوهم أن يَرْكَبوا فيها، واقْتُلوا منهم مَن قَدَرْتُم على قتلِه. ثم شدَّ عبدُ اللهِ وأصحابُه، وكبَّروا تكبيرةَ رجلٍ واحدٍ، وحمَلوا على البلدِ، فكبَّرَت الأعرابُ من الناحيةِ الأُخرى، فحار أهلُ البلدِ، وأخذوا في الخُروجِ من الأبوابِ التي تلي دِجْلَةَ، فتَلَقَّتْهم إيادُ والنَّمرُ وتَغْلِبُ، فقتَلوهم قتلاً ذَريعًا، وجاء عبدُ الله بنُ المُعْتَمِّ بأصحابِه من الأبوابِ الأُخَرِ، فقُتِل جميعُ أهلِ البلدِ عن بَكْرةِ أبيهم، ولم يَسْلَمْ إلاَّ مَن أسْلم من الأعرابِ من إيادَ وتَغْلِبَ والنَّمرِ، وقد كان عمرُ عهِد في كتابِه أنْ إذا نُصِروا على أهلِ تكْريتَ أن يبْعَثوا رِبْعِيَّ بنَ الأفكلِ إلى الحِصْنَيْن، وهي المَوْصِلُ، سريعًا، فسار إليها -كما أمَر عمرُ- ومعه سريَّةٌ كثيرةٌ، وجماعةٌ من الأبطالِ، فسار إليها حتى فجأها قبلَ وُصولِ الأخبارِ إليها، فما كان إلاَّ أن واقَفَها حتى أجابوا إلى المُصالَحة، فضُرِبت عليهم الذِّمَّةُ عن يدٍ وهم صاغِرُون.

ثم اقْتُسِمَت الأموالُ التي تَحَصَّلت من تكْرِيتَ، فبلَغ سهمُ الفارسِ ثلاثةَ آلافٍ، وسهمُ الراجلِ ألفَ درهمٍ. وبعَثوا بالأخماسِ مع فُراتِ بنِ حَيَّانَ، وبالفَتْحِ مع الحارثِ بنِ حَسّانَ، ووَلِي إمْرةَ حَرْبِ المَوْصِلِ رِبْعِيُّ بنُ الأفكلِ، ووَلِي الخراجَ بها عَرْفَجَةُ بنُ هَرْثَمَةَ.

فتح ماسَبَذان من أرض العراق

لمّا رجَع هاشم بنُ عُتْبَةَ من جَلُولاءَ إلى المدائنِ، بلَغ سعدًا أنَّ آذينَ بنَ الهُرْمُزانِ قد حمَل طائفةً من الفُرْسِ، فكتَب إلى عمرَ في ذلك، فكتَب إليه أن ابعَثْ جيشًا، وأمِّرْ عليهم ضِرارَ بنَ الخطابِ، فخرَج ضِرارٌ في جيشٍ إلى المدائنِ، وعلى مُقدِّمته ابنُ الهُذَيلِ الأسديُّ، فتقدَّم ابنُ الهُذَيلِ بينَ يدَي الجيشِ، فالتقَى مع آذينَ وأصحابِه قبلَ وُصولِ ضِرارٍ إليه، فكسَر ابنُ الهُذَيلِ طائفةَ الفُرْسِ، وأسَرَ

آذينَ بنَ الهُرْمُزانِ، وفَرَّ عنه أصحابُه، وأَمَرَ بنُ الهُذَيلِ فَضُرِب عُنُقُ آذينَ بينَ يدَيْه، وساق وراءَ المُنهزِمين حتى انْتَهىٰ إلىٰ ماسَبَذانَ - وهي مدينةٌ كبيرةٌ - فأخَذَها عَنْوةً، وهرَب أهلُها في رُءوسِ الشِّعابِ والجبالِ، فدَعاهم فاستَجابوا له، وضرَب علىٰ مَن لم يُسْلِمِ الجزيةَ، وأقام نائبًا عليها حتى تحوَّلَ سعدٌ مِن المدائنِ إلى الكوفةِ، كما سيأتي.

فتحُ قَرْقِيسِياءَ وهِيتَ في هذه السنةِ

قال ابنُ جريرٍ وغيرُه: لما رجَع هاشمٌ مِن جَلُولاءَ إلى المدائنِ، وكان أهلُ الجزيرةِ قد أمَدُّوا أهلَ حِمْصَ علىٰ قتالِ أبي عبيدةَ وخالدٍ - لما كان هِرَقْلُ بقِنَّسْرينَ - واجتَمَع أهلُ الجزيرةِ في مدينةِ هِيتَ، كتَب سعدٌ إلىٰ عمرَ في ذلك، فكتَب إليه أن يبعَثَ إليهم جيشًا، وأن يُؤَمِّرَ عليهم عمرَ بنَ مالكِ بنِ عُتْبَةَ بنِ نوفلِ بنِ عبدِ مَنافٍ، فسار في مَن معه مِن المسلمين إلىٰ هِيتَ، فوجَدهم قد خَنْدَقوا عليهم، فحاصَرَهم حينًا فلم يَظْفَرْ بهم، فسار في طائفةٍ مِن أصحابِه، واستَخْلَف علىٰ مُحاصَرَةِ هِيتَ الحارثَ ابنَ يزيدَ، فراغ عمرُ بنُ مالكٍ إلىٰ قَرْقِيسِياءَ، فأخَذها عَنْوةً، وأنابوا إلى بذلِ الجزيةِ، وكتَب إلىٰ نائبِه علىٰ هِيتَ: إن لم يُصالِحوا، أن يَحْفِرَ مِن وراءِ خَنْدَقِهم خَنْدَقًا، ويَجْعَلَ له أبوابًا مِن ناحيتِه. فلما بلَغهم ذلك أنابوا إلى المُصالحةِ.

قال شيخُنا أبو عبد الله الحافظُ الذهبيُّ: وفي هذه السنةِ بعَث أبو عبيدةَ عمرَو بنَ العاصِ بعدَ فراغِه مِن اليَرْمُوكِ إلىٰ قِنَّسْرينَ، فصالَح أهلَ حَلَبَ، ومَنْبِجَ، وأنطاكيَةَ، علىٰ الجزيةِ، وفتَح سائرَ بلادِ قِنَّسْرينَ عَنْوَةً. قال: وفيها افتُتِحَت سَرُوجُ والرُّها علىٰ يَدَيْ عياضِ بنِ غَنْمٍ. قال: وفيها فيما ذكَر ابنُ الكَلْبيِّ سار أبو عبيدةَ وعلىٰ مُقَدِّمَتِه خالدُ بنُ الوليدِ، فحاصَرَ إيلياءَ، فسألوا الصلحَ علىٰ أن يَقْدَمَ عمرُ فيصالِحَهم علىٰ ذلك، فكتَب أبو عبيدةَ إلىٰ عمرَ، فقدِم حتى صالَحَهم، وأقام أيامًا ثم رجَع إلى المدينةِ. قلتُ: قد تقدَّم هذا فيما قبلَ هذه السنةِ، واللهُ أعلمُ.

قال الواقديُّ: وفي هذه السنةِ حمَىٰ عمرُ الرَّبَذَةَ لخيلِ المسلمين، وفيها غرَّب عمرُ أبا مِحْجَنٍ الثَّقَفيَّ إلىٰ باضِعٍ، وفيها تزوَّج عبدُ اللهِ بنُ عمرَ صفيةَ بنتَ أبي عُبَيْدٍ. قلتُ: الذي قُتِل يومَ الجِسْرِ، وكان أميرَ السريةِ، وهي أختُ المُختارِ بنِ أبي عُبَيْدٍ، أميرِ العراقِ فيما بعدُ، وكانت امرأةً صالحةً، وكان أخوها فاجرًا، وكافرًا أيضًا.

قال الواقديُّ: وفيها حَجَّ عمرُ بالناسِ، واستَخْلَف علىٰ المدينةِ زيدَ بنَ ثابتٍ. قال: وكان نائبَه علىٰ مكَّةَ عَتَّابٌ، وعلىٰ الشامِ أبو عبيدةَ، وعلىٰ العراقِ سعدٌ، وعلىٰ الطائفِ عثمانُ بنُ أبي العاصِ، وعلىٰ اليمنِ يَعْلَىٰ بنُ أُمَيَّةَ، وعلىٰ اليمامةِ والبَحْرَينِ العلاءُ بنُ الحَضْرَميِّ، وعلىٰ عُمَانَ حُذَيْفَةُ بنُ مِحْصَنٍ، وعلىٰ البصرةِ المغيرةُ بنُ شُعْبَةَ، وعلىٰ المَوْصِلِ رِبْعيُّ بنُ الأفْكَلِ، وعلىٰ الجزيرةِ عياضُ بنُ غَنْمٍ الأشعريُّ.

قال الواقدي: وفي ربيع الأول من هذه السنة - أعني سنةَ ستَّ عشْرةَ - كتَب عمرُ بنُ الخطاب التأريخَ، وهو أولُ مَن كتَبه. قلتُ: قد ذكَرْنا سببَه في «سيرةِ عمرَ»، وذلك أنَّه رُفِع إلى عمرَ صكٌّ مكتوبٌ لرجلٍ على آخرَ بدينٍ يحِلُّ عليه في شعبانَ، فقال: أيُّ شعبانَ؟ أمِن هذه السنة أم التي قبلَها، أم التي بعدَها؟ ثم جمَع الناسَ فقال: ضَعُوا للناس شيئًا يَعْرِفون به حُلُولَ دُيونِهم. فيقالُ: إنَّهم أراد بعضُهم أن يُؤرِّخوا كما تُؤرِّخُ الفرسُ بمُلوكِهم، كلما هلَك ملكٌ أرَّخوا من تاريخِ ولايةِ الذي بعدَه، فكرِهوا ذلك. ومنهم مَن قال: أرِّخوا بتاريخِ الرومِ من زمانِ إسْكَنْدَرَ. فكرِهوا ذلك، ولطوله أيضًا. وقال قائلون: أرِّخوا من مولدِ رسولِ الله ﷺ. وقال آخَرُون: من مَبْعَثِه ﷺ. وأشار عليُّ بنُ أبي طالبٍ وآخَرُون أن يُؤرَّخَ من هجرتِه من مكةَ إلى المدينة؛ لظُهورِه لكلِّ أحدٍ، فإنَّه أظهَرُ من المولدِ والمَبعَثِ. فاستَحْسَن ذلك عمرُ والصحابةُ، فأمَرَ عمرُ أن يُؤرَّخَ من هجرةِ رسولِ الله ﷺ. وأرَّخُوا من أولِ تلك السنةِ من مُحرَّمِها. وعندَ مالكٍ، رحِمه اللهُ، فيما حَكاه عنه السُّهَيْليُّ وغيرُه أنَّ أولَ السنةِ من ربيعٍ الأولِ؛ لقدومِه ﷺ إلى المدينةِ فيه والجمهورُ على أنَّ أولَ السنةِ من المحرَّمِ؛ لأنَّه أضْبَطُ؛ لئلا تختلفَ الشهورُ، فإنَّ المحرمَ أولُ السنةِ الهلاليَّةِ العربيَّةِ.

وفي هذه السنة - أعني سنةَ ستَّ عشْرةَ - تُوُفِّيتْ ماريةُ أمُّ إبراهيمَ ابنِ رسولِ الله ﷺ، وذلك في المحرَّمِ منها، فيما ذكَره الواقديُّ وابنُ جريرٍ وغيرُ واحدٍ، وصلَّى عليها عمرُ بنُ الخطابِ، وكان يَجْمَعُ الناسَ لشُهودِ جنازتِها، ودُفِنَتْ بالبقيعِ، رضِي اللهُ عنها وأرْضاها. وهي ماريةُ القِبْطِيَّةُ، أهْداها صاحبُ إسْكَنْدَرِيَّةَ - وهو جُرَيْجُ بنُ مينا - في جملةِ تُحَفٍ وهدايا لرسولِ الله ﷺ، فقَبِل ذلك منه، وكان معها أختُها سيرينُ التي وهَبها رسولُ الله ﷺ لحسَّانَ بنِ ثابتٍ، فولَدت له ابنَه عبدَ الرحمنِ بنَ حسانَ. ويقالُ: أهْدَى المُقَوْقِسُ معهما جاريتَين أُخْرَيَين. فيَحْتَمِلُ أنَّهما كانتا خادمتَين لماريةَ وسيرينَ. وأهْدَى معهُنَّ غلامًا خَصِيًّا اسمُه مأبورٌ، وأهْدَى مع ذلك بغلةً شَهْباءَ اسمُها الدُّلْدُلُ، وأهْدَى حُلَّةَ حريرٍ من عملِ الإسْكَنْدَرِيَّةِ. وكان قُدومُ هذه الهديةِ في سنةِ ثمانٍ. فحمَلَت ماريةُ من رسولِ الله ﷺ بإبراهيمَ، عليه السلامُ، فعاش عِشْرين شهرًا، ومات قبلَ أبيه رسولِ الله ﷺ بسنةٍ سواءٍ، وقد حزِن عليه رسولُ الله ﷺ، وبكَى عليه، وقال: «تَدْمَعُ العينُ، ويَحْزَنُ القلبُ، ولا نقولُ إلَّا ما يُرْضِي ربَّنا، وإنَّا بكَ يا إبراهيمُ لَمَحْزُونُونَ». وقد تَقَدَّم ذلك في سنةِ عشْرٍ. وكانت ماريةُ هذه من الصالحاتِ الخَيِّراتِ الحسانِ، وقد حَظِيَت عندَ رسولِ الله ﷺ، وأُعْجِب بها، وكانت جميلةً مُلَاحَةً، أي: حُلْوةً، وهي تُشابِهُ هاجَرَ سُرِّيَّةَ الخليلِ، فإنَّ كلًّا منهما من دِيارِ مصرَ وتَسَرَّاها نبيٌّ كريمٌ، وخليلٌ جليلٌ، عليهما السلامُ.

ثم دخلت سنة سبع عشرة

في المحرَّمِ منها انتقَل سعدُ بنُ أبي وقاصٍ من المدائنِ إلى الكوفةِ؛ وذلك أنَّ الصحابةَ استوْخَمُوا المدائنَ، وتغيَّرت ألوانُهم، وضعُفَت أبدانُهم؛ لكثرةِ ذُبابِها وغُبارِها، فكتَب سعدٌ إلى عمرَ في ذلك،

فكتب عمرُ: إنَّ العربَ لا تصلُحُ إلاَّ حيث يُوافِقُ إبلَها. فبعَث سعدٌ حذيفةَ وسلْمانَ يَرْتادان للمسلمين مَنْزِلاً مناسبًا يصلُحُ لإقامَتِهم، فمرَّا على أرضِ الكوفةِ وهي حَصباءُ في رملةٍ حمراءَ، فأعجَبتهما، ووجَدا هنالك ثلاث دَيْراتٍ؛ دَيْرُ حُرَقَةَ بنتِ النُّعمانِ، ودَيْرُ أُمِّ عمرو، ودَيْرُ سِلْسِلةَ. وبينَ ذلك خِصاصٌ خلالَ هذه الكوفة. فنَزَلا فصلَّيا هنالك، وقال كلُّ واحدٍ منهما: اللهمَّ ربَّ السماءِ وما أظلَّتْ، وربَّ الأرضِ وما أقلَّتْ، والريحِ وما ذرَتْ، والنُّجومِ وما هَوَتْ، والبحارِ وما جرَتْ، والشياطينِ وما أضلَّتْ، والخِصاصِ وما أجَنَّتْ، بَارِكْ لنا في هذه الكوفةِ، واجعَلْها مَنْزِلَ ثباتٍ. ثم كتَبا إلى سعدٍ بالخبرِ، فأمَرَ سعدٌ باختطاطِ الكوفةِ، وسار إليها في أوَّلِ هذه السنة في مُحَرَّمِها، فكان أوَّلَ بناءٍ وُضِعَ فيها المسجدُ. وأمَرَ سعدٌ رجلاً راميًا شديدَ الرَّمي، فرَمَىٰ من المسجدِ إلى الأربعِ جهاتٍ، فحيث سقَط سهمُه بنَى الناسُ مَنازلَهم، وعمَّر قصرًا تلقاءَ محرابِ المسجدِ للإمارةِ وبيتِ المالِ، فكان أولَ ما بنَوا المنازلُ بالقصَبِ، فاحترقَتْ في أثناءِ السنةِ، فبَنَوْها باللَّبِنِ عن أمرِ عمرَ، بشرطِ أن لا يُسرِفُوا ولا يُجاوِزوا الحدَّ. وبعَثَ سعدٌ إلى الأمراءِ والقبائلِ فقَدِموا عليه، فأنزلَهم الكوفةَ، وأمَرَ سعدٌ أبا هَيَّاجٍ الموكَّلَ بإنزالِ الناسِ فيها بأن يُعمِّروا ويَدَعُوا للطريقِ المُنْهَجِ وُسْعَ أربعين ذراعًا، ولما دونَ ذلك ثلاثين وعشرين ذراعًا، وللأزقَّةِ سبعةَ أذرُعٍ. وبُنِي لسعدٍ قصرٌ قريبٌ من السوقِ، فكانت غَوغاءُ الناسِ تَمنَعُ سعدًا من الحديثِ، فكان يُغلِقُ بابَه، ويقولُ: سَكِّنِ الصُّوَيْتَ. فلمّا بلَغتْ هذه الكلمةُ عمرَ بنَ الخطابِ بعَث محمدَ بنَ مَسلمةَ، فأمَره إذا انتهى إلى الكوفةِ أن يَقدَحَ زِنادَه ويَجمَعَ حطبًا ويَحرِقَ بابَ القصرِ، ثم يرجِعَ من فورِه. فلمَّا انتهَى إلى الكوفةِ فعل ما أمَره به عمرُ، وأمَرَ سعدًا أن لا يُغلِقَ بابَه عن الناسِ، ولا يجعَلَ على بابِه أحدًا يَمنَعُ الناسَ عنه، فامتَثَلَ ذلك سعدٌ، وعرَض على محمدِ بنِ مَسلمةَ شيئًا من المالِ فامتَنَع من قَبولِه، ورجَع إلى المدينةِ. واستمرَّ سعدٌ بعدَ ذلك في الكوفةِ ثلاثَ سنينَ ونصفًا، حتى عزَله عنها عمرُ، من غيرِ عجزٍ ولا خيانَةٍ.

قصة أبي عبيدة وحصر الرُّوم له بحمص وقدوم عمر إلى الشام أيضًا لينصره

وذلك أنَّ جمعًا من الرُّومِ عزَموا على حِصارِ أبي عبيدةَ بحِمْصَ، واستَجاشُوا بأهلِ الجزيرةِ وخَلْقٍ ممَّن هنالك، وقصَدوا أبا عبيدةَ، فبعَث أبو عبيدةَ إلى خالدٍ، فقَدِم عليه من قِنَّسْرِينَ، وكتَب إلى عمرَ بذلك، واسْتشارَ أبو عبيدةَ المسلمين في أن يُناجِزَ الرُّومَ، أو يتَحصَّنَ بالبلدِ حتى يجيءَ أمرُ عمرَ، فكلُّهم أشار بالتَّحصُّنِ إلا خالدًا فإنَّه أشار بمُناجَزتِهم، فعَصاه وأطاعهم. وتَحصَّنَ بحِمْصَ وأحاطَ به الرُّومُ، وكلُّ بلَدٍ من بُلدانِ الشَّامِ مَشغولٌ أهلُه عنه بأمرِهم، ولو تركوا ما هم فيه وأقبَلُوا إلى حِمْصَ لانْخَرَمَ النِّظامُ في الشامِ كلِّه. وكتَب عمرُ إلى سعدٍ أن يَندُبَ الناسَ مع القَعْقاعِ بنِ عمرٍو، ويُسيِّرَهم

إلىٰ حمْصَ من يوم يقدَمُ عليه الكتابُ نَجْدَةً لأبي عبيدةَ فإنَّه مَحصُورٌ. وكتَب إليه أن يُجهِّزَ جيشًا إلىٰ أهلِ الجزيرةِ الذينَ مالَئُوا الرُّومَ علىٰ حصارِ أبي عبيدةَ، ويكونَ أميرُ الجيشِ إلىٰ الجزيرةِ عِياضَ بنَ غَنْمٍ. فخرَج الجيشان معًا من الكوفة؛ القَعْقاعُ في أربعة آلافٍ نحو حمْصَ لنَجْدةِ أبي عبيدةَ، وخرَج عمرُ بنفسه من المدينة لِيَنصُرَ أبا عبيدَةَ، فبلَغ الجابيَةَ. وقيل: إنَّما بلَغ سَرْغَ. قاله ابنُ إسحاق. وهو أشبهُ. واللهُ أعلمُ. فلمَّا بلَغ أهلَ الجزيرةِ الذين مع الرُّومِ علىٰ حمْصَ أنَّ الجيشَ قد طرَق بلادَهم، انْشَمَرُوا إلىٰ بلادِهم، وفارَقُوا الرُّومَ، وسمِعَت الرُّومُ بقُدُومِ أميرِ المؤمنين عمرَ لنُصْرةِ نائبه عليهم، فضُعف جانبُهم جدًّا. وأشارَ خالدٌ علىٰ أبي عبيدةَ بأن يَبرُزَ إليهم ليُقاتِلَهم، ففعَل ذلك أبو عبيدةَ، ففتَح اللهُ عليه ونصرَه، وهُزِمَت الرُّومُ هزيمةً فظيعةً، وذلك قبلَ وُرودِ عمرَ عليهم، وقبلَ وُصولِ الأمدادِ إليهم بثلاثِ ليالٍ. فكتَب أبو عبيدةَ إلىٰ عمرَ وهو بالجابيةِ يُخبِرُه بالفتحِ، وأنَّ المددَ وصَل إليهم بعدَ ثلاثِ ليالٍ، وسأله هل يُدخِلُهم في القَسْمِ معهم مما أفاء اللهُ عليهم؟ فجاء الجوابُ بأن يُدخِلَهم معهم في الغنيمة، فإنَّ العدوَّ إنَّما ضعُف وإنَّما انْشَمَر عنه المددُ من خَوفهم منهم، فأشركَهم أبو عبيدةَ في الغنيمةِ. وقال عمرُ: جزَىٰ اللهُ أهلَ الكوفةِ خيرًا، يَحْمُون حَوزَتَهم ويَمُدُّون أهلَ الأمصارِ.

فتح الجزيرة

قال ابنُ جرير: وفي هذه السنة فُتِحَت الجزيرةُ، فيما قاله سيفُ بنُ عمرَ. قال ابنُ جرير: في ذي الحجَّةِ من سنةِ سبعَ عشْرَةَ. فوافَقَ سيفَ بنَ عمرَ في كونها في هذه السنة.

وقال ابنُ إسحاقَ: كان ذلك في سنةِ تسعَ عشْرةَ. سار إليها عِياضُ بنُ غَنْمٍ، وفي صُحبته أبو موسىٰ الأشعريُّ، وعمرُ بنُ سعدِ بنِ أبي وقَّاصٍ، وهو غلامٌ صغيرُ السنِّ ليس إليه من الأمرِ شيءٌ، وعثمانُ بنُ أبي العاصِ، فنزَل الرُّها فصالَحه أهلُها علىٰ الجزيَةِ، وصالَحتْ حَرَّانُ علىٰ ذلك. ثم بعَث أبا موسىٰ الأشعريَّ إلىٰ نَصيبِينَ، وعمرَ بنَ سعدٍ إلىٰ رأسِ العينِ، وسار بنفسه إلىٰ دَارَا، فافتُتِحَتْ هذه البُلْدانُ، وبعَث عثمانَ بنَ أبي العاصِ إلىٰ إرْمينيَةَ، فكان عندَها شيءٌ من قتالٍ، قُتِل فيه صَفوانُ بنُ المُعَطَّلِ السُّلَميُّ شهيدًا. ثم صالَحهم عثمانُ بنُ أبي العاصِ علىٰ الجزيةِ، علىٰ كلِّ أهلِ بيتٍ دينارٌ.

وقال سيفٌ في روايته: جاء عبدُ الله بنُ عبدِ الله بنِ عِتْبانَ، فسلَك علىٰ دِجْلَةَ حتىٰ انتهَىٰ إلىٰ المَوْصِلِ، فعبَر إلىٰ بَلَد حتىٰ انتهىٰ إلىٰ نَصيبِين، فلَقُوه بالصُّلحِ وصنَعوا كما صنَع أهلُ الرَّقَّةِ. وبعَث إلىٰ عمرَ برءوسِ النَّصارىٰ من عربِ أهلِ الجزيرةِ، فقال لهم عمرُ: أدُّوا الجزيةَ. فقالوا: أبلِغْنا مَأْمَنَنا، فوالله لئن وضَعْتَ علينا الجزيةَ لنَدخُلَنَّ أرضَ الرُّومِ، والله لتَفْضَحُنا من بين العربِ. فقال لهم: أنتم فَضَحْتُم أنفُسَكم، وخالَفتُم أُمَّتَكم، ووالله لتُؤَدُّنَّ الجزيةَ وأنتم صَغَرَةٌ قَمَأَةٌ، ولئن هربْتُم

إلى الرُّوم لأكتُبَنَّ فيكم، ثم لأسبيَنَّكم. قالوا: فخُذْ منّا شيئًا ولا تُسمِّه جزيةً. فقال: أمّا نحن فنُسمِّيه جزيةً، وأمّا أنتم فسمُّوا ما شئتُم. فقال له عليُّ بنُ أبي طالبٍ: ألم يُضْعِفْ عليهم سعدٌ الصدقةَ؟ قال: بلى. وأصغَى إليه ورَضِي به منهم.

قال ابنُ جرير: وفي هذه السنة قدم عمرُ بنُ الخطاب، رَضِي اللهُ عنه، إلى الشام، فوصَل إلى سَرْغَ، في قول محمّدِ بنِ إسحاقَ. وقال سيفٌ: وصَلَ إلى الجابيةِ. قلتُ: والأشهرُ أنه وصَل سَرْغَ. وقد تلقّاه أمراءُ الأجناد؛ أبو عبيدةَ، ويزيدُ بنُ أبي سفيانَ، وخالدُ بنُ الوليد، إلى سَرْغَ، فأخبَرُوه أنَّ الوباءَ قد وقَع بالشام، فاستَشارَ عمرُ المهاجرين والأنصارَ فاختَلَفوا عليه، فمن قائلٍ يقولُ: أنتَ قد جئتَ لأمرٍ فلا تَرجعْ عنه. ومن قائلٍ يقولُ: لا نرَى أن تُقْدِمَ بوُجوهِ أصحابِ رسولِ الله ﷺ على هذا الوباءِ. فيقالُ: إنَّ عمرَ أمَرَ الناسَ بالرجوعِ من الغد. فقال أبو عبيدةَ: أفرارًا من قدَرِ الله؟ قال: نعم، نَفِرُّ من قدَرِ الله إلى قَدَرِ الله، أرأيتَ لو هبَطْتَ واديًا ذا عُدْوَتَين؛ إحداهما مُخْصِبَةٌ والأخرى مُجْدِبَةٌ، فإن رعَيْتَ الخِصْبَةَ رعَيْتَها بقدَرِ الله، وإن أنت رعَيْتَ الجَدْبَةَ رعَيْتَها بقدَرِ الله. ثم قال: لو غيرُك يقولُها يا أبا عبيدةَ!

قال ابنُ إسحاقَ في روايته - وهو في «صحيح البخاري»: وكان عبدُ الرحمنِ بنُ عوفٍ مُتغيِّبًا في بعضِ شأنه، فلمَّا قدم قال: إنَّ عندي من ذلك علمًا، سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «**إذا سمعتُم به بأرضٍ، فلا تُقْدِمُوا عليه، وإذا وقَع بأرضٍ وأنتم فيها فلا تخرُجوا فرارًا منه**». فحمِد اللهَ عمرُ[1] - يعني لكونه وافَق رأيَه - ورجَع بالناس.

وقال الإمامُ أحمدُ: ثنا وكيعٌ، ثنا سفيانُ، عن حَبيبِ بنِ أبي ثابتٍ، عن إبراهيمَ بنِ سعدٍ، عن سعدِ بنِ مالكِ بنِ أبي وقاصٍ، وخُزَيْمةَ بنِ ثابتٍ، وأسامةَ بنِ زيدٍ، قالوا: قال رسولُ الله ﷺ: «**إنَّ هذا الطاعونَ رِجْزٌ وبقيَّةُ عذابٍ عُذِّبَ به قومٌ قبلَكم، فإذا وقَع بأرضٍ أنتم بها فلا تخرُجوا منها فرارًا منه، وإذا سمِعتُم به بأرضٍ فلا تدخُلوا عليه**»[2]. ورواه الإمامُ أحمدُ أيضًا، من حديثِ سعيدِ بنِ المسيِّبِ، ويحيى ابنِ سعدٍ، عن سعدِ بنِ أبي وقاصٍ به[3].

قال سيفُ بنُ عمرَ: كان الوباءُ قد وقَع بالشامِ في المحرَّمِ من هذه السنةِ وصَفَرٍ ثم ارتَفع. وكأنَّ سيفًا

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٥٧٢٩) مطولاً من حديث ابن عباس رضي الله عنه كتاب «الطب» باب ما ذكر في الطاعون.

(٢) **صحيح**: أخرجه أحمد (١/ ١٨٢) وأصل معنى الحديث في «مسلم» (٢٢١٨) كتاب «الطب» باب الطاعون والطيرة والكهانة ونحوها والذي عند مسلم ثنا أبو بكر بن أبي شيبة ثنا وكيع عن سفيان عن حبيب عن إبراهيم بن سعد عن سعد بن مالك وخزيمة بن ثابت وأسامة بن زيد قال: قالوا: قال رسول الله ﷺ بمعنى حديث شعبة.

(٣) **صحيح**: أما حديث يحيى بن سعد عن أبيه فأخرجه أحمد (١/ ١٧٣) وغيره ثنا عفان ثنا سليم بن حيان حدثني عكرمة بن خالد حدثني يحيى بن سعد عن أبيه قال: ذكر الطاعون عند رسول الله ﷺ فقال: «رجز أصيب به من كان قبلكم فإن كان بأرض فلا تدخلوها وإن كان وأنتم بها فلا تخرجوا منها» ويحيى بن سعد قد توبع عند أحمد (١/ ١٨٠) من سعيد بن المسيب قال: سألت سعد فذكره.

يَعتقدُ أنَّ هذا الوباءَ هو طاعونُ عَمَواسَ، الذي هلَكَ فيه خَلْقٌ من الأمراءِ ووُجوهِ المسلمين. وليس الأمرُ كما زعَم. بل طاعونُ عَمَواسَ من السنةِ المستقبَلَة بعدَ هذه، كما سنُبيِّنُه إن شاءَ اللهُ تعالى.

وذكَر سيفُ بنُ عمرَ أنَّ أميرَ المؤمنين عمرَ كان قد عزَم على أن يَطُوفَ البُلدانَ، ويَزورَ الأمراءَ، ويَنظُرَ فيما اعتَمَدوه وما آثَروا من الخيرِ، فاختَلَف عليه الصحابةُ؛ فمِن قائلٍ يقولُ: ابْدَأْ بالعراقِ. ومن قائلٍ يقولُ: بالشامِ. فعزَم عمرُ على قُدومِ الشامِ لأجلِ قَسْمِ مواريثِ مَن مات من المسلمين في طاعونِ عَمَواسَ، فإنَّه أشكَل قسْمُها على المسلمين بالشامِ، فعزَم على ذلك. وهذا يَقتضي أنَّ عمرَ عزَم على قُدومِ الشامِ بعدَ طاعونِ عَمَواسَ، وقد كان الطاعونُ في سنةِ ثَمانيَ عشْرةَ كما سيأتي، فهو قُدومٌ آخَرُ غيرُ قُدومِ سَرْغَ. واللهُ أعلمُ.

قال سيفٌ، عن أبي عثمانَ، وأبي حارثةَ، والربيعِ بنِ النعمانِ، قالوا: قال عمرُ: ضاعتْ مواريثُ الناسِ بالشامِ، أبدأُ بها فأقْسِمُ المواريثَ، وأُقيمُ لهم ما في نَفْسِي، ثم أرجعُ فأتقلَّبُ في البلادِ وأنْبِذُ إليهم أمْرِي. قالوا: فأتَى عمرُ الشامَ أربعَ مراتٍ؛ مرَّتين في سنةِ ستَّ عَشْرةَ، ومرَّتين في سنةِ سبعَ عَشْرةَ، ولم يَدخُلْها في الأولى من الأُخْرَيَيْن. وهذا يقتضي ما ذكَرناه عن سيفٍ، أنَّه يقولُ بكونِ طاعونِ عَمَواسَ في سنةِ سبعَ عَشْرةَ. وقد خالفَه محمدُ بنُ إسحاقَ، وأبو مَعْشَرٍ، وغيرُ واحدٍ، فذهَبوا إلى أنَّه كان في سنةِ ثمانيَ عَشْرةَ.

وفيه تُوُفِّي أبو عبيدةَ، ومعاذٌ، ويزيدُ بنُ أبي سفيانَ، وغيرُهم من الأعيانِ، على ما سيأتي تفصيلُه، إن شاءَ اللهُ تعالى.

ذِكرُ شيءٍ من أخبارِ طاعونِ عَمَواسَ

الذي تُوُفِّي فيه أبو عبيدةَ، ومعاذٌ، ويزيدُ بنُ أبي سفيانَ، وغيرُهم من أشرافِ الصحابةِ وغيرِهم. أوردَه ابنُ جريرٍ في هذه السنةِ.

قال محمدُ بنُ إسحاقَ، عن شُعْبَةَ، عن المُخارقِ بنِ عبدِ اللهِ البَجَليِّ، عن طارقِ بنِ شهابٍ البَجَليِّ قال: أتَينا أبا موسى وهو في دارِه بالكوفةِ لنَتحدَّثَ عندَه، فلمَّا جلَسْنا قال: لا تَحفُّوا، فقد أُصيبَ في الدارِ إنسانٌ بهذا السقمِ، ولا عليكم أن تَنزَّهوا عن هذه القريةِ، فتَخرُجوا في فسيحِ بلادِكم ونُزَهِها حتى يَرتفعَ هذا البلاءُ، فإنِّي سأُخبِرُكم بما يُكرَه مما يُتَّقَى؛ من ذلك أن يَظُنَّ مَن خرَج أنَّه لو أقام مات، ويَظُنَّ مَن أقام فأصابَه ذلك أنه لو خرَج لم يُصِبْه، فإذا لم يَظُنَّ ذلك هذا المرءُ المسلمُ، فلا عليه أن يَخرُجَ وأن يَتنزَّهَ عنه، إنِّي كنتُ مع أبي عبيدةَ بنِ الجرَّاحِ بالشامِ عامَ طاعونِ عَمَواسَ، فلمَّا اشتَعل الوَجَعُ وبلَغ ذلك عمرَ، كتَب إلى أبي عبيدةَ ليستخرِجَه منه: أن سلامٌ عليك، أمَّا بعدُ، فإنَّه قد عرَضَتْ لي إليك حاجةٌ أُريدُ أنْ أُشافِهَك بها، فعزَمتُ عليك إذا نظَرْتَ في كتابي هذا أن لا تَضَعَه من يَدِك حتى تُقْبِلَ إليَّ. قال: فعرَف أبو عبيدةَ أنَّه إنَّما أراد أن يستَخْرِجَه من الوباءِ. فقال: يَغفرُ اللهُ

لأمير المؤمنينَ! ثم كتَب إليه: يا أميرَ المؤمنين، إنِّي قد عرفتُ حاجتَك إليَّ، وإنِّي في جُندٍ من المسلمين لا أجدُ بنَفْسي رَغْبةً عنهم، فلستُ أُريدُ فراقَهم حتى يَقضيَ اللهُ فيَّ وفيهم أمْرَه وقضاءَه، فخَلِّني من عَزيمَتِك يا أمير المؤمنين، ودَعْني وجُنْدي. فلمَّا قرأ عمرُ الكتابَ بكَى، فقال الناسُ: يا أميرَ المؤمنين أمات أبو عبيدةَ؟ قال: لا، وكأنْ قدْ. قال: ثم كتَب إليه: سلامٌ عليك، أمَّا بعدُ، فإنَّك أنزلْتَ الناسَ أرضًا غَمِقَةً، فارفَعْهم إلى أرضٍ مُرتفعةٍ نَزِهَةٍ. قال أبو موسى: فلمَّا أتاه كتابُه دعاني فقال: يا أبا موسى، إنَّ كتابَ أميرِ المؤمنين قد جاءني بما ترَى، فاخرُجْ فارْتَدْ للناسِ مَنْزِلاً حتى أتْبَعَك بهم، فرجَعتُ إلى مَنزلي لأرتحلَ، فوجَدْتُ صاحبتي قد أُصيبَتْ، فرجَعْتُ إليه فقلتُ: واللهِ لقد كان في أهلي حَدَثٌ. فقال: لعلَّ صاحبَتَك قد أُصيبَتْ؟ قلتُ: نعَم. فأمَر ببعيرِه فرُحِلَ له، فلمَّا وضَع رِجْلَه في غَرْزِه طُعِنَ، فقال: واللهِ لقد أُصِبْتُ. ثم سار بالناسِ حتى نزَل الجابيَةَ، ورُفِعَ عن الناسِ الوباءُ[1].

وقال محمدُ بنُ إسحاقَ، عن أبانَ بنِ صالحٍ، عن شَهْرِ بنِ حَوْشَبٍ، عن رابةَ - رجلٍ من قومِه، وكان قد خلَف على أُمِّه بعدَ أبيه، وكان قد شهِد طاعونَ عَمَواسَ - قال: لمَّا اشتَعل الوَجَعُ، قام أبو عبيدةَ في الناسِ خطيبًا فقال: أيُّها الناسُ، إنَّ هذا الوَجَعَ رحمةٌ بكم، ودعوةُ نبيِّكم، وموتُ الصالحينَ قبلَكم، وإنَّ أبا عبيدةَ يسألُ اللهَ أن يَقسِمَ لأبي عبيدةَ حَظَّه. فطُعِنَ فمات، واستُخلفَ على الناسِ معاذُ بنُ جبلٍ، فقام خطيبًا بعدَه، فقال: أيُّها الناسُ، إنَّ هذا الوَجَعَ رحمةُ ربِّكم، ودعوةُ نبيِّكم، وموتُ الصالحينَ قبلَكم، وإنَّ معاذًا يسألُ اللهَ تعالى أن يَقسِمَ لآلِ مُعاذٍ حَظَّهم. فطُعِن ابنُه عبدُ الرحمنِ، فمات، ثم قام فدَعا لنفسِه، فطُعِن في راحتِه، فلقد رأيتُه يَنظُرُ إليها ثم يُقَلِّبُ ظَهرَ كفِّه ثم يقولُ: ما أُحبُّ أنَّ لي بما فيكِ شيئًا من الدُّنيا. فلمَّا مات استُخلِف على الناسِ عمرُو بنُ العاصِ، فقام فيهم خطيبًا فقال: أيُّها الناسُ، إنَّ هذا الوَجَعَ إذا وقَع فإنَّما يَشتعلُ اشتعالَ النَّارِ، فتَحَصَّنوا منه في الجبالِ. فقال أبو واثلةَ الهُذَليُّ: كذَبْتَ، واللهِ لقد صَحِبتُ رسولَ اللهِ ﷺ وأنت شرٌّ من حماري هذا. فقال: واللهِ ما أرُدُّ عليكَ ما تقولُ، وايمُ اللهِ لا نقيمُ عليه. قال: ثم خرَج وخرَج الناسُ فتَفَرَّقوا ودفَعه اللهُ عنهم. قال: فبلَغ ذلك عمرَ بنَ الخطابِ من رأيِ عمرِو بنِ العاصِ، فواللهِ ما كرِهَه[2].

قال ابنُ إسحاقَ: ولَمَّا انتهَى إلى عمرَ مُصابُ أبي عبيدةَ ويزيدَ ابنِ أبي سفيانَ، أمَّر مُعاويةَ على جُندِ دمشقَ وخَراجِها، وأمَّر شُرَحْبيلَ ابنَ حَسَنةَ على جُندِ الأُردُنِّ وخَراجِها.

وقال سيفُ بنُ عمرَ عن شيوخِه قالوا: لمَّا كان طاعونُ عَمَواسَ ووقَع مرَّتين لم يُرَ مثلُهما، وطال

---

(١) في إسناده ضعف: أخرجه الطبري في «تاريخه» (٢/ ٤٨٧ - ٤٨٨) عن ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد بن إسحاق وهذا إسناد ضعيف من أجل ابن حميد وعنعنة أبي إسحاق لم أقف إلا على هذا الإسناد والله أعلم.

(٢) إسناده ضعيف: في إسناده شهر بن حوشب وهو متكلم فيه وأخرجه الطبري في «تاريخه» (٢/ ٤٨٨) عن ابن حميد قال ثنا مسلمة عن محمد بن إسحاق به وهذا إسناد ضعيف من أجل الكلام في محمد بن حميد الرازي، وعنعنة أبي إسحاق

مُكْثُه، وفَنِيَ خَلْقٌ كثيرٌ من الناسِ، حتى طمع العدوُّ، وتَخوَّفتْ قلوبُ المسلمين لذلك.

قلتُ: ولهذا قدم عمرُ بعدَ ذلك إلى الشام، فقسَم مواريثَ الذين ماتوا لَمَّا أشْكَل أمرُها على الأمراءِ، وطابتْ قلوبُ الناسِ بقدومِه، وانقمَعَتِ الأعداءُ من كلِّ جانبٍ لمجيئِه إلى الشامِ، ولله الحمدُ والمنةُ.

قال سيفٌ: وأصاب أهلَ البصرةِ تلك السنة طاعونٌ أيضًا، فمات بشرٌ كثيرٌ وجَمٌّ غفيرٌ، رحمهم اللهُ، ورَضِي اللهُ عنهم أجمعين. قالوا: وخرَج الحارثُ بنُ هشامٍ في سبعين من أهلِه إلى الشامِ، فلم يرجعْ منهم إلا أربعةٌ، فقال المُهاجرُ بنُ خالدٍ في ذلك:

مَنْ يَسْكُنِ الشامَ يُعَرِّسْ بِه ... والشامُ إنْ لم يُفْنِنا كارِبُ

أفْنَى بَني رَيْطَةَ فُرْسانُهمْ ... عِشْرونَ لم يُقْصَصْ لهم شارِبُ

ومِن بَني أعمامِهم مثلُهم ... لمثلِ هذا يعجَبُ العاجِبُ

طَعْنًا وطاعونًا مَنايا هُمُ ... ذلك ما خَطَّ لنا الكاتِبُ

وقال سيفٌ - بعدَ ذكرِه قدومَ عمرَ بعدَ طاعونِ عَمَواسَ في آخرِ سنةِ سبعَ عَشْرَةَ - قال: فلمَّا أراد القفولَ إلى المدينةِ في ذي الحِجَّةِ منها، خطَب الناسَ فحمِد اللهَ وأثْنَى عليه، ثم قال: ألا إنِّي قد وُلِّيتُ عليكم وقضَيتُ الذي عليَّ في الذي ولَّاني اللهُ من أمرِكم إنْ شاء اللهُ، فبسَطْنا بينكم فَيْئَكم ومنازِلَكم ومَغازِيَكم، وأبلَغْناكم ما لَدَيْنا، فجنَّدْنا لكم الجنودَ، وهيَّأْنا لكم الفُروجَ، وبوَّأنا لكم، ووسَّعْنا عليكم ما بلَغ فَيْئُكم وما قاتَلْتم عليه من شامِكم، وسمَّيْنا لكم أطْعِماتِكم، وأمَرنا لكم بأعْطِياتِكم وأرزاقِكم ومغانِمِكم، فمَن علِم شيئًا ينبَغي العملُ به فلْيُعلِمْنا نعمَلْ به إن شاءَ اللهُ، ولا قوةَ إلا باللهِ. قال: وحضَرتِ الصلاةُ فقال الناسُ: لو أمَرْتَ بلالًا فأذَّن! فأمَره فأذَّن، فلم يَبْقَ أحدٌ كان أدْرَك رسولَ اللهِ ﷺ وبلالٌ يؤذِّنُ إلا بكَى حتى بَلَّ لحيتَه، وعمرُ أشدُّهم بُكاءً، وبكَى مَن لم يدرِكْه لبُكائِهم ولذكرِه ﷺ.

وذكَر ابنُ جريرٍ في هذه السنةِ، من طريقِ سيفِ بنِ عمرَ عن أبي المُجالِدِ، أنَّ عمرَ بنَ الخطابِ بعَث يُنكِرُ على خالدِ بنِ الوليدِ في دخولِه إلى الحمَّامِ، وتَدَلُّكِه بعدَ النُّورةِ بعُصْفُرٍ معجونٍ بخمرٍ، فقال في كتابِه: إنَّ اللهَ قد حرَّم ظاهرَ الخمرِ وباطنَه، كما حرَّم ظاهرَ الإثمِ وباطنَه، وقد حرَّم مسَّ الخمرِ فلا تُمِسُّوها أجسادَكم فإنَّها نَجَسٌ، فإن فعَلْتم فلا تَعودوا. فكتَب إليه خالدٌ: إنَّا قتَلْناها فعادتْ غَسُولًا غيرَ خمرٍ. فكتَب إليه عمرُ: إنِّي أظُنُّ أنَّ آلَ المُغيرةِ قد ابْتُلوا بالجفاءِ، فلا أماتَكم اللهُ عليه. فانتَهى لذلك.

كائنة غريبة فيها عزل خالد عن قِنَّسْرينَ أيضًا

قال ابنُ جريرٍ: وفي هذه السنة أدرَب خالدُ بنُ الوليدِ وعياضُ بنُ غَنْمٍ، أي: سلَكَا دَرْبَ الرومِ وأغارَا عليهم، فغنِموا أموالًا عظيمةً وسبيًا كثيرًا. ثم روَى من طريقِ سيفٍ، عن أبي عثمانَ وأبي

حارثةَ والربيع وأبي المُجالدِ، قالوا: لمَّا رجَع خالدٌ ومعه أموالٌ جزيلةٌ من الصائفَة، انتَجعه الناسُ يَبتَغُون رِفْدَه ونائلَه، فكان ممَّن دخَل عليه الأشعَثُ بنُ قَيسٍ، فأجازَه بعَشَرَةِ آلافٍ، فلمَّا بلَغ ذلك عمرَ كتَب إلى أبي عبيدةَ يأمُرُه أن يُقيمَ خالدًا، ويكشفَ عمامَته، وينزِعَ عنه قَلَنسُوَتَه، ويُقيِّدَه بعمامَتِه، ويسألَه عن هذه العَشَرَةِ آلافٍ، إن كان أجازَها الأشعَثَ من ماله فهو سَرَفٌ، وإن كان من مالِ الصائفَةِ فهي خيانةٌ، ثم اعزِلْه عن عمله. فطلَب أبو عبيدةَ خالدًا، وصعِد أبو عبيدةَ المنبَرَ، وأُقيمَ خالدٌ بين يَدَي المِنبَرِ، وقام إليه بلالٌ ففعَل به ما أمَر عمرُ بنُ الخطابِ هو والبَريديُّ الذي قدِم بالكتاب. هذا وأبو عبيدةَ ساكتٌ لا يتكلَّمُ، ثم نزَل أبو عبيدةَ واعتذَر إلى خالدٍ ممَّا كان بغيرِ اختيارِه وإرادتِه، فعذَره خالدٌ، وعرَف أنَّه لا قَصْدَ له في ذلك. ثم سار خالدٌ إلى قِنَّسْرِينَ، فخطَب أهلَ البلدِ وودَّعهم، وسار بأهله إلى حِمْصَ فخطَبهم أيضًا وودَّعهم وسار إلى المدينة، فلمَّا دخَل خالدٌ على عمرَ أنشَد عمرُ قولَ الشاعرِ:

صنَعْتَ فلم يَصنَعْ كصُنْعِك صانعٌ ... وما يَصنَعِ الأقوامُ فاللهُ صانعُ

ثم سأله: من أين هذا اليسارُ الذي تُجيزُ منه بعَشَرَةِ آلافٍ؟ فقال: من الأنفالِ والسُّهْمان. قال: فما زاد على السِّتين ألفًا فلك. ثم قوَّم أموالَه وعُروضَه وأخَذ منه عشرين ألفًا، ثم قال: واللهِ إنَّك عليَّ لكريمٌ، وإنك إليَّ لَحبيبٌ، ولن تَعمَلَ لي بعدَ اليوم على شيءٍ.

وقال سيفٌ[1] **، عن عبد الله بن المُستَوْرِد، عن أبيه، عن عَديِّ بن سُهَيلٍ قال**: كتَب عمرُ إلى الأمصارِ: إنِّي لم أعزِلْ خالدًا عن سَخْطَةٍ ولا خيانةٍ، ولكنَّ الناسَ فُتِنوا به، فأحبَبتُ أن يَعلَموا أنَّ اللهَ هو الصانعُ. ثم رواه سيفٌ عن مُبَشِّرٍ، عن سالمٍ قال: لمَّا قدِم خالدٌ على عمرَ. فذكَر مثلَه.

قال الواقديُّ[2] : وفي هذه السنةِ اعتَمَر عمرُ في رجبٍ منها، وعمَّر في المسجدِ الحرامِ، وأمَر بتجديدِ أنصابِ الحَرَمِ، أمَر بذلك لمَخْرَمَةَ بنِ نَوْفَلٍ، وأزهرَ بنِ عبدِ عَوْفٍ، وحُوَيْطِبِ بنِ عبدِ العُزَّى، وسعيدِ بنِ يَرْبُوعٍ.

قال الواقديُّ[2] : وحدَّثني كَثيرُ بنُ عبدِ اللهِ المُزَنيُّ، عن أبيه، عن جَدِّه قال: قَدِمْنا مع عمرَ مكةَ في عُمْرَةِ سنةَ سَبْعَ عَشْرَةَ، فمرَّ بالطريقِ فكلَّمه أهلُ المياه أن يَبْنُوا منازلَ بين مكةَ والمدينةِ -ولم يكنْ قبلَ ذلكَ بناءٌ- فأذِن لهم وشرَط عليهم أنَّ ابنَ السبيلِ أحقُّ بالظِّلِّ والماءِ.

قال الواقديُّ: وفيها تزوَّج عمرُ بأمِّ كُلثُومٍ بنتِ عليِّ بنِ أبي طالبٍ، من فاطمةَ بنتِ رسولِ الله ﷺ، ودخَل بها في ذي القَعْدَةِ. وقد ذكَرنا في «سيرةِ عمرَ» و«مسنده» صفةَ تَزويجه بها، وأنَّه أمْهَرَها

---

(١) سيف بن عمر متروك الحديث.
(٢) الواقدي متروك الحديث.

أربعين ألفًا، وقال: إنما تزوَّجْتُها لقولِ رسولِ اللهِ ﷺ: «كلُّ سبَبٍ ونَسَبٍ فإنَّه ينقطعُ يومَ القيامة إلاَّ سَبَبي ونَسَبي»(۱).

قال: وفي هذه السنةِ ولَّى عمرُ أبا موسى الأشعريَّ البصرةَ، وأمَرَه أن يُشخِصَ إليه المغيرةَ بنَ شعبةَ في ربيعٍ الأول، فشهد عليه ـ فيما حدَّثني مَعْمَرٌ، عن الزُّهْرِيِّ، عن سعيدِ بنِ المُسَيَّبِ ـ أبو بَكْرةَ، وشِبْلُ بنُ مَعْبَدٍ البَجَليُّ، ونافعُ بنُ كَلَدَةَ، وزيادٌ. ثم ذكَر الواقديُّ وسيفٌ هذه القصةَ، وملخَّصُها أنَّ امرأةً كان يُقالُ لها: أمُّ جَميلٍ بنتُ الأفْقَم، مِن نساءِ بني عامرِ بنِ صَعْصَعَةَ، ويُقالُ: مِن نساءِ بني هلالٍ. وكان زوجُها مِن ثَقيفٍ قد تُوفِّي عنها، وكانت تَغشَىٰ نساءَ الأمراءِ والأشرافِ، وكانت تَدخُلُ علىٰ بيتِ المغيرةِ بنِ شُعبةَ وهو أميرُ البصرةِ، وكانت دارُ المغيرةِ تُجاهَ دارِ أبي بَكْرةَ، وكان بينَهما الطريقُ، وفي دارِ أبي بَكْرةَ كُوَّةٌ تُشْرِف علىٰ كُوَّةٍ في دارِ المغيرةِ، وكان لا يَزالُ بين المغيرةِ وبين أبي بَكْرةَ شَنَآنٌ، فبينَما أبو بَكْرةَ في دارِه وعندَه جماعةٌ يتحدَّثون في العُلِّيَّةِ، إذ فتَحت الريحُ بابَ الكُوَّةِ، فقام أبو بَكْرةَ ليُغلِقَها، فإذا كَوَّةُ المغيرةِ مفتوحةٌ، وإذا هو علىٰ صَدْرِ امرأةٍ وبينَ رِجْلَيها، وهو يُجامِعُها، فقال أبو بَكْرةَ لأصحابِه: تَعالَوا فانظُروا إلىٰ أميرِكم يَزْنِي بأُمِّ جميلٍ. فقاموا فنظَروا إليه وهو يُجامعُ تلك المرأةَ، فقالوا لأبي بَكْرةَ: ومِن أين قلتَ إنها أُمُّ جميلٍ؟ وكان رَأْساهما مِن الجانبِ الآخرِ، فقال: انتظِروا، فلمَّا فرَغا قامتِ المرأةُ، فقال أبو بَكرةَ: هذه أُمُّ جميلٍ. فعرَفوها فيما يظُنُّونَ،

---

(۱) صححه الألباني رحمه اللَّه لطرقه في «الصحيحة» (٥/ ٦٤) أخرجه البزار (٢٤٥٥) «كشف الأستار» عن إبراهيم ابن سعد الهجري عن أبي أسامة عن عبد اللَّه بن محمد بن عمر بن علي عن عاصم بن عبيد اللَّه عن ابن عمر عن عمر وله طريق آخر عن ابن عمر به عند الطبراني (٢٦٤٤) من طريق يونس بن أبي يعفور عن أبيه عن ابن عمر عن عمر به.
وطريق آخر عند البزار (٢٤٥٦) والطبراني (٣/ ٤٤) رقم (٢٦٣٣) من طريق الدراوردي وعبد اللَّه بن زيد بن أسلم كلاهما عن زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر.
وطريق آخر عند الطبراني في «الأوسط» (٦٦٠٥) والبيهقي في «الكبرىٰ» (٧/ ١١٤) مطولاً من طريق سفيان بن وكيع عن روح بن عبادة عن ابن جريج أخبرني ابن أبي مليكة عن الحسن بن الحسن بن علي (وعند البيهقي الحسن ابن الحسن عن أبيه) عن عمر به وطريق آخر عند الحاكم (٣/ ١٤٢) من طريق السري بن خزيمة عن معلىٰ بن راشد عن وهيب بن خالد عن جعفر بن محمد عن أبيه عن علي بن الحسين عن عمر وصححه الحاكم فتعقبه الذهبي وقال قلت: منقطع قلت «محمد» وهناك خلاف علىٰ جعفر بن محمد فقد رواه الثوري وابن عيينة وغيرهما عن جعفر ولم يذكروا جده ولذا رجح الدارقطني المنقطع راجع «التلخيص الحبير» (٣/ ١٤٣) وله طريق آخر أخرجه عبد الرزاق (١٠٣٥٤) عن معمر عن أيوب عن عكرمة عن عمر وفيه قصة وكل هذه الطرق فيها الشاهد الذي نحن بصدده.
وللحديث شواهد عن أبي سعيد مرفوعًا: «ما بال رجال يقولون: إن رحم رسول اللَّه ﷺ لا تنفع قومه بلىٰ إن رحمي موصولة في الدنيا والآخرة».
أخرجه أحمد (٣/ ١٨) وغيره عن أبي عامر عن زهير عن عبد اللَّه بن محمد بن عقيل عن حمزة بن أبي سعيد عن أبيه به.
وشاهد آخر عن المسور بن مخرمة مرفوعًا بلفظ: «إن الأنساب يوم القيامة تنقطع غير نسبي وسببي وصهري».
أخرجه أحمد (٤/ ٣٢٣) وغيره عن أبي سعيد مولىٰ بني هاشم عن عبد اللَّه بن جعفر عن أم بكر بنت المسور بن مخرمة عن عبيد اللَّه بن أبي رافع عن المسور بن مخرمة وانظر «التلخيص الحبير» (٣/ ١٤٣) و«السلسلة الصحيحة» (٥/ ٥٨ ـ ٦٤).

فلمَّا خرَج المغيرةُ ـ وقد اغتسل ـ ليُصلِّيَ بالناس منَعه أبو بَكْرةَ أن يَتقدَّمَ. وكتَبوا إلى عمرَ في ذلك، فولَّى عمرُ أبا موسى الأشعريَّ أميرًا على البصرة، وعزلَ المغيرةَ، فسار إلى البصرة فنزَل بالمِرْبَد، فقال المغيرةُ: والله ما جاء أبو موسى تاجرًا ولا زائرًا ولا جاء إلا أميرًا. ثم قدم أبو موسى على الناس، وناوَل المغيرةَ كتابًا من عمرَ، هو أوْجَزُ كتابٍ، فيه: أمَّا بعدُ، فإنَّه بلَغني نبأٌ عظيمٌ، فبعَثْتُ أبا موسى أميرًا، فسلِّمْ ما في يدَيْك، والعَجَلَ. وكتَب إلى أهلِ البصرة: إنِّي قد ولَّيتُ عليكم أبا موسى ليأخُذَ من قويِّكم لضعيفِكم، وليقاتِل بكم عدوَّكم، وليدفَعَ عن دينكم، وليجْبِيَ لكم فيْئَكم، ثم يقسِمَه فيكم، وأهدَى المغيرةُ لأبي موسى جاريةً من مُوَلَّدات الطائف تُسمَّى عقيلةَ، وقال: إنِّي رضيتُها لك. وكانت فارهةً. وارتحَل المغيرةُ والذين شهِدوا عليه إلى عمرَ، وهُم أبو بَكْرةَ، ونافعُ بنُ كَلَدَةَ، وزيادُ ابنُ أبيه، وشِبْلُ بنُ مَعْبَدٍ البَجَليُّ، فلمَّا قدموا على عمرَ جمَع بينَهم وبين المغيرة فقال المغيرةُ: سَلْ هؤلاء الأعبدَ كيف رأَوْني؛ مُستقبِلَهم أو مُستدبِرَهم؟ وكيف رأَوُا المرأةَ أو عرَفوها؟ فإن كانوا مُستقبِليَّ، فكيف لم يَستتِروا! أو مُستدبِريَّ، فكيف استحلُّوا النَّظرَ في منزلي إلى امرأتي! والله ما أتيتُ إلا امرأتي. وكانت شَبَهَها. فبدأ عمرُ بأبي بَكْرةَ، فشهِد عليه أنَّه رآه بين رِجْلَي أمِّ جَميلٍ وهو يُدْخِلُه ويُخرِجُه كالمِيلِ في المُكْحُلَة. قال: كيف رأيتَهما؟ قال: مُستدبِرَهما. قال: فكيف استَثْبَتَّ رأسَها؟ قال: تحامَلْتُ. ثم دعا شِبْلَ بنَ مَعْبَدٍ فشهِد بمثلِ ذلك، فقال: استقبَلْتَهما أم استَدْبَرْتَهما؟ قال: استقبَلْتُهما. وشهِد نافعٌ بمثلِ شهادة أبي بَكْرةَ، ولم يَشهَدْ زياد بمثلِ شهادتهم، قال: رأيتُه جالسًا بين رِجْلَي امرأةٍ، فرأيتُ قدَمَين مَخضوبتَين يَخْفِقان، واستَين مَكشوفتَين، وسمعتُ حَفَزانًا شديدًا. قال: هل رأيتَ كالمِيلِ في المُكحُلَة؟ قال: لا. قال: فهل تَعرِفُ المرأةَ؟ قال: لا، ولكن أُشَبِّهُها. قال: فتنحَّ. ورُوِي أنَّ عمرَ، رضِي اللهُ عنه، كبَّر عندَ ذلك، ثم أمَر بالثلاثة فجُلِدوا الحدَّ، وهو يَقرأُ قولَه تعالى: ﴿فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِندَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ [النور: ١٣]. فقال المغيرةُ: اشْفِني من الأعبُد. قال: اسكُت أسكتَ اللهُ نأمَتَكَ، والله لو تمَّت الشهادةُ لرَجَمْتُك بأحجارك.

فتح الأهواز ومَناذِرَ ونهر تِيرَى

قال ابنُ جرير: كان في هذه السَّنة، وقيل: في سنة ستَّ عَشْرةَ. ثم روَى من طريق سيفٍ عن شُيوخه أنَّ الهُرْمُزانَ كان قد تَغلَّبَ على هذه الأقاليم، وكان ممَّن فرَّ يومَ القادسية من الفُرْس، فجهَّزَ أبو موسى من البصرة وعُتْبةُ بنُ غَزْوانَ من الكوفة جَيْشَين لقتاله، فنصرَهم اللهُ عليه، وأخذوا منه ما بينَ دِجْلَةَ إلى دُجَيْلٍ، وغَنِموا من جيشه ما أرادُوا، وقَتَلوا مَن أرادُوا، ثم صانَعَهم وطلَب مُصالحَتَهم عن بَقيَّة بلاده، فشاوَروا في ذلك عُتْبَةَ بنَ غَزْوانَ فصالَحَه، وبعَث بالأخماس والبِشارة إلى عمرَ، وبعَث وَفْدًا فيهم الأحْنَفُ بنُ قَيْسٍ، فأعْجِبَ عمرُ به، وحَظِي عندَه، وكتَب إلى عُتْبَةَ يُوصيه به، ويأمُرُه بمُشاورَته والاستعانة برأيه. ثم نقَض الهُرْمُزانُ العهدَ والصُّلحَ، واستعان بطائفةٍ من الأكراد،

وغرّته نفسُه، وحَسَّنَ له الشيطانُ عملَه في ذلك.

فبَرَزَ إليه المسلمون فنُصروا عليه، وقتلُوا من جيشِه جَمًّا غفيرًا، وخلْقًا كثيرًا، واستلَبوا منه ما بيدِه من الأقاليم والبُلدانِ إلى تُسْتَرَ، فتحصَّنَ بها، وبَعثُوا إلى عمرَ بذلك. وقد قال الأسودُ بنُ سَرِيعٍ في ذلك، وكان صَحابيًّا، رضي اللهُ عنه:

لَعَمْرُكَ ما أضاعَ بنو أبينا ... ولكنْ حافَظوا في مَن يُطيعُ
أطاعُوا ربَّهمُ وعَصاهُ قومٌ ... أضاعُوا أمرَه في مَن يُضيعُ
مَجُوسٌ لا يُنَهْنِهُهَا كتابٌ ... فلاقَوْا كَبَّةً فيها قُبُوعُ
وولَّى الهُرْمُزانُ على جَوادٍ ... سَريعِ الشَّدِّ يَثْفِنُه الجَميعُ
وخَلَّى سُرَّةَ الأهوازِ كَرْهًا ... غَداةَ الجِسْرِ إذ نَجَم الرَّبيعُ

وقال حُرْقُوصُ بنُ زُهَيْرٍ السَّعْدِيُّ، وكان صَحابيًّا أيضًا:

غَلَبْنا الهُرْمُزانَ على بلادٍ ... لها في كلِّ ناحيةٍ ذخائرْ
سَواءٌ بَرُّهم والبحرُ فيها ... إذا صارَت نواحيها بَواكرْ
لها بحرٌ يَعِجُّ بجانبَيْه ... جَعافِرُ لا يزالُ لها زواخِرْ

فتح تستر المرة الأولى صلحًا

قال ابنُ جَرير: كان ذلك في هذه السَّنة، في قَوْلِ سَيْفٍ وروايتِه، وقال غيرُه: في سَنة ستَّ عَشْرَةَ، وقال غيرُه: كان في سنة تسعَ عَشْرَةَ.

ثم قال ابنُ جَرير: ذِكْرُ الخبرِ عن فتحها. ثم ساق من طريقِ سَيْفٍ، عن محمدٍ وطَلْحةَ والمُهَلَّبِ وعمرٍو، قالوا: لمَّا افْتَتَح حُرْقُوصُ بنُ زُهير سُوقَ الأهْوازِ، وفَرَّ الهُرْمُزانُ بينَ يَدَيْه، فبَعث في إثْرِه جَزْءَ بنَ معاويةَ - وذلك عن كتابِ عمرَ بذلك - فما زالَ جَزْءٌ يَتْبَعُه حتى انتهَى إلى رامَهُرْمُزَ، فتَحَصَّنَ الهُرْمُزانُ في بلادِها، وأعْجَزَ جَزْءًا تَطَلُّبُه، واستحوَذَ جَزْءٌ على تلك البلادِ والأقاليمِ والأراضي، فضَرَبَ الجِزْيَةَ على أهلِها، وعمَر عامرَها، وشَقَّ الأنهارَ إلى خَرابِها ومَواتِها، فصارت في غايةِ العمارةِ والجودة. ولمَّا رأى الهُرْمُزانُ ضيقَ بلادِه عليه بمجاورةِ المسلمين، طلَب من جَزْءِ بنِ معاويةَ المُصالحةَ، فكتَب إلى حُرْقُوصٍ، فكتَب حُرْقُوصٌ إلى عُتْبَةَ بنِ غَزْوانَ، وكتَب عُتْبَةُ إلى عمرَ في ذلك. فجاء الكتابُ العُمَريُّ بالمُصالحةِ على رامَهُرْمُزَ وتُسْتَرَ وجُنْدَيْسابُورَ، ومَدائنَ أخَرَ مع ذلك. فوقَع الصُّلحُ على ذلك، كما أمَرَ به عمرُ، رضي اللهُ عنه.

ذكرُ غزوِ بلادِ فارسَ مِن ناحيةِ البحرَيْن وذلك في هذه السنةِ فيما حكاه ابنُ جَريرٍ عن سَيْفٍ

وذلك أنَّ العَلاءَ بنَ الحَضْرَميِّ كان علىٰ البحرَيْنِ في أيامِ الصِّديقِ، فلمّا كان عمرُ عَزَلَه عنها وولّاها لقُدامةَ بنِ مَظْعُونٍ، ثم أعاد العَلاءَ بنَ الحَضْرَميِّ إليها، وكان العَلاءُ بنُ الحَضْرَميِّ يُباري سعدَ ابنَ أبي وقّاصٍ، فلمّا افتتَحَ سعدٌ القادسيةَ، وأزاحَ كِسْرَىٰ عن دارِه، وأخذ حُدودَ ما يلي السَّوادَ، واستعْلَىٰ، وجاء بأعظمَ ممّا جاء به العَلاءُ مِن ناحيةِ البحرَيْنِ، فأحبَّ العَلاءُ أن يفعَلَ فعْلاً في فارسَ نظيرَ ما فعَلَه سعدٌ فيهم، فندَبَ الناسَ إلىٰ حَرْبِهم، فاستجاب له أهلُ بلادِه، فجزّأهم أجزاءً، فعلىٰ فِرْقةٍ الجارُودُ بنُ المُعلَّىٰ، وعلىٰ الأُخرىٰ السَّوَّارُ بنُ هَمَّامٍ، وعلىٰ الأخرىٰ خُلَيْدُ بنُ المنذرِ بنِ ساوىٰ، وخُلَيْدٌ هو أميرُ الجماعة. فحَمَلَهم في البحرِ إلىٰ فارسَ، وذلك بغيرِ إذنِ عمرَ له في ذلك - وكان عمرُ يكرَهُ ذلك؛ لأنَّ رسولَ اللهِ ﷺ ولا أبا بكرٍ أغْزَيَا فيه المسلمين - فعَبَرَت تلك الجنودُ مِن البحرَيْنِ إلىٰ فارسَ، فخرَجُوا مِن عند إصْطَخْرَ، فحالَتْ فارسُ بينَهم وبين سُفُنِهم، فقام في الناسِ خُلَيْدُ بنُ المنذرِ، فقال: أيُّها الناسُ، إنَّما أراد هؤلاءِ القومُ بصَنيعِهم هذا مُحاربتَكم، وأنتم إنَّما جئتُم لمحاربتِهم، فاستعينُوا باللهِ وقاتِلُوهم، فإنَّما الأرضُ والسُّفُنُ لمَن غلَب: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٥]. فأجابُوه إلىٰ ذلك فصلَّوُا الظهرَ ثم ناهدُوهم، فاقْتَتَلُوا قتالاً شديداً في مكانٍ مِن الأرضِ يُدْعَىٰ طَاوُسَ، ثم أمَر خُلَيْدٌ المسلمين فترَجَّلوا، وقاتَلوا فصبَروا، ثم ظفروا، فقتَلوا فارسَ مَقتَلَةً لم يُقْتَلُوا قبلَها مثلَها، ثم خرَجُوا يُريدونَ البصرةَ فغَرِقَت بهم سُفُنُهم، ولم يجِدوا إلىٰ الرجوعِ في البحرِ سبيلاً، ووجَدوا شَهْرَكَ في أهلِ إصْطَخْرَ قد أخَذوا علىٰ المسلمين بالطُّرُقِ، فعَسْكَروا وامتنَعوا مِن العَدُوِّ. ولمَّا بلَغ عمرَ ما صنَع العلاءُ بنُ الحَضْرَميِّ، اشتدَّ غَضَبُه عليه، وبعَثَ إليه، فعزَلَه وتوعَّدَه، وأمَره بأثقلِ الأشياءِ عليه، وأبغضِ الوُجوهِ إليه، فقال: الحَقْ بسعدِ بنِ أبي وقّاصٍ في مَن قِبَلَكَ. فخرَجَ العلاءُ إلىٰ سعدِ بنِ أبي وقّاصٍ مُضافًا إليه، وكتَب عمرُ إلىٰ عُتْبَةَ بنِ غَزْوانَ: إنَّ العَلاءَ بنَ الحَضْرَميِّ خرَج بجيشٍ فأقطَعَهم أهلَ فارسٍ، وعصاني، وأظُنُّه لم يُرِدِ اللهَ بذلك، فَخشيتُ عليهم إن لا يُنْصَروا، أن يُغلَبوا وينشَبُوا، فاندُبْ إليهم الناسَ، واضمُمْهم إليك مِن قبلِ أن يُجتاحُوا. فندَب عُتْبَةُ المسلمين وأخبَرهم بكتابِ عمرَ إليه في ذلك، فانتدَب جماعةٌ مِن الأُمراءِ الأبطالِ؛ منهم هاشمُ بنُ عُتْبةَ بنِ أبي وقّاصٍ، وعاصمُ بنُ عمرٍو، وعَرْفَجَةُ بنُ هَرْثَمةَ، وحُذيفةُ بنُ مِحْصَنٍ، والأحْنَفُ بنُ قيسٍ، وغيرُهم، في اثْنَيْ عشرَ ألفًا، وعلىٰ الجميعِ أبو سَبْرَةَ بنُ أبي رُهْمٍ. فخرَجوا علىٰ البِغالِ يَجْنُبُون الخيلَ سِراعًا، فساروا علىٰ الساحلِ لا يَلْقَوْن أحدًا، حتىٰ انتهَوا إلىٰ مَوْضعِ الوَقعةِ التي كانت بينَ المسلمين مِن أصحابِ العَلاءِ وبينَ أهلِ فارسَ، بالمكانِ المسمَّىٰ

بطاوُسَ، وإذا خُلَيْدُ بنُ المنذرِ ومَن معه من المسلمين محصورُون، قد أحاط بهم العَدُوُّ من كلِّ جانبٍ، وقد تداعت عليهم تلك الأُمَمُ من كلِّ وجهٍ، وقد تكامَلَت أمدادُ المشْركين، ولم يَبْقَ إلاَّ القتالُ، فقَدِم المسلمون إليهم في أحوجِ ما هم فيه إليهم، فالتقَوْا مع المشْركين رأسًا، فكسَر أبو سَبْرَةَ المشركين كَسْرَةً عظيمةً، وقتَل منهم مَقتلَةً عظيمةً جدًّا، وأخَذ منهم أموالاً جَزيلةً باهرةً، واستنقَذ خُلَيْدًا ومَن معه من المسلمين من أيديهم، وأعزَّ اللهُ به الإسْلامَ وأهلَه، ودمَغ الشِّرْكَ وذَلَّه، ولله الحمدُ والمنَّةُ، ثم عادُوا إلى عُتْبةَ بن غَزْوانَ إلى البصرة.

ولمَّا استكمَل عتبةُ فتحَ تلك الناحية، استأذن عمرَ في الحجِّ فأذن له، فسار إلى الحجِّ، واستخلَف على البصرة أبا سَبْرَةَ بنَ أبي رُهْمٍ، واجتمَع بعمرَ في المَوْسِم، وسأله أن يُقيلَه فلم يَفعَلْ، وأقسَم عليه ليَرْجِعَنَّ إلى عَمَله. فدعا عُتْبةُ اللهَ عزَّ وجلَّ فمات ببطنِ نخلةَ، وهو منصرفٌ من الحجِّ، فتأسَّفَ عليه عمرُ، وأثنَى عليه خيرًا، وولَّى بعدَه بالبصرة المغيرة بنَ شُعْبةَ، فولَيَها بقيَّةَ تلك السنة والتي تليها، لم يَقَعْ في زمانه حَدَثٌ، وكان مرزوق السلامةِ في عمله. ثم وقَع الكلامُ في تلك المرأة من أبي بَكْرةَ، فكان من أمْره ما قدَّمْنا. ثم بعَث إليها أبا موسى الأشعَريَّ واليًا عليها، رضي اللهُ عنهم.

ذكرُ فتح تُستَرَ ثانيةً عَنْوةً والسُّوس ورامَهُرْمُزَ وأسْر الهُرْمُزان وبَعْثِه إلى عمرَ بن الخطاب رضي اللهُ عنه

قال ابنُ جرير: كان ذلك في هذه السنة في رواية سيف بن عمرَ التميميِّ. وكان سببَ ذلك أنَّ يَزْدَجِرْدَ كان يُحرِّضُ أهلَ فارسَ في كلِّ وقتٍ ويؤنِّبهم بملك العرب بلادَهم وقصدِهم إيَّاهم في حُصُونهم، فكتَب إلى أهل الأهواز وأهلِ فارسَ، فتحرَّكوا وتعاهَدُوا وتعاقَدُوا على حرب المسلمين، وأن يقصدوا البصرةَ. وبلَغ الخبرُ إلى عمرَ، فكتَب إلى سعدٍ وهو بالكوفة: أن ابعَثْ جندًا كثيفًا إلى الأهواز مع النُّعمان بن مُقَرِّنٍ، وعجِّلْ، وليَكونوا بإزاء الهُرْمُزان. وسمَّى رجالاً من الشُّجعان الأعيان الأمراء، يكونون في هذا الجيش؛ منهم جَريرُ بنُ عبد الله البَجَليُّ، وجَريرُ بنُ عبد الله الحِمْيَريُّ، وسُوَيْدُ بنُ مُقَرِّنٍ، وعبدُ الله ابنُ ذي السَّهمَين. وكتَب عمرُ إلى أبي موسى وهو بالبصرة: أن ابعَثْ إلى الأهواز جندًا كثيفًا، وأمِّرْ عليهم سُهَيْلَ بن عَديٍّ، وليَكُنْ معه البراءُ بنُ مالك، وعاصمُ ابنُ عمرو، ومَجْزَأَةُ بنُ ثَورٍ، وكَعْبُ بنُ سُورٍ، وعَرْفَجَةُ بنُ هَرْثَمةَ، وحُذَيْفَةُ بنُ مِحْصَنٍ، وعبدُ الرحمن بنُ سهلٍ، والحصينُ بنُ مَعْبَدٍ، وليَكُنْ على أهل الكوفة وأهلِ البصرة جميعًا أبو سَبْرَةَ ابنُ أبي رُهْمٍ، وعلى كلِّ مَن أتاه من المَدَد.

قالوا: فسار النُّعمانُ بنُ مُقَرِّنٍ بجيش الكوفة فسبَق البصريين، فانتهَى إلى رَامَهُرْمُزَ وبها الهُرْمُزانُ، فخرَج إليه الهُرْمُزانُ في جنده، ونقَض العهدَ بينَه وبينَ المسلمين، فبادَره طمعًا أن يقتَطِعَه قبلَ مجيء

أصحابه من أهلِ البصرة، رجاءَ أن يَنصُرَ أهلَ فارسَ، فالتقىٰ معه النُّعمانُ بنُ مُقَرِّن بأَرْبُكَ، فاقتَتَلا قتالاً شديدًا، فهُزِم الهُرْمُزانُ وفرَّ إلىٰ تُسْتَرَ، وتَرَك رامَهُرْمُزَ، فتَسَلَّمها النُّعمانُ عَنْوةً وأخذ ما فيها من الحواصلِ والذخائرِ والسلاحِ والعُدَدِ.

ولمَّا وصَل الخبرُ إلىٰ أهلِ البصرة بما صنَع الكوفيّون بالهُرْمُزان، وأنه قد فرَّ فلجَأ إلىٰ تُسْتَرَ، ساروا إليها، ولَحِقهم أهلُ الكوفة حتىٰ أحاطوا بها فحاصرُوها جميعًا، وعلىٰ الجميع أبو سَبْرَةَ، فوجَدوا الهُرْمُزانَ قد حشَد بها خلقًا كثيرًا، وجمًّا غفيرًا. وكتَبوا إلىٰ عمرَ في ذلك وسألوه أن يُمدَّهم، فكتَب إلىٰ أبي موسىٰ أن يسيرَ إليهم، فسار إليهم، وكان أميرَ أهلِ البصرة، واستمرَّ أبو سَبْرَةَ علىٰ الإمرة علىٰ جميع أهلِ الكوفة والبصرة، فحاصرَهم أشهُرًا، وكثُر القتلُ من الفريقَين، وقتَل البَراءُ بنُ مالك أخو أنسِ بنِ مالك يومئذٍ مائةَ مُبارِزةٍ سوىٰ مَن قَتَل غيرَ ذلك، وكذلك فعَل كَعْبُ بنُ سُورٍ، ومَجْزَأَةُ ابنُ ثورٍ، وأبو تَميمةَ، وغيرُهم من أهلِ البصرة، وكذلك أهلُ الكوفة قتَل منهم جماعةٌ مائةَ مُبارَزةٍ؛ كحَبيبِ بنِ قُرَّةَ، ورِبْعيِّ بنِ عامرٍ، وعامرِ بنِ عبد الأَسْوَدِ، وقد تزاحَفوا أيامًا متعددةً، حتىٰ إذا كان في آخرِ زحفٍ قال المسلمون للبَراءِ بنِ مالك -وكان مُجابَ الدعوة-: يا بَراءُ، أقسِمْ علىٰ ربِّك ليهزِمَنَّهم لَنا. فقال: اللهمَّ اهزِمْهم لَنا، واستَشْهِدْني. قال: فهزَمَهم المسلمون حتىٰ أدخَلوهم خَنادقَهم واقتَحَموها عليهم، ولَجَأ المشركون إلىٰ البلد فتَحصَّنوا به، وقد ضاقَت بهم البلدُ، وطلَب رجلٌ من أهلِ البلدِ الأمانَ من أبي موسىٰ فأمَّنَه، فبعَث يَدُلُّ المسلمين علىٰ مكانٍ يدخُلون منه إلىٰ البلَد، وهو من مَدْخَلِ الماء إليها، فندَب الأمراءُ الناسَ إلىٰ ذلك، فانتَدَب لذلك رجالٌ من الشُّجعان والأبطالِ، وجاءُوا فدخَلوا مع الماء -كالبَطِّ- إلىٰ البلدِ، وذلك في الليلِ، فيُقالُ: كان أولَ مَن دخَلها من المسلمين عبدُ الله بنُ مُغَفَّلٍ المُزَنيُّ، وجاءُوا إلىٰ البوَّابين فأناموهم وفتَحوا الأبوابَ، وكبَّر المسلمون فدخَلوا البلدَ، وذلك في وقتِ الفجرِ إلىٰ أن تعالَىٰ النهارُ، ولم يُصلُّوا الصبحَ يومئذٍ إلاَّ بعدَ طلوعِ الشمسِ، كما حكاه البخاريُّ، عن أنسِ بنِ مالك قال: شَهِدتُ فتحَ تُسْتَرَ، وذلك عندَ إضاءةِ الفجرِ، فاشتغَل الناسُ بالفتحِ، فما صَلَّوُا الصُّبحَ إلاَّ بعد طلوعِ الشمسِ، فما أُحِبُّ أنَّ لي بتلك الصلاةِ حُمْرَ النَّعَمِ. احتجَّ بذلك البخاريُّ لمكحولٍ والأوزاعيِّ في ذَهابِهما إلىٰ جَوازِ تأخيرِ الصلاةِ لعُذْرِ القتالِ. وجنَح إليه البخاريُّ، واستدَلَّ بقصة الخندقِ في قوله ﷺ: « **شَغَلُونا عن الصلاة الوُسْطَىٰ، ملأ اللهُ قُبورَهم وبيوتَهم نارًا** » . (١) وبقوله يومَ بني قُرَيْظَةَ: «**لا يُصلِّيَنَّ أحدٌ منكُمُ العصرَ إلاَّ في بَني قُرَيْظَةَ**» . فأخَّرَها فريقٌ من الناسِ إلىٰ ما بعدَ غُروبِ الشمسِ، ولم يُعنِّفْهم (٢) . وقد تَكلَّمْنا علىٰ ذلك في غزوةِ الفتحِ.

والمقصودُ أنَّ الهُرْمُزانَ لَمَّا فُتِحتِ البلدُ لجَأ إلىٰ القَلعةِ فتَبِعه جَماعةٌ من الأبطالِ ممَّن ذكَرْنا وغيرِهم،

---

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم وغيره.
(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٢/ ١٩) ط. دار إحياء التراث العربي ومسلم وغيرهما من حديث ابن عمر.

فلمّا حصَروه في مكانٍ مِن القَلْعة ولم يَبْقَ إلاّ تَلَفُه أو تَلَفُهُم، قال لهم بعدَ ما قَتَل البَراءَ بنَ مالكٍ ومَجْزَأةَ بنَ ثَوْرٍ، رحمهما اللهُ: إنَّ معي جَعْبَةً فيها مائةُ سَهْمٍ، وإنّه لا يَتقدَّمُ إليَّ أحدٌ منكم إلاّ رمَيْتُه بسَهْمٍ فقتَلْتُه، ولا يَسقُطُ لي سَهْمٌ إلاّ في رجلٍ منكم، فماذا يَنفَعُكم إن أسَرْتُموني بعدَما قَتَلْتُ منكم مائةَ رجلٍ؟ قالوا: فماذا تُريدُ؟ قال: تُؤمِّنُوني حتى أُسْلِمَكم يَدَيَّ فتَذهَبوا بي إلى عمرَ بنِ الخطابِ فيَحكُمَ فيَّ بما يشاءُ. فأجابوه إلى ذلك، فألقَى قوسَه ونُشّابَه وأسَرُوه، فشَدُّوه وَثاقًا وأرصَدوه ليبعثوه إلى أميرِ المؤمنين عمر، ثم تَسلَّموا ما في البلدِ مِن الأموالِ والحواصلِ، فاقتسَموا أربعةَ أخماسِه، فنال كلُّ فارسٍ ثلاثةَ آلافٍ، وكلُّ راجلٍ ألفَ درهمٍ.

فتح السُّوس

ثم ركب أبو سَبْرَةَ في طائفةٍ مِن الجيشِ ومعه أبو موسى الأشعريُّ والنُّعمانُ بنُ مُقَرِّنٍ، واستصحَبوا معهم الهُرْمُزانَ، وساروا في طَلَبِ المنهزِمين مِن الفُرْسِ حتى نزَلوا على السُّوسِ، فأحاطوا بها. وكتَب أبو سَبْرَةَ إلى عمرَ فجاءَ الكتابُ بأن يَرجِعَ أبو موسى إلى البصرةِ، وأمَر عمرُ زِرَّ ابنَ عبدِ الله بنِ كُلَيْبٍ الفُقَيْميَّ -وهو صحابيٌّ- أن يَسيرَ إلى جُنْدَيْسابُورَ، فسار، ثم بعَث أبو سَبْرَةَ بالخُمُسِ وبالهُرْمُزانِ مع وَفْدٍ فيهم أنسُ بنُ مالكٍ والأحنفُ بنُ قَيْسٍ، فلمّا اقترَبوا مِن المدنيةِ هَيَّئوا الهُرْمُزانَ بلُبْسِه الذي كان يَلبَسُه مِن الدِّيباجِ والذَّهبِ المُكَلَّلِ بالياقُوتِ واللآلئِ، ثم دخَلوا المدينةَ وهو كذلك، فتيَمَّموا به مَنزِلَ أميرِ المؤمنين، فسألوا عنه فقالوا: إنَّه ذهَب إلى المسجدِ بسببِ وفدٍ مِن الكوفة. فجاءُوا المسجدَ فلم يَرَوْا أحدًا فرَجَعوا، فإذا غِلْمانٌ يَلعَبون فسألوهم عنه، فقالوا: إنَّه نائمٌ في المسجدِ مُتوسِّدًا بُرْنُسًا له. فرَجَعوا إلى المسجدِ فإذا هو مُتوسِّدٌ بُرْنُسًا له كان قد لَبِسه للوفدِ، فلمّا انصرَفوا عنه توَسَّد البُرْنُسَ ونام وليس في المسجدِ غيرُه، والدِّرَّةُ مُعلَّقةٌ في يده. فقال الهُرْمُزانُ: أينَ عمرُ؟ فقالوا: هو ذا. وجعَل الناسُ يَخفِضون أصواتَهم لئلاَّ يُنبِّهُوه، وجعَل الهُرْمُزانُ يقولُ: وأين حُجّابُه، أين حَرَسُه؟ فقالوا: ليس له حُجّابٌ ولا حَرَسٌ، ولا كاتبٌ ولا ديوانٌ. فقال: يَنبغي أن يكونَ نَبيًّا. فقالوا: بل يَعمَلُ عملَ الأنبياء. وكَثُر الناسُ، فاستيقَظ عمرُ بالجَلَبةِ فاستوَى جالسًا، ثم نظَر إلى الهُرْمُزانِ، فقال: الهُرْمُزانُ؟ قالوا: نعم. فتأمَّلَه وتأمَّلَ ما عليه، ثم قال: أعُوذُ باللهِ مِن النارِ، وأستعينُ باللهِ. ثم قال: الحمدُ للهِ الذي أذَلَّ بالإسلامِ هذا وأشياعَه، يا معشرَ المسلمين تَمسَّكوا بهذا الدِّينِ، واهتَدُوا بهُدَى نَبيِّكم، ولا تُبْطِرَنَّكم الدُّنيا فإنَّها غَرّارةٌ. فقال له الوفدُ: هذا مَلِكُ الأهوازِ فكَلِّمْه. فقال: لا؛ حتى لا يَبقَى عليه مِن حِلْيَتِه شيءٌ. ففعَلوا ذلك وألبَسوه ثوبًا صفيقًا، فقال عمرُ: هِيَّ يا هُرْمُزانُ! كيفَ رأيتَ وَبالَ الغدرِ وعاقبةَ أمرِ الله؟ فقال: يا عمرُ، إنّا وإيّاكم في الجاهليةِ كان اللهُ قد خَلَّى بينَنا وبينَكم فغلَبْناكم، إذ لم يكنْ معنا ولا معكم، فلمّا كان معكم غَلَبتُمونا. فقال عمرُ: إنَّما غلبتُمونا في الجاهليةِ باجتماعِكم وتفرُّقِنا. ثم قال عمرُ: ما عُذرُك وما

حُجَّتك في انتقاضك مرةً بعدَ مرةٍ؟ فقال: أخافُ أن تَقتُلَني قبلَ أن أُخبرَك. قال: لا تَخَفْ ذلك. واستسقَى الهُرْمُزانُ ماءً، فأُتِي به في قَدَحٍ غليظٍ، فقال: لو متُّ عطشًا لم أستطعْ أن أشربَ في هذا. فأُتِيَ به في قَدَحٍ آخَرَ يرضاه، فلمَّا أخَذه جَعَلت يدُه ترعُدُ، وقال: إنِّي أخافُ أن أُقتَلَ وأنا أشرَبُ. فقال عمرُ: لا بأسَ عليك حتى تَشربَه. فأكفَأه، فقال عمرُ: أعِيدُوه عليه، ولا تَجمَعوا عليه القتلَ والعَطَشَ. فقال: لا حاجةَ لي في الماءِ، إنَّما أردْتُ أن أستأنِسَ به. فقال له عمرُ: إنِّي قاتِلُك. فقال: إنَّك قد أمَّنتَني. قال: كذَبْتَ. فقال: أنَسٌ: صدَق يا أميرَ المؤمنين. فقال عمرُ: وَيْحَك يا أنسُ، أنا أُؤَمِّنُ قاتِلَ مجزَأَةَ والبَراءِ! لتأتِيَنِّي بمَخرَجٍ أو لأُعاقِبَنَّكَ. قال: قلتَ: لا بأسَ عليك حتى تُخبِرَني. وقلتَ: لا بأسَ عليك حتى تَشربَه. وقال له مَن حوله مثلَ ذلك. فأقبَل على الهُرْمُزانِ، فقال: خَدعْتَني، والله لا أنخَدعُ إلا أن تُسلِمَ. فأسلَم، ففرَض له في ألفَين وأنزَله المدينةَ.

وفي روايةٍ أنَّ التُّرجُمانَ بينَ عمرَ وبينَ الهُرْمُزانِ كان المغيرةَ بنَ شُعْبةَ، فقال له عمرُ: قل له: مِن أيِّ أرضٍ أنتَ؟ فقال: مِهْرِجانيٌّ. قال: تَكلَّمْ بحُجَّتِك. فقال: أكلامُ حيٍّ أم ميِّتٍ؟ قال: بل كلامُ حيٍّ. فقال: قد أمَّنتَني. فقال: خدَعْتَني ولا أقبَلُ ذلك إلا أن تُسلِمَ. فأَسْلَمَ، ففرَض له في ألفَين وأنزَلَه المدينةَ. ثم جاء زيدٌ فترْجَم بينَهما أيضًا.

قلتُ: قد حسُن إسلامُ الهُرْمُزانِ، وكان لا يُفارِقُ عمرَ حتى قتِل عمرُ، فاتَّهَمه بعضُ الناسِ بِمُمالأةِ أبي لُؤْلُؤَةَ هو وجُفَيْنةُ، فقتَل عبيدُ الله بنُ عمرَ الهُرْمُزانَ وجُفَيْنةَ، على ما سيأتي تفصيلُه.

وقد رُوِّينا أنَّ الهُرْمُزانَ لمّا عَلاه عبيدُ الله بالسيفِ قال: لا إلهَ إلاَّ اللهُ. وأمّا جُفَيْنةُ فصلَّب على وجهِه.

والمقصودُ أنَّ عمرَ كان يَحجُرُ على المسلمين أن يَتوسَّعوا في بلادِ العَجَمِ؛ خوفًا عليهم مِن العَجَمِ، حتى أشار عليه الأحْنفُ بنُ قَيْسٍ بأنَّ المصلحةَ تَقتَضي توسُّعَهم في الفُتوحاتِ، فإنَّ المَلِكَ يَزْدَجِرْدَ لا يَزالُ يَستحِثُّهم على قِتالِ المسلمين، وإن لم يُستأصَلْ ساقُ العَجَمِ وإلاَّ طَمِعوا في الإسلامِ وأهلِه، فاستحسَنَ عمرُ ذلك منه وصَوَّبَه، وأذِن للمسلمين في التَّوسُّعِ في بلادِ العَجَمِ، ففتَحوا بسببِ ذلك شيئًا كثيرًا، ولله الحمدُ. وأكثرُ ذلك وقَع في سنةِ ثمانيَ عَشْرَةَ، كما سيأتي بيانُه فيها.

ثم نَعودُ إلى فتحِ السُّوسِ وجُنْدَيْسابُورَ وفتحِ نَهاوَنْدَ في قولِ سَيْفٍ، كان قد تَقدَّم أنَّ أبا سَبْرَةَ سار بمَن معه مِن عِلْيةِ الأُمراءِ مِن تُسْتَرَ إلى السُّوسِ، فنازَلها حِينًا، وقتِل مِن الفَريقَين خلقٌ كثيرٌ، فأشرَف عليه علماءُ أهلِها فقالوا: يا مَعشَرَ المسلمين، لا تَتْعَبوا في حصارِ هذا البلد فإنَّا نأثُرُ فيما نَرويه عن قُدمائِنا مِن أهلِ هذا البلدِ أنَّه لا يَفتَحُه إلاَّ الدَّجالُ أو قومٌ معهم الدَّجالُ. واتَّفَق أنَّه كان في جيشِ أبي موسى الأشْعَريِّ صافُ بنُ صَيّادٍ، فأرسَلَه أبو موسى في مَن يُحاصِرُ، فجاء إلى البابِ فدَقَّه برِجْلِه، فتقَطَّعَتِ السَّلاسِلُ، وتَكسَّرَتِ الأغلاقُ، ودخَل المسلمون البلدَ فقتَلوا مَن وجَدوا حتى نادَوْا بالأمانِ ودَعوْا إلى الصُّلحِ، فأجابوهم إلى ذلك، وكان على السُّوسِ شَهْرِيارُ أخو الهُرْمُزانِ، فاستحوَذَ المسلمون على السُّوسِ، وهو بلدٌ قديمُ العِمارةِ في الأرضِ، يقالُ: إنَّه أولُ بلدٍ وُضِع على وجهِ

الأرضِ. واللهُ أعلمُ.

وذكَر ابنُ جرير أنَّهم وجَدوا قبرَ دانيالَ بالسُّوسِ، وأنَّ أبا موسى لمَّا أقام بها بعدَ مُضِيِّ أبي سَبْرَةَ إلى جُنْدَيْسابُورَ، كتَب إلى عمرَ في أمرِه، فكتَب إليه أن يَدْفِنَه وأن يُغَيِّبَ عن الناسِ مَوضعَ قبرِه، ففعَل. وقد بسَطْنا ذلك في «سيرةِ عمرَ». ولله الحمدُ.

قال ابنُ جرير: وقال بعضُهم: إن فَتْحَ السُّوسِ ورامَهُرْمُزَ وتَسْييرَ الهُرْمُزانِ من تُسْتَرَ إلى عمرَ، في سنة عشرين. واللهُ أعلمُ.

وكان الكتابُ العُمَريُّ قد ورَد بأنَّ النُّعمانَ بنَ مُقَرِّنٍ يَذهَبُ إلى أهلِ نَهاوَنْدَ، فسار إليها فمرَّ بماه - بلدةٍ كبيرةٍ قبلَها - فافتتَحها ثم ذهَب إلى نَهاوَنْدَ ففتَحها. ولله الحمدُ.

قلتُ: المشهورُ أنَّ فتحَ نَهاوَنْدَ إنَّما وقَع في سَنة إحدَى وعشرين، كما سيأتي فيها بيانُ ذلك، وهي وَقْعةٌ عظيمةٌ، وفتحٌ كبيرٌ، وخبرٌ غريبٌ، ونَبَأٌ عجيبٌ. وفتَح زِرُّ بنُ عبدِ الله الفُقَيْميُّ مدينةَ جُنْدَيْسابُورَ، فاسْتَوْسَقَت تلك البلادُ للمسلمين. هذا وقد تَحوَّل يَزْدَجِرْدُ من بلدٍ إلى بلدٍ، حتى انتهَى أمْرُه إلى الإقامةِ بأصبهانَ، وقد كان صرَف طائفةً من أشرافِ أصحابِه قريبًا من ثلاثمائةٍ من العُظَماءِ عليهم رجلٌ يقالُ له: سِياهُ. فكانوا يَفِرُّون من المسلمين من بلدٍ إلى بلدٍ، حتى فتَح المسلمون تُسْتَرَ وإصْطَخْرَ، فقال سِياهُ لأصحابِه: إنَّ هؤلاءِ بعدَ الشَّقاءِ والذِّلَّةِ ملَكُوا أماكنَ الملوكِ الأقدَمين، ولا يلقَوْن جُندًا إلَّا كسَرُوه، واللهِ ما هذا عن باطلٍ، ودخَل في قلبِه الإسلامُ وعظَمتُه، فقالوا له: نحنُ تَبَعٌ لك. وبعَث عَمارُ بنُ ياسرٍ في غُبُونِ ذلك يَدعوهم إلى اللهِ، فأرسَلوا إلى أبي موسى الأشعريِّ بإسلامِهم، وكتَب فيهم إلى عمرَ في ذلك، فأمَرَه أن يَفرِضَ لهم في ألفَين ألفَين، وفرَض لستَّةٍ منهم في ألفَين وخَمسمائةٍ، وحسُن إسلامُهم. وكانت لهم نِكايةٌ عظيمةٌ في قتالِ قومِهم، حتى بلَغ من أمرِهم أنَّهم حاصَروا حصنًا فامتنَع عليهم، فجاءَ أحدُهم فرمَى بنفسِه في الليلِ على بابِ الحصنِ وضَمَّخ ثيابَه بدَمٍ، فلمَّا نظَروا إليه حَسِبوا أنَّه منهم، ففتَحوا له بابَ الحصنِ ليَأْوُوه، فثار إلى البوَّابِ فقتَله، وجاء بَقِيَّةُ أصحابِه ففتَحوا ذلك الحصنَ، وقتَلوا مَن فيه من المجوسِ. إلى غيرِ ذلك من الأُمورِ العجيبةِ، واللهُ يَهدي مَن يشاءُ إلى صراطٍ مستقيمٍ.

وذكَر ابنُ جرير أنَّ عمرَ بنَ الخطابِ عقَد الألويةَ والراياتِ الكثيرةَ في بلادِ خُراسانَ والعراقِ لغَزْوِ الفُرْسِ والتَّوسُّعِ في بلادِهم، كما أشار عليه بذلك الأحنفُ بنُ قيسٍ، فحصَل بسببِ ذلك فُتوحاتٌ كثيرةٌ في السَّنة المستقبَلة بعدَها، كما سنُبَيِّنُه ونُنَبِّهُ عليه. ولله الحمدُ والمِنَّةُ.

قال: وحَجَّ بالناسِ في هذه السَّنة أميرُ المؤمنين عمرُ بنُ الخطابِ. ثم ذكَر نُوَّابَه على البلادِ، وهم مَن ذكَر في السنة قبلَها غيرَ المُغيرة، فإنَّ على البصرة بَدَلَه أبا موسى الأشْعَريَّ.

قلتُ: وقد تُوُفِّيَ في هذه السَّنة أقوامٌ، قيلَ: إنَّهم تُوفُّوا قبلَها. وقد ذكَرْناهم. وقيلَ: فيما بعدَها. وسيأتي ذِكرُهم في أماكنِهم. واللهُ تعالى أعلمُ.

ثم دخلت سنة ثماني عشرة

المشهورُ الذي عليه الجمهورُ أنَّ طاعونَ عَمَواسَ كان بها، وقد تَبِعْنا قولَ سيفِ بنِ عمرَ، وابنِ جَريرٍ في إيرادِه ذلك في السَّنةِ التي قبلَها، لكنَّا نَذكُرُ وَفاةَ مَن ماتَ في الطاعونِ في هذه السَّنةِ، إن شاءَ اللهُ تعالىٰ.

قال ابنُ إسحاقَ، وأبو مَعْشَرٍ: كان في هذه السَّنةِ طاعونُ عَمَواسَ، وعامُ الرَّمادةِ، فتَفانَىٰ فيها الناسُ.

قلتُ: كان في عامِ الرمادةِ جَدبٌ عَمَّ أرضَ الحجازِ، وجاعَ الناسُ جوعًا شديدًا، وقد بَسَطْنا القولَ في ذلك في «سيرةِ عمرَ». وسُمِّيَت عامَ الرَّمادةِ لأنَّ الأرضَ اسودَّت من قِلَّةِ المَطَرِ، حتىٰ عاد لونُها شبيهًا بالرَّمادِ. وقيلَ: لأنَّها كانت تَسْفي الرِّيحُ تُرابًا كالرَّمادِ. ويُمكنُ أن تكونَ سُمِّيت لكلٍّ منهما، واللهُ أعلمُ.

وقد أجدَب الناسُ في هذه السَّنةِ بأرضِ الحجازِ، وجَفَلَتِ الأحياءُ إلىٰ المدينةِ ولم يَبْقَ عندَ أحدٍ منهم زادٌ، فلَجَئُوا إلىٰ أميرِ المؤمنين فأنفَق فيهم من حواصلِ بيتِ المالِ مما فيه من الأطعمةِ والأموالِ حتىٰ أنفَدَه، وألزَم نفسَه أن لا يأكُلَ سمنًا ولا سَمينًا حتىٰ يُكْشَفَ ما بالناسِ، فكان في زَمَنِ الخِصْبِ يُبَسُّ له الخبزُ باللَّبنِ والسَّمْنِ، ثم كان عامَ الرَّمادةِ يُبَسُّ له بالزيتِ والخَلِ، وكان يَستمرئُ الزيتَ، وكان لا يَشبَعُ مع ذلك، فاسودَّ لونُ عمرَ -رضي اللهُ عنه- وتَغيَّر جسمُه حتىٰ كاد يُخشَىٰ عليه من الضَّعفِ. واستمَرَّ هذا الحالُ في الناسِ تِسْعةَ أشهُرٍ، ثم تَحوَّل الحالُ إلىٰ الخِصْبِ والدَّعَةِ، وانشَمَرَ الناسُ عن المدينةِ إلىٰ أماكنِهم.

قال الشافعيُّ: بلَغَني أنَّ رجلاً من العربِ قال لعمرَ حينَ تَرحَّل الأحياءُ عن المدينةِ: لقد انجلَت عنك وإنَّك لابْنُ حُرَّةٍ. أي واسَيْتَ الناسَ وأنصفْتَهم وأحسنْتَ إليهم. وقد رُوِّينا أنَّ عمرَ عَسَّ المدينةَ ذاتَ ليلةٍ في عامِ الرَّمادةِ فلم يَجِدْ أحدًا يَضحَكُ، ولا يَتحدَّثُ الناسُ في منازلِهم علىٰ العادةِ، ولم يَجِدْ سائلاً يسألُ، فسأل عن سببِ ذلك، فقيلَ له: يا أميرَ المؤمنين، إنَّ السُّؤَّالَ سألوا فلم يُعطَوْا فقطَعوا السُّؤَالَ، والناسُ في هَمٍّ وضيقٍ، فهم لا يَتحدَّثون ولا يَضحكون. فكتَب عمرُ إلىٰ أبي موسىٰ بالبصرةِ: أنْ ياغَوْثاهُ لأُمَّةِ محمدٍ. وكتَب إلىٰ عمرِو بنِ العاصِ بمصرَ: أنْ يا غَوْثاهُ لأُمَّةِ محمدٍ. فبعَث إليه كلُّ واحدٍ منهما بقافلةٍ عظيمةٍ تَحملُ البُرَّ وسائرَ الأطعماتِ، ووصلَت ميرةُ عمرٍو في البحرِ إلىٰ جُدَّةَ ومن جُدَّةَ إلىٰ مَكَّةَ. وهذا الأثرُ جَيِّدُ الإسنادِ، لكنْ ذِكرُ عمرِو بنِ العاصِ في عامِ الرَّمادةِ مُشْكِلٌ؛ فإنَّ مصرَ لم تَكُنْ فُتِحت في سنةِ ثمانيَ عَشْرةَ، فإمَّا أن يكونَ عامُ الرَّمادةِ بعدَ سنةِ ثمانيَ عَشْرةَ، أو يكونَ ذِكرُ عمرِو بنِ العاصِ في عامِ الرَّمادةِ وَهْمٌ، واللهُ أعلمُ.

وذكَر سيفٌ، عن شُيوخِه، أنَّ أبا عُبيدةَ قدِم المدينةَ ومعه أربعةُ آلافِ راحلةٍ تَحملُ طَعامًا، فأمَرَه

عمرُ بتفرقتها في الأحياء حولَ المدينة، فلمَّا فرَغ من ذلك أمَرَ له عمرُ بأربعة آلاف درهم، فأبَىٰ أن يقبَلَها، فألَحَّ عليه عمرُ حتىٰ قَبِلها.

وذكَر ابنُ جَرير في هذه السَّنة من طريق سيف بن عمرَ، عن أبي المُجالد، والرَّبيع، وأبي عثمانَ وأبي حارثةَ، وعن عبد الله بن شُبْرُمَةَ، عن الشَّعْبيِّ، قالوا: كتَب أبو عُبيدةَ إلىٰ عمرَ بن الخطاب: إنَّ نَفَرًا من المسلمين أصابوا الشَّرابَ - منهم ضِرارٌ وأبو جَنْدَل بنُ سُهَيْل - فسألْناهم فقالوا: خُيِّرْنا فاخترْنا؛ قال: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المائدة: ٩١]. ولم يَعزِمْ علَيْنا. فجمَع عمرُ الناسَ فأجمَعوا علىٰ خلافهم، وأنَّ المعنَىٰ في قوله: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ أي انتَهُوا. وأجمَعوا علىٰ جَلْدهم ثمانين ثمانين، وأنَّ مَن تأوَّلَ هذا التأويلَ وأصرَّ عليه يُقتَلُ. فكتَب عمرُ إلىٰ أبي عُبيدةَ؛ أن ادْعُهم فسَلْهم عن الخمر؛ فإن قالوا: هي حَلالٌ. فاقتُلْهم، وإن قالوا: هي حَرامٌ. فاجْلِدْهم. فاعترَف القومُ بتحريمها، فجُلِدوا الحَدَّ ونَدِموا علىٰ ما كان منهم من اللَّجاجة فيما تأوَّلوه، حتىٰ وُسْوِس أبو جَنْدَل في نفسه، فكتَب أبو عُبيدَة إلىٰ عمرَ في ذلك، وسأله أن يكتبَ إلىٰ أبي جَنْدَل ويُذكِّرَه، فكتَب إليه عمرُ بنُ الخطاب في ذلك: من عمرَ إلىٰ أبي جَنْدَل، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨]. فتُبْ وارفَعْ رأسَك وابرُزْ ولا تَقنَطْ، فإنَّ اللهَ تعالىٰ يقولُ: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣]. وكتَب عمرُ إلىٰ الناس أن عليكم أنفسَكم، ومَن غَيَّرَ فَغَيِّروا عليه، ولا تُعَيِّروا أحدًا فيَفشُوَ فيكم البَلاءُ. وقد قال أبو الزَّهراء القُشَيْريُّ في ذلك:

ألَمْ تَرَ أنَّ الدَّهرَ يَعْثُرُ بالفَتَىٰ	وليسَ علىٰ صَرْفِ المَنُونِ بقادرِ
صَبَرْتُ ولم أجْزَعْ وقد ماتَ إخوَتي	ولَسْتُ عن الصَّهْباء يومًا بصابرِ
رماها أميرُ المؤمنينَ بحَتْفِها	فخُلَّانُها يَبكُونَ حولَ المَعاصِرِ

قال سيفُ بنُ عمرَ، عن سَهْل بن يُوسُفَ السُّلَميِّ، عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك، قال: كان عامُ الرَّمادة في آخرِ سَنة سَبْعَ عَشْرَةَ، وأوَّلَ سنة ثمانيَ عَشْرَةَ، أصابَ أهلَ المدينة وما حولَها جُوعٌ فهلَك كثيرٌ من الناس، حتىٰ جَعَلَت الوَحْشُ تأوي إلىٰ الإنس. فكان الناسُ كذلك وعمرُ كالمحصور عن أهلِ الأمصار، حتىٰ أقبلَ بلالُ بنُ الحارث المُزَنيُّ فاستأذَن علىٰ عمرَ، فقال: أنا رسولُ رسول الله ﷺ إليك، يقولُ لك رسولُ الله ﷺ: «لقد عَهِدتُك كَيِّسًا، وما زلتَ على ذلك، فما شأنُك؟». قال: متىٰ رأيتَ هذا؟ قال: البارحةَ. فخرَج فنادَىٰ في الناس: الصلاةَ جامعةً. فصلَّىٰ بهم ركعتَيْن، ثم قام فقال: أيُّها الناسُ أنشُدُكمُ اللهَ هل تَعلَمُون منِّي أمرًا غيرُه خيرًا منه؟ قالوا: اللَّهمَّ لا. فقال: إن بلالَ ابنَ الحارث يَزعُمُ ذَيْتَ وذَيْتَ. فقالوا: صدَق بلالٌ، فاستَغِثْ بالله ثم بالمسلمين. فبعَث إليهم - وكان عمرُ عن ذلك محصورًا - فقال عمرُ: اللهُ أكبرُ، بلَغ البَلاءُ مُدَّتَه فانكشَف، ما أُذِن لقوم في الطَّلَب إلا

وقد رُفع عنهم البَلاءُ. وكتَب إلىٰ أُمراءِ الأمصارِ أن أعِينُوا أهلَ المدينةِ ومَن حولَها، فإنَّه قد بلَغ جَهْدُهم. وأخرَج الناسَ إلىٰ الاستسقاءِ، فخرَج وخرَج معه العَباسُ بنُ عبدِ المُطّلبِ ماشيًا، فخطَب وأوجَز وصلَّىٰ ثم جثَىٰ لرُكْبتَيْه وقال: اللَّهمَّ إيَّاكَ نَعبُدُ وإيّاكَ نَستَعِينُ، اللَّهمَّ اغفِرْ لَنا وارحَمْنا وارْضَ عنا. ثم انصرَف فما بلَغوا المنازِلَ راجعِين حتىٰ خاضُوا الغُدْرانَ[1] .

ثم روَىٰ سيفٌ، عن مُبَشِّرِ بنِ الفُضَيْلِ، عن جُبَيْرِ بنِ صَخْرٍ، عن عاصمِ بنِ عمرَ بنِ الخطابِ، أن رجلاً مِن مُزَيْنةَ عامَ الرَّمادةِ سأله أهلُه أن يَذبَحَ لهم شاةً، فقال: ليس فيهن شيء. فألَحُّوا عليه فذَبَح شاةً، فإذا عِظامُها حُمْرٌ، فقال: يا مُحمّداه. فلمّا أمسَىٰ أُرِي في المنامِ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ له: «أبشِرْ بالحَيا، ائتِ عمرَ فَأَقْرِئْه منِّي السَّلامَ وقلْ له: إنَّ عَهدِي بك وَفِيُّ العهدِ، شَدِيدَ العَقْدِ، فالكَيْسَ الكَيْسَ يا عمرُ». فجاء حتىٰ أتَىٰ بابَ عمرَ فقال لغُلامِه: استأذِنْ لرسولِ رسولِ اللهِ ﷺ. فأتَىٰ عمرَ فأخبرَه ففَزِع ثم صَعِد عمرُ المِنبَرَ فقال للناسِ: أَنشُدُكم بالذي هداكم للإسلامِ، هل رأيتُم منِّي شيئًا تكرَهونه؟ فقالوا: اللهمَّ لا، وعمَّ ذاك؟ فأخبَرهم بقولِ المزَنِيِّ - وهو بِلالُ بنُ الحارثِ - ففَطِنوا ولم يَفطَنْ. فقالوا: إنَّما استَبْطَأَك في الاستسقاءِ فاستَسْقِ بِنا. فنادَىٰ في الناسِ، فخطَب فأوجَز، ثم صلَّىٰ ركعتَين فأوجَز، ثم قال: اللَّهُمَّ عَجَزَت عنا أنصارُنا، وعجَز عنا حَوْلُنا وقُوَّتُنا، وعجَزت عنا أنْفُسُنا، ولا حَوْلَ ولا قوةَ إلاّ بك، اللَّهم فاسْقِنا وأحْيِ العبادَ والبلادَ[2] .

وقال الحافظُ أبو بكرٍ البَيْهَقيُّ: أخبرَنا أبو نَصْرِ بنُ قَتادةَ وأبو بكرٍ الفارِسيُّ قالا: حدثنا أبو عَمْرِو بنُ مَطَرٍ، حدَّثَنا إبراهيمُ بنُ عليٍّ الذُّهْلِيُّ، حَدَّثَنا يَحْيَىٰ بنُ يَحْيَىٰ، حَدَّثَنا أبو مُعاوِيةَ، عن الأعْمَشِ، عن أبي صالحٍ، عن مالكٍ قال: أصابَ الناسَ قَحْطٌ في زمانِ عمرَ بنِ الخطابِ، فجاء رجلٌ إلىٰ قبرِ النبيِّ ﷺ، فقال: يا رسولَ الله استَسْقِ اللهَ لأُمَّتك فإنَّهم قد هَلَكوا. فأتاه رسولُ اللهِ ﷺ في المَنامِ، فقال: «**ائْتِ عمرَ فأقْرِئْه منِّي السَّلامَ وأخْبِرْه أنَّكم مُسْقَوْن، وقُلْ له عليكَ الكَيْسَ الكَيْسَ**». فأتَىٰ الرجلُ فأخبَرَ عمرَ فقال: يا رَبِّ ما آلُو إلاَّ ما عجَزتُ عنه[3] . وهذا إسنادٌ صحيحٌ.

وقال الطبرانيُّ: حَدَّثَنا أبو مسلمٍ الكَشّيُّ، ثنا محمدُ بنُ عبدِ اللهِ الأنصاريُّ، ثنا أبي، عن ثُمامَةَ ابنِ عبدِ اللهِ بنِ أنَسٍ، عن أنَسٍ أنَّ عمرَ - رضِي اللهُ عنه - خرَج يستَسْقِي وخرَج بالعباسِ معه

---

(١) هذا من رواية سيف بن التميمي وهو متروك. (٢) هذا من رواية سيف بن عمر التميمي.

(٣) **في إسناده من لم أقف على ترجمته**: أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٧/ ٤٧) وفي إسناده أبو بكر بن علي الذهلي والصحيح إبراهيم بن علي الذهلي فهو الذي يروي عنه كما في «السير» (١٠/ ٥١٢) ومالك هذا هو ابن عياض مولىٰ عمر بن الخطاب أورده ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٨/ ٢١٣) ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلاً ولم أقف فيه علىٰ توثيق معتبر وإبراهيم بن علي أيضًا لم أقف علىٰ ترجمته ولا أدري ما حجة الحافظ ابن كثير في تصحيح إسناد هذا الخبر. وهذا الخبر مخالف لما عليه أهل السنة من عدم سماع الموتىٰ والأدلة علىٰ هذا متكاثرة، فلا يصح دعاء صاحب قبر حتىٰ ولو كان نبيًا.

يَستَسْقِي، فيَقولُ: **اللَّهمَّ إنّا كنا إذا قَحطْنا علىٰ عهدِ نَبِيِّنا تَوَسَّلْنا إليك بنَبِيِّنا، وإنّا نَتوَسَّلُ إليك بعَمِّ نَبِيِّنا ﷺ**[1] . وقد رَواه البخاريُّ، عن الحسنِ بنِ محمدٍ، عن محمدِ بنِ عبدِ الله الأنصاريِّ، به، **ولفظُه: عن أنسٍ، أنَّ عمرَ كان إذا قَحطُوا يَستَسْقِي بالعَباسِ بنِ عبدِ المُطَّلِب، فيقول: اللَّهمَّ إنَّا كُنَّا نَتوَسَّلُ إليك بنَبِيِّنا فتَسْقِينا، وإنَّا نَتوَسَّلُ إليك بعَمِّ نَبِيِّنا فاسْقِنا. قال: فيُسقَوْنَ**[2] .

وقال أبو بكرِ ابنُ أبي الدُّنيا في «كتابِ المَطَر»، وفي كتابِ «مُجابِي الدَّعوة»: حَدَّثَنا أبو بكرٍ الشَّيْبانيُّ، ثنا عَطاءُ بنُ مسلمٍ، عن العُمَرِيِّ، عن خَوّاتِ بنِ جُبَيْرٍ، قال: خرَج عمرُ يَستسقِي بهم فصلَّىٰ ركعتَيْن، فقال: اللَّهمَّ إنَّا نَستغفِرُك ونَستسقِيك. فما بَرِح مِن مَكانِه حتىٰ مُطِروا، فقَدِم أعرابٌ فقالوا: يا أميرَ المؤمنين بينَا نحنُ بوادِينا في ساعةِ كذا إذ أظَلَّتْنا غَمامةٌ فسَمِعْنا منها صوتًا: أتاكَ الغَوْثُ أبا حفصٍ، أتاك الغَوْثُ أبا حفصٍ[3] .

وقال ابنُ أبي الدُّنيا: ثَنَا إسحاقُ بنُ إسماعيلَ، ثَنا سفيانُ، عن مُطَرِّفِ بنِ طريفٍ، عن الشَّعْبِيِّ قال: خرَج عمرُ يَستسقِي بالناسِ فما زاد علىٰ الاستغفارِ حتىٰ رجَع، فقالوا: يا أميرَ المؤمنين ما نَراكَ اسْتَسقَيْتَ. فقال: لقد طَلَبْتُ المَطَرَ بمَجاديحِ السماءِ التي يُستَنْزَلُ بها المَطَرُ، ثم قرأ: **﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾** [نوح: ١٠، ١١]. ثم قرأ: **﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾**[4] [هود: ٣].

قال الواقديُّ، وغيرُه: وفي هذه السَّنةِ في ذي الحجَّة منها حَوَّل عمرُ المَقامَ، وكان مُلْصَقًا بجِدارِ الكعبةِ، فأخَّرَه إلىٰ حيثُ هو الآنَ؛ لئلاَّ يُشَوِّشَ المُصلُّون عندَه علىٰ الطائفين. قُلتُ: وقد ذكَرْتُ أسانيدَ ذلك في «سيرةِ عمرَ». ولله الحمدُ والمِنَّةُ. قال: وفيها استقضَىٰ عمرُ شُرَيْحًا علىٰ الكوفةِ، وكَعْبَ بنَ سُوارٍ علىٰ البصرةِ. قال: وفيها حَجَّ عمرُ بالناسِ، وكانت نُوّابُه فيها الذين تَقدَّم ذِكْرُهم في السَّنةِ الماضيةِ. قال: وفيها فُتِحَتِ الرَّقَّةُ والرُّهَا وحَرّانُ علىٰ يَدَيْ عِياضِ بنِ غَنْمٍ. قال: وفُتِحت رأسُ عَيْنِ الوَرْدةِ علىٰ يَدَيْ عمرَ بنِ سعدِ بنِ أبي وَقّاصٍ. وقال غيرُه خلافَ ذلك.

وقال شيخُنا الحافظُ الذَّهَبيُّ في تاريخه: وفيها - يَعْنِي هذه السَّنَةَ - افتَتَح أبو موسَىٰ الأشعرِيُّ الرُّهَا وسُمَيْساطَ عَنْوةً، وفي أوائلِها وَجَّه أبو عُبيدةَ عِياضَ بن غَنْمٍ إلىٰ الجَزيرةِ، فوافَق أبا موسَىٰ، فافتَتَحا

---

(١) **صحيح:** أخرجه الطبراني في «الكبير» (٨٤) وإسناده صحيح أبو مسلم الكشي ثقة كما في «تاريخ بغداد» (٦/ ١٢٣).

(٢) **صحيح:** أخرجه البخاري (١٠١٠) كتاب «الاستسقاء» باب سؤال الناس الاستسقاء إذا قحطوا.

(٣) **إسناده ضعيف:** أخرجه ابن أبي الدنيا في «مجابو الدعوة» (٤٣) عن أبي بكر الشيباني وعنه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» رقم (٦٩) كرامات أولياء الله عن أبي بكر السلمي كلاهما - إن لم يكن ثم تصحيف وهو الأظهر - عن عطاء بن مسلم عن العمري عن خوات بن جبير به. وعطاء بن مسلم الخفاف يخطئ كثيراً والعمري هو عبد الله ضعيف.

(٤) **إسناده ضعيف:** لم أقف عليه عند ابن أبي الدنيا إلا أن الشعبي عن عمر مرسل كما صرح بذلك. العلائي في «جامع التحصيل» ص٢٠٤.

حَرّانَ ونَصيبينَ وطائفةً من الجزيرةِ عَنْوَةً، وقيلَ: صُلْحًا. وفيها سار عِياضٌ إلى المَوْصِلِ فافتَتَحها وما حولَها عَنْوةً. وفيها بَنَى سعدٌ جامعَ الكُوفة.

وقال الواقديُّ: وفيها كان طاعُونُ عَمَواسَ، فمات فيه خَمسةٌ وعِشْرونَ ألفًا. قُلْتُ: هذا الطّاعُونُ منسوبٌ إلى بُلَيْدَةٍ صغيرةٍ يقالُ لها: عَمَواسُ. وهي بينَ القُدْسِ والرمْلَةِ، لأنّها كان أولَ ما نَجَم هذا الداءُ بها، ثم انتشَر في الشّام منها فنُسب إليها، فإنَّا لله وإنّا إليه راجعُون. قال الواقديُّ: تُوُفِّي في عام طاعُونِ عَمَواسَ من المسلمين بالشّام خَمسةٌ وعِشْرونَ ألفًا. وقال غيرُه: ثلاثون ألفًا. وهذا ذِكْرُ طائفةٍ من أعيانِهم، رضِي اللهُ عنهم أجمعين.

الحارثُ بنُ هشام أخو أبي جَهْلٍ، أسلَم يومَ الفتحِ، وكان سيِّدًا شريفًا في الإسلامِ كما كان في الجاهلية، استُشهِدَ بالشّام في هذه السنة، في قولٍ، وتَزوَّج عمرُ بعدَه بامرأته فاطمةَ.

شُرَحْبِيلُ بنُ حَسَنَةَ أحدُ أُمراءِ الأرباعِ، وهو أميرُ فِلَسْطِينَ، وهو شُرَحْبِيلُ بنُ عبدِ الله بن المُطاعِ بنِ قَطَنٍ الكِنْديُّ، حليفُ بَني زُهْرَةَ. وحَسَنَةُ أُمُّه، نُسِب إليها وغلَب عليه ذلك. أسلَم قديمًا وهاجَر إلى الحبشة، وجَهَّزه الصِّدِّيقُ إلى الشّام، فكان أميرًا على رُبْعِ الجيشِ، وكذلك في الدَّوْلَةِ العُمَرِيَّة، وطُعِن هو وأبو عُبيدةَ، وأبو مالكٍ الأشعريُّ في يومٍ واحدٍ سنةَ ثمانيَ عَشْرةَ. له حَديثان؛ روَى له ابنُ ماجه أحدَهما في الوُضوء، وغيرُه.

عامرُ بنُ عبدِ الله بنِ الجَرّاح

ابنِ هِلالِ بنِ أُهَيْبِ بنِ ضَبَّةَ بن الحارثِ بنِ فِهْرٍ القُرَشيُّ، أبو عُبيدةَ بنُ الجَرّاحِ، الفِهْريُّ، أمينُ هذه الأُمَّةِ، وأحدُ العَشَرَةِ المَشْهُودِ لهم بالجنَّة، وأحدُ الخَمسةِ الذين أسلَموا في يومٍ واحدٍ، وهم؛ عُثمانُ بنُ مَظعُونٍ، وعُبَيْدةُ بنُ الحارث، وعبدُ الرحمنِ بنُ عَوْفٍ، وأبو سَلَمةَ بنُ عبدِ الأسَدِ، وأبو عُبَيْدَةَ بن الجَرّاحِ. أسلَموا على يَدَي الصِّدِّيق. ولمّا هاجَروا آخَى رسولُ الله ﷺ بينَه وبينَ سعدِ بنِ مُعاذٍ، وقيلَ: بينَ محمدِ بنِ مَسلَمةَ. وقد شهِد بدرًا وما بعدَها، وقال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ لكُلِّ أُمَّةٍ أمينًا وأمينُ هذه الأُمَّة أبو عُبَيْدةَ بنُ الجَرّاح»[1]. ثبَت ذلك في «الصَّحيحَيْن». وثبَت في «الصَّحيحَيْن» أيضًا أنَّ الصِّدِّيقَ قال يومَ السَّقيفة: وقد رَضِيتُ لكم أحدَ هذَيْن الرَّجلَين فبايِعوه. يَعْني عمرَ بنَ الخطّاب وأبا عُبَيْدةَ[2]. وبَعَثه الصِّدِّيقُ أميرًا على رُبْعِ الجيشِ إلى الشام، ثم لمّا انتدَب خالدًا من العراق كان أميرًا على أبي عُبَيْدة وغيرِه، لعِلْمه بالحُروب. فلمّا انتهَت الخلافةُ إلى عمرَ عزَل خالدًا وولَّى أبا عُبَيْدةَ بنَ الجَرّاحِ، وأمَرَه أن يَستَشيرَ خالدًا، فجَمع للأُمَّة بينَ أمانةِ أبي عُبَيْدةَ وشَجاعةِ خالدٍ.

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٣٧٤٤) ومسلم (٢٤١٩) كلاهما في كتاب «فضائل الصحابة» باب مناقب أبي عبيدة رضي الله عنه من حديث أنس.

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٦٨٣٠) ومسلم.

قال ابنُ عَساكرَ: وهو أولُ مَن سُمِّي أميرَ الأُمَراء بالشام.

قالوا: وكان أبو عُبَيدةَ طُوالاً نَحِيفًا، أجْنأَ مَعْرُوقَ الوجه، خَفيفَ اللِّحْيةِ، أهْتَمَ؛ وذلك لأنَّه انتزَع الحَلْقَتَين من وَجْنَتَيْ رسولِ الله ﷺ يومَ أُحُدٍ خاف أن يُؤْلِمَ رسولَ الله ﷺ، فتحامَلَ على ثَنِيَّتَيْه فسقَطَتا، فما رُئِيَ أحسنُ هتْمًا منه.

تُوُفِّي بالطاعُونِ عامَ عَمَواسَ، كما تَقَدَّم سِياقُه في سنةِ سبعَ عَشْرَةَ، عن سيفِ بنِ عمرَ. والصَّحيحُ أنَّ عَمَواسَ كانت في هذه السنةِ سنةَ ثمانيَ عَشْرَةَ. بقَرْيةِ فِحْلٍ. وقيلَ: بالجابيةِ.

وقد اشتَهر في هذه الأعصارِ قبرٌ بالقُرْبِ من عَقَبةِ عُمَيَّاء بالغُورِ يُنسَبُ إليه. واللهُ أعلمُ.

وعُمُرُه يومَ مات ثمانٍ وخمسُون سنةً.

الفضلُ بنُ عباسِ بن عبد المُطَّلب، كان حَسَنًا وَسِيمًا جميلاً، أردفه رسولُ الله ﷺ وراءَه يومَ النَّحْرِ من حَجَّةِ الوَداعِ، وهو شابٌّ حَسَنٌ. وقد شهِد فتحَ الشامِ، واستُشْهِد بطاعُونِ عَمَواسَ، في قولِ محمدِ بنِ سعدٍ، والزُّبيرِ بنِ بكّارٍ، وأبي حاتمٍ، وابنِ البَرْقيِّ، وهو الصَّحيحُ. وقيلَ: يومَ مَرْجِ الصُّفَّرِ. وقيل: بأجنادِينَ. ويقالُ: باليَرْمُوك. ويقالُ: سنةَ ثمانٍ وعشرين.

معاذُ بنُ جَبَل

ابنِ عمرِو بنِ أوْسِ بنِ عائذِ بنِ عَديِّ بنِ كَعْبِ بنِ عمرِو بنِ أُدَيِّ بنِ سعدِ بنِ عليِّ بنِ أسدِ بنِ ساردَةَ بنِ يزيدَ بنِ جُشَمَ بنِ الخَزْرَجِ الأنصاريُّ الخَزْرَجيُّ، أبو عبدِ الرحمنِ المدنيُّ، صَحابيٌّ جَليلٌ كبيرُ القَدْرِ.

قال الواقديُّ: كان طُوالاً حَسَنَ الشَّعْرِ والثَّغْرِ بَرّاقَ الثَّنايا، لم يُولَدْ له. وقال غيرُه: بل وُلِد له وَلَدٌ، وهو عبدُ الرحمنِ. شهِد معه اليَرْمُوكَ.

وقد شهِد مُعاذٌ العَقَبةَ. ولمّا هاجَر الناسُ آخَى رسولُ الله ﷺ بينَه وبينَ ابنِ مسعودٍ، حكَى الواقديُّ الإجماعَ على ذلك. وقد قال محمدُ بنُ إسحاقَ: آخَى بينَه وبينَ جَعفرِ ابنِ أبي طالبٍ. وشهِد بدرًا وما بعدَها. وكان أحدَ الأربعةِ من الخَزْرَجِ، الذين جَمَعوا القرآنَ في حياةِ النبيِّ ﷺ؛ وهم أُبَيُّ بنُ كَعْبٍ، وزَيْدُ بنُ ثابتٍ، ومُعاذُ بنُ جَبَلٍ، وأبو زَيْدٍ عَمُّ أنَسِ بنِ مالكٍ.

وصَحَّ في الحديثِ الذي رَواه أبو داودَ والنَّسائيُّ، من حديثِ حَيْوَةَ بنِ شُرَيْحٍ، عن عُقْبَةَ بنِ مُسْلمٍ عن أبي عبدِ الرحمنِ الحُبُليِّ، عن الصُّنابحيِّ، عن مُعاذٍ، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال له: **«يا معاذُ واللهِ إنِّي لأُحِبُّكَ، فلا تَدَعَنَّ أن تقولَ في دُبُرِ كلِّ صلاةٍ: اللَّهمَّ أعِنِّي على ذِكْرِك وشُكْرِك وحُسْنِ عبادَتِك»**[1]. وفي «المُسنَدِ»، و«النَّسائيِّ»، و«ابنِ ماجه»، من طريقِ أبي قِلابةَ، عن أنَسٍ مَرْفوعًا: **«وأعْلَمُهم بالحَلالِ**

---

(١) صحيح كما قال المؤلف: أخرجه أبو داود (١٥٢٢) والنسائي (١٣٠٢) عن ابن وهب وعبد الله بن يزيد المقري مفرقين وغيرهما عن حيوة بن شريح به.

والحَرامِ مُعاذُ بنُ جَبَلٍ»[١] .

وقد بعَثه رسولُ الله ﷺ إلى اليَمَنِ، وقال له: «بِمَ تَحْكُمُ؟». فقال: بكتابِ اللهِ. الحَديثُ[٢] . وكذلك أقَرَّه الصِّدِّيقُ على ذلك يُعلِّمُ الناسَ الخيرَ باليَمَنِ. ثم هاجَر إلى الشامِ فكان بها حتى مات بعدَ ما استَخْلَفَه أبو عُبيدةَ حينَ طُعِنَ، ثم طُعِنَ بعدَه في هذه السَّنَةِ. وقد قال عمرُ بنُ الخطابِ: إن معاذًا يُبعَثُ أمامَ العُلماءِ برَتْوَةٍ. ورَواه محمدُ بنُ كَعْبٍ، مُرسَلاً[٣] . وقال ابنُ مسعودٍ[٤] : كُنَّا نُشَبِّهُه بإبراهيمَ الخَليلِ. وقال ابنُ مَسعودٍ: إن معاذًا كان أُمَّةً قانتًا لله حَنيفًا ولم يَكُ من المشركِين[٥] .

وكانت وَفاتُه شَرْقِيَّ غَوْرِ بَيْسانَ سنةَ ثمانِيَ عَشْرَةَ. وقيلَ: سنةَ تِسْعَ عَشْرَةَ. وقيلَ: سَبْعَ عَشْرةَ، عن ثَمانٍ وثَلاثِين، على المشهورِ. وقيلَ غيرُ ذلك. واللهُ أعلمُ.

---

(١) **ضعيف**: وهو ضمن حديث «أرحم أمتي أبو بكر وأشدُها في دين اللَّه عمر وأصدقها حياء عثمان وأعلمها بالحلال والحرام معاذ. . . .» الحديث.
أخرجه أحمد (٣/ ١٨٤) وابن ماجه (١٥٤) وغيرهما عن سفيان وغيره عن خالد الحذاء عن أبي قلابة به وأخرجه الترمذي (٣٧٩٠) من وجه آخر غير حديث أبي قلابة ثم قال: والمشهور حديث أبي قلابة.
قال الحافظ في «الفتح» (٧/ ١٧) أورد الترمذي وابن حبان في الحديث من طريق عبد الوهاب الثقفي عن خالد الحذاء بهذا الإسناد مطولاً وأوله: «ارحم أمتي بأمتي أبو بكر وأشدهم في دين اللَّه عمر، وأصدقهم حياء عثمان وأقرأهم لكتاب اللَّه أبي وأفرضهم زيد، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ، الا وإن لكل أمة أمين. . .» الحديث إسناده صحيح إلا أن الحفاظ قالوا: إن الصواب في أوله الإرسال والموصول فيه ما اقتصر عليه البخاري. اهـ.
قلت: أي (محمد)عنى الذي في «البخاري» (٣٧٤٤) من طريق عبد الأعلى عن خالد عن أبي قلابة مقتصراً حدثني أنس بن مالك أن رسول اللَّه ﷺ قال: «إن لكل أمة أمينًا. . .» مستقراً على آخره والظاهر أنهما أرادوها الإرسال بين أبي قلابة وأنس والحديث مرسل على الصحيح وفيه كلام كثير على أسانيده وأحسن من تكلم فيها الخطيب البغدادي في كتابه الفصل والوصل (ج٢/ ٦٨٧)

(٢) أخرجه أبو داود (٣٥٩٢) والترمذي (١٣٢٧) وغيرهما من طريق شعبة عن أبي عون الثقفي عن الحارث بن عمرو عن رجال من أصحاب معاذ أن رسول اللَّه ﷺ بعث معاذًا إلى اليمن فقال: «كيف تقضي» فقال: أقضي بما في كتاب اللَّه قال: «فإن لم يكن في كتاب اللَّه» قال: فبسنة رسول اللَّه ﷺ قال: «فإن لم يكن في سنة رسول اللَّه ﷺ»؟ قال أجتهد رأيي قال: «الحمد للَّه الذي وفق رسول رسول اللَّه ـ ﷺ ـ »وهذا إسناد ضعيف من أجل إبهام أصحاب معاذ والحديث وإن احتجوا به في أصول الفقه فقد صرح بتضعيفه أئمة الحديث كالبخاري والترمذي والدارقطني وعبد الحق الأشبيلي وابن الجوزي والعراقي وغيرهم بل والترمذي عقب روايته وانظر تخريج «المشكاة» (٣٧٣٧).

(٣) **بطرقه مرفوعًا قوي**: أخرجه ابن سعد (٢/ ٢٦٤) أخبرنا أبو معاوية الضرير عن أبي إسحاق الشيباني عن أبي عون قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «معاذ بين يدي العلماء يوم القيامة برتوة» وهذا مرسل صحيح وله مرسل آخر يتقوى به عند ابن سعد أيضًا وهو الذي أشار إليه المؤلف قال أخبرنا أبو بكر بن عبد اللَّه بن أبي أويس المدني حدثني سليمان بن بلال عن عمرو بن أبي عمرو عن محمد بن كعب القرظي قال قال رسول اللَّه ﷺ مثله.
وطريق آخر عند ابن سعد أيضًا قال: أخبرنا إسحاق بن يوسف الأزرق عن هشام بن حسان عن الحسن وأخبرنا سليمان بن حرب أخبرنا حماد بن سلمة عن ثابت عن الحسن قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «معاذ بن جبل له نبذة بين يدي العلماء يوم القيامة» وهذا مرسل جيد وله طريق آخر عن أنس عن رسول اللَّه ﷺ معضلاً.
وأما قول عمر فقد أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (١/ ٢٢٨) بنحوه وفي إسناده بعض الكلام على كل فالمرفوع يتقوى فيما أتينا به من الطرق وله طرق أخرى أتى بها الألباني رحمه اللَّه ثم قال في «الصحيحة» (٣/ ٨٣) وبالجملة فالحديث بمجموع هذه الطرق صحيح بلا شك ولا يرتاب في ذلك من له معرفة بهذا العلم الشريف.

(٤) **إسناده حسن عنه**: وهذا طرف منه وأخرجه عنه الحاكم (٣/ ٢٧٢) وصححه على شرط الشيخين ووافقه الذهبي.

(٥) أخرجه الحاكم (٣/ ٢٧١ ـ ٢٧٢).

يَزِيدُ بنُ أبي سُفيانَ، أبو خالد، صَخْرُ بنُ حَرْبِ بن أُميَّةَ بن عبد شمس بن عبد مَناف القُرَشيُّ الأُمَويُّ، أخو مُعاويةَ، وكان يَزيدُ أكبرَ وأفضلَ. وكان يقالُ له: يَزِيدُ الخَيْرِ. أسلَم عامَ الفتحِ، وحضر حُنَيْنًا، وأعطاه رسولُ الله ﷺ مائةً من الإبلِ وأربعين أُوقيَّةً، واستعملَه الصِّدِّيقُ على رُبْعِ الجيشِ إلى الشام، وهو أوَّلُ أميرٍ وصَل إليها، ومشَى الصِّدِّيقُ في رِكابه يُوصيه، وبعَث معه أبا عُبيدةَ، وعمرَو ابنَ العاص، وشُرَحْبِيلَ ابنَ حَسَنَةَ؛ فهؤلاء أُمراءُ الأرباع. ولمَّا افتتَحوا دِمَشْقَ دخَل هو من باب الجابيةِ الصغيرِ عَنْوةً كخالدٍ في دُخُولِه من البابِ الشَّرقيِّ عَنْوةً، وكان الصِّدِّيقُ قد وعَده بإمْرَتِها، فولِيَها عن أمْرِ عمرَ وأنفَذَ له ما وعَده الصِّدِّيقُ، فكان أوَّلَ مَن وَلِيَها من المسلمين.

المشهورُ أنَّه مات في طاعُونِ عَمَواسَ، كما تَقدَّم. وزعَم الوليدُ بنُ مسلمٍ، أنه تُوُفِّي سنةَ تِسْعَ عَشْرَةَ بعدَما فتَح قَيْساريَّةَ. ولَمَّا مات كان قد استخلَف أخاه مُعاويةَ على دِمَشْقَ، فأمضَى عمرُ بنُ الخطابِ له ذلك، رضِي اللهُ عنهم.

وليس له في الكُتُبِ شيءٌ، وقد روَى عنه أبو عبد الله الأشعريُّ أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «مَثَلُ الذي يُصَلِّي ولا يُتِمُّ رُكوعَه ولا سُجُودَه، مثلُ الجائعِ الذي لا يأكُلُ إلا التَّمْرةَ والتَّمْرتَين، لا يُغْنيان عنه شيئًا»[(١)].

أبو جَنْدَلِ بنُ سُهَيْلِ بن عمرو، وقيل: اسمُه العاص. أسلَم قديمًا، وقد جاء يومَ صُلْحِ الحُدَيْبِيَةِ مُسْلمًا يَرْسُفُ في قُيُوده؛ لأنَّه كان قد استُضعِف فردَّه أبوه، وأبَى أن يُصالحَ حتى يُرَدَّ، ثم لَحِق أبو جَنْدَلٍ بأبي بَصيرٍ إلى سِيفِ البحرِ، ثم هاجَر إلى المدينة، وشهِد فتحَ الشام. وقد تَقدَّم أنَّه تأوَّلَ آيةَ الخمرِ ثم رجَع. ومات بطاعُونِ عَمَواسَ. رحِمه اللهُ ورضِي عنه.

أبو عُبيدَةَ بنُ الجَرَّاحِ. هو عامرُ بنُ عبد الله، تَقدَّم.

أبو مالك الأشْعَريُّ، قيلَ: اسمُه كَعْبُ بنُ عاصمٍ. قدِم مُهاجِرًا سَنَةَ خَيْبَرَ مع أصحابِ السَّفِينةِ، وشهِد ما بعدَها. واستُشهِد بالطاعُونِ عامَ عَمَواسَ هو وأبو عُبيدَةَ ومُعاذٌ في يومٍ واحدٍ، رضِي اللهُ عنهم أجمَعين.

ثم دخلت سنة تسع عشرة

قال الواقديُّ وغيرُه: كان فتحُ المَدائنِ وجَلُولاءَ فيها. والمشهورُ خِلافُ ما قال، كما تَقدَّم.

وقال محمدُ بنُ إسحاقَ: كان فتحُ الجزيرةِ والرُّها وحَرَّانَ ورأسِ العَيْنِ ونَصِيبِينَ في هذه السَّنَةِ. وقد خالَفه غيرُه.

وقال أبو مَعْشَرٍ، وخَليفةُ، وابنُ الكَلْبيِّ: كان فتحُ قَيْساريَّةَ في هذه السَّنةِ وأميرُها مُعاويةُ. وقال

---

(١) إسناده ضعيف: أخرجه ابن خزيمة في «صحيحه» (٦٦٥) عن إسماعيل بن إسحاق حدثنا صفوان بن صالح حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا شيبة بن الأحنف الأوزاعي حدثنا أبو سلام الأسود ثنا أبو صالح الأشعري عن أبي عبد الله الأشعري قال وهذا إسناده ضعيف من أجل لين شيبة بن الأحنف لكن النهي عن عدم إتمام الركوع والسجود ونقر الغراب ثابت من وجوه أخر.

غيرُه: يزيدُ ابنُ أبي سفيانَ. وقد تقدَّم أنَّ معاويةَ افتتحها قبلَ هذا بسنين.

وقال محمدُ بنُ إسحاقَ: كان فتحُ قَيْسارِيَّةَ من فِلَسْطِينَ، وهَرَبُ هِرَقْلَ وفتحُ مِصْرَ في سنةِ عشرين. وقال سيفُ بنُ عمرَ: كان فتحُ قَيْسارِيَّةَ وفتحُ مِصْرَ في سنةِ ستَّ عَشْرَةَ. قال ابنُ جريرٍ: فأمَّا فتحُ قَيْسارِيَّةَ فقد تقدَّم، وأمَّا فتحُ مِصْرَ فإنِّي سأذْكُرُه في سنةِ عشرين، إن شاءَ اللهُ تعالى.

قال الواقديُّ: وفي هذه السَّنةِ ظهَرَت نارٌ من حَرَّةِ لَيْلَى فأراد عمرُ أن يَخْرُجَ بالرجالِ إليها، ثم أمَرَ المسلمين بالصدقةِ فطَفِئَت. ولله الحمدُ.

ويقال: كان فيها وَقْعةُ إرْمِينِيَةَ، وأميرُها عثمانُ ابنُ أبي العاصِ، وقد أُصيبَ فيها صَفْوانُ بنُ المُعَطَّلِ بنِ رَحْضَةَ السُّلَميُّ ثم الذَّكْوانيُّ، وكان أحدَ الأُمَراءِ يومَئذٍ. وقد قال فيه رسولُ اللهِ ﷺ: «ما عَلِمْتُ عليه إلاَّ خَيْرًا»[1]. وهو الذي ذكَره المنافقون في قصَّةِ الإفْكِ فبرَّأَ اللهُ ساحتَه، وجَنابَ أمِّ المؤمنين زوجةِ رسولِ اللهِ ﷺ ممَّا قالُوا. وقد كان إلى حينَ قالُوا ما قالُوا لم يتزوَّجْ. ولهذا قال: واللهِ ما كَشَفْتُ كَنَفَ أُنْثَى قَطُّ[2] ثم تزوَّجَ بعدَ ذلك، وكان كثيرَ النومِ، وربَّما غلَبَه عن صلاةِ الصبحِ في وَقْتِها، كما جاء في «سُنَنِ أبي داودَ» وغيرِه. وكان شاعرًا ثم حَصَلَت له شَهادةٌ في سبيلِ اللهِ. قيلَ: بهذا البَلَدِ. وقيلَ: بالجزيرةِ. وقيلَ: بسُمَيْساطَ. وقد تقدَّم بعضُ هذا فيما سلَف.

وفيها فُتِحَت تَكْرِيتُ في قولٍ، والصَّحيحُ قبلَ ذلك.

وفيها فيما ذَكَرْنا أسرَتِ الرُّومُ عبدَ اللهِ بنَ حُذافَةَ.

وفيها في ذي الحِجَّةِ منها كانت وَقْعةٌ بأرضِ العراقِ قُتِل فيها أميرُ المَجوسِ شَهْرَكُ، وكان أميرُ المسلمين يومَئذٍ الحَكَمَ ابنَ أبي العاصِ، رضي اللهُ عنه.

قال ابنُ جَريرٍ: وفيها حجَّ بالنَّاسِ عمرُ، ونُوَّابُه على البلادِ وقضاتُه هم المذكُورُون قبلَها. واللهُ أعلمُ.

وممَّن تُوُفِّي فيها من الأعيان

أُبَيُّ بنُ كَعْبٍ، سيِّدُ القُرَّاءِ، وهو أُبَيُّ بنُ كَعْبِ بنِ قَيْسِ بنِ عُبَيْدِ بنِ زيدِ بنِ مُعاويةَ ابنِ عمرِو بنِ مالكِ بنِ النَّجارِ، أبو المُنْذِرِ وأبو الطُّفَيْلِ، الأنصاريُّ النَّجَّاريُّ، سيِّدُ القُرَّاءِ، شهِد العَقَبةَ وبدرًا وما بعدَهما، وكان سيدًا جَليلَ القَدْرِ. وهو أحدُ القُرَّاءِ الأربعةِ الخَزْرَجِيِّينَ الذين جَمَعوا القرآنَ في حياةِ رسولِ اللهِ ﷺ، وقد قال لعمرَ يومًا: إنِّي تَلَقَّيْتُ القرآنَ ممَّن تَلَقَّاه من جِبْريلَ وهو رَطْبٌ. وفي «المُسْنَدِ»، و«النَّسائيِّ»، و«ابنِ ماجه»، من طريقِ أبي قِلابةَ، عن أنسٍ مَرفوعًا: «أقرأُ أُمَّتي أُبَيُّ بنُ كَعْبٍ»[3]. وفي «الصَّحيحِ» أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال له: «إنَّ اللهَ أمَرَني أنْ أقرأَ عليكَ القرآنَ». قال:

---

(١) تقدم.

(٢) **صحيح:** أخرجه مسلم (٢٧٧٠) ضمن حديث الإفك الطويل وهو في البخاري أيضًا (٤٧٥٧).

(٣) **إسناده صحيح على شرطهما:** تقدم الكلام عليه وهو ضمن حديث جمع فيه من فضائل أبي بكر الصديق وعمر ومعاذ وأبي عبيدة وأبي رضي اللّه عنهم.

وَسمَّاني لك؟ قال: «نعم». فَذَرَفَتْ عيْناه. وقد تكلّمنا على ذلك في التفسير عندَ سورة ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ [البينة: ١]. قال الهَيْثَمُ بنُ عَديٍّ: تُوُفِّي أُبَيٌّ سنةَ تسْعَ عَشْرَةَ. وقال يَحْيَىٰ بنُ مَعِينٍ: سنةَ تسْعَ عَشْرَةَ أو عشرين. وقال الواقديُّ، عن غيرِ واحدٍ: تُوُفِّي سنةَ ثِنْتَين وعشرين. وبه قال أبو عُبَيْدٍ، وابنُ نُمَيرٍ، وجَماعةٌ. وقال الفَلَّاسُ، وخليفةُ: تُوُفِّيَ في خلافة عثمانَ بنِ عفّانَ، رضي اللهُ عنه.

وفيها مات خَبَّابٌ مَوْلَىٰ عُتْبَةَ بنِ غَزْوانَ؛ من المهاجرين، شهد بدرًا وما بعدَها، وهو صَحابيٌّ من السابقين، وصلّىٰ عليه عمرُ.

ومات فيها صَفْوانُ بنُ المُعَطَّلِ في قولٍ كما تقدَّم. واللهُ أعلمُ.

سنة عشرين من الهجرة

قال محمدُ بنُ إسحاق: وفيها كان فتحُ مصرَ. وكذا قال الواقديُّ: إنَّها فُتِحت هي والإسكندريةُ في هذه السنة. وقال أبو مَعْشَرٍ: فُتِحت مصرُ سنةَ عشرين، وإسكندريةُ في سنة خمسٍ وعشرين. وقال سيفٌ: فُتِحت مصرُ وإسكندريةُ في سنة ستَّ عَشْرَةَ في ربيعٍ الأول منها. ورجَّح ذلك أبو الحسنِ ابنُ الأثيرِ في «الكاملِ»؛ لقصَّة بعْثِ عمرِو بنِ العاصِ الميرَةَ من مصرَ عامَ الرَّمادَةِ، وهو معذورٌ فيما رَجَّحه. واللهُ أعلمُ.

وفيها كان فتحُ تُسْتَرَ في قولِ طائفةٍ من علماء السِّيَرِ بعدَ مُحاصَرَةِ سنتين. وقيل: سنةٍ ونصفٍ. واللهُ أعلمُ.

صفة فتح مصر مجموعًا من كلام ابن إسحاق وسيف وغيرهما

قالوا: لمّا استكْمَلَ عمرُ والمسلمون فتحَ الشّامِ بعَث عمرَو بنَ العاصِ إلى مصرَ - وزعَم سيفٌ أنه بعثَه بعدَ فتحِ بيتِ المَقْدسِ - وأرْدَفَه بالزُّبَيْرِ بنِ العَوّام، وفي صُحْبَتِه بُسْرُ بنُ أرْطاةَ، وخارجةُ بنُ حُذافَةَ، وعُمَيْرُ بنُ وَهْبٍ الجُمَحيُّ، فاجْتَمَعا على بابِ مصرَ، فلقِيهم أبو مَرْيَمَ جاثَلِيقُ مصرَ، ومعه الأُسْقُفُ أبو مَرْيامَ في أهلِ الثَّباتِ، بعَثه المُقَوْقِسُ صاحبُ إسْكندريةَ لمَنْعِ بلادهم، فلمّا تَصافُّوا قال عمرُو بنُ العاصِ: لا تَعْجَلُوا حتى نُعْذِرَ إليكم، لِيَبْرُزْ إليَّ أبو مَرْيَمَ وأبو مَرْيامَ راهبَ هذه البلادِ. فبرَزا إليه، فقال لهما عمرُو بنُ العاصِ: أنتما راهبَا هذه البلادِ فاسْمَعا، إنَّ اللهَ بعَث محمدًا ﷺ بالحقِّ، وأمَره به، وأمرَنا به محمدٌ ﷺ، وأدَّىٰ إلينا كلَّ الذي أُمِرَ به، ثُم مَضَىٰ وترَكَنا على الواضحَةِ، وكان ممّا أمرَنا به الإعْذارُ إلى النّاسِ، فنحن نَدْعُوكم إلى الإسلامِ، فمَن أجابَنا إليه فمثلُنا، ومَن لم يُجِبْنا عَرَضْنا عليه الجِزْيَةَ وبَذَلْنا له المَنَعَةَ، وقد أعْلَمَنا أنّا مُفْتَتِحوكم، وأوْصانا بكم؛ حِفْظًا لرَحِمِنا منكم،

وأنَّ لكم إن أجَبْتُمونا بذلك ذِمَّةً إلىٰ ذِمَّةٍ، ومما عَهِد إلينا أميرُنا: استَوصُوا بالقِبْطيِّين خيرًا؛ فإنَّ رسولَ الله ﷺ أوْصانا بالقِبْطيِّين خيرًا؛ لأنَّ لهم رَحِمًا وذِمَّةً[1]. فقالوا: قرابةٌ بعيدةٌ لا يَصِلُ مثلَها إلاَّ الأنبياءُ، مَعْروفةٌ شَريفَةٌ، كانت ابْنَةَ ملكنا، وكانت مِن أهلِ مَنْفٍ والمُلْكُ فيهم، فأُديلَ عليهم أهلُ عينِ شمسٍ، فقَتَلوهم وسَلَبوهم مُلْكَهم واغْتَرَبوا، فلذلك صارتْ إلىٰ إبراهيمَ، عليه السَّلامُ، مَرْحبًا به وأهلاً، أمِّنَّا حتىٰ نَرْجعَ إليك. فقال عَمْرٌو: إنَّ مثلي لا يُخْدَعُ، ولكنِّي أُؤَجِّلُكما ثلاثًا لِتَنْظُرا ولِتُناظِرا قَوْمَكما، وإلاَّ ناجَزْتُكم. قالا: زِدْنا. فزادَهم يومًا، فقالا: زِدْنا. فزادَهم يومًا، فرَجَعا إلىٰ المُقَوْقِسِ فأبىٰ أَرْطَبُونُ أن يُجيبَهما وأمَر بمُناهَدَتِهم، وقال لأهلِ مصرَ: أمَّا نحن فنَجْتَهِدُ أنْ نَدْفَعَ عنكم ولا نَرْجعُ إليهم، وقد بَقِيت أربعةُ أيامٍ. وأشارَ عليهم بأن يُبَيِّتُوا المسلمين. فقال الملأُ منهم: ما تقاتِلُون مِن قومٍ قتَلوا كِسْرَىٰ وقَيْصَرَ وغلَبوهم علىٰ بلادِهم؟! فألحَّ الأَرْطَبونُ في أن يُبَيِّتُوا المسلمين، ففعَلوا فلم يَظْفَروا بشيء بل قُتِل منهم طائفةٌ منهم الأرطبونُ. وحاصَر المسلمون عينَ شمسٍ مِن مصرَ في اليومِ الرّابعِ، وارتقَىٰ الزُّبَيْرُ عليهم سُورَ البَلَدِ، فلمّا أحَسُّوا بذلك خرَجوا إلىٰ عَمْرٍو مِن البابِ الآخرِ فصالَحوه، واخْتَرَقَ الزبيرُ البلدَ حتىٰ خرَج مِن البابِ الذي عليه عمرٌو، فأمْضَوُا الصُّلْحَ.

وكتَب لهم عمرٌو كِتابَ أمانٍ: بسمِ اللهِ الرحمنِ الرحيمِ، هذا ما أعطَىٰ عمرُو بنُ العاصِ أهلَ مصرَ مِن الأمانِ علىٰ أنفسِهم ومِلَّتِهم وأمْوالِهم وكنائسِهم وصُلُبِهم، وبَرِّهم وبَحْرِهم، لا يُدْخَلُ عليهم شيءٌ مِن ذلك ولا يُنْتَقَصُ، ولا يُساكِنُهم النُّوبَةُ، وعلىٰ أهلِ مصرَ أن يُعْطُوا الجزيةَ إذا اجْتَمَعوا علىٰ هذا الصُّلْحِ، وانْتَهَتْ زِيادَةُ نَهْرِهم، خمسين ألفَ ألفٍ، وعليهم ما جنَىٰ لُصُوتُهم، فإن أبَىٰ أحدٌ منهم أن يُجِيبَ، رُفِع عنهم مِن الجزاءِ بقدرِهم، وذِمَّتُنا ممَّن أبَىٰ بريئةٌ، وإن نقَص نَهْرُهم مِن غايتِه إذا انتَهىٰ، رُفِع عنهم بقَدْرِ ذلك، ومَن دخَل في صُلْحِهم مِن الرُّومِ والنُّوبَةِ، فله مثلُ ما لهم وعليه مثلُ ما عليهم، ومَن أبَىٰ واخْتارَ الذَّهابَ، فهو آمِنٌ حتىٰ يَبْلُغَ مَأْمَنَه أو يَخْرُجَ مِن سُلطانِنا، عليهم ما عليهم أثلاثًا، في كلِّ ثُلُثٍ جبايةُ ثُلُثِ ما عليهم، علىٰ ما في هذا الكتابِ عَهْدُ اللهِ وذِمَّةُ رسولِه وذِمَّةُ الخليفةِ أميرِ المؤمنين، وذِمَمُ المؤمنين. وعلىٰ النُّوبَةِ الذين استجابوا أن يُعِينُوا بكذا وكذا رَأْسًا، وكذا وكذا فَرَسًا، علىٰ أن لا يُغْزَوْا، ولا يُمْنَعوا مِن تجارةٍ صادرةٍ ولا واردةٍ. شهِد الزُّبيرُ وعبدُ اللهِ ومحمدٌ ابناه،

---

(١) الوصية بالقبط خيراً ثابتة. فقد أخرج عبد الرزاق (٩٩٩٦-٩٩٩٨) والطبراني في «الكبير» (١٩/ ٦١) عن مالك ومعمر، وابن عيينة وابن عليَّة والأوزاعي كلهم عن الزهري عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك [وبعضهم يروي عن عبد الله بن كعب بن مالك] عن أبيه [وبعضهم لا يذكر أبيه] عن رسول الله ﷺ قال: «إذا فتحتم مصر فاستوصوا بالقبط خيراً فإن لهم رحماً وذمة»(*) وفي «صحيح مسلم» (٢٥٤٣) من حديث أبي ذر مرفوعاً «إنكم ستفتحون مصر، وهي أرض يسمىٰ فيها القيراط فإذا فتحتموها فأحسنوا إلىٰ أهلها فإن لهم ذمة ورحماً. . . .» الحديث.

(*) وقال الزهري: الرحم هي أم إسماعيل وخالفه عبد الرزاق فقال: هي أم إبراهيم ابن النبي ﷺ انظر المصنف (٦/ ٥٨-٥٩) والأظهر الأول والله أعلم.

وكتَب وَرْدانُ وحضَر .

فدَخَل في ذلك أهلُ مصرَ كلُّهم، وقَبِلوا الصُّلْحَ، واجْتَمَعت الخُيولُ بمصرَ، وعَمَرُوا الفُسْطاطَ، وظهَر أبو مَرْيَمَ وأبو مَرْيامَ فكَلَّما عَمْرًا في السَّبايا التي أُصِيبتْ بعدَ المَعْركَة، فأبَى عَمْرٌو أن يَرُدَّها عليهما، وأمَر بطَرْدِهما وإخراجِهما من بين يَدَيْه، فلمَّا بلَغ ذلك أميرَ المؤمنين عُمَرَ بنَ الخطاب أمَر أنَّ كلَّ سَبْيٍ أُخِذَ في الخمسة أيام التي أمَّنوهم فيها أن يُرَدَّ عليهم، وكلَّ سَبْيٍ أُخِذَ ممَّن لم يُقاتِلْ وكذلك مَن قاتَل، فلا يُرَدُّ عليه سَباياه. وقيلَ: إنَّه أمَره أن يُخَيِّروا مَن في أيْديهم من السَّبْيِ بينَ الإسلامِ وبينَ أن يَرْجِعَ إلى أهلِه، فمَن اخْتارَ الإسلامَ فلا يَرُدُّه إليهم، ومَن اختارَهم رَدُّوه عليهم وأخذوا منه الجزيةَ، وأمّا ما تفَرَّقَ من سَبْيِهم في البلادِ ووصَل إلى الحَرَمَيْنِ وغيرِهما، فإنّه لا يقدِرُ على ردِّهم، ولا يَنْبغي أن يُصالحَهم على ما يتعذَّرُ الوفاءُ به. ففعَل عَمْرٌو ما أمَر به أميرُ المؤمنين، وجَمع السَّبايا وعرَضوهم وخيَّروهم، فمنهم مَن اختار الإسلامَ، ومنهم مَن عاد إلى دينه، وانعقَد الصلحُ بينَهم.

ثم أرسَل عمرٌو جَيْشًا إلى إسْكندريَّةَ. وكان المُقَوْقِسُ صاحبُ الإسْكندريَّةِ قبل ذلك يؤدِّي خَراجَ بلده وبلدِ مصرَ إلى مَلِكِ الرّومِ. فلمّا حاصَره عمرُو بنُ العاصِ جَمَع أساقِفَتَه وأكابرَ دَوْلَتِه، وقال لهمَ: إنّ هؤلاء العربَ غلَبوا كِسْرَى وقَيْصرَ وأزالُوهم عن مُلْكِهم، ولا طاقةَ لنا بهم، والرَّأْيُ عندي أن نؤدِّيَ الجزيةَ إليهم. ثم بعَث إلى عمرِو بنِ العاصِ يقولُ: إنِّي كنتُ أُؤدِّي الخراجَ إلى مَن هو أبغضُ إليَّ منكم؛ فارسَ والرومِ. ثم صالَحَه على أداءِ الجزيَةِ، وبعَث عمرٌو بالفَتْحِ والأخماسِ إلى عُمَرَ بنِ الخطابِ، رضِي اللهُ عنه.

وذكَر سيفٌ أنَّ عمرَو بنَ العاصِ لمّا التقَى مع المُقَوْقِسِ جعَل كثيرٌ من المسلمين يَفِرُّ من الزَّحْفِ، فجعَل عمرٌو يُذَمِّرُهم ويَحُثُّهم على الثَّباتِ، فقال له رَجلٌ من أهلِ اليمنِ إنّا لم نُخْلَقْ من حجارَةٍ ولا حديدٍ. فقال له عمرٌو: اسْكُتْ فإنَّما أنت كلبٌ. فقال له الرجلُ: فأنت إذًا أميرُ الكلابِ. فأعرَض عنه عمرٌو ونادَى يَطلُبُ أصحابَ رسولِ الله ﷺ، فلمّا اجْتَمَع إليه مَن هناك من الصحابةِ قال لهم عمرٌو: تقدَّموا فبكم يَنصُرُ اللهُ المسلمين. فنَهَدوا إلى القومِ ففتَح اللهُ عليهم، وظفِرُوا أتَمَّ الظَّفَرِ.

قال سيفٌ: ففُتِحَتْ مصرُ في ربيعٍ الأولِ من سنةِ ستَّ عَشْرَةَ، وقامَ فيها مُلْكُ الإسلامِ. ولله الحمدُ والمِنَّةُ. وقال غيرُه: فُتِحتْ مصرُ في سنة عشرين، وفُتِحتْ إسْكندريّةُ في سنةِ خمسٍ وعشرين، بعدَ مُحاصرةِ ثلاثةِ أشْهُرٍ عَنْوَةً. وقيلَ: صُلْحًا على اثْنَي عشَرَ ألفَ دينارٍ.

وقد ذُكِر أنَّ المُقَوْقِسَ سأل من عمرٍو أن يُهادِنَه أوّلاً، فلم يَقْبَلْ عمرٌو، وقال له: قد علِمْتُم ما فعَلْنا بمَلِكِكم الأكبرِ هِرَقْلَ. فقال المُقَوْقِسُ لأصْحابِه: صدَق، فنحن أحقُّ بالإذْعانِ. ثم صالَح على ما تقدَّم.

وذَكَر غيرُه أن عَمرًا والزبيرَ سارا إلى عينِ شمسٍ فحاصَراها، وأنَّ عمرًا بعَث إلى الفَرَمَا أبْرَهَةَ بنَ الصَّبَّاحِ، وبعَث عوفَ بنَ مالكٍ إلى الإسكندريَةِ، فقال كلٌّ منهما لأهلِ بلدِه: إن نزَلْتُم فلكم الأمانُ.

فتربَّصوا ماذا يكونُ مِن أهلِ عينِ شمسٍ، فلمَّا صالَحوا، صالحَ الباقون. وقد قال عوفُ بنُ مالكٍ لأهلِ إسكندريةَ: ما أحسنَ بلدَكم! فقالوا: إنَّ إسكَنْدَرَ لمَّا بناها قال: لأبنِيَنَّ مدينةً فقيرةً إلى اللهِ غنيةً عن الناسِ. فبقِيَت بَهْجَتُها. وقال أبرهةُ لأهلِ الفَرَمَا: ما أقبحَ مدينتكم! فقالوا: إنَّ الفَرَمَا - وهو أخو الإسكندرِ - لمَّا بَناها قال: لأَبنِيَنَّ مدينةً غنيَّةً عن اللهِ فقيرةً إلى الناسِ. فهي لا يزالُ ساقطًا بناؤُها، فشُوِّهَت بذلك.

وذكَر سيفٌ أن عبدَ اللهِ بنَ سعدِ بنِ أبي سَرْحٍ لمَّا ولِيَ مصرَ بعدَ ذلك زادَ في الخراجِ عليهم رُءوسًا مِن الرقيقِ يُهْدُونَها إلى المسلمين في كلِّ سنةٍ، ويُعَوِّضُهم المسلمون بطَعامٍ مُسَمًّى وكسوةٍ. وأقرَّ ذلك عثمانُ بنُ عفانَ وولاةُ الأمورِ بعدَه، حتى كان عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ فأمْضاه أيضًا؛ نظرًا لهم، وإبقاءً لعهدِهم.

قلتُ: وإنَّما سُمِّيت ديارُ مصرَ بالفُسطاطِ نسبةً إلى فُسطاطِ عمرِو بنِ العاصِ، وذلك أنَّه نصَب خيمتَه - وهي الفُسطاطُ - موضعَ مصرَ اليومَ، وبنَى الناسُ حولَه، وتُرِكَتْ مصرُ القديمةُ مِن زمانِ عمرِو ابنِ العاصِ وإلى اليومِ، ثم رُفِع الفُسطاطُ وبُنِي مَوْضِعَه جامعٌ وهو المنسوبُ إليه اليومَ.

وقد غزا المسلمون بعدَ فتحِ مصرَ النُّوبةَ، فنالَهم جراحاتٌ كثيرةٌ، وأصيبتْ أعينٌ كثيرةٌ؛ لجَودَةِ رَمْيِ النُّوبةِ، فسَمَّوْهم جندَ الحدَقِ. ثم فتَحها اللهُ بعدَ ذلك. ولله الحمدُ والمنَّةُ.

وقد اختُلِفَ في بلادِ مصرَ، فقيل: فُتِحتْ صلحًا إلا الإسكندريةَ. وهو قولُ يزيدَ بنِ أبي حبيبٍ. وقيل: كلُّها عَنوةً. وهو قولُ ابنِ عُمرَ وجماعةٍ.

وعن عمرِو بنِ العاصِ أنَّه خطَب الناسَ فقال: ما قَعَدْتُ مَقْعَدِي هذا ولا حَدٍ مِن القِبْطِ عندي عَهْدٌ؛ إنْ شئتُ قَتَلْتُ، وإن شئتُ بِعْتُ، وإن شئتُ خَمَّسْتُ، إلا لأهلِ أَنْطَابُلُسَ، فإنَّ لهم عهدًا نَفِي به.

قصة نيل مصر

رُوِّينا مِن طريقِ ابنِ لَهيعَةَ، عن قَيْسِ بنِ الحجَّاجِ، عمَّن حدَّثه قال: لمَّا افتُتِحتْ مصرُ أتَى أهلُها عمرَو بنَ العاصِ - حينَ دخَل بُؤْنَةُ مِن أشْهُرِ العَجَمِ - فقالوا: أيُّها الأميرُ، لنيلِنا هذا سُنَّةٌ لا يجرِي إلا بها. قال: وما ذاك؟ قالوا: إذا كانت اثْنَتَي عَشْرَةَ ليلةً خَلَت مِن هذا الشهرِ، عَمَدْنا إلى جاريةٍ بكرٍ مِن أَبَوَيها، فأرْضَيْنا أبَويها، وجعَلْنا عليها مِن الحُلِيِّ والثِّيابِ أفضلَ ما يكونُ، ثم ألقَيْناها في هذا النيلِ. فقال لهم عمرٌو: إنَّ هذا ممَّا لا يكونُ في الإسلامِ، إنَّ الإسلامَ يَهْدِمُ ما قبلَه. قال: فأقاموا بؤنةَ وأَبِيبَ ومِسْرَى والنيلُ لا يَجْرِي قليلاً ولا كثيرًا، حتى همُّوا بالجلاءِ، فكتَب عمرٌو إلى عمرَ بنِ الخطابِ ذلك، فكتَب إليه: إنَّك قد أَصَبتَ بالذي فعَلْتَ، وإنِّي قد بعَثْتُ إليك ببطاقةٍ داخلَ كتابي، فألْقِها في النيلِ. فلمَّا قدِمَ كتابُه أخَذَ عمرٌو البطاقةَ فإذا فيها: مِن عبدِ اللهِ أميرِ المؤمنين إلى نيلِ أهلِ مصرَ، أمَّا بعدُ، فإنْ كنتَ إنَّما تجرِي مِن قِبَلِك فلا تَجْرِ، وإن كان اللهُ الواحدُ القهارُ هو الذي يُجْرِيك،

فنسألُ اللهَ تعالىٰ أنْ يُجْرِيَك. قال: فألْقَىٰ البطاقةَ في النيلِ فأصبَحوا يومَ السبت، وقد أجْرَىٰ اللهُ النيلَ ستةَ عشَرَ ذراعًا في ليلةٍ واحدةٍ، وقطَعَ اللهُ تلك السُّنَّةَ عن أهلِ مصرَ إلىٰ اليومِ(١).

قال سيفُ بنُ عمرَ: وفي ذي القَعْدَةِ من هذه السَّنةِ - وهي عندَه سنةُ ستَّ عَشْرةَ - جَعل عمرُ المَسالحَ علىٰ أرجاءِ مصرَ، وذلك لأنَّ هِرَقْلَ أغْزَا الشامَ ومصرَ في البحرِ.

قال ابنُ جرير: وفي هذه السنة غزا أرضَ الرومِ أبو بَحْرِيَّةَ عبدُ الله بنُ قيسٍ الكِنْديُّ - وهو أولُ مَن دخَلها فيما قيلَ - فسَلِم وغَنِم، وقيل: أولُ مَن دَخَلها مَيْسَرَةُ بنُ مَسْروقٍ العَبْسيُّ.

قال الواقديُّ: وفيها عزَل عمرُ قُدامةَ بنَ مَظْعونٍ عن البحرين، وحَدَّه في الشَّرابِ، وولَّىٰ علىٰ البحرينِ واليمامةِ أبا هريرةَ الدَّوْسيَّ، رضي اللهُ عنه.

قال: وفيها شَكَا أهلُ الكوفةِ سعدًا في كلِّ شيءٍ، حتىٰ قالوا: لا يُحْسِنُ يُصلِّي. فعزَله عنها وولَّىٰ عليها عبدَ الله بنَ عبد الله بنِ عِتْبانَ، وكان نائبَ سعدٍ. وقيلَ: بل ولَّاها عمَّارَ بنَ ياسرٍ.

وقال الإمامُ أحمدُ: حدَّثنا سفيانُ، عن عبدِ الملك، سَمِعه من جابرِ بنِ سَمُرَةَ قال: شكا أهلُ الكُوفَةِ سعدًا إلىٰ عمرَ فقالوا: إنه لا يُحْسِنُ يُصلِّي. قال: الأعاريبُ! واللهِ ما آلُو بهم عن صلاةِ رسولِ الله ﷺ في الظهرِ والعصرِ، أركُدُ في الأُولَيَيْنِ، وأحْذِفُ في الأُخْرَيَيْن. فسمِعْتُ عمرَ يقولُ: كذلك الظنُّ بك يا أبا إسحاقَ(٢).

وفي «صحيح مسلم» أنَّ عمرَ بعَث مَن يسألُ عنه أهلَ الكُوفَةِ، فأثْنَوا خيرًا إلاَّ رجلاً يقالُ له: أبـو سَعْدَةَ، أسامةُ بنُ قَتادةَ. قام فقال: أمَّا إذ نَشَدْتَنا، فإنَّ سعدًا لا يَقْسِمُ بالسَّويَّةِ، ولا يعدلُ في القضيَّةِ، ولا يخرجُ في السَّرِيَّةِ. فقال سعدٌ: اللهمَّ إن كان عبدُك هذا قام مَقامَ رياءٍ وسُمْعَةٍ، فأطِلْ عُمْرَه، وأدِمْ فَقْرَه، وعَرِّضْه للفِتَنِ. فأصابَته دعوةُ سعدٍ، فكان شيخًا كبيرًا يرفَعُ حاجِبَيه عن عينَيْه، ويتعرَّضُ للجواري في الطُّرُقِ فيَغْمِزُهُنَّ. فيقالُ له في ذلك فيقولُ: شيخٌ كبيرٌ مفتونٌ أصابَتْه دعوةُ سعدٍ(٣).

وقد قال عمرُ في وصيَّته - وذكَره في السِّتَّةِ -: فإن أصابَتِ الإمْرَةُ سعدًا فذاكَ، وإلاَّ فلْيَسْتَعِنْ به أيُّكم وَلِيَ، فإنِّي لم أعزِلْه عن عجزٍ ولا خِيانةٍ.

---

(١) **إسناد القصة ضعيف:** من قبل ابن لهيعة ذكر المؤلف إبهام من حدث قيس بن الحجاج وقد أخرج القصة ابن الجوزي في «المنتظم» (٤/ ٢٩٤) ولم يذكر ذلك الإبهام فلعل ذلك في مصدر آخر واللَّه أعلم.
ومما يؤيد ذلك أن قيس بن الحجاج من السادسة فالأولىٰ أن يروي حديث مثل هذا بواسطة.

(٢) **صحيح:** أخرجه أحمد (١/ ١٧٩) والحميدي (٧٢) وغيرهما عن سفيان بن عيينة عن عبد الملك بن عمير سمعه من جابر فذكره وهذا إسناد صحيح علىٰ شرط الشيخين وانظر الآتي. وهذا الحديث في «صحيح البخاري» (٧٧٠).

(٣) **صحيح:** أخرجه مسلم (٤٥٣) كتاب «الصلاة» باب القراءة في الظهر والعصر وهو في «صحيح البخاري» أيضًا (٧٧٠) كتاب «الأذان» باب يطوِّل في الأولين ويحذف في الأخريين كلاهما من حديث جابر بن سمرة، وبتمامه عند البخاري (٧٥٥).

قال: وفيها أجلَىٰ عمرُ يهودَ خيبرَ عنها إلىٰ أذْرِعاتٍ وغيرِها، وفيها أجلَىٰ عمرُ يهودَ نجرانَ منها أيضًا إلىٰ الكُوفة، وقسَم خيبرَ، ووادِيَ القُرَىٰ، ونجرانَ بينَ المسلمين.

قال: وفيها دَوَّنَ عمرُ الدواوينَ. وزعَم غيرُه أنَّه دوَّنَها قبلَ ذلك. فاللهُ أعلمُ.

قال: وفيها بعَث عمرُ علقمةَ بنَ مُجَزِّزٍ المُدْلِجيَّ إلىٰ الحبشةِ في البحرِ فأُصيبوا، فآلىٰ عمرُ علىٰ نفسه أن لا يبعَثَ جيشًا في البحرِ بعدَها. وقد خالَف الواقديَّ في هذا أبو معشرٍ، فزعَم أنَّ غزوةَ الحبشةِ إنَّما كانت في سنةِ إحدَىٰ وثلاثين. يَعْني في خلافةِ عثمانَ بنِ عفانَ. واللهُ أعلمُ.

قال الواقديُّ: وفيها تزوَّجَ عمرُ فاطمةَ بنتَ الوليدِ بنِ عُتْبَةَ - التي ماتَ عنها الحارثُ بنُ هشامٍ في الطاعونِ - وهي أختُ خالدِ بنِ الوليد.

قال: وفيها ماتَ بلالٌ بدِمَشْقَ، وأُسَيْدُ بنُ الحُضيرِ في شعبانَ، وزينبُ بنتُ جَحْشٍ أُمُّ المؤمنين، وهي أولُ مَن ماتَ من أُمَّهات المؤمنين، رضِي اللهُ عنها.

قال: وفيها ماتَ هِرَقْلُ، وقام بعدَه ولدُه قُسْطَنْطِينُ.

قال: وحَجَّ بالناسِ في هذه السنةِ عمرُ. ونوّابُه وقضاتُه، مَن تقدَّم في التي قبلَها، سوَىٰ مَن ذكَرنا أنَّه عزَله وولَّىٰ غيرَه.

ذكرُ المتوفَّينَ في هذه السنةِ من الأعيان

أُسَيْدُ بنُ الحُضَيْرِ بنِ سماكٍ الأنصاريُّ الأشْهَليُّ، من الأوسِ، أبو يَحْيَىٰ، أحدُ النقباءِ ليلةَ العَقَبَةِ، وكان أبوه رئيسَ الأوسِ يومَ بُعاثٍ، وكان قبلَ الهجرةِ بستِّ سنينَ، وكان يقالُ له: حُضَيْرُ الكتائبِ. يقالُ: إنه أسلَم علىٰ يَدَيْ مُصْعبِ بنِ عُمَيْرٍ. ولمَّا هاجَر الناسُ آخَىٰ رسولُ اللهِ ﷺ بينَه وبينَ زَيْدِ بنِ حارثةَ، ولم يشهَدْ بدرًا.

وفي الحديثِ الذي صَحَّحه الترمذيُّ، عن أبي هُرَيْرَةَ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: «نعْمَ الرجلُ أبو بكرٍ، نعْمَ الرجلُ عمرُ، نعْمَ الرجلُ أُسَيْدُ بنُ الحُضَيْرِ». وذكَر جماعةً[1].

وقَدِمَ الشامَ مع عمرَ. وأثْنَت عليه عائشةُ، وعلَىٰ سعدِ بنِ معاذٍ، وعبَّادِ بنِ بِشْرٍ، رضِي اللهُ عنهم.

وذكَر ابنُ بُكَيْرٍ أنه توفِّي بالمدينةِ سنةَ عشرين، وأنَّ عمرَ حمَل بينَ عَمُودَيْه، وصلَّىٰ عليه، ودفَنه بالبقيعِ. وكذا أرَّخ وفاتَه سنةَ عشرين الواقديُّ، وأبو عُبَيْدٍ، وجماعةٌ.

أُنَيْسُ بنُ مَرْثَدِ بنِ أبي مَرْثَدٍ الغَنَويُّ هو وأبوه وجدُّه صحابةٌ، وكان أُنَيْسٌ هذا عينًا لرسولِ اللهِ ﷺ

---

(١) إسناده جيد: أخرجه أحمد (٢/ ٤١٩) والترمذي (٣٧٩٥) وغيرهما عن قتيبة حدثنا عبد العزيز بن محمد عن سهيل بن أبي صالح عن أبي هريرة به، وزاد: «نعم الرجل أبو عبيدة بن الجراح وثابت بن قيس بن شماس ومعاذ ابن جبل، ومعاذ بن عمرو بن الجموح» والذي وقفت عليه في «السنن قول الترمذي حسن وهذا إسنادٌ جيد من أجل بعض الكلام في الدراوردي.

يومَ حنينٍ، ويقالُ: إنَّه الذي قال له رسولُ اللهِ ﷺ: «واغدُ يا أنيسُ إلى امرأةِ هذا، فإنِ اعترفَتْ فارْجُمْها»[1] . والصحيحُ أنَّه غيرُه، فإنَّ في الحديثِ: فقال لرجلٍ من أسْلَمَ. فقيل: إنَّه أنيسُ بنُ الضَّحاك الأسْلَميُّ. وقد مالَ ابنُ الأثيرِ إلى تَرْجيحِه. واللهُ أعلمُ. له حديثٌ في الفِتْنة. قال إبراهيمُ ابنُ المُنْذرِ: تُوفِّي في ربيعٍ الأول سنةَ عشرين.

بلالُ بنُ رباح الحبشيُّ المُؤذِّنُ، مولَى أبي بكْرٍ، ويقالُ له: بلالُ ابنُ حَمامةَ. وهي أمُّه. أسلم قديمًا فعُذِّبَ في الله فَصَبَر، فاشتَراه الصديقُ فأعتَقَه. شَهِد بدرًا وما بعدَها. وكان عمرُ يقولُ: أبو بكرٍ سيِّدُنا وأعتَق سيِّدَنا. رواه البخاريُّ[2] .

ولمَّا شُرِع الأذانُ بالمدينة كان هو الذي يُؤذِّنُ بينَ يَدي رسولِ اللهِ ﷺ، وابنُ أمِّ مَكْتُوم، يتناوبان، تارةً هذا وتارةً هذا. وكان بلالٌ نَديَّ الصوت، حسنَه، فَصيحًا، وما يُرْوَىٰ: «إنَّ سينَ بلالٍ عندَ اللهِ شينٌ». فليسَ له أصلٌ. وقد أذَّن يومَ الفتحِ علىٰ ظهرِ الكعبة. ولمَّا تُوفِّيَ رسولُ اللهِ ﷺ تركَ الأذانَ، ويقالُ: أذَّن للصديقِ أيامَ خلافته. ولا يَصِحُّ. ثم خرَج إلى الشامِ مُجاهدًا، ولمَّا قَدِم عمرُ إلى الجابيةِ أذَّن بينَ يَدَيْه بعدَ الخُطْبَة لصلاة الظُّهرِ، فانتَحَب الناسُ بالبُكاء. ويُقالُ: إنَّه زار المدينةَ في غبُون ذلك فأذَّن، فبكَىٰ الناسُ بكاءً شديدًا. ويحقُّ لهم ذلك، رضي اللهُ عنهم.

وثبَت في «الصحيح» أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال لبلالٍ: «إنِّي دخَلْتُ الجنَّةَ فسمعتُ خَشْفَ نَعْلَيكَ أمامي، فأخْبِرْني بأرْجَى عملٍ عَمِلْتَه». فقال: ما تَوضَّأْتُ إلاَّ وصَلَّيْتُ رَكْعَتَيْن. فقال: «فبذاك». وفي روايةٍ: ما أحدَثْتُ إلاَّ توضَّأْتُ، وما توضَّأْتُ إلاَّ رأيتُ أنَّ عليَّ أنْ أُصَلِّيَ ركعتَين[3] .

قالوا: وكان بلال آدَم شديدَ الأدْمَة، طويلاً نحيفًا، أجْنَأ، كثيرَ الشَّعْرِ، خفيفَ العَارِضَيْن.

قال ابن بُكَيْر: توفِّي بدمَشْقَ في طاعونِ عَمَواسَ سنةَ ثمانيَ عَشْرَةَ. وقال محمدُ بنُ إسحاقَ وغيرُ واحدٍ: تُوفِّيَ سنةَ عشرين. قال الواقديُّ: ودُفِن ببابِ الصَّغيرِ، وله بضعٌ وستونَ سنةً. وقال غيرُه: ماتَ بدَاريَّا، ودُفِن ببابِ كَيْسانَ. وقيلَ: دُفِن بدَاريَّا. وقيلَ: إنَّه ماتَ بحَلَبَ. والأولُ أصحُّ. واللهُ أعلمُ.

سعيدُ بنُ عامر بن حذْيَم، من أشْرافِ بني جُمَحَ، شهد خَيْبرَ، وكان من الزُّهَّاد العُبَّاد، وكان أميرًا لعمرَ علىٰ حِمْصَ بعدَ أبي عُبيدةَ. بلَغ عمرَ أنَّه قد أصابَتْه حاجةٌ شديدةٌ، فأرْسَل إليه بألفِ دينارٍ، فتصدَّق بها جميعِها، وقال لزوجته: أعْطَيْناها لمَن يَتَّجرُ لنا فيها ـ رضي اللهُ عنه ـ قال خليفةُ: فتَح هو

---

(1) حديث صحيح: أخرجه البخاري (٢٣١٤) وأطرافه في كتاب «الوكالة» باب الوكالة في الحدود ومسلم وغيرهما.

(2) صحيح: أخرجه البخاري (٣٧٥٤) كتاب «فضائل الصحابة» باب مناقب بلال بن رباح مولىٰ أبي بكر رضي الله عنهما.

(3) صحيح: أخرجه البخاري (١١٤٩) كتاب «التهجد» باب فضائل الطهور بالليل والنهار وفضل الصلاة عند الطهور بالليل والنهار.

ومعاويةُ قَيْسارِيَّةَ، كلٌّ منهما أميرٌ على مَن معه.

عياضُ بنُ غَنْم أبو سعد الفهريُّ، من المهاجرين الأوَّلين، شَهِد بَدْرًا وما بعدَها، وكان سَمْحًا جَوادًا، شُجاعًا، وهو الذي افْتتح الجزيرةَ، وهو أولُ مَن جَاز دَرْبَ الروم غازيًا، واسْتَنابه أبو عبيدة بعدَه على الشَّام، فأقرَّه عمرُ عليها إلى أن ماتَ سنةَ عشرين عن ستِّين سنةً.

أبو سُفْيانَ بنُ الحارث بن عبد المطَّلب، ابنُ عمِّ رسولِ الله ﷺ، قيلَ: اسْمُه المغيرةُ. أسْلَم عامَ الفتح فحسُنَ إسْلامُه جدًّا، وكان قبلَ ذلك من أشدِّ الناسِ على رسولِ الله ﷺ وعلى دينه ومَن تَبِعَه، وكان شاعرًا مُطبقًا، يهجُو الإسْلامَ وأهلَه، وهو الذي ردَّ عليه حسانُ بنُ ثابتٍ - رَضِي اللهُ عنْه - في قولِه:

ألاَ أبْلِغْ أبا سُفْيانَ عنِّي ... مُغَلْغَلةً فقدْ بَرِحَ الخَفاءُ

هَجَوْتَ محمَّدًا وأجَبْتُ عنهُ ... وعندَ اللهِ في ذاكَ الجَزاءُ

أتَهْجُوهُ ولسْتَ له بكُفْءٍ ... فشَرُّكُما لخيرِكُما الفِداءُ

لمَّا جاءَ هو وعبدُ الله بنُ أبي أميَّةَ ليُسلِمَا، لم يأذَنْ لهما رسولُ الله ﷺ حتى شفَعت أمُّ سَلَمَةَ لأخيها فأذن له، وبلَغه أنَّ أبا سفْيانَ هذا قال: والله لئن لم يأذَنْ لي لآخُذَنَّ بيدِ بُنَيَّ هذا - لولدٍ معه صغير - فلأذْهَبَنَّ، فلا يُدْرَىٰ أينَ أذهبُ. فرَقَّ حينئذٍ له رسولُ الله ﷺ وأذن له، ولزم رسولَ الله ﷺ يومَ حُنَيْنٍ، وكان آخذًا بلجام بغْلتِه يومئذٍ. وقد رُوِيَ أنَّ رسولَ الله ﷺ أحبَّه، وشَهِد له بالجنَّة، وقال: «أرْجُو أن تكونَ خَلَفًا من حمزةَ». وقد رثَىٰ رسولَ الله ﷺ حينَ تُوفِّي بقصيدةٍ ذكَرناها فيما سلَف، وهي التي يقولُ فيها:

أرِقْتُ فَباتَ ليلِيَ لا يَزُولُ ... وليلُ أخي المُصيبةِ فيه طُولُ

وأسْعَدَني البكاءُ وذاكَ فيما ... أُصيبَ المسلمونَ به قليلُ

فقدْ عَظُمَتْ مُصيبَتُنا وجَلَّتْ ... عَشيَّةَ قيلَ قد قُبِضَ الرسولُ

فقَدْنا الوحيَ والتنزيلَ فينا ... يروحُ به ويغدُو جبرئيلُ

ذكَروا أنَّ أبا سفيانَ حجَّ، فلمَّا حلَق رأسَه قطَع الحالقُ ثُؤْلُولاً في رأسِه، فتمَرَّض منه، فلم يزَلْ كذلكَ حتَّى ماتَ بعدَ مَرجِعه إلى المدينة، وصلَّى عليه عمرُ بنُ الخطَّاب. وقد قيلَ: إنَّ أخاه نَوْفَلاً توفِّيَ قبلَه بأربعةِ أشْهرٍ. واللهُ أعلمُ.

أبو الهَيْثم بنُ التَّيِّهان، هو مالكُ بنُ مالكِ بن عَتِيكِ بن عمرو بن عبد الأعْلَم بن عامرِ بن زَعُوراءَ ابن جُشَمَ بن الحارثِ بن الخَزْرجِ بن عَمرو بن مالكِ بن الأوْس، الأنصاريُّ الأوسيُّ، شهد العَقَبَةَ نقيبًا، وشَهِد بدرًا وما بعدَها، ماتَ سنةَ عشرين. وقيل: إحدَىٰ وعشرين. وقيل: إنَّه شهِد صِفِّينَ مع عليٍّ. قال ابنُ الأثيرِ: وهو الأكثرُ. وقد ذكَره شيخُنا هنا. فاللهُ أعلمُ.

زينبُ بنتُ جحْش بن رِيابٍ الأسَدِيَّة

مِن أسدِ خُزَيْمةَ. أوّلُ أُمَّهات المؤْمنين وفاةً، أُمُّها أُميمةُ بنتُ عبدِ المطَّلبِ، وكان اسمُها بَرَّةَ، فسمَّاها رسولُ الله ﷺ زينبَ، وتُكنَّىٰ أُمَّ الحَكَمِ، وهي التي زوَّجه اللهُ بها، وكانت تَفْتَخِرُ بذلك علىٰ سائرِ أزواجِ النبيِّ ﷺ فتقولُ: زوَّجكُنَّ أهلُوكُنَّ، وزوَّجَنِي اللهُ مِن السماءِ. قال اللهُ تعالىٰ: ﴿**فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا**﴾ الآية [الأحزاب: ٣٧]. وكانت قبلَه عندَ مولاه زيدِ بنِ حارثةَ، فلمَّا طلَّقها تَزوَّجها رسولُ الله ﷺ. قِيل: كان ذلك في سنةِ ثلاثٍ. وقيل: أربعٍ. وهو الأشْهرُ. وقيل: سنةَ خمسٍ. وفي دخولِه عليهِ السلامُ بها نزَل الحجابُ كما ثبَت في «الصحيحَين» عن أنسٍ[1] . وهي التي كانت تُسَامِي عائشةَ بنتَ الصِّديقِ في الجمالِ والحُظْوةِ، وكانت دِيِّنةً ورِعةً عابِدةً كثيرةَ الصَّدقةِ. وذاك الذي أشار إليه رسولُ الله ﷺ بقولِه: «**أسرَعُكُنَّ لَحاقًا بي أطولُكُنَّ يدًا**»[2] ـ أي بالصدقةِ ـ وكانتِ امرأةً صناعًا تعمَلُ بيدِها وتتصدَّقُ علىٰ الفُقراءِ.

قالت عائشةُ: ما رَأيْتُ امرأةً قَطُّ خيرًا في الدِّينِ، وأتْقَىٰ للهِ، وأصدقَ حديثًا، وأوْصلَ للرَّحِمِ، وأعظَمَ أمانةً وصَدَقةً، مِن زينبَ بنتِ جحْشٍ.

ولم تَحُجَّ بعدَ حَجَّةِ الوَداعِ لا هي ولا سودةُ؛ لقولِه عليه السلامُ لأزواجِه: «**هذه ثمَّ ظُهُورُ الحُصُرِ**»[3] . وأمّا بقيةُ أزواجِ النبيِّ ﷺ فكُنَّ يَخرُجْنَ إلىٰ الحَجِّ، وقالت زينبُ وسودةُ: واللهِ لا تُحرِّكُنا بعدَه دابَّةٌ[4] .

قالوا: وبعَث عمرُ إليها فرْضَها اثنَي عشَرَ ألفًا فتصدَّقت به في أقارِبِها، ثم قالت: اللهمَّ لا يُدرِكُني عطاءُ عمرَ بعدَ هذا. فماتت في سنةِ عشْرينَ، وصلَّىٰ عليها عمرُ، وهي أولُ مَن صُنع لها النَّعْشُ، ودُفِنَت بالبَقِيعِ.

صَفيَّةُ بنتُ عبد المطلب، عمَّةُ الرسولِ ﷺ، وهي أُمُّ الزُّبير بنِ العوامِ، وهي شقيقةُ حمزةَ والمُقوَّمِ وحَجْلٍ، أمُّهم هالةُ بنتُ وُهَيب بنِ عبدِ مناف بنِ زُهْرَةَ. لا خِلافَ في إسلامِها، وقد حضَرت يومَ أُحدٍ، ووجَدتْ علىٰ أخيها حمزةَ وَجْدًا كثيرًا، وقَتَلتْ يومَ الخندقِ رجلاً مِن اليهودِ جاءَ فجَعَل يُطِيفُ بالحِصْنِ التي هي فيه، وهو فارغٌ؛ حِصْنُ حسّانَ، فقالتْ لحسانَ: انْزِلْ فاقْتُلْه. فأبَىٰ، فنَزَلت إليه

---

(١) تقدم وهو في مسلم (٢٤٥٢) في فضائل زينب أم المؤمنين.
(٢) تقدم.
(٣) قال السعدي: ثم ظهور الحصر أي: الأولىٰ لكنَّ لزوم البيت والحُصر جمع حصير وهو الذي يبسط في البيوت.
(٤) **إسناده حسن:** أخرجه أحمد (٦/ ٣٢٤) وغيره ثنا حجاج وحدثنا يزيد بن هارون قالا: أخبرنا ابن أبي ذئب... وإسحاق بن سليمان قال: سمعت ابن أبي ذئب عن صالح مولىٰ التوأمة عن أبي هريرة أن رسول اللّه ﷺ قال لنسائه عام حجة الوداع: «هذه ثمَّ ظهور الحُصر» قال: فكن كلهن يحججن إلا زينب بنت جحش وسودة بنت زمعة وكانتا تقولان: واللّه لا تحركنا دابة بعد ما سمعنا ذلك من رسول اللّه ﷺ وإسناده جيد من أجل الكلام في صالح مولىٰ التوأمة فهو صدوق ورواية القدماء ومنهم ابن أبي ذئب صحيحة.

فقَتَلته، ثم قالت: انزِلْ فاسْلُبْه فلولا أنَّه رجلٌ لاستلَبتُه. فقال: لا حاجةَ لي فيه. فكانت أولَ امرأةٍ قتَلتْ رجلاً من المُشركين.

وقد اختُلف في إسلام مَن عَدَاها من عمَّاتَ النبيِّ ﷺ. فقيل: أسلَمت أروَىٰ وعاتكةُ. قال ابنُ الأثيرِ وشيخُنا أبو عبد الله الذهبيُّ الحافظُ: والصحيح أنَّه لم يُسْلِمْ منهنَّ غيرُها.

وقد تزوَّجَت أوَّلاً بالحارثِ بنِ حَرْبِ بنِ أُميَّةَ، ثم خلَف عليها العوَّامُ بنُ خُوَيْلدٍ، فولدَتْ له الزبيرَ وعبدَ الكعبة. وقيل: تزوَّجها العوامُ بِكرًا. والصَّحيحُ الأوَّلُ. تُوفِّيَت بالمدينة سنةَ عشرين، عن ثلاثٍ وسبعينَ سنةً. ودُفِنت بالبَقيعِ، رضي اللهُ عنها.

وقد ذكَر ابنُ إسحاقَ مَنْ تُوفِّيَ غيرَ هؤلاء:

عُوَيمُ بنُ ساعدةَ الأنصاريُّ شهِد العَقَبتَين والمشاهدَ كلَّها، وهو أولُ مَن استنجىٰ بالماءِ، وفيه نزَل قولُه تعالىٰ: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾ [التوبة: ١٠٨]. وله رواياتٌ. تُوفِّيَ هذه السنةَ بالمدينة.

بِشْرُ بنُ عَمرِو بنِ حَنَشٍ، يُلقَّبُ بالجارُودِ، أسلَم في السنة العاشرة، وكان شريفًا مطاعًا في عبدِ القَيْسِ، وهو الذي شَهِد على قُدامةَ بنِ مَظْعُونٍ أنه شرِب الخمرَ، فعزَله عمرُ عن اليمنِ وحدَّه. قُتل الجارودُ شهيدًا.

أبو خراشٍ خُوَيلدُ بنُ مُرَّةَ الهُذَليُّ، كان شاعرًا مُجيدًا مُخَضْرَمًا، أدرَكَ الجاهليةَ والإسلامَ، وكان إذا جَرىٰ سبَق الخيلَ. نهَشَته حيةٌ فمات بالمدينة.

ثم دخلت سنة إحدى وعشرين

ففيها كانت وَقْعَةُ نَهاوَنْدَ وفتحُها على المشهورِ، وهي وَقْعةٌ عظيمةٌ جدًّا لها شأنٌ رَفيعٌ ونَبأٌ عجيبٌ، وكان المسلمون يُسَمُّونَها فَتْحَ الفُتوحِ.

قال ابنُ إسحاقَ والواقديُّ: كانت وَقْعةُ نَهاوَنْدَ في سنة إحدَىٰ وعشرينَ.

وقال سيفٌ: كانت في سنةِ سبعَ عشْرةَ. وقيل: في سنةِ تسعَ عشْرَةَ. فاللهُ أعلمُ.

وإنَّما ساق أبو جعفرِ بنُ جريرٍ قصتَها في هذه السنة فتَبِعْناه في ذلك، وجمَعْنا كلامَ هؤلاء الأئمَّة في هذا الشأنِ سياقًا واحدًا، حتىٰ دخَل سياقُ بعضِهم في بعضٍ. قال سيفٌ وغيرُه: وكان الذي هاجَ هذه الوقْعةَ أنَّ المسلمينَ لمَّا افْتَتَحوا الأهوازَ، ومنَعوا جيشَ العلاءِ من أيديهم، واستَوْلَوا على دارِ الملك القديمِ من إصْطَخْرَ مع ما حازُوا من دارِ مملكتِهم حديثًا، وهي المدائنُ، وأخَذُوا تلك المدائنَ والأقاليمَ والكُوَرَ والبلدانَ الكثيرةَ، فحَمُوا عندَ ذلك، واستَجاشَهم يَزْدَجِردُ الذي تَقَهْقر من بلدٍ إلىٰ بلدٍ، حتىٰ صارَ إلىٰ أَصْبهانَ مُبعَدًا طريدًا، لكنَّه في أسرةٍ من قومِه وأهله ومالِه، فكتَب إلىٰ ناحيةِ نَهاوَنْدَ وما والاها من الجبالِ والبُلْدانِ، فتجمَّعوا وتَراسَلوا حتىٰ كَمل لهم من الجنودِ ما لم يَجتَمعْ لهم قبلَ ذلك.

فبَعَث سعدٌ إلى عمرَ يُعلِمُه بذلك، وثار أهلُ الكوفةِ على سعدٍ في غبون هذا الحالِ. فشكَوْه في كلِّ شيءٍ حتى قالوا: لا يُحسِنُ يُصلِّي. وكان الذي نهَض بهذه الشَّكْوى رجلٌ يُقال له: الجرَّاحُ بنُ سنانٍ الأسَديُّ. في نَفرٍ معه، فلمَّا ذهَبوا إلى عمرَ فشكَوْه إليه. قال لهم عمرُ: مِن الدَّليلِ على شرِّكم نهوضُكم في هذا الحالِ عليه، وهو مُسْتَعِدٌّ لقتالِ أعداءِ الله، وقدْ أجمَعوا لكم، ومع هذا لا يَمْنَعُني أن أنظرَ في أمرِكم. ثم بعَث محمدَ بنَ مَسْلَمَةَ ـ وكان رسولَ العُمَّالِ ـ فلما قدِمَ محمدُ بنُ مَسْلَمَةَ الكوفةَ طافَ على القبائلِ والعشائرِ والمساجدِ بالكُوفةِ، فكلٌّ يُثْني على سعدٍ خيرًا إلاَّ ناحيةَ الجرَّاحِ بنِ سِنانٍ، فإنَّهم سكَتوا، فلم يَذُمُّوا ولم يَشْكُروا، حتى انتَهى إلى بَني عَبْسٍ، فقام رجلٌ يُقال له: أبو سَعْدَةَ أسامةُ بنُ قَتادةَ. فقال: أمَّا إذ نَشَدتَنا، فإنَّ سَعْدًا لا يَقْسِمُ بالسَّوِيَّةِ، ولا يَعدِلُ في الرَّعِيَّةِ، ولا يَغْزو في السَّرِيَّةِ. فدَعا عليه سَعْدٌ، فقال: اللهمَّ إن كان قالها كَذِبًا ورِياءً وسُمْعةً، فأعْمِ بصَرَه، وأكثِرْ عِيالَه، وعَرِّضْه لمُضِلاَّتِ الفِتَنِ. فعَمِي واجْتَمع عِندَه عشْرُ بناتٍ، وكان يَسمَعُ بالمرأةِ فلا يَزالُ حتى يأتِيَها فيَجُسَّها، فإذا عُثِر عليه قال: دَعوةُ سعدٍ الرجلِ المُباركِ. ثم دعا سعدٌ على الجرَّاحِ وأصحابِه، فكلٌّ أصابَتْه قارِعَةٌ في جسَده، ومُصيبَةٌ في ماله بعدَ ذلك.

واستَنْفر محمدُ بنُ مَسْلَمَةَ أهلَ الكوفةِ لغَزْوِ أهلِ نَهاوَنْدَ في غُبُونِ ذلك عن أمرِ عمرَ بنِ الخطَّابِ. ثم سار سعدٌ ومحمدُ بنُ مَسْلَمَةَ والجرَّاحُ وأصحابُه حتى جاءُوا عمرَ، فسأله عمرُ: كيف يُصلِّي؟ فأخبَره أنَّه يُطوِّلُ في الأُولَيينِ ويُخفِّفُ في الأُخْرَيَيْنِ، وما آلو ما اقتَدَيْتُ به مِن صلاةِ رسولِ الله ﷺ. فقال له عمرُ: ذاك الظَّنُّ بك يا أبا إسحاقَ.

وقال سعدٌ في هذه القضِيَّة: لقد أسلَمتُ خامسَ خمسةٍ، ولقد كنَّا وما لنا طعامٌ إلاَّ ورَقُ الحُبْلَةِ حتى تَقَرَّحت أشداقُنا، وإني لأوَّلُ رجلٍ رمَى بسهمٍ في سبيلِ الله، ولقد جمَع لي رسولُ الله ﷺ يومَ أُحدٍ أبويه وما جمَعهما لأحَدٍ قبلي، ثم أصبَحَتْ بنو أسدٍ يقُولُونَ: لا يُحسِنُ يُصلِّي. وفي رِوايةٍ: تُعزِّرُني على الإسلامِ، لقد خِبْتُ إذًا وضلَّ عَمَلي. ثم قال عمرُ لسعدٍ: مَن استَخلفتَ على الكوفةِ؟ فقال: عبدَ الله بنَ عبدِ الله بنِ عِتبانَ. فأقرَّه عمرُ على نيابته الكوفةَ ـ وكان شيخًا كبيرًا مِن أشْرافِ الصَّحابَةِ، حليفًا لبَني الحُبُلى مِن الأنْصارِ ـ واستَمرَّ سعدٌ معْزولاً مِن غيرِ عَجْزٍ ولا خِيانةٍ، وتهَدَّد أولئك النَّفرَ، وكاد يُوقِعُ بهم بأسًا، ثم ترَك ذلك خوفًا مِن أن لا يَشكُوَ أحدٌ أميرًا.

والمقصودُ أنَّ أهلَ فارسَ اجتَمَعوا مِن كلِّ فَجٍّ عميقٍ بأرضِ نَهاوَنْدَ، حتى اجتَمَع منهم مائةُ ألفٍ وخَمسونَ ألفَ مقاتلٍ، وعليهم الفَيْرُزانُ، ويقالُ: بُنْدارُ. ويقالُ: ذو الحاجِبِ. وتَذامَروا فيما بينَهم وقالوا: إنَّ محمدًا الذي جاءَ العربَ لم يتعرَّضْ لبلادِنا، ولا أبو بكرٍ الذي قام بعدَه تَعرَّض لنا في دارِ مُلْكنا، وإنَّ عمرَ بنَ الخطَّابِ هذا لَمَّا طال مُلْكُه انتَهك حُرْمَتَنا وأخَذ بلادَنا، ولم يَكْفِه ذلك حتى أغْزَانا في عُقْرِ دارِنا، وأخَذ بيتَ المملَكَةِ، وليس بمُنتَهٍ حتى يُخرِجَكم مِن بلادِكم. فتعاهَدوا وتعاقَدوا على أن يَقصِدوا البصرةَ والكوفةَ ثم يَشغَلوا عمرَ عن بلادِه، وتواثَقوا مِن أنفُسِهم وكتَبوا بذلك عليهم

كتابًا. فلما كتَب سعدٌ بذلك إلى عمرَ - وكان عزلُ سعدٍ في غُبون ذلك - شافَه سعدٌ عمرَ بما تمالَئوا عليه وقصَدوا إليه، وأنَّه قد اجتَمَع منهم مائةٌ وخمسونَ ألفًا. وجاء كتابُ عبدِ الله بنِ عبدِ الله بنِ عِتْبانَ من الكوفةِ إلى عمرَ مع قَريبِ بنِ ظَفَرٍ العَبْديِّ، بأنَّهم قد اجتَمَعوا، وهم مُتَحرِّقون مُتذامِرون على الإسلامِ وأهلِه، وأنَّ المصلَحةَ يا أميرَ المؤمنين أن نَقصِدَهم فنُعاجِلَهم عمّا همُّوا به وعزَموا عليه من المَسيرِ إلى بلادِنا. فقال عمرُ لحاملِ الكتابِ: ما اسمُك؟ قال: قَريبٌ. قال: ابنُ مَن؟ قال: ابنُ ظَفَرٍ. فتفاءَلَ عمرُ بذلك، وقال: ظَفَرٌ قَريبٌ. ثم أمَرَ فنُودِي: الصلاةَ جامعةً. فاجتمَع الناسُ، وكان أولُ مَن دخَل المسجدَ لذلك سعدَ بنَ أبي وقّاصٍ، فتفاءَل عمرُ أيضًا بسعدٍ، فصعِد عمرُ المنبرَ حتى اجتمَع الناسُ فقال: إنَّ هذا يومٌ له ما بعدَه من الأيّامِ، ألا وإنِّي قد هَمَمْتُ بأمرٍ فاسمَعوا وأجيبوا وأوجِزوا، ولا تَنازَعوا فتفشَلوا وتَذهَبَ ريحُكم، إنِّي قد رأيتُ أن أسيرَ بمَن قِبَلي حتى أنزِلَ منزلاً وَسَطًا بينَ هذين المِصرَين فأستَنفِرَ الناسَ، ثم أكونَ لهم رِدْءًا حتى يَفتَحَ اللهُ عليهم. فقام عثمانُ وعليٌّ وطلحةُ والزبيرُ وعبدُ الرحمنِ بنُ عوفٍ في رجالٍ من أهلِ الرأيِ، فتكلَّم كلٌّ منهم بانفرادِه فأحسَنَ وأجادَ، واتَّفَق رأيُهم على أن لا يَسيرَ من المدينة، ولكنْ يَبعَثُ البعوثَ ويحضرُهم برأيِه ودعائه. وكان من كلامِ عليٍّ - رضي اللهُ عنه - أن قال: يا أميرَ المؤمنين، إنَّ هذا الأمرَ لم يكنْ نصرُه ولا خِذلانُه بكثرةٍ ولا قِلَّةٍ، هو دينُه الذي أظهرَ، وجندُه الذي أعزَّ، وأمدَّه بالملائكة، حتى بلَغ ما بلَغ، فنحن على مَوعُودٍ من الله، واللهُ مُنجِزٌ وعدَه، وناصرٌ جندَه، ومكانُك منهم يا أميرَ المؤمنين مكانُ النِّظامِ من الخَرَزِ يَجمَعُه ويُمسِكُه، فإذا انحَلَّ تفرَّق ما فيه وذهَب، ثم لم يَجتمِعْ بحذافيرِه أبدًا، والعربُ اليومَ وإن كانوا قليلاً فهم كثيرٌ عزيزٌ بالإسلام، فأقِمْ مكانَك واكتُبْ إلى أهلِ الكوفة فهم أعلامُ العربِ ورؤَساؤُهم، فليَذهَبْ منهم الثُّلُثان ويُقيمُ الثُّلُثُ، واكتُبْ إلى أهلِ البصرةِ يمدُّونَهم أيضًا. وكان عثمانُ قد أشارَ في كلامِه بأن يُمِدَّهم بجيوشٍ من أهلِ اليمنِ والشّامِ. ووافَق عمرُ على الذَّهابِ بنفسِه إلى ما بينَ البصْرةِ والكوفة، فردَّ عليٌّ على عثمانَ في مُوافَقتِه على الذَّهابِ إلى ما بَيْنَ البصْرةِ والكوفةِ كما تقدَّم، وردَّ رأيَ عثمانَ فيما أشار به من استمدادِ أهلِ الشامِ خوفًا على بلادِهم - إذا قلَّ جيوشُها - من الرُّومِ، ومن أهلِ اليمنِ خوفًا على بلادِهم من الحَبشةِ. فأعجَب عمرَ قولُ عليٍّ وسُرَّ به - وكان عمرُ إذا استَشار أحدًا لا يُبرِمُ أمرًا حتى يُشاوِرَ العبّاسَ - فلمّا أعجبَه كلامُ الصحابةِ في هذا المَقامِ، عرَضه على العبّاسِ، فقال: يا أميرَ المؤمنين خَفِّضْ عليك، فإنَّما اجتَمع هؤلاءِ الفُرْسُ لنِقْمةٍ. يَعْني: تَنزِلُ عليهم. ثم قال عمرُ: أشيروا عليَّ بمَن أُوليه أمرَ الحربِ، وليكنْ عراقيًّا. فقالوا: أنت أبصرُ بجُندِك يا أميرَ المؤمنين. فقال: أمَا واللهِ لأُولِّيَنَّ رجلاً يكونُ أولَ الأسنَّةِ إذا لَقِيَها غدًا. قالوا: مَن يا أميرَ المؤمنين؟ قال: النُّعمانُ بنُ مُقَرِّنٍ. فقالوا: هو لها. وكان النُّعمانُ قد كتَب إلى عمرَ وهو نائبٌ على كَسْكَرَ، وسأله أن يَعزِلَه عنها ويُولِّيَه قتالَ أهلِ نَهاوَنْدَ، فلهذا أجابه إلى ذلك وعيَّنه له. ثم كتَب عمرُ إلى حذيفةَ أن يسيرَ من الكوفةِ بجنودٍ منها، وكتَبَ إلى أبي موسى أن يَسيرَ بجنودِ البصرةِ، وكتَب إلى النُّعمانِ - وكان

بالبصرة - أن يسيرَ بمَن هناك من الجنود إلى نَهاوَنْدَ، وإذا اجتمَعَ الناسُ فكلٌّ أميرٌ على جيشه، والأميرُ على الناسِ كلِّهم النُّعمانُ بنُ مُقَرِّن، فإذا قُتل فحذيفةُ بنُ اليَمان، فإن قُتل فجريرُ بنُ عبد الله، فإن قُتل فقَيْسُ بنُ مَكْشُوح، فإن قُتل قيسٌ ففلانٌ ثم فلانٌ. حتى عدَّ سبعةً، أحدُهم المغيرةُ بنُ شُعْبَةَ. وقيل: لم يسمَّ فيهم. واللهُ أعلمُ.

وصورةُ الكتاب: بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد الله، عمرَ أمير المؤمنين، إلى النُّعمان ابن مُقَرِّن، سلامٌ عليكَ، فإنِّي أحمَدُ إليك اللهَ الذي لا إلهَ إلاّ هو، أمَّا بعدُ، فإنَّه قد بلَغَني أنَّ جموعًا من الأعاجم كثيرةً قد جمَعوا لكم بمدينة نَهاوَنْدَ، فإذا أتاك كتابي هذا فسرْ بأمر الله وبعون الله وبنصر الله، وبمَن معك من المسلمين، ولا تُوطِئْهم وَعْرًا فتُؤْذِيَهم، ولا تَمنَعْهم حقَّهم فتُكْفِرَهم، ولا تُدخلْهم غَيْضةً، فإنَّ رجلاً من المسلمين أحبُّ إليَّ من مائة ألف دينار، والسلامُ عليكَ، فسر في وجهك ذلك حتى تأتيَ ماهَ، فإنِّي قد كتبتُ إلى أهل الكوفة أن يُوافوكَ بها، فإذا اجتمَع إليك جنودُك فسرْ إلى الفَيْرُزانِ ومَن يَجْتَمِعُ معه من الأعاجم من أهل فارسَ وغيرِهم، واستنصِروا اللهَ، وأكثِروا من: لا حولَ ولا قوَّةَ إلاَّ بالله.

وكتَب عمرُ إلى نائب الكوفة - عبد الله بن عبد الله - أن يُعيِّنَ جيشًا ويَبعثَهم إلى نَهاوَنْدَ، وليكنِ الأميرُ عليهم حذيفةَ بنَ اليَمانِ حتى يَنتهيَ إلى النُّعمانِ بنِ مُقَرِّن، فإن قُتلَ النُّعمانُ فحذيفةُ، فإن قُتلَ فنُعَيْمُ بنُ مُقَرِّن، وولِّ السَّائبَ بنَ الأَقْرَع قَسْمَ الغنائم. فسار حذيفةُ في جيشٍ كثيفٍ نحوَ النُّعمان ابـــن مُقَرِّنٍ ليُوافوه بماهَ، وسار مع حذيفةَ خلقٌ كثيرٌ من أمراء العراق، وقد أرصَد في كلِّ كُورةٍ ما يَكفيها من المُقاتلة، وجعَل الحَرَسَ في كلِّ ناحيةٍ، واحتاطُوا احتياطًا عظيمًا، ثم انتَهَوْا إلى النُّعمان بن مُقَرِّنٍ حيث اتَّعَدُوا، فدفَع حذيفةُ بنُ اليمان إلى النُّعمان كتابَ عمرَ، وفيه الأمرُ له بما يَعتمدُه في هذه الوَقْعَة. فكمَل جيشُ المسلمينَ في ثلاثينَ ألفًا من المُقاتلَة. فيما رَواه سيفٌ، عن الشَّعْبيِّ، فيهم من سادات الصحابة ورؤوس العرب خلقٌ كثيرٌ وجَمٌّ غَفيرٌ؛ منهم عبدُ الله بنُ عمرَ أميرِ المؤمنينَ، وجريرُ ابنُ عبد الله البَجَليُّ، وحذيفةُ بنُ اليَمانِ، والمغيرةُ بنُ شعبةَ، وعمرُو بنُ مَعْدِ يكَرِبَ الزُّبَيْديُّ، وطُلَيحةُ بنُ خُوَيْلِدٍ الأسَديُّ، وقيسُ بنُ مَكْشُوحٍ المُراديُّ. فسار الناسُ نحوَ نَهاوَنْدَ، وبعَث النُّعمانُ ابنُ مُقَرِّنٍ الأميرُ بينَ يدَيه طليعةً ثلاثةً؛ وهم طُلَيحةُ، وعمرُو بنُ مَعْدِ يكَرِبَ الزُّبَيْديُّ، وعمرُو بنُ أبي سُلْمَى، ويُقالُ له: عمرُو بنُ ثُبَيٍّ أيضًا، ليكشفوا له خَبَرَ القوم وما هم عليه. فسارت الطليعةُ يومًا وليلةً فرجَع عمرُو بنُ ثُبَيٍّ، فقيل له: ما رجَعك؟ فقال: كنتُ في أرضِ العجَم، وقَتلَتْ أرضٌ جاهلَها، وقتَل أرضًا عالمُها. ثم رجَع بعدَه عمرُو بنُ مَعْدِ يكَرِبَ، وقال: لم نَرَ أحدًا، وخفتُ أن يؤخَذَ علينا بالطريق. ونفَذ طُلَيحةُ ولم يحفِلْ برجوعهما، فسار بعدَ ذلك نحوًا من بِضْعَةَ عَشَرَ فَرْسَخًا حتى انتهَى إلى نَهاوَنْدَ، ودخَل في العجَم وعلِم من أخبارِهم ما أحبَّ، ثم رجَع إلى النُّعمانِ فأخبَره بذلك، وأنَّه ليس بينَه وبين نَهاوَنْدَ شيءٌ يَكرَهُه.

فسارَ النُّعمانُ علىٰ تعبئتِه وعلىٰ المُقدِّمَةِ نُعَيمُ بنُ مُقَرِّنٍ، وعلىٰ المُجَنِّبَتَيْنِ حُذيفةُ وسُوَيْدُ بنُ مُقَرِّنٍ، وعلىٰ المُجَرَّدَةِ القَعْقاعُ بنُ عمرٍو، وعلىٰ السَّاقَةِ مجاشعُ بنُ مسعودٍ، حتىٰ انتهَوْا إلىٰ الفُرْسِ وعليهم الفَيْرُزانُ، ومعه من الجيشِ كلُّ مَن غاب عن القادسيَّة في تلك الأيامِ المتقدِّمة، وهو في مائةٍ وخمسينَ ألفًا. فلمَّا تراءا الجمعان كبَّر النُّعمانُ وكبَّر المسلمونَ ثلاث تكْبيراتٍ، فزُلْزلَتِ الأعاجمُ ورُعِبُوا من ذلك رُعْبًا شديدًا، ثم أمَرَ النُّعمانُ بحطِّ الأثقالِ وهو واقفٌ، فحطَّ الناسُ أثقالَهم، وتركوا رِحالَهم، وضرَبوا خيامَهم وقبابَهم، وضُرِبت خَيْمَةٌ للنُّعمانِ عظيمةٌ، وكان الذين ضرَبوا أربعةَ عشَرَ من أشرافِ الجيشِ؛ وهم حُذيفةُ بنُ اليَمان، وعُقْبَةُ بنُ عمرٍو، والمغيرةُ بنُ شعبةَ، وبَشيرُ بنُ الخصَاصيَّةِ، وحَنْظَلَةُ الكاتبُ، وابنُ الهَوْبَرِ، ورِبْعِيُّ بنُ عامرٍ، وعامرُ بنُ مَطَرٍ، وجريرُ بنُ عبدِ الله الحِمْيَرِيُّ، وجريرُ بنُ عبدِ الله البَجَلِيُّ، والأقْرَعُ بنُ عبدِ الله الحِمْيَرِيُّ، والأشْعَثُ بنُ قَيْسٍ الكِنْدِيُّ، وسعيدُ بنُ قيسٍ الهَمْدانِيُّ، ووائلُ بنُ حُجْرٍ، فلم يُرَ بالعراقِ خَيْمَةٌ عظيمةٌ أعظمَ من بناءِ هذه الخَيْمَة. وحينَ حطُّوا الأثقالَ أمَرَ النُّعمانُ بالقتالِ، وكان يومَ الأرْبعاءِ، فاقتتَلوا ذلك اليومِ والذي بعدَه والحربُ سِجالٌ، فلمَّا كان يومُ الجُمُعَةِ انحَجَزوا في حصنِهم، وحاصَرهم المسلمونَ فأقاموا عليهم ما شاءَ اللهُ، والأعاجمُ يَخرُجون إذا أرادوا ويَرجعونَ إلىٰ حُصونِهم إذا أرادوا. وقد بعَث أميرُ الفُرْسِ يَطلُبُ رجلاً من المسلمين ليُكلِّمَه، فذهَب إليه المغيرةُ بنُ شعبةَ، فذكَر من عَظَمةِ ما رآه عليه في لُبْسه ومَجْلسه، وفيما خاطَبه به من الكلامِ في احتقارِ العرَبِ واستهانته بهم، وأنَّهم كانوا أطولَ الناسِ جُوعًا، وأقلَّهم دارًا وقَدْرًا، وقال: ما يَمْنَعُ هؤلاء الأَساوِرَةَ حَولِي أن يَنتَظِموكم بالنُّشَّابِ إلاَّ تَنجُّسًا من جِيَفِكم، فإن تَذهَبوا نُخَلِّ عنكم، وإن تَأْبوا نُزِرْكم مَصارِعَكم. قال: فَتَشهَّدتُ وحمِدتُ اللهَ، وقلتُ: لقد كنّا أسوأَ حالاً ممَّا ذكَرْتَ، حتىٰ بعَث اللهُ رسولَه فوعَدَنا النصرَ في الدنيا، والجنَّةَ في الآخرةِ، وما زِلْنا نَتعرَّفُ من ربِّنا النصرَ منذ بعَث اللهُ رسولَه إلينا، وقد جِئْناكم في بلادِكم، وإنَّا لن نرجعَ إلىٰ ذلك الشقاءِ أبدًا حتىٰ نَغلِبَكم علىٰ بلادِكم وما في أيديكم، أو نُقتَل بأرضِكم. فقال: أمَا واللهِ، إنَّ الأعور لقد صدَقَكم ما في نفسه.

فلمَّا طال علىٰ المسلمينَ هذا الحالُ واستمرَّ، جمَع النُّعمانُ بنُ مُقَرِّنٍ أهلَ الرأيِ من الجيشِ، واشتَوَرُوا في ذلك، وكيف يكونُ من أمرِهم حتىٰ يَتواجَهوا هم والمشركُون في صعيدٍ واحدٍ. فتكلَّم عمرُو بنُ أبي سُلْمَىٰ أولاً - وهو أسنُّ من كان هناك - فقال: إنَّ بقاءَهم علىٰ ما هم عليه أضَرُّ عليهم من الذي يَطلُبُه منهم وأبقَىٰ علىٰ المسلمينَ. فردَّ الجميعُ عليه وقالوا: إنَّا لعلىٰ يقينٍ من إظهارِ دينِنا، وإنجازِ موعودِ الله لنا. وتكلَّم عمرُو بنُ مَعْدِ يكَرِبَ فقال: ناهِدْهم وكاثِرْهم ولا تَخَفْهم. فرَدُّوا جميعًا عليه وقالوا: إنَّما يُناطِحُ بنا الجُدْرانَ، والجُدْرانُ أعوانٌ لهم علينا. وتكلَّم طُلَيْحَةُ الأسَدِيُّ فقال: إنَّهما لم يُصيبا، وإنِّي أرَىٰ أن تَبعَثَ سريةً فتَحدقَ بهم ويُناوشوهم بالقتالِ ويُحْمِشُوهم، فإذا برَزوا إليهم فليَفِرُّوا إلينا هِرابًا بينَ أيديهم، فإذا استطْرَدوا وراءَهم وانتهَوْا إلينا، عزَمْنا أيضًا علىٰ الفرارِ كُلُّنا،

فإنَّهم حينئذٍ لا يَشكُّونَ في الهزيمةِ فيَخرُجون من حُصونِهم عن بَكْرةِ أبيهم، فإذا تكامَلَ خُروجُهم رجَعْنا إليهم فجالدْناهم حتىٰ يَقضيَ اللهُ بينَنا، فاستَجادَ الناسُ هذا الرأيَ.

وأمَّرَ النُّعمانُ علىٰ المُجرَّدةِ القَعْقاعَ بنَ عمرٍو، وأمَرهم أن يَذهَبوا إلىٰ البلدِ فيُحاصِروهم وحدَهم ويَهْرُبوا بينَ أيديهم إذا بَرَزوا إليهم. ففعَلَ القَعْقاعُ ذلك، فلمَّا بَرَزوا من حُصونِهم نكَصَ القَعْقاعُ بمَن معه، ثم نكَصَ، ثم نكَصَ، فاغتَنَمَها الأعاجمُ، ففعَلوا ما ظَنَّ طُلَيحةُ، وقالوا: هي هي. فخرَجوا بأجمَعِهم ولم يَبْقَ بالبلدِ من المُقاتِلَةِ إلَّا مَن يَحفَظُ لهم الأبوابَ، حتىٰ انتهَوْا إلىٰ الجيشِ، والنُّعمانُ بنُ مُقَرِّنٍ علىٰ تَعبِئَتِه، وذلك في صدرِ نهارِ جُمُعةٍ، فعزَمَ الناسُ علىٰ مصادَمَتِهم، فنَهاهم النُّعمانُ وأمَرَهم أن لا يُقاتِلوا حتىٰ تَزولَ الشمسُ، وتَهُبَّ الأرواحُ، ويَنزِلَ النصرُ، كما كان رسولُ اللهِ ﷺ يفعَلُ، وألحَّ الناسُ علىٰ النُّعمانِ في الحمْلَةِ فلم يَفعَلْ - وكان رَجلاً ثابتًا - فلمَّا كان الزوالُ، صلَّىٰ بالمسلمين ثم ركِبَ برْذَوْنًا له أحْوَىٰ قريبًا من الأرضِ، فجعَلَ يَقِفُ علىٰ كُلِّ رايةٍ ويَحُثُّهم علىٰ الصبرِ ويأمُرُهم بالثباتِ، ويُقَدِّمُ إلىٰ المسلمين أنَّه يُكبِّرُ الأُولَىٰ فيتأهَّبُ الناسُ للحمْلةِ، ويكبِّرُ الثانيةَ فلا يَبْقَىٰ لأحدٍ أُهْبَةٌ، ثم الثالثةَ ومعها الحمْلَةُ الصادقةُ. ثم رجَعَ إلىٰ موقفِه، وتعبَّتِ الفُرسُ تَعْبِئةً عظيمةً واصطَفُّوا صفوفًا هائلةً، في عَدَدٍ وعُدَدٍ لم يُرَ مثلُه، وقد تَغلْغَلَ كثيرٌ منهم بعضُهم في بعضٍ، وألقَوْا حَسَكَ الحديدِ وراءَ ظهورِهم حتىٰ لا يُمكِنَهم الهربُ ولا الفرارُ ولا التحيُّزُ. ثم إنَّ النُّعمانَ بنَ مُقَرِّنٍ - رضيَ اللهُ عنه - ، كبَّر الأُولىٰ وهزَّ الرايةَ فتأهَّبَ الناسُ للحملةِ، ثم كبَّر الثانيةَ وهزَّ الرايةَ فتأهَّبوا أيضًا، ثم كبَّر الثالثةَ وحمَلَ وحمَلَ الناسُ علىٰ المشركينَ، وجعلَت رايةُ النُّعمانِ تَنقَضُّ نحوَ الفُرْسِ كانقضاضِ العُقابِ علىٰ الفريسةِ حتىٰ تصافَحوا بالسيوفِ، فاقتَتلوا قتالاً لم يُعْهَدْ مثلُه في مَوْقفٍ من المواقفِ المتقدِّمةِ، ولا سمع السامعون بوَقْعةٍ مثلِها، قُتِلَ من المشركين ما بينَ الزوالِ إلىٰ الظلامِ من القَتْلَىٰ ما طبَّقَ وجهَ الأرضِ دمًا، بحيث إنَّ الدوابَّ كانت تَطَبَعُ فيه، حتىٰ قيل: إنَّ الأميرَ النُّعمانَ بنَ مُقَرِّنٍ زلَقَ به حصانُه في ذلك الدَّمِ، فوقَع وجاءه سَهمٌ في خاصرَتِه فقَتَله، ولم يَشعُرْ به أحدٌ سوىٰ أخيه سُوَيْدٍ، وقيل: نُعَيْمٌ. وقيل: غطَّاه بثوبِه وأخفَىٰ موتَه ودفَعَ الرايةَ إلىٰ حذيفةَ بنِ اليَمانِ. فأقام حذيفةُ أخاه نُعَيمًا مكانَه، وأمَرَ بكتْمِ موتِه حتىٰ ينفصلَ الحالُ، لئلا يَنهزِمَ الناسُ. فلمَّا أظلَمَ الليلُ انهزَمَ المشركون مُدْبِرينَ وتبعهم المسلمونَ - وكان الكفارُ قد قرَّنوا منهم ثلاثينَ ألفًا بالسلاسلِ وحَفَروا حولَهم خَنْدَقًا، فلمَّا انهزَموا وقَعوا في الخَنْدَقِ وفي تلك الأوديةِ نحوَ مائةِ ألفٍ - وجعَلوا يتساقطونَ في أوديةِ بلادِهم، فهلَكَ منهم بَشرٌ كثيرٌ نحوَ مائةِ ألفٍ أو يَزيدونَ، سوىٰ مَن قُتِلَ في المعركةِ، ولم يَفْلِتْ منهم إلَّا الشَّريدُ. وكان الفَيْرُزانُ أميرُهم قد صرع في المعركةِ فانفلَتَ وانهزَمَ، وأتْبَعَه نُعَيْمُ بنُ مُقَرِّنٍ، وقدَّمَ القَعْقاعَ بينَ يَدَيْه، وقصَدَ الفَيْرُزانُ هَمَذانَ، فلحقه القَعْقاعُ وأدركه عندَ ثَنِيَّةِ هَمَذانَ، وقد أقْبَلَ منها بِغالٌ كثيرٌ وحُمُرٌ تحملُ عسلاً، فلم يَسْتَطِعِ الفيرزانُ صعودَها منهم، وذلك لِحَيْنِه فترجَّلَ وتَوَقَّلَ في الجبلِ فأتْبَعه القَعْقاعُ حتىٰ قتَلَه. وقال المسلمون يومئذٍ: إنَّ للهِ جنودًا من عسلٍ. ثم غنِموا

ذلك العسلَ وما خالَطه مِن الاحمال. وسُمِّيَتْ تلك الثَّنِيَّةُ ثَنِيَّةَ العسلِ.

ثم لَحِق القَعْقاعُ بقيَّةَ المُنهزمينَ منهم إلى هَمَذانَ، وحاصَرَها وحوَىٰ ما حولَها، فنزَل إليه صاحبُها - وهو خُسْرَوْ شُنُوم - فصالَحه عليها. ثم رجَع القَعْقاعُ إلى حذيفةَ ومَن معه من المسلمين وقد دَخلوا بعدَ الوَقْعَةِ نَهاوَنْدَ عَنْوَةً، وقد جمَعوا الأسلابَ والمغانمَ إلى صاحبِ الأقباضِ وهو السائبُ بنُ الأقرعِ. ولمَّا سمِع أهلُ ماهَ بخبرِ أهلِ هَمَذانَ، بعَثوا إلى حذيفةَ وأخَذوا لهم منه الأمانَ. وجاءَ رَجلٌ يُقالُ له: الهِرْبِذُ - وهو صاحبُ نارِهم - فسأل مِن حذيفةَ الأمانَ ويَدفَعُ إليهم وَديعةً عنده لكسرَىٰ ادَّخَرها لنوائبِ الزمانِ، فأمَّنه حذيفةُ، وجاء ذلك الرجلُ بسَفَطَيْنِ مملوءَيْنِ جَوْهرًا ثَمينًا لا يُقَوَّمُ، غيرَ أنَّ المسلمين لم يَعْبَئوا به، واتَّفَق رأيُهم على بَعْثِه لعمرَ خاصَّةً، وأرْسَلوه صُحْبَةَ الأخماسِ والسَّبْيِ، صُحْبَةَ السائبِ بنِ الأقرعِ، وأرْسَل قبلَه بالفتحِ مع طَريفِ بنِ سَهمٍ، ثم قسَم حذيفةُ بقيَّةَ الغَنيمةِ في الغانمينَ، ورضَخ ونفَل لذَوِي النَّجَداتِ، وقسَم لمَن كان قد أرْصَد مِن الجيوشِ لحفظِ ظُهورِ المسلمينَ مِن ورائِهم، ومَن كان رِدْءًا لهم، ومَنْسوبًا إليهم.

وأمَّا أميرُ المؤمنينَ فإنَّه كان يَدْعُو اللهَ ليلاً ونهارًا لهم، دُعاءَ الحواملِ المُقْرِباتِ، وابتهالَ ذوي الضروراتِ، وقد استبْطَأ الخبرَ عنهم، فبَينا رجلٌ مِن المسلمينَ ظاهرَ المدينةِ إذا هو براكبٍ، فسأله مِن أين أقْبَل؟ فقال: مِن نَهاوَنْدَ. فقال: ما فَعَل الناسُ؟ قال: فتَح اللهُ عليهم وقُتِل الأميرُ، وغَنِم المسلمونَ غنيمةً عظيمةً، أصاب الفارسَ ستةُ آلافٍ، والراجِلَ ألفانِ. ثم فاتَه وقدِم ذلك الرجلُ المدينةَ، فأخبَر الناسَ وشاع الخبرُ حتى بلَغ أميرَ المؤمنين فطلَبه فسأله عمَّن أخبَره، فقال: راكبٌ. فقال: إنَّه لم يَجِئْني، وإنَّما هو رجلٌ مِن الجنِّ، وهو بَريدُهم، واسمُه عثيم.

ثم قدِم طريفٌ بالفتحِ بعدَ ذلك بأيامٍ، وليس معه سوىٰ الفتحِ، فسأله عمرُ عمَّن قتَل النُّعمانَ فلم يكنْ معه علمٌ، حتى قدِم الذين معهم الأخماسُ فأخبَروا بالأمرِ على جَلِيَّتِه، فإذا ذلك الجِنِّيُّ قد شهِد الوَقْعَةَ ورجَع سريعًا إلى قومِه نذيرًا. ولمَّا أُخْبِر عمرُ بمَقْتَلِ النُّعمانِ بكَىٰ وسأل السائبَ عمَّن قُتِل مِن المسلمين فقال: فلانٌ وفلانٌ وفلانٌ. لأعيانِ الناسِ وأشرافِهم. ثم قال: وآخرونَ مِن أفْنادِ الناسِ ممَّن لا يَعْرِفُهم أميرُ المؤمنينَ. فجعَل عمرُ يَبْكي ويقولُ: وما ضرَّهم أن لا يَعْرِفَهم أميرُ المؤمنين! لكنَّ اللهَ يَعْرِفُهم وقد أكْرَمَهم بالشهادةِ، وما يَصْنَعونَ بمعرفةِ عمرَ. ثم أمَر بقِسْمَةِ الخُمُسِ على عادتِه، وحُمِلَتْ ذانك السَّفَطَانِ إلى مَنْزِلِ عمرَ، ورجَعتِ الرسلُ. فلمَّا أصْبَح عمرُ طلَبهم فلم يجِدْهم، فأرْسَل في إثْرِهم البُرُدَ فما لحِقهم البريدُ إلَّا بالكوفةِ.

قال السائبُ بنُ الأقرعِ: فلمَّا أنَخْتُ بَعيري بالكوفةِ، أناخ البريدُ بعيرَه على عُرْقُوبِ بَعيري، وقال: أجِبْ أميرَ المؤمنينَ. فقلتُ: لماذا؟ فقال: لا أدري. فرَجَعْنا على إثْرِنا حتى انتهَيْتُ إليه. قال: مالي ولك يابنَ أمِّ السائبِ، بل ما لابنِ أمِّ السائبِ ومالي. قال: فقلتُ: وما ذاك يا أميرَ المؤمنينَ؟ فقال: وَيْحَك، واللهِ إنْ هو إلَّا أن نِمْتُ في الليلةِ التي خرَجْتَ فيها، فباتَتْ ملائكةُ اللهِ تسحَبُني إلى

ذينك السَّفَطَيْنِ وهما يَشتَعلان نارًا، يقولون: لنَكْوِيَنَّك بهما. فاقولُ: إنِّي سأقسمُهما بينَ المسلمينَ. فاذْهَبْ بهما لا أبَا لك فبِعْهما فاقسِمْهما في أعْطيَةِ المسلمينَ وأرزاقهم، فإنَّهم لا يَدْرونَ ما وُهِبُوا ولم تدْرِ أنت معهم. قال السائبُ: فأخذْتُهما حتى جئتُ بهما مسجدَ الكوفةِ وغَشِيَتْني التجارُ، فابتاعَهما منِّي عمرُو بنُ حُرَيثٍ المَخْزُوميُّ بألفَيْ ألفٍ، ثم خرَج بهما إلى أرضِ الأعاجمِ فباعَهما بأربعةِ آلافِ ألفٍ، فما زال أكثرَ أهلِ الكوفةِ مالاً بعدَ ذلك.

قال سيفٌ: ثم قسَم ثَمَنَهما بينَ الغانمينَ، فنال كلُّ فارسٍ أربعةَ آلافِ درهمٍ من ثَمَنِ السَّفَطَيْنِ.

قال الشَّعْبيُّ: وحصَل للفارسِ من أصلِ الغنيمةِ ستةُ آلافٍ، وللراجلِ ألفانِ، وكان المسلمونَ ثلاثينَ ألفًا.

قال: وافتُتِحَتْ نَهاوَنْدُ في أولِ سنةِ تسعَ عَشْرَةَ لسبعِ سنَينَ من إمارةِ عمرَ. رَواه سيفٌ، عن عمرِو ابنِ محمدٍ عنه.

وبه عن الشَّعْبيِّ قال: لمَّا قُدِم بسَبْيِ نَهاوَنْدَ إلى المدينةِ، جَعَل أبو لُؤْلُؤَةَ فَيْروزُ غلامُ المغيرةِ بنِ شعبةَ - لا يَلْقَى منهم صغيرًا إلاَّ مسَح رأسَه وبكَى، وقال: أكَل عمرُ كَبِدي. وكان أصلُ أبي لُؤْلُؤَةَ من نَهاوَنْدَ، فأسَرَتْه الرُّومُ أيامَ فارسَ، وأسرَتْه المسلمون بعدُ، فنُسِب إلى حيثُ سُبِي.

قالوا: ولم تقُمْ للأعاجمِ بعدَ هذه الوَقْعَةِ قائمةٌ. وألحَق عمرُ الذين أبْلَوْا فيها في ألفينِ تشريفًا لهم وإظهارًا لشأنهم.

وفي هذه السنةِ افتتَح المسلمونَ أيضًا بعدَ نَهاوَنْدَ مدينةَ جَيٍّ - وهي مدينةُ أصْبَهَانَ - بعدَ قتالٍ كثيرٍ وأمورٍ طويلةٍ، فصالَحوا المسلمينَ، وكتَب لهم عبدُ اللهِ بنُ عبدِ اللهِ كتابَ أمانٍ وصُلْحٍ، وفرَّ منهم ثلاثونَ نفرًا إلى كَرْمَانَ لم يصالِحوا المسلمين. وقيل: إنَّ الذي فتَح أصْبَهَانَ هو النُّعمانُ بنُ مُقَرِّنٍ وأنَّه قُتِلَ بها، ووقَع أميرُ المجوسِ وهو ذو الحاجبَيْن عن فرسِه فانشقَّ بطنُه ومات وانهزَم أصحابُه. والصحيحُ: أنَّ الذي فتَح أصْبَهَانَ عبدُ اللهِ بنُ عبدِ اللهِ بنِ عِتْبانَ، الذي كان نائبَ الكوفةِ.

وفيها افتتَح أبو موسى قُمَّ وقَاشَانَ، وافتتَح سهيلُ بنُ عديٍّ مدينةَ كَرْمَانَ.

وذكَر ابنُ جريرٍ، عن الواقديِّ، أنَّ عمرَو بنَ العاصِ سار في جيشٍ معه إلى أَنْطَابُلُسَ - قال: وهي بَرْقَةُ - فافتتَحها صُلْحًا على ثلاثةَ عَشَرَ ألفَ دينارٍ في كلِّ سنةٍ.

قال: وفيها بَعَث عمرُو بنُ العاصِ عُقْبَةَ بنَ نافعٍ الفِهْريَّ إلى زَوِيلَةَ ففتَحها بصُلْحٍ، وصار ما بينَ بَرْقَةَ إلى زَوِيلَةَ سِلْمًا للمسلمين.

قال: وفيها ولَّى عمرُ عمَّارَ بنَ ياسرٍ على الكوفةِ بدلَ زيادِ بنِ حَنْظَلَةَ الذي ولاَّه بعدَ عبدِ اللهِ بنِ عبدِ اللهِ بنِ عِتْبانَ، وجعَل عبدَ اللهِ بنَ مسعودٍ على بيتِ المالِ، فاشتكَى أهلُ الكوفةِ من عمَّارٍ فاستَعْفَى عمَّارٌ من عمرَ، فعزَله وولَّى جُبَيْرَ بنَ مُطْعِمٍ، وأمَره أن لا يُعْلِمَ أحدًا. وبعث المغيرةُ بنُ شعبةَ امرأتَه إلى امرأةِ جُبَيْرٍ يَعْرِضُ عليها طعامًا للسفرِ، فقالت: اذهَبي فائتيني به. فذهَب المغيرةُ إلى عمرَ

فقال: باركَ اللهُ يا أميرَ المؤمنينَ في مَن ولّيتَ على الكوفة. فقال: وما ذاك؟ وبعثَ إلى جُبيرِ بنِ مُطْعِمٍ، فعزَلَه وولّى المغيرةَ بن شعبةَ ثانيةً، فلم يَزَلْ عليها حتى ماتَ عمرُ، رضي اللهُ عنهم.

قال: وفيها حَجَّ عمرُ واستخلَفَ على المدينةِ زيدَ بنَ ثابتٍ، وكان عُمّالَه على البُلدانِ المتقدِّمونَ في السنةِ التي قبلها سوى الكوفة.

قال الواقديُّ: وفيها تُوُفِّيَ خالدُ بنُ الوليدِ بحِمْصَ، وأوصَى إلى عمرَ بنِ الخطاب. وقال غيرُه: تُوُفِّيَ سنةَ ثلاثٍ وعشرينَ. وقيل: بالمدينة. والأوّلُ أصحُّ.

وقال غيرُه: وفيها تُوُفِّيَ العلاءُ بنُ الحَضْرَميِّ فولّى عمرُ مكانَه أبا هريرةَ.

وقد قيل: إنَّ العلاءَ تُوُفِّيَ قبلَ هذا. كما تقدَّم. فاللهُ أعلمُ.

وقال ابنُ جرير: فيما حكاه عن الواقديِّ: وكان أميرَ دمشقَ في هذه السنة عُمَيرُ بنُ سعدٍ، وهو أيضًا على حِمْصَ وحَوْرانَ وقِنَّسْرِينَ والجَزيرةِ، وكان مُعاويةُ على البَلْقاءِ والأُرْدُنِّ، وفلَسْطِينَ، والسواحلِ وأنْطاكيَةَ وغيرِ ذلك.

ذكرُ مَن تُوفّيَ في هذه السنة

أعني سنةَ إحدى وعشرين

خالدُ بنُ الوليد

ابنِ المُغيرةِ بنِ عبدِ اللهِ بنِ عمرَ بنِ مَخْزُومٍ القُرَشيُّ، أبو سليمانَ المَخْزُوميُّ، سيفُ الله، أحدُ الشجْعانِ المَشْهُورين، لم يُقْهَرْ في جاهليَّةٍ ولا إسلامٍ. وأُمُّه عَصْماءُ بنتُ الحارث، أُختُ لُبابَةَ بنتِ الحارث، وأُختُ ميمونةَ بنتِ الحارث أُمِّ المؤمنينَ.

قال الواقديُّ: أسْلَمَ أولَ يومٍ من صَفَرٍ سنةَ ثمانٍ، وشهد مُؤْتَةَ، وانتهَتْ إليه الإمارةُ يومَئذٍ عن غيرِ إمْرَةٍ، فقاتَلَ يومَئذٍ قتالاً شديدًا لم يُرَ مثلُه، اندقَّتْ في يده تسعةُ أسيافٍ، ولم تَثْبُتْ في يده إلاّ صفيحةٌ يمانيَةٌ. وقد قال رسولُ الله ﷺ: «أخَذَ الرايَةَ زيدٌ فأُصيب، ثم أخذَها جعفرٌ فأُصيبَ، ثم أخذَها عبدُ الله ابنُ رَواحَةَ فأُصيبَ، ثم أخَذَها سيفٌ من سُيوفِ الله ففتَحَ اللهُ على يَدَيه»(١).

وقد رُوِيَ أنَّ خالدًا سقَطَت قَلَنْسُوتُه يومَ اليَرْمُوكِ وهو في الحَربِ، فجعَلَ يَستحِثُّ في طلبِها، فعُوتِبَ في ذلك، فقال: إنَّ فيها شيئًا من شَعْرِ ناصيةِ رسولِ الله ﷺ، وإنّها ما كانت معي في موقفٍ

---

(١) تقدم.

إلاَّ نُصِرْتُ بها[١] .

وقد رُوِّينا في «مسندِ أحمدَ» مِن طريقِ الوليدِ بنِ مسلمٍ، عن وَحْشِيِّ بنِ حَرْبٍ، عن أبيه، عن جدِّه وَحْشيِّ بنِ حَرْبٍ، عن أبي بكرٍ الصِّديقِ، أنَّه لمَّا أمَّر خالدًا على حربِ أهلِ الردةِ قال: إنِّي سمِعْتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ: «**نِعْمَ عبدُ اللهِ وأخو العشيرةِ خالدُ بنُ الوليدِ، سيفٌ مِن سيوفِ اللهِ، سلَّه اللهُ على الكفارِ والمُنافقين**»[٢] .

وقال أحمدُ: حدَّثنا حسينُ الجُعْفِيُّ، عن زائدةَ، عن عبدِ الملكِ بنِ عُمَيْرٍ، قال: استعْمَل عمرُ بنُ الخطابِ أبا عبيدةَ على الشامِ وعزَل خالدَ بنَ الوليدِ، فقال خالدٌ: بعَث عليكم أمينَ هذه الأمةِ، سمِعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ: «**أمينُ هذه الأمَّةِ أبو عبيدةَ بنُ الجراحِ**». فقال أبو عبيدةَ: سمِعْتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ: «**خالدٌ سيفٌ مِن سُيوفِ اللهِ، نعْمَ فَتَى العشيرةِ**». وقد أورَدَه ابنُ عَساكرَ مِن حديثِ عبدِ اللهِ ابنِ أبي أوْفَى، وأبي هريرةَ، ومِن طُرُقٍ مُرْسَلةٍ يُقَوِّي بعضُها بعضًا[٣] .

وفي «الصحيحِ»: «**وأمَّا خالدٌ فإنَّكم تَظلِمون خالدًا، وقد احتَبَس أدْراعَه وأعْتادَه في سبيلِ اللهِ**»[٤] .

وشهِد الفتحَ، وشهِد حُنَيْنًا، وغزا بني جَذِيمةَ أميرًا في حياتِه، عليه الصلاة والسلامُ، واخْتُلِف في شهودِه خَيْبَرَ. وقد دخَل مكةَ يومَئذٍ أميرًا على طائفةٍ مِن الجيشِ، وقتَل خَلْقًا كثيرًا مِن قُرَيْشٍ، كما قدَّمنا ذلك مبسوطًا في موضِعه. ولله الحمدُ، والمِنَّةُ. وبعَثه رسولُ اللهِ ﷺ إلى العُزَّى - وكانت لهَوازِنَ - فكسَر أنفَها أولاً، ثم دعثَرها وجعَل يقولُ:

يا عُزَّ كُفرانَكِ لا سُبحانَكِ ... إنِّي رأيتُ اللهَ قد أهانَكِ

---

(١) لم يصح هذا وإسناده منقطع: أخرجه أبو يعلى (٧١٨٣) والحاكم (٣/ ٢٩٩) والطبراني (٤/ ١٠٤) رقم (٣٨٠٤) من طريقين عن سعيد بن منصور وسريج بن يونس أبو الحارث كليهما عن هشيم ثنا عبد الحميد بن جعفر عن أبيه أن خالد بن الوليد فقد قلنسوته. . . فذكره بنحو من ألفاظه. وجعفر هو بن عبد الله بن الحكم بن نافع صدوق لكن قال الهيثمي في «المجمع» (٩/ ٣٤٩) لا أدري سمع من خالد أم لا قلت «محمد»: تعقب الذهبي الحاكم فقال: قلت: منقطع.

(٢) إسناده ضعيف ولكن له شواهد تقويه: أخرجه أحمد (١/ ٨) وغيره وحرب بن وحشي لم يوثقه معتبر ولم يحدث عنه إلا ابنه قال البزار (١/ ١٦١) وعنده مناكير لم يروها غيره وهو مجهول في الرواية وإن كان معرفًا في النسب، ولكن له شواهد تقويه منها: ما أخرجه البخاري من حديث أنس برقم (٤٢٦٢) وفيه: «حتى أخذ الراية سيف من سيوف اللَّه حتى فتح اللَّه عليهم».

(٣) إسناده صحيح لشواهده: أخرجه أحمد (٤/ ٩٠) وابن أبي شيبة (١٢/ ١٢٤) كليهما عن حسين بن علي الجعفي بهذا الإسناد وهو إسناد ضعيف لأن عبد الملك بن عمير لم يدرك أبا عبيدة بن الجراح كما قال أبو زرعة فيما نقله عنه العلائي في «جامع التحصيل» (ص٢٣٠) ومراسيل ابن أبي حاتم ص (١٣٣) وكذلك لم يدرك خالد بن الوليد فخالد توفي سنة ٢١ أو ٢٢ وأبو عبيدة توفي سنة ثمانية عشر وعبد الملك توفي سنة ١٣٦ ست وثلاثين ومائة أو نحوها عن مائة وثلاث سنة فيكون مولده لثلاث سنوات بقيت من خلافة عثمان أما قوله: «خالد سيف من سيوف اللَّه، وأبو عبيدة أمين هذه الأمة» فذلك صحيح تقدمت شواهده ثم وقفت على ما يفيد أن عمر عزل خالدًا عند أحمد (٣/ ٤٧٥ - ٤٧٦) في حديث مطولاً ورجاله ثقات فيشهد للجزء الأول من الحديث واللَّه أعلم وسيأتي عزوه لتاريخ البخاري عند المؤلف بعد قليل بعد ٧ تعليقات إن شاء اللَّه.

(٤) صحيح: أخرجه البخاري (١٤٦٨) كتاب الزكاة باب قوله تعالى: ﴿وفي الرقاب والغارمين﴾ وفيه لفظة «وأعتدة» بدلاً من «أعتاده».

ثم حرقها.

وقد استعمله الصديقُ بعدَ رسولِ الله ﷺ على قتال أهل الردة ومانعي الزكاة، فشفى واشتفى. ثم وجَّهه إلى العراق ثم إلى الشام، فكانت له من المقامات ما ذكرناها مما تقرُّ بها القلوبُ والعيونُ، وتتشنَّفُ بها الأسماعُ. ثم عزله عمر عنها وولَّى أبا عبيدةَ وأبقاه مستشارًا في الحرب، ولم يزل بالشام حتى مات على فراشه، رضي اللهُ عنه.

وقد روى الواقديُّ، عن عبد الرحمن بن أبي الزِّناد، عن أبيه قال: لمَّا حضرت خالدًا الوفاةُ بكى، ثم قال: لقد حضرتُ كذا وكذا زحفًا، وما في جسدي شبرٌ إلا وفيه ضربةٌ بسيف، أو طعنةٌ برمح، أو رميةٌ بسهم، وها أنا أموتُ على فراشي حتفَ أنفي كما يموتُ البعيرُ، فلا نامت أعينُ الجبناء[1].

وقال أبو يعلى: ثنا سُرَيْجُ بنُ يونسَ، ثنا يحيى بنُ زكريا، عن إسماعيلَ بنِ أبي خالدٍ، عن قيسٍ قال: قال خالدُ بنُ الوليد: ما ليلةٌ تُهدَى إليَّ فيها عروسٌ، أو أُبشَّرُ فيها بغلام، بأحبَّ إليَّ من ليلةٍ شديدة الجليد في سريَّةٍ من المهاجرين أُصبِّحُ بهم العدوَّ[2].

وقال أبو بكر بنُ عيَّاش، عن الأعمش، عن خَيْثَمَةَ قال: أُتي خالدٌ برجلٍ معه زِقُّ خمرٍ، فقال: اللهمَّ اجعلْه عسلًا. فصار عسلًا[3]. وله طرقٌ، وفي بعضها: مرَّ عليه رجلٌ معه زِقُّ خمرٍ، فقال له خالدٌ: ما هذا؟ قال: خلٌّ. فقال: اللهمَّ اجعلْه خلًّا. فلمَّا رجع إلى أصحابه قال: جئتُكم بخمرٍ لم تشرب العربُ مثلَه. ثم فتحه فإذا هو خلٌّ، فقال: أصابته والله دعوةُ خالدٍ، رضي اللهُ عنه.

وقال حمَّادُ بنُ سلَمَةَ، عن ثُمامةَ، عن أنسٍ قال: التقى خالدٌ عدوًّا له، فولَّى عنه المسلمونَ مُدْبِرين وثبتَ هو وأخي البراءُ بنُ مالكٍ، وكنتُ بينهما واقفًا، قال: فنكس خالدٌ رأسَه ساعةً إلى الأرض، ثم رفع رأسَه إلى السماء ساعةً قال: وكذلك كان يفعلُ إذا أصابه مثلُ هذا - ثم قال لأخي البراء: قُمْ. فركبا، واختطب خالدٌ مَن معه من المسلمين، وقال: ما هو إلا الجنةُ، وما إلى المدينة سبيلٌ. ثم حمل بهم فهزم المشركين[4].

وقد حكى مالكٌ، عن عمرَ بنِ الخطاب أنَّه قال لأبي بكرٍ: اكتُبْ إلى خالدٍ أن لا يُعْطِيَ شاةً ولا بعيرًا إلا بأمرِك. فكتَب أبو بكرٍ إلى خالدٍ بذلك، فكتَب إليه خالدٌ: إمَّا أن تدَعَني وعملي، وإلاَّ فشأنَك بعملِك. فأشار عليه عمرُ بعزلِه، فقال أبو بكرٍ: مَن يُجْزِي عنِّي جَزاةَ خالدٍ؟ قال عمرُ: أنا.

---

(١) في إسنادِ الواقدي وهو متروك.
(٢) **إسناده صحيح:** أخرجه أبو يعلى (٧١٨٥) وغيره بهذا الإسناد وهذا إسناد صحيح.
(٣) **إسناده منقطع:** أخرجه ابن أبي الدنيا في «مجابو الدعوة» (٥٣) ثنا أبو عبد الله محمد بن إسحاق السهمي عن أبي بكر بن عياش عن الأعمش به. وشيخ ابن أبي الدنيا لم أقف على ترجمته وبقية رجاله ثقات والأثر أورده الحافظ في «الإصابة» (٢/ ٢١٨) وصحح إسناده (ترجمة خالد بن الوليد).
لكن خالد بن الوليد رضي الله عنه توفي زمن عمر وخيثمة لم يدرك عمر كما قال أبو زرعة فيما حكاه عنه العلائي في «جامع التحصيل» (ص ١٧٣ فالظاهر أن خيثمة لم يدرك الوقعة فالإسناد منقطع.
(٤) **لم أقف عليه مسندًا:** ابن عساكر (١٦/ ٢٥٩، ٢٦٠).

قال: فأنت. فتجهزَ عمرُ حتى أُنيخَت الظَّهرُ في الدّار، ثم جاء الصحابةُ فأشاروا على الصديق بإبقاء عمرَ بالمدينة وإبقاء خالد بالشام، فلمَّا وَلِيَ عمرُ كتَب إلى خالد بذلك، فكتَب إليه خالدٌ بمثل ذلك، فعزَلَه، وقال: ما كان اللهُ ليَراني آمُرُ أبا بكر بشيء لا أُنفذُه أنا(١) .

وقد روى البخاريُّ في «التاريخ» وغيرُه، من طريق عليِّ بن رَباح، عن ناشرةَ بن سُمَيٍّ اليَزَنيِّ قال: سمعتُ عمرَ يَعتَذِرُ إلى الناس بالجابيَة من عَزْل خالد، فقال: أمرتُه أن يَحْبِسَ هذا المالَ على ضَعَفَة المُهاجرين، فأعطاه ذا البأس، وذا الشرف واللسان، وأمَّرْتُ أبا عبيدةَ. فقال أبو عمرو بنُ حفص بن المغيرة: ما اعتذَرْتَ يا عمرُ، لقد نزَعْت عاملاً استَعْمَلَه رسولُ الله ﷺ، ووضعْتَ لواءً رفَعه رسولُ الله ﷺ، وأغمَدْتَ سيفًا سلَّه اللهُ، ولقد قطعْتَ الرحمَ، وحسَدْتَ ابنَ العمِّ. فقال عمرُ: إنَّك قريبُ القرابة، حديثُ السنِّ، مُغْضَبٌ في ابن عمِّك(٢) .

قال الواقديُّ، ومحمدُ بنُ سعد، وغيرُ واحد: مات سنةَ إحْدَى وعشرينَ بقرية على ميل من حمصَ، وأوصَى إلى عمرَ بن الخطاب. وقال دُحَيْمٌ وغيرُه: مات بالمدينة. والصحيحُ الأولُ.

وقدَّمْنا فيما سلَف تعزيرَ عمرَ له حينَ أعطَى الأشعثَ بنَ قيس عَشَرَةَ آلاف، وأخْذَه من ماله عشرين ألفًا أيضًا. وقدَّمنا عَتْبَه عليه لدُخوله الحمامَ وتدلُّكه بعد النُّورَة بدقيق عُصْفُر معجون بخمر، واعتذارَ خالد إليه بأنَّه صار غَسُولاً.

ورُوِّينا عن خالد أنَّه طلَّق امرأةً من نسائه وقال: إنِّي لم أُطلِّقْها عن ريبة، ولكنَّها لم تَمْرَضْ عندي ولم يُصِبْها شيءٌ في بدنها ولا رأسها، ولا في شيء من جسدها(٣) .

وروَى سيفٌ وغيرُه أنَّ عمرَ قال حينَ عزَل خالدًا عن الشام، والمثنَّى بنَ حارثةَ عن العراق: إنَّما عزَلْتُهما ليَعْلَمَ الناسُ أنَّ اللهَ نصَر الدِّينَ لا بنَصْرِهما، وأنَّ القوةَ لله جميعًا.

وروَى سيفٌ أيضًا أنَّ عمرَ قال حينَ عزَل خالدًا عن قِنَّسْرِينَ وأخَذ منه ما أخَذ: إنَّك عليَّ لكريمٌ، وإنَّك عندي لعزيزٌ، ولن يَصِلَ إليك منِّي أمرٌ تكرَهُه بعدَ ذلك.

وقد قال الأصْمَعِيُّ، عن سَلَمَةَ بنِ بلالٍ، عن مُجَالدٍ، عن الشعبيِّ قال: اصطَرَع عمرُ وخالدٌ وهما غُلامان ـ وكان خالدٌ ابنَ خالِ عمرَ ـ فكسَر خالدٌ ساقَ عمرَ، فعُولِجَت وجُبِّرَتْ، وكان ذلك سببَ العداوة بينَهما(٤) .

---

(١) هذا معضل: وقد أورده الحافظ في «الإصابة» (٢/ ٢١٨ ـ ٢١٩) قال الزبير وحدثني محمد بن مسلم عن مالك بن أنس قال: قال عمر لأبي بكر. . . فذكره.

(٢) إسناده صحيح: أخرجه البخاري في «التاريخ الصغير» (١/ ٨٢) والأوسط (١/ ١١٤) والنسائي في «الكبرى» (٨٢٨٣) قال البخاري: عن عبدان عن عبد الله (وهو ابن المبارك) عن سعيد بن يزيد قال: سمعت الحارث بن يزيد الحضرمي يحدث عن علي بن رباح عن ناشرة بن سمي القرني به وهذا إسناد صحيح رجاله ثقات وسعيد بن عبد الله هو القتباني وناشرة وثقه ابن حبان والعجلي وابن حجر في «التقريب».

(٣) لم أقف عليه إلا عند ابن عساكر: «تاريخ دمشق» (١٦/ ٣٥٣ ـ ٢٥٤).

(٤) إسناده ضعيف: من أجل ضعف مجالد والانقطاع بين الشعبي وعمر انظر «جامع التحصيل».

وقال الأصمعي، عن ابنِ عونٍ، عن محمدِ بنِ سيرينَ قال: دخَل خالدٌ على عمرَ وعليه قميصُ حريرٍ، فقال عمرُ: ما هذا يا خالدُ؟ فقال: وما بأسُه يا أميرَ المؤمنين، أليس قد لبِسه عبدُ الرحمنِ بنُ عوفٍ؟ فقال: وأنت مثلُ ابنِ عوفٍ! ولك مثلُ ما لابنِ عوفٍ! عزَمْتُ على مَن بالبيتِ إلاَّ أخَذ كلُّ واحدٍ منهم طائفةً مما يليه. قال: فمزَّقوه حتى لم يَبْقَ منه شيءٌ(١).

وقال عبدُ الله بنُ المبارك، عن حمّادِ بنِ زيدٍ، حدَّثنا عبدُ الله بنُ المختارِ، عن عاصمِ بنِ بَهْدَلَةَ، عن أبي وائلٍ - ثم شكَّ حمّادٌ في أبي وائلٍ - قال: لمّا حضرَت خالدَ بنَ الوليد الوفاةُ قال: لقد طلَبْتُ القتلَ في مَظَانِّه فلم يُقَدَّرْ لي إلاَّ أنْ أموتَ على فراشي، وما من عملي شيءٌ أرجَى عندي بعدَ لا إلهَ إلاَّ اللهُ، من ليلةٍ بِتُّها وأنا مُتَتَرِّسٌ والسماءُ تَهُلُّني نَنْتَظِرُ الصبحَ، حتى نُغيرَ على الكفار. ثم قال: إذا أنا متُّ فانظُروا إلى سلاحي وفَرَسي فاجْعَلوه عُدَّةً في سبيلِ الله. فلمّا تُوُفِّيَ خرج عمرُ على جنازتِه، فذكَر قولَه: ما على نساءِ آلِ الوليد أن يَسْفَحْنَ على خالدٍ من دُموعِهِنَّ، ما لم يكنْ نَقْعًا أو لَقْلَقَةً. قال ابنُ المُختارِ: النقعُ: الترابُ على الرأسِ، واللَّقْلَقَةُ: الصوتُ. وقد علَّق البخاريُّ في «صحيحه» بعضَ هذا فقال: وقال عمرُ: دَعْهُنَّ يَبْكِينَ على أبي سليمانَ، ما لم يكنْ نَقْعًا أو لَقْلَقَةً. والنقعُ: الترابُ على الرأسِ، واللَّقْلَقَةُ: الصوتُ(٢).

وقال محمدُ بنُ سعد: أنا وكيعٌ وأبو معاويةَ وعبدُ الله بنُ نُمَيرٍ قالوا: حدَّثنا الأعمَشُ، عن شَقيقِ ابنِ سَلَمَةَ قال: لمّا مات خالدُ بنُ الوليد اجتَمَع نسوةُ بني المغيرةِ في دارِ خالدٍ يَبْكِينَ عليه، فقيل لعمرَ: إنَّهنَّ قد اجتمَعْنَ في دارِ خالدٍ، وهُنَّ خُلَقَاءُ أنْ يُسْمِعْنَك بعضَ ما تَكْرَهُ، فأرْسِلْ إليهنَّ فانْهَهُنَّ. فقال عمرُ: وما عليهِنَّ أن يُرِقْنَ من دُموعِهِنَّ على أبي سُليمانَ، ما لم يكنْ نَقْعًا أو لَقْلَقَةً. ورواه البخاريُّ في «التاريخ» من حديثِ الأعمَشِ بنحوِه(٣).

وقال إسحاقُ بنُ بِشْر: وقال محمدٌ: مات خالدُ بنُ الوليدِ بالمدينةِ فخرَج عمرُ في جِنازتِه وإذا أُمُّه تَنْدُبُه وتقولُ:

أنتَ خيرٌ مِن ألفِ ألفٍ من القو ... مِ إذا ما كَبَتْ وُجوهُ الرجالِ

فقال عمرُ: صدقْتِ، إنْ كان لَكَذلك.

وقال سيفُ بنُ عمرَ، عن مُبَشِّرٍ، عن سالمٍ، قال: فأقام خالدٌ في المدينةِ حتى إذا ظنَّ عمرُ أنْ قد

---

(١) **إسناده منقطع**: ما أبرز من رجاله ثقات إلا الأصمعي فقد قال فيه الحافظ: صدوق سني والظاهر أن ابن سيرين لم يدرك عمر.

(٢) **إسناده صحيح**: علقه البخاري تعليقًا مجزومًا به كما في «الفتح» (٣/ ١٩١) وبنحوه في «التاريخ الصغير» (١/ ٧١) موصولاً عن عمر بن حفص عن أبيه عن الأعمش عن شقيق قال: قيل لعمر إن نسوة بني المغيرة اجتمعن في دار خالد فقال عمر: ما عليهن أن يرقن من أعينهن على أبي سليمان وهذا إسناد صحيح وعد الحاكم أبي وائل شقيق ممن أدرك العشرة رضي الله عنهم وسمع منهم وسيأتي سياق أصول عقبه وهو عند ابن سعد من طرق عن الأعمش.

(٣) تقدم لفظ البخاري في التعليق السابق.

سَبَكَه وبصَّر الناسَ، حَجَّ وقد عزَم على توليته، واشتكى خالدٌ بعدُ وهو خارجٌ من المدينة زائرًا لأُمِّه، فقال لها: أَحْدِروني إلى مُهاجَري. فقدمَتْ به المدينةَ ومرَّضَتْه، فلمَّا ثَقُل وأظلَّ قدومُ عمرَ، لَقِيَه لاقٍ على مسيرةِ ثلاثٍ صادرًا عن حَجِّه، فقال له عمرُ: مَهْيَمْ؟ فقال: خالدُ بنُ الوليد ثقيلٌ لما به. فطوَى ثلاثًا في ليلةٍ، فأدْرَكه حينَ قَضَى، فرقَّ عليه واسترْجَع، وجلَس ببابِه حتى جُهِّز، وبكَتْه البَواكي، فقيل لعمرَ: ألا تَسْمَعُ، ألا تَنْهاهُنَّ؟ فقال: وما على نساءِ قريشٍ أن يَبْكِين أبا سليمانَ، ما لم يكنْ نَقْعٌ ولا لَقْلَقَةٌ. فلمَّا خرَج لجنازته رأى عمرُ امرأةً مُحتزِمةً تَبْكِيه وتقولُ:

أنتَ خيرٌ من ألفِ ألفٍ من النَّا ... سِ إذا ما كَبَتْ وُجوهُ الرجالِ
أشُجاعٌ فأنتَ أشجَعُ من لَيْـ ... ـثِ عَرِينٍ جَهْمٍ أبي أشْبالِ
أجَوادٌ فأنتَ أجْودُ من سَيْـ ... ـلِ دِياسٍ يَسيلُ بينَ الجِبالِ

فقال عمرُ: مَن هذه؟ فقيل: أُمُّه فقال: أُمُّه، والإلهِ - ثلاثًا - هل قامَتِ النساءُ عن مثلِ خالدٍ! قال: فكان عمرُ يَتمثَّلُ في طَيِّه تلك الثلاثَ في ليلةٍ وفي قدومه:

تُبَكِّي ما وَصَلْتَ به النَّدامَى ... ولا تَبكي فَوارسَ كالجِبالِ
أولئكَ إنْ بكيتَ أشَدُّ فَقْدًا ... مِن الأذْهابِ والعَكَرِ الجِلالِ
تمنَّى بعدَهُمْ قومٌ مَداهُم ... فلم يَدْنُوا لأسْبابِ الكَمالِ

وفي روايةٍ أنَّ عمرَ قال لأُمِّ خالدٍ: أخالدًا وأجْرَه تَرْزَئِين! عزَمْتُ عليكِ أن لا تَبِيتي حتى تَسْودَّ يَداكِ من الخضابِ.

وهذا كلُّه ممَّا يقتَضِي موتَه بالمدينةِ النبوية، وإليه ذهَب دُحَيْمٌ عبدُ الرحمنِ بنُ إبراهيمَ الدِّمَشْقيُّ، ولكنَّ المشهورَ عن الجمهورِ؛ وهم الواقديُّ، وكاتبُه محمدُ بنُ سعدٍ، وأبو عُبَيْدٍ القاسمُ بنُ سَلَّامٍ، وإبراهيمُ بنُ المنذرِ، ومحمدُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ نُمَيْرٍ، وأبو عمرٍو العُصْفُرِيُّ، وموسى بنُ أيوبَ، وأبو سليمانَ بنُ أبي محمدٍ، وغيرِهم، أنَّه مات بحِمْصَ سنةَ إحْدَى وعشْرين. زاد الواقديُّ: وأوْصَى إلى عمرَ بنِ الخطابِ.

وقد روَى محمدُ بنُ سعدٍ، عن الواقديِّ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ أبي الزِّنادِ وغيرِه، قالوا: قدِم خالدٌ المدينةَ بعدَ ما عزَله عمرُ، فاعتمَر ثم رجَع إلى الشامِ، فلم يَزَلْ بها حتى مات في سنةِ إحْدَى وعشْرينَ.

وروَى الواقديُّ أنَّ عمرَ رأى حُجَّاجًا يُصلُّون بمسجدِ قُباءَ. فقال: أين نزَلْتُم بالشامِ؟ قالوا: بحِمْصَ. قال: فهل من مُغَرِّبَةِ خبرٍ؟ قالوا: نعم، مات خالدُ بنُ الوليد. قال: فاسترْجَع عمرُ وقال: كان واللهِ سَدّادًا لنُحورِ العدوِّ، مَيْمُونَ النَّقيبَةِ. فقال له عليٌّ: فلِمَ عَزَلْتَه؟ قال: لبَذْلِه المالَ لذَوي الشرفِ واللسانِ. وفي روايةٍ أنَّ عمرَ قال لعليٍّ: ندِمْتُ على ما كان منِّي.

وقال محمدُ بنُ سعد: أخبَرَنا عبدُ الله بنُ الزُّبير الحُمَيْديُّ، ثنا سُفيانُ بنُ عُيَيْنَةَ، ثنا إسماعيلُ ابنُ أبي خالدٍ، قال: سمعْتُ قيسَ ابنَ أبي حازمٍ يقولُ: لَمَّا ماتَ خالدُ بنُ الوليد قال عمرُ: رحم اللهُ أبا سليمانَ، لقد كنَّا نظُنُّ به أُموراً ما كانت[1] . وقال جُوَيْرِيَةُ عن نافعٍ قال: لَمَّا مات خالدٌ لم يوجَدْ له إلاَّ فرسُه وغلامُه وسلاحُه، فقال عمرُ: رحم اللهُ أبا سليمانَ، إنْ كنّا لَنَظُنُّه على غيرِ هذا[2] .

وقال القاضي المُعافَى بنُ زكريَّا الجَريريُّ: ثنا أحمدُ بنُ العباسِ العسكريُّ، ثنا عبدُ اللهِ بنُ أبي سعدٍ، حدَّثني عبدُ الرحمنِ بنُ حمزةَ اللَّخْميُّ، ثنا أبو عليٍّ الحِرْمازيُّ قال: دخَل هشامُ بنُ البَخْتَريِّ في ناسٍ من بني مَخْزُومٍ على عمرَ بنِ الخطابِ، فقال له: يا هشامُ، أنْشِدْني شعْرَك في خالدٍ. فأنشَده، فقال: قَصَّرتَ في الثناءِ على أبي سليمانَ، رحمه اللهُ، إنَّه كان لَيُحِبُّ أن يُذِلَّ الشِّرْكَ وأهلَه، وإنْ كان الشامتُ به لَمُتَعَرِّضًا لَمَقْتِ اللهِ. ثم قال عمرُ: قاتَلَ اللهُ أخا بني تميمٍ ما أشعرَه:

فَقُلْ للَّذي يَبْقَى خِلافَ الَّذي مَضَى ... تَهَيَّأْ لأخرى مِثْلِها فكأنْ قَدِ
فما عَيْشُ مَن قد عاشَ بَعْدي بنافعي ... ولا مَوْتُ مَن قد ماتَ يَوْمًا بمُخْلِدي

ثم قال عمرُ: رحم اللهُ أبا سليمان، ما عندَ الله خيرٌ له مِمَّا كان فيه، ولقد مات فقيدًا، وعاش حَميدًا، ولكنْ رأيتُ الدهرَ ليس بقابِلٍ[3] .

طُلَيْحَةُ بنُ خُوَيْلِدِ

ابنِ نَوْفَلِ بنِ نَضْلَةَ بنِ الأشْتَرِ بنِ حَجْوانَ بنِ فَقْعَسِ بنِ طَرِيفِ بنِ عمرِو بنِ قُعَينِ بنِ الحارثِ بنِ ثَعْلَبَةَ بنِ دُودانَ بنِ أسَدِ بنِ خُزَيْمَةَ، الأسَديُّ الفَقْعَسيُّ، كان مِمَّن شهِد الخَنْدَقَ من ناحيةِ المُشْركين، ثم أسْلَم سنةَ تسْعٍ، ووفَد على رسولِ الله ﷺ إلى المدينة، ثم ارْتَدَّ بعدَ وفاةِ رسولِ الله ﷺ في أيامِ الصدِّيقِ، وادَّعَى النُّبُوَّةَ كما تقدَّم. وروَى ابنُ عَساكرَ أنَّه ادَّعَى النُّبُوَّةَ في حياةِ رسولِ الله ﷺ، وأنَّ ابنَه حِبالاً قدم على رسولِ الله ﷺ، فسأله: «ما اسمُ الذي يأتي إلى أبيك؟». فقال: ذُو النُّونِ الذي لا يَكْذِبُ ولا يخونُ، ولا يكونُ كما يكونُ. فقال: «لقد سمَّى مَلَكًا عظيمَ الشأنِ». ثم قال لابنه: «قتَلك اللهُ وحَرَمَك الشهادةَ». وردَّه كما جاء، فقُتِل حِبالٌ في الردَّةِ في بعضِ الوقائعِ، قتَله عُكَّاشَةُ بنُ مِحْصَنٍ ثم قتَل طُلَيْحَةُ عُكَّاشَةَ، وله مع المسلمين وقائعُ. ثم خذَله اللهُ على يَدَيْ خالدِ بنِ الوليدِ وتفرَّقَ جندُه، فهرَب حتى دخَل الشامَ، فنزَل على آلِ جَفْنَةَ، فأقام عندَهم حتى مات الصديقُ - حَياءً منه - ثم رجَع إلى الإسلامِ واعْتَمَر، ثم جاء يسلِّمُ على عمرَ فقال له: اغْرُبْ عنِّي فإنَّك قاتلُ الرجُلَين الصالحَين؛ عُكَّاشَةَ

---

(١) إسناده صحيح: أخرجه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٧/ ٢٧٩) بهذا الإسناد.

(٢) إسناده منقطع: بين نافع وعمر لكن يشهد لمعناه ما قبله وأخرجه ابن سعد في «طبقاته» (٧/ ٢٧٩) أخبرنا مسلم بن إبراهيم ثنا جويرية بن أسماء به.

(٣) في إسناده من لم أعرفه.

ابنِ مِحْصَنٍ وثابتِ بنِ أَقْرَمَ. فقال: يا أميرَ المؤمنين، هما رَجُلان أكْرَمَهما اللهُ على يَدَيَّ ولم يُهِنِّي بأيديهما. فأعْجَبَ عمرَ كلامُه ورضِي عنه، وكتَب له بالوَصاةِ إلى الأمراءِ أن يُشاوَرَ ولا يُولَّى شيئًا مِن الأمرِ، ثم عاد إلى الشامِ مُجاهِدًا فشهِد اليَرمُوكَ وبعضَ حروبٍ، كالقادسيةِ ونَهاوَنْدَ الفُرْسِ، وكان مِن الشُّجعانِ المذكُورِين، والأبطالِ المَشْهورِين، وقد حسُن إسلامُه بعدَ هذا كلِّه.

وذَكَره محمدُ بنُ سعدٍ في الطبقةِ الرابعةِ مِن الصحابةِ، وقال: كان يُعَدُّ بألفِ فارسٍ؛ لشدَّته وشجاعتِه وبصرِه بالحربِ. وقال أبو نصرِ بنُ ماكُولا: أسْلَم ثم ارْتَدَّ ثم أسْلَم وحسنُ إسلامُه، وكان يُعْدَل بألفِ فارسٍ. ومن شِعرِه أيّامَ رِدَّتِه وادِّعائِه النُّبُوَّةَ في قتلِ المسلمين أصحابَه:

فما ظَنُّكمْ بالقومِ إذْ تَقْتُلُونَهم ... أَلَيْسُوا وإنْ لم يُسْلِموا برِجالِ
فإنْ تكُ أَذْوادٌ أُصِبْنَ ونسوةٌ ... فلم يُذْهِبُوا فِرْغًا بقتلِ حِبالِ
نَصَبْتُ لهم صَدْرَ الحِمالةِ إنَّها ... مُعاوِدَةٌ قتلَ الكُماةِ نَزالِ
فيَومًا تَراها في الجِلالِ مَصونةً ... ويَومًا تَراها غيرَ ذاتِ جِلالِ
ويَومًا تُضِيءُ المشرفيةُ نحوَها ... ويَومًا تَراها في ظِلالِ عَوالي
عَشِيَّةَ غادَرْتُ ابنَ أقْرَمَ ثاويًا ... وعُكَّاشَةَ الغَنْمِيَّ عندَ مَجالِ

وقال سيفُ بنُ عمرَ، عن مُبَشِّرِ بنِ الفُضَيْلِ، عن جابرِ بنِ عبدِ اللهِ قال: باللهِ الذي لا إلهَ إلاَّ هو، ما اطَّلَعْنا على أحدٍ مِن أهلِ القادسِيَّةِ يُريدُ الدنيا مع الآخرةِ، ولقد اتَّهَمْنا ثلاثةَ نفرٍ، فما رَأَيْنا كما هَجَمْنا عليه مِن أمانَتِهم وزُهْدِهم؛ طُلَيْحَةُ بنُ خُوَيْلِدٍ، وعمرُو بنُ مَعْدِيكَرِبَ، وقَيسُ بنُ المَكْشُوحِ[1].

قال ابنُ عساكرَ: ذكَر أبو الحسنِ محمدُ بنُ أحمدَ بنِ القوَّاسِ الورَّاقُ، أنَّ طُلَيْحَةَ اسْتُشْهِدَ بنَهاوَنْدَ سنةَ إحْدَىٰ وعِشرينَ مع النُّعمانِ بنِ مُقَرِّنٍ، وعمرِو بنِ مَعْدِ يكَربَ رضِيَ اللهُ عنهم.

عمرُو بنُ مَعْدِيكَرِبَ بنِ عبدِ اللهِ بنِ عمرِو بنِ عُصْمِ بنِ عمرِو بنِ زُبَيْدٍ الأصغرِ - وهو مُنَبِّهٌ - بنِ رَبيعةَ بن سلمةَ بنِ مازنِ بنِ رَبيعةَ بنِ مُنَبِّه بنِ زُبَيْدٍ الأكبرِ بنِ الحارثِ بنِ صَعْبِ بنِ سعدِ العَشِيرةِ بنِ مَذْحِجٍ، الزُّبَيْديُّ المَذْحِجيُّ، أبو ثَورٍ، أحدُ الفُرْسانِ المشاهيرِ الأبطالِ، والشجعانِ المذاكيرِ، قدِم على رسولِ اللهِ ﷺ سنةَ تسعٍ، وقيل: عَشْرٍ. مع وَفْدِ مُرادٍ، وقيل: في وَفْدِ زُبَيْدٍ قومِه. وقد ارْتَدَّ مع الأسْوَدِ العَنْسِيِّ، فسار إليه خالدُ بنُ سعيدِ بنِ العاصِ، فقاتَله فضرَبه خالدُ بنُ سعيدٍ بالسيفِ على عاتقِه فهرَب وقومُه، وقد استَلَب خالدٌ سيفَه الصَّمْصامَةَ، ثم أُسِر ودُفع إلى أبي بكرٍ فأنَّبه وعاتَبه واسْتَتابَه، فتاب وأناب وحسُن إسلامُه بعدَ ذلك، فسيَّره إلى الشامِ، فشهِد اليَرْمُوكَ ثم أمره عمرُ بالمسيرِ إلى سعدٍ، وكتَب بالوُصاةِ به، وأن يشاوَرَ ولا يُولَّى شيئًا، فنفَع اللهُ به الإسلامَ وأهلَه، وأبْلَى

---

(١) في إسناده سيف بن عمر التميمي الكذاب.

بلاءً حَسَنًا يومَ القادسيَّةِ. وقيل: إنَّه قُتل بها. وقيل: بنَهاوَنْدَ. وقيل: مات عَطَشًا في بعض القُرَىٰ. يُقالُ لها: رُوذَةَ. فاللهُ أعلمُ. وذلك كلُّه سنةَ إحْدَىٰ وعشْرين، فقال بعضُ مَن رثَاه من قومه:

لَقَدْ غادَرَ الرُّكْبانُ يومَ تَحَمَّلُوا ... برُوذَةَ شَخْصًا لا جَبَانًا ولا غَمْرَا

فَقُلْ لِزُبَيْدٍ بل لِمَذْحِجَ كلِّها ... رُزِئْتُمْ أبا ثَورٍ قَرِيعَكُمُ عَمْرَا

وكان عمرُو بنُ مَعْديكَرِبَ ـ رضي اللهُ عنه ـ من الشعراءِ المُجيدين، فمن شعرِه:

أعاذِلُ عُدَّتي بدني ورمحي ... وكُلُّ مُقَلِّصٍ سلسِ القيادِ

أعاذِلُ إنَّما أفْنَى شبابي ... إجابتيَ الصَّريخَ إلى المنادي

مَعَ الأبطالِ حتى سُلَّ جِسْمي ... وأقْرَحَ عاتقي حَمْلُ النِّجادِ

ويَبْقَى بعدَ حلمِ القَوْمِ حلمي ... ويَفْنَى قبلَ زادِ القومِ زادي

تمنَّى أن يُلاقِيَني قُيَيْسٌ ... وَدِدْتُ وأيْنَما منِّي ودادي

فَمَن ذا عاذري مِن ذي سَفاهٍ ... يَرُودُ بنَفْسِه شَرَّ المرادِ

أُريدُ حَيَاتَه ويُريدُ قتلي ... عَذيرَكَ مِن خَليلِكَ مِن مُرادِ

له حديثٌ واحدٌ في التَّلْبِيَةِ رَواه شَرَاحيلُ بنُ القَعْقاعِ عنه، قال: كنّا نقولُ في الجاهليةِ إذا لبَّيْنا:

لبَّيكَ تعظيمًا إليكَ عُذْرًا

هذي زُبَيْدٌ قد أتتْكَ قَسْرًا

تَعْدُو بها مُضَمَّراتٌ شَزْرا

يَقْطَعْنَ خَبْتًا وجِبالًا وُعْرًا

قد تَرَكُوا الأوثانَ خلْوًا صِفْرا

قال عمرٌو: فنحن نقولُ الآنَ ولله الحمدُ كما علَّمَنا رسولُ الله ﷺ: لبَّيْكَ اللهمَّ لبَّيْكَ، لبَّيْكَ لا شَريكَ لك لبَّيْكَ، إنَّ الحمدَ والنِّعمةَ لكَ والمُلْكَ، لا شَريكَ لك[1].

العَلاءُ بنُ الحَضْرَميِّ، أميرُ البَحْرَيْن لرسولِ الله ﷺ وأقرَّه عليها أبو بكرٍ ثم عمرُ. تَقدَّم أنَّه تُوُفِّي سنةَ أربَعَ عَشْرَةَ. ومنهم مَن يقولُ: إنَّه تأخَّرَ إلى سنة إحْدَىٰ وعشْرينَ. وعزلَه عمرُ عن البَحْرَيْن وولَّى مَكانَه أبا هريرةَ، وأمَّرَه عمرُ على الكوفة، فمات قبلَ أن يَصِلَ إليها مُنْصَرَفَه من الحجِّ. كما قدَّمْنا ذلك. واللهُ أعلمُ. وقد ذَكَرْنا في «دلائلِ النُّبوة» قصَّته في سيرِه بجيشه على وجهِ الماءِ وما جرَىٰ له من خَرْقِ العاداتِ. ولله الحمدُ.

---

(١) **ضعيف:** أخرجه البزار (١٠٩٢) «كشف الأستار» والطبراني في «الصغير» (١/ ٥٩) وغيرهما من طريق محمد بن زياد الكلبي حدثنا شرقي بن القطامي قال: سمعت أبا طلق العائذي يحدث عن شراحيل بن القعقاع عن عمرو بن معديكرب به، وفي الإسناد ضعاف ومجاهيل ولذا قال البزار عقب روايته «إسناده ليس بالثابت».

النُّعْمانُ بنُ مُقَرِّنِ بنِ عائذ المُزَنيُّ، أميرُ وَقْعةِ نَهاوَنْدَ، صحابيٌّ جَليلُ القدرِ، قَدِم مع قومِه من مُزَيْنَةَ في أربعِمائةِ راكبٍ، ثم سكَنَ البصرةَ، وبَعَثه الفاروقُ أميرًا على الجُنودِ إلى نَهاوَنْدَ، ففتَح اللهُ على يَدَيه فَتحًا عظيمًا، ومكَّنَ اللهُ له في تلك البلادِ، ومكَّنَه مِن رِقابِ أولئك العِبادِ، ومكَّنَ به للمسلمين هنالك إلى يومِ التَّنادِ، ومنَحَه النَّصْرَ في الدُّنيا ويومَ يقومُ الأشهادُ، وأتاح له بعدَ ما أراه ما أحبَّ شهادةً عظيمةً، وذلك غايةُ المُرادِ، فكان ممَّن قال اللهُ تعالى في حَقِّه في كِتابِه المُبينِ وهو صراطُه المستقيمُ: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١١١].

ثم دخلت سنة ثِنْتين وعشرين

وفيها كانت فتوحاتٌ كثيرةٌ فيما ذكَر ابنُ جَريرٍ وغيرُه في هذا الشأنِ منها: فتحُ هَمَذانَ ثانيةً، ثم الرَّيِّ وما بعدَها، ثم أَذْرَبِيجانَ.

قالَ الواقديُّ وأبو معشرٍ: كانت في سنةِ ثِنْتَين وعشرين. وقال سَيْفٌ: كانت في سنةِ ثماني عَشْرةَ بعدَ فتحِ هَمَذانَ والرَّيِّ وجُرْجانَ. وأبو معشرٍ يقولُ بأنَّ أَذْرَبِيجانَ كانت بعدَ هذه البُلْدانِ، ولكنْ عندَه أن الجميعَ كان في هذه السنة. وعندَ الواقديِّ أن فتحَ همَذانَ والرَّيِّ كان في سنة ثلاثٍ وعشرين؛ فهَمَذانُ افْتتحَها المغيرةُ بعدَ مَقتَلِ عمرَ بستةِ أشْهرٍ، قال: ويُقالُ كان فتحُ الرَّيِّ قبلَ وفاةِ عمرَ بسنتينِ. إلاَّ أنَّ الواقديَّ وأبا معشرٍ مُتَّفقانِ على أن أَذْرَبِيجَان في هذه السنةِ، وتَبِعَهما ابنُ جريرٍ وغيرُه.

وكان السببُ في ذلك أن المسلمينَ لَمَّا فرَغُوا من نَهاوَنْدَ وما وقَع مِن الحربِ المُتقدِّمِ، فَتحُوا حُلْوانَ وهَمَذانَ بعدَ ذلك. ثمَّ إن أهلَ هَمَذانَ نَقضُوا عَهْدَهم الَّذي صالَحهم عَلَيْه القَعْقَاعُ بنُ عَمْرٍو، فكتَب عمرُ إلى نُعَيْمِ بنِ مُقَرِّنٍ أن يسيرَ إلى هَمَذانَ، وأن يَجْعلَ على مُقَدَّمَتِه أخاهُ سُوَيْدَ بنَ مقَرِّنٍ، وعلى مُجَنِّبَتَيْه رِبْعيَّ بنَ عَامرٍ الطَّائيَّ، ومُهَلْهِلَ بنَ زَيْدٍ اليَمَنيَّ. فسار حتَّى نزَل على ثَنِيَّةِ العَسلِ، ثم تَحدَّرَ على هَمَذانَ، واسْتَولى على بلادِها، وحَاصرَها فَسألوه الصُّلْحَ فصَالَحَهُم ودَخَلها، فبَيْنَما هو فيها ومعَه اثنا عَشَرَ ألفًا مِن المُسْلمينَ إذ تَكاتَبَ الدَّيلَمُ وأَهْلُ الرَّيِّ وأَهْلُ أَذْرَبِيجَانَ، واجْتَمَعُوا على حَرْبِ نُعَيْمِ بنِ مُقَرِّنٍ في جَمْعٍ كَثيرٍ، فعَلَى الدَّيْلَمِ مَلِكُهم واسْمُهُ موتا، وعلى أَهْلِ الرَّيِّ أبو الفَرُّخانِ، وعلى أهلِ أَذْرَبِيجانَ إسْفَنْدياذُ أخو رُسْتَمَ، فخرَجَ إليهِم نُعَيْمُ بنُ مُقَرِّنٍ بمَنْ مَعَهُ من المُسْلمينَ حتى التَقَوا بمكَانٍ يُقَالُ له: وَاجِ رُوذَ. فاقْتَتَلُوا قِتالاً شَدِيداً وكانت وَقْعَةً عظيمةً تَعْدلُ نَهاوَنْدَ ولم تَكُ دُونَها، فقَتَلوا مِن المُشْرِكِينَ جَمْعًا كَثيراً، وجَمًّا غَفِيراً لا يُحْصَونَ كَثْرةً، وقُتلَ مَلِكُ الدَّيْلمِ موتًا وتَمزَّقَ شَمْلُهم، وانْهزَمُوا بأَجْمَعِهم، بعدَ من قُتِلَ بالمعركَةِ منهم، فكان نُعَيْمُ بنُ مُقَرِّنٍ أولَ مَن قاتَلَ الدَّيْلَمَ مِن المسلمِين.

وقد كان نُعَيْمٌ كتبَ إلىٰ عمرَ يُعْلِمُهُ باجْتماعِهم فهمَّهُ ذلك واغْتمَّ له. فلم يَفْجَأْه إلاَّ البَريدُ بالبِشارَةِ، فحمِدَ اللهَ وأثْنَىٰ عليه، وأمَر بالكِتابِ فقُرِئ علىٰ النَّاسِ، ففَرِحوا وحَمِدوا اللهَ، عَزَّ وجَلَّ. ثم قدِم عليه بالأخماسِ ثَلاثةٌ مِن الأُمراءِ، وهم سِماكُ بنُ خَرَشَةَ ـ وليس بأبي دُجانَةَ ـ وسِماكُ بنُ عُبَيْدٍ، وسِماكُ بنُ مَخْرَمَةَ. فلمّا استَسْماهُم عمرُ، قال: «اللهمَّ اسْمُكْ بهم الإسلامَ، وأمِدَّ بهم الإسلامَ». ثم كتَب إلىٰ نُعَيْمِ بنِ مُقَرِّنٍ بأن يستَخلِفَ علىٰ هَمَذانَ ويسيرَ إلىٰ الرَّيِّ. فامْتَثَلَ نُعَيْمٌ. وقد قالَ نُعَيْمٌ في هذه الوقْعَةِ:

ولَمَّا أتاني أنَّ موتا ورهطَهُ ... بني باسلٍ جَرُّوا جنودَ الأعاجِمِ

نَهَضتُ إليهمْ بالجنودِ مُسامِيًا ... لأمنعَ منهم ذِمَّتي بالقواصِمِ

فجِئْنا إليهم بالحديدِ كأننا ... جِبالٌ تراءَى مِن فروعِ القلاسِمِ

فلمَّا لَقيناهم بها مُسْتفيضةً ... وقدْ جَعلوا يَسْمونَ فِعلَ المساهِمِ

صَدَمْناهُم في واجِ رُوذَ بجَمْعِنا ... غداةَ رَمَيْناهُم بإحدَى العَظائمِ

فما صَبروا في حَوْمةِ الموتِ ساعةً ... لحدُّ الرِّماحِ والسُّيوفِ الصَّوارِمِ

كأنَّهمُ عندَ انبِثاثِ جُموعِهِمْ ... جِدارٌ تَشَظَّى لَبْنُه لِلهَوادِمِ

أصَبْنا بها موتا ومَن لفَّ جَمعَه ... وفيها نِهابٌ قَسْمُه غيرُ عاتِمِ

تَبِعْناهُمُ حتَّى أوَوْا في شِعابِهم ... فنقْتُلُهمْ قتلَ الكِلابِ الجَواحِمِ

كأنَّهمُ في واجِ رُوذَ وَجَوِّهِ ... ضَئينٌ أصابَتْها فُروجُ المخارِمِ

فتحُ الري

استخلَفَ نُعَيمُ بنُ مُقَرِّنٍ علىٰ هَمَذَانَ يزيدَ بنَ قيسٍ الهَمْدانيَّ، وسار بالجيوشِ حتىٰ لحقِ بالرَّيِّ فلَقِي هناك جَمْعًا مِن المشركين عظيمًا، فاقتَتَلوا عندَ سفحِ جبلِ الرَّيِّ، فصبَروا صَبْرًا عظيمًا، ثم انهزَموا فقتَل منهم نُعَيمُ بنُ مُقَرِّنٍ مَقْتَلةً عظيمةً بحيثُ عُدُّوا بالقَصَبِ فيها، وغنِموا منهم غنيمةً عظيمةً قريبًا مِمَّا غنِم المسلمون مِن المدائنِ. وصالَحه أبو الفرخانِ علىٰ الرَّيِّ، وكتَب له أمانًا بذلك، ثم كتَب نُعَيمٌ إلىٰ عمرَ بالفتحِ ثم بالأخماسِ. ولله الحمدُ والمنةُ.

فتحُ قومِسَ

ولَمَّا ورَد البشيرُ بفتحِ الرَّيِّ وأخماسِها، كتَب عمرُ إلىٰ نُعَيمِ بنِ مُقَرِّنٍ أن يبعَثَ أخاه سُوَيْدَ بن مُقَرِّنٍ إلىٰ قُومِسَ، فسار إليها سُوَيْدٌ، فلم يقمْ له شيءٌ حتىٰ أخَذها سِلْمًا، وعَسْكَر بها وكتَب لأهلِها كتابَ أمانٍ وصُلْحٍ.

فتحُ جُرْجَانَ

لمَّا عَسْكَرَ سُوَيْدٌ بقُومسَ بعثَ إليه أهلُ بُلْدانٍ شتَّىٰ؛ منها جُرْجَانُ وطَبَرِسْتَانُ وغيرُها يسألُونه الصُّلْحَ على الجزية، فصالَح الجميعَ وكتَب لأهلِ كلِّ بلدةٍ كتابَ أمانٍ وصلحٍ. وحكَىٰ المدائنيُّ أن جُرْجَانَ فُتِحت في سنة ثلاثين أيامَ عثمانَ، فاللهُ أعلمُ.

وهذا فتحُ أذْرَبِيجَانَ

لمَّا افتتح نُعَيْمُ بنُ مُقَرِّنٍ هَمَذَانَ ثم الرَّيَّ، وكان قد بعَث بينَ يدَيْه بُكَيْرَ بنَ عبد الله من هَمَذانَ إلىٰ أذْرَبِيجَانَ، وأرْدَفه بسِمَاكِ بنِ خَرَشَةَ، فلَقِيَ إسْفَنْدِيَاذُ بنُ الفَرُّخْزاذِ بُكَيْرًا وأصحابَه، قبلَ أن يقْدَمَ عليهم سِماكٌ، فاقتَتلوا فهزَم اللهُ المشركين، وأسَر بكيرٌ إسْفَنْدِيَاذَ، فقال له إسْفَنْدِيَاذُ: الصلحُ أحبُّ إليك أم الحربُ؟ فقال: بل الصلحُ. قال: فأمسِكْني عندَك. فأمسَكه، ثم جعَل يفتَحُ بلدًا بلدًا، وعُتْبَةُ ابنُ فَرْقَدٍ أيضًا يفتَحُ معه بلدًا بلدًا في مُقابلته من الجانبِ الآخرِ. ثم جاء كتابُ عمرَ، بأن يتقدَّمَ بُكَيْرٌ إلىٰ الباب، وجَعْلِ سِماكٍ موضعَه نائبًا لعُتْبَةَ بنِ فَرْقَدٍ. وجمَع عمرُ أذْرَبِيجَانَ كلَّها لعُتْبَةَ بنِ فَرْقَدٍ، وسلَّم إليه بُكَيْرٌ إسْفَنْدِياذَ، وصار كما أمَره عمرُ إلىٰ الباب. قالوا: وقد كان اعترَض بَهْرَامُ بنُ فَرُّخْزَاذَ لعُتْبَةَ بنِ فَرْقَدٍ، فهزَمه عُتْبَةُ وهرَب بَهْرَامُ، فلمَّا بلَغ ذلك إسْفَنْدِيَاذَ وهو في الأَسْرِ عندَ بُكَيْرٍ قال: الآنَ تمَّ الصلحُ وطُفِئَت الحربُ. فصالَحه فأجاب إلىٰ ذلك كلُّهم، وعادت أذْرَبِيجَانُ سِلْمًا، وكتَب بذلك عُتْبَةُ وبُكَيْرٌ إلىٰ عمرَ، وبعَثوا بالأخماسِ إليه، وكتَب عُتْبَةُ -حينَ انتهَت إليه إمْرَةُ أذْرَبِيجَانَ- لأهلِها كتابَ أمانٍ وصلحٍ.

فتحُ البابِ

قال ابنُ جرير: وزعَم سيفٌ أنه كان في هذه السنة؛ كتَب عمرُ بنُ الخطاب كتابًا بالإمْرَةِ علىٰ هذه الغزوةِ لسُرَاقَةَ بنِ عمرٍو -الملقب بذي النورِ- وجعَل علىٰ مقدِّمته عبدَ الرحمنِ بن رَبِيعَةَ، ويقالُ له: ذو النورِ أيضًا. وجعَل علىٰ إحْدَىٰ المُجَنِّبَتَيْن حُذَيْفَةَ بنَ أَسِيدٍ، وعلىٰ الأخرَىٰ بُكَيْرَ بنَ عبدِ الله الليثيَّ -وكان قد تقدَّمهم إلىٰ الباب- وعلىٰ المَقَاسِمِ سلمانَ بنَ رَبِيعَةَ. فساروا كما أمَرهم عمرُ، وعلىٰ تَعْبِئته، فلمَّا انتهَىٰ مُقَدَّمُ العساكرِ -وهو عبدُ الرحمنِ بنُ رَبِيعَةَ- إلىٰ الملك الذي هناك عندَ البابِ وهو شَهْرَبَرَازُ ملكُ أَرْمِينِيَةَ، وهو من بيتِ المَلِكِ الذي قتَل بني إسرائيلَ وغزا الشامَ في قديمِ الزمانِ، فكتَب شَهْرَبَرَازُ لعبدِ الرحمنِ واستَأمَنه، فأمَّنه عبدُ الرحمنِ بنُ ربيعةَ، فقدِم عليه الملكُ، فأنهَىٰ إليه أنَّ صَغْوَه إلىٰ المسلمين، وأنه مُناصِحٌ للمسلمين. فقال له: إنَّ فوقي رجلًا فاذهَبْ إليه. فبعَثه إلىٰ سُرَاقَةَ بنِ عمرٍو أميرِ الجيشِ، فسأَل من سُرَاقَةَ الأمانَ، فكتَب إلىٰ عمرَ، فأجاز ما أعطاه من الأمانِ، واستَحْسنه، فكتَب له سُرَاقَةُ كتابًا بذلك. ثم بعَث سُرَاقَةُ بُكَيْرًا، وحبيبَ بنَ مَسْلَمَةَ، وحُذَيْفَةَ بنَ أَسِيدٍ، وسلمانَ

ابنَ ربيعةَ، إلى أهلِ تلك الجبالِ المحيطة بأرْمينيَة جبالِ اللأنِ وتَفْليسَ ومُوقَانَ، فافتتح بُكَيْرٌ مُوقَانَ، وكتَب لهم كتابَ أمانٍ، ومات في غبونِ ذلك أميرُ المسلمين هنالك، وهو سُرَاقَةُ بنُ عمرو، واستَخْلَف بعدَه عبدَ الرحمنِ بنَ ربيعةَ، فلمَّا بلَغ عمرَ ذلك أقرَّه على ذلك وأمَره بغَزْوِ التُّرْك.

أوَّلُ غزو التُّرْك

وهو تَصْديقُ الحديثِ المتقدِّمِ الثابتِ في «الصَّحيح»، عن أبي هريرةَ، وعمرِو بنِ تَغْلِبَ؛ أن رسولَ الله ﷺ قال: **«لا تقومُ الساعةُ حتى تقاتلوا قومًا عِراضَ الوُجوه، ذُلْفَ الأُنوف، حُمْرَ الوجوه، كأنَّ وجُوهَهم المَجَانُّ المُطْرَقَةُ»**. وفي روايةٍ **«يَنْتَعِلونَ الشَّعْرَ»**. لَمَّا جاء كتابُ عمرَ إلى عبدِ الرحمنِ بنِ ربيعةَ يأمُرُه بأن يغزُوَ التركَ، سار حتى قطَع البابَ قاصدًا لما أمَره عمرُ، فقال له شَهْرَبراز: أين تريدُ؟ قال: أريدُ ملكَ التُّرْكِ بَلَنْجَرَ. فقال له شَهْرَبراز: إنا لنرضَى منهم بالمُوادَعَة، ونحن من وراءِ الباب. فقال له عبدُ الرحمن: إن اللهَ بعَث إلينا رسولاً، ووعَدَنا على لسانه بالنصرِ والظَّفَر، ونحن لا نزالُ منصورين. فقاتَل التُّركَ وسار في بلادِ بَلَنْجَرَ مائتي فرسخٍ، وغزا مراتٍ متعددةً. ثم كانت له وقائعُ هائلةٌ في زمنِ عثمانَ، كما سنوردُه في موضعه، إن شاء اللهُ تعالى.

وقال سيفُ بنُ عمرَ، عن الغُصْنِ بنِ القاسمِ، عن رجلٍ، عن سلمانَ بنِ ربيعةَ، قال: لَمَّا دخَل عليهم عبدُ الرحمنِ بنُ ربيعةَ بلادَهم حال اللهُ بينَ التُّركِ والخروجِ عليه، وقالوا: ما اجتَرأ علينا هذا الرجلُ إلاَّ ومعهم الملائكةُ تمنَعُهم من الموت. فتحصَّنوا منه وهرَبوا بالغُنْمِ والظَّفَر. ثم إنه غزَاهم غزواتٍ في زمنِ عثمانَ فظفَر بهم، كما كان يظفَرُ بغيرِهم. فلمَّا ولَّى عثمانُ على الكوفةِ بعضَ مَن كان ارتدَّ، غزَاهم فتذامَرَت التُّركُ، وقال بعضُهم لبعضٍ: إنهم لا يموتون. قال: انظُروا. وفعَلوا فاختَفَوا لهم في الغِيَاض، فرمَى رجلٌ منهم رجلاً من المسلمين على غِرَّة، فقتَله وهرَب عنه أصحابُه، فخرَجوا على المسلمين بعدَ ذلك حينَ عرَفوا أن المسلمين يموتون، فاقتَتَلوا قتالاً شديدًا، ونادَى منادٍ من الجوِّ: صبرًا آلَ عبدِ الرحمنِ وموعدُكم الجنةُ. فقاتَل عبدُ الرحمنِ حتى قُتِلَ وانكشَف الناسُ، وأخَذ الرايةَ سلمانُ بنُ ربيعةَ فقاتَل بها، ونادَى المنادي من الجوِّ: صبرًا آلَ سلمانَ بنِ ربيعةَ. فقاتَل قتالاً شديدًا، ثم تَحيَّز سلمانُ وأبو هريرةَ بالمسلمين، وفرُّوا من كثرةِ التُّركِ ورَمْيِهم الشديدِ السديدِ على جِيلانَ، فقطَعوها إلى جُرْجَانَ، واجترأَت التُّركُ بعدَها، ومع هذا أخَذَت التُّركُ عبدَ الرحمنِ بنَ ربيعةَ فدفَنوه في بلادِهم، فهم يَسْتَسْقون بقبرِه إلى اليوم[1]. وسيأتي تفصيلُ ذلك كلِّه.

قصة السَّدِّ

ذكَر ابنُ جريرٍ بسنده أن شَهْرَبراز قال لعبدِ الرحمنِ بنِ ربيعةَ لَمَّا قدِم عليه حينَ وصَل إلى الباب، وأراه رجلاً فقال شَهْرَبراز: أيُّها الأميرُ إنَّ هذا الرجلَ كنتُ بعَثْتُه نحوَ السدِّ، وزوَّدْتُه مالاً جزيلاً،

(١) في إسناده سيف بن عمر التميمي الكذاب.

وكتَبْتُ له إلى الملوك الذين يَلُوني، وبعَثْتُ لهم هدايا، وسألتُ منهم أن يكتُبوا له إلى مَن يليهم من الملوك حتى ينتهيَ إلى سدِّ ذي القَرْنين، فينظُرَ إليه ويأتِيَنا بخَبَره. فسار حتى انتهى إلى الملك الذي السَّدُّ في أرضه، فبعَثه إلى عامله ممَّا يلي السَّدَّ، فبعَث معه بَازْيارَه ومعه عُقابُه، فلمَّا انتَهَوا إلى السَّدِّ إذا جَبَلان بينَهما سَدٌّ مسدودٌ، حتى ارتفَع على الجبلين، وإذا دونَ السدِّ خندقٌ أشدُّ سَوَادًا من الليلِ لبُعْده، فنظَر إلى ذلك كلِّه وتفرَّس فيه، ثم لمَّا همَّ بالانصراف قال له البَازْيارُ: على رِسْلك. ثم شَرَّح بضعةَ لحمٍ معه فألْقاها في ذلك الوادي، وانقَضَّ عليها العُقابُ. فقال: إن أدْرَكَها في الهواء قبلَ أن تقَعَ فلا شيءَ، وإن لم يُدْرِكْها حتى تقَعَ، فذلك شيءٌ. قال: فلم يُدْرِكْها حتى وَقَعت في أسفله وأَتْبَعَها العُقَابُ فأخْرَجها، فإذا فيها ياقوتةٌ، وهي هذه. ثم ناولَها الملكُ شَهْرَبَرازُ لعبدِالرحمنِ بنِ ربيعةَ، فنظَر إليها عبدُ الرحمنِ ثم ردَّها إليه، فلمَّا ردَّها إليه فرح وقال: واللهِ لَهذه خيرٌ من مملكةِ هذه المدينة ـ يعني مدينةَ بابِ الأبوابِ التي هو فيها ـ وواللهِ لأنتم أحبُّ إليَّ مَلَكَةً من آلِ كِسْرَى، ولو كنتُ في سلطانِهم ثم بلَغهم خبرُها لانتزَعوها منِّي، وايمُ اللهِ لا يقومُ لكم شيءٌ ما وَفَيْتم ووفَى ملكُكم الأكبرُ.

ثم أقبَل عبدُ الرحمنِ بنُ ربيعةَ على الرسولِ الذي ذهَب إلى السدِّ فقال: ما حالُ هذا الرَّدْمِ؟ - يعني: ما صِفَتُه؟ - فأشار إلى ثوبٍ في زُرْقةٍ وحُمْرةٍ؛ فقال: مثلُ هذا. فقال رجلٌ لعبدِ الرحمنِ: صدَق واللهِ؛ لقد نفَذ ورأى. فقال: أجلْ، وصَف صفةَ الحديدِ والصُّفْرِ، قال اللهُ تعالى: ﴿آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾ [الكهف: ٩٦]. وقد ذكَرتُ صفةَ السدِّ في «التَّفسيرِ»، وفي أوائلِ هذا الكتابِ.

وقد ذكَر البخاريُّ في «صحيحه» [١] تعليقًا أن رجلاً قال للنبيِّ ﷺ رأيتُ السَّدَّ. فقال: «كيفَ رأيتَه؟». قال: مثلُ البُرْدِ المُحَبَّرِ. فقال: «رأيتَه».

قــالوا: ثم قال عبدُ الرحمنِ بنُ ربيعةَ لشَهْرَبَرازَ: كم كانت هَديَّتُك؟ قال: قيمةُ مائةِ ألفٍ في بلادي، وثلاثةُ آلافِ ألفٍ في تلك البلدانِ.

بقيةٌ من خبرِ السَّدِّ

أورَد شيخُنا أبو عبدِ اللهِ الذَّهَبيُّ الحافظُ في هذه السنةِ ما ذكَره صاحبُ كتابِ «مسالكِ الممالكِ»، عمَّا أملاه عليه سَلَّامٌ التُّرْجُمانُ، حينَ بعَثه الواثقُ بأمرِ اللهِ بنُ المُعتَصِمِ ـ وكان قد رأى في النومِ كأن السَّدَّ قد فتح ـ فأرْسَل سلاَّمًا هذا وكتَب له إلى الملوكِ بالوَصاةِ به، وبعَث معه ألفَيْ بغلٍ تحملُ طعامًا، فساروا من سامَرَّاءَ إلى إسحاقَ بتَفْليسَ، فكتَب لهم إلى صاحبِ السريرِ، وكتَب لهم صاحبُ السريرِ إلى ملكِ اللاَّنِ، فكتَب لهم إلى فيلاَنْشاه، فكتَب لهم إلى ملكِ الخَزَرِ، فوجَّه معه خمسةَ أدلاَّءَ فساروا ستةً وعشرين يومًا فانتَهَوا إلى أرضٍ سَوداءَ مُنْتِنَةٍ حتى جعَلوا يَشُمُّون الخلَّ، فساروا فيها عشَرةَ

---

(١) تقدم.

أيام، فانتهَوا إلى مدائنَ خرابٍ مدةَ سبعةٍ وعشرين يومًا، وهي التي كانت يأجوجُ ومأجوجُ تَطرُقُها فخربَتْ من ذلك الحينِ وإلى الآنَ، ثم انتهَوا إلى حصنٍ قريبٍ من السَّدِّ فوجَدوا قومًا يعرفون بالعربية وبالفارسية ويحفَظون القرآنَ، ولهم مكاتبُ ومساجدُ، فجعَلوا يعجَبون منهم ويسألونهم من أين أقبَلوا؟ فذكَروا لهم أنهم من جهة أميرِ المؤمنين، فلم يعرِفوه بالكلية. ثم انتهَوا إلى جبلٍ أملسَ ليس عليه خَضْراء وإذا السَّدُّ هنالك من لَبِنِ حديدٍ مُغيَّبٍ في نُحاسٍ وهو مرتفعٌ جدًا لا يكادُ البَصَرُ يَنْتَهِي إليه، وله شُرَفاتٌ من حديدٍ، وفي وسطه بابٌ عظيمٌ بمصراعين مُغْلقَيْن، عرضُهما مائةُ ذراعٍ، في طولِ مائةِ ذراعٍ، في ثَخَانةِ خمسةِ أَذْرُعٍ، وعليه قُفْلٌ طولُه سبعةُ أذرعٍ في غلَظِ باعٍ - وذكَر أشياءَ كثيرةً - وعندَ ذلك المكانِ حرسٌ يضربون عندَ القُفْلِ في كلِّ يومٍ، فيسمَعون بعد ذلك صوتًا عظيمًا مُزْعِجًا؛ فيَعلَمون أن وراءَ هذا البابِ حَرَسًا وحَفَظَةً، وقريبٌ من هذا البابِ حِصْنان عظيمان بينهما عينُ ماءٍ عذبةٍ، وفي إحداهما بقايا العمارةِ من مَغارفَ ولَبِنٍ من حديدٍ وغيرِ ذلك، وإذا طولُ اللَّبِنَةِ ذراعٌ ونصفٌ في مثلِه، في سُمْكِ شِبْرٍ.

وذكَروا أنهم سألوا أهلَ تلك البلادِ هل رأَوْا أحدًا من يأجوجَ ومأجوجَ؟ فأخبَروهم أنهم رأَوْا منهم يومًا أشخاصًا فوقَ الشُّرُفاتِ، فهبَّتِ الريحُ فألقَتْهم إليهم، فإذا طولُ الرجلِ منهم شبرٌ ونصفُ شبرٍ. واللهُ أعلمُ.

قال الواقديُّ: وفي هذه السنةِ غزَا معاويةُ الصائفةَ من بلادِ الرومِ، في عشَرةِ آلافٍ من المسلمين، فسار وغنِم ورجَع سالمًا.

وفيها وُلِد يزيدُ بنُ معاويةَ، وعبدُ الملكِ بنُ مروانَ. وفيها حجَّ بالناسِ عمرُ بنُ الخطابِ، وكان عمَّالُه فيها على البلادِ، هم الذين كانوا في السنة قبلَها.

وذُكِر أن عمرَ عزَل عمارًا في هذه السنةِ عن الكوفةِ؛ اشتكاه أهلُها وقالوا: لا يحسنُ السياسةَ. فعزَله وولَّى أبا موسى الأشعريَّ، فقال أهلُ الكوفةِ: لا نريدُه. وشكَوا من غلامِه. فقال: دعُوني حتى أنظُرَ في أمري. وذهَب إلى طائفةٍ من المسجدِ ليفكِّرَ مَن يولِّي. فنام من الهمِّ فجاءه المغيرةُ فجعَل يحرُسُه حتى استيقَظَ فقال له: إنَّ هذا الأمرَ عظيمٌ، يا أميرَ المؤمنين، الذي بلَغ بك هذا. قال: وكيف لا وأهلُ الكوفةِ مائةُ ألفٍ لا يرضَون عن أميرٍ، ولا يَرضَى عنهم أميرٌ. ثم جمعَ الصحابةَ واستَشارهم؛ هل يولِّي عليهم قويًا مُشَدِّدًا أو ضعيفًا مُسلمًا؟ فقال له المغيرةُ بنُ شُعْبَةَ: يا أميرَ المؤمنين، إن القويَّ قوتُه لك وللمسلمين، وتَشْديده لنفسه، وأمَّا الضعيفُ المسلم فضَعْفُه عليك وعلى المسلمين، وإسلامُه لنفسه. فقال عمرُ للمغيرةِ - واستَحْسَن ما قال له -: اذهَبْ فقد ولَّيتُك الكوفةَ. فردَّه إليها بعدَ ما كان عزَله عنها بسببِ ما كان شهِد عليه الذين تقدَّم حدُّهم بسببِ قذفِه، والعلمُ عندَ اللهِ عزَّ وجلَّ. وبعَث أبا موسى الأشعريَّ إلى البصرةِ، فقيل لعمارٍ: أساءَك العزلُ؟ فقال: واللهِ ما سرَّتْني الولايةُ، ولقد ساءَتني العَزْلُ. وفي روايةٍ، أن الذي سأَله عن ذلك عمرُ،

رضي اللهُ عنه . ثم أرادَ عمرُ أن يبعثَ سعدَ بنَ أبي وقَّاصٍ على الكوفة بدلَ المغيرة فعاجَلَتْه المَنِيَّةُ في سنة ثلاثٍ وعشرين ، على ما سيأتي بيانُه ، ولهذا أوصَى لسعد به .

قال الواقديُّ: وفي هذه السنة غَزَا الأحنفُ بنُ قيسٍ بلادَ خُراسانَ ، وقصَد البلدَ الذي فيه يَزْدَجِرْدُ ملكُ الفرسِ .

قال ابنُ جرير: وزعَم سيفٌ أن هذا كان في سنة ثمانيَ عشْرَةَ . قلتُ : والأوَّلُ هو المشهور . واللهُ أعلمُ .

قِصَّةُ يَزْدَجِردَ بنِ شَهْريارَ بنِ كسرى

الذي كان مَلِك الفُرْسِ لمَّا استَلب سعدٌ من يَدَيْه مدينةَ مُلْكِه ، ودارَ مَقَرِّه ، وإيوانَ سلطانِه ، وبِساطَ مشورَتِه وحواصلِه ، تحوَّل من هناك إلى حُلْوانَ ، ثم جاء المسلمون ليُحاصِروا حلوانَ ، فتحوَّل إلى الرَّيِّ ، وأخَذ المسلمون حُلْوانَ ، ثم أُخذَت الرَّيُّ ، فتحوَّل منها إلى أَصْبَهانَ ، فأُخذَت أصْبَهانُ ، فسار إلى كَرْمانَ ، فقصَد المسلمون كَرْمانَ فافتَتَحوها ، فانتَقَل إلى خُراسانَ فنزَلها . هذا كلُّه ، والنارُ التي يعبُدُها من دونِ اللهِ يسيرُ بها معه من بلدٍ إلى بلدٍ ، ويُبْنَى لها في كلِّ بلدٍ بيتٌ توقَدُ فيه على عادتِهم ، وهو يُحمَلُ في الليلِ في مسيرِه إلى هذه البُلْدانِ على بعيرٍ عليه هودجٌ ينامُ فيه ، فبينَما هو ذاتَ ليلةٍ في هودجِه وهو نائمٌ فيه ، إذ مرُّوا به على مَخاضَةٍ فأرادوا أن يُنَبِّهوه ، قبلَها ؛ لئلاَّ يَنزعِجَ إذا استيقظ في المَخاضَةِ ، فلمَّا أيقَظُوه تغضَّب عليهم شديدًا وشتَمهم ، وقال : حرَمْتُموني أن أعلَمَ مدةَ بقاءِ هؤلاءِ في هذه البلادِ وغيرِها ، إنِّي رأيتُ في منامي هذا أنِّي ومحمدًا تناجينا عندَ اللهِ ، فقال له : مُلْكُكم مائةُ سنةٍ . فقال : زِدْني . فقال : عشرًا ومائةً . فقال : زِدْني . فقال : عشرين ومائةَ سنةٍ . فقال : زِدْني . فقال : لك . وأَنْبَهْتُموني ، فلو ترَكْتُموني لعلِمْتُ مدةَ هذه الأُمَّةِ .

غزوُ المسلمينَ بلادَ خُراسانَ مع الأحنفِ بنِ قيسٍ

وذلك أن الأحْنَفَ بنَ قيسٍ هو الذي أشار على عمرَ بأن يتوسَّعَ المسلمون بالفتوحاتِ في بلادِ العجمِ ، ويُضَيِّقوا على كسرَى يَزْدَجِرْدَ ، فإنَّه هو الذي يستَحِثُّ الفُرْسَ والجنودَ على قتالِ المسلمين ، فأذِن عمرُ بنُ الخطابِ في ذلك عن رأيِه ، وأمَّر الأحْنَفَ ، وأمَرَه بغزوِ بلادِ خُراسان . فركِب الأحنفُ في جيشٍ كثيفٍ إلى خُراسانَ قاصدًا حربَ يَزْدَجِرْدَ ، فدخَل خُراسانَ فافتَتَح هَرَاةَ عَنْوةً واستَخْلَف عليها صُحَارَ بنَ فلانٍ العَبْديَّ . ثم سار إلى مَرْوِ الشَّاهجَانِ وفيها يَزْدَجِرْدُ ، وبعَث الأحْنَفُ بينَ يدَيْه مُطَرِّفَ بنَ عبدِ اللهِ بنِ الشِّخِّيرِ إلى نَيْسابورَ ، والحارثَ بنَ حَسَّانَ إلى سَرْخَسَ ، ولمَّا اقترَب الأحْنَفُ من مَرْوِ الشَّاهجَانِ ، ترحَّل منها يَزْدَجِرْدُ إلى مَرْوِ الرُّوذِ ، فافتتَح الأحْنَفُ مَرْوَ الشَّاهجَانِ فنزَلها ، وكتَب يَزْدَجِرْدُ حينَ نزَل مَرْوَ الرُّوذِ إلى خاقانَ ملكِ التُّركِ يَستَمِدُّه ، وكتَب إلى ملكِ الصُّغْدِ يستمدُّه ، وكتَب إلى ملكِ الصينِ يَستعينُه . وقصَده الأحنفُ بنُ قيسٍ إلى مَرْوِ الرُّوذِ ، وقد استَخْلَف على مَرْوِ

الشَّاهجَان حارِثَةَ بنَ النُّعْمان، وقد وَفَدت إلى الأحْنَف أمدارٌ من أهلِ الكوفة مع أربعة أمراء. فلمَّا بلَغ مسيرُه إلى يَزْدَجِرْدَ، ترحَّل إلى بَلْخَ، وجاء الأحنفُ، فافتَتَح مرْوَ الرُّوذِ، ثم سار وراءَ يَزْدَجَرْدَ إلى بَلْخَ فالتقَى معه ببَلْخ يَزْدَجَرْدُ، فهزَمه اللهُ، عزَّ وجلَّ، وهرَب هو ومَن بقِي معه من جيشِه، فعبَر النهْرَ.

واسْتَوْسَق مُلْكُ خُراسانَ على يَدي الأحْنَف بنِ قيسٍ، واستَخلَف في كلِّ بلدةٍ أميرًا، ورجَع الأحْنَفُ فنزَل مَرْوَ الرُّوذِ، وكتَب إلى عمرَ بما فتَح اللهُ عليه من بلاد خُراسانَ بكمالها، فقال عمرُ: وَدِدْت أنه كان بيننا وبينَ خُراسانَ بحرٌ من نارٍ. فقال له عليٌّ: ولِمَ يا أميرَ المؤمنين؟ فقال: إنّ أهلَها سيَنقُضون عهدَهم ثلاثَ مراتٍ، فيُجْتاحون في الثالثة. فقال: يا أميرَ المؤمنين، لأَن يكون ذلك بأهلها، أحبُّ إليَّ من أن يكونَ ذلك بالمسلمين.

وكتَب عمرُ إلى الأحْنَف يَنْهَاه عن العبورِ إلى ما وراءَ النهْرِ، وقال: احفَظْ ما بيدك من بلاد خُراسانَ. ولمَّا وصَل رسولا يَزْدَجِرْدَ إلى اللَّذين استَنْجَد بهما لم يحتَفلا بأمره، فلمَّا عبَر يَزْدَجِرْدُ النهْرَ، ودخَل في بلادهما تعيَّن عليهما إنجادُه في شرعِ الملوك، فسار معه خاقانُ الأعظمُ مَلكُ التُّرْك، ورجَع يَزْدَجِرْدُ بجنودٍ عظيمةٍ فيهم ملكُ التتارِ خاقانُ، فوصَل إلى بَلْخَ واستَرْجَعها، وفرَّ عمالُ الأحْنف إليه إلى مَرْوِ الرُّوذِ، وخرَج المشركون من بلخَ حتى نزَلوا على الأحْنَف بمَرْوِ الرُّوذِ، فبَرَز الأحْنَفُ بمَن معه من أهلِ البصرة، وأهلِ الكوفة، والجميعُ عشرون ألفًا، فسمع رجلاً يقولُ لآخَرَ: إن كان الأميرُ ذا رأْيٍ، فإنَّه يقفُ دونَ هذا الجبلِ، فيجعلُه وراءَ ظهرِه، ويبقَى هذا النهْرُ خَنْدَقًا حولَه؛ فلا يأتيه العدوُّ إلاَّ من جهةٍ واحدةٍ، فلمَّا أصبَح الأحنفُ، أمَر المسلمين فوقَفوا في ذلك الموقف بعينه، وكان أمارةُ النصرِ والرُّشد، وجاءت الأتراكُ والفُرْسُ في جمعٍ عظيمٍ هائلٍ مُزْعِجٍ، فقام الأحْنَفُ في الناسِ خطيبًا فقال: إنكم قليلٌ وعدوُّكم كثيرٌ، فلا يَهُولَنَّكم، فـ﴿ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٤٩]. فكانت التُّرْكُ يقاتلون بالنَّهار، ولا يدري الأحْنَفُ أين يذهَبون في الليلِ. فسار ليلةً مع طليعةٍ من أصحابِه نحوَ جيشِ خاقانَ، فلمَّا كان قَرِيبَ الصبحِ، خرَج فارسٌ من التُّرْك طليعةً، وعليه طوقٌ، وضرَب بطبلِه، فتقدَّم إليه الأحنفُ فاختَلَفا طَعْنَتَين فطعَنه الأحْنَفُ فقتَله وهو يَرْتَجِزُ:

إنَّ على كُلِّ رئيسٍ حقَّا ... أن يَخْضِبَ الصَّعْدَةَ أو يَنْدَقَّا
إنَّ لنا شَيْخًا بها مُلَقَّى ... سيفَ أبي حَفْصٍ الذي تَبَقَّى

قال: ثم استَلَب التركيَّ طَوْقَه ووقَف موضعَه، فخرَج آخرُ عليه طوقٌ ومعه طبلٌ، فجعَل يضربُ بطبله، فتقدَّم إليه الأحْنَفُ فقتَله أيضًا، واستَلَبه طَوْقَه ووقَف موضعَه، فخرَج ثالثٌ فقتلَه، وأخَذ طَوْقَه ثم أسرَع الأحْنَفُ الرجوعَ إلى جيشِه ولا يعلَمُ بذلك أحدٌ من التُّرْك بالكلية. وكان من عادتهم

أنهم لا يخرُجون من مَبيتهم، حتى يخرُجَ ثلاثةٌ من كهولهم بينَ أيديهم؛ يضربُ الأولُ بطبلِه، ثم الثاني، ثم الثالثُ، ثم يخرُجون بعدَ الثالث، فلمَّا خرَجَت التُّركُ ليلتئذٍ بعدَ الثالث، فأتَوا على فرسانهم مُقَتَّلين، تشاءَم بذلك الملكُ خاقانُ وتَطَيَّرَ، وقال لعسكره: قد طال مُقامُنا، وقد أُصيب هؤلاءِ القومُ بمكانٍ لم نُصَبْ بمثله، ما لنا في قتالِ هؤلاءِ القومِ من خير، فانصرفوا بنا. فرجَعوا إلى بلادهم وانتظَرهم المسلمون يومَهم ذلك؛ ليخرُجوا إليهم من شِعْبهم، فلم يرَوا أحدًا منهم، ثم بلَغهم انصرافُهم إلى بلادهم راجعين عنهم. وقد كان يَزْدَجِرْدُ ـ وخاقانُ في مقابلةِ الأحْنَفِ بنِ قيسٍ ومقاتلَتِه ـ ذهَب إلى مَرْوِ الشَّاهجَان فحاصرَ حارثةُ بنُ النُّعمانِ بها واستَخرَج منها خزانتَه التي كان دفَنها بها، ثم رجَع وانتَظَره خاقانُ ببلخَ حتى رجَع إليه.

وقد قال المسلمون للأحْنَف: ما ترَى في اتِّباعهم؟ فقال: أقيموا بمكانكم ودعُوهم. وقد أصاب الأحنفُ في ذلك، فقد جاء في الحديث: «اتركُوا التُّركَ ما ترَكوكم». وقد ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾ [الأحزاب: ٢٥]. ورجَع كسرَى خاسرًا الصفقةَ لم يُشْفَ له غليلٌ، ولا حصَل على خيرٍ، ولا انتَصَر كما كان في زعمه، بل تخلَّى عنه مَن كان يرجُو النصرَ منه، وتنحَّى عنه وتبرأَ منه أحوجَ ما كان إليه، وبقي مُذَبْذَبًا ﴿لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا﴾ [النساء: ١٤٣]. وتحيَّر في أمره ماذا يصنَعُ؟ وإلى أين يذهَبُ؟ وقد أشار عليه بعضُ أولي النُّهَى من قومه حينَ قال: قد عزَمْتُ أن أذهَبَ إلى بلادِ الصينِ أو أكونَ مع خاقانَ في بلادِه. فقالوا: إنا نرَى أن نصانعَ هؤلاءِ القومَ، فإنَّ لهم ذِمَّةً ودينًا يرجِعون إليه، فنكونَ في بعضِ هذه البلادِ وهم مُجاورينا، فهم خيرٌ لنا من غيرهم. فأبَى عليهم كسرَى ذلك، ثم بعَث إلى ملكِ الصينِ يستَغيثُ به ويستَنجِدُه، فجعَل ملكُ الصينِ يسألُ عن صفةِ هؤلاءِ القومِ الذين قد فتَحوا البلادَ وقهَروا رقابَ العبادِ، فجعَل يُخبِرُه عن صفتهم، وكيف يركَبون الخيلَ والإبلَ، وماذا يصنَعون، وكيفَ يُصلُّون. فكتَب معه إلى يَزْدَجِرْدَ، إنه لم يمنَعْني أن أبعَثَ إليك بجيشٍ أوَّلُه بمَرْوَ وآخرُه بالصينِ الجهالةُ بما يحقُّ عليَّ، ولكنَّ هؤلاءِ القومَ الذين وَصف لي رسولُك صفتَهم؛ لو يحاولون الجبالَ لهدُّوها، ولو جئتُ لنصرِك، أزالُوني ما داموا على ما وصَف لي رسولُك، فسالِمْهم وارضَ منهم بالمسَالَمَة. فأقام كسرَى وآلُ كسرَى في بعضِ البلادِ مَقْهورين، ولم يَزَلْ ذلك دأبُه حتى قُتل بعدَ سنتَين من إمارةِ عثمانَ، كما سنورِدُه في موضعه.

ولمَّا بعَث الأحْنَفُ بكتابِ الفتحِ، وما أفاءَ اللهُ عليهم من أموالِ التُّرْكِ ومَن كان معهم، وأنهم قتَلوا منهم مع ذلك مَقْتَلَةً عظيمةً، ثم ردَّهم اللهُ بغيظِهم لم ينالوا خيرًا. فقام عمرُ على المنبرِ وقُرِئ الكتابُ بينَ يدَيه، ثم قال عمرُ: إن اللهَ بعَث محمدًا بالهدَى، ووعَد على اتِّباعه من عاجلِ الثواب وآجله خيرَ الدنيا والآخرة، فقال: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٣]. فالحمدُ للهِ الذي أنجَز وعدَه، ونصرَ جندَه، ألا وإن اللهَ قد أهلَك مُلْكَ

المجوسيةِ وفرَّق شملَهم، فليسوا يملكون من بلادهم شبراً يضرُّ بمسلم، ألا وإن اللهَ قد أورثكم أرضَهم وديارَهم وأموالَهم وأبناءَهم؛ لينظرَ كيف تعملون، فقوموا في أمره على وَجَلٍ، يُوَفِّ لكم بعهده، ويُؤْتِكم وعدَه، ولا تغيِّروا فيستبدلَ قومًا غيركم، فإني لا أخافُ على هذه الأُمَّة أن تُؤتَى إلاَّ من قِبَلِكم.

وقال شيخُنا أبو عبد الله الذهبيُّ الحافظُ في تاريخ هذه السنة ـ أعني سنةَ ثنتَين وعشرين ـ: وفيها فُتِحت أذَرَبيجَان على يَدَي المُغيرة بن شُعْبَةَ. قاله ابنُ إسحاقَ. فيقالُ: إنه صالحهم على ثمانمائة ألف درهمٍ. وقال أبو عبيدةَ: فتَحها حبيبُ بنُ مسلَمَة الفِهْرِيُّ بأهلِ الشام عَنْوةً، ومعه أهلُ الكوفة؛ فيهم حُذَيفَةُ فافتتَحها بعَد قتالٍ شديد. واللهُ أعلمُ.

وفيها افتتَح حُذَيفَةُ الدِّينَوَرَ عَنْوةً، بعدَ ما كان سعدٌ افتتَحها فانتقَضوا عهدَهم.

وفيها افتتَح حُذَيفَةُ مَاسَبَذَانَ عَنْوةً ـ وكانوا نقضوا أيضًا عهدَ سعدٍ ـ وكان مع حُذَيفةَ أهلُ البصرة، فلَحِقهم أهلُ الكوفة، فاختصَموا في الغنيمة، فكتَب عمرُ: إن الغنيمةَ لمن شهِد الوقعةَ. قال أبو عُبَيدةَ: ثم غزا حُذَيفةُ هَمَذَانَ فافتتَحها عَنْوَةً، ولم تكنْ فُتِحت قبلَ ذلك، وإليها انتَهى فتوحُ حُذَيفةَ. قال: ويقالُ: افتتَحها جريرُ بنُ عبدِ الله بأمرِ المُغيرةِ. ويقالُ: افتتَحها المغيرةُ سنةَ أربعٍ وعشرين. وفيها افتُتِحت جُرْجَانُ.

قال خليفةُ: وفيها افتتَح عمرُو بنُ العاصِ أطْرَابُلُسَ المغرب. ويقالُ: في السنةِ التي بعدَها. قلت: وفي هذا كلِّه غرابةٌ بالنسبة إلى ما سلَف. واللهُ أعلمُ.

قال شيخُنا: وفيها توفِّي أُبَيُّ بنُ كعبٍ في قولِ الواقديِّ، وابنِ نُمَيرٍ، والذُّهْلِيِّ، والترمذيِّ. وقد تقدَّم في سنة تسعَ عشْرَةَ.

معْضَدُ بنُ يزيدَ الشَّيْبَانيُّ، استُشْهِد بأذَرَبيجَانَ ولا صُحْبَةَ له.

ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين وفيها وفاة عمر بن الخطاب

قال الواقديُّ وأبو مَعْشَرٍ: فيها كان فتحُ إصْطَخْرَ وهَمَذَانَ. وقال سيفٌ: كان فتحُها بعدَ فتحِ تَوَّجَ الآخِرَةِ. ثم ذكَر أنَّ الذي افتتَح تَوَّجَ مجاشعُ بنُ مسعودٍ، بعدَ ما قتَل من الفُرْسِ مَقْتَلَةً عظيمةً، وغَنِم منهم غنائمَ جَمَّةً، ثم ضرَب الجزيةَ على أهلِها، وعقَد لهم الذِّمَّةَ، ثم بعَث بالفَتحِ وخُمُسِ الغنائم إلى عمرَ بنِ الخطابِ، رضِي اللهُ عنه. ثم ذكَر أنَّ عثمانَ بنَ أبي العاصِ افتتَح جَورَ بعدَ قتالٍ شديدٍ كان عندَها، ثم افتتَح المسلمون إصْطَخْرَ، وهذه المرَّةُ الثانيةُ، وكان أهلُها قد نَقَضوا العهدَ بعدَ ما كان جندُ العلاءِ بنِ الحَضْرَميِّ افتتَحوها حينَ جازَ في البحرِ من أرضِ البَحْرَينِ، والتَقَوْا هم والفرسُ في مكانٍ يقالُ له: طاوسُ. كما تقدَّم بسطُ ذلك في موضِعِه. ثم صالحَه الهِرْبِذُ على الجزيةِ، وأن يضربَ لهم الذِّمَّةَ. ثم بعَث بالأخماسِ والبشارةِ إلى عمرَ.

قال ابنُ جرير: وكانت الرُّسُلُ لها جوائزُ، وتُقْضَىٰ لهم حوائجُ، كما كان رسولُ الله ﷺ يعاملُهم بذلك. ثم إنَّ شَهْرَكَ خلَع العهدَ، ونقَض الذِّمَّةَ، ونشّط الفُرْسَ، فنقَضوا، فبعَث إليهم عثمانُ بنُ أبي العاصِ ابنَه وأخاه الحَكَمَ، فاقتَتَلوا مع الفُرْسِ، فهزَم اللهُ جيوشَ المشركين، وقتَل الحَكَمُ بنُ أبي العاصِ شَهْرَكَ، وقُتل ابنُه معه أيضًا.

وقال أبو مَعْشَرٍ: كانت فارسُ الأُولىٰ وإصْطَخْرُ الآخِرةُ سنةَ ثمانٍ وعشرين في إمارةِ عثمانَ، وكانت فارسُ الآخِرةُ ووَقْعةُ جُورَ في سنةِ تسعٍ وعشرين.

فتحُ فسا ودارابْجِرْدَ وقصةُ ساريةَ بنِ زُنَيْمٍ

ذكَر سيفٌ عن مشايخه: أنَّ ساريةَ بنَ زُنَيْمٍ قصَد فَسَا ودارَابْجِرْدَ، فاجتَمع له جموعٌ من الفُرْسِ والأكرادِ عظيمةٌ، ودَهِم المسلمين منهم أمرٌ عظيمٌ وجمعٌ كثيرٌ، فرأىٰ عمرُ في تلك الليلةِ فيما يرَىٰ النائمُ معركتَهم وعددَهم في وقتٍ من النهارِ، وأنَّهم في صحراءَ، وهناك جبلٌ إن استَندوا إليه لم يُؤْتَوْا إلاَّ من وجهٍ واحدٍ، فنادَىٰ من الغدِ: الصلاةَ جامعةً. حتىٰ إذا كانت السَّاعةُ التي رأىٰ أنَّهم اجتَمَعوا فيها، خرَج إلىٰ الناسِ وصعِد المنبرَ فخطَب الناسَ وأخبرَهم بصفةِ ما رأىٰ، ثم قال: يا ساريةُ، الجبلَ الجبلَ! ثم أقبَل عليهم، وقال: إن لله جنودًا، ولعلَّ بعضَها أن يُبَلِّغَهم. قال: ففعَلوا ما قال عمرُ، فنصرَهم اللهُ علىٰ عدوِّهم، وفتَحوا البلدَ.

وذكَر سيفٌ في روايةٍ أخرىٰ عن شيوخِه، أنَّ عمرَ بينَما هو يخطُبُ يومَ الجمعةِ إذ قال: يا ساريةُ بنَ زُنَيْمٍ، الجبلَ الجبلَ! فلجَأ المسلمون إلىٰ جبلٍ هناك، فلم يقدِرِ العدوُّ عليهم إلاَّ من جهةٍ واحدةٍ، فأظفَرهم اللهُ بهم، وفتَحوا البلدَ، وغنِموا شيئًا كثيرًا، فكان من جملةِ ذلك سَفَطٌ من جَوْهَرٍ، فاستَوهَبه ساريةُ من المسلمين لعمرَ، فلمَّا وصَل إليه مع الأخماسِ، قدِم الرسولُ بالخُمُسِ فوجَد عمرَ قائمًا في يدِه عصًا، وهو يُطْعِمُ المسلمين سِماطَهم، فلمَّا رآه عمرُ قال له: اجلِسْ. ولم يعرِفْه، فجلَس الرجلُ فأكَل مع الناسِ، فلمَّا فرَغوا انطلَق عمرُ إلىٰ منزلِه، واتَّبَعه الرجلُ، فاستَأذَن فأُذِنَ له، وإذا هو قد وُضِع له خبزٌ وزيتٌ وملحٌ، فقال: ادْنُ فكُلْ. قال: فجلَسْتُ، فجعَل يقولُ لامرأتِه: ألاَ تَخْرُجين يا هذه فتأكُلين؟ فقالت: إني أسمَعُ حِسَّ رجلٍ عندَك. فقال: أجلْ. فقالت: لو أردْتَ أن أبرُزَ للرجالِ اشتَرَيْتَ لي غيرَ هذه الكسوةِ. فقال: أوَما تَرضين أن يُقالَ: أمُّ كلثومٍ بنتُ عليٍّ وامرأةُ عمرَ! فقالت: ما أقلَّ غَناءَ ذلك عنِّي. ثم قال للرجلِ: ادْنُ فكُلْ، فلو كانت راضيةً لكان أطيبَ ممَّا ترَىٰ. فأكَلا، فلمَّا فرَغا، قال: أنا رسولُ ساريةَ بنِ زُنَيْمٍ يا أميرَ المؤمنين. فقال: مرحبًا وأهلاً. ثم أدناه حتىٰ مسَّت ركبتُه ركبتَه، ثم سأله عن المسلمين، ثم سأله عن ساريةَ بنِ زنيمٍ، فأخبَره، ثم ذكَر له شأنَ السَّفَطِ من الجَوْهَرِ، فأبَىٰ أن يقبَلَه، وأمَر بردِّه إلىٰ الجندِ. وقد سأل أهلُ المدينةِ رسولَ ساريةَ عن الفتحِ فأخبَرهم، فسألوه: هل سمِعوا صوتًا يومَ الوقعةِ؟ قال: نعم، سمِعنا قائلاً يقولُ: يا ساريةُ،

الجبلَ! وقد كِدْنا نهلكُ، فلجَأْنا إليه ففتَح اللهُ علينا.

ثم رَوَاه سيفٌ، عن مُجَالِدٍ، عن الشعبيِّ بنحوِ هذا.

وقال عبدُ الله بنُ وهب، عن يحيىٰ بنِ أيوبَ، عن ابنِ عَجْلانَ، عن نافعٍ، عن ابنِ عمرَ، أنَّ عمرَ وجَّه جيشًا، وراْس عليهم رجلاً يقالُ له: سارية. قال: فبينَما عمرُ يخطُبُ فجَعَل ينادي: يا ساريَ، الجبلَ! ثلاثًا. ثم قدِم رسولُ الجيشِ فسأله عمرُ، فقال: يا أميرَ المومنين، هُزِمْنا فبينَما نحن كذلك، إذ سمعنا مناديًا: يا ساريةُ، الجبلَ! ثلاثًا. فأسنَدْنا ظهورَنا بالجبلِ فهزمهم اللهُ. قال: فقيلَ لعمرَ: إنك كنتَ تصيحُ بذلك. وهذا إسنادٌ جيدٌ حسنٌ[1].

وقال الواقديُّ: حدَّثني نافعُ بنُ أبي نُعَيْمٍ، عن نافعٍ مولَىٰ ابنِ عمرَ، أنَّ عمرَ قال على المنبرِ: يا ساريةُ بنَ زُنَيْمٍ، الجبلَ! فلم يدْرِ الناسُ ما يقولُ، حتىٰ قدِم ساريةُ بنُ زُنَيْمٍ المدينةَ علىٰ عمرَ، فقال: يا أميرَ المؤمنين كنّا محاصِري العدوِّ، فكنَّا نقيمُ الأيامَ لا يخرُجُ علينا منهم أحدٌ، نحن في خفضٍ من الأرضِ وهم في حصنٍ عالٍ، فسمِعْتُ صائحًا ينادي بكذا وكذا: يا ساريةُ بنَ زُنَيْمٍ، الجبلَ! فعَلَوْتُ بأصحابي الجبلَ، فما كان إلاَّ ساعةٌ حتىٰ فتَح اللهُ علينا.

وقد رَواه الحافظُ أبو القاسمِ اللالَكائيُّ، من طريقِ مالكٍ، عن نافعٍ، عن ابنِ عمرَ بنحوِه، وفي صحَّتِه من حديثِ مالكٍ نظرٌ[2].

وقال الواقديُّ: حدَّثني أسامةُ بنُ زيدِ بنِ أسلمَ، عن أبيه، وأبو سليمانَ، عن يعقوبَ بنِ زيدٍ، قالا: خرَج عمرُ بنُ الخطابِ، رضي اللهُ عنه، يومَ الجمعةِ إلى الصلاةِ فصعد المنبرَ ثم صاحَ: يا ساريةُ ابنَ زُنَيْمٍ، الجبلَ! يا ساريةُ بنَ زُنَيْمٍ، الجبلَ ظلَم مَنِ استَرْعَى الذئبَ الغنمَ. ثم خطَب حتى فرَغ، فجاء كتابُ ساريةَ إلىٰ عمرَ: إنَّ اللهَ قد فتَح علينا يومَ الجمعةِ ساعةَ كذا وكذا - لتلك الساعةِ التي خرَج فيها عمرُ فتكلَّم علىٰ المنبرِ - قال ساريةُ: فسمِعْتُ صوتًا: يا ساريةُ بنَ زُنَيْمٍ، الجبلَ! ظلَم من استرعَىٰ

---

(١) **خبرٌ قوي لطرقه**: اخرجه أبو نعيم في «دلائل النبوة» (٢/ ٥٢٦) ثنا محمد بن إبراهيم قال ثنا محمد بن الحسين بن قتيبة ثنا حرملة بن يحيىٰ قال ثنا ابن وهب نا يحيىٰ بن أيوب عن محمد بن عجلان به ومحمد بن الحسين بن قتيبة وثقه الذهبي في «التذكرة» (٢/ ٧٦٤) وإسناده حسن من أجل محمد بن عجلان إلا أن إبراهيم هذا لم أعرفه وله طريقٌ آخر عند اللالكائي في «شرح السنة» رقم (٢٥٣٧) أنا الحسين بن عثمان قال ثنا أحمد بن جعفر بن حمدان عن عبد اللَّه بن أحمد قال: ثنا أبو عمرو الحارث بن مسكين المصري قال ثنا ابن وهب به وهذا إسنادٌ حسن إلا أن الحسين هذا أيضًا لم أعرفه (*) وله إسناد عند اللالكائي عقب هذا وفيه رجل لم أعرفه فمجموع هذه الطرق يقوي بعضها بعضًا ولذا قواه المؤلف وقال إسنادٌ جيد حسن وسيأتي قوله بعد ذلك وهذه طرق يشدُّ بعضها بعضًا وحسنه الحافظ في «الإصابة» (٣/ ٥) ترجمة سارية بن زنيم.

(٢) **إسناده تالف**: وتقدم قبله أخرجه اللالكائي في «كرامات الأولياء»(١/ ٦٧) من طريق عمرو بن الأزهر العتكي عن مالك به وعمرو هذا تركه النسائي ورماه غيره بالكذب انظر «الكامل» لابن عدي (٥/ ١٣٤) ولذا قال المؤلف ما قال.

(*) وأشار اللالكائي إلىٰ أن محمد بن عجلان قال: وحدثني إياس بن معاوية بن قرة بذلك فيحتمل أن يكون لابن عجلان إسنادان في الخبر واللَّه أعلم.

الذئبَ الغنمَ. فعلَوْتُ بأصحابي الجبلَ، ونحن قبلَ ذلك في بطنِ وادٍ، ونحن محاصِرو العدوِّ، ففتَح اللهُ علينا. فقيل لعمرَ بنِ الخطاب: ما ذلك الكلامُ؟ فقال: واللهِ ما ألقيْتُ له بالاً؛ شيءٌ أُلقي على لساني. فهذه طرقٌ يشدُّ بعضُها بعضًا[1].

ثم ذكَر ابنُ جريرٍ، مِن طريقِ سيفٍ، عن شيوخِه فَتْحَ كَرْمَانَ على يدَي سهيلِ بن عديٍّ، وأمدَّه عبدُ اللهِ بنُ عبدِ اللهِ بنِ عِتْبَانَ. وقيل: على يدَي عبدِ اللهِ بنِ بُدَيْلِ بنِ ورْقاءَ الخُزَاعيِّ.

وذكَر فَتْحَ سِجِسْتَانَ على يدَي عاصمِ بنِ عمرٍو، بعدَ قتالٍ شديدٍ، وكانت ثُغُورُها متسعةً، وبلادُها مُتباينةً، ما بينَ السِّنْدِ إلى نهرِ بَلْخَ، وكانوا يقاتِلون القَنْدُهَارَ والتُّركَ من ثُغُورِها وفُرُوجِها.

وذكَر فَتْحَ مُكْرَانَ على يدَي الحكمِ بنِ عمرٍو، وأمدَّه شِهابُ بنُ المُخارقِ بنِ شهابٍ، وسهيلُ بنُ عديٍّ، وعبدُ اللهِ بنُ عبدِ اللهِ، فاقتَتَلوا مع ملكِ السِّنْدِ، فهزَم اللهُ جموعَ السِّنْدِ، وغنِم المسلمون منهم غنيمةً عظيمةً، وكتب الحَكَمُ بنُ عَمرٍو بالفتحِ، وبعَث بالأخماسِ مع صُحارٍ العَبْديِّ، فلمَّا قدِم على عمرَ سأله عن أرضِ مُكْرَانَ، فقال: يا أميرَ المؤمنين، أرضٌ سهلُها جبلٌ، وماؤها وَشَلٌ، وثمرُها دَقَلٌ، وعدوُّها بَطَلٌ، وخيرُها قليلٌ، وشرُّها طويلٌ، والكثير بها قليلٌ، والقليلُ بها ضائعٌ، وما وراءَها شرٌّ منها. فقال عمرُ: أسجَّاعٌ أنت أم مُخْبِرٌ؟ فقال: لا، بل مُخْبِرٌ. فكتَب عمرُ إلى الحَكَمِ بنِ عمرٍو أن لا يغزُوَ بعدَ ذلك مُكْرَانَ، ولْيقتَصِروا على ما دونَ النهرِ.

وقد قال الحَكَمُ بنُ عمرٍو في ذلك:

لقد شبِع الأرامِلُ غيرَ فَخْرٍ ... بفَيْءٍ جاءَهُمْ مِنْ مُكَّرانِ

أتاهمْ بعدَ مَسْغَبَةٍ وجَهْدٍ ... وقد صَفِرَ الشِّتاءُ من الدُّخَانِ

فإنِّي لا يَذُمُّ الجَيشُ فِعْلِي ... ولا سَيْفي يُذَمُّ ولا سِناني

غَداةَ أُدَفِّعُ الأوْباشَ دَفْعًا ... إلى السِّنْدِ العَرِيضةِ والمَداني

ومِهْرانٌ لنا فيما أرَدْنا ... مُطيعٌ غيرُ مُسْتَرْخي العِنانِ

فلَوْلا ما نهَى عنه أميري ... قَطَعناهُ إلى البُدُدِ الزَّواني

غزوة الأكراد

ثم ذكَر ابنُ جريرٍ بسندِه عن سيفٍ، عن شيوخِه، أنَّ جماعةً مِن الأكرادِ والتفَّ إليهم طائفةٌ مِن الفرسِ اجتَمعوا، فلَقِيهم أبو موسى بمكانٍ مِن أرضِ بَيْرُوذَ قريبٍ مِن نهرِ تِيرَى، ثم سار عنهم

(١) الواقدي متروك وانظر ما تقدم قبل تعليق.

(*) طبع في نهاية شرح السنة له.

أبـو موسى إلى أصْبَهَانَ، وقد استخْلَفَ على حربِهم الرَّبِيعَ بنَ زِيادٍ بعدَ مَقْتَلِ أخيه المُهاجِرِ بنِ زيادٍ، فتسلَّم الحربَ وهو حَنِقٌ عليهم، فهزَمَ اللهُ العدوَّ. ولله الحمدُ والمنَّةُ، كما هي عادتُه المستمرَّةُ، وسُنَّتُه المستقِرَّةُ، في عبادِه المؤمنين، وحزبِه المفلحين، مِن أتباعِ سيِّدِ المرسلين، ثم خُمِّسَتِ الغنيمةُ وبُعِث بالفتحِ والأخماسِ إلى عمرَ، رضي اللهُ عنه.

وقد سار ضَبَّةُ بنُ مِحْصَنٍ العَنَزِيُّ، فاشتكى أبا موسى إلى عمرَ، وذكَر عنه أُمورًا لا يُنقَمُ عليه بسببِها، فاستَدْعاه عمرُ، فسأله عنها فاعتَذَر منها بوُجُوهٍ مقبولةٍ فسمعها عمرُ وقَبِلها، وردَّه إلى عملِه وعذَر ضَبَّةَ فيما تأوَّله. ومات عمرُ وأبو موسى على صلاةِ البصرةِ.

خبرُ سَلَمةَ بنِ قَيْسٍ الأشْجَعيِّ والأكرادِ

بعثَه عمرُ أميرًا على سريةٍ، ووَصَّاه بوَصايا كثيرةٍ بمضمونِ حديثِ بُرَيْدَةَ في «صحيح مسلم»: «اغزُوا بسمِ الله، قاتِلوا مَن كفَر بالله». الحديثُ إلى آخرِه. فساروا فلَقُوا جمعًا مِن المشركين فدعَوْهم إلى إحدَى ثلاثِ خلالٍ، فأبَوْا أن يقبَلوا واحدةً منها، فقاتَلوهم فقتَلوا مُقاتِلتَهم، وسَبَوْا ذَرارِيَّهم، وغنِموا أموالَهم[1]. ثم بعَث سَلَمةُ بنُ قَيْسٍ رسولاً إلى عمرَ بالفتحِ وبالغنائمِ، فذكَروا ورودَه على عمرَ وهو يُطعِمُ الناسَ، وذَهابَه معه إلى منزلِه؛ كنحوِ ما تقدَّم مِن قصةِ أمِّ كلثومٍ بنتِ عليٍّ، وطلبِها الكِسْوَةَ كما يكسو طَلْحَةُ وغيرُه أزواجَهم، فقال: ألا يكفيكِ أن يُقالَ: بنتُ عليٍّ وامرأةُ أميرِ المؤمنين! ثم ذكَر طعامَه الخَشِنَ، وشرابَه مِن سُلْتٍ، ثم شرَع يستعلِمُه عن أخبارِ المهاجرين، وكيف طعامُهم وأسعارُهم؟ وهل يأكُلون اللحمَ الذي هو شجرتُهم - ولا بقاءَ للعربِ دونَ شجرتِهم؟ وذكَر عرضَه عليه ذلك السَّفَطَ مِن الجوهرِ، فأبَى أن يأخُذَه وأقسَم على ذلك، وأمَره بأن يردَّه، فيُقسَمَ بينَ الغانِمين. وقد أورَده ابنُ جريرٍ مطوَّلاً جدًّا.

وقال ابنُ جريرٍ: وفي هذه السنةِ حجَّ عمرُ بأزواجِ النبيِّ ﷺ، وهي آخرُ حجَّةٍ حجَّها، رضي اللهُ عنه.

قال: وفي هذه السنة كانت وفاتُه. ثم ذكَر صفةَ مقتَلِه مطوَّلاً أيضًا، وقد ذكَرْتُ ذلك مستقصًى في آخرِ «سيرةِ عمرَ»، فليُكتَبْ مِن هناك إلى هنا.

وهو عمرُ بنُ الخطابِ بنِ نُفَيْلِ بنِ عبدِ العُزَّى بنِ رِياحِ بنِ عبدِ الله بنِ قُرْطِ بنِ رَزَاحِ بنِ عَدِيِّ بنِ كعبِ بنِ لُؤَيِّ بنِ غالبِ بنِ فِهْرِ بنِ مالكِ بنِ النَّضْرِ بنِ كِنانَةَ بنِ خُزَيْمَةَ بنِ مُدْرِكَةَ بنِ إلياسَ بنِ

---

(١) إلى هذا كان النبي ﷺ يوصي أصحابه بنحو ذلك كما في «صحيح مسلم» (١٧٣١) عن بريدة قال: كان رسول اللَّه ﷺ إذا أمرَّ أميرًا على جيش أو سرية أوصاه في خاصته بتقوى اللَّه ومن معه من المسلمين خيرًا ثم قال: «اغزوا بسم اللَّه في سبيل اللَّه، قاتلوا من كفر باللَّه، اغزوا ولا تَغلُّوا، ولا تغدروا، ولا تمثِّلوا ولا تقتلوا وليدًا وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال أو خلال فأيتهن ما أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم، ثم ادعهم إلى الإسلام فإن أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم. . . .» الحديث مطولاً.

مُضَرَ بنِ نِزَارِ بنِ مَعَدِّ بنِ عَدْنان، القُرَشيُّ، أبو حفصٍ العَدَوِيُّ، الملقَّبُ بالفاروقِ، قيل: لقَّبه بذلك أهلُ الكتاب. رُوي ذلك عن الزهريِّ. وأمُّه حَنْتَمَةُ بنتُ هشامٍ أختُ أبي جهلِ بنِ هشامٍ. أسلَم عمرُ وعُمْرُه سبعٌ وعشرون سنةً، وشهِد بدرًا وأُحُدًا والمشاهدَ كلَّها مع النبيِّ ﷺ، وخرَج في عدَّةِ سَرَايا، وكان أميرًا على بعضِها.

وهو أوَّلُ مَن دُعِي أميرَ المؤمنين، وأوَّلُ مَن كتَب التاريخَ، وجمَع الناس على التراويحِ، وأوَّلُ مَن عَسَّ بالمدينةِ، وحمَل الدِّرَّةَ وأدَّب بها، وجلَد في الخمرِ ثمانين، وفتَح الفتوحَ، ومصَّر الأمصارَ، وجنَّد الأجنادَ، ووضَع الخراجَ، ودوَّن الدواوينَ، وعرَض الأَعْطِيةَ، واستَقْضَى القُضاةَ، وكوَّر الكُوَرَ؛ مثلَ السَّوادِ، والأهْوازِ، والجبالِ، وفارسَ وغيرِها، وفتَح الشامَ كلَّه، والجزيرةَ، والمَوْصِلَ، ومَيَّافَارِقِينَ، وآمِدَ، وأرْمِينِيَةَ، ومصرَ وإسكندريَّةَ، ومات وعساكرُه على بلادِ الرَّيِّ. فتَح مِن الشامِ اليَرْمُوكَ، وبُصْرَىٰ، ودمشْقَ، والأُرْدُنَ، وبَيْسَانَ، وطَبَرِيَّةَ، والجَابِيَةَ، وفِلَسْطِينَ، والرَّمْلَةَ، وعَسْقَلانَ، وغَزَّةَ والسَّواحِلَ، والقُدْسَ. وفتَح مَصْرَ، وإسكندريَّةَ، وطَرَابُلُسَ الغَرْبِ، وبَرْقَةَ. ومن مُدُنِ الشامِ بَعْلَبَكَّ، وحِمْصَ، وقِنَّسْرِينَ، وحَلَبَ، وأنْطَاكِيَةَ. وفتح الجزيرةَ، وحَرَّانَ، والرُّها، والرَّقَّةَ، ونَصِيبِينَ، ورأسَ عينٍ، وشِمْشَاطَ، وعَيْنَ وَرْدَةَ، وديارَ بكرٍ، وديارَ ربيعةَ، وبلادَ المَوْصِلِ، وإرْمِينِيَةَ جميعَها. وبالعراقِ القادسيَّةَ، والحيرةَ وبَهُرَسِيرَ، وسَابَاطَ، ومدائنَ كِسْرَىٰ. وكُورةَ الفُرَاتِ، ودِجْلَةَ، والأُبُلَّةَ، والبَصْرَةَ، والأهْوَازَ، وفارسَ، ونَهَاوَنْدَ، وهَمَذَانَ، والرَّيَّ، وقُومِسَ، وخُرَاسَانَ وإصْطَخْرَ، وأصْبَهانَ، والسُّوسَ، ومَرْوَ، ونَيْسَابُورَ، وجُرْجَانَ، وأذْرَبِيجَانَ، وغيرَ ذلك، وقطَعت جيوشُه النهرَ مرارًا.

وكان متواضعًا في اللهِ، خَشِنَ العَيْشِ، خَشِنَ المَطْعَمِ، شديدًا في ذاتِ اللهِ، يُرقِّعُ الثَّوبَ بالأَديمِ، ويحمِلُ القِرْبَةَ على كَتِفَيْه، مع عِظَمِ هَيْبَتِه، ويركَبُ الحمارَ عُرْيًا، والبعيرَ مَخْطُومًا باللِّيفِ، وكان قليلَ الضَّحِكِ لا يمازِحُ أحدًا، وكان نَقْشُ خاتَمِه: كفَىٰ بالموتِ واعظًا يا عمرُ.

وقال النبيُّ ﷺ: «**أشدُّ أُمَّتي في دينِ اللهِ عمرُ**»[1]. وعن ابنِ عباسٍ أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**إنَّ لي وَزيرَيْن من أهلِ السماءِ، ووَزيرَيْن من أهلِ الأرضِ، فَوَزِيرَاي من أهلِ السماءِ جبريلُ وميكائيلُ، ووَزِيرَاي من**

(١) أخرجه ابن سعد في «طبقاته» (٣/ ٢٢٠) أخبرنا عفان بن مسلم قال: أخبرنا وهيب بن خالد قال: أخبرنا خالد الحذاء عن أبي قلابة عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال فذكره كما أورده المؤلف ووهيب بن خالد تغير قليلاً بآخره ورواية عفان عنه في «الصحيحين» وغيرهما وعند ابن سعد وغيره بسند حسنه الحافظ في «الإصابة» (٤/ ٤٨٥) مرفوعًا «اللهم اشدد دينك بأحبهما إليك».

أهلِ الأرضِ؛ أبو بكرٍ وعمرُ، وإنهما السَّمعُ والبصرُ». (١) وعن عائشةَ أنَّ النبيَّ ﷺ قال: **«إنَّ الشيطانَ يَفْرَقُ من عمرَ»** (٢). وقال: **«أرحمُ أُمَّتي أبو بكرٍ، وأشدُّها في دينِ الله عمرُ»** (٣).

وقيل لعمرَ: إنَّكَ فظٌّ. فقال: الحمدُ لله الذي مَلأَ قلبي لهم رُحْمًا، ومَلأَ قلوبَهم لي رُعْبًا. وقال عمرُ: لا يحِلُّ لي مِن مالِ اللهِ إلاّ حُلَّتان؛ حُلَّةٌ للشتاءِ، وحُلَّةٌ للصيفِ، وقوتُ أهلي كرجلٍ مِن قريشٍ ليس بأغناهم، ثم أنا رجلٌ مِن المسلمين. وكان عمرُ إذا استَعمَلَ عاملاً كتَبَ له عهدًا، وأشهَدَ

---

(١) **إسناده ضعيف بهذا السياق**: اخرجه بهذا اللفظ الحاكم (٢/ ٢٦٤) دون لفظه: «وإنهما السمع والبصر» ولكن من حديث أبي سعيد ومن طريق محمد بن سعد العوفي ثنا أبي ثنا سوار بن مصعب عن عطية العوفي عن أبي سعيد مرفوعًا به وهذا إسنادٌ ضعيف من أجل محمد بن سعد ووالده فمتكلم فيهما راجع ترجمتهما من «اللسان» وعطية العوفي أيضًا ضعيف وله طريقين عقب هذا ومدار الجميع على عطية العوفي وهو ضعيف.

وقول النبي ﷺ: «أبو بكر وعمر هذان السمع والبصر» أخرجه الترمذي (٣٦٧١) ثنا قتيبة وابن أبي حاتم في «العلل» (٢/ ٣٨٥-٣٨٦) عن موسى بن أيوب كليهما عن ابن أبي فديك عن عبد العزيز بن المطلب عن أبيه عن جده عبد الله بن حنطب أن رسول الله ﷺ رأى أبا بكر وعمر فقال: «هذان السمع والبصر» وقال: وفي الباب عن عبد الله بن عمرو وهذا حديث مرسل وعبد الله بن حنطب لم يدرك النبي ﷺ وهذا إسناد ضعيف من أجل أن المطلب بن عبد الله بن حنطب يدلس ولم يصرح بالتحديث، وخالفهما آدم بن إياس العسقلاني فرواه(*) عن محمد بن إسماعيل بن أبي فديك المدني عن الحسن بن عبد الله بن عطية السعدي عن عبد العزيز بن المطلب بن عبد الله بن حنطب عن أبيه عن جده عبد الله بن حنطب به؛ فزاد الواسطة بين ابن أبي فديك وعبد العزيز بن المطلب أخرجه الحاكم (٣/ ٦٩) وصححه وتعقبه الذهبي فقال: قلت: حسن اهـ.

والحسن لم أعرفه والأشبه بالصواب هو الوجه الأول الذي رواه قتيبة وموسى بن أيوب كما قال ابن أبي حاتم عن أبيه في «العلل» وعليه فالإسناد رجاله ثقات إلا عبد العزيز وأبيه فكلاهما صدوق والأخير يرسل ويدلس فالإسناد إذًا ضعيف.

وعبد الله بن حنطب مختلف في صحبته.

وله شاهد بلفظ «أبو بكر وعمر من هذا الدين، كمنزلة السمع والبصر من الرأس» أخرجه الخطيب البغدادي (٨/ ٤٥٩ - ٤٦٠) أخبرنا أبو عمر بن مهدي أخبرنا محمد بن مخلد حدثنا أبو يعلى زكريا بن يحيى الساجي حدثنا الحكم بن مروان حدثنا الحسن بن صالح عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر ابن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ.... فذكره.

قال الألباني في «الصحيحة» (٢/ ٤٧٧) إسناده حسن فالله أعلم.

والخلاف في عبد الله بن محمد بن عقيل هل يحسن حديثه أم يضعف فمن يضعفه يضعف الحديث ومن يحسنه يحسن الحديث وكلاهما محتمل ولكن الأقرب إلينا الضعف والله أعلم.

(٢) **صحيح**: ضمن حديث مطولاً في «صحيح البخاري» (٣٦٨٣) أن النبي ﷺ قال: «ياابن الخطاب والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان سالكًا فجا قط إلا سلك فجا غير فجك» وذلك من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه وسيأتي عقبه.

(٣) وهو عند أحمد (٣/ ١٨٤) من حديث أنس،

(*) وعند ابن أبي حاتم في «العلل» ابن أبي فديك قال: حدثني غير واحد عن عبد العزيز ولا يعلم من هم حتى نرجح طريقهم لكن ذكر الألباني في «الصحيحة» (٢/ ٤٧٣) قول الحافظ في «الإصابة» أن الحديث عند البغوي أنه سمى من هؤلاء عمرو بن أبي عمرو وعلي بن عبد الرحمن ولم أعرف علي، وعمرو ثقة ولكن لا يقوى على الآخرين حتى نرجح طريقه ومن فيه لكثرتهم فقد يكونوا كثير لكن مجاهيل أو نحو ذلك ولذلك رجح أبو حاتم الوجه الآخر الذي رواته معروفين وكلام الحافظ في «التهذيب» سقط بين ابن أبي فديك وبين عبد العزيز واسطة ليس صريح ولا واضح في ترجيح خلاف رواية أبي حاتم.

عليه رهطًا من المهاجرين، واشترط عليه أن لا يركبَ بِرْذَوْنًا، ولا يأكُلَ نقيًا، ولا يلبَسَ رَقيقًا، ولا يُغْلِقَ بابَه دونَ ذوي الحاجات، فإن فعَل شيئًا من ذلك حلَّت عليه العقوبةُ.

وقيل: إنَّه كان إذا حدَّثه الرجلُ بالحديث فيكذبُ فيه الكلمةَ والكلمتَيْن، فيقولُ عمرُ: احبِسْ هذه، احبِسْ هذه. فيقولُ الرجلُ: والله كلُّ ما حدَّثْتُك به حقٌّ غيرَ ما أمرْتَني أن أحْبِسَه.

وقال معاويةُ بنُ أبي سفيانَ: أمَّا أبو بكرٍ فلم يُرِدِ الدُّنيا ولم تُرِدْه، وأمَّا عمرُ فأرادَتْه فلم يُرِدْها، وأمَّا نحن فتَمَرَّغْنا فيها ظَهْرًا لبطنٍ.

وعُوتِب عمرُ فقيل له: لو أكَلْتَ طعامًا طيِّبًا، كان أقوىٰ لك على الحقِّ؟ فقال: إنِّي تركْتُ صاحبيَّ على جادَّةٍ، فإنْ تَرَكْتُ جادَّتَهما لم أُدْرِكْهما في المنزلِ. وكان يلبَسُ وهو خليفةٌ جُبَّةَ صوفٍ مرقوعةً بعضُها بأَدَمٍ، ويطوفُ بالأسواقِ على عاتقِه الدِّرَّةُ يؤدِّبُ بها الناسَ، وإذا مرَّ بالنَّوَىٰ وغيرِه يلتَقِطُه، ويرْمي به في مَنازلِ الناسِ ينتَفِعون به.

وقال أنسٌ: كان بينَ كَتِفَي عمرَ أربعُ رِقاعٍ[1]، وإزارُه مرقوعٌ بأَدَمٍ. وخطَب على المنبرِ وعليه إزارٌ فيه اثنتا عشْرةَ رُقْعَةً، وأنفَقَ في حَجَّتِه ستَّةَ عشَرَ دينارًا، وقال لابنه: قد أسرَفْنا. وكان لا يستَظِلُّ بشيءٍ غيرَ أنه كان يُلْقِي كساءَه على الشَّجَرِ ويستَظِلُّ تحتَه، وليس له خيمةٌ ولا فُسْطاطٌ.

ولمَّا قدم الشامَ لفتحِ بيتِ المقدسِ، كان على جملٍ أوْرَقَ تلُوحُ صَلْعَتُه للشمسِ، ليس عليه قَلَنْسُوَةٌ ولا عِمامَةٌ، قد طبَّق رِجْلَيه بينَ شُعْبَتي الرَّحْلِ بلا رِكابٍ، ووطَاؤُه كساءٌ من صوفٍ، وهو فراشُه إذا نزَل، وحقيبتُه مَحْشُوَّةٌ ليفًا، وهي وِسادتُه إذا نام، وعليه قَميصٌ من كرابيسَ قد دَسِمَ وتَخرَّقَ جيبُه، فلمَّا نزَل قال: ادعُوا لي رأسَ القرية. فدَعَوْه فقال: اغسلوا قميصي وخيِّطوه وأعيروني قميصًا. فأُتي بقميصٍ كَتَّانٍ، فقال: ما هذا؟ فقيل: كَتَّانٌ. فقال: فما الكَتَّانُ؟ فأخبَروه، فنزَع قميصَه فغسَلوه وخاطُوه ثم لبِسه، فقيل له: أنت مَلِكُ العربِ، وهذه بلادٌ لا يصلُحُ فيها رُكُوبُ الإبلِ. فأُتي ببِرْذَوْنٍ فطرَح عليه قطيفةً بلا سَرْجٍ ولا رَحْلٍ، فلمَّا سار جعَل البِرْذَوْنُ يُهَمْلِجُ به، فقال لِمَن معه: احبِسوا، ما كنتُ أظنُّ الناسَ يركَبون الشياطينَ، هاتوا جملي، ثم نزَل وركِب الجملَ.

وعن أنسٍ قال: كنتُ مع عمرَ فدخَل حائطًا لحاجته، فسمعتُه يقولُ - وبيني وبينَه جدارُ الحائطِ -: عمرُ بنُ الخطابِ أميرُ المؤمنين! بَخٍ بَخٍ، والله لَتَتَّقِيَنَّ اللهَ بُنيَّ الخطابِ أو لَيُعَذِّبَنَّك. وقيل: إنَّه حمَل قِرْبةً على عاتقِه، فقيل له في ذلك فقال: إنَّ نَفْسي أعجبَتْني فأرَدْتُ أن أُذِلَّها.

وكان يصلِّي بالناسِ العشاءَ، ثم يدخُلُ بيتَه فلا يزالُ يصلِّي إلى الفجرِ. وما مات حتى سرَد الصومَ، وكان في عامِ الرَّمادَةِ لا يأكُلُ إلاَّ الخبزَ والزَّيتَ، حتى اسوَدَّ جلدُه، ويقولُ: بئْس الوالي أنا إنْ شَبِعْتُ والناسُ جياعٌ. وكان في وجهِه خطَّان أسودان من البكاءِ، وكان يسمع الآيةَ من القرآن

(١) إسناده صحيح: وتمامه في «قميصه» أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (٥٨٨) عن سليمان بن المغيرة عن ثابت عن أنس.

فيُغْشَىٰ عليه، فيُحْمَلُ صَرِيعًا إلىٰ منزله، فيُعادُ أيامًا ليس به مرضٌ إلاَّ الخوفُ.

وقال طَلْحَةُ بنُ عُبَيْد الله: خرَجَ عمرُ ليلةً في سَوَادِ الليلِ، فدخَل بيتًا، فلمَّا أصبَحْتُ ذَهَبْتُ إلىٰ ذلك البيت، فإذا عجوزٌ عَمْيَاءُ مُقْعَدةٌ فقلْتُ لها: ما بالُ هذا الرجلِ يأتيكِ؟ فقالت: إنه يتعاهَدُني مدَّة كذا وكذا، يأتيني بما يُصْلِحُني ويُخْرِجُ عنِّي الأذَىٰ. فقلْتُ لنفسي: ثَكِلَتْكَ أمُّك يا طَلْحَةُ، أعَثَرَاتِ عمرَ تتَّبِعُ!

وقال أسلمُ مَوْلىٰ عمرَ: قَدِمَ المدينةَ رُفْقَةٌ من تُجَّارٍ، فنزَلوا المُصَلَّىٰ، فقال عمرُ لعبدِ الرحمنِ بنِ عوفٍ: هل لك أن نَحْرُسَهم الليلَةَ؟ قال: نعم. فباتا يحرُسانهم ويصلِّيان، فسمع عمرُ بكاءَ صبيٍّ فتوجَّه نحوَه، فقال لأمِّه: اتَّقِي اللهَ تعالىٰ وأحْسِني إلىٰ صبيِّك. ثم عاد إلىٰ مكانه، فسمع بكاءَه، فعاد إلىٰ أمِّه، فقال لها مثلَ ذلك، ثم عاد إلىٰ مكانه، فلمَّا كان آخرُ الليلِ سمع بكاءَ الصَّبيِّ فأتَىٰ إلىٰ أمِّه فقال لها: ويحك! إنك أمُّ سَوْءٍ، ما لي أرَىٰ ابنَك لا يَقِرُّ منذُ الليلة من البُكاء؟ فقالت: يا عبدَ الله إني أُشْغِلُه عن الطَّعام فيأبَىٰ ذلك. قال: ولِمَ؟ قالت: لأنَّ عمرَ لا يَفْرِضُ إلاَّ للمفطوم. قال: وكم عمرُ ابنك هذا؟ قالت: كذا وكذا شهرًا. فقال: ويحك! لا تُعْجِليه عن الفطام. فلمَّا صلَّىٰ الصبحَ وهو لا يَسْتَبِينُ للناسِ قراءتُه من البكاءِ. قال: بؤسًا لعمرَ، كم قَتَل من أولادِ المسلمين، ثم أمَر مُناديَه، فنادَىٰ: لا تُعْجِلوا صِبْيانَكم عن الفطامِ، فإنَّا نفرضُ لكلِّ مولودٍ في الإسلامِ. وكتَب بذلك إلىٰ الآفاقِ.

وقال أسلمُ: خرَجْتُ ليلةً مع عمرَ إلىٰ ظاهرِ المدينة، فَلاَحَ لنا بيتُ شَعْرٍ فقَصَدْناه، فإذا فيه امرأةٌ تَمْخَضُ وتَبْكي، فسألها عمرُ عن حالِها، فقالت: أنا امرأةٌ غَرِيبةٌ وليس عندي شيءٌ. فبكَىٰ عمرُ وعاد يُهَرْوِلُ إلىٰ بيته، فقال لامرأته أمِّ كلثومٍ بنتِ عليِّ بنِ أبي طالبٍ: هل لكِ في أجرٍ ساقَه اللهُ إليكِ؟ وأخبَرَها الخبرَ، فقالت: نعم، فحمَل علىٰ ظهرِه دَقِيقًا وشَحْمًا، وحمَلَت أمُّ كلثومٍ ما يَصْلُحُ للولادةِ وجاءَا، فدخَلَت أمُّ كلثومٍ علىٰ المرأةِ، وجلَس عمرُ مع زوجِها - وهو لا يعرِفُه - يتحدَّثُ، فوضَعَت المرأةُ غلامًا، فقالت أمُّ كلثومٍ: يا أميرَ المؤمنين بشِّرْ صاحِبَك بغلامٍ. فلمَّا سمع الرجلُ قولَها استَعْظَمَ ذلك وأخَذ يعتَذِرُ إلىٰ عمرَ. فقال عمرُ: لا بأسَ عليك. ثم أوصلَهم بنفقةٍ وما يُصْلِحُهم وانصرَف.

وقال أسْلَمُ: خرَجْتُ ليلةً مع عمرَ إلىٰ حَرَّةِ واقِمٍ، حتىٰ إذا كنَّا بصِرارٍ إذا بنارٍ فقال: يا أسْلَمُ ههُنا ركبٌ قد قصَّر بهم الليلُ، انطلِقْ بنا إليهم. فأتَيْناهم فإذا امرأةٌ معها صِبْيانٌ لها، وقِدْرٌ منصوبةٌ علىٰ النارِ، وصِبْيانُها يَتَضاغَون، فقال عمرُ: السلامُ عليكم يا أصحابَ الضَّوْءِ. قالت: وعليك السلامُ. قال: أدْنُو؟ قالت: ادْنُ أو دَعْ. فدنَا فقال: ما بالُكم؟ قالت: قصَّرَ بنا الليلُ والبَرْدُ. قال: فما بالُ هؤلاءِ الصِّبْيةِ يَتَضاغَون؟ قالت: من الجوعِ. فقال: وأيُّ شيءٍ علىٰ النارِ؟ قالت: ماءٌ أُعَلِّلُهم به حتىٰ يناموا، اللهُ بينَنا وبينَ عمرَ! فبكَىٰ عمرُ ورَجَع يُهَرْوِلُ إلىٰ دارِ الدقيقِ، فأَخْرَج عِدْلاً من دقيقٍ وجِرَابَ شَحْمٍ، وقال: يا أسْلَمُ احمِلْه علىٰ ظَهْرِي فقلْتُ: أنا أحمِلُه عنك فقال: أنتَ تحمِلُ وِزْري يومَ القيامةِ

فحمَله على ظهره وانطلَقنا إلى المرأة، فألقىٰ عن ظهره وأخرج من الدَّقيق في القدْرِ، وألقىٰ عليه من الشَّحْم، وجعَل ينفُخُ تحتَ القِدْرِ والدُّخانُ يتخلَّلُ لحيتَه ساعَةً، ثم أنزلَها عن النار وقال: آتني بصَحْفَة. فأُتي بها فغرف فيها ثم جعَلها بينَ يَدي الصِّبيانِ، وقال: كُلُوا. فأكلوا حتى شبِعُوا - والمرأةُ تدعُو له وهي لا تعرِفُه - فلم يزَلْ عندَهم حتى نام الصِّغارُ، ثم أوصَلَهم بنفقة وانصرَف فقال: يا أسْلَمُ، الجوعُ الذي أسهرَهم وأبكاهم.

وقيل: إنَّ عليَّ بنَ أبي طالبٍ، رضي اللهُ عنه، رأىٰ عمرَ وهو يعدُو إلى ظاهر المدينة فقال له: إلى أين يا أميرَ المؤمنين؟ فقال: قد ندَّ بعيرٌ من إبلِ الصَّدقة فأنا أطلُبه. فقال: قد أتعَبْتَ الخلفاءَ من بعدك! وقيل: إنَّه رأىٰ جاريةً تتمايَلُ من الجوعِ فقال: مَن هذه؟ فقالت ابنةُ عبد الله: هذه ابنتي. قال: فما بالُها؟ فقالت: إنَّك تحبِسُ عنَّا ما في يدك فيصيبُنا ما ترىٰ. فقال: يا عبدَ الله، بيني وبينَكم كتابُ الله، والله ما أعْطيكُم إلاَّ ما فرَض اللهُ لكم، أتريدون منّي أن أعْطيَكم ما ليس لكم فأعودُ خائنًا!

وقال الواقديُّ: حدَّثنا أبو حَزْرَةَ يعقوبُ بنُ مجاهدٍ، عن محمد بن إبراهيمَ، عن أبي عمرو، قال: قلتُ لعائشةَ: مَن سمَّىٰ عمرَ الفاروقَ؟ قالت: النبيُّ ﷺ.

أميرُ المؤمنين وأوَّلُ مَن حيّاه بها المغيرةُ بنُ شعبةَ، وقيل: غيرُه. فاللهُ أعلمُ.

وقال ابنُ جرير: حدَّثني أحمدُ بنُ عبد الصمد الأنصاريُّ، حدَّثتني أمُّ عمرو بنتُ حسّانَ الكوفيَّةُ - وكان قد أتىٰ عليها مائةٌ وثلاثٌ وثلاثون سنةً - عن أبيها، قال: لمّا وَلِيَ عمرُ قالوا: يا خليفةَ خليفةِ رسولِ الله. فقال عمرُ: هذا أمرٌ يطولُ، بل أنتم المؤمنون وأنا أميرُكم. فسُمِّي أميرَ المؤمنين.

وملَخَّصُ ذلك أنَّ عمرَ، رضي اللهُ عنه، لمّا فرَغ من الحجِّ سنةَ ثلاثٍ وعشرين ونزَل بالأبْطَحِ دعــا اللهَ، عزَّ وجلَّ، وشكا إليه أنَّه قد كَبِرَتْ سنُّه وضعُفَتْ قوَّته، وانتشَرَتْ رَعيَّته، وخاف من التَّقصيرِ، وسأل اللهَ أن يقبِضَه إليه، وأن يَمُنَّ عليه بالشهادةِ في بلدِ النبيِّ ﷺ، كما ثبَت عنه في «الصحيح» أنَّه كان يقولُ: اللهمَّ إنّي أسألُك شهادةً في سبيلك، وموْتًا في بلد رسولك[1]. فاستَجاب اللهُ له هذا الدُّعاءَ، وجمَع له بينَ هذين الأمْرَين؛ الشهادةِ في المدينة النبوية. وهذا عزيزٌ جـــدًّا، ولكنَّ اللهَ لطيفٌ لما يشاءُ، تبارَكَ وتعالىٰ. فاتَّفَق له أنْ ضرَبه أبو لُؤْلُؤَةَ فَيروزُ المَجُوسيُّ الأصْلِ، الروميُّ الدّارِ، وهو قائمٌ يُصلِّي في المحراب صلاةَ الصبحِ من يوم الأربعاء، لأربَعٍ بَقِينَ من ذي الحِجَّة من هذه السنة بخنْجَرٍ ذات طَرَفَيْن، فضربَه ثلاثَ ضَرَباتٍ، وقيل: ستَّ ضَرَباتٍ. إحْداهُنَّ تحتَ سُرَّته قَطَعت الصِّفاقَ فَخَرَّ من قامَته، واستخلَف عبدَ الرحمن بنَ عوفٍ، ورجَع العِلْجُ بخنْجَره لا يَمُرُّ بأحَدٍ إلاَّ ضرَبه، حتىٰ ضرَب ثلاثةَ عشَر رجلاً مات منهم ستةٌ، فألقىٰ عليه عبدُ الله بنُ عوفٍ بُرْنُسًا فانتَحَر نَفْسَه، لعنَه اللهُ، وحُمِل عمرُ إلى منزلِه والدمُ يسيلُ من جُرْحِه - وذلك قبلَ طلوعِ

---

(١) أخرجه البخاري (١٨٩٠) ضمن حديث عن زيد بن أسلم عن أبيه.

الشمس - فجعَل يُفيقُ ثم يُغْمَىٰ عليه، ثم يُذكرونه بالصلاةِ فيُفيقُ ويقولُ: نعم، ولا حَظَّ في الإسلام لمن تركَها، ثم صلَّىٰ في الوقت، ثم سأل عمَّن قتَله مَن هو؟ فقالوا له: أبو لُؤْلُؤَةَ غُلامُ المغيرة بنِ شعبةَ. فقال: الحمدُ لله الذي لم يَجْعَلْ مَنِيَّتي على يَدَي رجلٍ يدَّعي الإيمانَ، ولم يَسْجُدْ لله سجدةً. ثم قال: قبَّحه اللهُ، لقد كنَّا أمَرنا به مَعْرُوفًا.

وكان المغيرةُ قد ضرَب عليه في كلِّ يَوْمٍ درهَمين، ثم سأل من عمرَ أنْ يزيدَ في خراجِه فإنَّه نجَّارٌ نقَّاشٌ حدَّادٌ، فزاد في خراجه؛ إلىٰ مائةٍ في كلِّ شهرٍ، وقال له: لقد بلَغني أنَّك تُحْسِنُ أنْ تَعْمَلَ رَحًا تدورُ بالهواء. فقال أبو لُؤْلُؤَةَ: أمَا والله لأعْمَلَنَّ لك رَحًا يتحدَّثُ بها الناسُ في المشارق والمغارب - وكان هذا يومَ الثلاثاء عشيَّةً - وطعَنه صَبِيحة الأربعاء لأربعٍ بَقِينَ من ذي الحِجَّةِ. وأوْصَىٰ عمرُ أن يكونَ الأمرُ شُورَىٰ بعدَه في ستَّةٍ ممَّن تُوُفِّيَ رسولُ الله ﷺ وهو عنهم راضٍ؛ وهم عثمانُ، وعليٌّ، وطلحةُ، والزُّبيرُ، وعبدُ الرحمنِ بنُ عوفٍ، وسعدُ ابنُ أبي وقَّاصٍ، ولم يَذْكُرْ سعيدَ ابنَ زيدِ بنِ عمرِو بنِ نُفَيْلٍ العَدَوِيَّ فيهم؛ لكونِه من قَبيلَتِه، خَشْيَةَ أنْ يُراعَىٰ في الإمارةِ بسببِه، وأوْصَىٰ مَن يُسْتَخْلَفُ بعدَه بالناسِ خيرًا علىٰ طبقاتهم ومراتبِهم.

ومات، رضي اللهُ عنه، بعدَ ثلاثٍ، ودُفِن في يوم الأحدِ مُسْتَهَلَّ المحرَّم من سنةِ أربعٍ وعشرين، بالحُجْرَةِ النبويةِ، إلىٰ جانبِ الصديقِ، عن إذْنِ أمِّ المؤمنين عائشةَ، رضي اللهُ عنها، في ذلك، وفي ذلك اليوم حكَم أميرُ المؤمنين عثمانُ بنُ عفَّانَ، رضي اللهُ عنه.

قال الواقدي: حدَّثني أبو بكرِ بنُ إسماعيلَ بنِ محمدِ بنِ سعدٍ، عن أبيه، قال: طُعِن عمرُ يومَ الأربعاءِ لأربعِ ليالٍ بَقِينَ من ذي الحِجَّة سنةَ ثلاثٍ وعشرين، ودُفِن يومَ الأحدِ صباحَ هلالِ المحرَّم سنةَ أربعٍ وعشرين، فكانَتْ ولايتُه عَشْرَ سنين وخمسةَ أشهرٍ وأحدًا وعشرين يومًا، وبُويع لعثمانَ يومَ الإثنين لثلاثٍ مَضَيْنَ من المحرَّم. قال: فذكَرْتُ ذلك لعثمانَ الأخْنَسِيِّ، فقال: ما أراك إلاَّ وَهِلْتَ، تُوُفِّي عمرُ لأربعِ ليالٍ بَقِينَ من ذي الحِجَّة، وبُويع لعثمانَ لليلةٍ بَقِيَتْ من ذي الحِجَّة، فاستقبَل بخلافته المحرَّمَ سنةَ أربعٍ وعشرين[1].

وقال أبو مَعْشَرٍ: قُتل عمرُ لأربعٍ بَقِينَ من ذي الحِجَّة تمامَ سنةِ ثلاثٍ وعشرين، وكانت خلافتُه عَشْرَ سنين وستةَ أشهرٍ وأربعةَ أيامٍ، وبُويع عثمانُ بنُ عفَّانَ.

وقال ابنُ جرير: حُدِّثْتُ عن هشامِ بنِ محمدٍ، قال: قُتل عمرُ لثلاثٍ بَقِينَ من ذي الحِجَّة سنةَ ثلاثٍ وعشرين، فكانتْ خلافتُه عَشْرَ سنين وستةَ أشهرٍ وأربعةَ أيامٍ.

وقال سيفٌ، عن خليدِ بنِ ذَفَرَةَ ومُجالدٍ قالا: استُخْلِفَ عثمانُ لثلاثٍ من المحرَّم، فخرَج فصلَّىٰ بالناسِ صلاةَ العصرِ.

وقال عليُّ بنُ محمدٍ المدائنيُّ، عن شَرِيكٍ، عن الأعْمَشِ - أو جابرٍ الجُعْفِيِّ - عن عَوْفِ بنِ مالكٍ

---

(١) في إسناده الواقدي وهو متروك.

الأشْجَعِيُّ وعامرِ بنِ أبي محمدٍ، عن أشياخٍ من قومه، وعثمانَ بنِ عبدِ الرحمنِ، عن الزُّهْرِيِّ، قالوا: طُعِنَ عمرُ يومَ الأربعاءِ لسبْعٍ بَقِينَ مِن ذي الحِجَّة. قال: وقال غيرُهم: لستٍّ بقِينَ من ذي الحجَّة.

والقولُ الأوَّلُ هو الأشهرُ. واللهُ سبحانَه وتعالَى أعلمُ.

صفته رضي الله عنه

كان رضِي اللهُ عنه رجلاً طُوالاً أصْلَعَ، أعْسَرَ أيسَرَ، أحْوَرَ العَيْنَيْنِ، آدَمَ اللَّونِ، وقيل: كان أبْيَضَ شَديدَ البَياضِ تعلُوه حُمْرَةٌ، أشْنَبَ الأسْنانِ، وكان يُصفِّرُ لحيتَه، ويُرَجِّلُ رأسَه بالحِنَّاء.

واختُلف في مقدارِ سنِّه يومَ مات، رضِي اللهُ عنه، على أقوالٍ عِدَّتُها عَشَرَةٌ فقال ابنُ جرير: حدَّثنا زيدُ بنُ أخزمَ، ثنا أبو قتيبةَ، عن جريرِ بنِ حازمٍ، عن أيوبَ، عن نافعٍ، عن ابنِ عمرَ قال: قُتِل عمرُ ابنُ الخطابِ وهو ابنُ خمسٍ وخمسين سنةً. ورَواه الدَّرَاوَرْدِيُّ، عن عُبَيْدِ الله، عن نافعٍ، عن ابنِ عمرَ. وقاله عبدُ الرَّزَّاقِ، عن ابنِ جريجٍ، عن الزُّهْرِيِّ. ورَواه أحمدُ، عن هُشَيْمٍ، عن عليِّ بنِ زَيْدٍ، عن سالمِ بنِ عبدِ الله بنِ عمرَ.

وعن نافعٍ روايةٌ أخرىٰ: ستٌّ وخمسون سنةً. وثالثةٌ: تسعٌ وخمسون.

قال ابنُ جرير: وقال آخرون: كان عُمْرُه ثلاثًا وخمسين سنةً، حُدِّثْتُ بذلك عن هشامِ بنِ محمدٍ. ثم روَىٰ عن عامرٍ الشَّعْبِيِّ أنَّه تُوُفِّي وله ثلاثٌ وستون سنةً. قلتُ: وقد تقدَّم في عُمْرِ الصديقِ مثلُه. وروَىٰ عن قَتادةَ أنَّه قال: تُوُفِّي عمرُ وهو ابنُ إحدىٰ وستين سنةً.

وعن ابنِ عمرَ والزُّهْريِّ: خمسٌ وستون سنةً. وعن ابنِ عبّاسٍ: ستٌّ وستون.

وروى ابنُ جرير، عن أسْلَمَ مولىٰ عمرَ أنَّه قال: تُوُفِّي وهو ابنُ ستين سنةً. قال الواقديُّ: وهذا أثْبَتُ الأقاويلِ عندَنا.

وقال المدائنيُّ: تُوُفِّي عمرُ وهو ابنُ سبعٍ وخمسين سنةً.

ذكر زوجاته وأبنائه وبناته

قال الواقديُّ وابنُ الكَلْبيِّ وغيرُهما: تزوَّج عمرُ في الجاهليةِ زينبَ بنتَ مَظْعونٍ أختَ عثمانَ بنِ مظعونٍ، فولَدت له عبدَ الله وعبدَ الرحمنِ الأكبَرَ وحَفْصَةَ، رضِي اللهُ عنهم.

وتزوَّجَ مُلَيْكةَ بنت جَرْوَلٍ، فولَدتْ له عبيدَ الله، فطلَّقَها في الهُدْنَة، فخلَف عليها أبو الجَهْمِ بن حُذَيْفَةَ. قاله المدائنيُّ. وقال الواقديُّ: هي أمُّ كُلثومٍ بنتُ جَرْوَلٍ، فولَدتْ له عبيدَ الله وزَيْدًا الأصغرَ.

قال المدائنيُّ: وتزوَّج قُرَيْبَةَ بنتَ أبي أُمَيَّةَ المَخْزُوميِّ ففارَقها في الهُدْنَةِ، فتزوَّجَها بعده عبدُ الرحمنِ ابنُ أبي بكرٍ.

قالوا: وتزوَّج أُمَّ حَكيم بنتَ الحارث بن هشام بعدَ زوجها - حين قُتِل في الشام - فولَدت له فاطمةَ ثم طلَّقها.

قال المدائنيُّ: وقيل: لم يُطَلِّقْها.

قالوا: وتزوَّج جَميلةَ أختَ عاصم بن ثابت بن أبي الأقْلَح من الأوْس.

وتزوَّج عاتكَةَ بنت زيد بن عمرو بن نُفَيْل، وكانت قبلَه عندَ عبد الله بن أبي بكر، ولمَّا قُتِل عمرُ تزوَّجها بعدَه الزُّبَيْرُ بنُ العوَّام، رضي اللهُ عنهم. ويقالُ: هي أمُّ ابنه عِياض. فاللهُ أعلمُ.

قال المدائنيُّ: وكان قد خطَب أمَّ كُلثوم بنتَ أبي بكر الصديق وهي صغيرةٌ وراسَل فيها عائشةَ، فقالت أمُّ كُلثوم: لا حاجةَ لي فيه. فقالت عائشةُ: أتَرْغَبِينَ عن أمير المؤمنين؟ قالتْ: نعم، إنَّه خَشِنُ العَيْش. فأرسلَتْ عائشةُ إلى عمرو بن العاص فصدَّه عنها، ودلَّه على أمِّ كُلثوم بنت عليِّ بن أبي طالب، ومن فاطمةَ بنت رسول الله ﷺ، وقال: تَعَلَّقْ منها بسببٍ من رسول الله ﷺ. فخطَبها من عليٍّ فزوَّجه إيَّاها، فأصْدَقَها عمرُ، رضي اللهُ عنه، أربعين ألفًا، فولَدتْ له زَيْدًا ورُقَيَّةَ.

قالوا: وتزوَّج لُهَيَّةَ - امرأةٌ من اليمن - فولَدت له عبدَ الرحمن الأصْغَرَ. وقيل: الأوْسَطَ. وقال الواقديُّ: هي أمُّ وَلَدٍ وليستْ بزوجةٍ.

قالوا: وكانتْ عندَه فُكَيْهةُ، أمُّ وَلَدٍ، فولَدتْ له زينبَ. قال الواقديُّ: وهي أصْغَرُ وَلَده.

قال الواقديُّ: وخطَب أمَّ أبانَ بنتَ عُتْبَةَ بن ربيعةَ، فكرِهَتْه، وقالتْ: يُغْلِقُ بابَه، ويَمنَعُ خيرَه، ويَدْخُلُ عابسًا، ويَخرُجُ عابسًا.

قلتُ: فجُمْلَةُ أولاده رضي اللهُ عنه وأرْضاه، ثلاثةَ عَشَرَ وَلَدًا؛ وهم زَيد الأكبرُ، وزَيدٌ الأصْغَرُ، وعاصِمٌ، وعبدُ الله، وعبدُ الرحمن الأكبرُ، وعبدُ الرحمن الأوْسَطُ - قال الزُّبَيْرُ بنُ بكَّار: وهو أبو شَحْمَةَ - وعبدُ الرحمن الأصْغَرُ، وعبيدُ الله، وعِياضٌ، وحَفْصةُ، ورُقَيَّةُ، وزينبُ، وفاطمةُ، رضي اللهُ عنهم.

ومجموعُ نسائه اللاتي تزوَّجَهُنَّ في الجاهلية والإسلام ممَّن طلَّقَهُنَّ أو مات عنهُنَّ سَبْعٌ، وهُنَّ جميلَةُ أختُ عاصم بن ثابت بن أبي الأقْلَح، وزينبُ بنتُ مَظْعُون، وعاتكَةُ بنت زيد بن عمرو بن نُفَيْل، وقُرَيْبَةُ بنتُ أبي أُمَيَّةَ، ومُلَيْكَةُ بنتُ جَرْوَل، وأُمُّ حكيم بنتُ الحارث بن هشام، وأُمُّ كُلثوم بنتُ عليِّ بن أبي طالب، وأُمُّ كُلثوم أُخرىٰ وهي مُلَيْكَةُ بنت جَرْوَل.

وكانتْ له أمَتان له منهما أولادٌ؛ وهما فُكَيْهةُ ولُهَيَّةُ، وقد اختُلف في لُهَيَّةَ هذه فقال بعضُهم: كانتْ أمَّ ولدٍ. وقال بعضُهم: كان أصلُها من اليمن وتزوَّجها أميرُ المؤمنين عمرُ بنُ الخطاب. فاللهُ أعلمُ.

ذكرُ بعضِ ما رُثِيَ به

قال عليُّ بنُ محمد المدائنيُّ، عن ابن دَاب وسعيد بن خالد، عن صالح بن كَيْسانَ، عن المغيرة بن شُعبةَ، قال: لمَّا مات عمرُ بكَتْه ابنةُ أبي حَثْمَةَ فقالت: واعُمَراه! أقام الأوَدَ، وأبرأ العَمَدَ، أمَات

الفتَنَ، وأحْيا السُّنَنَ، خرَج نَقِيَّ الثوبِ، بريئًا مِن العَيْب. قال: فقال عليُّ بنُ أبي طالب: والله لقد صَدَقَتْ، ذَهَب بخيرِها، ونجا مِن شرِّها، أمَا واللهِ ما قالتْ ولكنْ قُوِّلَتْ.

قال: وقالتْ عاتكةُ بنتُ زيدِ بنِ عمرِو بنِ نُفَيْلٍ في زوجِها عمرَ:

فَجَّعَني فَيْروزُ لا دَرَّ دَرُّهُ ... بأبْيَضَ تالٍ للكتابِ مُنيبِ
رَءُوفٍ على الأدنَى غَليظٍ على العِدَى ... أخي ثِقَةٍ في النائباتِ مُجيبِ
متى ما يَقُلْ لا يُكْذِبِ القولَ فِعْلُهُ ... سَريعٍ إلى الخيراتِ غيرِ قَطوبِ

وقالتْ أيضًا:

عينِ جُودي بعَبْرَةٍ ونحيبِ ... لا تَمَلِّي على الإمامِ النجيبِ
فَجَّعَتْني المَنونُ بالفارسِ المُعْـ ... ـلِمِ يَوْمَ الهِياجِ والتَّلْبيبِ
عِصْمَةِ النَّاسِ والمُعينِ على الدَّهْـ ... ـرِ وغَيْثِ المُنْتابِ والمَحْروبِ
قُلْ لأهْلِ السَّرَّاءِ والبُؤْسِ مُوتوا ... قَدْ سَقَتْهُ المنونُ كأسَ شَعُوبِ

وقالت امرأةٌ مِن المسلمين تَبْكيه:

سَيَبْكيكَ نِساءُ الحيِّ ... يَبْكينَ شَجِيَّاتِ
ويَخْمِشْنَ وُجوهًا كالدَّنا ... نيرِ نَقِيَّاتِ
ويَلْبَسْنَ ثيابَ الحُزْ ... نِ بَعْدَ القَصَبِيَّاتِ

وقد ذكَر ابنُ جريرٍ تَرْجَمَةً طويلةً لعمرَ بنِ الخطاب، وكذلك أطال ابنُ الجَوْزيِّ في «سيرَتِه»، وشيخُنا الحافظُ أبو عبدِ الله الذهبيُّ في تاريخه، وقد جَمَعنا مُتفرِّقات كلامِ الناسِ في مجلَّدٍ مُفْرَدٍ، وأفْرَدْنا لما أسْنَدَه ورُوِي عنه مِن الأحْكام، مُجلَّدًا آخرَ كبيرًا مرتَّبًا على أبوابِ الفقه. ولله الحمدُ.

قال ابنُ جرير: وفي هذه السنة تُوُفِّي قَتادةُ بنُ النُّعمان، وفيها غزا مُعاويةُ الصَّائفَةَ حتى بلَغ عَمُّورِيَةَ ومعه مِن الصحابةِ عبادةُ بنُ الصامت، وأبو أيوبَ، وأبو ذَرٍّ، وشدَّادُ بنُ أوسٍ، وفيها فتَح مُعاويةُ عَسْقَلانَ صُلْحًا. قال: وفيها كان على قضاءِ الكوفة شُرَيْحٌ، وعلى قضاءِ البصرة كَعْبُ بنُ سُورٍ. قال: وأمَّا مُصْعَبُ الزُّبَيْريُّ فإنَّه ذكَر أنَّ مالكًا روَى عن الزُّهْريِّ أنَّ أبا بَكْرٍ وعمرَ لم يكنْ لهما قاضٍ.

وقال شيخُنا أبو عبدِ الله الذهبيُّ في «تاريخه» في سنة ثلاث وعشرين: فيها كانتْ قصَّةُ ساريةَ بنِ زُنَيْمٍ، وفيها كان فتحُ كَرْمانَ وأميرُها سُهَيْلُ بنُ عَدِيٍّ، وفيها فُتِحتْ سِجِسْتانُ وأميرُها عاصمُ بنُ عمرٍو. وفيها فُتِحَتْ مُكْرانُ وأميرُها الحَكَمُ بنُ أبي العاصِ - أخو عثمانَ - وهي مِن بلادِ الجبلِ، وفيها رَجَع أبو موسى الأشْعَرِيُّ مِن بلادِ أصْبَهانَ وقد افتَتَح بلادَها، وفيها غزا مُعاويةُ الصَّائفَةَ حتى بلَغ عَمُّورِيَةَ.

ثم ذكر وفاةَ مَن مات فيها، فمنهم:

قتادةُ بنُ النُّعمان الأنصاريُّ الأوْسيُّ الظَّفَريُّ؛ أخو أبي سعيدٍ الخدريِّ لأُمِّه، وقتادةُ أكبرُ منه، شَهِد بَدْرًا وأُصيبَتْ عينُه في يوم أُحُدٍ حتى وَقَعَتْ على خَدِّه، فردَّها رسولُ الله ﷺ فصارَتْ أحسنَ عَيْنَيْه[1] . وكان مِن الرُّماةِ المذكُورين، وكان على مُقدَّمةِ عمرَ حين قدِمَ الشامَ. تُوُفِّي في هذه السنةِ على المشهورِ عن خمسٍ وستين سنةً، ونزَل عمرُ في قبرِه. وقيل: إنَّه تُوُفِّي في التي قبلَها.

ثم ذكَر ترجمةَ عمرَ بنِ الخطابِ، فأطال فيها وأكثَر وأطْنَبَ وأطيبَ، وأتَى بمقاصدَ كثيرةٍ مهمةٍ، وفوائدَ جمَّةٍ، وأشياءَ حسنةٍ، فأثابه اللهُ الجنةَ.

ثم قال: ذِكْرُ مَن تُوُفِّي في خلافةِ عمرَ بنِ الخطابِ رضي اللهُ عنه:

الأقْرَعُ بنُ حابس بن عقال بن محمد بن سفيانَ بن مُجاشع بن دارم بن مالك بن حَنْظَلَةَ بن مالك ابن زيد مَناةَ بن تميم التَّميميُّ المُجاشعيُّ. قال ابنُ دُرَيْد: واسمُه فِراسُ بنُ حابسٍ، ولُقِّبَ بالأقْرَعِ لقَرَعٍ في رأسِه. وكان أحدَ الرُّؤساء، قدِمَ على رسولِ اللهِ ﷺ في وفدِ بني تميم، وهو الذي نادَى مِن وراءِ الحُجُرات: يا محمدُ إنَّ مَدْحي زَيْنٌ، وذَمِّي شَيْنٌ[2] ، وهو القائلُ -وقد رأى رسولَ الله ﷺ يُقَبِّلُ الحسنَ-: أتُقَبِّلُه؟! والله إنَّ لي عَشَرَةً من الولدِ ما قَبَّلْتُ واحدًا منهم. فقال: «مَنْ لا يَرْحَمُ لا يُرْحَمُ»[3] . وفي روايةٍ: «ما أملكُ أنْ نَزَعَ اللهُ الرحمةَ من قَلْبك»[4] . وكان ممَّن تألَّفه رسولُ الله ﷺ فأعْطاه يومَ حُنَيْنٍ مائةً مِن الإبلِ، وكذلك لِعُيَيْنَةَ بنِ حِصْنٍ الفزاريِّ، وأعْطَى عبّاسَ بنَ مرداسٍ خمسين مِن الإبلِ فقال:

---

(١) **ضعيف:** أخرجه البيهقي في «الدلائل» (٣/ ٩٩ - ١٠٠) وعزاه الحافظ في «التهذيب» ترجمة عمر بن قتادة بن النعمان لأبي يعلىٰ من رواية عبد الرحمن بن الفسيل عن عاصم بن عمر عن أبيه عن قتادة بن النعمان به.

وعمر بن قتادة ذكره ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلاً ولم أقف فيه على توثيق معتبر.

ونقل الحافظ في «التهذيب» ترجمة قتادة: عن ابن عبد البر قال: لا يصح أن عينه أصيبت يوم أحد انظر «التهذيب» (٨/ ٣٢١).

وفي نسخة أخرىٰ من «التهذيب» الأصح أن عينه أصيبت يوم أحد، والقلب إلى الأخير أميل وأن الآخر تصحيف لأن هذا يتناسب مع السياق والله أعلم.

(٢) **إسناده منقطع:** لم أقف له على إسناد ثابت.

أخرجه أحمد (٣/ ٤٨٨) حدثنا عفان حدثنا وهيب حدثنا موسىٰ بن عقبة قال: حدثني أبو سلمة بن عبد الرحمن عن الأقرع ابن حابس أنه نادىٰ رسول الله من وراء الحجرات فقال: يا رسول الله فلم يجبه رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله ألا إن حمدي زين وإن ذمي شين فقال رسول الله ﷺ- كما حدث أبو سلمة: «ذاك الله عز وجل» وإسناده ضعيف للانقطاع بين أبي سلمة والأقرع بن حابس.

فإن رواية أبي سلمة عن الأقرع منقطعة كما قال الحافظ في «تعجيل المنفعة» (١/ ٣١٨) وانظر «الإصابة» (١/ ٥٣).

(٣) ذلك في «صحيح البخاري» برقم (٥٩٩٧) من حديث أبي هريرة باب من رحمة المولود تقبيله ومعانقته وهو في غير البخاري.

(٤) الذي في «صحيح البخاري» (٥٩٩٨) ومسلم وأحمد (٦/ ٥٦) أتىٰ أعرابي فقال: يا رسول الله أتقبل الصبيان؟ فوالله ما نقبلهم فقال رسول الله ﷺ... فذكره.

أتجعل نهبي ونهبَ العُبيـ ... ـد بينَ عُيينةَ والأقرعِ
فما كانَ حصنٌ ولا حابسٌ ... يفوقان مِرداسَ في مَجمَعِ
وما كنتُ دونَ امْرئٍ منهما ... ومَنْ تخفضِ اليومَ لا يُرفَعِ

فقال له رسولُ الله ﷺ: «أنتَ القائلُ:

أتجعلُ نهبي ونهبَ العُبيـ ... ـد بينَ الأقرعِ وعُيينةَ»

رواه البخاريُّ.

قال السُّهيليُّ: إنَّما قدَّم رسولُ الله ﷺ ذكْرَ الأقرعِ قبلَ عيينةَ؛ لأنَّ الأقرعَ كان خيرًا من عيينةَ، ولهذا لم يَرْتدَّ بعدَ النبيِّ ﷺ كما ارْتدَّ عيينةُ، فبايَعَ طُلَيحَةَ وصدَّقَه ثم عاد.

والمقصودُ أنَّ الأقرعَ كان سيِّدًا مُطاعًا، وشهد مع خالدٍ وقائعَه بأرضِ العراقِ، وكان على مُقدِّمَته يومَ الأنبارِ. ذكَره شيخُنا في مَن تُوُفِّي في خلافةِ عمر بن الخطاب. والذي ذكَره ابنُ الأثيرِ في «الغابة» أنه استعْمَلَه عبدُ الله بنُ عامرٍ على جيشٍ وسيَّره إلى الجُوزَجانِ فقُتِل وقُتِلوا جميعًا، وذلك في خلافةِ عثمانَ كما سيأتي، إن شاءَ اللهُ تعالى.

حُبَابُ بنُ المُنذرِ بنِ الجَموحِ بنِ زَيدِ بنِ حَرامِ بنِ كعبِ بنِ غَنْمِ بنِ كعبِ بنِ سَلِمَةَ. أبو عمرَ، ويُقالُ: أبو عمرو، الأنصاريُّ الخَزْرَجيُّ السَّلَمِيُّ.

ويقالُ له: ذو الرأْيِ؛ لأنَّه أشارَ يومَ بدرٍ أنْ ينزِلَ رسولُ الله ﷺ على أدْنَى ماءٍ يكونُ إلى القومِ، وأنْ يُغَوِّرَ ما وراءَهم من القُلُب فأصاب في هذا الرأْيِ، ونزَل المَلَكُ بتصديقِه. وأما قولُه يومَ السَّقيفةِ أنَا جُذَيْلُها المُحَكَّكُ، وعُذَيْقُها المُرَجَّبُ، منّا أميرٌ ومنكم أميرٌ. فقد ردَّه عليه الصدِّيقُ والصحابةُ.

ربيعةُ بنُ الحارثِ بنِ عبدِ المطلبِ، الهاشميُّ ابنُ عمِّ رسولِ الله ﷺ.

عُتْبَةُ بنُ مسعودٍ الهُذَليُّ، هاجَرَ مع أخيه لأبَوَيه عبدِ الله إلى الحبشةِ، وشهد أُحُدًا وما بعدَها. قال الزهريُّ: ما كان عبدُ الله بأفْقَهَ منه، ولكنْ مات عُتْبَةُ قبلَه. وتُوُفِّي زَمَنَ عمرَ على الصحيحِ. ويُقالُ: في زمنِ معاويةَ سنةَ أربعٍ وأربعين.

عَلْقَمَةُ بنُ عُلاثَةَ بنِ عوفِ بنِ الأحوصِ بنِ جَعْفَرِ بنِ كلابِ بنِ ربيعةَ بنِ عامرِ بنِ صَعْصَعَةَ العامريُّ الكلابيُّ؛ أسلمَ عامَ الفَتْحِ، وشهد حُنَيْنًا، وأُعْطِيَ يومئذٍ مائةً من الإبلِ تأليفًا لقَلْبِه، وكان يكونُ بتهامةَ، وكان شَريفًا مُطاعًا في قومِه، وقد ارْتَدَّ أيامَ الصديقِ فبعَث إليه سَرِيَّةً، فانهزَم ثم أسْلَم وحسُن إسلامُه، ووفَد على عمرَ في خلافَتِه، وقدِم دِمَشْقَ في طَلَبِ ميراثٍ له، ويُقالُ: استَعْمَلَه عمرُ على حَوْرانَ فمات بها. وقد كان الحُطَيْئَةُ قَصَدَه ليمتدِحَه فمات قبلَ مَقْدَمِه بليالٍ فقال:

فـمـا كـان بَيْني لو لَقِـيتُك سَالمًا ... وبين الغنَى إلاَّ ليـال قَـلائلُ

عَلقَمَةُ بنُ مُجزِّزِ بنِ الأعْوَرِ بنِ جَعْدَةَ بنِ مُعاذِ بنِ عتْوارةَ بنِ عمرِو بنِ مُدْلِجٍ الكنانيُّ المُدْلِجيُّ، أحدُ أُمراءِ رسولِ اللهِ ﷺ علىٰ بعضِ السَّرايا، وكانت فيه دُعابَةٌ، فأجَّجَ نارًا وأَمَرَ أصحابَه أن يَدخُلوا فيها فامتَنَعوا، فقال النبيُّ ﷺ: **«لو دَخلوا فيها ما خَرَجوا منها»**. وقال: **«إنَّما الطّاعةُ في المعروفِ»**(١) . وقد كان عَلقَمةُ جَوَادًا مُمَدَّحًا، رثاه جَوّاسٌ العذريُّ فقال:

إنَّ السّلام وحُسْنَ كلٌّ تحيّة ... تغدو على ابنِ مجزّزٍ وتروحُ

عُوَيمُ بنُ ساعدَةَ بنِ عائشٍ أبو عبد الرحمنِ الأنصاريُّ الأوْسِيُّ، أحدُ بني عمرِو بنِ عَوْفٍ، شهِدَ العَقَبَةَ وبَدْرًا وما بعدَها، له حديثٌ عند أحمدَ وابنِ ماجَه في الاستنجاءِ بالماءِ. **قال ابنُ عبدِ البَرِّ**: تُوُفِّيَ في حياةِ النبيِّ ﷺ، وقيل: في خلافةِ عمرَ. وقال وهو واقفٌ علىٰ قَبْرِه: **لا يَسْتَطِيعُ أحدٌ** أن يقولَ: أنا خيرٌ مِن صاحبِ هذا القَبْرِ، ما نُصِبَتْ رايةٌ للنبيِّ ﷺ إلاَّ وهو واقفٌ تحتَها. وقد روَىٰ هذا الأثَرَ ابنُ أبي عاصمٍ (٢)، كما أوْرَدَه ابنُ الأثيرِ مِن طريقِه.

غَيْلانُ بنُ سَلَمَةَ الثقفيُّ، أَسْلَمَ عامَ الفَتْحِ علىٰ عَشْرِ نسوةٍ، فأمَرَه رسولُ اللهِ ﷺ أن يخْتارَ منْهُنَّ أرْبعًا. وقد وفَد قبلَ الإسلام علىٰ كِسْرَىٰ فأمَره أنْ يَبْنِيَ له قَصْرًا بالطائفِ. وقد سأله كِسْرَىٰ: أيُّ وَلَدِك أحَبُّ إليك؟ قال: الصغيرُ حتىٰ يكْبَرَ، والمريضُ حتىٰ يبرأَ، والغائبُ حتىٰ يَقْدَمَ. فقال له كِسْرَىٰ: أنَّىٰ لك هذا! هذا كلامُ الحكماءِ! قال: فما غِذاؤُك؟ قال: البُرُّ. قال: نعم، هذا مِن البُرِّ لا مِن التمْرِ واللَّبَنِ.

مَعْمَرُ بنُ الحارثِ بنِ مَعْمَرِ بنِ حَبيبِ بنِ وَهْبِ بنِ حُذافةَ بنِ جُمَحَ القرشيُّ الجُمَحيُّ، أخو حاطبٍ وحطّابٍ، أُمُّهم قُتَيْلَةُ بنتُ مَظْعُونٍ، أختُ عثمانَ بنِ مَظْعُونٍ. أسْلَمَ معمرٌ قبلَ دخولِ دارِ الأرْقَمِ، وشهِد بَدْرًا وما بعدَها، وآخىٰ رسولُ اللهِ ﷺ بينَه وبينَ مُعاذِ بنِ عَفْراءَ.

مَيْسَرَةُ بنُ مَسْروقٍ العبسيُّ، شيخٌ صالحٌ، قيل: إنَّه صحابيٌّ. شهِد اليرموكَ ودخَل الرُّومَ أميرًا علىٰ جيشٍ ستةِ آلافٍ، وكانتْ له هِمَّةٌ عاليةٌ، فقتَل وسبَىٰ وغنِم، وذلك في سنةِ عشرين. وروَىٰ عن أبي عُبيدةَ، وعنه أسلَمُ مَوْلَىٰ عمرَ. لم يَذْكُرْه ابنُ الأثيرِ في «الغابة».

واقدُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ عبدِ مَنافِ بنِ عَرينِ الحَنْظَليُّ اليَرْبُوعيُّ، حليفُ بني عَدِيِّ بنِ كعبٍ، أسْلَمَ قبلَ

---

(١) أخرجه البخاري (٤٣٤٠) ومسلم (١٨٤٠) من حديث علي رضي اللَّه عنه قال: «بعث النبي ﷺ سرية فاستعمل رجلا من الأنصار وأمرهم أن يطيعوه». وبوب البخاري باب سرية عبد اللَّه بن حذافة السهمي وعلقمة بن مجزز المدلجي.

(٢) **في الإسناد من لم أقف على ترجمته**: أخرجه البخاري في «التاريخ الصغير» (١/ ٦٩) وابن أبي عاصم في «الآحاد» (١٩٤٤) من طريقين عن يعقوب بن حميد وأحمد بن أبي بكر كليهما عن عاصم بن سويد قال: سمعت الصفراء بنت عثمان ابن عتبة بن عويم بن ساعدة قالت: دعي عمر إلىٰ جنازة عويم بن ساعدة . . . به والذي في «تاريخ البخاري» أن عمر قال ما قال وهو يغسله والصفراء بنت عثمان هذه لم أقف لها علىٰ ترجمة.

دارِ الأرْقَمِ، وشهد بَدْرًا وما بعدَها، وآخَىٰ رسولُ الله ﷺ بينَه وبينَ بِشرِ بنِ البَراءِ بنِ مَعْرورٍ، وهو أوَّلُ مَن قتَل في سبيلِ اللهِ، عزَّ وجلَّ، ببَطْنِ نَخْلَةَ، مع عبدِ اللهِ بنِ جَحْشٍ حينَ قَتَل عمرَو بنَ الحَضْرَميِّ. تُوُفِّيَ في خلافةِ عمرَ، رضِي اللهُ عنه.

أبو خِراشٍ الهُذَليُّ الشاعرُ؛ واسْمُه خُوَيْلِدُ بنُ مُرَّةَ، كان يَسْبِقُ الخَيلَ على قَدَمَيْه، وكان فتّاكًا في الجاهليةِ، ثم أسلَم وحسُن إسلامُه، وتُوُفِّي في زمنِ عمرَ. أتاه حُجَّاجٌ، فذهَب يأتِيهم بماءٍ فنهَشَته حيَّةٌ فرجَع إليهم بالماءِ، وأعْطاهم شاةً وقِدْرًا ولم يُعْلِمهم بما جرىٰ له، فأصبَح فمات فدفَنوه. ذكَره ابنُ عبدِ البَرِّ وابنُ الأثيرِ في أسماءِ الصحابةِ. والظاهرُ أنَّه ليست له وِفادةٌ، وإنَّما أسْلَم في حياةِ النبيِّ ﷺ، فهو مُخَضْرَمٌ. واللهُ أعلمُ.

أبو لَيْلَى عبدُ الرحمنِ بنُ كعبِ بنِ عمرٍو الأنصاريُّ، شهِد أُحُدًا وما بعدَها، إلا تَبوكَ فإنَّه تخلَّفَ لعذرِ الفقرِ، وهو أحدُ البَكّائين المذكُورين.

سَوْدَةُ بنتُ زَمْعَةَ القُرَشيَّةُ العامريَّةُ أمُّ المؤمنين، أوَّلُ مَن دخَل بها رسولُ الله ﷺ بعدَ خديجةَ، رضِي اللهُ عنها، وكانت صوّامةً قوّامةً. ويُقالُ: كان في خُلُقِها حِدَّةٌ. وقد كبِرَتْ فأراد رسولُ الله ﷺ أن يُفارِقَها - ويُقالُ: بل فارقَها - فقالت: يا رسولَ الله لا تُفارِقْني وأنا أجْعَلُ يومي لعائشةَ. فترَكها رسولُ الله ﷺ وصالَحها على ذلك. وفي ذلك أنزَل اللهُ عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ الآيةَ [النساء: ١٢٨]. قالت عائشةُ: نزَلتْ في سَودَةَ بنتِ زَمْعَةَ(١). تُوُفِّيَتْ في خلافةِ عمرَ بنِ الخطابِ.

هِنْدُ بنتُ عُتْبَةَ، يقالُ: ماتتْ في خلافةِ عمرَ. وقيل: تُوُفِّيَتْ قبلَ ذلك. كما تقدَّم. فاللهُ أعلمُ.

ثم استهلَّت سنةُ أربعٍ وعشرين

ففي أوَّلِ يومٍ منها دُفِن أميرُ المؤمنين عمرُ بنُ الخطابِ، رضِي اللهُ عنه، وذلك يومَ الأحدِ، في قولٍ. وبعدَ ثلاثةِ أيامٍ بُويِع لأميرِ المؤمنين عثمانَ بنِ عفانَ، رضِي اللهُ عنه.

خلافةُ عثمانَ بنِ عفانَ، رضِي اللهُ عنه

كان عمرُ بنُ الخطابِ، رضِي اللهُ عنه، قد جعَل الأمرَ بعدَه شورىٰ بينَ ستَّةِ نَفَرٍ، وهم؛ عثمانُ بنُ عفانَ، وعليُّ بنُ أبي طالبٍ، وطَلْحةُ بنُ عُبَيدِ اللهِ، والزُّبَيرُ بنُ العوّامِ، وسعدُ بنُ أبي وقّاصٍ،

(١) قوي لشواهده: اخرجه ابو داود (٢١٣٥) عن احمد بن يونس ثنا عبد الرحمن بن ابي الزناد عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة به وفيه ان الآية نزلت في سودة بنت زمعة رضي الله عنها وهذا إسنادٌ حسن من أجل الكلام في عبد الرحمن وبقية رجاله ثقات وانظر «صحيح البخاري» (٥٢٠٦) وغيره وليس فيه تسمية سودة بنت زمعة لكن عام فيمن وله شاهد من حديث ابن عباس عند الترمذي (٣٠٤٠) عن محمد بن المثنى حدثنا أبو داود ثنا سليمان بن معاذ عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس فذكره وفيه ذكر سودة رضي الله عنها وهذا إسنادٌ ضعيف من أجل الاضطراب في رواية سماك عن عكرمة، والكلام في سليمان بن معاذ.

وعبد الرحمن بنُ عَوْفٍ، رضي اللهُ عنهم. وتحرَّج أن يجعلَها إلى واحدٍ من هؤلاء على التَّعْيين، وقال: لا أتحمَّلُ أمرَكم حيًّا وميِّتًا، وإن يُرِدِ اللهُ بكم خيرًا يجمَعْكم على خيرِ هؤلاء، كما جَمَعَكم على خيرِكم بعدَ نبيِّكم ﷺ.

ومن تمامِ وَرَعِه لم يذكُرْ في أهلِ الشورَىٰ سعيدَ بنَ زيدِ بنِ عمرِو بنِ نُفَيْلٍ؛ لأنَّه ابنُ عمِّه، خشِي أن يُراعَىٰ فيولَّىٰ لكونِه ابنَ عمِّه، فلذلك تركَه، وهو أحدُ العَشَرَةِ المشهودِ لهم بالجنة، بل جاء في رواية المدائنيِّ، عن شيوخِه، أنه استثْناه من بينِهم، وقال: لستُ مُدْخِلَه فيهم. وقال لأهلِ الشورىٰ: يحضُرُكم عبدُ اللهِ - يعني ابنَه - وليس له من الأمرِ شيءٌ، بل يحضُرُ الشورَىٰ ويُشيرُ بالنُّصْحِ ولا يولَّىٰ شيئًا.

وأوصىٰ أن يصلِّي بالناسِ صهيبُ بنُ سنانٍ الروميُّ ثلاثةَ أيامٍ حتىٰ تنقضيَ الشورَىٰ، وأن يجتمعَ أهلُ الشورَىٰ، ويوكِّلَ بهم أناسٌ حتىٰ ينبرِمَ الأمرُ، ووكَّل بهم خمسين رجلًا من المسلمين، وجعَل عليهم مُسْتَحِثًّا أبا طلحةَ الأنصاريَّ، والمِقْدَادَ بنَ الأسودِ الكِنْديَّ. وقد قال عمرُ بنُ الخطاب: ما أظنُّ الناسَ يعدِلون بعثمانَ وعليٍّ أحدًا؛ إنهما كانا يكتُبان الوحْيَ بينَ يدَيْ رسولِ اللهِ ﷺ مِمَّا ينزِلُ به جبريلُ عليه.

قالوا: فلمَّا مات عمرُ، رضي اللهُ عنه، وأُحضِرَت جنازَتُه تبادَر إليها عليٌّ وعثمانُ أيُّهما يُصلِّي عليه، فقال لهما عبدُ الرحمنِ بنُ عوفٍ: لستُما من هذا في شيءٍ، إنَّما هذا إلى صُهَيْبٍ الذي أمَرَه عمرُ أن يصلِّيَ بالناسِ. فتقدَّم صهيبٌ فصلَّىٰ عليه. ونزَل في قبرِه مع ابنِه عبدِ اللهِ أهلُ الشورَىٰ سوَىٰ طلحةَ، فإنه كان غائبًا.

فلمَّا فُرِغ من شأنِ عمرَ جمَعهم المِقْدَادُ بنُ الأسودِ في بيتِ المِسْوَرِ بنِ مَخْرَمَةَ، وقيل: في حجرةِ عائشةَ. وقيل: في بيتِ المالِ. وقيل: في بيتِ فاطمةَ بنتِ قيسٍ أختِ الضَّحَّاكِ بنِ قيسٍ. والأوَّلُ أشبَهُ. واللهُ أعلمُ. فجلَسوا في البيتِ، وقام أبو طَلحةَ يحجُبُهم، وجاء عمرُو بنُ العاصِ، والمغيرةُ ابنُ شُعْبَةَ فجلَسا من وراءِ البابِ، فحصَبَهما سعدُ بنُ أبي وقَّاصٍ، وطَرَدهما، وقال جئتُما لتقُولا: حَضرْنا أمرَ الشورَىٰ! رَواه المدائنيُّ عن مشايخه. واللهُ أعلمُ بصحَّتِه.

والمقصودُ أنَّ القومَ خلَصوا من الناسِ في بيتٍ يتَشاوَرُون في أمرِهم، فكثُر القولُ، وعلَتِ الأصواتُ، وقال أبو طَلْحةَ: إنِّي كنتُ أظُنُّ أن تدافَعوها، ولم أكُنْ أظنُّ أن تنافَسُوها. ثم صار الأمرُ بعدَ حُضورِ طلحةَ إلى أن فوَّض ثلاثةٌ منهم ما لهم في ذلك إلى ثلاثةٍ؛ ففوَّض الزُّبيرُ ما يستَحِقُّه من الإمارةِ إلى عليٍّ، وفوَّض سعدٌ ما له في ذلك إلى عبدِ الرحمنِ بنِ عوفٍ، وترَك طلحةُ حقَّه لعثمانَ ابنِ عفانَ، فقال عبدُ الرحمنِ لعليٍّ وعثمانَ: أيُّكما يبرَأُ من هذا الأمرِ فنفوِّضَ الأمرَ إليه، واللهُ عليه والإسلامُ، لَيُوَلِّيَنَّ أفضلَ الرجُلَين الباقِيَين. فأُسْكِتَ الشَّيخان عليٌّ وعثمانُ، فقال عبدُ الرحمنِ: فإنِّي أترُكُ حقِّيَ من ذلك، واللهُ عليَّ والإسلامُ أن أجتَهِدَ فأُوَلِّيَ أَوْلاكُما بالحقِّ. فقالا: نعم. ثم

خاطَب كلَّ واحدٍ منهما بما فيه من الفضْلِ، وأخَذ عليه العهْدَ والميثاقَ لَئِن ولاَّه لَيَعْدِلَنَّ، ولَئِن ولِّيَ عليه لَيَسْمَعَنَّ ولَيُطيعَنَّ، فقال كلٌّ منهما: نعم. ثم تفرَّقوا.

ويُرْوَىٰ أنَّ أهلَ الشورىٰ جعَلوا الأمرَ إلىٰ عبدِ الرحمنِ بنِ عوفٍ؛ لِيَجْتَهِدَ للمسلمين في أفْضلِهم فيُولِّيه. فيُذْكَرُ أنَّه سأل كلَّ مَن يمكنُه سؤالُه مِن أهلِ الشورىٰ وغيرِهم، فلا يشيرُ إلا بعثمانَ بنِ عفانَ، حتىٰ إنَّه قال لعليٍّ: أَرَأَيتَ إن لم أُوَلِّكَ، فمَن تشيرُ به عليَّ؟ قال: بعثمانَ. وقال لعثمانَ: أرأيتَ إن لم أُوَلِّكَ، فمَن تشيرُ به؟ قال: بعليِّ بنِ أبي طالبٍ. والظَّاهِرُ أن هذا كان قبلَ أن ينحصِرَ الأمرُ في ثلاثةٍ، وينخلع عبدُ الرحمنِ منها لينظُرَ الأفضلَ، واللهُ عليه والإسلامُ لَيَجْتَهِدَنَّ في أفضلِ الرَّجلين فيُوَلِّيه.

ثم نهَض عبدُ الرحمنِ بنُ عوفٍ، رضِي اللهُ عنه، يستَشيرُ الناسَ فيهما، ويجتمعُ برءوسِ الناسِ وأجنادِهم؛ جميعًا وأشْتاتًا، مَثْنَىٰ وفُرَادَىٰ ومُجْتَمِعين، سرًّا وجَهْرًا، حتىٰ خلَص إلىٰ النساءِ المُخْدَرَاتِ في حِجابِهن، وحتىٰ سأَل الوِلْدانَ في المكاتب، وحتىٰ سأَل مَن يَرِدُ مِن الرُّكْبانِ والأعرابِ إلىٰ المدينةِ، في مدةِ ثلاثةِ أيامٍ بلَياليها، فلم يجِدْ اثنَين يختَلِفان في تقديمِ عثمانَ بنِ عفانَ؛ إلاَّ ما يُنْقَلُ عن عمارٍ والمِقْدادِ، أنَّهما أشارَا بعليِّ بنِ أبي طالبٍ، ثم بايَعا مع الناسِ علىٰ ما سيُذكَرُ. فسعَىٰ في ذلك عبدُ الرحمنِ ثلاثةَ أيامٍ بلَياليها لا يَغْتَمِضُ بكثيرِ نومٍ إلا صلاةً ودعاءً واستِخارةً، وسؤالاً مِن ذَوي الرأيِ وغيرِهم، فلم يجِدْ أحدًا يعدِلُ بعثمانَ بنِ عفانَ، رضِي اللهُ عنه.

فلمَّا كانتِ الليلةُ التي يسفِرُ صباحُها عن اليومِ الرابعِ مِن موتِ عمرَ بنِ الخطابِ جاء إلىٰ منزلِ ابنِ أخته المِسْوَرِ بنِ مَخْرَمَةَ، فقال: أنائمٌ يا مِسْوَرُ! واللهِ لم أَغْتَمِضْ بكثيرِ نومٍ منذُ ثلاثٍ، اذهَبْ فادْعُ لي عليًّا وعثمانَ. قال المِسْوَرُ: فقلت: بأيِّهما أبدأُ؟ فقال: بأيِّهما شئْتَ. قال: فذهَبْتُ إلىٰ عليٍّ، فقلْتُ: أجِبْ خالي. فقال: أمَرَكَ أن تدعُوَ معيَ أحدًا؟ قلتُ: نعم. قال: مَن؟ قلتُ: عثمانَ بنَ عفانَ. قال: بأيِّنا بدَأَ؟ قلتُ: لم يأمُرْني بذلك، بل قال: ادعُ أيَّهما شئْتَ أولاً. فجئتُ إليك. قال: فخرَج معيَ، فلمَّا مررْنا بدارِ عثمانَ بنِ عفانَ، جلَس عليٌّ حتىٰ دخَلْتُ فوجَدْتُه يُوتِرُ مع الفجرِ، فدعوتُه، فقال لي كما قال لي عليٌّ سواءً، ثم خرَج، فدخَلْتُ بهما علىٰ خالي وهو قائمٌ يصلِّي، فلمَّا انصَرَف أقبَل علىٰ عليٍّ وعثمانَ، فقال: إنِّي قد سأَلْتُ الناسَ عنكما، فلم أجِدْ أحدًا يعدِلُ بكما أحدًا. ثم أخَذ العهْدَ علىٰ كلٍّ منهما أيضًا لَئِن ولاَّه لَيَعْدِلَنَّ، ولَئِن ولِّيَ عليه لَيَسْمَعَنَّ ولَيُطيعَنَّ، ثم خرَج بهما إلىٰ المسجدِ وقد لبِس عبدُ الرحمنِ العِمامةَ التي عمَّمه بها رسولُ اللهِ ﷺ، وتقلَّد سيفًا، وبعَث إلىٰ وُجُوهِ الناسِ مِن المهاجرين والأنصارِ، ونُودِي في الناسِ عامةً: الصلاةَ جامعةً. فامتلأ المسجدُ حتىٰ غَصَّ بالناسِ، وتراصَّ الناسُ، وتراصُّوا حتىٰ لم يبْقَ لعثمان موضعٌ يجلِسُ فيه إلا في أُخْرَياتِ الناسِ - وكان رجلاً حَيِيًّا، رضِي اللهُ عنه - ثم صعِد عبدُ الرحمنِ بنُ عَوْفٍ منبر رسولِ اللهِ ﷺ، فقام علىٰ الدرجةِ التي كان يَجلِسُ عليها رسولُ اللهِ ﷺ، فوقَف وُقوفًا طويلاً، ودعا دعاءً طويلاً، لم

يسمَعه الناسُ ثم تكلَّم، فقال: أيُّها الناسُ، إنِّي سألْتُكم سرًّا وجَهْرًا، مَثْنَىٰ وفُرادَىٰ، فلم أجدْكم تعدلُون بأحدِ هذين الرجلَين؛ إمَّا عليٌّ وإمَّا عثمانُ، فقُمْ إليَّ يا عليُّ، فقام إليه فوقَف تحتَ المنبرِ فأخَذ عبدُ الرحمنِ بيدِه فقال: هل أنت مُبايعي على كتابِ اللهِ وسنةِ نبيِّه ﷺ وفعْلِ أبي بكرٍ وعمرَ؟ قال: اللهمَّ لا، ولكن على جَهْدِي من ذلك وطاقَتي. قال: فأرسَل يدَه وقال: قُمْ يا عثمانُ. فأخَذ بيدِه فقال: هل أنت مُبايعي على كتابِ اللهِ وسنةِ نبيِّه ﷺ وفعْلِ أبي بكرٍ وعمرَ؟ قال: اللهمَّ نعم. قال: فرفَع رأسَه إلى سقفِ المسجدِ ويدُه في يدِ عثمانَ، فقال: اللهمَّ اسمَعْ واشهَدْ، اللهمَّ اسمَعْ واشهَدْ، اللهمَّ اسمَعْ واشهَدْ، اللهمَّ إنِّي قد جعلْتُ ما في رقَبَتي من ذاك في رقبةِ عثمانَ. قال: وازدَحَم الناسُ يُبايعون عثمانَ حتى غَشَوه تحتَ المنبرِ، قال: فقعَد عبدُ الرحمنِ مَقْعَدَ النبيِّ ﷺ. وأجلَس عثمانَ تحتَه على الدرجةِ الثانيةِ، وجاء إليه الناسُ يبايِعونه، وبايَعه عليُّ بنُ أبي طالبٍ أوَّلًا، ويقالُ: آخرًا.

وما يذكُرُه كثيرٌ من المؤرِّخين - كابنِ جريرٍ وغيرِه - عن رجالٍ لا يُعْرَفُون، من أن عليًّا قال لعبدِ الرحمنِ: خدَعْتَني، وإنك إنما ولَّيْتَه؛ لأنَّه صهرُك وليُشاورَك كلَّ يومٍ في شأنِه. وأنه تلكَّأ حتى قال له عبدُ الرحمنِ: ﴿فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ١٠]. إلى غيرِ ذلك من الأخبارِ المخالفةِ لما ثبَت في الصِّحاحِ، فهي مَرْدُودةٌ على قائليها وناقليها. واللهُ أعلمُ. والمظنونُ بالصحابةِ خلافُ ما يَتَوَهَّمُ كثيرٌ من جَهَلَةِ الرافضةِ وأغبياءِ القُصَّاصِ الذين لا تمييزَ عندَهم بينَ صحيحِ الأخبارِ وضعيفِها، ومستقيمِها وسقيمِها، وشاذِّها وقويمِها، واللهُ المُوَفِّقُ للصَّوابِ.

وقد اختَلَف علماءُ السِّيَرِ في اليومِ الذي بُويع فيه لعثمانَ بنِ عفانَ، رضِي اللهُ عنه؛ فروَى الواقديُّ، عن شيوخِه، أنَّه بُويع يومَ الإثنين لليلةٍ بَقِيت من ذي الحِجَّةِ سنةَ ثلاثٍ وعشرين، واستَقْبَل بخلافتِه المحرمَ سنةَ أربعٍ وعشرين. وهذا غريبٌ جدًّا. وقد روَى الواقديُّ أيضًا، عن ابنِ جُرَيْجٍ، عن ابنِ أبي مُلَيْكَةَ، قال: بُويع لعثمانَ بنِ عفانَ لعشرٍ خلَون من المحرمِ بعدَ مقتلِ عمرَ بثلاثِ ليالٍ. وهذا أغرَبُ من الذي قبلَه.

وقال سيفٌ، عن خُلَيد بن ذَفَرَةَ، ومُجالد، قالا: استُخْلف عثمانُ لثلاثٍ خلَون من المحرَّم سنةَ أربعٍ وعشرين. وكذا روَى سيفٌ، عن عمرَ، عن عامرٍ الشعبيِّ، أنَّه قال: اجتَمَع أهلُ الشورَى على عثمانَ لثلاثٍ خلَون من المحرمِ سنةَ أربعٍ وعشرين، وقد دخَل وقتُ العصرِ وقد أذَّن مُؤَذِّنُ صُهيبٍ، واجتَمَع الناسُ بينَ الأذانِ والإقامةِ فخرَج فصلَّى بهم العصرَ، وزادَ الناسَ - يعني في أُعْطِياتِهم - مائةً، ووَفَّد أهلَ الأمصارِ، وهو أوَّلُ مَن صنَع ذلك.

قلتُ: ظاهرُ ما ذكَرْناه من سياقِ بَيعَتِه يقتَضي أن ذلك كان قبلَ الزَّوالِ، لكنَّه لمَّا بايَعه الناسُ في المسجدِ، ذُهِب به إلى دارِ الشورَىٰ، على ما تقدَّم فيها من الخلافِ، فبايَعه بقيةُ الناسِ، وكأنَّه لم يُتِمَّ البيعةَ إلا بعدَ الظهرِ.

وصلَّى صهيبٌ يومئذٍ الظهرَ في المسجدِ النبويِّ، وكان أوَّلُ صلاةٍ صلاَّها الخليفةُ أميرُ المؤمنين عثمانُ بنُ عفانَ بالمسلمين صلاةَ العصرِ، كما ذكره الشعبيُّ وغيرُه. وأمَّا أوَّلُ خُطبةٍ خطَبها بالمسلمين، فروَى سيفُ بنُ عمرَ، عن بدرِ بنِ عثمانَ، عن عمه قال: لَمَّا بايَع أهلُ الشورَى عثمانَ خرَج وهو أشدُّهم كآبةً، فأتَى منبرَ النبيِّ ﷺ، فخطَب الناسَ؛ فحمِد اللهَ وأثنَى عليه وصلَّى على النبيِّ ﷺ، وقال: إنَّكم في دارِ قُلْعَةٍ وفي بقيَّةِ أعمارٍ، فبادِروا آجالَكم بخيرِ ما تَقْدِرُون عليه، فلقد أُتيتُم؛ صُبِّحتُم أو مُسِّيتُم، ألاَ وإنَّ الدنيا طُوِيَت على الغرورِ؛ ﴿فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾ [لقمان: ٣٣]. اعتَبِروا بمَن مضَى ثم جِدُّوا ولا تَغفُلوا؛ أين أبناءُ الدنيا وإخوانُها، الذين أثارُوها وعمَرُوها ومُتِّعوا بها طويلاً؛ ألم تلفظْهم! ارمُوا بالدنيا حيثُ رمَى اللهُ بها واطلُبوا الآخرةَ، فإنَّ اللهَ قد ضرَب لها مثلاً، والذي هو خيرٌ، فقال تعالى: ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ۝٤٥ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلاً﴾ [الكهف: ٤٥، ٤٦]. قال: وأقبَل الناسُ يبايِعُونه.

قلتُ: وهذه الخُطبةُ إمَّا بعدَ صلاةِ العصرِ يومَئذٍ، أو قبلَ الزَّوالِ، وعبدُ الرحمنِ بنُ عوفٍ جالسٌ في رأسِ المنبرِ، وهو الأشبَهُ. واللهُ أعلمُ.

وما يذكُرُه بعضُ الناسِ من أنَّ عثمانَ لَمَّا خطَب أوَّلَ خُطبةٍ أُرْتِجَ عليه فلم يدرِ ما يقولُ حتى قال: أيُّها الناسُ، إنَّ أوَّلَ مَرْكَبٍ صَعْبٌ، وإنْ أَعِشْ فستَأْتِكم الخُطبةُ على وجهِها. فهو شيءٌ يذكُرُه صاحبُ العِقْدِ وغيرُه، ممَّن يذكُرُ طرفَ الفوائدِ، ولكن لم أرَ هذا بإسنادٍ تسكن النفسُ إليه. واللهُ أعلمُ.

وأمَّا قولُ الشعبيِّ أنَّه زاد الناسَ مائةً، يعني في عطاءِ كلِّ واحدٍ من جندِ المسلمين؛ زادَه على ما فرَض له عمرُ مائةَ درهمٍ من بيتِ المالِ، وكان عمرُ قد جعَل لكلِّ نفسٍ من المسلمين في كلِّ ليلةٍ من رمضانَ درهمًا من بيتِ المالِ يُفطِرُ عليه، ولأمَّهاتِ المؤمنين درهَمَين درهَمَين، فلمَّا ولِي عثمانُ أقرَّ ذلك وزادَه، واتَّخَذ سِماطًا في المسجدِ أيضًا للمُتَعَبِّدين، والمُعْتَكِفين، وأبناءِ السَّبيلِ، والفقراءِ، والمساكينِ، رضِي اللهُ عنه. وقد كان أبو بكرٍ إذا خطَب يقومُ على الدرجةِ التي تحتَ الدرجةِ التي كان رسولُ اللهِ ﷺ يقفُ عليها، فلمَّا ولِي عمرُ نزَل درجةً أخرَى عن درجةِ أبي بكرٍ، رضِي اللهُ عنهما، فلمَّا ولِي عثمانُ قال: إن هذا يطولُ: فصعِد الدرجةَ التي كان يخطُبُ عليها رسولُ اللهِ ﷺ.

وزاد الأذانَ الأوَّلَ يومَ الجمعةِ، قبلَ الأذانِ الذي كان يُؤَذَّنُ به بينَ يَدَي رسولِ اللهِ ﷺ إذا جلَس على المنبرِ.

وأمَّا أوَّلُ حُكومةٍ حكَم فيها فقضيةُ عبيدِ اللهِ بنِ عمرَ، وذلك أنه غدَا على ابنةِ أبي لؤلؤةَ قاتلِ عمرَ فقتَلها، وضرَب رجلاً نصرانيًّا يقالُ له: جُفَيْنَةُ. بالسيفِ فقتَله، وضرَب الهُرْمُزانَ الذي كان صاحبَ تُسْتَرَ فقتَله، وكان قد قيل: إنَّهما مالَئا أبا لؤلؤةَ على قتلِ عمرَ. فاللهُ أعلمُ. وقد كان عمرُ قد أمَر

بسَجْنه ليحكُمَ فيه الخليفةُ من بعده، فلمَّا وَلِي عثمانُ، وجلَس للناس، كان أوَّلَ ما تُحُوكِم إليه في شأنِ عبيد الله، فقال عليٌّ: ما من العدلِ تَرْكُه. وأمَر بقتْله. وقال بعضُ المهاجرين: أيُقْتَلُ أبوه بالأمسِ، ويُقْتَلُ هو اليومَ! فقال عمرُو بنُ العاصِ: يا أميرَ المؤمنين، قد برَّأكَ اللهُ من ذلك؛ قضيةٌ لم تكُنْ في أيَّامِكَ فدَعْها عنك. فوَدَىٰ عثمانُ، رضي اللهُ عنه، أولئك القتْلَىٰ من ماله؛ لأنَّ أمْرَهم إليه، إذْ لا وارثَ لهم إلا بيتُ المالِ، والإمامُ يرَىٰ الأصْلَحَ في ذلك، وخلَّىٰ سبيلَ عُبَيدِ الله. قالوا: فكان زيادُ بنُ لَبِيدٍ البياضيُّ إذا رأىٰ عبيدَ اللهِ بنَ عمرَ يقولُ:

ألا يا عبيدَ الله ما لكَ مَهْرَبٌ ... ولا مَلْجَأٌ من ابنِ أروَى ولا خَفَرْ
أصبتَ دمًا واللهِ في غيرِ حِلِّه ... حَرامًا وقَتْلُ الهُرْمُزَانِ له خَطَرْ
على غيرِ شيءٍ غيرَ أنْ قالَ قائلٌ ... أتتَّهمون الهُرْمُزانَ على عُمرْ
فقالَ سَفِيهٌ والحوادثُ جَمَّةٌ ... نَعَمْ أتَّهِمْهُ قد أشارَ وقد أمَرْ
وكان سِلاحُ العبدِ في جوفِ بيتِه ... يُقلِّبُها والأمرُ بالأمرِ يُعْتَبَرْ

قال: فشَكَا عُبَيْدُ اللهِ زيادًا إلىٰ عثمانَ، فاستَدعَىٰ عثمانُ زيادَ بنَ لَبِيدٍ، فأنشأ زيادٌ يقولُ في عثمانَ:

أبا عمرٍو عُبَيدُ الله رَهْنٌ ... فلا تَشْكُكْ بقتْلِ الهُرْمُزانِ
فإنك إن غفَرتَ الجُرْمَ عنه ... وأسبابَ الخطا فَرَسا رِهانِ
أتَعْفُو إذ عفَوتَ بغيرِ حَقٍّ ... فما لكَ بالذي يُخْلَى يَدانِ

قال: فنَهَاه عثمانُ عن ذلك، وزبَرَه، فسكَت زيادُ بنُ لبيدٍ عمَّا يقولُ.

ثم كتَب عثمانُ بنُ عفانَ إلىٰ عمالِه علىٰ الأمصارِ؛ أمراءِ الحربِ، والأئمة علىٰ الصَّلَواتِ، والأمناءِ علىٰ بيوتِ المالِ؛ يأمُرُهم بالمعروفِ وينْهَاهُم عن المنكرِ، ويَحُثُّهم علىٰ طاعةِ اللهِ وطاعةِ رسولِه، ويُحَرِّضُهم علىٰ الاتِّباعِ وتَرْكِ الابتداعِ.

قال ابنُ جرير: وفي هذه السنة عزَل عثمانُ المُغيرةَ بنَ شُعبةَ عن الكوفة، ووَلَّىٰ عليها سعدَ بنَ أبي وقَّاصٍ، فكان أوَّلَ عاملٍ ولَّاه؛ لأنَّ عمرَ قال: فإنْ أصابَت الإمْرةُ سَعْدًا فَذَاك، وإلاَّ فَلْيَستَعِنْ به أيُّكم وُلِّيَ، فإنِّي لم أعزِلْه عن عجزٍ ولا خيانةٍ. فاستَعْمَل سعدًا عليها سنةً وبعضَ أخرَىٰ. ثم رَواه ابنُ جريرٍ، من طريقِ سيفٍ، عن مُجَالدٍ، عن الشعبيِّ.

وقال الواقديُّ فيما ذكَره، عن أسامةَ بنِ زيدِ بنِ أسلمَ، عن أبيه، أنَّ عمرَ أوصَىٰ أن تُقَرَّ عمَّالُه سنةً، فلمَّا وَلِي عثمانُ أقرَّ المُغيرةَ بنَ شُعْبَةَ علىٰ الكوفةِ سنةً، ثم عزَله، واستَعْمَل سَعْدًا، ثم عزَله.

وولَّى الوليدَ بنَ عُقبةَ بنِ أبي مُعَيطٍ.

قال ابنُ جرير: فعلى ما ذكَره الواقديُّ تكونُ ولايةُ سعدٍ على الكوفة سنةَ خمسٍ وعشرين.

قال ابنُ جرير: وفي هذه السنة - أعني سنةَ أربعٍ وعشرين - غزا الوليدُ بنُ عُقبةَ أَذْرَبيجانَ وأرْمينيَةَ حينَ منَع أهلُها ما كانوا صُولِحوا عليه في أيامِ عمرَ بنِ الخطابِ، وهذا في روايةِ أبي مخنَفٍ. وأمَّا في روايةِ غيرِه، فإنَّ ذلك كان في سنةِ ستٍّ وعشرين.

ثم ذكَر ابنُ جريرٍ هَهنا هذه الوقعةَ، وملخَّصُها؛ أنَّ الوليدَ بنَ عُقبةَ سار بجيشِ الكوفةِ نحوَ أَذْرَبيجانَ وأرْمينيَةَ، حينَ نَقضوا العهدَ، فوَطِئ بلادَهم، وأغار بأراضِي تلك الناحيةِ، فغَنِم وسبَى، وأخَذ أموالاً جزيلةً، فلمَّا أيقَنوا بالهَلَكةِ صالَحه أهلُها على ما كانوا صالَحوا عليه حُذَيفةَ بنَ اليمانِ؛ ثمانمائةِ ألفِ درهمٍ في كلِّ سنةٍ، فقبَض منهم جِزيةَ سنةٍ، ثم رجَع سالمًا غانمًا إلى الكوفةِ، فمرَّ بالمَوْصِلِ، وجاءَه كتابُ عثمانَ وهو بها يأمُرُه أن يُمِدَّ أهلَ الشامِ على حربِ الرومِ.

قال ابنُ جرير: وفي هذه السنة جاشَت الرومُ حتى خاف أهلُ الشامِ وبعَثوا إلى عثمانَ، رضي اللهُ عنه، يستَمِدُّونه، فكتَب إلى الوليدِ بنِ عُقْبَةَ؛ أنْ إذا جاءَكَ كتابي هذا، فابعَثْ رجلاً أمينًا كريمًا شُجاعًا في ثمانيةِ آلافٍ أو تسعةِ آلافٍ أو عَشَرَةِ آلافٍ إلى إخوانِكم بالشامِ. فقام الوليدُ بنُ عُقبَةَ في الناسِ خَطيبًا، حينَ وصَل إليه كتابُ عثمانَ، فأخبَرهم بما أمَره به أميرُ المؤمنين، وندَب الناسَ وحثَّهم على الجهادِ ومُعاونةِ معاويةَ وأهلِ الشامِ، وأمَّر سَلْمانَ بنَ ربيعةَ على الناسِ الذين يخرُجون إلى الشامِ، فانتَدَب في ثلاثةِ أيامٍ ثمانيةُ آلافٍ فبعَثهم إلى الشامِ، وعلى جندِ المسلمين حبيبُ بنُ مَسْلَمَةَ الفِهْرِيُّ. فلمَّا اجتَمع الجيشان شنُّوا الغاراتِ على بلادِ الرومِ، فغَنِموا وسَبَوا سَبْيًا كثيرًا، وفتَحوا حُصونًا كثيرةً. ولله الحمدُ.

وزعَم الواقديُّ أن الذي أمَدَّ أهلَ الشامِ بسلمانَ بنِ ربيعةَ إنَّما هو سعيدُ بنُ العاصِ؛ عن كتابِ عثمانَ، رضي اللهُ عنه، فبَعث سعيدُ بنُ العاصِ سلمانَ بنَ ربيعةَ بستةِ آلافِ فارسٍ حتى انتَهَى إلى حبيبِ بنِ مَسْلَمَةَ، وقد أقبَل إليه المَوْريانُ الروميُّ في ثمانين ألفًا من الرومِ والتُّرْكِ، وكان حبيبُ بنُ مَسْلَمَةَ شُجاعًا شَهْمًا، فعزَم على أن يُبَيِّتَ جيشَ الرومِ، فسمِعَته امرأتُه يقولُ للأمراءِ ذلك، فقالت له: فأين مَوْعِدي معكَ؟ تعني أين أجتَمعُ بكَ غدًا؟ فقال لها: مَوْعِدُكِ سُرادقُ مَوْريانَ أو الجنةُ. ثم نهَض إليهم في الليلِ بمَن معه من المسلمين، فقتَل مَن أشرَف له، وسَبَقَته امرأتُه إلى سُرادقِ مَوْريانَ، فكانت أوَّلَ امرأةٍ من العربِ ضُرِب عليها سُرادقٌ، وقد مات عنها حبيبُ بنُ مَسْلَمَةَ بعدَ ذلك، فخلَف عليها بعدَه الضَّحَّاكُ بنُ قيسٍ الفِهْرِيُّ؛ فهي أمُّ ولدِه.

قال ابنُ جرير: واختُلِف في مَن حجَّ بالناسِ في هذه السنةِ؛ فقال الواقديُّ وأبو مَعْشَرٍ: حجَّ بهم عبدُ الرحمنِ بنُ عوفٍ بأمرِ عثمانَ. وقال آخرون: حجَّ بالناسِ عثمانُ بنُ عفانَ، رضي اللهُ عنه. والأوَّلُ هو الأشهرُ؛ فإنَّ عثمانَ لم يتَمكَّنْ من الحجِّ في هذه السنةِ، لأجلِ رُعافٍ أصابَه مع الناسِ في

هذه السنة حتى خُشي عليه. وكان يقالُ لهذه السنة: سنةُ الرُّعَاف.

وفيها افتتح أبو موسى الأشعريُّ الرَّيَّ بعدَ ما نقَضوا العهدَ الذي كان واثقَهم عليه حُذَيْفَةُ بنُ اليَمانِ، رضي اللهُ عنه.

وفيها توفِّي سُرَاقَةُ بنُ مالك بن جُعْشُم المُدْلجيُّ، ويكنَى بأبي سفيانَ، كان ينزلُ قُدَيْدًا، وهو الذي اتَّبع رسولَ اللهِ ﷺ وأبا بكرٍ وعامرَ بنَ فُهَيْرَةَ وعبدَ اللهِ بنَ أُرَيْقِطٍ الدِّيليَّ، حينَ خرَجوا من غارِ ثَوْرٍ قاصدين المدينةَ، فأرادَ أن يَرُدَّهم على أهلِ مكةَ لمَّا جعَلوا في كلِّ واحدٍ من النبيِّ ﷺ وأبي بكرٍ مائةً من الإبلِ، فطمع أن يفوزَ بهذا الجُعْلِ، فلم يُسلِّطْه اللهُ عليهم، بل لمَّا اقترَب منهم وسمع قراءةَ رسولِ اللهِ ﷺ ساخَتْ قوائمُ فرسِه في الأرضِ حتى ناداهم بالأمانِ، فأعطَوْه الأمانَ، وكتَب له أبو بكرٍ كتابَ أمانٍ عن إذنِ رسولِ اللهِ ﷺ، ثم قدِم به بعدَ غزوةِ الطائفِ، فأسلَم، وأكرَمه النبيُّ ﷺ، وهو القائلُ: يا رسولَ اللهِ أعُمْرَتُنا هذه لعامِنا هذا أمْ للأبَدِ؟ فقال له: «بل لأبدِ الأبدِ، دخَلت العمرةُ في الحجِّ إلى يومِ القيامة»[1].

ثم دخلت سنة خمس وعشرين

فيها نقَض أهلُ إسكَنْدريَّةَ العهدَ، وذلك أنَّ مَلِكَ الرومِ بعَث إليهم مَنُويلَ الخَصيَّ في مراكبَ من البحرِ، فطَمِعوا في النُّصْرةِ ونقَضوا ذِمَّتَهم، فغزَاهم عمرُو بنُ العاصِ في ربيعٍ الأولِ منها، فافتتَح الأرضَ عَنوةً وافتتَح المدينةَ صُلْحًا.

وفيها حَجَّ بالناسِ عثمانُ بنُ عفانَ، رَضي اللهُ عنه.

وفيها في قولِ سيفٍ: عزَل عثمانُ سعدًا عن الكوفةِ وولَّى الوليدَ بنَ عُقْبةَ بنِ أبي مُعَيطٍ مكانَه. فكان هذا ممّا نُقِم على عثمانَ.

وفيها وَجَّه عمرُو بنُ العاصِ عبدَ اللهِ بنَ سعدِ بنِ أبي سَرْحٍ لغَزْوِ بلادِ المغربِ، واستأْذَنه ابنُ أبي سرْحٍ في غَزْوِ إفريقيَّةَ فأذِن له.

وفيها أيضًا عزَل عثمانُ عمرَو بنَ العاصِ عن مصرَ وولَّى عليها عبدَ اللهِ بنَ سعدِ بنِ أبي سَرْحٍ. وقيل: بل كان هذا في سنةِ سبعٍ وعشرينَ. كما سيأتي. واللهُ أعلم.

وفيها فتَح معاويةُ الحُصُونَ.

وفيها وُلِد ابنُه يزيدُ بنُ معاويةَ.

ثم دخلت سنة ست وعشرين

قال الواقديُّ: فيها أمَر عثمانُ بتَجديدِ أنصابِ الحرَمِ، وفيها وسَّع المسجدَ الحرامَ، وفيها عزَل سعدًا

---

(١) هذا طرف من حديث أخرجه مسلم (١٢١٨) باب حجة النبي ﷺ «كتاب الحج».

عن الكوفة وولّى الوليدَ بنَ عُقْبةَ. وكان سببُ عزلِ سعدٍ أنّه اقترَضَ من ابنِ مسعودٍ مالاً من بيتِ المالِ، فلمّا تقاضاه به ابنُ مسعودٍ لم يَتيسَّرْ قضاؤُه، تقاوَلا وجرَت بينَهما خُصومةٌ شديدةٌ، فغَضِبَ عليهما عثمانُ، فعزَلَ سعداً واستعمَلَ الوليدَ بنَ عُقبةَ ـ وكان عاملاً لعمرَ على عربِ الجزيرةِ ـ فلمّا قدمها أقبَلَ عليه أهلُها، فأقام بها خمسَ سنينَ وليس على دارِه بابٌ، وكان فيه رِفقٌ برعيَّتِه.

قال الواقديُّ: وفيها حَجَّ بالناسِ عثمانُ بنُ عفانَ، رَضِيَ اللهُ عنه.

وقال غيرُه: وفيها افتتَح عثمانُ بنُ أبي العاصِ سابُورَ صلحاً على ثلاثةِ آلافِ ألفٍ وثلاثمائةِ ألفٍ.

ثم دخلت سنة سبع وعشرين

قال الواقديُّ وأبو معشر: وفيها عزَل عثمانُ عمرَو بنَ العاصِ عن مصرَ وولّى عليها عبدَ اللهِ بنَ سعدِ بنِ أبي سَرْحٍ ـ وكان أخا عثمانَ لأمِّه ـ وهو الذي شفَع له يومَ الفتحِ حينَ كان أهْدَرَ رسولُ اللهِ ﷺ دَمَه. وكان يَكتُبُ الوحْيَ ثم ارْتَدَّ عن الإسلامِ، فأباح دمَه يومَ الفتحِ. وهذا أيضاً مّما نُقِم على عثمانَ.

غزوة إفريقيّة

أمَرَ عثمانُ عبدَ اللهِ بنَ سعدِ بنِ أبي سَرْحٍ أن يَغْزوَ بلادَ إفريقيّةَ، فإذا فتَحها اللهُ عليه فله خُمُسُ الخُمُسِ من الغنيمةِ نَفَلاً. فسار إليها في عشَرةِ آلافٍ فافتتَحها؛ سهْلَها وجبَلَها، وقتَل خلقاً كثيراً من أهلِها، ثم اجتمَعوا على الطاعةِ والإسلامِ، وحسُن إسلامُهم، وأخَذ عبدُ اللهِ بنُ سعدٍ خُمُسَ الخُمُسِ من الغنيمةِ، وبعَث بأربعةِ أخماسِه إلى عثمانَ، وقسَم أربعةَ أخماسِ الغنيمةِ بينَ الجيشِ، فأصاب الفارسَ ثلاثةُ آلافِ دينارٍ، والراجلَ ألفُ دينارٍ.

قال الواقديُّ: وصالَحه بِطْرِيقُها على ألفَيْ ألفِ دينارٍ وخَمْسمائةِ ألفِ دينارٍ وعِشرينَ ألفَ دينارٍ، فاطلَقها كلَّها عثمانُ في يومٍ واحدٍ لآلِ الحَكَمِ.

ويُقالُ: لآلِ مَرْوانَ.

غزوة الأندلس

لمّا افتُتِحت إفريقيّةُ بعَث عثمانُ عبدَ اللهِ بنَ نافعِ بنِ الحُصَينِ وعبدَ اللهِ بنَ نافعِ بنِ عبدِ قَيْسٍ من فورِهما إلى الأندلُسِ، فأتَياها من قِبَلِ البحرِ، وكتَب عثمانُ إلى الذين خرَجوا إليها يقولُ: إنَّ القُسْطَنْطِينيَّةَ إنّما تُفتَحُ من قِبَلِ البحرِ، وأنتم إذا فتَحتم الأندلُسَ فأنتم شركاءُ لمَن يَفتتِحُ قُسْطَنْطِينيَّةَ في الأجرِ آخرَ الزمانِ، والسلامُ. قال: فساروا إليها فافتتَحوها. ولله الحمدُ والمِنّةُ.

وقعة جُرْجير والبَرْبَر مع المسلمين

لمّا قصَد المسلمونَ ـ وهم عشرونَ ألفًا ـ إفريقيَّةَ، وعليهم عبدُ الله بنُ سعدِ ابنِ أبي سَرْحٍ، وفي جيشه عبدُ الله بنُ عمرَ، وعبدُ الله بنُ عمرِو بنِ العاصِ، وعبدُ الله بنُ الزُّبيرِ، صمَد إليهم مَلكُ البَرْبَرِ جُرْجيرُ في عشرينَ ومائةِ ألفٍ. وقيل: في مائتي ألفٍ. فلمَّا تَراءَىٰ الجمعانِ أمَر جيشَه فأحاطُوا بالمسلمين هالَةً، فوقَف المسلمون في موْقفٍ لم يُرَ أشنَعُ منه ولا أخوفُ عليهم منه. قال عبدُ الله بنُ الزُّبيرِ: فنظَرْتُ إلى الملكِ جُرْجيرَ من وراءِ الصُّفوفِ وهو راكبٌ علىٰ بِرْذَوْنٍ، وجاريتانِ تُظلانِّه بريشِ الطَّوَاويسِ، فذهَبتُ إلى عبدِ الله بنِ سعدِ ابنِ أبي سَرْحٍ، فسأَلتُه أن يَبعثَ معي مَن يَحمي ظَهْري وأقصِد المَلِكَ، فجَهَّزَ معي جماعةً من الشُّجعانِ. قال: فأمَر بهم فحَمَوْا ظَهْري وذهَبْتُ حتى اختَرقْتُ الصُّفوفَ إليه ـ وهم يَظُنُّون أنِّي في رسالةٍ إلى الملكِ ـ فلمّا اقتربْتُ منه أحسَّ مني الشرَّ ففرَّ علىٰ بِرْذَوْنِه، فلحقْتُه فطعَنْتُه برُمحي، وذَفَّفْتُ عليه بسَيْفي، وأخَذْتُ رأسَه فنَصَبْتُه علىٰ رأسِ الرُّمحِ وكبَّرْتُ، فلمَّا رأىٰ ذلك البَرْبَرُ فَرِقوا وفَرُّوا كفِرارِ القَطَا، واتَّبعَهم المسلمون يقتلون ويأسرون، فغنموا غَنائمَ جمَّةً، وأموالًا كثيرةً، وسَبْيًا عَظيمًا، وذلك ببلدٍ يُقالُ له: سُبَيْطِلَةُ. علىٰ يومين من القَيْرَوانِ. فكان هذا أولَ موقفٍ اشتَهَر فيه أمْرُ عبدِ الله بنِ الزُّبيرِ، رَضِي اللهُ عنه وعن أبيه وأصحابِهما أجمَعين.

قال الواقديُّ: وفي هذه السنة افتُتحتْ إصْطَخْرُ ثانيةً علىٰ يدَي عثمانَ ابنِ أبي العاصِ. وفيها غَزا معاويةُ قِنَّسْرينَ. وفيها حَجَّ بالناسِ عثمانُ بنُ عفانَ.

قال ابنُ جرير: قال بعضُهم: وفي هذه السنة غَزا معاويةُ قُبْرُسَ. وقال الواقديُّ: كان ذلك في سنةِ ثمانٍ وعشرينَ. وقال أبو معشر: غَزاها معاويةُ سنةَ ثلاثٍ وثلاثينَ. فاللهُ أعلمُ.

ثم دخلت سنة ثمانٍ وعشرينَ

فتح قُبْرُسَ

ففيها ذَكَر ابنُ جرير فَتْحَ قُبْرُسَ تَبَعًا للواقديِّ وهي جَزيرةٌ غَربيُّ بلادِ الشامِ في البحرِ مُخلَصَةٌ وحدَها، ولها ذَنَبٌ مُستطيلٌ إلى نحوِ الساحلِ ممّا يلي دمشقَ، وغَرْبيُّها أعرَضُها، وفيها فواكهُ كثيرةٌ ومعادنُ، وهي بلدٌ جيِّدٌ، وكان فتحُها علىٰ يدَيْ معاويةَ ابنِ أبي سفيانَ، ركِب إليها في جيشٍ كثيفٍ من المسلمينَ ومعه عُبادةُ بنُ الصامتِ وزوجتُه أمُّ حرامٍ بنتُ مِلْحانَ التي تقدَّم حديثُها في ذلك حينَ نامَ رسولُ الله ﷺ في بيتِها ثم استيقَظَ يَضْحَكُ، فقالت: ما أضحكَكَ يا رسولَ الله؟ فقال: «أُناسٌ من أمَّتي عُرِضوا عليَّ، يَركَبونَ ثَبَجَ هذا البحرِ مثلَ الملوكِ على الأسرَّة». فقالت: يا رسولَ الله ادْعُ اللهَ أن يَجعلَني منهم. فقال: «أنت منهم». ثم نام فاستيقَظَ وهو يَضْحَكُ فقال مثلَ ذلك، فقالت: ادْعُ اللهَ أن يَجعلَني منهم. فقال: «أنت من الأوَّلينَ». فكانت في هذه الغزْوَةِ وماتَتْ بها، وكانتِ الثانيةُ عبارةً

عن غزوة قُسطَنطِينيَّةَ بعدَ هذا، كما سنذكُرُه.

والمقصودُ أنَّ معاويةَ ركِب البحرَ في مراكِبَ، فقصَد الجزيرةَ المعرُوفةَ بقُبْرُسَ، ومعه جيشٌ عظيمٌ من المسلمين، وذلك بأمرِ عثمانَ بنِ عفانَ، رضِي اللهُ عنه، له في ذلك بعدَ سؤالِه إيَّاه. وقد كان سأل في ذلك عمرَ بنَ الخطاب، فأبَى أن يُمكِّنَه من حَمْلِ المسلمين على هذا الخلقِ العظيم الذي لو اضْطَرَب لهلَكُوا عن آخرِهم، فلمَّا كان عثمانُ ألحَّ معاويةُ عليه في ذلك فأذِنَ له، فركِب في المراكِبِ فانتَهى إليها، ووافاه عبدُ الله بنُ سعدِ بنِ أبي سَرْحٍ إليها من الجانبِ الآخرِ، فالتقَيا على أهلِها فقَتَلوا خلقًا كثيرًا، وسبَوْا سبَايا كثيرةً، وغَنِموا مالاً جَزِيلاً جيِّدًا. ولما جِيءَ بالأُسارَى جعَل أبو الدَّرْداءِ يبكي، فقال له جُبَيرُ بنُ نُفَيرٍ: أتَبكِي وهذا يومٌ أعزَّ اللهُ فيه الإسلامَ وأهلَه؟ فقال: وَيْحَكَ! إنَّ هذه كانت أُمَّةً قاهرةً لهم مُلْكٌ، فلمَّا ضيَّعُوا أمرَ اللهِ صيَّرَهم إلى ما ترَى سلَّط اللهُ عليهم السِّباءَ، وإذا سُلِّط على قومٍ السِّباءُ فليس للهِ فيهم حاجةٌ. وقال: ما أهونَ العبادَ على اللهِ تعالى إذا تَرَكوا أمرَه! ثم صالَحهم معاويةُ على سبعةِ آلافِ دينارٍ في كلِّ سنةٍ، وهادَنَهم.

فلمَّا أرادُوا الخُروجَ منها قُدِّمَتْ لأمِّ حرامٍ بَغْلَةٌ لتَرْكَبَها، فسقَطت عنها فاندقَّتْ عُنُقُها فماتَتْ هناك. فقَبْرُها هنالك يُعَظِّمونَه ويَستَسْقُونَ به، ويقولون: قبرُ المرأةِ الصالحةِ.

قال الواقديُّ: وفي هذه السنةِ غزا حبيبُ بنُ مَسْلَمَةَ سُورِيَةَ من أرضِ الرُّومِ. وتزوَّجَ عثمانُ نائلةَ بنتَ الفَرافِصَةِ الكلبيَّةَ، وكانت نصرانيةً فأسْلَمت قبلَ الدُّخولِ بها، وفيها بنَى عثمانُ دارَه -بالمدينةِ- الزَّوراءَ. وفيها حَجَّ بالناسِ أميرُ المؤمنين عثمانُ بنُ عفانَ، رَضِيَ اللهُ عنه.

ثم دخلت سنة تسع وعشرين

فيها عزَل عثمانُ بنُ عفانَ أبا موسى الأشْعَرِيَّ عن البصرةِ، بعدَ عَمالةِ ستِّ سنينَ. وقيل: ثلاثٍ. وأمَّر عليها عبدَ اللهِ بنَ عامرِ بنِ كُرَيزِ بنِ رَبِيعةَ بنِ حَبيبِ بنِ عَبدِ شمسٍ، وهو ابنُ خالِ عثمانَ بنِ عفانَ، وجمَع له بينَ جُنْدِ أبي موسى وجندِ عثمانَ بنِ أبي العاصِ، وله من العُمْرِ خمسٌ وعشرونَ سنةً، فأقام بها ستَّ سنينَ.

وفي هذه السنةِ افتَتَح عبدُ اللهِ بنُ عامرٍ فارسَ، في قولِ الواقديِّ وأبي مَعشرٍ. وزعَم سيفٌ أنَّه كان قبلَ هذه السنةِ. فاللهُ أعلمُ.

وفيها وسَّع عثمانُ بنُ عفانَ مسجدَ النبيِّ ﷺ وبناه بالقَصَّةِ وهي الكِلْسُ، كان يُؤْتَى به من بَطْنِ نَخْلٍ -والحجارةِ المنقُوشةِ، وجعَل عُمُدَه حجارةً مُرصَّصَةً، وسقَّفَه بالسَّاجِ، وجعَل طولَه ستينَ ومائةَ ذراعٍ، وعرْضَه خمسينَ ومائةَ ذراعٍ، وجعَل أبوابَه ستَّةً؛ على ما كانت عليه في زمانِ عمرَ بنِ الخطابِ. ابتدأ بناءَه في ربيعٍ الأوَّلِ منها.

وفيها حَجَّ بالناسِ عثمانُ بنُ عفانَ، وضرَب له بمِنًى فُسطاطًا، فكان أولَ فُسطاطٍ ضرَبه عثمانُ

بِمِنًى، وأتمَّ الصلاةَ عامَه هذا، فأنكر ذلك عليه غيرُ واحدٍ من الصحابة؛ كعَليٍّ وعبدِ الرحمن بنِ عوفٍ وعبدِ اللهِ بنِ مسعودٍ، حتى قال ابنُ مسعودٍ: ليتَ حَظِّي مِن أربعِ رَكَعاتٍ رَكْعتانِ مُتَقَبَّلَتان. وقد ناظَرَه عبدُ الرحمنِ بنُ عوفٍ فيما فعلَه، فرَوىٰ ابنُ جريرٍ أنَّه قال: تأهَّلْتُ بمكّةَ. فقال له: ولك أهلٌ بالمدينةِ. وإنَّك تقومُ حيث أهلُك بالمدينة. قال: وإنَّ لي مالاً بالطائف أريدُ أن أطَّلِعَه بعدَ الصَّدَرِ. قال: إنَّ بينَك وبينَ الطائف مسيرةَ ثلاثٍ. فقال: وإنَّ طائفةً من أهلِ اليمنِ قالوا: إنَّ الصلاةَ بالحضَرِ رَكْعتان. فربَّما رأَوْني أُصلِّي رَكْعتينِ فيَحتَجُّونَ بي. فقال له: قد كان رسولُ الله ﷺ يَنزِلُ عليه الوحيُ، والناسُ يومَئذٍ الإسلامُ فيهم قليلٌ، وكان يُصلِّي ههنا ركعتين، وكان أبو بكر يُصلِّي ههنا ركعتين وكذلك عمرُ بنُ الخطابِ، وصلَّيتَ أنت رَكْعتَين صَدْرًا مِن إمارَتِك. قال: فسكَتَ عثمانُ ثم قال: إنَّما هو رأيٌ رأيتُه.

سنة ثلاثين من الهجرة النبوية

فيها افتتَح سعيدُ بنُ العاصِ طَبَرِسْتانَ، في قول الواقديِّ وأبي معشرٍ والمدائنيِّ، وقال: هو أولُ مَن غَزاها. وزعَم سيفٌ أنَّهم كانوا صالَحوا سُوَيْدَ بنَ مقرِّنٍ قبلَ ذلك على أن لا يَغْزُوَها، على مالٍ بذَله له إِصْبَهْبَذُها. فاللهُ أعلمُ. فذكَر المدائنيُّ أنَّ سعيدَ بنَ العاصِ ركِب في جيشٍ فيه الحسَنُ والحُسَيْنُ والعبادِلَةُ الأربعةُ وحُذَيْفَةُ بنُ اليمانَ، في خَلْقٍ من الصحابة، فسار بهم فمرَّ على بلدانٍ شتَّى، فَصالَحوه على أموالٍ جَزيلةٍ، حتى انتهَىٰ إلى بلدٍ بمعامَلَةِ جُرجانَ تُسمَّىٰ طَميسَةَ على ساحلِ البحرِ، فقاتَلُوه حتى احتاجُوا إلى صلاةِ الخوفِ، فسأل حذيفةَ: كيف صلَّى رسولُ الله ﷺ؟ فأخبرَه، فصلَّى كما أخبَرَه، ثم سأله أهلُ ذلك الحصنِ الأمانَ، فأعطاهم على أن لا يَقْتُلَ منهم رجلاً واحدًا، ففتَحوا الحصنَ، فقتَلهم إلاَّ رَجلاً واحدًا، واحتوَىٰ على ما كان في الحِصنِ، فأصابَ رجلٌ مِن بَني نَهْدٍ سَفَطًا مقفولاً فاستُدْعِيَ به سعيدٌ، ففتَحوه فإذا فيه خرْقَةٌ سوداءُ مُدْرَجةٌ، فنَشرُوها، فإذا فيها خرْقَةٌ حمراءُ، فنَشرُوها، وإذا داخلَها خرْقَةٌ صفراءُ، وفيها أيرانِ كُمَيْتٌ ووَرْدٌ. فقال شاعرٌ يهجُو بهما بَني نَهْدٍ:

آبَ الكِرامُ بالسَّبايا غَنيمةً ... وفازَ بنو نَهْدٍ بأيْرَيْنِ في سَفَطْ
كُمَيْتٍ ووَرْدٍ وافِرَيْنِ كِلاهُما ... فظنُّوهما غُنْمًا فناهيكَ مِن غَلَطْ

قالوا: ثم نقَض أهلُ جُرْجانَ ما كان صالَحهم عليه سعيدُ بنُ العاصِ، وامتَنَعوا عن أداءِ المالِ الذي ضرَبه عليهم. وكان مائةَ ألفِ دينارٍ. وقيل: مائتي ألفِ دينارٍ، وقيل: ثلاثَمائةِ ألفِ دينارٍ. ثم ردَّه عليهم يزيدُ بنُ المهلَّبِ بعدَ ذلك، كما سنذكُرُه إن شاءَ اللهُ تعالى.

وفي هذه السنة عزَل عثمانُ بنُ عفانَ الوليدَ بنَ عُقْبَةَ عن الكوفة، وولَّى عليها سعيدَ بنَ العاصِ، وكان سببُ عزْلِه، أنَّه صلَّى بأهلِ الكوفةِ الصبحَ أربعًا، ثم التفَتَ فقال: أزيدُكم؟ فقال قائلٌ: ما زِلْنا منك منذ اليومِ في زيادةٍ. ثم إنه تَصدَّىٰ له جماعةٌ يقالُ كان بينَهم وبينَه شنآنٌ، فشكَوْه إلى عثمانَ، وشهد بعضُهم عليه أنَّه شرب الخمرَ، وشهِد الآخرُ أنَّه رآه يتقيَّؤُها، فأمَر عثمانُ بإحضارِه وأمَر بجلدِه

- فيقالُ: إنَّ عليًّا نزَع عنه حُلَّته، وإنَّ سعيدَ بنَ العاصِ جلَده بينَ يَدَيْ عثمانَ بنِ عفانَ - وعزَله وأمَّر مكانَه على الكوفةِ سعيدَ بنَ العاصِ.

وفي هذه السنةِ سقَط خاتَمُ النَّبيِّ ﷺ من يدِ عثمانَ في بئرِ أريسٍ، وهي على مِيلَيْنِ من المدينةِ، وهي من أقلِّ الآبارِ ماءً، فلم يُدرِكْ خبَرَه، بعدَ بذلِ مالٍ جزيلٍ، والاجْتهادِ في طلبِه، حتى الساعةِ، فاستخْلَف عثمانُ بعدَه خاتمًا من فضَّةٍ، ونقَش عليه: محمدٌ رسولُ اللهِ. فلمَّا قُتِل عثمانُ ذهَب الخاتَمُ فلا يُدْرَى مَن أخَذه.

وقد روى ابنُ جريرٍ ههنا حديثًا طويلاً في اتِّخاذِ النبيِّ ﷺ خاتَمًا من ذهَبٍ، ثم من فضَّةٍ، وبَعْثه عمرَ بنَ الخطابِ إلى كسْرَى، ثم دِحيةَ إلى قَيْصرَ، وأنَّ الخاتَم كان في يدِ النبيِّ ﷺ، ثم في يدِ أبي بكرٍ، ثم في يدِ عمرَ، ثم في يدِ عثمانَ ستَّ سِنين، ثم إنَّه وقَع في بئرِ أريسٍ. وقد تقدَّم بعضُ هذا في «الصحيح».

وفي هذه السنةِ وقَع بينَ معاويةَ وأبي ذَرٍّ بالشامِ، وذلك أنَّ أبا ذرٍّ أنكَر على معاويةَ بعضَ الأمورِ، وكان يُنكِرُ على مَن يَقْتَني مالاً من الأغنياءِ، ويَمنَعُ أن يَدَّخِرَ فوقَ القُوتِ، ويُوجِبُ أن يَتصدَّقَ بالفضْلِ، ويَتأوَّلُ قولَ اللهِ سبحانه وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [التوبة: ٣٤]. فينهاه معاويةُ عن إشاعةِ ذلك فلا يَمتَنِعُ، فبعَث يَشكُوه إلى عثمانَ، فكتَب عثمانُ إلى أبي ذَرٍّ أن يَقدَمَ عليه المدينةَ، فقدِمها فلامَه عثمانُ على بعضِ ما صدَر منه، واستَرْجَعه فلم يَرْجِعْ، فأمَره بالمُقامِ بالرَّبَذَةِ - وهي شَرْقيَّ المدينةِ - ويقالُ: إنَّه سأل عثمانَ أن يُقيمَ بها، وقال: إنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال لي: «إذا بلَغ البناءُ سَلْعًا فاخرُجْ منها»[1]. وقد بلَغ البناءُ سَلْعًا، فأذِن له عثمانُ بالمقامِ بالرَّبَذَةِ، وأمَره أن يَتعاهَد المدينةَ في بعضِ الأحيانِ، حتى لا يَرتَدَّ أعرابيًّا بعدَ هجرتِه، ففعَل، فلم يَزَلْ مقيمًا بها حتى ماتَ، على ما سنذكُرُه، رَضِي اللهُ عنه.

وفي هذه السنةِ زاد عثمانُ النِّداءَ الثالثَ يومَ الجُمعةِ على الزَّوْراءِ.

فصلٌ: وممَّن ذكَر شيخُنا أبو عبدِ اللهِ الذَّهَبيُّ أنَّه تُوفِّي في هذه السنةِ - أعني سنةَ ثلاثين -

أُبَيُّ بنُ كَعْبٍ، فيما صَحَّحه الواقديُّ.

جَبَّارُ بنُ صَخْرِ بنِ أُمَيَّةَ بنِ خَنْساءَ، أبو عبدِ اللهِ الأنصاريُّ، عَقَبيٌّ بَدْريٌّ، وقد بعَثه رسولُ اللهِ ﷺ إلى خَيْبَرَ خارِصًا، وقد تُوفِّي عن ستينَ سنةً.

---

(۱) **إسنادٌ ضعيفٌ**: أخرجه الحاكم (٣/ ٣٤٤) وعنه البيهقي في «الدلائل» (٦/ ٤٠١) عن أبي بكر أحمد بن كامل القاضي حدثنا أبو قلابة الرقاشي، حدثنا سعيد بن عامر حدثنا أبو عامر وهو صالح بن رستم الخزاز عن حميد بن هلال عن عبد الله ابن الصامت قال قالت أم زر والله ما سير عثمان أبا ذر ولكن رسول الله ﷺ قال: «إذا بلغ البناء سلعًا فاخرج منها» فلما بلغ البناء سلعًا وجاوز خرج أبو ذر إلى الشام . . . وذكر الحديث رجوعه ثم خروجه إلى ربذة وفيه أبو قلابة تغير حفظه لما سكن بغداد وصالح بن رستم كثير الخطأ.

حاطبُ بنُ أبي بَلْتَعَةَ عمرو بن عُمَير اللَّخْميُّ، حليفُ بني أسدِ بن عبدِ العُزَّىٰ، شهد بدرًا وما بعدَها، وهو الذي كان كتَبَ إلىٰ المشركين يُعلِمُهم بعَزْم رسولِ الله ﷺ علىٰ فتح مَكَّةَ، فعذَرَه رسولُ الله ﷺ بما اعتذَرَ به، ثم بعثَه بعدَ ذلك برسالةٍ إلىٰ المُقَوْقِسِ ملكِ الإسكَنْدَريَّةِ.

الطُّفَيلُ بنُ الحارثِ بنِ المطَّلِب؛ أخو عبيدَةَ وحصينٍ، شَهِد بدرًا. قال سعيدُ بنُ عُفير: تُوفِّي في هذه السنة.

عبدُ الله بنُ كَعْبِ بنِ عمرو المازنيُّ، أبو الحارثِ ـ وقيل: أبو يَحيىٰ ـ الأنصاريُّ. شهِد بدرًا، وكان علىٰ الخُمُسِ يومَئذٍ.

عبدُ الله بنُ مَظْعون، أخو عثمانَ بنِ مظعونٍ، هاجَر إلىٰ الحبشة وشهِد بدرًا.

عِيَاضُ بنُ زُهيرِ بنِ أبي شدّاد بنِ ربيعةَ بن هلال، أبو سعد القُرَشِيُّ الفِهْرِيُّ، شهد بدرًا وما بعدَها.

مَسعودُ بنُ رَبيعةَ وقيل: ابن الرَّبيع. أبو عَمْرو القاريُّ، شهِد بدرًا وما بعدَها. تُوفِّي عن نَيِّفٍ وستينَ سنةً.

معْمرُ بنُ أبي سَرْحِ بنِ رَبيعةَ بنِ هلالٍ القُرَشيُّ، أبو سَعْدٍ الفِهْريُّ. وقيل: اسمُه عمرٌو. بدْرِيٌّ قديمُ الصُّحْبةِ.

أبو أُسَيْد مالكُ بنُ ربيعةَ. قال الفَلاَّسُ: ماتَ في هذه السنةِ. والأصحُّ أنَّه ماتَ سنةَ أرْبَعينَ. وقيل: سنةَ سِتينَ. فاللهُ أعلمُ.

ثم دخلت سنة إحدىٰ وثلاثين

ففيها كانت غزوةُ الصَّواري، وغزوةُ الأَساوِدَةِ في البحرِ فيما ذكَره الواقديُّ. وقال أبو معشر: كانت غزوةُ الصَّواري سنةَ أربعٍ وثلاثينَ. ومُلَخَّصُ ذلك فيما ذكَره الواقديُّ وسيفٌ وغيرُهما، أنَّ الشامَ كان قد جُمِع نيابتُه لمعاويةَ بنِ أبي سفيانَ لسنَتَيْنِ مضَتا مِن خلافةِ عثمانَ بنِ عفانَ، رَضِي اللهُ عنه، وقد أحرَزه غايةَ الحفظ وحمَىٰ حَوْزَتَه، ومع هذا له في كلِّ سنةٍ غزوةٌ في بلادِ الرُّومِ في زمنِ الصَّيفِ ـ ولهذا يُسَمُّونَ هذه الغزوةَ الصَّائفةَ ـ فيقتُلونَ خلقًا، ويأْسِرونَ آخرينَ، ويَفْتَحونَ حُصُونًا، ويَغْنَمُونَ أموالاً، ويُرْعِبون الأعداءَ، فلمّا أصابَ عبدُ الله بنُ سعدِ بنِ أبي سَرْحٍ مَن أصاب مِن الفِرِنْجِ والبَرْبَرِ ببلادِ إفريقيَّةَ والأنْدَلُسِ، حَمِيت الرُّومُ واجتَمَعَتْ علىٰ قُسْطَنْطِينَ بنِ هِرَقْلَ، وساروا إلىٰ المسلمينَ في جمْعٍ لم يُرَ مثلُه منذُ كان الإسلامُ، خرَجوا في خَمْسمائةِ مَركَبٍ، وقصَدوا عبد الله ابنَ سعدِ بنِ أبي سَرْحٍ في أصحابِه مِن المسلمين الذين ببلادِ المغرب. فلمَّا تراءَىٰ الجمعان بات الرُّومُ يُقَسْقِسُونَ ويُصَلِّبون، وبات المسلمونَ يَقرَءُون ويُصلُّون، فلمّا أصبَحوا صفَّ عبدُ الله بنُ سعدٍ أصحابَه صُفوفًا في المراكبِ، وأمَرهم بذكْرِ اللهِ وتلاوةِ القرآنِ. قال بعضُ مَن حضَر ذلك: فأقبَلوا إلينا في أمرٍ لم يُرَ مثلُه مِن كَثْرةِ المراكبِ، وتَعْدادِ صواريها، وكانت الرِّيحُ لهم وعلينا، فأرْسَيْنا ثم

سكَنَت الرِّيحُ عنَّا، فقلنا لهم: إن شئتُم خرَجنا نحن وأنتم إلى البرِّ فماتَ الأعجَلُ منَّا ومنكم. قال: فنَخَروا نَخرَةَ رجلٍ واحدٍ وقالوا: الماءَ الماءَ. قال: فدَنَوْنا منهم وربَطْنا سفُنَنا بسفنهم، ثم اجتَلَدنا وإياهم بالسيوف، يَثِبُ الرجالُ على الرجالِ بالسيوف والخناجرِ، وضربَتِ الأمواجُ في عيونِ تلك السفنِ حتى ألجأَتْها إلى الساحلِ، وألقتِ الأمواجُ جثثَ الرجالِ إلى الساحلِ، حتى صارت مثلَ الجبَلِ العظيم، وغلَب الدمُ على لونِ الماءِ، وصبَر المسلمون يومئذٍ صبرًا لم يُعهَدْ مثلُه قطُّ، وقُتِل منهم بشرٌ كثيرٌ، ومن الرُّوم أضعافُ ذلك، ثم أنزَل اللهُ نصرَه على المسلمين، فهرَب قُسْطَنْطِينُ وجيشُه - وقد قلُّوا جدًّا - وبه جراحاتٌ شديدةٌ كثيرةٌ مكَث حينًا يُداوَى منها بعدَ ذلك، وأقام عبدُ اللهِ بنُ سعدٍ بذات الصَّواري أيامًا، ثم رجَع مؤيَّدًا منصورًا مُظفَّرًا.

قال الواقديُّ: فحدَّثني مَعمَرٌ عن الزُّهريِّ قال: كان في هذه الغزوة محمدُ بنُ أبي حذيفةَ، ومحمدُ ابنُ أبي بكرٍ، فأظهرَ عيبَ عثمانَ، وما غيَّرَ وما خالفَ أبا بكرٍ وعمرَ، ويقولان: دَمُه حَلالٌ؛ لأنَّه استَعمَلَ عبدَ اللهِ بنَ سعدٍ - وكان قد ارتَدَّ وكفَر بالقرآنِ العظيمِ، وأباحَ رسولُ اللهِ ﷺ دمَه - وأخرَجَ رسولُ اللهِ ﷺ أقوامًا واستَعْمَلَهم عثمانُ، ونزَع الصَّحابةَ واستعمل سعيدَ بنَ العاصِ وعبدَ اللهِ بنَ عامرٍ. فبلَغ ذلك عبدَ اللهِ بنَ سعدٍ، فقال: لا تركَبا معنا. فركِبا في مركَبٍ ما فيه أحدٌ من المسلمين، ولَقُوا العدوَّ فكانا أنكلَ المسلمينَ قتالًا، فقيل لهما في ذلك فقالا: كيف نُقاتِلُ مع رجلٍ لا يَنْبَغِي لنا أن نُحَكِّمَه؟ فأرسَل إليهما عبدُ اللهِ بنُ سعدٍ فنهاهما أشدَّ النَّهيِ، وقال: واللهِ لولا أنِّي لا أدري ما يُوافِقُ أميرَ المؤمنين لعاقَبْتُكما وحَبَسْتُكما[1].

قال الواقديُّ: وفي هذه السنة فُتِحَتْ إرْمِينِيَةُ على يدَيْ حبيبِ بنِ مَسلَمَةَ.

وفي هذه السنة قُتِل كِسْرَى مَلِكُ الفُرْسِ.

كيفيَّة قتل كسرَى ملك الفرس وهو يزدَجِردُ

قال ابن إسحاقَ: هرَب يَزْدَجِردُ من كَرْمانَ في جماعةٍ يَسيرةٍ إلى مَرْوَ، فسأل من بعضِ أهلها مالًا فمنَعوه وخافُوه على أنفسهم، فبعَثوا إلى التُّركِ يَستنصرونَهم عليه، فأتَوْه فقتَلوا أصحابَه وهرَب هو حتى أتَى منزلَ رجلٍ يَنْقُرُ الأَرْحِيَةَ على شَطٍّ، فأَوَى إليه ليلًا، فلمَّا نام قتَله.

وقال المدائنيُّ: لمَّا هرَب بعدَ قَتْلِ أصحابِه انطلَق ماشيًا وعليه تاجُه ومِنْطَقَتُه وسيفُه، فانتهَى إلى مَنزلِ هذا الرجلِ الذي يَنْقُرُ الأَرْحِيَةَ فجلَس عنده، فاستَغْفَلَه وقتَله وأخَذ ما كان عليه، وجاءتِ التركُ في طلَبِه فوجَدُوه قد قتَله وأخَذ حاصلَه، فقتَلوا ذلك الرجلَ وأهلَ بيتِه وأخَذوا ما كان مع كِسْرَى، ووضَعوا كِسْرَى في تابوتٍ وحمَلوه إلى إصطَخْرَ، وقد كان يَزْدَجِردُ وَطِئَ امرأةً من أهلِ مَرْوَ قبلَ أن يُقتَلَ، فحمَلَت منه، ووضعَت بعدَ قتله غلامًا ذاهبَ الشِّقِّ، وسُمِّيَ ذلك الغلامُ المُخْدَجَ، وكان له نَسْلٌ وعقِبٌ في خُراسَانَ، وقد سَبَى قُتَيْبَةُ بنُ مُسْلِمٍ في بعضِ غزَواتِه بتلك البلادِ جاريَتَيْنِ من نَسْلِه،

---

(1) في إسناده الواقدي وهو متروك.

فبعَث بإحداهما إلى الحجّاج، فبعَث بها إلى الوليدِ بنِ عبدِ الملكِ فولَدتْ له ابنَه يزيدَ بن الوليدِ، الملقَّبَ بالنَّاقص.

وقال المدائنيُّ في رواية عن بعضِ شيوخه: إنَّ يَزْدَجِرْدَ لمَّا انهزَم عنه أصحابُه عُقِرَ جوادُه، وذهب ماشيًا حتى دخَل رحًى على شطِّ نهرٍ يُقالُ له: المَرْغابُ. فمكَث فيه ليلَتين والعدوُّ في طلَبه فلم يَدْرِ أين هو، ثم جاء صاحبُ الرَّحى فرأى كسرى وعليه أُبَّهَتُه، فقال له: ما أنت؟ إنسيٌّ أم جنِّيٌّ؟ قال: إنسيٌّ، فهل عندك طَعامٌ؟ قال: نعم. فأتاه بطعام فقال: إنِّي مُزَمْزِمٌ فائتني بما أزَمْزِمُ به. قال: فذهَب الطَّحَّانُ إلى أُسوارٍ من الأساوِرةِ فطلَب منه ما يُزَمْزِمُ به. قال: وما تَصنَعُ به؟ قال: عندي رجلٌ لم أرَ مثلَه قطُّ وقد طلَب مني هذا. فذهَب به الأسوارُ إلى مَلك البلَد - مَرْوَ - واسمُه ماهوَيه بنُ باباه، فأخبَره خبرَه، فقال: هو يَزْدَجِرْدُ، اذهَبوا فجيئوني برأسه. فذهَبوا مع الطَّحَّان، فلمَّا دنَوْا من دارِ الرَّحى هابُوا أن يَقتُلوه وتدافَعُوه، وقالوا للطحّان: ادخُلْ أنت فاقتُلْه. فدخَل فوجَده نائمًا فأخَذ حجَرًا فشدَخ به رأسَه، ثم احتزَّه فدفَعه إليهم وألقَى جسَدَه في النهرِ، فخرَجت العامَّةُ إلى الطحّان فقتَلوه، وخرَج أُسقُفٌّ فأخَذ جسدَه من النَّهر وجعَله في تابوتٍ وحمَله إلى إصْطَخْرَ فوضَعه في ناووسٍ.

ويُروَى أنَّه مكَث في مَنزلِ ذلك الطحّان ثلاثةَ أيام لا يأكُلُ حتى رَقَّ له وقال له: ويحَك يا مسكينُ ألا تأكُلُ؟ وأتاه بطعام فقال: إنِّي لا أستَطيعُ أن آكُلَ إلا بزَمْزَمةٍ. فقال له: كُلْ وأنا أُزَمْزِمُ لك. فسأل أن يأتيَه بمُزَمْزِمٍ، فلمَّا ذهَب يَطلُبُ له من بعضِ الأساورةِ شَمُّوا رائحةَ المِسْك من ذلك الرجلِ، فأنكَروا رائحةَ المِسْك منه، فسألوه فأخبَرهم، فقال: إنَّ عندي رجلًا من صفته كَيْتَ وكَيْتَ. فعرَفوه وقصَدوه مع الطحّان، وتقدَّم الطحّانُ فدخَل عليه وهَمَّ بالقبضِ عليه، فعرَف يَزْدَجِرْدُ ذلك، فقال له: ويحَك، خُذ خاتَمي وسِواري ومِنطَقَتي ودعْني أذهبُ من ههنا. فقال: لا، أعْطني أربعةَ دَراهمَ وأنا أُطلِقُكَ. فزادَه إحدى قرطَيه من أُذنَيه فلم يَقبَلْ حتى يُعطيَه أربعةَ دراهمَ، فهُم في ذلك إذ دهَمهم الجندُ، فلمّا أحاطُوا به وأرادُوا قتلَه قال: ويحَكُم لا تَقتُلُوني فإنّا نَجِدُ في كُتُبنا أنَّ مَن اجترأ على قَتْلِ الملوكِ عاقَبه اللهُ بالحريقِ في الدُّنيا مع ما هو قادِمٌ عليه، فلا تَقْتُلُوني واذهَبُوا بي إلى الملك أو إلى العرَب، فإنَّهم يَستَحيُونَ من قتْلِ الملوك. فأبَوْا عليه ذلك فسَلَبُوه ما كان عليه من الحَلْي، فجعَلُوه في جِرابٍ وخَنَقُوه بوتَرٍ وألقَوْه في النَّهرِ، فتعَلَّقَ بعُودٍ فأخَذه أُسقُفٌّ - واسمُه إيليا - فحَنَّ عليه؛ لمَا كان من أسلافه من الإحسان إلى النَّصارى الذين كانوا ببلادهم، فوضَعه في تابوتٍ ودفَنه في ناووسٍ. ثم حُمِلَ ما كان عليه من الحَلْي إلى أميرِ المؤمنين عثمانَ بنِ عفانَ، ففُقِدَ قُرْطٌ من حَلْيِه، فبعَث إلى دِهْقانَ تلك البلاد فأغرَمه ذلك.

وكان مُلكُ يَزْدَجِرْدَ عشرينَ سنةً؛ منها أربعُ سنينَ في دَعَةٍ، وباقي ذلك هاربًا من بلدٍ إلى بلدٍ، خوفًا من الإسلامِ وأهلِه. وهو آخرُ ملوكِ الفُرْسِ في الدُّنيا على الإطلاق؛ لقولِ رسولِ الله ﷺ: **«إذا هلَك قَيصَرُ فلا قَيصَرَ بعدَه، وإذا هلَكَ كسرَى فلا كسرَى بعدَه، والذي نَفْسي بيده لتُنْفقُنَّ كُنُوزَهما في**

سبيل الله». رواه البخاريُّ. وثبَت في الحديث الصحيح أنَّه لَمَّا جاءَه كتابُ النبيِّ ﷺ مَزَّقَه، فدعا عليه النبيُّ ﷺ أن يُمزَّقَ كلَّ مُمزَّقٍ، فوقَع الأمرُ كذلك.

وفي هذه السنة فتحَ ابنُ عامرٍ فتوحاتٍ كثيرةً كان قد نقَض أهلُها ما كان لهم من الصُّلح، فمِن ذلك ما فُتِحَ عَنوةً ومِن ذلك ما فُتِحَ صُلحًا، فكان في جملة ما صالَح عليه بعضُ المدائنِ - وهي مَرْوُ - على ألفَيْ ألفٍ ومائتَيْ ألفٍ، وقيل: على ستَّة آلافِ ألفٍ ومائتَيْ ألفٍ.

وفي هذه السنة حَجَّ بالناسِ عثمانُ بنُ عفانَ، رَضي اللهُ عنه.

ثم دخلت سنة ثنتين وثلاثين

وفيها غَزا مُعاويَةُ بلادَ الرُّوم حتى بلَغ المَضِيقَ، مَضيقَ القُسطَنْطِينيَّةِ، ومعه زوجتُه عاتكةُ - ويقالُ: فاختَةُ - بنتُ قَرَظَةَ بنِ عبدِ عمرِو بنِ نَوْفَلِ بنِ عبدِ مَنافٍ. قاله أبو مَعْشَرٍ والواقديُّ.

وفيها استعمَل سعيدُ بنُ العاصِ سلْمانَ بنَ رَبيعةَ على جيشٍ وأمَرَه أن يَغزُوَ البابَ، وكتب إلى عبدِ الرحمنِ بنِ رَبيعةَ نائبِ تلك الناحية بمُساعدَته، فسار حتى بلَغ بَلَنْجَرَ، فحصَرُوها ونُصِبت عليها المَجانيقُ والعَرَّاداتُ. ثم إنَّ أهلَ بَلَنْجَرَ خَرَجُوا إليهم وعاونَهم التُّرْكُ فاقتَتَلُوا قتالاً شديدًا - وكانت التُّرْكُ تَهابُ قتالَ المسلمين، ويَظُنُّونَ أنَّهم لا يَموتُون حتى اجترَءوا عليهم بعدَ ذلك - فلمَّا كان هذا اليومُ التقَوْا معهم فاقتَتَلوا، فقُتِل يومئذٍ عبدُ الرحمنِ بنُ رَبيعةَ - وكان يقالُ له: ذُو النُّورِ - وانهزَم المسلمون فافتَرقوا فِرْقَتَيْن؛ ففِرْقةٌ ذهبَت على بلادِ الخزَرِ، وفرقةٌ سلَكوا ناحيةَ جيلانَ وجُرْجانَ، وفي هؤلاء أبو هريرةَ وسَلْمانُ الفارسيُّ. وأخذَت التُّرْكُ جَسدَ عبدِ الرحمنِ بنِ رَبيعةَ - وكان مِن ساداتِ المسلمين وشُجْعانِهم - فدفَنوه في بلادِهم فهم يَستَسقُون عندَه إلى اليوم، ولما قُتِل عبدُ الرحمنِ بنُ رَبيعةَ، استَعْمَل سعيدُ بنُ العاصِ على ذلك الجَيْشِ سَلْمانَ بنَ رَبيعةَ، وأمَدَّهم عثمانُ بأهلِ الشامِ عليهم حَبيبُ بنُ مَسلمةَ، فتنازَع حبيبٌ وسَلْمانُ في الإمْرَةِ حتى اختلَفا، فكان أولَ اختلافٍ وقَع بينَ أهلِ الكوفةِ وأهلِ الشامِ، حتى قال في ذلك رجلٌ مِن أهلِ الكوفةِ، وهو أوسٌ:

فإن تَضربوا سَلْمانَ نَضْربْ حَبيبَكمْ ... وإنْ تَرحَلُوا نحوَ ابنِ عَفَّانَ نَرْحَلِ
وإنْ تُقْسِطوا فالثَّغْرُ ثَغْرُ أميرِنا ... وهذا أميرٌ في الكتائبِ مُقْبِلُ
ونحنُ وُلاةُ الثَّغْرِ كنَّا حُماتَه ... لَيالِيَ نَرْمي كُلَّ ثَغْرٍ ونُنْكِلُ

وفيها فتَح ابنُ عامرٍ مَرْوَ الرُّوذِ والطالَقانَ والفارِيابَ والجُوزَجانَ وطَخارِسْتانَ، فأمّا مَرْوُ الرُّوذِ فبَعَثَ إليها ابنُ عامرٍ الأحْنَفَ بنَ قَيْسٍ فحصَرَها، فخرَجوا إليه فقاتَلَهم حتى كسَرهم فاضطَرَّهم إلى حِصْنِهم، ثم صالَحوه على مالٍ جَزيلٍ، وعلى أن يَضْرِبَ على أراضي الرَّعِيَّةِ الخَراجَ، ويَدَعَ الأرضَ التي كان أقْطَعَها كِسْرى لوالدِ المرْزُبانِ، صاحبَ مَرْوَ حينَ قَتَلَ الحيَّةَ التي كانت تَقطَعُ الطريقَ على الناسِ وتأكُلُهم، فصالَحهم الأحْنَفُ على ذلك، وكتَب لهم كتابَ صُلحٍ بذلك، ثم بعَث الأحْنَفُ

الأقرعَ بنَ حابسٍ إلى الجُوزَجان ففتحها بعدَ قتالٍ وقع بينَهم، قُتل فيه خلقٌ من شُجْعانِ المسلمين، ثم نُصروا، فقال في ذلك كثيرٌ النَّهْشَليُّ قصيدةً طويلةً فيها:

سَقَى مُزْنُ السَّحابِ إذا استَهلَّتْ ... مَصارعَ فِتْيةٍ بالجُوزَجانِ
إلى القَصْرَيْنِ من رُستاقِ خُوطٍ ... أبادَهُمُ هناكَ الأقرعانِ

ثم سار الأحْنفُ مِن مَرْوِ الرُّوذِ إلى بَلْخَ فحاصَرهم حتى صالَحوه على أربعمائة ألفٍ، واستَناب ابنَ عَمِّه أَسِيدَ بن المُتَشَمِّسِ على قبضِ المالِ، ثم ارتَحَل يُريدُ الجهادَ، ودَهمه الشتاءُ، فقال لأصحابه: ما تَشاءُون؟ فقالوا: قد قال عمرُو بنُ مَعْديكَرِبَ:

إذا لم تَسْتَطِعْ شيئًا فدَعْهُ ... وجاوِزْهُ إلى ما تَستَطِيعُ

فأمَر الأحنفُ بالرَّحيلِ إلى بَلْخَ، فأقام بها مُدَّةَ الشتاءِ، ثم عاد إلى ابنِ عامرٍ، فقيلَ لابنِ عامرٍ: ما فُتح على أحَدٍ ما فُتح عليك؛ فارسُ وكَرْمانُ وسجِسْتانُ وعامَّةُ خُراسانَ. فقال: لا جَرَمَ، لأجعلَنَّ شُكْري لله على ذلك أن أُحرِمَ بعُمْرةٍ من مَوْقفي هذا مُشَمِّرًا. فأحرَم بعُمْرةٍ من نَيْسابُورَ، فلمَّا قدم على عثمانَ لامَه على إحرامِه من خُراسانَ.

وفيها أقبَل قارنٌ في أربعينَ ألفًا فالتقاه عبدُ الله بنُ خازمٍ في أربعةِ آلافٍ، وجعَل له مُقدِّمةً ستَّمائة رجلٍ، وأمَر كُلَّ واحدٍ منهم أن يَحملَ على رأسِ رُمْحه نارًا، وأقبَلوا إليه في وَسَطِ الليلِ فبيَّتُوهم فثاروا إليهم فناوَشَتْهم المُقدِّمةُ فاشتغَلوا بهم، وأقبَل عبدُ الله بنُ خازمٍ بمَن معه من المسلمين فالتَقَوا هم وإيَّاهم، فولَّى المشركون مُدْبرين، وأتبَعَهم المسلمون يَقتُلون مَن شاءُوا كيف شاءوا وغَنِمُوا سبيًا كثيرًا وأموالاً جزيلةً ثم بَعَثَ عبدَ الله بن خازمٍ بالفتح إلى ابنِ عامرٍ، فرَضِي عنه وأقرَّه على خُراسانَ - وكان قد عزَله عنها - فاستمرَّ بها عبدُ الله بنُ خازمٍ إلى ما بعدَ ذلك.

ذكرُ مَن توفي من الأعيان في هذه السنة

العباسُ بنُ عبدِ المطلب

ابنِ هاشمِ بنِ عبدِ منافٍ القُرَشيُّ الهاشِميُّ، أبو الفضلِ المكِّيُّ، عَمُّ رسولِ الله ﷺ، ووالدُ الخلفاءِ العباسيِّينَ، وكان أسَنَّ من رسولِ الله ﷺ بسَنَتَين أو ثَلاثٍ، أُسِرَ يومَ بدرٍ فافتدَى نفسَه بمالٍ، وافتدَى ابنَيْ أخَوَيْه؛ عَقِيلَ بنَ أبي طالبٍ ونَوْفَلَ بنَ الحارثِ. وقد ذكَرْنا أنَّه لما أُسِر وشُدَّ في الوَثاقِ وأمسَى الناسُ، أُرِّقَ رسولُ الله ﷺ فقيل: يا رسولَ الله ما لك؟ فقال: «إنِّي أسمَعُ أنينَ العبَّاسِ في وَثاقه فلا أنامُ». فقام رجلٌ من المسلمين فحَلَّ من وَثاقِ العباسِ حتى سكَن أنينُه، فنام رسولُ الله ﷺ. ثم أسلَم عامَ الفتحِ، وتَلَقَّى رسولَ الله ﷺ إلى الجُحْفَةِ فرجَع معه، وشهِد الفتحَ، ويقالُ: إنَّه أسلَم قبلَ ذلك ولكنَّه أقام بمكَّةَ بإذنِ النبيِّ ﷺ له في ذلك، كما ورَد به الحديثُ. فاللهُ أعلَمُ. وقد كان رسولُ الله ﷺ

يُجلُّه ويعظِّمُه ويُنزِلُه مَنزلةَ الوالدِ من الولَدِ، ويقولُ: «هذا بقيَّةُ آبائي». وكان من أوْصلِ الناس لقُريشٍ وأشفقِهم عليهم، وكان ذا رأيٍ وعقلٍ تامٍّ وافٍ، وكان طويلاً جميلاً أبيضَ بَضًّا ذا ضَفيرتَين، وكان له من الولدِ عَشَرةُ ذُكورٍ سوى الإناث، وهم تَمّامٌ -وكان أصغرَهم- والحارثُ، وعبدُ الله، وعبيدُ الله وعبدُ الرحمنِ، وعَوْنٌ، والفَضْلُ، وقُثَمُ، وكثيرٌ، ومَعْبَدٌ. وأعتقَ سبعين مَمْلوكًا من غلمانه.

وقال الإمامُ أحمدُ: ثَنا عليُّ بنُ عبد الله قال: حَدَّثني محمدُ بنُ طَلْحةَ التَّيميُّ من أهلِ المدينة، حَدَّثني أبو سُهَيْلٍ نافعُ بنُ مالكٍ، عن سعيدِ بنِ المُسَيَّبِ، عن سعدِ بن أبي وَقَّاصٍ قال: قال رسولُ الله ﷺ للعباسِ: **«هذا العباسُ بنُ عبد المُطَّلب، أجودُ قريشٍ كَفًّا وأوصَلُها»**[1]. تفرَّد به[2].

وثبَت في «الصَّحيحَين» أنَّ رسولَ الله ﷺ قال لعمرَ حينَ بعثَه على الصَّدقة فقيلَ: مَنع ابنُ جَميلٍ وخالدُ بنُ الوليدِ والعباسُ عَمُّ رسولِ الله ﷺ. فقال له رسولُ الله ﷺ: **«ما يَنقِمُ ابنُ جَميلٍ إلاَّ أن كان فقيرًا فأغناه اللهُ، وأمّا خالدٌ فإنَّكم تَظلِمون خالدًا؛ وقد احتبَس أدراعَه وأعتادَه في سبيلِ الله، وأمّا العبّاسُ فهي عليَّ ومثلُها»**. ثم قال: **«يا عمرُ أمَا شعَرْتَ أنَّ عَمَّ الرجلِ صِنْوُ أبيه؟»**[3].

وثبَت في «صحيح البخاري» عن أنَسٍ أنَّ عمرَ خرَجَ يَستسقي وخرَج بالعباسِ معه يَستسقي به، وقال: اللهمَّ إنّا كنّا إذا قَحَطْنا توسَّلْنا إليك بنَبيِّنا فتَسقينا، وإنّا نَتوسَّلُ إليك بعمِّ نَبيِّنا. قال فيُسقَوْن[4].

ويقال: إنَّ عمرَ بنَ الخطابِ وعثمانَ بنَ عفّانَ كانا إذا مَرّا بالعباسِ وهما راكبانِ ترَجَّلا إكرامًا له.

قال الواقديُّ وغيرُ واحدٍ: تُوفِّي العباسُ في يومِ الجُمُعَة لِثنتَيْ عَشْرةَ ليلةً خلَت من رَجَبٍ -وقيلَ: من رَمضانَ- سنةَ ثنتين وثلاثينَ، عن ثَمانٍ وثَمانين سنةً، وصلَّى عليه عثمانُ بنُ عفّانَ، ودُفِن بالبَقيعِ. وقيل: تُوفِّي سنةَ ثلاثٍ وثلاثين. وقيل: سنةَ أربعٍ وثلاثينَ. وفَضائلُه ومَناقِبُه كثيرةٌ جدًّا.

عبدُ الله بنُ مسعودٍ

ابنِ غافلِ بنِ حَبيبِ بنِ شَمْخِ بنِ فارِ بنِ مَخزُومِ بنِ صَاهلةَ بنِ كاهلِ بنِ الحارثِ بنِ تميمِ بنِ سعدِ بنِ هُذَيْلِ بنِ مُدْرِكَةَ بنِ إلياسَ بنِ مُضَرَ، أبو عبدِ الرحمنِ الهُذَليُّ، حَليفُ بني زُهْرَةَ، أسلَم قديمًا قبلَ عمرَ، وكان سببُ إسلامِه حينَ مَرَّ به رسولُ الله ﷺ وأبو بكرٍ، رضي اللهُ عنه، وهو يَرعَى غنمًا فسألاه لَبَنًا، فقال: إنِّي مُؤْتَمَنٌ. قال فأخَذ رسولُ الله ﷺ عَناقًا لم يَنْزُ عليها الفَحْلُ فاعتقَلَها ثم حلَب وشرِب وسقَى أبا بكرٍ، ثم قال للضَّرْعِ: «اقْلِصْ». فقلَص، فقُلْتُ: عَلِّمْني من هذا الدُّعاء. فقال:

---

(١) **إسناده حسن:** أخرجه أحمد (١/ ١٨٥) والنسائي في «الكبرى» (٨١٧٤) وأبو يعلى (٨٢٠) وابن حبان (٧٠٥٢) والفسوي في «المعرفة» (١/ ٥٠٢ بنحو من ألفاظه) وغيرهم من طرق عن محمد بن طلحة به.
وإسناده حسن من أجل كلام خفيف في محمد بن طلحة وقال الحافظ فيه: صدوق.

(٢) بل لم يتفرَّد به كما تقدم في التخريج السابق.

(٣) تقدم.

(٤) تقدم.

«إنَّك غُلَيِّمٌ مُعلَّمٌ». الحديث[١] .

وروىٰ محمدُ بنُ إسحاقَ، عن يَحْيَىٰ بنِ عُرْوَةَ، عن أبيه، أنَّ ابنَ مسعودٍ كان أولَ مَن جهَر بالقرآنِ بمكَّةَ بعدَ النبيِّ ﷺ عندَ البيتِ، وقريشٌ في أنديتِها؛ قرأ سورةَ: ﴿الرَّحْمَٰنُ ① عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾ [الرحمن: ١، ٢]. فقاموا إليه فضرَبُوه.

ولزِم رسولَ اللهِ ﷺ حينَ أسلَم، وكان يَحمِلُ نَعلَيْه وسواكَه، وقال له: «إذْنُك علَيَّ أن تَسمَعَ سوادي»[٢] . ولهذا كان يقال له: صاحبُ السِّواكِ والسِّوادِ.

وهاجَر إلىٰ الحبشةِ ثم عاد إلىٰ مكَّةَ، ثم هاجَر إلىٰ المدينةِ، وشهِد بدرًا، وهو الذي قتَل أبا جهلٍ بعدَ ما أثبتَه ابْنا عَفْراءَ، وشهِد بقيَّةَ المَشاهدِ.

وقال له رسولُ اللهِ ﷺ يومًا: «اقرَأْ علَيَّ». فقُلتُ: أقرَأُ عليكَ وعليكَ أُنْزِل؟ فقال: «إنِّي أُحبُّ أنْ أسمَعَه مِن غَيْري». فقرأ عليه مِن أوَّلِ سورةِ النِّساءِ إلىٰ قولِه: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١]. فبكَىٰ رسولُ اللهِ ﷺ وقال: «حَسْبُكَ»[٣].

وقال أبو موسى: قَدِمْتُ أنا وأخي مِن اليَمَنِ وما كنّا نَظُنُّ إلاَّ أنَّ ابنَ مسعودٍ وأُمَّه مِن أهلِ بيتِ النبيِّ ﷺ؛ لكثرةِ دُخُولِهم بيتَ النبيِّ ﷺ[٤] .

وقال حُذَيْفةُ: ما رأيتُ أحدًا أشبهَ برسولِ اللهِ ﷺ في هَدْيه ودَلِّه وسَمْتِه مِن ابنِ مسعودٍ، ولقد علِم المَحفوظون مِن أصحابِ محمدٍ ﷺ أنَّ ابنَ أُمِّ عَبْدٍ أقربُهم إلىٰ اللهِ زُلْفَىٰ[٥] . وفي الحديث: «وتَمَسَّكُوا بعَهْدِ ابنِ أُمِّ عَبْدٍ»[٦] .

وفي الحديثِ الآخرِ الذي رَواه أحمدُ، عن محمدِ بنِ فضَيْلٍ، عن مُغيرةَ، عن أُمِّ موسىٰ، عن عليٍّ أنَّ ابنَ مَسعودٍ صعِد شجرةً يَجتَني الكَباثَ، فجعَل الناسُ يَعْجَبونَ مِن دِقَّةِ ساقَيْه، فقال رسولُ اللهِ ﷺ:

---

(١) تقدم وهو في «مسند أحمد» (١/ ٤٦٢) وإسناده حسن من أجل أن في إسناده عاصم بن بهدلة.

(٢) أخرجه مسلم (٢١٦٩) باب جواز جعل الإذن رفع حجاب أو نحوه من العلامات «كتاب السلام».

(٣) أخرجه البخاري (٥٠٤٩) ومسلم (٨٠٠) كلاهما من حديث ابن مسعود.

(٤) أخرجه البخاري (٣٧٦٣) باب مناقب عبد الله بن مسعود ومسلم (٢٤٦٠).

(٥) أخرجه البخاري (٣٧٦٢) باب مناقب عبد الله بن مسعود.

(٦) **في طرقه ضعف**: الإسناد بهذا اللفظ ضعيف جدًا لكن وبإسنادٍ آخر بلفظ مقارب إسناده لا بأس به أخرجه الترمذي (٣٨٠٥) حدثني إبراهيم بن إسماعيل بن يحيىٰ بن سلمة بن كهيل حدثني أبي عن أبيه عن سلمة بن كهيل عن أبي الزعراء عن ابن مسعود مرفوعًا «اقتدوا بالذين من بعدي من أصحابي أبو بكر وعمر واهتدوا بهدي عمار وتمسكوا بهدي ابن مسعود» به باللفظ الذي ذكره المصنف وعند الحاكم من نفس الطريق، وقال الترمذي: حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث يحيىٰ بن سلمة بن كهيل وهو يضعف في الحديث.

ويحيىٰ بن سلمة بن كهيل متروك الحديث وإسناده ضعيف جدًا وصححه الحاكم (٣/ ٧٥) فرده الذهبي بقوله: سنده واهٍ لكن له شاهد آخر عند أحمد (٥/ ٣٩٩) وموضع الشاهد فيه «فاهدوا هدىٰ عمار وعهد ابن أم عبد» وإسناده حسن من أجل كلام في سالم المرادي فمختلف فيه والأقرب ضعفه وبقية رجاله ثقات، وانظر بقية الطرق في «الصحيحة» (٣/ ٢٣٣ وما بعدها).

«والذي نفسي بيده لهما في الميزان أثقلُ من أُحُدٍ» (١) .

وقال عمرُ بنُ الخطاب، رضي اللهُ عنه ـ وقد نظر إلى قِصَرِه وكان يُوازي بقامَتِه الجلُوسَ ـ فجعَل يُتبعُه بَصَرَه ثم قال: هو كُنَيْفٌ مُلِئ عِلْمًا (٢) .

وقد شهد ابنُ مسعودٍ بعدَ النبيِّ ﷺ مَواقفَ كثيرةً؛ منها اليَرْمُوكُ وغيرُها، وكان قد قدم من العراق حاجًّا فمرَّ بالرَّبذَة فشهد وَفاةَ أبي ذَرٍّ ودفَنَه، ثم قدِم إلى المدينة فمَرِض بها، فجاءَه عثمانُ بنُ عَفَّانَ عائدًا، فيُرْوَىٰ أنَّه قال له: ما تَشْتَكِي؟ قال ذُنُوبِي. قال: فما تَشْتَهِي؟ قال: رَحْمَةَ رَبِّي. قال: ألا آمُرُ لك بطَبيبٍ؟ فقال: الطَّبيبُ أمرَضَنِي. قال: ألا آمُرُ لك بعطائك ـ وكان قد تركَه سَنَتَيْن؟ فقال: لا حاجَةَ لي فيه. فقال: يكونُ لبَناتك من بعدك. فقال: أتخشَىٰ على بَناتي الفقرَ؟ إنِّي أمَرْتُ بَناتي أن يَقرأْنَ كلَّ ليلةٍ سورةَ الواقعة، وإنِّي سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: **«مَن قَرَأ الواقعةَ كل ليلة لم تُصبْه فاقةٌ أبدًا»** (٣) .

وأوصَىٰ عبدُ الله بنُ مسعودٍ إلى الزبيرِ بنِ العَوَّام، فيقالُ: إنَّه هو الذي صَلَّىٰ عليه ليلاً، ثم عاتَب عُثمانُ الزُّبيرَ على ذلك. وقيلَ: بل صَلَّىٰ عليه عُثمانُ. وقيلَ: عمارٌ. فاللهُ أعلمُ. ودُفِن بالبَقيع عن بِضْعٍ وستِّينَ سَنَةً.

عبدُ الرَّحمن بنُ عَوْف

ابنِ عبدِ عَوْفِ بنِ عبدِ الحارثِ بنِ زُهْرَةَ بنِ كِلابِ بنِ مُرَّةَ أبو محمدٍ، القُرَشِيُّ الزُّهْرِيُّ، أسلَم قديمًا علىٰ يَدَيْ أبي بكرٍ، وهاجَر إلى الحبشة وإلى المدينة، وآخَىٰ رسولُ الله ﷺ بينَه وبينَ سعدِ بنِ الرَّبيعِ، وشهِد بدرًا وما بعدَها، وأمَّرَه رسولُ الله ﷺ حينَ بَعَثَه إلى بَني كَلْبٍ، وأرخَىٰ له عَذَبَةً بينَ كَتِفَيْه،

---

(١) **صحيح**: أخرجه أحمد (١/ ١١٤) وابن أبي شيبة (١٢/ ١١٤) والبخاري في «الأدب المفرد» (٢٣٧) وابن سعد وغيرهم عن محمد بن فضيل بن غزوان بهذا الإسناد وطريق آخر عند أبي يعلىٰ (٥٩٥) عن زهير عن جرير عن مغيرة عن أم موسىٰ بهذا الإسناد وهذا إسنادٌ حسن رجاله كلهم ثقات إلا أم موسىٰ كانت سُرِّيَّة لعلي لم يروي عنها إلا مغيرة بن مقسم، وقال الدارقطني: حديثها مستقيم يخرج اعتباراً ووثقها العجلي راجع «التهذيب» لابن حجر (٦/ ٦٣٥) وابن سعد (٣/ ١١٥).
وللحديث طريق آخر عن ابن مسعود عند أحمد (١/ ٤٢٠) وابن سعيد (٣/ ١١٥) بنحو هذه الألفاظ عن عبد الصمد وحسن بن موسىٰ قالا: حدثنا حماد عن عاصم عن زر بن حبيش عن ابن مسعود وإسناده حسن من أجل الكلام المعروف في عاصم بن بهدلة.

(٢) **إسناده صحيح إلى عمر**: أخرجه ابن سعد في «طبقاته» (٣/ ١١٥) أخبرنا عبد الله بن نمير عن الأعمش عن زيد بن وهب قال: كنت جالسًا في القوم عند عمر إذ جاء رجلٌ نحيف قليل فجعل عمر ينظر إليه ويتهلل وجهه ثم قال: «كُنيفٌ مليء علمًا» ثلاثة فإذا هو ابن مسعود، وهذا إسنادٌ صحيح رجاله ثقات.

(٣) **ضعيف**: أخرجه البيهقي في «الشعب» (٢٤٩٧) من طريق شجاع عن أبي فاطمة عن عثمان به وفي أسانيده اضطراب كثير واختلافات كثيرة علىٰ تسمية الرواة لذلك اجتمع علىٰ ضعفه الإمام أحمد، وأبو حاتم، وابنه، والدارقطني والبيهقي، وابن الجوزي تلويحًا وتصريحًا والله أعلم. وانظر تخريج أحاديث الكشاف للزيلعي (٣/ ٤١١ ـ ٤١٤) عقبه ففيه بحثًا نفيسًا فليراجعه من شاء.

لتكونَ أمارةً عليه للإمارةِ، وهو أحَدُ العَشَرةِ المشهودِ لهم بالجنة، وأحَدُ الثَّمانيةِ السابقين إلى الإسلام، وأحَدُ السِّتَّةِ أصحابِ الشُّورىٰ، ثم أحَدُ الثَّلاثةِ الذين انتهَت إليهم منهم، كما ذكَرْنا. ثم كان هو الذي اجتَهد في تقديمِ عثمانَ، رضِي اللهُ عنه، وقد تقاوَل هو وخالدُ بنُ الوَليدِ في بعضِ الغَزَواتِ فأغلَظ له خالدٌ في المَقالِ، فلمّا بلَغ ذلك رسولَ اللهِ ﷺ قال: «لا تَسُبُّوا أصحابي، فوالَّذي نفسي بيده لو أنفق أحَدُكم مثلَ أُحُدٍ ذهبًا ما بلغ مُدَّ أحَدِهم ولا نَصيفَه». وهو في «الصَّحيح»[1].

وقال مَعْمَرٌ، عن الزُّهْريِّ: تَصدَّقَ عبد الرحمن بنُ عوفٍ على عَهْدِ النَّبيِّ ﷺ بشطرِ ماله أربَعَةَ آلاف ثم تصدَّق بأربَعين ألفًا، ثم تَصدَّقَ بأربَعين ألفَ دينارٍ، ثم حمَل على خمسمائةِ فرَسٍ في سبيلِ اللهِ، ثم حمَل على خَمسمائةِ راحلةٍ في سبيلِ اللهِ، وكان عامَّةُ ماله من التِّجارةِ[2].

فأمَّا الحديثُ الذي قال عبدُ بنُ حُميدٍ في «مُسنَدِه»: ثنا يَحيىٰ بنُ إسحاقَ، ثنا عُمارةُ بنُ زاذانَ، عن ثابتٍ البُنانيِّ، عن أنسِ بنِ مالكٍ، أنَّ عبدَ الرحمنِ بنَ عَوْفٍ لما هاجَر آخىٰ رسولُ اللهِ ﷺ بينَه وبينَ عثمانَ بنِ عفانَ، فقال له: إنَّ لي حائطَين فاختَرْ أيَّهما شئتَ. فقال: بارَكَ اللهُ لك في حائطَيْك، ما لهذا أسلَمْتُ، دُلَّني على السُّوقِ. قال: فدَلَّه، فكان يَشتري السُّمَيْنَةَ والأُقَيْطَةَ والإهابَ، فجمَع فتزوَّج، فأتىٰ النبيَّ ﷺ فقال: «بارك الله لك، أوْلِمْ ولو بشاة». قال فكَثُر مالُه حتىٰ قدِمَت له سَبعُمائةِ راحلةٍ تَحمِلُ البُرَّ وتَحمِلُ الدَّقيقَ والطَّعامَ. قال: فلمَّا دخَلَت المدينةَ سُمِع لأهلِ المدينةِ رَجَّةٌ، فقالت عائشةُ: ما هذه الرَّجَّةُ؟ فقيلَ لها: عيرٌ قَدِمت لعبدِ الرحمنِ بنِ عوفٍ سَبْعُمائةٍ تَحمِلُ البُرَّ والدَّقيقَ والطَّعامَ. فقالت عائشةُ: سَمِعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ: «يَدخُلُ عبدُ الرحمنِ بنُ عوفٍ الجنةَ حَبْوًا». فلما بلَغ ذلك عبدَ الرَّحمنِ قال: أُشْهِدُكِ يا أُمَّهْ أنَّها بأحمالِها وأحلاسِها وأقتابِها في سبيلِ اللهِ[3].

وقال الإمامُ أحمدُ: ثنا عبدُ الصَّمَدِ بنُ حَسّانَ، ثنا عُمارةُ - هو ابنُ زاذانَ - عن ثابتٍ، عن أنسٍ قال: بينَما عائشةُ في بيتِها إذ سَمِعتْ صوتًا في المدينةِ فقالت: ما هذا؟ قالوا: عيرٌ لعبدِ الرَّحمنِ بنِ عَوْفٍ قدِمت مِن الشامِ تَحمِلُ كلَّ شيءٍ - قال: وكانت سبعَمائةِ بَعيرٍ - قال: فارتَجَّتِ المدينةُ مِن الصوتِ،

---

(١) **صحيح:** في البخاري برقم (٣٦٣٧) ومسلم (٣٥٤١) وهو في البخاري (مختصرًا).

(٢) **إسناده منقطع:** أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (٥٢٠) عن معمر عن الزهري به وهو منقطع بين الزهري وعبد الرحمن.

(٣) **حديث منكر باطل:** لم أقف عليه في «المنتخب» لعبد بن حميد أخرجه أحمد (٦/ ١١٥) كما سيشير إليه المؤلف وغيره من نفس لطريق عمارة بن زاذان الصيدلاني به.

وعمارة هذا ضعيف لا يحتمل تفرده بهذا الحديث المخالف للأصول العامة إذ أن فيه تأخر العبد في دخول الجنة بسبب المال والنبي ﷺ يقول: «نعم المال الصالح للرجل الصالح» وقد أشار المؤلف فيما سيأتي إلىٰ نحو هذا فقال: هذا غلط محض مخالف ولذا قال ابن الجوزي في «الموضوعات» (٢/ ١٣) عن أحمد: هذا الحديث كذب منكر.

ثم ذكر ابن الجوزي كلام متعلق بنكارة متن الحديث فقال: «باطل» ونقل: وكم قاص يتشوق بمثل هذا الحديث يحث علىٰ الفقر ويذم الغنىٰ فيالله درّ العلماء الذين يعرفون الصحيح ويفهمون الأصول.

فقالت عائشةُ: سَمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «قد رأيتُ عبدَ الرحمن بنَ عَوْف يَدخُلُ الجنةَ حَبْوًا». فبلَغ ذلك عبدَ الرحمنِ بنَ عوف، فقال: لَئِن استَطعْتُ لأدْخُلَنَّها قائمًا. فجعلَها بأقتابِها وأحمالِها في سبيلِ الله[1]. فقد تَفرَّد به عُمارةُ بنُ زاذانَ الصَّيدلانيُّ وهو ضعيفٌ. وقولُه في سياقِ عبدِ بنِ حُمَيْدٍ: إنَّه آخَىٰ بينَه وبينَ عثمانَ بنِ عفانَ. فغلَطٌ مَحْضٌ مُخالفٌ لما في «صحيحِ البخاريِّ» من أنَّ الذي آخَىٰ بينَه وبينَه إنَّما هو سعدُ بنُ الرَّبيعِ الأنصاريُّ، رضي اللهُ عنهما. وثبَت في «الصَّحيح»[2] أنَّ رسولَ الله ﷺ صلَّىٰ وراءَه الركعةَ الثانيةَ من صلاةِ الفجرِ في بعضِ الأسفار[3]. وهذه مَنْقَبةٌ عظيمةٌ لا تُبارَىٰ.

ولما حَضَرَتْه الوفاةُ أوصَىٰ لكلِّ رجلٍ ممَّن بقِي من أهلِ بدرٍ بأربعمائة دينارٍ - وكانوا مائةً - فأخَذوها حتىٰ عثمانُ وعليٌّ. وقال عليٌّ: اذهَبْ يا ابنَ عَوْف فقد أدرَكْتَ صَفْوَها، وسَبَقْتَ رَنْقَها. وأوصَىٰ لكلِّ امرأةٍ من أُمَّهاتِ المؤمنين بمبلغٍ كثيرٍ حتىٰ كانت عائشةُ تقولُ: سقاه اللهُ من السَّلسَبيلِ. وأعتَق خَلْقًا من مَماليكه، ثم ترَك بعدَ ذلك كلِّه مالاً جَزيلاً؛ من ذلك ذهبٌ قُطِع بالفُئوسِ حتىٰ مَجَلت أيدي الرِّجال، وترَكَ ألفَ بَعيرٍ ومائةَ فرسٍ، وثلاثةَ آلافِ شاةٍ تَرْعَىٰ بالبَقيعِ، وكان نساؤُه أربعًا فصُولِحَت إحداهُنَّ من رُبعِ الثُّمُنِ بثمانين ألفًا.

ولما مات صلَّىٰ عليه عثمانُ بنُ عفانَ، وحمَل في جنازتِه سعدُ بنُ أبي وقَّاصٍ، ودُفِن بالبَقيعِ، عن خمسٍ وسبعين سنةً.

وكان أبيضَ مُشْرَبًا حُمْرةً، حسنَ الوجه، رقيقَ البَشَرةِ، أعينَ، أهدبَ الأشفارِ، أقنَىٰ، له جُمَّةٌ، ضخمَ الكَفَّين، غليظَ الأصابعِ، لا يُغَيِّرُ شَيْبَه، رضي اللهُ عنه.

أبو ذَرٍّ الغِفاريُّ واسمُه جُندَبُ بنُ جُنادةَ، علىٰ المشهورِ. أسلَم قديمًا بمكةَ، فكان رابعَ أربعةٍ أو خامسَ خَمسةٍ. وقِصَّةُ إسلامه تَقدَّمَت قبلَ الهجرةِ، وهو أوَّلُ مَن حَيَّا رسولَ الله ﷺ بتحيةِ الإسلامِ، ثم رَجع إلىٰ بلادِه وقَوْمِه، فكان هناك حتىٰ هاجَر رسولُ الله ﷺ إلىٰ المدينةِ فهاجَر بعدَ الخَندقِ، ثم لزِم رسولَ الله ﷺ حَضَرًا وسفَرًا، وروَىٰ عنه أحاديثَ كثيرةً. وجاء في فضلِه أحاديثُ كثيرةٌ؛ من أشهرِها ما رَواه الأعمَشُ، عن أبي اليَقْظانِ عثمانَ بنِ عُمَيرٍ، عن أبي حربِ بنِ أبي الأسودِ، عن عبدِ اللهِ بنِ عمرٍو أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «ما أظَلَّتِ الخَضراءُ، ولا أقلَّت الغَبْراءُ أصدقَ لهجةً من أبي ذَرٍّ». وفيه ضَعْفٌ[4]. ثم لما مات رسولُ الله ﷺ ومات أبو بكرٍ خرَج إلىٰ الشامِ فكان فيه حتىٰ وقَع بينَه

---

(١) تقدم قبله. (٢) تقدم.

(٣) وذلك ضمن حديث رواه مسلم (٢٧٤) كتاب «الطهارة» باب المسح على الناصية والعمامة.

(٤) **بل صحيح لشواهده:** أخرجه الترمذي (٣٨٠٢) عن العباس العنبري ثنا النضر بن محمد عن عكرمة بن عمار حدثني أبو زميل وهو سماك بن الوليد الحنفي عن مالك بن مرثد عن أبيه عن أبي ذر مرفوعًا وأخرجه ابن أبي شيبة (١٢/ ١٢٥) عن الحسين بن موسىٰ قال: ثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد بن جدعان عن بلال عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ به وفيه ضعف من قبل علي بن زيد بن جدعان وعنده عن يزيد عن أبي أمية بن يعلىٰ الثقفي عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ فذكره وفيه ضعف من قبل أبي أمية وأخرجه أحمد (٥/ ١٩٧) عن أبي النضر عن عبد الحميد بن بهرام حدثنا شهر بن حوشب حدثنا عبد الرحمن بن غنم أنه زار أبا الدرداء بحمص فذكره مرفوعًا ضمن حديث مطول وفي إسناده شهر بن حوشب والحديث بجملته وإن كان في كل طريق منها مقال إلا أنه يتقوىٰ بشواهده والله أعلم.

وبينَ معاويةَ فاستقدَمَه عثمانُ إلى المدينة، ثم نزَل بالرَّبَذَة فأقام بها حتى مات في ذي الحجَّة من هذه السَّنة، وليس عندَه سوى امرأته وأولاده، فبينَما هم كذلك لا يقدرون على دَفْنه إذ قدم عبدُ الله بنُ مسعودٍ من العراق في جماعةٍ من أصحابه، فحضَروا مَوْتَه، وأوصاهم كيف يَفعَلون به. وقيلَ: قدِموا بعدَ مَوْته فولَوا غَسْلَه ودَفْنه. وكان قد أمرَ أهلَه أن يطبُخوا لهم شاةً من غَنَمه ليأكُلوها بعدَ الموت.

وقد أرسَل عثمانُ بنُ عفّانَ إلى أهله فضمَّهم إلى أهله.

ثم دخلت سنة ثلاث وثلاثين

فيها كان فتحُ قُبْرُسَ في قولِ أبي معشر، وخالفَه الجمهورُ فذكَروها قبلَ ذلك كما تقدَّم.

وفيها غزا عبدُ الله بنُ سعدِ بنِ أبي سرحٍ إفريقيةَ ثانيةً، حينَ نقَضَ أهلُها العهدَ.

وفيها سيَّرَ أميرُ المؤمنينَ جماعةً من قرّاءِ أهلِ الكوفةِ إلى الشام، وكان سببُ ذلك أنَّهم تكلَّموا بكلامٍ قبيحٍ في مجلسِ سعيدِ بنِ عامرٍ، فكتَب إلى عثمانَ في أمرِهم، فكتَب إليه عثمانُ أن يُجْلِيَهم عن بلدِه إلى الشام، وكتب عثمانُ إلى معاويةَ أميرِ الشامِ أنَّه قد خرَجَ إليك قُرّاءٌ من أهلِ الكوفةِ فأنزِلْهم وأكرِمْهم وتألَّفْهم. فلما قَدِموا أنزلَهم معاويةُ، وأكرمَهم واجتمَعَ بهم ووعظَهم ونصَحهم فيما يعتمِدونه من اتِّباعِ الجماعةِ وتركِ الانفرادِ والابتعادِ، فأجابَه مُتكلِّمُهم والمترجِمُ عنهم بكلامٍ فيه بشاعةٌ وشناعةٌ، فاحتَمَلَهم معاويةُ لحلمِه، وأخذ في مدحِ قريشٍ - وكانوا قد نالوا منهم - وأخذ في المدحِ لرسولِ الله ﷺ، والثناءِ عليه، والصلاةِ والتسليمِ. وافتخَرَ معاويةُ بوالدِه وشرفِه في قومِه، وقال فيما قال: وأظُنُّ أبا سفيانَ لو ولَد الناسَ كلَّهم لم يلِدْ إلاَّ حازمًا. فقال له صعصعةُ بنُ صُوحانَ: كذَبْتَ، قد ولَد الناسَ كلَّهم لِمَن هو خيرٌ من أبي سفيانَ؛ مَن خلَقه اللهُ بيدِه، ونفخَ فيه من رُوحه، وأمَرَ الملائكةَ فسجَدوا له، فكان فيهم البرُّ والفاجرُ، والأحمقُ والكيِّسُ. ثم بذَل لهم النصحَ مرةً أخرى فإذا هم يتمادَوْن في غَيِّهم، ويستمِرّون على جَهالتِهم وحَماقتِهم، فعند ذلك أخرَجهم من بلدِه ونَفاهم عن الشامِ؛ لئلا يُشَوِّشُوا عقولَ الطَّغامِ، وذلك أنَّه كان يشتَمِلُ مَطاوي كلامِهم على القدحِ في قريشٍ، كونَهم فرَّطوا وضيَّعوا ما يجبُ عليهم من القيامِ فيه، من نُصرةِ الدِّينِ وقمعِ المفسدين. وإنَّما يريدون بهذا التنقيصَ والعيبَ ورجمَ الغيبِ، وكانوا يشتُمونَ عثمانَ وسعيدَ بنَ العاصِ، وكانوا عشَرةً، وقيل: تسعةً. وهو الأشبهُ، منهم كُمَيْلُ بنُ زيادٍ، والأشترُ النَّخَعيُّ - واسمه مالكُ بنُ الحارث، وصعصعةُ بنُ صُوحانَ، وأخوه زيدُ بنُ صُوحانَ، ومالكُ بنُ كعبٍ الأَرْحَبيُّ، والأسودُ بنُ يزيدَ وعلقمةُ بنُ قيسٍ النَّخَعيّان، وثابتُ بنُ قيسٍ النَّخَعيُّ، وجندبُ بنُ زهيرٍ الغامديُّ، وجندبُ بنُ كعبٍ الأزديُّ، وعروةُ بنُ الجعدِ، وعمروُ بنُ الحَمِقِ الخُزاعيُّ. فلمَّا خرَجوا من دمشقَ أَوَوْا إلى الجزيرةِ، فاجتَمَع بهم عبدُ الرحمنِ بنُ خالدِ بنِ الوليدِ - وكان نائبًا على الجزيرةِ، ثم ولي

حِمْصَ بعدَ ذلك - فهدَّدَهم وتوعَّدَهم، فاعتَذَروا إليه وأنابوا إلى الإقلاع عمَّا كانوا عليه، فدَعا لهم وسيرَ مالكًا الأشترَ النَّخَعيَّ إلى عثمانَ بنِ عفَّانَ؛ ليعتَذِرَ إليه عن أصحابِه بينَ يدَيه، فقَبِل ذلك منهم، وكفَّ عنهم وخيَّرهم أن يُقيموا حيث أحبُّوا، فاختاروا أن يكونوا في معاملةِ عبدِ الرحمنِ بنِ خالدِ بنِ الوليدِ، فقَدِموا عليه حِمْصَ، فأمَرهم بالمُقامِ بالسَّاحلِ، وأجرى عليهم الرزقَ. ويقالُ: بل لمَّا مَقَتَهم معاويةُ كتَب فيهم إلى عثمانَ فجاءَه كتابُ عثمانَ أن يردَّهم إلى سعيدِ بنِ العاصِ بالكوفةِ، فردَّهم إليه، فلمَّا رجَعوا كانوا أزلَقَ ألسنةً، وأكثرَ شرًّا، فضجَّ منهم سعيدُ بنُ العاصِ إلى عثمانَ، فأمَره أن يسيِّرَهم إلى عبدِ الرحمنِ بنِ خالدِ بنِ الوليدِ بحِمْصَ، وأن يَلْزَموا الدُّروبَ.

وفي هذه السنةِ سيَّر عثمانُ بعضَ أهلِ البصرةِ منها إلى الشامِ، وإلى مصرَ بأسبابٍ مُسَوِّغَةٍ لما فعَله، رضِي اللهُ عنه، فكان هؤلاء ممَّن يُؤَلِّبُ عليه ويُمالئُ الأعداءَ في الحَطِّ والكلامِ فيه، وهم الظالمون في ذلك، وهو البارُّ الرَّاشدُ، رضِي اللهُ عنه.

وفي هذه السنةِ حجَّ بالناسِ أميرُ المؤمنين عثمانُ بنُ عفانَ، رضِي اللهُ عنه، وتقبَّل اللهُ منه.

ثم دخلت سنة أربع وثلاثين

قال أبو مَعْشَرٍ: فيها كانت غزوةُ الصَّواري. والصَّحيحُ في قولِ غيرِه أنَّها كانت قبلَ ذلك، كما تقدَّم.

وفي هذه السنةِ تكاتَب المنحرفون عن طاعةِ عثمانَ، رضِي اللهُ عنه، وكان جمهورُهم من أهلِ الكوفةِ - وهم في معاملةِ عبدِ الرحمنِ بنِ خالدِ بنِ الوليدِ بحِمْصَ منْفيُّونَ عن الكوفةِ - وثاروا على سعيدِ بنِ العاصِ أميرِ الكوفةِ، وتألَّبوا عليه، ونالوا منه ومن عثمانَ، وبعَثوا إلى عثمانَ مَن يناظِرُه فيما فعَل، وفيما اعتَمَد من عَزْلِ كثيرٍ من الصحابةِ وتَوْليةِ جماعةٍ من بني أُمَيَّةَ من أقربائِه، وأغلَظوا له في القولِ، وطلَبوا منه أن يعزِلَ عمَّالَه ويستَبْدِلَ بهم غيرَهم من السَّابقين ومن الصحابةِ، حتى شقَّ ذلك عليه جدًّا، وبعَث إلى أمراءِ الأجنادِ فأحضَرَهم عندَه ليستَشيرَهم، فاجتَمَع إليه معاويةُ بنُ أبي سفيانَ أميرُ الشامِ، وعمرُو بنُ العاصِ أميرُ مصرَ، وعبدُ اللهِ بنُ سعدِ بنِ أبي سَرْحٍ أميرُ المغربِ، وسعيدُ بنُ العاصِ أميرُ الكوفةِ، وعبدُ اللهِ بنُ عامرٍ أميرُ البصرةِ، فاستَشارَهم فيما حدَث من الأمرِ وافتراقِ الكلمةِ، فأشار عبدُ اللهِ بنُ عامرٍ أن يشغَلَهم بالغزوِ عمَّا هم فيه من الشرِّ، فلا يكونُ همُّ أحدِهم إلا نفسَه، وما هو فيه من دَبَرَةِ دابَّتِه، وقَمْلِ فَرْوتِه، فإنَّ غَوْغاءَ الناسِ إذا تفرَّغوا وبَطَلوا، اشتَغَلوا بما لا يُغْني وتكلَّموا فيما لا يُرْضي، وإذا تفرَّقوا نفَعوا أنفسَهم وغيرَهم. وأشار سعيدُ بنُ العاصِ بأن يستأصِلَ شأفَةَ المفسدين، ويقطَعَ دابرَهم. وأشار معاويةُ بأن يرُدَّ عمالَه إلى أقاليمِه، وأن لا يلتَفِتَ إلى هؤلاء وما تألَّبوا عليه من الشرِّ، فإنَّهم أقلُّ وأضعَفُ جندًا. وأشار عبدُ اللهِ بنُ سعدِ بنِ أبي سَرْحٍ بأن يتألَّفَهم بالمالِ فيُعْطِيَهم منه ما يكُفُّ به شرَّهم، ويأمَنُ غائلتَهم، ويعطِفُ به قلوبَهم إليه. وأمَّا

عمرُو بنُ العاصِ فقام فقال: أمَّا بعدُ يا عثمانُ، فإنَّك قد ركَّبْتَ الناسَ ما يكرَهون، فإمَّا أن تعزِلَ عنهم ما يكرَهون، وإمَّا أن تَقَدَّمَ فتُنْزِلَ عُمَّالَك عمَّا هم عليه. وقال له كلامًا فيه غِلْظَةٌ، ثم اعتَذَر إليه في السِّرِّ بأنَّه إنَّما قال هذا ليُبَلِّغَ عنه مَن كان حاضرًا من الناسِ إليهم ليَرْضَوا من عثمانَ بهذا، فعندَ ذلك قرَّر عثمانُ عمالَه على ما كانوا عليه، وتألَّف قلوبَ أولئكَ بالمالِ، وأمَر بأن يُبْعَثوا في الغزوِ إلى الثُّغورِ، فجمعَ بين المصالحِ كلِّها، ولمَّا رَجَعَتِ العمالُ إلى أقاليمِها، امتَنَع أهلُ الكوفةِ من أن يدخُلَ عليهم سعيدُ بنُ العاصِ، ولبِسوا السِّلاحَ وحلَفوا أن لا يُمكِّنوه من الدُّخولِ عليهم حتى يعزِلَه عثمانُ ويوَلِّيَ عليهم أبا موسى الأشعريَّ، وكان اجتماعُهم بمكانٍ يقالُ له: الجَرَعَةُ. وقد قال يومئذٍ الأشْتَرُ النَّخَعيُّ: واللهِ لا يدخُلُها علينا ما حَمَلْنا سيوفَنا. وتواقَفَ الناسُ بالجَرَعَةِ، وأحْجَم سعيدٌ عن قتالِهم وصمَّموا على مَنْعِه.

وقد اجتَمَع في مسجدِ الكوفةِ في هذا اليومِ حُذَيْفَةُ، وأبو مسعودٍ عُقْبَةُ بنُ عمرٍو، فجَعَل أبو مسعودٍ يقولُ: واللهِ لا يرجعُ سعيدُ بنُ العاصِ حتى يكونَ دماءٌ. فجعَل حُذَيْفَةُ يقولُ: واللهِ ليَرْجِعَنَّ ولا يكونُ فيها مِحْجَمَةٌ من دمٍ، وما أعلَمُ اليومَ شيئًا إلا وقد علِمتُه ومحمدٌ ﷺ حيٌّ. والمقصودُ أنَّ سعيدَ بنَ العاصِ كرَّ راجعًا إلى المدينةِ وكسرَ الفتنةَ، فأعجَب ذلك أهلَ الكوفةِ، وكتَبوا إلى عثمانَ أن يوَلِّيَ عليهم أبا موسى الأشعريَّ، فأجابَهم عثمانُ إلى ما سألوا؛ إزاحَةً لعُذْرِهم، وإزالَةً لشُبَهِهم، وقَطْعًا لعِلَلِهم.

وذكَر سيفُ بنُ عمرَ أنَّ سببَ تألُّبِ الأحزابِ على عثمانَ أنَّ رجلًا يقالُ له: عبدُ اللهِ بنُ سَبَأ. كان يهوديًّا فأظهَرَ الإسلامَ وصار إلى مصرَ، فأوحَى إلى طائفةٍ من الناسِ كلامًا اختَرَعه من عندِ نفسِه، مضمونُه أنَّه يقولُ للرجلِ: أليس قد ثبَت أنَّ عيسى ابنَ مَرْيَمَ سيعودُ إلى هذه الدنيا؟ فيقولُ الرجلُ: بلى! فيقولُ له: فرسولُ اللهِ ﷺ أفضَلُ منه، فما تُنْكِرُ أن يعودَ إلى هذه الدنيا وهو أشرفُ من عيسى ابنِ مريمَ، عليه السلامُ ثم يقولُ: وقد كان أوصَى إلى عليِّ ابنِ أبي طالبٍ، فمحمدٌ خاتَمُ الأنبياءِ، وعليٌّ خاتَمُ الأوصياءِ. ثم يقولُ: فهو أحقُّ بالإمْرةِ من عثمانَ، وعثمانُ مُعْتَدٍ في ولايتِه ما ليس له. فأنكِروا عليه وأظْهِروا الأمرَ بالمعروفِ والنَّهْيَ عن المنكرِ. فافتَتَن به بشرٌ كثيرٌ من أهلِ مصرَ، وكتَبوا إلى جماعاتٍ من عوامِّ أهلِ الكوفةِ والبصرةِ، فتمالَئوا على ذلك، وتكاتَبوا فيه، وتواعَدوا أن يجتَمِعوا في الإنكارِ على عثمانَ، وأرسَلوا إليه مَن يناظِرُه ويذكُرُ له ما يَنْقِمون عليه من توليتِه أقرباءَه وذوي رحمِه وعزلِه كبارَ الصحابةِ. فدخَل هذا في قلوبِ كثيرٍ من الناسِ، فجمَع عثمانُ بنُ عفانَ نُوَّابَه من الأمصارِ، فاستَشارهم فأشاروا عليه بما تقدَّم ذكْرُنا له. واللهُ أعلمُ.

وقال الواقديُّ فيما رَواه عن عبدِ الله بن محمد، عن أبيه قال[1]: لمَّا كانت سنةُ أربعٍ وثلاثين كثُر الناسُ على عثمانَ، ونالوا منه أقبَحَ ما نِيلَ من أحدٍ، فكلَّم الناسُ عليَّ ابنَ أبي طالبٍ أن يدخُلَ على عثمانَ، فدخَل عليه فقال له: إنَّ الناسَ وَرَائي وقد كلَّموني فيك، واللهِ ما أدْري ما أقولُ لك، وما أعرِفُ شيئًا تجهَلُه، ولا أدُلُّك على أمرٍ لا تعرِفُه، إنَّك لَتَعْلَمُ ما نعلَمُ، ما سبَقْناك إلى شيءٍ فنُخْبِرَك عنه، ولا

(١) ذكر الواقدي القصة الآتية ومشتملة على أحاديث، وسلف أن الواقدي متروك.

خلَونا بشيءٍ فنُبَلِّغَكَه، وما خُصصْنا بأمورٍ عنك، وقد رأيتَ وسمعتَ وصحبْتَ رسولَ الله ﷺ ونلْتَ صِهْرَه، وما ابنُ أبي قُحافةَ بأولى بعملِ الحقِّ منك، ولا ابنُ الخطاب بأولى بشيءٍ من الخيرِ منك، وإنَّك أقربُ إلى رسول الله ﷺ رحمًا، ولقد نلْتَ من صِهْرِ رسول الله ﷺ ما لم ينالا ولا سبقاك إلى شيء، فاللهَ اللهَ في نفسكَ فإنك والله ما تُبصر من عمًى، ولا تُعَلَّمُ من جهلٍ، وإنَّ الطريقَ لَواضحٌ بيِّنٌ، وإنَّ أعلامَ الدِّين لقائمةٌ، تَعْلَمُ يا عثمانُ أنَّ أفضلَ عبادِ الله عندَ الله إمامٌ عادلٌ، هُدِيَ وهَدَى، فأقام سُنَّةً معلومةً، وأمات بدعةً معلومةً، فوالله إنَّ كُلاًّ لَبيِّنٌ، وإنَّ السُّنَنَ لقائمةٌ لها أعلامٌ، وإنَّ البدَعَ لقائمةٌ لها أعلامٌ، وإنَّ شرَّ الناسِ عندَ الله إمامٌ جائرٌ، ضلَّ وضُلَّ به، فأمات سُنَّةً معلومةً وأحيا بدعةً متروكةً، وإنِّي سمعْتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «**يُؤتَى يومَ القيامةِ بالإمامِ الجائرِ وليس معه نصيرٌ ولا عاذرٌ، فيُلقَى في جهنمَ فيدورُ فيها كما تدورُ الرَّحَا ثم يرْتَطِمُ في غمرةِ جهنم**». وإنِّي أُحَذِّرُكَ اللهَ وأُحَذِّرُكَ سَطْوَتَه ونقْمَتَه، فإنَّ عذابَه شديدٌ أليمٌ، واحذَرْ أن تكونَ إمامَ هذه الأمة المقتولَ، فإنَّه كان يقالُ: يُقتَلُ في هذه الأمة إمامٌ، فيُفْتَحُ عليها القتْلُ والقتالُ إلى يوم القيامة، وتُلْبَسُ أمورُها عليها، ويُتركون شِيَعًا لا يُبصرون الحقَّ من الباطلِ، يموجون فيها مَوْجًا، ويمرَجون فيها مَرَجًا. فقال عثمانُ: قد والله علمْتُ لَتقولَنَّ الذي قُلْتَ، أمَا والله لو كنتَ مكاني ما عنَّفْتُك، ولا أسلمْتُك، ولا عِبْتُ عليك، ولا جئتُ مُنكرًا أن وصلْتُ رحمًا، وسدَدْتُ خَلَّةً، وآويْتُ ضائعًا، ووَلَّيتُ شبيهًا بمَن كان عمرُ يُوَلِّي، أنشُدُك اللهَ يا عليُّ هل تعلَمُ أنَّ المغيرةَ بنَ شُعْبَةَ ليس هناك؟ قال: نعم. قال: فتعلَمُ أنَّ عمرَ وَلَّاه؟ قال: نعم. قال: فلِمَ تَلُومُني أن وَلَّيتُ ابنَ عامرٍ في رَحِمِه وقرابته؟ فقال عليٌّ: سأُخبرُك، إنَّ عمرَ كان كلُّ مَن ولَّى فإنَّما يطَأُ على صِماخَيْه، إنْ بلَغه عنه حرفٌ جاء به، ثم بلَغ به أقصى الغايةِ في العقوبة، وأنت لا تفعَلُ، ضَعُفْتَ ورَفَقْتَ على أقربائك. فقال عثمانُ: هم أقرباؤُك أيضًا. فقال عليٌّ: لَعَمْري إنَّ رَحِمَهم منِّي لقريبةٌ، ولكنَّ الفضلَ في غيرِهم. قال عثمانُ: هل تعلَمُ أنَّ عمرَ وَلَّى معاويةَ خلافَتَه كلَّها؟ فقد ولَّيْتُه. فقال عليٌّ: أنشُدُك اللهَ، هل تعلم أنَّ معاويةَ كان أخوفَ من عمرَ من يَرْفَأَ غلامِ عمرَ منه؟ قال: نعم. قال عليٌّ: فإنَّ معاويةَ يقطَعُ الأمورَ دونَك وأنت تعلَمُها، ويقولُ للناسِ: هذا أمرُ عثمانَ. فيَبْلُغُكَ ولا تُغيِّرُ على معاويةَ. ثم خرجَ عليٌّ من عنده، وخرَج عثمانُ على إثْرِه، فصعد المنبرَ، فخطَب الناسَ فوَعَظ، وحذَّر وأنذَر، وتهدَّد وتوعَّد، وأبرَق وأرعَد، فكان فيما قال: ألاَ فقد والله عِبْتُم عليَّ بما أقرَرْتُ به لابنِ الخطاب، ولكنَّه وَطِئكم برِجْله، وضربَكم بيدِه، وقَمَعكم بلسانه، فدِنْتُم له على ما أحبَبْتُم أو كرِهْتُم، ولنْتُ لكم وأوطأْتُ لكم كَتِفي، وكفَفْتُ يَدي ولساني عنكم، فاجترَأْتُم عليَّ، أمَا والله لأنَا أعزُّ نَفَرًا، وأقربُ ناصرًا، وأكثرُ عَدَدًا، وأقمَنُ إن قلتُ: هَلُمَّ. أُتِي إليَّ، ولقد أعدَدْتُ لكم أقرانَكم، وأفضَلْتُ عليكم فُضُولاً، وكشَرْتُ لكم عن نابي، فأخرَجْتُم منِّي خُلُقًا لم أكنْ أُحْسِنُه، ومَنْطقًا لم أنطِقْ به، فكُفُّوا ألسنَتَكم وطعْنَكم وعَيْبَكم على وُلاتِكم، فإنِّي قد كفَفْتُ عنكم مَن لو كان هو الذي يَلِيكُم لرَضِيتُم منه بدونِ مَنْطقي هذا، ألاَ فما

تفقدون من حقكم؟ فوالله ما قصَّرْتُ في بُلوغِ ما كان يبلُغُ مَن كان قبلي. ثم اعتَذر عمَّا كان يُعطي أقاربَه بأنَّه مِن فَضْلِ ماله. فقام مرْوانُ بنُ الحَكَم فقال: إن شِئتُم واللهِ حكَّمنا بينَنا وبينَكم السيفَ، نحن واللهِ وأنتم كما قال الشاعرُ:

فرشنا لكم أعراضنا فنبت بكم ... معارسكم تبنون في دِمَن الثرى

فقال عثمانُ: اسكُتْ لا سكَتَّ، دَعْني وأصحابي، ما مَنْطِقُكَ في هذا! ألم أتقدَّمْ إليك أن لا تنطقَ! فسكَتَ مرْوانُ ونزَل عثمانُ، رضي اللهُ عنه.

وذكَر سيفُ بنُ عمرَ وغيرُه أنَّ معاويةَ لمَّا ودَّع عثمانَ حينَ عزَم على الخروجِ إلى الشام، عرَض عليه أن يرحَلَ معه إلى الشامِ، فإنهم قومٌ كثيرةٌ طاعتُهم للأمراء. فقال: لا أختارُ بجوارِ رسولِ الله ﷺ سواه. فقال: أجهزُ لك جيشًا من الشامِ يكونون عندك ينصُرونك؟ فقال: إنِّي أخشَى أن أُضَيِّقَ بهم بلدَ رسولِ الله ﷺ على أصحابِه من المهاجرين والأنصار. قال معاويةُ: فوالله يا أميرَ المؤمنين لتُغْتالَنَّ - أو قال: لتُغْزَيَنَّ - فقال عثمانُ: حَسْبيَ اللهُ ونعمَ الوكيلُ. ثم خرَج معاويةُ من عنده وهو متقلِّدٌ السيفَ، وقَوْسُه في يده، فمرَّ على ملأٍ من المهاجرين؛ فيهم عليُّ بنُ أبي طالبٍ، وطلحةُ، والزُّبيرُ، فوقَف عليهم واتَّكأ على قوسِه، وتكلَّم بكلامٍ بليغٍ يشتَمِلُ على الوصاةِ بعثمانَ بن عفانَ، رضي اللهُ تعالى عنه، والتحذيرِ من إسلامِه إلى أعدائه، ثم انصرَف ذاهبًا. فقال الزبيرُ: ما رأيتُه أهيبَ في عيني من يومِه هذا.

وذكَر ابنُ جريرٍ أنَّ معاويةَ استَشْعَر الأمرَ لنفسِه من قَدْمتِه هذه إلى المدينةِ، وذلك أنَّه سمع حاديًا يرتجزُ في أيامِ الموسمِ في هذا العامِ وهو يقولُ:

قد علِمَت ضوامرُ المطيّ ... وضُمَّراتُ عُوَّجِ القِسِيّ
أن الأميرَ بعدَه عليّ ... وفي الزبيرِ خَلَفٌ رضيّ

وطلحةُ الحامي لها ولي

فقال كعبُ الأحبارِ - وهو يسيرُ خلفَ عثمانَ: واللهِ إنَّ الأميرَ بعدَه صاحبُ البغلةِ الشهباءِ. وأشار إلى معاويةَ.

فلمَّا سمِعها معاويةُ لم يزَلْ ذلك في نفسِه حتى كان ما كان، على ما سنَذْكُرُه في موضعِه، إن شاء اللهُ، وبه الثقةُ.

قال ابنُ جرير: وفي هذه السنةِ مات أبو عبس بنُ جَبْرٍ بالمدينةِ، وهو بدريٌّ.

ومات أيضًا مِسْطَحُ بنُ أُثاثةَ، وعاقلُ بنُ البُكَيْرِ.

وحجَّ بالناسِ في هذه السنةِ عثمانُ بنُ عفانَ، رضي اللهُ تعالى عنه.

ثم دخلت سنة خمس وثلاثين
ففيها مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه

وكان السببُ في ذلك أنَّ عمرَو بنَ العاصِ حينَ عزَلَه عثمانُ عن مصرَ وولَّى عليها عبدَ اللهِ بنَ سعدِ بنِ أبي سرحٍ. وكان سببُ ذلك أنّ الخوارجَ من المصريِّين كانوا محصورين من عمرِو بنِ العاصِ، مقهورين معه لا يستطيعون أن يتكلَّموا بسوءٍ في خليفةٍ ولا أميرٍ، فما زالوا يعملونَ عليه حتى شكَوْه إلى عثمانَ؛ لينزِعَه عنهم ويولِّيَ عليهم مَن هو ألينُ منه، فلم يزَلْ ذلك دأبَهم حتى عزَلَ عَمْرًا عن الحربِ وتركَه على الصلاةِ، وولَّى على الحربِ والخراجِ عبدَ اللهِ بنَ سعدِ بنِ أبي سرحٍ، ثم سَعَوْا فيما بينَهما بالنميمةِ فوقَع بينَهما، حتى كان بينَهما كلامٌ قبيحٌ، فأرسَل عثمانُ فجمَع لابنِ أبي سرحٍ جميعَ عمالةِ مصرَ؛ خراجِها وحربِها وصلاتِها، وبعَث إلى عمرٍو يقولُ له: لا خيرَ لك في المُقامِ عندَ مَن يكرَهُك، فاقدَمْ إليَّ. فانتَقَل عمرُو بنُ العاصِ إلى المدينةِ وفي نفسِه من عثمانَ أمرٌ عظيمٌ وشرٌّ كبيرٌ، فكلَّمه فيما كان من أمرِه بنفْسٍ، وتقاوَلا في ذلك، وافتَخَر عمرُو بنُ العاصِ بأبيه على أبي عثمانَ، وأنَّه كان أعزَّ منه، فقال له عثمانُ: دَعْ هذا فإنَّه من أمرِ الجاهليةِ. وجعَل عمرُو بنُ العاصِ يؤلِّبُ الناسَ على عثمانَ. وكان بمصرَ جماعةٌ يبغَضون عثمانَ ويتكلَّمون فيه بكلامٍ قبيحٍ - على ما قدَّمنا - وينقِمون عليه في عزْلِه جماعةً من عِلْيَةِ الصحابةِ، وتوليتِه مَن دونَهم، أو مَن لا يصلُحُ عندَهم للولايةِ. وكرِهَ أهلُ مصرَ عبدَ اللهِ بنَ سعدِ بنِ أبي سرحٍ بعدَ عمرِو بنِ العاصِ، واشتَغَل عبدُ اللهِ بنُ سعدٍ عنهم بقتالِ أهلِ المغربِ، وفتحِه بلادَ البربرِ والأندلسَ وإفريقيَّةَ.

ونشَأ بمصرَ طائفةٌ من أبناءِ الصحابةِ يؤلِّبون الناسَ على حربِه والإنكارِ عليه، وكان عُظْمُ ذلك مُسْندًا إلى محمدِ بنِ أبي بكرٍ، ومحمدِ بنِ أبي حذيفةَ، حتى استَنْفَرَ نَحوًا من ستِّمائةِ راكبٍ يذهَبون إلى المدينةِ في صفةِ مُعتَمِرين في شهرِ رجبٍ؛ ليُنكِروا على عثمانَ، فساروا إليها تحتَ أربعِ رفاقٍ، وأمْرُ الجميعِ إلى أبي عمرِو بنِ بُدَيلِ بنِ ورقاءَ الخُزَاعيِّ، وعبدِ الرحمنِ بنِ عُدَيْسٍ البَلَويِّ، وكنانةَ بنِ بِشْرٍ التُّجِيبيِّ، وسُودانَ بنِ حُمْرانَ السَّكونيِّ، وأقبَل معهم محمدُ بنُ أبي بكرٍ، وأقام بمصرَ محمدُ بنُ أبي حذَيفةَ يؤلِّبُ الناسَ ويدافعُ عن هؤلاءِ، وكتَب عبدُ اللهِ بنُ سعدِ بنِ أبي سرحٍ إلى عثمانَ يعلمُه بقدومِ هؤلاءِ القومِ إلى المدينةِ مُنكِرين عليه في صفةِ مُعتَمِرين، فلمَّا اقترَبوا من المدينةِ أمَرَ عثمانُ عليَّ ابنَ أبي طالبٍ أن يخرُجَ إليهم؛ ليردَّهم إلى بلادِهم قبلَ أن يدخُلوا المدينةَ. ويقالُ: بل ندَب الناسَ إليهم، فانتَدَب عليٌّ، رضِي اللهُ عنه، لذلك فبعَثَه وخرَج معه جماعةُ الأشرافِ وأمَره أن يأخُذَ معه عمارَ بنَ ياسرٍ. فقال عليٌّ لعمارٍ فأبَى عمارٌ أن يخرُجَ معه، فبعَث عثمانُ سعدَ بنَ أبي وقَّاصٍ أن يَذْهَبَ إلى عمارٍ ليُحَرِّضَه على الخروجِ مع عليٍّ إليهم، فأبَى عمارٌ كلَّ الإباءِ، وامتَنَع أشدَّ الامتناعِ، وكان مُتَغَضِّبًا على عثمانَ بسببِ تأديبِه له على أمْرٍ، وضربِه إيَّاه في ذلك، وذلك بسببِ شَتْمِه عباسَ

ابنَ عُتْبَةَ بنِ أبي لهبٍ، فأدّبهما عثمانُ، فتآمَر عمارٌ عليه لذلك، وجعَل يحرِّضُ الناسَ عليه، فنَهَاه سعدُ بنُ أبي وقَّاصٍ عن ذلك ولامَه عليه، فلم يُقلِعْ عنه ولم يرجِعْ ولم ينزِعْ، فانطلَق عليُّ بنُ أبي طالبٍ إليهم وهم بالجُحْفَةِ، وكانوا يُعَظِّمونه ويبالِغون في أمْرِه، فردَّهم وأنَّبهم وشتَمهم، فرجَعوا على أنفسِهم بالملامةِ، وقالوا: هذا الذي تحارِبون الأميرَ بسببِه، وتحتَجُّون عليهم به. ويقالُ: إنه ناظَرهم في عثمانَ، وسألهم ماذا ينقِمون عليه؟ فذكَروا أشياءَ؛ منها أنَّه حمَى الحمَى، وأنه حرَّق المصاحفَ، وأنه أتمَّ الصلاةَ، وأنه ولَّى الأحداثَ الولاياتِ، وترَك الصحابةَ الأكابرَ، وأعطَى بني أميَّةَ أكثرَ من الناسِ، فأجاب عليٌّ عن ذلك فقال: أمَّا الحمَى فإنَّما حمَاه لإبلِ الصدقة لتَسْمَنَ، ولم يَحْمِه لإبله ولا لغنمِه، وقد حمَاه عمرُ من قبلِه، وأمَّا المصاحفُ فإنما حرَّق ما وقَع فيه اختلافٌ، وأبقَى لهم المُتَّفَقَ عليه، كما ثبَت في العرضةِ الأخيرةِ، وأمَّا إتمامُه الصلاةَ بمكةَ فإنَّه كان قد تأهَّل بها ونوَى الإقامةَ فأتمَّها، وأمَّا توليتُه الأحداثَ فلم يولِّ إلاَّ رجلاً سَويًّا عدلاً، وقد ولَّى رسولُ اللهِ ﷺ عَتَّابَ بنَ أَسِيدٍ على مكةَ وهو ابنُ عشرين سنةً، وولَّى أسامةَ بنَ زيدِ بنِ حارثةَ، وطعَن الناسُ في إمارتِه فقال: «إنَّه لخَليقٌ للإمارةِ». وأمَّا إيثارُه قومَه بني أميَّةَ فقد كان رسولُ اللهِ ﷺ يؤثِرُ قريشًا على الناسِ، ووالله لو أنَّ مفتاحَ الجنةِ بيدي لأدخلْتُ بني أميَّةَ إليها.

ويقـــالُ: إنَّهم عتَبوا عليه في عمارٍ ومحمدِ بنِ أبي بكرٍ. فذكَر عثمانُ عُذْرَه في ذلك، وأنَّه أقام فيهما ما كان يجبُ عليهما. وعتَبوا عليه في إيوائِه الحكَمَ بنَ أبي العاصِ، وقد نفاه رسولُ اللهِ ﷺ إلى الطائفِ، فذكَر أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ كان قد نفاه إلى الطائفِ ثم ردَّه، ثم نفاه إليها، قال: فقد نفاه رسولُ اللهِ ﷺ ثم ردَّه.

ورُوِي أنَّ عثمانَ خطَب الناسَ بهذا كلِّه بمحضرٍ من الصحابةِ، وجعَل يستَشْهِدُ بهم فيشهَدون له فيما فيه شهادةٌ له. ويُرْوَى أنَّهم بعَثوا طائفةً منهم فشهِدوا خطبةَ عثمانَ هذه، فلمَّا تمهَّدت الأعذارُ وانزاحَت عِلَلُهم ولم يبقَ لهم شُبْهةٌ، أشار جماعةٌ من الصحابةِ على عثمانَ بتأديبِهم، فصفَح عنهم وترَكهم، رضِي اللهُ عنه، وردَّهم إلى قومِهم، فرجَعوا خائبين من حيث أتَوْا، ولم ينالوا شيئًا ممَّا كانوا أمَّلوا وراموا. ورجَع عليٌّ إلى عثمانَ فأخبَره برجوعِهم عنه، وسماعِهم منه، وأشار على عثمانَ أن يخطُبَ الناسَ خُطبةً يعتَذِرُ إليهم فيها مما كان وقَع من الأثَرةِ لبعضِ أقاربِه، ويشهِدُهم عليه بأنَّه قد تاب من ذلك، وأناب إلى الاستمرارِ على ما كان عليه من سيرةِ الشيخَين قبلَه، وأنَّه لا يحيدُ عنها، كما كان الأمرُ أولاً في مدةِ ستِّ سنينَ الأُوَلِ، فاستَمَع عثمانُ هذه النصيحةَ وقابَلها بالسَّمعِ والطاعةِ، ولمَّا كان يومُ الجمعةِ وخطَب الناسَ، رفَع يَدَيه في أثناءِ الخُطبةِ، وقال: اللهمَّ إنِّي أستَغْفِرُك وأتوبُ إليك، اللهمَّ إنِّي أوَّلُ تائبٍ ممَّا كان منِّي. وأرسَل عينَيه بالبكاءِ فبكَى المسلمون أجمَعون، وحصَل للناسِ رِقَّةٌ شديدةٌ على إمامِهم، وأشهَد عثمانُ الناسَ على نفسِه بذلك، وأنَّه قد لزِم ما كان عليه الشيخان أبو بكرٍ وعمرُ، رضِي اللهُ عنهما، وأنه قد سبَّل بابَه لمَن أراد الدخولَ عليه، لا يمنَعُ أحدًا

من ذلك، ونزَل فصلَّى بالناسِ ثم دخَل منزلَه، وجعَل مَن أراد الدخولَ على أميرِ المؤمنين لحاجةٍ أو مسألةٍ أو سؤالٍ، لا يُمنَعُ أحدٌ من ذلك مدةً.

قال الواقديُّ: فحدَّثني عليُّ بنُ عمرَ، عن أبيه قال: ثم إنَّ عليًّا جاء عثمانَ بعدَ انصرافِ المصريين فقال له: تكلَّمْ كلامًا يسمَعُه الناسُ منك ويشهَدون عليك، ويشهَدُ اللهُ على ما في قلبِك من النزوعِ والإنابةِ؛ فإنَّ البلادَ قد تمخَّضَت عليك، ولا آمَنُ ركبًا آخرين يقدَمون من قِبَلِ الكوفة فتقولُ: يا عليُّ اركَبْ إليهم. ويقدَمُ آخرون من البصرةِ، فتقولُ: يا عليُّ اركَبْ إليهم. فإنْ لم أفعَلْ قطَعْتُ رحمَك واستخفَفْتُ بحقِّك.

قال: فخرَج عثمانُ فخطَب الخطبةَ التي نزَع فيها، وأعلَم الناسَ من نفسه التوبةَ، فقام؛ فحمِد اللهَ وأثنى عليه بما هو أهلُه، ثم قال: أمَّا بعدُ، أيُّها الناسُ، فواللهِ ما عاب مَن عاب شيئًا أجهَلُه، وما جئتُ شيئًا إلاَّ وأنا أعرِفُه، ولكن ضلَّ رُشْدي، ولقد سمِعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «مَن زلَّ فَلْيَتُبْ، ومَن أخطَأ فَلْيَتُبْ، ولا يتمادَى في الهَلَكَةِ، إنَّ مَن تمادَى في الجَوْرِ كان أبعدَ عن الطريقِ». فأنا أوَّلُ مَن اتَّعَظَ، أستغفرُ الله مما فعَلْتُ وأتوبُ إليه، فمِثْلي نزَع وتاب، فإذا نزَلْتُ فليأتِني أشرافُكم، فواللهِ لأكونَنَّ كالمَرْقوقِ، إنْ مُلِك صبَرَ، وإنْ عتَق شكَرَ، وما عن الله مذهبٌ إلاَّ إليه. قال: فرقَّ الناسُ له وبكَى مَن بكَى، وقام إليه سعيدُ بنُ زيدٍ فقال: يا أميرَ المؤمنين، اللهَ اللهَ في نفسِك! فأتمِمْ على ما قلتَ. فلمَّا انصرَف عثمانُ إلى منزلِه وجَد به جماعةً من أكابرِ الناسِ، وجاءَه مروانُ بنُ الحكمِ فقال: أتكلَّمُ يا أميرَ المؤمنين أم أصمُتُ؟ فقالت امرأةُ عثمانَ - نائلةُ بنتُ الفَرافِصةِ الكَلْبِيَّةُ - من وراءِ الحجابِ: بل اصمُتْ، فواللهِ إنَّهم لقاتِلوه، ولقد قال مقالةً لا ينبَغي له النزوعُ عنها. فقال لها: وما أنتِ وذاكِ! فواللهِ لقد مات أبوكِ وما يحسنُ يتوضَّأُ. فقالت له: دعْ ذكرَ الآباءِ. ونالَت من أبيه الحكمِ. فأعرَض عنها مروانُ، وقال لعثمانَ: يا أميرَ المؤمنين أتكلَّمُ أم أصمُتُ؟ فقال له عثمانُ: بل تكلَّمْ. فقال مروانُ: بأبي أنت وأمي، لَوَدِدْتُ أنَّ مقالتَك هذه كانت وأنت ممتنعٌ منيعٌ، فكنْتُ أوَّلَ مَن رضِي بها وأعان عليها، ولكنَّك قلتَ ما قلتَ حينَ بلَغ الحزامُ الطُّبْيَيْنِ، وخلَّف السَّيْلُ الزُّبَى، وحينَ أعطَى الخُطَّةَ الذَّليلةَ الذَّليلُ، واللهِ لإقامةٌ على خطيئةٍ يُستَغفَرُ منها، خيرٌ من توبةٍ تُخوَّفُ عليها، وإنك لو شئتَ لعزَمْتَ التوبةَ ولم تُقْرِرْ لنا بالخطيئةِ، وقد اجتَمَع إليك على البابِ مثلُ الجبالِ من الناسِ. فقال عثمانُ: فاخرُجْ إليهم فكلِّمْهم، فإني أستَحيي أن أكلِّمَهم. قال: فخرَج مروانُ إلى البابِ والناسُ يركَبُ بعضُهم بعضًا، فقال: ما شأنُكم؟ كأنَّكم قد جئتُم لنَهْبٍ، شاهَت الوُجوهُ! كلُّ إنسانٍ آخذٌ بأُذُنِ صاحبِه، ألا مَن أُريدَ؟ جئتُم تريدون أن تنزِعوا مُلْكَنا من أيدينا، اخرُجوا عنَّا، أمَا واللهِ لئن رُمْتُمونا لَيَمُرَّنَّ عليكم أمرٌ يَسوءُكم ولا تَحْمَدوا غِبَّه، ارجِعوا إلى منازلِكم، فواللهِ ما نحن مَغْلوبين على ما بأيدينا.

قال: فرجَع الناسُ، وخرَج بعضُهم حتى أتى عليًّا فأخبَره الخبرَ، فجاء عليٌّ مغضَبًا حتى دخَل على عثمانَ فقال: أمَا رضيتَ من مروانَ ولا رضِي منك إلاَّ بتحويلِك عن دينِك وعقلِك، وإنَّ مَثَلك مَثَلُ جملِ الظَّعينةِ سار حيث يسارُ به، واللهِ ما مروانُ بذي رأيٍ في دينِه ولا نفسِه، وايمُ اللهِ، إني لأراه سيورِدُك ثم لا يُصْدِرُك، وما أنا بعائدٍ بعدَ مُقامي هذا لمُعاتَبتِك، أذهَبْتَ شرفَك، وغُلِبْتَ على أمرِك. فلمَّا خرَج عليٌّ

دَخَلَت نائلةُ على عثمانَ فقالت: أتكلَّمُ أو أسكُتُ؟ فقال: تكلَّمي. فقالت: سمعتُ قولَ عليٍّ أنَّه ليس يعاودُك، وقد أطعْتَ مروانَ حيثُ شاء. قال: فما أصنَعُ؟ قالت: تتَّقِي اللهَ وحدَه لا شريكَ له، وتتَّبِعُ سُنَّةَ صاحِبَيك مِن قبلِك، فإنَّك متى أطعْتَ مروانَ قتَلَك، ومروانُ ليس له عندَ اللهِ قدرٌ ولا هَيبةٌ ولا محبَّةٌ، فأرسِلْ إلى عليٍّ فاستَصْلِحْه، فإنَّ له قرابةً منك وهو لا يُعْصَى. قال: فأرسَلَ عثمانُ إلى عليٍّ فأبَى أن يأتِيَه، وقال: لقد أعلَمْتُه أنِّي لستُ بعائدٍ. قال: وبلَغ مروانَ قولُ نائلةَ فيه، فجاء إلى عثمانَ فقال: أتكلَّمُ أو أسكُتُ؟ فقال: تكلَّمْ. فقال: إنَّ نائلةَ بنتَ الفَرافصَة. فقال عثمانُ: لا تذكُرْها بحرفٍ فأَسُوءَ لك وجهَك، فهي واللهِ أنصَحُ لي منك. قال: فكَفَّ مروانُ[1].

ذِكرُ مَجيءِ الأحزابِ إلى عثمانَ للمرَّةِ الثانيةِ مِن مصرَ وغيرِها في شوالٍ مِن هذه السنةِ

وسببُ ذلك أنَّ أهلَ الأمصارِ لَمَّا بلَغهم خبرُ مَرْوانَ وغضَبُ عليٍّ على عثمانَ بسببِه، ووَجَدوا الأمرَ على ما كان عليه لم يتغيَّرْ، وتكاتَب أهلُ مصرَ وأهلُ الكوفةِ وأهلُ البصرةِ وتراسَلوا، وزُوِّرت كتبٌ على لسانِ الصحابةِ الذين بالمدينةِ، وعلى لسانِ عليٍّ وطلحةَ والزبيرِ، يدعُون الناسَ إلى قتالِ عثمانَ ونصرِ الدِّينِ، وأنَّه أكبرُ الجهادِ اليومَ.

وقال سيفُ بنُ عمرَ التميميُّ[2]، عن محمدٍ وطلحةَ وأبي حارثةَ وأبي عثمانَ - وقاله غيرُهم أيضًا - قالوا: لَمَّا كان في شوالٍ سنةَ خمسٍ وثلاثين، خرَج أهلُ مصرَ في أربعِ رِفاقٍ على أربعةِ أمراءَ؛ المُقلِّلُ لهم يقولُ: ستُّمائةٍ. والمُكثِّرُ يقولُ: ألفٌ. على الرِّفاقِ عبدُ الرحمنِ بنُ عُدَيسٍ البَلَوِيُّ، وكِنانةُ بنُ بِشرٍ التُّجِيبيُّ، وعُروةُ بنُ شِيَيمٍ اللَّيثيُّ، وسَوْدَانُ بنُ حُمْرانَ السَّكُونيُّ، وقُتَيرةُ السَّكُونيُّ، وعلى القومِ جميعًا الغافقيُّ بنُ حَرْبٍ العَكِّيُّ وخرَجوا فيما يُظهِرون للناسِ حُجَّاجًا، ومعهم ابنُ السوداءِ، وكان أصلُه ذمِّيًّا، فأظهَر الإسلامَ وأحدَث بِدَعًا قَوليَّةً وفِعْليَّةً - قبَّحه اللهُ - وخرَج أهلُ الكوفةِ في أربعِ رِفاقٍ، وأمراؤُهم؛ زيدُ بنُ صُوحَانَ، والأشترُ النَّخَعيُّ، وزيادُ بنُ النضرِ الحارثيُّ، وعبدُ اللهِ بنُ الأصمِّ، وعلى الجميعِ عمرُو بنُ الأصمِّ. وخرَج أهلُ البصرةِ أيضًا في أربعِ راياتٍ مع حُكَيمِ بنِ جَبَلةَ العبديِّ، وبشرِ بنِ شريحِ بنِ ضُبَيعةَ القيسيِّ، وذَرِيحِ بنِ عَبَّادٍ العبديِّ، وابنِ مُحَرِّشٍ الحنفيِّ، وعليهم كلِّهم حُرْقُوصُ بنُ زُهَيرٍ السَّعْديُّ. وأهلُ مصرَ مُصِرُّون على ولايةِ عليٍّ ابنِ أبي طالبٍ، وأهلُ الكوفةِ عازِمون على تأميرِ الزُّبيرِ، وأهلُ البصرةِ مُصَمِّمون على توليةِ طلحةَ. لا تَشُكُّ كلُّ فرقةٍ أنَّ أمرَها سيتمُّ، فسار كلُّ طائفةٍ مِن بلدِهم حتى تَوافَوا حولَ المدينةِ - كما تواعَدوا في كتبِهم - في شهرِ شوالٍ فنزَل طائفةٌ منهم بذي خُشُبٍ، وطائفةٌ بالأعْوَصِ، والجمهورُ بذي المَرْوَةِ، وهم على وَجَلٍ مِن أهلِ المدينةِ، فبعَثوا قُصَّادًا وعُيونًا بينَ أيديهم؛ ليَختَبِروا الناسَ ويخبِروهم أنَّهم إنَّما جاءُوا للحجِّ لا لغيرِه، ولِيَسْتَعْفُوا هذا الواليَ مِن بعضِ عمالِه، ما جِئْنا إلَّا لذلك، واستأْذَنوا في الدخولِ، فكلُّ

---

(١) في إسناد هذا الكلام الواقدي وهو متروك.

(٢) في إسناد هذا سيف بن عمر التميمي الكذاب.

الناسِ أبَىٰ دخولَهم ونهىٰ عنه، فتجاسَروا واقترَبوا مِن المدينة. وجاءَت طائفةٌ مِن المصريين إلى عليٍّ وهو في عسكرٍ عندَ أحْجارِ الزّيت، عليه حُلَّةُ أفواف، مُعْتَمٌّ بشقيقةٍ حمراءَ يمانيَة، مُتَقَلِّدٌ السيفَ، وليس عليه قميصٌ، وقد سرَّحَ ابنَه الحسنَ إلى عثمانَ في مَن اجتَمع إليه، فسلَّم عليه المصريون فصاح بهم وأطْرَدهم وقال: لقد علِم الصالحون أنَّ جيشَ ذي المَرْوةِ وذي خُشُبٍ ملعونون على لسانِ محمدٍ ﷺ، فارْجِعوا لا صبَّحكم اللهُ. قالوا: نعم. وانصرَفوا مِن عنده على ذلك، وأتىٰ البصريّون طلحةَ وهو في جماعةٍ أُخرىٰ إلى جنبِ عليٍّ - وقد أرْسَل ابنَيْه إلى عثمانَ - فسلَّموا عليه، فصاح بهم وأطْرَدهم وقال لهم كما قال عليٌّ لأهلِ مصرَ، وكذلك كان ردُّ الزُّبيرِ على أهلِ الكوفة. فرجَع كلُّ فريقٍ منهم إلى قومهم، وأظهَروا للناسِ أنَّهم راجِعون إلى بلدانِهم، وساروا أيّامًا راجِعين، ثم كرُّوا عائدين إلى المدينة، فما كان غيرُ قليلٍ حتى سمع أهلُ المدينةِ التكبيرَ، وإذا القومُ قد زحَفوا على المدينةِ وأحاطوا بها، وجمهورُهم عندَ دارِ عثمانَ بنِ عفانَ، وقالوا للناسِ: مَن كَفَّ يدَه فهو آمِنٌ. فكَفَّ الناسُ ولزِموا بُيوتَهم، وأقام الناسُ على ذلك أيّامًا. هذا كلُّه ولا يدري الناسُ ما القومُ صانعون ولا على ما هم عازمون، وفي كلِّ ذلك وأميرُ المؤمنين عثمانُ بنُ عفانَ يخرُجُ مِن دارِه فيُصَلِّي بالناسِ، فيُصلِّي وراءَه أهلُ المدينةِ وأولئكَ الآخَرُون، وذهَب الصحابةُ إلى هؤلاءِ يُؤَنِّبُونَهم ويَعذِلُونهم على رجوعِهم، حتى قال عليٌّ لأهلِ مصرَ: ما ردَّكم بعدَ ذَهابِكم ورجوعِكم عن رأيِكم؟ فقالوا: وجَدنا مع بريدٍ كتابًا بقتلِنا. وكذلك قال البصريُّون لطلحةَ، والكوفيّون للزبير. وقال أهلُ كلِّ مصرٍ: إنَّما جئْنا لننصُرَ أصحابَنا. فقال لهم الصحابةُ: كيف علِمْتم بذلك مِن أصحابِكم وقد افترَقْتم وصار بينَكم مراحِلُ؟ إنَّما هذا أمرٌ اتفَقْتُم عليه. فقالوا: ضعُوه على ما أرَدْتم، لا حاجةَ لنا في هذا الرجلِ، ليَعْتَزِلْنا ونحن نعتزِلُه. يعنُون أنَّه إن نزَل عن الخلافةِ ترَكُوه آمنًا.

وكان المصريُّونَ فيما ذكَر - لمَّا رجَعُوا إلى بلادِهم وجَدوا في الطريقِ بريدًا يسيرُ، فأخَذوه ففتَّشُوه، فإذا معه في إداوةٍ كتابٌ على لسانِ عثمانَ، فيه الأمرُ بقتْلِ طائفةٍ منهم، وبصَلْبِ آخَرين، وبقطعِ أيدي آخَرين منهم وأرْجُلِهم. وكان على الكتابِ طابَعٌ بخاتَمِ عثمانَ، والبريدُ أحدُ غلمانِ عثمانَ، وعلَى جملِ عثمانَ، فلمَّا رجَعوا جاءُوا بالكتابِ وداروا به على الناسِ، فكلَّم الناسُ أميرَ المؤمنين في ذلك، فقال: بيِّنةٌ علي بذلك، وإلاَّ فوالله لا كتَبتُ ولا أملَيتُ، ولا دَريتُ بشيءٍ مِن ذلك، والخاتَمُ قد يُزَوَّرُ على الخاتَم. فصدَّقه الصادقون في ذلك، وكذَّبه الكاذبون. ويُقالُ: إنَّ أهلَ مصرَ كانوا قد سألوا مِن عثمانَ أن يعزِلَ عنهم ابنَ أبي سَرْحٍ ويولِّيَ محمدَ ابنَ أبي بكرٍ، فأجابَهم إلى ذلك، فلمَّا رجَعوا وجَدوا ذلك البريدَ ومعه الكتابُ بقتْلِ محمدِ بنِ أبي بكرٍ وآخَرين معه، فرجَعوا، وقد حَنِقوا عليه حَنَقًا شديدًا، وطافوا بالكتابِ على الناسِ، فدخَل ذلك في أذهانِ كثيرٍ مِن الناسِ[1].

وروَىٰ ابنُ جريرٍ، مِن طريقِ محمدِ بنِ إسحاقَ، عن عمِّه عبدِ الرحمنِ بنِ يَسَارٍ، أنَّ الذي كان معه هذه الرسالةُ مِن جهةِ عثمانَ إلى مِصْرَ أبو الأعْوَرِ السُّلَميُّ، على جملٍ لعثمانَ. وذكَرَ ابنُ جريرٍ مِن هذه الطريقِ

(١) لم يذكر عبد الرحمن بن يسار من أخبره أن الرسالة كانت محمولة مع هذا االرجل، وانظر كلام المؤلف الآتي.

أنَّ الصحابةَ كتَبوا إلى الآفاقِ من المدينة يأمُرون الناسَ بالقدومِ على عثمانَ ليُقاتلوه. وهذا كذبٌ على الصحابة، وإنَّما كُتِبَتْ كُتُبٌ مزوَّرةٌ عليهم، كما كتبوا من جهةِ عليٍّ وطلحةَ والزُّبيرِ إلى الخوارجِ كُتُبًا مزوَّرةً عليهم أنْكَروها، وهكذا زُوِّرَ هذا الكتابُ على عثمانَ أيضًا، فإنَّه لم يأمُرْ به ولم يعلَمْ به أيضًا.

واستمَرَّ عثمانُ يُصلِّي بالناسِ في تلك الأيامِ كلِّها، وهم أحقرُ في عينِه من التراب، فلمَّا كان في بعضِ الجُمُعاتِ وقام على المِنْبَرِ، وفي يدِه العصا التي كان يعتَمِدُ عليها رسولُ الله ﷺ في خُطْبَتِه، وكذلك أبو بكرٍ وعمرُ، رضي اللهُ عنهما، من بعدِه، فقام إليه رجلٌ من أولئكَ فسبَّه ونال منه، وأنزلَه عن المِنْبَرِ، فطمع الناسُ فيه من يومئذٍ، كما قال الواقديُّ: حدَّثني أسامةُ بنُ زيدٍ، عن يحيى بنِ عبدِ الرحمنِ بنِ حاطبٍ، عن أبيه قال: بينا أنا أنظُرُ إلى عثمانَ يخطُبُ على عصا النبيِّ ﷺ التي كان يخطُبُ عليها وأبو بكرٍ وعمرُ، فقال له جَهْجَاهٌ: قُمْ يا نَعْثَلُ فانزِلْ عن هذا المِنْبَرِ. وأخَذ العصا فكسَرها على ركبتِه اليُمْنَى فدخلَتْ شَظِيَّةٌ منها فيها، فبقي الجرحُ حتى أصابَته الأَكَلَةُ فرأيتُها تَدُودُ، فنزَل عثمانُ وحَمَلوه وأمَر بالعصا فشدُّوها، فكانت مضبَّبَةً، فما خرَج بعدَ ذلك اليومِ إلاَّ خَرْجةً أو خَرْجَتَيْن، حتى حُصِرَ فقُتِل[1].

قال ابنُ جرير: حدَّثني أحمدُ بنُ إبراهيمَ، ثنا عبدُ اللهِ بنُ إدريسَ، عن عبيدِ اللهِ بنِ عمرَ، عن نافعٍ أنَّ جَهْجَاهًا الغفاريَّ أخَذ عصًا كانت في يدِ عثمانَ فكسرَها على ركبتِه، فرُمِيَ في ذلك المكانِ بأَكَلَةٍ[2].

وقال الواقديُّ: وحدَّثني ابنُ أبي الزِّنادِ، عن موسى بنِ عُقْبَةَ، عن أبي حبيبةَ قال: خطَب عثمانُ الناسَ في بعضِ أيامِه فقال عمرُو بنُ العاصِ: يا أميرَ المؤمنين، إنَّك قد ركِبتَ نهابيرَ وركِبناها معك، فتُبْ نتُبْ. فاستقبَل عثمانُ القبلةَ وشهَر يدَيْه، قال أبو حبيبةَ: فلم أرَ يومًا أكثرَ باكيًا ولا باكيةً من يومئذٍ. ثم لمَّا كان بعدَ ذلك خطَب الناس، فقام إليه جَهْجَاهٌ الغفاريُّ فصاح: يا عثمانُ ألا إنَّ هذه شارفٌ قد جئْنا بها عليها عَباءةٌ وجامعةٌ، فانزِلْ فلْنُدْرِجْك في العباءةِ، ولْنَطْرَحْك في الجامعةِ، ولْنَحْمِلْك على الشارفِ ثم نطرَحْك في جبلِ الدخَانِ. فقال عثمانُ: قبَّحك اللهُ وقبَّح ما جئتَ به. ثم نزَل عثمانُ. قال أبو حبيبةَ: وكان آخرَ يومٍ رأيتُه فيه[3].

وقال الواقديُّ: حدَّثني أبو بكرٍ ابنُ إسماعيلَ، عن أبيه، عن عامرِ بنِ سعدٍ قال: كان أوَّلَ مَن اجترَأ على عثمانَ بالمَنْطِقِ السيِّئِ جَبَلَةُ بنُ عمرٍو الساعديُّ، مرَّ به عثمانُ وهو في نادي قومِه، وفي يدِ جبَلَةَ جامعةٌ، فلمَّا مرَّ عثمانُ سلَّم فردَّ القومُ، فقال جبلةُ: لِمَ تردُّون عليه؟ رجلٌ قال كذا وكذا. ثم أقبَل على عثمانَ فقال: واللهِ لأَطْرَحَنَّ هذه الجامعةَ في عُنُقِك أو لَتَتْرُكَنَّ بطانتَك هذه. فقال عثمانُ: أيُّ بطانةٍ! فواللهِ إنِّي لأتخيَّرُ الناسَ. فقال: مروانَ تخيَّرتَه! ومعاويةَ تخيَّرتَه! وعبدَ اللهِ بنَ عامرِ بنِ كُرَيْزٍ تخيَّرتَه! وعبدَ اللهِ بنَ سعدِ بنِ أبي سَرْحٍ تخيَّرتَه! منهم مَن نزَل القرآنُ بدَمِه، وأباحَ رسولُ اللهِ ﷺ

(١) خبر تالف لحال الواقدي فإنه متروك.

(٢) في إسناده أحمد بن إبراهيم لم أستطع تحديده.

(٣) في إسناده الواقدي وهو متروك.

دمَه. قال: فانصرَف عثمان فما زال الناسُ مجترئين عليه إلى هذا اليوم.

قال الواقديُّ: وحدثني محمدُ بنُ صالحٍ، عن عبيدِ اللهِ بنِ رافعِ بنِ نُقاخةَ، عن عثمانَ بنِ الشَّريدِ قال: مرَّ عثمانُ على جَبَلَةَ بنِ عمرٍو السَّاعديِّ وهو بفناءِ دارِه، ومعه جامعةٌ، فقال: يا نعثلُ، واللهِ لأقتُلَنَّك ولأحمِلَنَّك على قَلوصٍ جرباءَ، ولأُخرجَنَّك إلى حرَّةِ النارِ. ثم جاءه مرَّةً أُخرى وعثمانُ على المِنْبرِ فأنزَله عنه[1].

وذكَر سيفُ بنُ عمرَ[2] أنَّ عثمانَ بعدَ أن صلَّى بالناسِ يومَ الجمعةِ صعد المنبرَ فخطَبهم أيضًا، فقال في خُطبتِه: يا هؤلاءِ العِدا اللهَ اللهَ! فواللهِ إنَّ أهلَ المدينةِ لَيَعْلَمون أنَّكم ملعونون على لسانِ محمدٍ ﷺ، فامْحُوا الخطأَ بالصوابِ، فإنَّ اللهَ لا يَمْحُو السيِّئَ إلا بالحسنِ. فقام محمدُ بنُ مسلمةَ فقال: أنا أشهَدُ بذلك. فأخَذه حُكَيمُ بنُ جَبَلَةَ فأقعَده، فقام زيدُ بنُ ثابتٍ فقال: إنَّه في الكتابِ. فثار إليه من ناحيةٍ أُخرى محمدُ ابنُ أبي قُتَيْرَةَ فأقعَده وقال فأفظَع، وثار القومُ بأجْمَعِهم فحصَبوا الناسَ حتى أخرَجُوهم من المسجدِ، وحصَبوا عثمانَ حتى صُرِع من المنبرِ مغشيًّا عليه، فاحتُمِل وأُدْخِل دارَه، وكان المصريُّون لا يطمَعُون في أحدٍ من الناسِ أن يساعدَهم إلا محمدَ بنَ أبي بكرٍ، ومحمدَ ابنَ جعفرٍ وعمَّارَ بنَ ياسرٍ. وأقبَل عليٌّ وطلحةُ والزُّبيرُ إلى عثمانَ في أناسٍ يَعُودُونه ويشكُون إليه بثَّهم وما حَلَّ بالناسِ، ثم رجَعوا إلى منازلِهم، واستَقتَل جماعةٌ من الصحابةِ؛ منهم أبو هريرةَ، وابنُ عمرَ، وزيدُ بنُ ثابتٍ، في المحاربةِ عن عثمانَ، فبعَث إليهم يُقْسِمُ عليهم لما كفُّوا أيديَهم وسكَنُوا حتى يقضيَ اللهُ ما يشاءُ.

صفة حصر أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه

لمَّا وقَع ما وقَع يومَ الجمعةِ، وشُجَّ أميرُ المؤمنين عثمانُ وهو في رأسِ المِنْبَرِ، وسقَط مَغْشيًّا عليه، واحتُمِل إلى دارِه، تَفاقَم الأمرُ، وطمع فيه أولئك الأجلافُ الأخلاطُ من الناسِ، وألجَئوه إلى دارِه وضيَّقوا عليه، وأحاطُوا بها مُحاصِرين له، ولزِم كثيرٌ من الصحابةِ بيوتَهم، وسار إليه جماعةٌ من أبناءِ الصحابةِ عن أمرِ آبائِهم؛ منهم الحسنُ والحسينُ، وعبدُ اللهِ بنُ الزُّبيرِ - وكان أميرَ الدارِ - وعبدُ اللهِ بنُ عمرَ، وصاروا يُجاحفون عنه، ويُناضِلون دونَه أن يَصِلَ إليه أحدٌ منهم، وأسلَمه بعضُ الناسِ رَجاءَ أن يُجيبَ أولئكَ إلى واحدةٍ ممَّا سألوا، فإنَّهم كانوا قد طلَبوا منه إمَّا أن يَعزِلَ نفسَه أو يُسلمَ إليهم مَرْوانَ بنَ الحَكَمِ، ولم يَقَعْ في خَلَدِ أحدٍ أنَّه يُقتَلُ، إلا ما كان في نفسِ أولئك الخارجين عليه. وانقَطَع عثمانُ عن المسجدِ، فكان لا يَخرُجُ إليه إلا قليلاً في أوائلِ الأمرِ، ثم انقطَع بالكُلِّيَّةِ في آخرِه، وكان يُصلِّي بالناسِ في هذه الأيامِ الغافقيُّ بنُ حَرْبٍ. وقد استمَرَّ الحَصْرُ أكثرَ من شهرٍ. وقيل: أربعين

(١) في إسناده هو والذي قبله الواقدي.

(٢) في إسناده سيف بن عمر التميمي واتهم بوضع الحديث.

يومًا. حتى كان آخرُ ذلك أن قُتل شهيدًا، رضي اللهُ عنه، على ما سنُبيِّنه إن شاء اللهُ تعالى. والذي ذكَره ابنُ جَرير أنَّ الذي كان يُصلِّي بالناس في هذه المدة وعثمانُ محصورٌ طلحةُ بنُ عبيد الله. وروَى الواقديُّ أنَّ عليًّا صلَّى بالناس أيضًا، وصلَّى أبو أيوبَ، وصلَّى بهم سهلُ بنُ حُنَيف، وكان يُجَمِّعُ بهم عليٌّ، وهو الذي صلَّى بهم بعدُ. وقد خاطَب الناسَ في غُبونِ ذلك بأشياءَ، وجَرَتْ أُمورٌ سنُورِدُ منها ما تيسَّر. وبالله المُستعانُ.

قال الإمامُ أحمدُ: حدَّثنا بَهْزٌ، ثنا أبو عَوانةَ، ثنا حُصَيْنٌ، عن عمرِو بنِ جاوانَ قال: قال الأحنفُ: انطلَقْنا حُجَّاجًا فمرَرْنا بالمدينة، فبينَما نحن في منزلِنا إذ جاءَنا آتٍ فقال: الناسُ في المسجد. فانطلَقْتُ أنا وصاحبي، فإذا الناسُ مُجتمِعون على نفرٍ في المسجد، قال: فتَخَلَّلْتُهم حتى قُمتُ عليهم، فإذا عليُّ بنُ أبي طالبٍ والزُّبيرُ وطَلحةُ وسعدُ بنُ أبي وقاصٍ، قال: فلم يكنْ ذلك بأسرَعَ من أن جاء عثمانُ يمشي، فقال: ههنا عليٌّ؟ قالوا: نعم. قال: أههُنا الزُّبيرُ؟ قالوا: نعم. قال: أههُنا طَلحةُ؟ قالوا: نعم. قال: أههُنا سعدٌ؟ قالوا: نعم، قال: أَنْشُدُكم باللهِ الذي لا إلهَ إلاَّ هو، أتعلَمون أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «مَن يبتاعُ مِرْبَدَ بني فلانٍ غفَرَ اللهُ له». فابْتَعْتُه فأتيتُ رسولَ الله ﷺ فقلتُ: إنِّي قد ابْتَعْتُه. فقال: «اجعَلْه في مسجدِنا وأجرُه لك»؟ قالوا: نعم. قال: أَنْشُدُكم باللهِ الذي لا إلهَ إلاَّ هو، أتعلَمون أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «مَن يبْتاعُ بئرَ رُومةَ؟». فابْتَعْتُها بكذا وكذا، فأتيتُ رسولَ الله ﷺ فقلتُ: إنِّي ابْتَعْتُها - يَعْني بئرَ رُومةَ - فقال: «اجْعَلْها سِقايةً للمسلمين ولك أجرُها»؟ قالوا: نعم. قال: أَنْشُدُكم باللهِ الذي لا إلهَ إلاَّ هو، أتعلَمون أنَّ رسولَ الله ﷺ نظَر في وُجوهِ القوم يومَ جيشِ العُسْرَة فقال: «مَنْ يُجهِّزُ هؤلاءِ غفَرَ اللهُ له». فجهَّزْتُهم حتى ما يَفقِدُون خِطامًا ولا عِقالاً؟ قالوا: اللهمَّ نعم. فقال: اللَّهمَّ اشهَدْ، اللهمَّ اشهَدْ، اللهمَّ اشهَدْ. ثم انصرَف. ورَواه النَّسائيُّ مِن حديثِ حُصَيْنٍ، وعندَه: إذ جاء عثمانُ وعليه مُلاءةٌ صفراءُ[1].

طريقٌ أُخْرَى: قال عبدُ الله بنُ أحمدَ: حَدَّثني عُبَيْدُ الله بنُ عمرَ القَوارِيريُّ، حدَّثني القاسمُ بنُ

---

(١) **صحيح لطرقه:** أخرجه أحمد (١/ ٧٠) والنسائي (٣٦٠٨-٣٦٠٩) عن سلمان التيمي. كلاهما (سليمان وأبو عوانة) عن جهين بن عبد الرحمن به وهذا إسنادٌ ضعيف من أجل جهالة عمرو بن جاوية قال الذهبي في «الميزان» (٣/ ٢٥٠) لا يعرف ولكن له طريق آخر عن عثمان أخرجه عبد اللّٰه في «زوائد المسند» (١/ ٧٤-٧٥) عن محمد بن أبي بكر بن علي المقدمي حدثنا محمد بن عبد اللّٰه الأنصاري عن هلال بن حق عن الجريري عن ثمامة بن حزن القشيري قال: شهدت الدار يوم أصيب عثمان... فذكره ورجاله ثقات إلا هلال بن حق قد روىٰ عنه جمع فإسناده حسن إن شاء اللّٰه.

وله شاهد آخر أخرجه أحمد (١/ ٥٩) عن أبي قطن حدثنا يونس بن أبي إسحاق عن أبيه عن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال: «أشرف عثمان» من القصر فذكره. ورجاله ثقات.

وله طريق آخر أخرجه النسائي أخبرني محمد بن وهب قال: حدثني محمد بن سلمة قال: حدثني أبو عبد الرحيم قال: حدثني زيد بن أبي أنيسة عن أبي إسحاق عن أبي عبد الرحمن السلمي قال: «لما حصر عثمان في داره...» فذكره.

فالحديث بتلك الشواهد لا يقل عن الصحيح لطرقه وسيشير المؤلف رحمه اللّٰه إلىٰ بعض ما أوردناه في التخريج وله طرق أخرىٰ.

الحكم بن أوس الأنصاريُّ، حدثني أبو عُبادة الزُّرَقيُّ الأنصاريُّ، من أهل المدينة، عن زيد بن أسلمَ، عن أبيه قال: شهدتُ عثمانَ يومَ حُصِرَ في موضع الجنائز، ولو أُلقي حجرٌ لم يقعْ إلا على رأس رجلٍ، فرأيتُ عثمانَ أشرف من الخَوخَة التي تلي مَقامَ جبريلَ، فقال: أيُّها الناسُ، أفيكم طلحةُ؟ فسكتُوا. ثم قال: أيُّها الناسُ، أفيكم طَلحةُ؟ فسكتُوا. ثم قال: أيُّها الناسُ، أفيكم طلحةُ؟ فقام طَلحةُ ابنُ عُبيدِ الله، فقال له عثمانُ: ألا أراكَ ههنا؟ ما كنتُ أرَىٰ أنَّك: تكونُ في جماعةِ قومٍ تسمعُ ندائي آخرَ ثلاث مراتٍ ثم لا تُجيبُني، أنْشُدُكَ اللهَ يا طلحةُ، تذكُرُ يومَ كنُت أنا وأنتَ مع رسول الله ﷺ في موضع كذا وكذا، ليس معه أحدٌ من أصحابِه غيري وغيرُك - فقال: نعم - فقال لك رسولُ الله ﷺ: «يا طلحةُ إنَّه ليس من نبيٍّ إلاَّ ومعه من أصحابه رفيقٌ من أُمَّته معه في الجنة، وإنَّ عثمان بنَ عفانَ هذا - يَعْنِيني - رَفيقي في الجنة»؟ فقال طلحةُ: اللهمَّ نعم. ثم انصرفَ. لم يُخرجُوه[1].

طريقٌ أُخرَىٰ: قال عبدُ الله بنُ أحمدَ: حدثنا محمدُ بنُ أبي بكرٍ المُقَدَّميُّ، ثنا محمدُ بنُ عبد الله الأنصاريُّ، ثنا هلالُ بنُ حقٍّ، عن الجُرَيْريِّ، عن ثُمامةَ بن حَزْنٍ القُشَيْريِّ، قال: شهدتُ الدارَ يومَ أُصيبَ عثمانُ، فاطَّلعَ عليهم اطِّلاعةً، فقال: ادعُوا لي صاحبَيْكم اللذَيْن ألَّباكم عليَّ. فدُعيا له، فقال: أنشُدُكما اللهَ، أتعلَمان أنَّ رسولَ الله ﷺ لمَّا قدِم المدينةَ ضاقَ المسجدُ بأهله، فقال: «مَن يَشتري هذه البُقعة من خالص ماله فيكونَ فيها كالمسلمين، وله خيرٌ منها في الجنة؟». فاشتريْتُها من خالصِ مالي فجعلْتُها بينَ المسلمين، وأنتم تَمنَعوني أن أُصلِّيَ فيه ركْعتَين! ثم قال: أنشُدُكم اللهَ، أتعلَمون أنَّ رسولَ الله ﷺ لمَّا قدِمَ المدينةَ لم يكنْ فيها بئرٌ يُستعْذَبُ منه إلا رُومةَ، فقال رسولُ الله ﷺ: «مَن يشْتَريها من خالص ماله فيكونَ دَلْوُه فيها كدلاء المسلمين، وله خيرٌ منها في الجنة؟». فاشتريْتُها من خالصِ مالي، وأنتم تَمنَعوني أن أشربَ منها! ثمَ قال: هل تعلَمون أنِّي صاحبُ جَيشِ العُسْرة؟ قالوا: اللهمَّ نعم. وقد رواه الترمذيُّ عن عبد الله بن عبد الرحمن الدارميِّ وعباسٍ الدُّوريِّ وغير واحدٍ. وأخرجه النسائيُّ، عن زياد بن أيُّوبَ. كلُّهم عن سعيد بن عامرٍ، عن يَحْيَىٰ بن أبي الحَجَّاج المِنْقَريِّ، عن سعيدٍ الجُرَيْريِّ به. وقال الترمذيُّ: حسن[2].

طريقٌ أُخرَىٰ: قال الإمامُ أحمدُ: حدثنا عبدُ الصَّمد، ثنا القاسمُ - يعني ابنَ الفضْل - ثنا عمرُو بنُ مُرَّةَ، عن سالم بن أبي الجَعْد قال: دعا عثمانُ رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ، فيهم عمارُ بنُ ياسرٍ، فقال: إنِّي سائلُكم وإنِّي أُحبُّ أن تَصدُقُوني، نَشَدْتُكم اللهَ، أتعلَمون أنَّ رسولَ الله ﷺ كان يُؤثِرُ قُريشًا على سائر الناسِ، ويُؤثِرُ بني هاشمٍ على سائر قريشٍ؟ فسكَتَ القومُ، فقال عثمانُ: لو أنَّ بيدي مَفاتيحَ الجنَّة لأعْطَيْتُها بني أُمَيَّةَ حتى يَدْخُلوا من عند آخرهم. فبعَث إلى طَلحةَ

---

(۱) **إسناده ضعيف جدًا**: أخرجه عبد الله بن أحمد في «زوائد المسند» (۱/ ۷٤) والقاسم بن الحكم لينه الحافظ في «التقريب» وقال أبو حاتم: مجهول، وأبو عبادة الزرقي واسمه عيسى بن عبد الرحمن بن فروة متروك ولذا أورد ابن الجوزي في «العلل المتناهية» (۱/ ۲۰۵) هذا حديث لا يصح.

(۲) تقدم قبل تعليق وإسناده حسن.

والزُّبيرِ، فقال عثمانُ: ألاَ أُحَدِّثُكما عنه - يعني عَمّاراً - أقبلْتُ مع رسولِ الله ﷺ آخذا بيدي نَتَمشَّىٰ في البَطْحاء حتى أتَىٰ علىٰ أبيه وأمِّه وعليه يُعذَّبون، فقال أبو عمارٍ: يا رسولَ الله، الدهرَ هكذا؟ فقال له النبيُّ ﷺ: «اصْبِرْ». ثم قال: «اللهمَّ اغفرْ لآلِ ياسرٍ وقد فَعَلْتَ». تفرَّد به أحمدُ، ولم يُخَرِّجْه أحَدٌ مِن أصحابِ الكُتُبِ(١).

طريقٌ أُخْرَى: قال الإمامُ أحمدُ: حدَّثنا إسحاقُ بنُ سليمانَ، سمعتُ مُغيرَةَ بنَ مسلمٍ أبا سَلَمةَ يَذكُرُ عن مَطَرٍ، عن نافعٍ، عن ابنِ عمرَ، أنَّ عثمانَ أشْرَفَ علىٰ أصحابِه وهو محصورٌ، فقال: عَلامَ تَقتُلوني؟ فإنِّي سَمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «لا يَحِلُّ دمُ امرئٍ مُسلمٍ إلا بإحدَى ثلاث؛ رجلٌ زنَى بعد إحصانه فعليه الرجمُ، أو قَتَل عَمْدًا فعليه القَوَدُ، أو ارْتَدَّ بعدَ إسلامه فعليه القَتْلُ». فوالله ما زَنَيتُ في جاهليةٍ ولا إسلامٍ، ولا قتلتُ أحدًا فأُقيدَ نفسِي منه، ولا ارْتَدَدْتُ منذ أسلَمْتُ؛ إنِّي أشهدُ أن لا إلهَ إلاَّ اللهُ، وأنَّ محمداً عبدُه ورسولُه. ورَواه النسائيُّ، عن أحمدَ بنِ الأزهرِ، عن إسحاقَ بنِ سليمانَ به(٢).

طريقٌ أُخْرَى: قال الإمامُ أحمدُ: حدَّثنا عفانُ، ثنا حمادُ بنُ زيدٍ، ثنا يَحْيَىٰ بنُ سعيدٍ، عن أبي أمامةَ بنِ سهلِ بنِ حنيفٍ قال: كنتُ مع عثمانَ في الدارِ وهو محصورٌ، قال: وكنَّا ندخُلُ مَدْخلاً إذا دَخَلْناه سمعْنا كَلامَ من علىٰ البِلاطِ، قال: فدخَل عثمانُ يومًا لحاجةٍ، فخرَج إلينا مُنتقعًا لونُه، فقال: إنَّهم لَيَتَوعَّدُوني بالقتْلِ آنفًا. قال: قُلْنا: يَكْفِيكَهم اللهُ يا أميرَ المؤمنين. قال: فقال: وبِمَ يقتلوني؟ فإنِّي سَمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «لا يَحِلُّ دمُ امرئٍ مسلمٍ إلاَّ بإحدَى ثلاث؛ رجلٌ كفَر بعدَ إسلامه، أو زنَى بعدَ إحصانه، أو قتَل نفسًا بغيرِ نَفْس». فوالله ما زَنَيْتُ في جاهليةٍ ولا إسلامٍ قطُّ، ولا تَمنَّيْتُ بَدَلاً بدِيني مُذْ هَداني اللهُ له، ولا قَتلتُ نفسًا، فبِمَ يَقتُلوني؟. وقد رَواه أهلُ «السُّنَنِ الأربعةُ»، مِن حديثِ حمادِ بنِ زيدٍ، عن يَحْيَىٰ بنِ سعيدٍ، عن أبي أُمامةَ - زاد النَّسائيُّ: وعبدِ اللهِ بنِ عامرِ بنِ ربيعةَ - قالا: كنَّا مع عثمانَ. فذكره. وقال الترمذيُّ: حسنٌ، وقد رَواه حمّادُ بنُ سَلَمَةَ عن يحيىٰ بنِ سعيدٍ فرَفَعَه(٣).

طريقٌ أُخْرَى: قال الإمامُ أحمدُ: حَدَّثنا أبو قَطَنٌ، ثنا يُونُسُ - يعني ابنَ أبي إسحاقَ - عن أبيه، عن أبي سَلَمةَ بنِ عبدِ الرحمنِ، قال: أشْرَفَ عثمانُ مِن القصرِ وهو محصورٌ، فقال: أنشُدُ باللهِ مَن شهِد رسولَ اللهِ ﷺ يومَ حِراءَ، إذِ اهْتَزَّ الجبلُ فركَلَه بقَدَمِه، ثم قال: «اسْكُنْ حراءُ، ليس عليك إلاَّ نبيٌّ أو صِدِّيقٌ أو شهيدٌ». وأنا معه. فانْتَشَد له رِجالٌ. قال: أَنْشُدُ باللهِ مَن شهِد رسولَ الله ﷺ يومَ بيعةِ

---

(١) **إسناده منقطع**: اخرجه أحمد (١/ ٦٢) بهذا الإسناد وسالم بن أبي الجعد لم يدرك عثمان وذلك ظاهر فإن سالم لم يدرك كثير من الصحابة الذين تأخرت وفاتهم بعد عثمان رضي الله عن الجميع.

(٢) **إسناده حسن**: اخرجه أحمد (١/ ٦٣) والنسائي (٤٠٦٨) من طريق إسحاق بن سليمان وإسناده حسن من أجل كلام في مطر بن طهمان الوراق والحديث له شواهد أخرىٰ وبقية رجاله ثقات.

(٣) **إسناده صحيح**: أخرجه أحمد بهذا الإسناد (١/ ٦٢، ٦٥) وهذا إسنادٌ صحيح رجاله ثقات وفي الموضع الأول توبع عفان ابن سليمان من حرب.

الرِّضوانِ، إذ بَعثَني إلى المُشركين إلى أهلِ مكةَ فقال: «هذه يدي وهذه يدُ عثمانَ». فبايَع لي؟ فانْتَشَد له رجالٌ. قال: أنْشُدُ باللهِ مَن شهِد رسولَ اللهِ ﷺ قال: «مَن يُوسِّعُ لَنا بهذا البيتِ في المسجدِ ببَيْتٍ في الجنةِ؟». فابْتَعْتُه من مالي، فوَسَّعْتُ به المسجدَ؟ فانْتَشَد له رجالٌ. قال: وأنْشُدُ باللهِ مَن شهِد رسولَ اللهِ يومَ جيشِ العُسْرةِ قال: «مَن يُنفقُ اليومَ نفقةً مُتقَبَّلةً؟». فجهَّزْتُ نصفَ الجيشِ من مالي؟ فانْتَشَد له رجالٌ. وأنْشُدُ باللهِ مَن شهِد رُومةَ يُباعُ ماؤُها ابنَ السبيلِ، فابْتَعْتُها من مالي فأبَحْتُها ابنَ السبيلِ؟ قال: فانْتَشَد له رجالٌ[1]. ورواه النسائيُّ، عن عِمْرانَ بنِ بَكّارٍ، عن خَطّابِ بنِ عثمانَ، عن عيسى بنِ يُونُسَ ابنِ أبي إسحاقَ، عن أبيه، عن جدِّه أبي إسحاقَ السَّبِيعيِّ به.

وقد ذكَر ابنُ جَريرٍ أنَّ عثمانَ، رضِي اللهُ عنه، لمّا رأى ما فعَله هؤلاء الخَوارجُ من أهلِ الأمصارِ، من مُحاصرتِه في دارِه، ومَنْعِه الخُروجَ إلى المسجدِ، كتَب إلى معاويةَ بالشامِ، وإلى ابنِ عامرٍ بالبصرةِ، وإلى أهلِ الكُوفةِ، يَستَنجِدُهم في بَعْثِ جَيْشٍ يَطرُدون هؤلاء من المدينةِ، فبعَث مُعاويةُ حبيبَ بنَ مَسْلَمةَ، وانتَدَب يَزيدُ بنُ أسَدٍ القَسْريُّ في جيشٍ، وبعَث أهلُ الكوفةِ جيشًا، وأهلُ البصرةِ جيشًا، فلمّا سمِع أولئك بخُروجِ الجيوشِ إليهم صَمَّموا في الحصارِ، فما اقترَب الجيوشُ إلى المدينةِ حتى جاءَهم قتلُ عثمانَ، رضِي اللهُ عنه، كما سنَذكُرُه.

وذكَر ابنُ جَريرٍ أنَّ عثمانَ استَدْعَى الأشترَ النَّخَعيَّ، ووضِعَتْ لعثمانَ وِسادةٌ في كُوَّةٍ من دارِه، فأشرَف على الناسِ، فقال له عثمانُ: يا أشترُ ماذا يُريدون؟ فقال: إنهم يُريدون منك إمّا أن تَعزِلَ نفسَك عن الإمْرةِ، وإمّا أن تُقيدَ من نفسِك مَن قد ضربتَه، أو جَلَدْتَه، أو حبَسْتَه، وإمّا أن يَقتُلوك.

وفي روايةٍ أنَّهم طلَبوا منه أن يَعزِلَ نُوّابَه عن الأمصارِ ويُولِّيَ عليها مَن يُريدون هم، وإن لم يَعزِلْ نفسَه، أن يُسلِّمَ لهم مَرْوانَ بنَ الحكَمِ فيُعاقِبوه كما زَوَّر على عثمانَ كتابَه إلى مصرَ. فخَشِي عثمانُ إن سَلَّمه إليهم أن يَقْتُلوه، فيكونَ سببًا في قتلِ امرئٍ مسلمٍ، وما فعَل مِن الأمرِ ما يَستحِقُّ بسببِه القتلَ،

---

(١) **صحيح**: أخرجه أحمد (١/ ٥٩) والنسائي (٣٦١١) من هذا الطريق وتابع يونس: إسرائيل كما في «علل الدارقطني» وخالف يونس بن أبي إسحاق وإسرائيل جماعة في الإسناد بنحو هذا اللفظ.
وخالفهما شعبة عند البخاري (٢٧٧٨) معلقًا والبزار (٣٩٩) والدارقطني (٤/ ١٩٩) والبيهقي (٦/ ١٦٧) وزيد بن أبي أنيسة عند النسائي (٣٦١٢) والترمذي (٣٦٩٩) وابن حبان (٦٩١٦) والقطيعي في «زوائد الفضائل» (٨٤٩) والبيهقي (٦/ ١٦٧) وغيرهم وعبد الكبير في دينار كما قال الدارقطني ثلاثتهم عن أبي إسحاق أبي عبد الرحمن السلمي عن عثمان به مما جعل الدارقطني في «العلل» (٣/ ٥٢) يقول: وقول شعبة ومن تابعه أشبه بالصواب، ومال الحافظ في «الفتح» (٥/ ٤٧٧) إلى إمكان أن يكون لأبي إسحاق في الحديث إسنادان لأن آل الرجل أعرف به من غيرهم وهو قول وجيه أيضًا لكن من جهة الترجيح فرواية شبعة ومن تابعه أصح كما قال الدارقطني والله أعلم وعلى ترجيح الوجه الأول فإن الحديث صحيح متصل، وعلى ترجيح القول الثاني الذي رجحه الدارقطني فإن الحديث منقطع لأن أبي عبد الرحمن السلمي لم يسمع من طلحة بن عبيد الله الذي توفي سنة ٣٦ هـ(*) فكيف يسمع عثمان رضي الله عنهما الذي توفي سنة ٣٣ هـ والله أعلم لكن تقدم قبله ما يشهد له إن رُجح القول الثاني (رواية شعبة ومن معه).

(*) نص ابن معين على ذلك كما في «حاجة التحصيل» ص٢١٣.

واعتذرَ عن الاقتصاص مِمَّا قالوا بأنَّه رجلٌ ضعيفُ البَدَن كبيرُ السِّنِّ. وأمَّا ما سألوا من خَلْعه نفسَه، فإنَّه لا يَفعَلُ ولا يَنزعُ قَميصًا قَمَّصَه اللهُ إياه، ويَتْرُكُ أُمَّةَ محمدٍ يَعْدُو بعضُها على بعضٍ، وقال لهم فيما قال: وأيُّ شيءٍ إليَّ من الأمرِ إن كنتُ كلَّما كرِهتُم أميرًا عزلْتُه، وكلَّما رَضيتم عنه وَلَّيتُه؟ وقال لهم فيما قال: واللهِ لئن قَتَلتُموني لا تَتَحابُّوا بعدِي أبدًا، ولا تُصلُّوا جميعًا أبدًا، ولا تُقاتلوا بعدِي عَدُوًّا جميعًا أبدًا. وقد صدَق، رضي اللهُ عنه، فيما قال.

وقال الإمامُ أحمدُ: حَدَّثنا عبدُ الرحمنِ بنُ مَهْدِيٍّ، ثنا مُعاويةُ بنُ صالحٍ، عن رَبيعةَ بنِ يَزيدَ، عن عبدِ اللهِ بنِ أبي قَيْسٍ، حَدَّثني النُّعمانُ بنُ بشيرٍ قال: كتَبَ معي معاويةُ إلى عائشةَ كتابًا فدَفَعْتُ إليها كتابَه، فحَدَّثَتْني أنَّها سَمِعتْ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ لعثمانَ: **«إنَّ اللهَ لعلَّه يُقَمِّصُك قَميصًا، فإن أرادَك أحدٌ على خَلْعِه فلا تَخلَعْه»**. ثَلاثَ مراتٍ. قال النُّعمانُ[(١)]: فقلتُ: يا أُمَّ المُؤمنين، فأين كنتِ عن هذا الحديثِ؟ فقالت: يا بُنيَّ، واللهِ أُنسِيتُه. وقد رَواه الترمذيُّ من حديثِ اللَّيْثِ، عن معاويةَ بنِ صالحٍ، عن ربيعةَ بنِ يَزيدَ، عن عبدِ اللهِ بنِ عامرٍ، عن النُّعمانِ، عن عائشةَ به. ثم قال: هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ. ورَواه ابنُ ماجه، من حديثِ الفَرَجِ بنِ فَضالَةَ، عن ربيعةَ بنِ يَزيدَ، عن النُّعمانِ فأسقَط عبدَ اللهِ بنَ عامرٍ[(٢)].

قال الإمامُ أحمدُ: حَدَّثنا يَحْيَى، عن إسماعيلَ، ثنا قَيْسٌ، عن أبي سَهْلَةَ، عن عائشةَ قالت: قال رسولُ اللهِ ﷺ: **«ادْعُوا لي بعضَ أصحابي»**. قلتُ: أبو بكرٍ؟ قال: **«لا»**. قلتُ: عمرُ؟ قال: **«لا»**. قلتُ: ابنُ عَمِّك عليٌّ؟ قال: **«لا»**. قالت: قلت: عثمانُ؟ قال: **«نعم»**. فلمَّا جاء قال: تَنَحَّيْ. فجعَل يُسارُّه ولونُ عثمانَ يَتغيَّرُ. فلمَّا كان يومُ الدارِ وحُصِر فيها قُلنا: يا أميرَ المؤمنين ألا نُقاتِلُ؟ قال: لا، إن رسولَ اللهِ ﷺ عهِد إليَّ عهدًا وإنِّي صابرٌ نفسِي عليه. تَفرَّد به أحمدُ[(٣)].

---

(١) **إسناده صحيح**: أخرجه أحمد (٦/ ١٤٩) على هذا الوجه وأخرجه أحمد أيضًا (٦/ ٨٧) بمثل هذا الإسناد إلا أنه أبدل عبد اللّٰه بن عامر بعبد اللّٰه بن أبي قيس وعبد اللّٰه بن عامر ثقة وعبد اللّٰه بن قيس ثقة ووجه آخر فانظره عند ابن ماجه (١١٢) ورواه أسد بن موسى عند ابن شيبة في «تاريخ المدينة» (٣/ ١٠٦٧) والليث بن سعد عند الترمذي (٣٧٠٥) ومحمد بن جعفر (غندر) عند ابن أبي عاصم في «السنة» (١١٧٣) ثلاثتهم (الليث، وأسد، وغندر) عن معاوية بن صالح عن ربيعة بن يزيد عن عبد اللّٰه بن عامر عن النعمان بن بشير به.

وهو الوجه الذي يظهر رجحانه وعلى كل حال فالحديث صحيح على ترجيح أي طريق ووجه آخر انظره عند ابن ماجه (١١٢) ثم رأيت الدارقطني في «العلل» مخطوط ج٥ ورقة ١٢٠أ قال: وقول الوليد بن سليمان ومن تابعه أصح. قلت: محمد يعني الذي عند أحمد في الموضع الثاني.

(٢) تقدم الكلام عليه ضمن ما قبله.

(٣) **إسناده صحيح**: أخرجه أحمد (٦/ ٥٢) يحيى والحميدي (٢٦٨) عن سفيان وابن أبي عاصم (١١٧٦) عن محمد بن خازم ثلاثتهم وغيرهم عن إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم به.

وهذا إسنادٌ صحيح وأبو سهلة مولى عثمان بن عفان وثقه العجلي وابن حبان ووثقه ابن حجر وبقية رجاله ثقات وأخرجه أحمد (٦/ ٢١٤) عن وكيع عن إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم عن عائشة قالت... فذكرته بنحوه وهذا وإسناد رجاله ثقات وقيس بن أبي حازم أدرك العشرة المبشرين بالجنة.

وقال محمدُ بنُ عائذ الدِّمشقيُّ: حدَّثنا الوليدُ بنُ مسلم، ثنا عبدُ الله بنُ لَهيعَةَ، عن يَزيدَ بنِ عمرو، **أنَّه سَمِعَ أبا ثورٍ الفَهْميَّ يقولُ:** قَدمتُ على عثمانَ، فبينَا أنا عندَه فخرجْتُ فإذا بوفدِ أهلِ مصرَ قد رجَعوا فدَخَلْتُ على عثمانَ فأعلَمْتُه، فقال: وكيفَ رأيتَهم؟ فقلتُ: رأيتُ في وجوههم الشَّرَّ، وعليهم ابنُ عُدَيْسٍ البَلَويُّ، فصَعِد ابنُ عُدَيْسٍ منبَرَ رسولِ الله ﷺ فصَلَّى بهم الجمعةَ، وتنقَّصَ عثمانَ في خُطبته، فدخلْتُ على عثمانَ فأخبرتُه بما قام فيهم، فقال: كذَب والله ابنُ عُدَيْسٍ، ولولا ما ذكَر ما ذكَرْتُ ذلك، إنِّي لرابعُ أربعةٍ في الإسلامِ، ولقد أنكَحَني رسولُ الله ﷺ ابنتَه، ثم تُوُفِّيَت، فأنكحني ابنتَه الأُخرى، والله لا زَنَيْتُ ولا سرَقتُ في جاهليَّةٍ ولا إسلامٍ، ولا تَغَنَّيْتُ ولا تَمَنَّيْتُ منذُ أسلَمْتُ، ولا مَسَسْتُ فَرْجي بيَميني منذُ بايَعْتُ بها رسولَ الله ﷺ، ولقد جَمَعْتُ القرآنَ على عهدِ رسولِ الله ﷺ، ولا أتَتْ عليَّ جُمُعَةٌ إلاَّ وأنا أُعتِقُ فيها رَقَبةً منذُ أسلَمْتُ، إلاَّ أن لا أجدَها في تلك الجُمُعَة فأجمَعَها في الجُمُعَة الثانية. ورَواه يَعقوبُ بنُ سفيانَ، عن عبدِ الله بنِ أبي بكرٍ، عن ابنِ لَهيعَةَ قال: لقد اختبأْتُ عندَ ربِّي عَشْرًا. فذَكَرَهُنَّ[1].

فصل

كان الحصارُ مُستمرًّا من أواخرِ ذي القَعْدة إلى يومِ الجُمُعَة الثامنَ عَشَرَ من ذي الحِجَّة، فلمّا كان قبلَ ذلك بيومٍ، قال عثمانُ للذين عندَه في الدارِ من أبناءِ المهاجرين والأنصار - وكانوا قريبًا من سبْعمائةٍ؛ فيهم عبدُ الله بنُ عمرَ، وعبدُ الله بنُ الزُّبَيْر، والحَسَنُ، والحُسَيْنُ، ومَرْوانُ، وأبو هريرةَ، وخَلْقٌ من مَواليه، ولو تركَهم لمَنَعوه، فقال لهم: أُقسِمُ على مَن لي عليه حَقٌّ أن يَكُفَّ يدَه، وأن يَنطلِقَ إلى مَنزِله. وعندَه من أعيانِ الصَّحابة وأبنائهم جَمٌّ غَفيرٌ. وقال لرَقيقِه: مَن أغمَد سيفَه فهو حُرٌّ. فبرَدَ القتالُ من داخلِ الدّارِ، وحَمِي من خارجٍ، واشتدَّ الأمرُ، وكان سببُ ذلك أنَّ عثمانَ رأى في المَنام رُؤْيا دَلَّت على اقترابِ أجَلِه، فاستسلَمَ لأمرِ الله رَجاءَ مَوْعودِه، وشوقًا إلى رسولِ الله ﷺ، وليكونَ خيرَ ابنَيْ آدَمَ، حيثُ قال حينَ أراد أخوه قتلَه: ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾ [المائدة: ٢٩]. ورُوِي أنَّ آخرَ مَن خرج من عند عثمانَ من الدارِ، بعدَ أن عزَم عليهم في الخُروجِ، الحسَنُ بنُ عليٍّ وقد جُرِح، وكان أميرُ الحربِ على أهلِ الدارِ عبدَ الله بنَ الزُّبير، رضي اللهُ عنهم.

وروى موسى بنُ عُقْبَةَ، عن سالمٍ أو نافعٍ، أنَّ ابنَ عمرَ لم يَلبَسْ سلاحَه بعدَ رسولِ الله ﷺ إلاَّ يومَ الدارِ، ويومَ نَجْدَةَ الحَرُوريِّ.

قال أبو جعفر الرازيُّ، عن أيُّوبَ السَّخْتيانيِّ، عن نافعٍ، عن ابنِ عمرَ أنَّ عثمانَ، رضي اللهُ عنه، أصبَح يُحَدِّثُ النَّاسَ قال: رأيتُ النبيَّ ﷺ في المَنامِ فقال: «**يا عثمانُ أفطِرْ عندَنا**». فأصبَح صائمًا وقُتِل

(١) **إسناده ضعيف:** من أجل الكلام في ابن لهيعة.

من يومه (١) .

وقال سيفُ بنُ عمرَ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ زيادِ بنِ أنعُمَ، عن رجلٍ قال: دخلَ عليه كثيرُ بنُ الصَّلْتِ، فقال: يا أميرَ المؤمنين، اخرُجْ فاجلسْ بالفناءِ فيُرىٰ وجهُك، فإنَّك إن فعلْتَ ارتدَعوا. فضَحِك وقال: يا كثيرُ، رأيتُ البارحةَ وكأنِّي دخلْتُ على نبيِّ اللهِ ﷺ وعندَه أبو بكرٍ وعمرُ، فقال: «ارجعْ فإنَّك مُفطِرٌ عندي غدًا». ثم قال عثمانُ: ولن تَغيبَ الشمسُ واللهِ غدًا - أو كذا وكذا - إلاَّ وأنا من أهلِ الآخرةِ. قال: فوَضَعَ سعدٌ وأبو هريرةَ السِّلاحَ، وأقبَلا حتى دخَلا على عثمانَ (٢) .

وقال موسى بنُ عقبةَ: حَدَّثني أبو عَلْقمةَ - مَوْلًى لعبدِ الرحمنِ بنِ عوفٍ - حَدَّثني ابنُ الصَّلْتِ قال: أغفَىٰ عثمانُ بنُ عفانَ في اليومِ الذي قُتِل فيه فاستيقَظ فقال: لولا أن يقولَ الناسُ: تَمَنَّىٰ عثمانُ أُمنيَّةً لَحدَّثْتُكم. قال: قُلنا أصلَحَك اللهُ، حَدِّثنا فلَسْنا نقولُ ما يقولُ الناسُ. فقال: إنِّي رأيتُ رسولَ اللهِ ﷺ في مَنامي هذا فقال: «إنَّك شاهدٌ معنا الجُمُعَةَ» (٣) .

وقال ابنُ أبي الدُّنيا: حَدَّثنا أبو عبدِ الرحمنِ القُرَشيُّ، ثنا خَلَفُ بنُ تميمٍ، ثنا إسماعيلُ بنُ إبراهيمَ ابنِ مُهاجرٍ البَجَليُّ، ثنا عبدُ الملكِ بنُ عُمَيرٍ، حَدَّثني كثيرُ بنُ الصَّلْتِ قال: دخلْتُ على عثمانَ وهو مَحصورٌ فقال لي: يا كثيرُ، ما أراني إلاَّ مقتولاً يومي هذا. قال: قلتُ: يَنصرُك اللهُ على عَدُوِّك يا أميرَ المؤمنين. قال: ثم أعاد عليَّ، فقلتُ: وُقِّتَ لك في هذا اليومِ شيءٌ، أو قيلَ لك شيءٌ؟ قال: لا، ولكنِّي سَهِرتُ في لَيْلَتي هذه الماضيةِ، فلمَّا كان عندَ السَّحَرِ أغفَيْتُ إغفاءةً، فرأيتُ فيما يَرىٰ النائمُ رسولَ اللهِ ﷺ وأبا بكرٍ وعمرَ، ورسولُ اللهِ ﷺ يقولُ لي: «يا عثمانُ الحَقْنا لا تَحْبِسْنا، فإنَّا نَنتظرُك». قال: فقُتِل من يومِه ذلك (٤) .

وقال ابنُ أبي الدُّنيا: حَدَّثنا إسحاقُ بنُ إسماعيلَ، ثنا يَزيدُ بنُ هارونَ، عن فَرَجِ بنِ فَضالةَ، عن مَرْوانَ بنِ أبي أُميَّةَ، عن عبدِ اللهِ بنِ سَلامٍ قال: أتَيْتُ عثمانَ لأُسلِّمَ عليه وهو مَحصورٌ، فدخَلْتُ عليه فقال: مرحبًا بأخي، رأيتُ رسولَ اللهِ ﷺ الليلةَ في هذه الخَوْخَةِ - قال: وخَوْخَةٌ في البيتِ - فقال: «يا عثمانُ حَصَرُوك؟». قلتُ: نعم. قال: «عَطَّشُوك؟». قلتُ: نعم. فأدلَىٰ دَلْوًا فيه ماءٌ فشَرِبتُ حتى رَوِيتُ، حتى إنِّي لأجِدُ بَرْدَه بينَ ثَدْيَيَّ وبينَ كَتِفَيَّ، وقال لي: «إن شئتَ نُصِرتَ عليهم، وإن شئتَ أفطَرْتَ عندَنا». فاخترتُ أن أُفطرَ عندَه. فقُتِل ذلك اليومَ (٥) .

وقال محمدُ بنُ سعدٍ: ثنا محمدُ بنُ عمرَ، أنا عفانُ بنُ مسلمٍ، ثنا وُهَيبٌ، ثنا داودُ، عن زيادِ بنِ

---

(١) إسناده ضعيف من أجل ضعف أبو جعفر الرازي.

(٢) إسناده ضعيف للكلام في سيف بن عمر التميمي.

(٣) لم أقف عليه مسندًا ولعله عند ابن عساكر في «تاريخه».

(٤) إسناده ضعيف: من أجل ضعف إسماعيل بن إبراهيم بن مهاجر البجلي وله طرق سيوردها المؤلف عقبه وفي كل طريق منها مقال.

(٥) هذا إسناد ضعيف: وبنحوه عند أحمد (١/ ٧٣) وإسناده ضعيف أيضًا.

عبد الله، عن أُمِّ هلالِ بنت وَكيعٍ، عن امرأة عثمانَ - قال: وأحسبُها بنتَ الفَرافصة - قالت: أغفَى عثمانُ فلمَّا استيقظ قال: إنَّ القومَ يقتُلونَني. قلتُ: كلاَّ يا أميرَ المؤمنين. قال: إنِّي رأيتُ رسولَ الله ﷺ وأبا بكر وعمرَ فقالوا: «أفطِرْ عندَنا الليلةَ». أو: «إنَّك تُفطرُ عندَنا الليلةَ»(١).

وقال الهَيْثمُ بنُ كُلَيْب: حَدَّثنا عيسى بنُ أحمدَ العَسْقلانيُّ، ثنا شَبابةُ، ثنا يَحْيَى بنُ أبي راشدٍ مَوْلَى عمرو بن حُرَيْث، عن محمَّد بن عبد الرحمن الجُرَشيِّ، وعُقْبَةَ بن أُسَيْد، عن النُّعمان بن بشير، عن نائلةَ بنت الفَرافصة الكَلْبيَّة - امرأة عثمانَ - قالت: لَمَّا حُصِرَ عثمانُ ظلَّ اليومَ الذي كان قبلَ قَتْله بيوم صائمًا، فلمَّا كان عندَ إفطاره سألهم الماءَ العَذْبَ، فأبَوْا عليه وقالوا: دونَك ذلك الرَّكيَّ - وركيٌّ في الدار يُلْقَى فيه النَّتْنُ - قالت: فلم يُفطِرْ، فأتَيْتُ جاراتٍ لنا على أجاجيرَ متواصلة - وذلك في السَّحَر - فسألتُهم الماءَ العَذْبَ، فأعطَوْني كُوزًا من ماء، فأتَيْتُه فقلتُ: هذا ماءٌ عَذْبٌ أتيتُكَ به. قالت: فنظَر فإذا الفجرُ قد طلَع، فقال: إنِّي أصبَحْتُ صائمًا. قالت: فقلتُ: ومن أين ولم أرَ أحدًا أتاكَ بطَعام ولا شَراب؟ فقال: إنِّي رأيتُ رسولَ الله ﷺ اطَّلَع عليَّ من هذا السَّقْف ومعه دَلْوٌ من ماء فقال: «اشرَبْ يا عثمانُ». فشَربتُ حتى رَويتُ، ثم قال: «ازدَدْ». فشَربتُ حتى نهلتُ، ثم قال: «أمَا إنَّ القومَ سَيَكْرُونَ عليك، فإن قاتَلْتَهم ظَفرتَ، وإن تركتَهم أفطرتَ عندَنا». قالت: فدَخلوا عليه من يومه فقتَلوه(٢).

وقال أبو يَعْلَى المَوْصليُّ، وعبدُ الله ابنُ الإمام أحمدَ: حَدَّثني عثمانُ بنُ أبي شَيْبةَ، ثنا يُونُسُ بنُ أبي يَعفُور العبديُّ، عن أبيه، عن مسلم أبي سعيدٍ مَوْلَى عثمانَ بن عفانَ، أنَّ عثمانَ أعتَق عشرين مملوكًا، ودعا بسَراويلَ فشدَّها ولم يَلبَسْها في جاهلية ولا إسلام، وقال: إنِّي رأيتُ رسولَ الله ﷺ في المَنام وأبا بكر وعمرَ، وإنَّهم قالوا لي: «اصبِرْ فإنَّك تُفطرُ عندَنا القابلةَ». ثم دعا بمُصْحَف فنَشره بينَ يدَيْه، فقُتل وهو بينَ يَدَيْه. قلتُ: إنما لَبسَ السَّراويلَ، رضي اللهُ عنه، في هذا اليوم لئلاَّ تَبدُوَ عَوْرَتُه إذا قُتِل؛ فإنَّه كان شديدَ الحياء، كانت تَستَحْيي منه الملائكةُ، كما نطَق بذلك النبيُّ ﷺ. ووضَع بينَ يدَيْه المُصْحَفَ يَتْلُو فيه، واستسلَم لقضاء الله عزَّ وجلَّ، وكفَّ يدَه عن القتال، وأمر الناسَ وعزم عليهم أن لا يُقاتلوا دونَه، ولولا عَزيمتُه عليهم لنَصَروه من أعدائه، ولكن كان أمرُ الله قَدَرًا مَقْدورًا(٣).

وقال هشامُ بنُ عُرْوَةَ، عن أبيه: إنَّ عثمانَ، رضي اللهُ عنه، أوصَى إلى الزُّبير.

وقال الأصمعيُّ، عن العلاء بن الفَضْل، عن أبيه قال: لَمَّا قُتِل عثمانُ فَتَّشوا خَزائنَه، فوَجَدوا فيها صُنْدُوقًا مُقْفَلاً، ففَتَحوه فوجَدوا فيه حُقَّةً فيها ورقةٌ مكتوبٌ فيها: هذه وَصيَّةُ عثمانَ: بسم الله الرحمن الرحيم، عثمانُ بنُ عفانَ يَشهَدُ أن لا إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَه لا شريكَ له، وأنَّ محمدًا عبدُه

---

(١) إسناده ضعيف جدًّا: من أجل الواقدي.

(٢) في إسناده من لم أعرفه.

(٣) فيه مسلم أبي سعيد لم أعرفه ويونس بن أبي يعفور مختلف فيه وبقية رجاله ثقات وهو عند عبد الله في «زوائد المسند» (١/ ٧٢) وقوله: «الملائكة تستحي من عثمان» صحيح سيأتي قريبًا إن شاء الله.

ورسولُه، وأنَّ الجنةَ حَقٌّ، وأنَّ النارَ حقٌّ، وأنَّ اللهَ يبعثُ مَن في القُبورِ، ليوم لا رَيْبَ فيه، إنَّ اللهَ لا يُخلفُ الميعادَ، عليها يَحْيَا وعليها يَموتُ، وعليها يُبعَثُ إن شاء اللهُ تعالى(١).

وروىٰ ابنُ عساكرَ أنَّ عثمانَ، رضي اللهُ عنه، قال يومَ دخَلوا عليه فقتَلوه:

أرَى الموتَ لا يُبْقي عزيزًا ولم يَدَعْ ... لعادٍ مَلاذًا في البلادِ ومُرتَقَى

وقال أيضًا:

يُبَيِّتُ أهلَ الحِصْنِ والحِصْنُ مُغلَقٌ ... ويأتي الجبالَ في شماريخِها العُلاَ

صفة قتله رضي الله عنه

قال خليفةُ بنُ خَيّاط: حدثَّنا ابنُ عُلَيَّةَ، ثنا ابنُ عَوْنٍ، عن الحسنِ قال: أنبأَني وَثّابٌ قال: بعَثني عثمانُ فدعَوْتُ له الأشْترَ فقال: ما يريدُ الناسُ؟ قال: ثلاثٌ ليس من إحداهُنَّ بدٌّ. قال: ما هنَّ؟ قال: يُخيِّرونَك بينَ أن تَخلَعَ لهم أمرَهم فتقولَ: هذا أمرُكم فاختاروا مَن شئتُم، وبينَ أن تُقصَّ من نفسك، فإن أبَيْتَ فإنَّ القومَ قاتلُوك. فقال: أمّا أن أخْلَعَ لهم أمرَهم، فما كنتُ لأخلَعَ سِرْبالاً سَرْبَلَنيه اللهُ، وأمّا أن أُقصَّ لهم من نفسي، فوالله لقد علمْتُ أنَّ صاحبَيَّ بينَ يديَّ قد كانا يُعاقِبان، وما يقومُ بَدَني بالقِصاصِ، وأمّا أن يَقتُلُوني، فوالله لَئن قَتَلْتُموني لا تَحابُّون بعدي أبدًا ولا تُصَلُّون بعدي جميعًا أبدًا، ولا تقاتلون بعدي عدوًّا جميعًا أبدًا(٢). قال: وجاء رُوَيجلٌ كأنَّه ذئبٌ، فاطَّلَع من بابٍ ورجَع، وجاء محمدُ بنُ أبي بكرٍ في ثلاثةَ عَشَرَ رجلاً، فأخَذ بلحيَته فقال بها حتى سمعْتُ وقْعَ أضْراسه، فقال: ما أغْنَىٰ عنك معاويةُ، وما أغْنَىٰ عنك ابنُ عامرٍ، وما أغْنَتْ عنك كُتُبُك. قال: أرْسِلْ لحيتي يا ابن أخي. قال: فأنا رأيتُه اسْتَعْدَىٰ رجلاً من القوم بعينه - يَعْني أشار إليه - فقام إليه بمِشْقَصٍ فوجَأ به رأسَه. قلتُ: ثم مَه؟ قال: ثم تعاوَرُوا عليه والله حتى قتَلوه.

وقال سيفُ بنُ عمرَ التميميُّ، رحمَه اللهُ، عن الغُصْنِ بنِ القاسمِ، عن رجلٍ، عن خَنساءَ مولاةِ أسامةَ بنِ زيدٍ - وكانت تكونُ مع نائلةَ بنتِ الفَرافِصَةِ امرأةِ عثمانَ - أنَّها كانت في الدارِ، ودخَل محمدُ ابنُ أبي بكرٍ فأخَذ بلحيَته وأهْوَىٰ بمَشاقصَ معه ليَجَأَ بها في حلقه، فقال: مهلاً يا ابنَ أخي، فوالله لقد أخَذْتَ مأخَذًا ما كان أبوك ليأخُذَ به. فتركَه وانصرَف مُستَحييًا نادمًا، فاستَقْبَلَه القومُ على بابِ الصُّفَّةِ، فردَّهم طويلاً حتى غلَبوه، فدَخَلوا وخرَج محمدٌ راجعًا، فأتاه رجلٌ بيده جريدةٌ يَقْدُمُهم حتى قام على عثمانَ، فضرَب بها رأسَه فشجَّه، فقطَر دمُه على المصحفِ حتى لطَّخه، ثم تَغاوَوْا

---

(١) **إسناده ضعيف:** فيه العلاء بن الفضل بن عبد الملك وهو ضعيف.

(٢) **رجاله ثقات إلا وثاب مولى عثمان بن عفان:** ذكره ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٩/ ٤٨) وقال: روىٰ عن عثمان بن عفان روىٰ عنه الحسن البصري ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلاً والأثر بطوله في «تاريخ خليفة بن خياط» ص ١٧٠ وأخرجه الطبري في «تاريخه» (٢/ ٦٦٤) من نفس الطريق.

عليه، فأتاه رجل فضرَبه على الثدْيِ بالسيف، ووثَبَتْ نائلَة بنتُ الفرافصَة الكلبيَّةُ فصاحَتْ وألقَتْ نفسَها عليه وقالت: يا بنتَ شَيْبةَ أيُقْتَلُ أميرُ المؤمنين! وأخَذَت السيفَ، فقطَع الرجلُ يدَها، وانتهَبُوا متاعَ الدار، ومرَّ رجلٌ على عثمانَ ورأسُه مع المصحف، فضرَب رأسَه برجْلِه ونحّاه عن المصحف وقال: ما رأيْتُ كاليوم وجْهَ كافرٍ أحسنَ، ولا مَضْجَعَ كافرٍ أكرمَ. فلا واللهِ ما تركوا في دارِه شيئًا حتى الأقداحَ إلاَّ ذهبُوا به.

وروىٰ الحافظُ ابنُ عساكرَ أنَّ عثمانَ لَمّا عزَم علىٰ أهلِ الدارِ في الانصراف، ولم يَبْقَ عندَه سوىٰ أهله تَسوَّرُوا عليه الدّارَ وأحرَقوا البابَ ودخَلُوا عليه، وليس فيهم أحدٌ من الصحابة ولا أبنائهم، إلاَّ محمدَ بن أبي بكرٍ، وسبَقه بعضُهم فضربَوه حتىٰ غُشِيَ عليه، وصاح النِّسوةُ فانْذَعَرُوا وخرجوا، ودخَل محمدُ بنُ أبي بكرٍ وهو يظُنُّ أنَّه قد قُتِل، فلمّا رآه قد أفاق قال: علىٰ أيِّ دينٍ أنت يا نَعْثَلُ؟ قال: علىٰ دينِ الإسلام، ولستُ بنَعْثَلٍ، ولكنّي أميرُ المؤمنين، فقال: غيَّرْتَ كتابَ الله. فقال: كتابُ الله بيني وبينَكم. فتقدَّم إليه وأخَذ بلحْيَته وقال: إنَّا لا يُقْبَلُ منَّا يومَ القيامة أن نقولَ: ﴿رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلاْ﴾ [الأحزاب: ٦٧]. وشحَطه بيده من البيت إلىٰ باب الدار وهو يقولُ: ياابنَ أخي ما كان أبوك ليأخُذَ بلحْيَتي. وجاءَ رجلٌ من كنْدَةَ من أهلِ مصرَ -يُلقَّبُ حمارًا، ويُكْنَىٰ بأبي رُومانَ وقال قتادةُ: اسمُه رومانُ. وقال غيرُه: كان أزرقَ أشقرَ. وقيل: كان اسمُه سُودَانَ بنَ رُومانَ المُراديَّ. وعن ابنِ عمرَ قال: كان اسمُ الذي قتَل عثمانَ أسودَ بنَ حُمرانَ ضربَه بحَرْبةٍ- وبيده السيفُ صَلْتًا فقال: أفْرِجُوا. ثم جاءَ فضربَه به في صدره حتىٰ أقْعَصَه، ثم وضَع ذُبابَ السيفِ في بطنه واتَّكأ عليه وتحامَلَ حتىٰ قتَلَه، وقامَتْ نائلَةُ دونَه فقطَع السيفُ أصابعَها، رضي اللهُ عنها.

ويروىٰ أنَّ محمدَ بنَ أبي بكرٍ طعَنه بمشاقصَ في أُذُنه حتىٰ دخَلَتْ في حلقه. والصحيحُ أنَّ الذي فعَل ذلك غيرُه، وأنَّه استَحْيىٰ ورجَع حينَ قال له عثمانُ: لقد أخَذْتَ بلحْيةٍ كان أبوك يكرِمُها. فتذَمَّم من ذلك وغطّىٰ وجهَه ورجَع وجاحَفَ دونَه فلم يُفِدْ، وكان أمرُ الله قدرًا مَقْدُورًا، وكان ذلك في الكتابِ مَسْطورًا.

وروىٰ ابنُ عساكرَ عن ابنِ أبي عونٍ، أنَّ كنانَةَ بن بشرٍ ضرَب جبينَه ومقدَّمَ رأسه بعَمُودِ حديدٍ، فخرَّ لجنبه، وضربَه سُودانُ بنُ حُمرانَ المُراديُّ بعدَ ما خرَّ لجنبه فقتَلَه، وأمّا عمرُو بنُ الحَمِقِ فوثَبَ علىٰ عثمانَ فجلَس علىٰ صَدْرِه وبه رَمَقٌ، فطعَنه تسعَ طَعَناتٍ، وقال: أمّا ثلاثٌ منهنَّ فلله، وستٌّ لِما كان في صدْري عليه.

قال الطبراني: حدَّثنا أحمدُ بنُ محمد بن صدَقَةَ البغداديُّ وإسحاقُ بنُ داودَ الصَّوّافُ التُّستَريُّ، قالا: ثنا محمدُ بنُ خالد بن خِداشٍ، ثنا سَلْمُ بنُ قُتَيْبَةَ، ثنا مُباركٌ، عن الحسن قال: حدَّثني سَيّافُ عثمانَ أنَّ رجلاً من الأنصار دخَل علىٰ عثمانَ فقال: ارجعْ ياابنَ أخي فلستَ بقاتلي. قال: وكيف علِمْتَ ذاك؟ قال: لأنَّه أُتيَ بك النبيُّ ﷺ يومَ سابِعِك فحنَّكَك ودعَا لك بالبَرَكة. ثم دخَل عليه رجلٌ

أخرُ من الأنصار فقال له مثلَ ذلك سواءً. ثم دخَل محمدُ بنُ أبي بكر فقال: أنت قاتلي. قال: وما يُدْريك يا نَعْثَلُ؟ قال: لأنَّه أُتِيَ بك رسولُ الله ﷺ يومَ سابِعِك ليُحنِّكَك ويَدْعُو لك بالبركة، فخَريتَ على رسول الله ﷺ. قال: فوثَب على صَدْرِه وقبَض على لحيته، ووجَأه بمشاقصَ كانت في يده. هذا حديثٌ غريبٌ جدًّا وفيه نكارةٌ[1].

وثبَت من غير وجه أنَّ أولَ قَطْرةٍ من دمه سقَطَت على قوله تعالى: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٣٧]. ويُرْوَى أنَّه كان قد وصَل إليها في التلاوة أيضًا حينَ دخَلوا عليه. وليس ببعيدٍ، فإنَّه كان قد وضَع المصحفَ يقرأُ فيه القرآنَ.

وروى ابنُ عساكرَ أنَّه لما طُعِن قال: بسم الله، توكَّلْتُ على الله. فلمَّا قطَر الدمُ قال: سبحانَ الله العظيم.

وقد ذَكَرَ ابنُ جرير في «تاريخه» بأسانيده أنَّ المصْريين لما وجَدوا ذلك الكتابَ مع البريد إلى أمير مصرَ، فيه الأمرُ بقتل بعضِهم، وصلب بعضِهم، وبقطع أيدي بعضِهم وأرْجُلِهم، وكان قد كتَبه مَرْوانُ بنُ الحكم على لسان عثمانَ، متأوِّلًا قولَه تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٣]. وعندَه أنَّ هؤلاء الذين خرَجوا على أمير المؤمنين عثمانَ، رضي اللهُ عنه، من جملة المُفْسِدين في الأرض، ولا شكَّ أنَّهم كذلك، لكنْ لم يكنْ له أن يَفْتاتَ على عثمانَ ويكتُبَ على لسانه بغير علمه، ويزوِّرَ على خطِّه وخاتَمه، ويبعَثَ غلامَه على بعيره، بعد ما وقع الصلحُ بينَ عثمانَ وبينَ المصريين على تأمير محمد بن أبي بكر على مصرَ، بخلاف ذلك كلِّه، ولهذا لما وجَدوا هذا الكتابَ على خلاف ما وقَع الاتِّفاق عليه، وظنُّوا أنَّه من عثمانَ، أعْظَمُوا ذلك، مع ما هم مُشْتَمِلون عليه من الشرِّ، فرجَعوا إلى المدينة، فطافُوا به على رءُوس الصحابة، وأعانَهم على ذلك قومٌ آخَرُون، حتى ظنَّ بعضُ الصحابة أنَّ هذا عن أمر عثمانَ، رضي اللهُ عنه، فلمّا قيلَ لعثمانَ، رضي اللهُ عنه، في أمر هذا الكتاب بحَضْرة جماعة من أعيان الصحابة وجُمْهور المصْريين، حلَف بالله العظيم - وهو الصادقُ البارُّ الراشدُ - أنَّه لم يكْتُبْ هذا الكتابَ ولا أمْلاه على مَن كتَبه، ولا علم به، فقالوا له: فإنَّ عليه خاتَمَك. فقال: إنَّ الرجلَ قد يُزَوِّرُ على خَطِّه وخاتَمه. قالوا: فإنَّه مع غلامك وعلى جَمَلك. فقال: والله لم أشْعُرْ بشيء من ذلك. فقالوا له بعدَ كلِّ مقالة: إن كنتَ قد كتَبْتَه فقد خُنْتَ، وإن لم تكنْ قد كتَبْتَه بل كُتِب على لسانك وأنت لا تَعْلَمُ فقد عجَزْتَ، ومثلُك لا يَصْلُحُ للخلافة؛ إمّا لخيانَتك، وإمّا لعَجْزك.

وهذا الذي قالوا باطلٌ على كلِّ تقْدير، فإنَّه لو فُرِض أنَّه كتَب الكتابَ - وهو لم يكْتُبْه في نفس

---

(١) في إسناده ضعف: أخرجه الطبراني في «الكبير» (١/ ٨٣) رقم (١١٨) وفي إسناده سياف عثمان لم يسم كما قال الهيثمي في «المجمع» (٩/ ٩٤) وفيه مبارك بن فضالة يدلس وقد عنعن ومحمد بن خالد بن خداش يُغرب.

الأمر - لا يَضُرُّه ذلك؛ لأنَّه قد يكونُ رأى ذلك مصلحةً للأُمة في إزالة شَوْكَة هؤلاء البُغاة الخارجين على الإمام، وأمّا إذا لم يكنْ قد علم به، فأيُّ عجز يُنْسَبُ إليه إذا لم يكنْ قد اطَّلع عليه وزُوِّرَ على لسانه؟! وليس هو بمَعْصُوم، بل الخطأُ والغَفْلَةُ جائزان عليه، رضي اللهُ عنه، وإنَّما هؤلاء الجهَلَةُ البُغاةُ مُتعَنِّتُون خوَنَةٌ ظَلَمَةٌ مُفْترون، ولهذا صَمَّموا بعدَ هذا على حَصْرِه والتضْييقِ عليه، حتى مَنَعُوه الميرَةَ والماءَ والخُروجَ إلى المسجد، وتهدَّدُوه بالقتلِ، ولهذا خاطَبَهم بما خاطَبَهم به من تَوْسعَةِ المسجدِ وهو أوَّلُ مَن مُنِع منه، ومن وقفه بئر رُومَةَ على المُسْلمين وهو أوَّلُ مَن مُنع ماءَها، ومن أنَّه سمع رسولَ الله ﷺ يقولُ: «لا يَحلُّ دَمُ امرئٍ مسلم يَشْهَدُ أن لا إلهَ إلاَّ اللهُ إلاَّ بإحْدَى ثلاث؛ النفسُ بالنفس، والثيِّبُ الزاني، والتاركُ لدينه المُفارقُ للجماعَة»[1] . وذكَر أنَّه لم يَقْتُلْ نفْسًا، ولا ارْتَدَّ بعدَ إيمانه، ولا زنَى في جاهليَّة ولا إسلام، بل ولا مَسَّ فَرْجَه بيمينه بعدَ أن بايَع بها رسولَ الله ﷺ. وفي رواية، بعدَ أن كتَب بها المُفَصَّلَ. ثم ذكَر لهم من فضائله ومَناقبِه ما لعَلَّه يَنْجَعُ فيهم بالكفِّ عنه والرُّجوع إلى الطاعة لله ولرسوله ولأُولي الأمْر منهم، فأبَوْا إلاَّ الاسْتمْرارَ على ما هم عليه من البَغْي والعُدْوان. ومنَعُوا الناسَ من الدُّخول إليه والخُروج من عنده، حتى اشْتَدَّ عليه الحالُ، وضاقَ المَجالُ، ونفَد ما عندَه من الماء، فاسْتغاثَ بالمسلمين في ذلك، فركب عليٌّ بنفسه وحمَل معه قِربًا من الماء فبالجَهْد حتى أوْصَلَها إليه بعدَ ما ناله من جَهَلَة أولئك كلامٌ غَليظٌ، وتَنْفيرٌ لدابّته، وإخْراقٌ عظيمٌ بليغٌ، وكان قد زجَرهم أتمَّ الزجْر، حتى قال لهُمْ فيما قالَ: والله إن فارسَ والرومَ لا يفعَلُونَ كفِعْلكم هذا بهذا الرجل، والله إنَّهم ليَأْسرُون فيُطْعِمُون ويُسْقُون. فأبَوْا أن يَقْبَلُوا منه حتى رمَى بعمامَته في وَسَط الدار، وجاءَتْ أُمُّ حبيبةَ راكبَةً بغلةً وحولَها حَشَمُها وخَدَمُها، فقالوا: ما جاء بك؟ فقالت: إنَّ عندَه وصايا بني أُمَيَّةَ لأيْتام وأرامِلَ، فأحْبَبْتُ أن أُذَكِّرَه بها. فكذَّبُوها في ذلك، ونالَها منهم شدَّةٌ عظيمةٌ، وقطَعوا حزامَ البغلة وندَّتْ بها، وكادَتْ أو سقَطَت عنها، وكادَتْ تُقْتَلُ لولا تلاحَقَ بها الناسُ فأمْسَكُوا بدابَّتها، ووقَع أمرٌ كبيرٌ جدًّا، ولم يَبْقَ يَحْصُلُ لعثمانَ وأهله من الماء إلاَّ ما يُوصِلُه إليهم آلُ عمرو بن حزم في الخُفْيَة ليلاً، فإنَّا لله وإنَّا إليه راجعُون.

ولَمَّا وقَع هذا أعْظَمَه الناسُ جدًّا، ولزِم أكثرُ الناسِ بُيوتَهم، وجاء وقتُ الحجِّ فخرَجت أُمُّ المؤْمنين عائشةُ في هذه السنة إلى الحجِّ، فقيل لها: إنَّك لو أقَمْت كان أصْلَحَ، لعلَّ هؤلاء القومَ يَهابُونَك. فقالت: إنِّي أخْشَى أن أُشيرَ عليهم برأيٍ، فيَنالَني منهم من الأذيَّة ما نال أُمَّ حبيبةَ. فعزَمَتْ على الخروج.

واستَخْلَف عثمانُ، رضي اللهُ عنه، في هذه السنة على الحجِّ عبدَ الله بنَ عباس، فقال له عبدُ الله ابنُ عباس: إنَّ مُقامي على بابك أُجاحفُ عنك أفضلُ من الحجِّ. فعزَم عليه، فخرَج بالناس إلى

(١) أخرج هذه الفقرة «لا يحل....» البخاري (٦٨٧٨) ومسلم (١٦٧٦) من حديث ابن مسعود.

الحجِّ، واستمرَّ الحصارُ بالدارِ حتى مضَت أيامُ التشريقِ ورجَع البَشيرُ مِن الحجِّ، فأخْبَرَ بسَلامةِ الناسِ، وأخْبَرَ أولئكَ بأنَّ أهلَ المَوْسِمِ عازِمُون على الرُّجوعِ إلى المدينةِ ليَكُفُّوكم عن أميرِ المؤمنين. وبلَغَهم أيضًا أنَّ معاويةَ قد بعَث جيشًا مع حَبِيبِ بنِ مَسْلَمَةَ، وأنَّ عبدَ اللهِ بنَ سعدِ بنِ أبي سَرْحٍ قد نَفَّذَ آخَرَ مع معاويةَ بنِ حُدَيْجٍ، وأنَّ أهلَ الكوفةِ قد بعَثوا القَعْقاعَ بنَ عمرٍو في جيشٍ، وأنَّ أهلَ البصرةِ بعَثوا مُجاشِعًا في جيشٍ، فعندَ ذلك صمَّموا على أمرِهم وبالَغُوا فيه، وانتهَزُوا الفُرْصَةَ بقِلَّةِ الناسِ وغَيْبَتِهم في الحجِّ، وأحاطُوا بالدارِ، وجَدُّوا في الحصارِ، وأحْرَقُوا البابَ، وتسوَّرُوا مِن الدارِ المُتاخِمَةِ للدارِ؛ كدارِ عمرِو بنِ حزمٍ وغيرِها، وجاحَفَ الناسُ عن عثمانَ أشدَّ المُجاحَفَةِ، واقْتَتَلوا على البابِ قتالًا شديدًا، وتبارَزُوا وتراجَزُوا بالشعْرِ في مُبارَزَتِهم، وجعَل أبو هريرةَ يقولُ: هذا يومٌ طاب امْضِرابُ. وقُتِل طائفةٌ مِن أهلِ الدارِ، وآخَرُون مِن أولئكَ الفُجَّارِ، وجُرِح عبدُ اللهِ بنُ الزبيرِ جراحاتٍ كثيرةً، وكذلك جُرِح الحسنُ بنُ عليٍّ، ومَرْوانُ بنُ الحكمِ فقُطِع إحْدَى عِلْباوَيْه، فعاش أوْقَصَ حتى مات.

ومِن أعيانِ مَن قُتِل مِن أصحابِ عثمانَ، زيادُ بنُ نُعَيْمٍ الفِهْرِيُّ، والمغيرةُ بنُ الأخْنَسِ بنِ شَرِيقٍ، ونِيارُ بنُ عبدِ اللهِ الأسْلَمِيُّ، في أُناسٍ وقتَ المَعْرَكةِ.

ويقالُ: إنَّه انهزَم أصحابُ عثمانَ ثم تراجَعُوا. ولمَّا رأى عثمانُ ذلك عزَم على الناسِ لَيَنْصَرِفُوا إلى بيوتِهم، فانْصَرَفُوا - كما تقدَّم - فلم يَبْقَ عندَه أحدٌ سِوَى أهلِه، فدخَلُوا عليه مِن البابِ ومِن الجُدْرانِ، وفزِع عثمانُ إلى الصلاةِ وافْتَتَح سورةَ «طه» وكان سريعَ القراءةِ - فقرَأها والناسُ في غَلَبَةٍ عظيمةٍ، قد احترَق البابُ والسقيفةُ التي عندَه، وخافُوا أن يصِلَ الحريقُ إلى بيتِ المالِ، ثم فرَغ عثمانُ مِن صلاتِه وجلَس وبينَ يدَيه المصحفُ، وجعَل يَتْلُو هذه الآيةَ: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣]. فكان أولَ مَن دخَل عليه رجلٌ يقالُ له: الموتُ الأسودُ. فخنَقَه خنقًا شديدًا حتى غُشِي عليه، وجعَلَت نفسُه تَتَرَدَّدُ في حلقِه، فترَكه وهو يَظُنُّ أنَّه قد قتَله، ثم دخَل ابنُ أبي بكرٍ فمسَك بلِحيَتِه، ثم ندِم وخرَج، ثم دخَل عليه آخَرُ ومعه سيفٌ فضرَبه به فاتَّقاه بيدِه فقطَعها. فقيل: إنَّه أبانَها. وقيل: بل قطَعها ولم يُبِنْها. إلا أنَّ عثمانَ قال: والله إنَّها لأولُ يدٍ كتَبَت المفصَّلَ. فكان أولُ قَطْرَةِ دمٍ منها سقَطَت على هذه الآيةِ: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٣٧]. ثم جاء آخَرُ شاهرًا سيفَه، فاسْتَقْبَلَته نائلةُ بنتُ الفَرافِصَةِ لتَمنَعَه منه، وأخذت السيفَ فانْتَزَعه منها فقطَع أصابعَها، ثم إنَّه تقدَّم إليه، فوضَع السيفَ في بطنِه فتحامَلَ عليه، رضِي اللهُ عن عثمانَ وأرْضاه.

وفي روايةٍ أنَّ الغافقيَّ بنَ حربٍ تقدَّم إليه بعدَ محمدِ بنِ أبي بكرٍ فضرَبه بحديدةٍ في يدِه، ورفَس المصحفَ الذي بين يدَيه برِجْلِه، فاسْتَدارَ المصحفُ ثم اسْتَقَرَّ بينَ يدَيْ عثمانَ، رضِي اللهُ عنه، وسالَتْ عليه الدِّماءُ، ثم تقدَّم سُودانُ بنُ حُمْرانَ بالسيفِ فمانَعَتْه نائلةُ، فقطَع أصابعَها، فولَّت

فضرَب عَجيزَتَها بيدِه، وقال: إنَّها لكبيرةُ العَجيزَةِ. وضرَب عثمانَ فقتَلَه، فجاءَ غلامُ عثمانَ فضرَب سُودانَ فقتَلَه، فضَرَب الغلامَ رجلٌ يقالُ له: قُتَيْرَةُ. فقَتَلَه.

وروَىٰ ابنُ جريرٍ أنَّهم أرادُوا حزَّ رأسِه بعدَ قتْلِه، فصاح النساءُ وضرَبْنَ وُجوهَهُنَّ؛ فيهنَّ امْرَأتاه نائلَةُ وأُمُّ البَنِينِ وبناتُه، فقال ابنُ عُدَيْسٍ: اتْرُكُوه. فترَكُوه. ثم مال هؤلاءِ الفجَرةُ علىٰ ما في البيتِ فنَهَبوه، وذلك أنَّه نادَىٰ مُناديهم: أيحِلُّ لنا دَمُه ولا يحِلُّ لَنا مالُه! فانتَهَبُوه، ثم خرَجوا فأغْلَقُوا البابَ علىٰ عثمانَ وقَتِيلَين معه، فلمّا خرَجُوا إلىٰ صحنِ الدارِ وثَب غلامٌ لعثمانَ علىٰ قُتَيْرَةَ فقتَلَه، وجعَلُوا لا يَمُرّون علىٰ شيءٍ إلاّ أخَذُوه، حتىٰ استَلَبَ رجلٌ يقالُ له: كُلْثُومٌ التُّجِيبِيُّ. مُلاءَةَ نائلَةَ، فضربَه غلامٌ لعثمانَ فقتَلَه، وقُتِل الغلامُ أيضًا، ثم تنادَىٰ القومُ: أنْ أدْرِكوا بيتَ المالِ لا تُسْتَبَقوا إليه. فسمعَهم حَفَظةُ بيتِ المالِ فقالوا: يا قومُ النَّجاءَ النَّجاءَ! فإنَّ هؤلاءِ القومَ لم يَصْدُقوا فيما قالوا مِن أنَّ قصدَهم قيامُ الحقِّ والأمرُ بالمعروفِ والنهيُ عن المنكرِ، وغير ذلك مّما ادَّعَوْا أنَّهم إنَّما قامُوا لأجْلِه، وكذَبوا إنَّما قَصْدُهم الدُّنيا. فانهزَمُوا وجاء الخوارجُ فأخَذُوا مالَ بيتِ المالِ وكان فيه شيءٌ كثيرٌ جدًّا.

وقد ذكَر ابنُ عساكرَ في تَرْجمةِ سَهْمِ بنِ خَنْبَسٍ أبي خَنْبَشٍ، أو خُنَيْسٍ الأزْدِيِّ - وكان قد شهِد الدارَ - ورَواه محمدُ بنُ عائذٍ، عن إسماعيلَ بنِ عيّاشٍ، عن محمدِ بنِ يزيدَ الرَّحَبيِّ عنه، وكان قد اسْتَدْعاه عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ إلىٰ دَيْرِ سَمْعانَ، فسألَه عن مقْتَلِ عثمانَ، فذكَر ما مُلَخَّصُه أنَّ وفدَ الأشْقِياءِ وهم وفدُ مصرَ كانوا قد قدموا علىٰ عثمانَ فأجازَهم وأرْضاهم، فانْصرَفوا راجعِين، ثم كرُّوا إلىٰ المدينةِ فوافَقُوا عثمانَ قد خرَج لصلاةِ الغَداةِ أو الظهرِ، فحَصَبوه بالحَصا والنِّعالِ والخِفافِ، فانصرَف إلىٰ الدارِ ومعه أبو هريرةَ والزبيرُ وابنُه عبدُ اللهِ وطلحةُ ومَرْوانُ والمغيرةُ بنُ الأخْنَسِ في أُناسٍ، وأطاف وفدُ مصرَ بدارِه، فاستشارَ الناسَ، فقال عبدُ اللهِ بنُ الزبيرِ: يا أميرَ المؤْمنين إنِّي أُشيرُ بإحْدَىٰ ثلاثِ خِصالٍ؛ إمّا أن تُحْرِمَ بعمرةٍ فتَحْرُمَ عليهم دماؤُنا، وإمَّا أن نَرْكَبَ معك إلىٰ معاويةَ بالشامِ، وإمَّا أن نخرُجَ فنضْرِبَ بالسيفِ إلىٰ أن يَحْكُمَ اللهُ بينَنا وبينَهم، فإنّا علىٰ الحقِّ وهم علىٰ الباطِلِ. فقال عثمانُ: أمّا ما ذكَرْتَ مِن الإحْرامِ بعمرةٍ فتحرُمُ دماؤُنا، فإنَّهم يَرَوْنا حلالاً الآنَ وحالَ الإحرامِ وبعدَ الإحرامِ، وأمّا الذَّهابُ إلىٰ الشامِ فإنِّي أسْتَحْيِي أن أخرُجَ مِن بينِهم خائفًا، فيَراني أهلُ الشامِ وتسمَعَ الأعداءُ مِن الكفارِ ذلك، وأمّا القتالُ فإنِّي أرجُو أن ألقَىٰ اللهَ وليس يُهَراقُ بسَبَبِي مِحْجَمَةُ دَمٍ. قال: ثم صلَّيْنا معه صلاةَ الصبحِ ذاتَ يومٍ، فلمّا فرَغ أقبلَ علىٰ الناسِ فقال: إنِّي رأيتُ أبا بكرٍ وعمرَ أتَياني الليلةَ، فقالا لي: صُمْ يا عثمانُ، فإنَّك تُفْطِرُ عندَنا. وإنِّي أُشْهِدُكم أنِّي قد أصبحْتُ صائمًا، وإنِّي أعزِمُ علىٰ مَن كان يؤْمن باللهِ واليومِ الآخرِ أن يَخْرُجَ مِن الدارِ سالمًا مسلومًا منه. فقلنا: يا أميرَ المؤْمنِين إن خرَجْنا لم نأْمَنْ منهم علينا، فائْذَنْ لنا أن نكونَ في بيتٍ مِن الدارِ تكونُ لَنا فيه جماعةٌ ومنَعةٌ. ثم أمَر ببابِ الدارِ ففُتِح ودَعا بالمصحفِ فأكبَّ عليه وعندَه امْرَأتاه بنتُ الفَرافِصَةِ الكلبيَّةُ وابنةُ شَيْبَةَ، فكان أولُ مَن دخَل عليه محمدَ بنَ أبي بكرٍ فأخَذ بلِحْيَتِه، فقال: دَعْها يا ابنَ

أخي، فوالله لقد كان أبوك يَتَلَهَّف لها بأدْنَى من هذا. فاستَحْيَىٰ فخرَجَ فقال للقوم: قد أشْعَرْتُه لكم. وأخَذ عثمانُ ما امْتُعِطَ من لحيته فأعطاه إحْدَىٰ امْرأتَيْه، ثم دخَل رُومانُ بنُ سُودانَ، رجلٌ أزرقُ قصيرٌ مُخَدَّدٌ، عِدادُه من مُرادٍ معه جُرْزٌ من حديد، فاستَقْبَلَه فقال: علىٰ أيِّ ملة أنت يا نَعْثَلُ؟ فقال عثمانُ: لستُ بنَعْثَلٍ، ولكنِّي عثمانُ بنُ عفانَ، وأنا علىٰ ملة إبراهيمَ حنيفًا مسلمًا وما أنا من المُشركين. فقال: كذَبْتَ. وضربَه بالجُرْزِ علىٰ صُدْغِه الأيسرِ فقتَله فخرَّ، فأدْخَلَته بنتُ الفَرافصةِ بينَها وبينَ ثيابِها - وكانت امرأةً جسيمةً ضليعةً - فألقت نفسَها عليه، وألقت بنتُ شَيْبَةَ نفسَها علىٰ ما بَقِي من جسده، ودخَل رجلٌ من أهلِ مصرَ بالسيف مُصْلَتًا فقال: والله لأَقْطَعَنَّ أنفَه. فعالَجَ المرأةَ عنه فغلَبَته، فكشَف عنها دِرْعَها من خلفِها حتىٰ نظَر إلىٰ مَتْنِها، فلمّا لم يصِلْ إليه أدخَلَ السيفَ بينَ قُرطِها ومَنْكِبِها، فقبَضَتْ علىٰ السيف فقطَع أناملَها، فقالت: يا رَباحُ - لغلامِ عثمانَ أسودَ - يا غلامُ ادفَعْ عنِّي هذا الرجلَ. فمشَىٰ إليه الغلامُ فضرَبَه فقتَلَه، وخرَج أهلُ البيتِ يُقاتِلُون عن أنفسِهم، فقُتِل المغيرةُ بنُ الأخنَسِ وجُرِح مَرْوانُ. قال: فلمّا أمسينا قُلْنا: إن ترَكْتُم صاحبَكم حتىٰ يُصْبِحَ مَثَّلُوا به. فاحْتَمَلْناه إلىٰ بقيعِ الغَرْقَدِ في جوفِ الليلِ، وغَشِيَنا سوادٌ من خلفِنا فهِبْناهم وكِدْنا أن نتَفَرَّقَ عنه، فنادَىٰ مناديهم: أن لا رَوْعَ عليكم، اثْبُتوا إنَّما جئنا لنشْهَدَه معكم. وكان أبو حُنَيْشٍ يقولُ: هم ملائكةُ الله - فدفَنّاه ثم هرَبْنا إلىٰ الشامِ من ليلتِنا، فلقِينا الجيشَ بوادِي القُرَىٰ عليهم حَبيبُ بنُ مَسْلَمَةَ.

فصل

ولمّا وقَع هذا الأمرُ العظيمُ الفظيعُ الشنيعُ، أُسْقِطَ في أيْدِي الناسِ، فأعْظَمُوه جدًّا، وندم أكثرُ هؤلاءِ الجهلةِ الخوارجِ علىٰ ما صَنَعوا، وأشْبَهوا مَن تقدَّمهم ممَّن قصَّ اللهُ علينا خبَرَهم في كتابِه العزيزِ، من الذين عبَدوا العجلَ في قوله تعالىٰ: ﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٩].

ولمّا بلَغ الزبيرَ مقْتَلُ عثمانَ - وكان قد خرَج من المدينة - قال: إنَّا لله وإنَّا إليه راجعُون. ثم ترَحَّم علىٰ عثمانَ، وبلَغه أنَّ الذين قتَلوه ندموا فقال: تَبًّا لهم. ثم تلا قولَه تعالىٰ: ﴿مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾ [يس: ٤٩، ٥٠]. وبلَغ عليًّا قتلُه، فترَحَّم عليه، وسمع بندَمِ الذين قتَلُوه فتَلا قوله تعالىٰ: ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَانِ اكْفُرْ﴾ الآية [الحشر: ١٦]. ولمّا بلَغ سعدَ بنَ أبي وقاصٍ قتلُ عثمانَ استَغْفَر له وترَحَّم عليه، وتلا في حقِّ الذين قتَلُوه: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف: ١٠٣، ١٠٤]. ثم قال سعدٌ: اللهمَّ أنْدِمْهم ثم خُذْهم. وقد أقْسَم بعضُ السلفِ بالله أنَّه ما مات أحدٌ من قتَلةِ عثمانَ إلاَّ مَقْتُولاً. رواه ابنُ جريرٍ. وهكذا يَنْبَغِي أن يكونَ؛ لوُجوهٍ منها، دَعْوةُ سعدٍ المُسْتجابةُ، كما ثبَت في الحديثِ الصحيحِ. وقال بعضُهم: ما مات أحدٌ منهم حتىٰ جُنَّ.

وقال الواقديُّ: حدَّثني عبدُ الرحمنِ بنُ أبي الزِّناد، عن عبدِ الرحمنِ بنِ الحارث، قال: الذي قَتَل عثمانَ كنانةُ بنُ بِشْرِ بنِ عَتَّابٍ التُّجِيبيُّ، وكانت امرأةُ مَنظورِ بنِ سَيَّارٍ الفَزاريِّ تقولُ: خرَجْنا إلى الحجِّ وما علِمْنا لعثمانَ بقتلٍ، حتى إذا كنّا بالعَرْجِ سمِعْنا رجلاً يُغنِّي تحتَ الليل:

ألا إنَّ خيرَ الناسِ بعدَ ثلاثةٍ قتيلُ التُّجيبيِّ الذي جاء من مصرِ

ولمّا رجَع الحَجيجُ وجَدوا عثمانَ، رضي اللهُ عنه، قد قُتِل، وبايَع الناسُ عليَّ بنَ أبي طالبٍ، رضي اللهُ عنه. ولمّا بلَغ أمَّهاتِ المؤمنين في أثناءِ الطريقِ أنَّ عثمانَ قد قُتِل، رجَعْنَ إلى مكةَ، فأقَمْنَ بها نحوًا من أربعةِ أشهرٍ كما سيأتي.

فصل

كانت مدةُ حَصْرِ عثمانَ، رضي اللهُ عنه، في دارِه أربعين يومًا على المشهورِ. وقيل: كانت بِضْعًا وأربعين يومًا. وقال الشعبيُّ: كانت ثِنْتَين وعشرين ليلةً. ثم كان قتلُه، رضي اللهُ عنه، في يومِ الجُمُعةِ بلا خلافٍ. قال سيفُ بنُ عمرَ عن مشايخِه: في آخرِ ساعةٍ منها. ونصَّ عليه مصعبٌ الزُّبَيريُّ وآخَرُون. وقال آخَرون: ضَحْوَةً. وهذا أشبَهُ. وكان ذلك لثمانيَ عَشْرَةَ ليلةً خلَت من ذي الحجَّةِ على المشهورِ. وقيل: في أيامِ التشريقِ. رواه ابنُ جريرٍ: حدَّثني أحمدُ بنُ زُهَيرٍ، ثنا أبو خَيْثَمَةَ، ثنا وَهْبُ بنُ جريرٍ قال: سمِعْتُ أبي قال: سمِعْتُ يُونُسَ بنَ يزيدَ، عن الزُّهْريِّ قال: قُتِل عثمانُ فزَعَم بعضُ الناسِ أنَّه قُتِل في أيامِ التشريقِ. ورَواه عبدُ اللهِ بنُ أحمدَ، عن عُبَيدِ اللهِ بنِ مُعاذٍ، عن مُعْتَمِرِ بنِ سليمانَ، عن أبيه، عن أبي عثمانَ قال: قُتِل عثمانُ في أوسطِ أيامِ التشريقِ. وقال بعضُهم: قُتِل يومَ الجُمُعةِ لثمانيَ عَشْرَةَ ليلةً خلَت من ذي الحجَّةِ. وقيل: قُتِل يومَ النحرِ. حكاه ابنُ عساكرَ. ويُسْتَشْهَدُ له بقولِ الشاعرِ:

ضحَّوْا بأشْمَطَ عُنوانُ السجودِ به يُقَطِّعُ الليلَ تسبيحًا وقرآنا

قلتُ: والأولُ هو الأشهرُ. وهو أنَّه قُتِل يومَ الجُمُعةِ لثمانيَ عَشْرَةَ ليلةً خلَت من ذي الحجَّةِ سنةَ خمسٍ وثلاثين، على الصحيحِ المشهورِ. وقيل: سنةَ ستٍّ وثلاثين. قاله مصعبٌ الزُّبَيريُّ وطائفةٌ. وهو غريبٌ. فكانت خلافتُه ثِنْتَي عشْرَةَ سنةً إلا اثْنَيْ عشَرَ يومًا؛ لأنَّه بُويِعَ له في مُسْتَهَلِّ المحرَّمِ سنةَ أربعٍ وعشرين.

فأمّا عُمْرُه، رضي اللهُ عنه، فإنَّه جاوَزَ الثمانين على المشْهورِ. فقيل: إحدَى وثمانين سنةً. وقال الواقديُّ وغيرُ واحدٍ: تُوُفِّيَ عن ثِنْتَين وثمانين سنةً. وقال صالحُ بنُ كَيْسانَ: وأشهرٍ. وقيل: أربعٍ وثمانين سنةً. وقال أحمدُ، عن حسنِ بنِ موسى، حدَّثنا أبو هلالٍ، عن قتادةَ: تُوُفِّي عثمانُ عن ثمانٍ وثمانينَ أو تسعين سنةً. وفي روايةٍ عنه: تُوُفِّيَ عن ستٍّ وثمانين سنةً. وعن هشامِ بنِ الكلبيِّ: تُوُفِّيَ

عن خمسٍ وسبعين سنةً. وهذا غريبٌ جداً. وأغربُ منه ما رواه سيفُ بنُ عمرَ عن مشايخه؛ وهم محمدٌ وطلحةُ وأبو عثمانَ وأبو حارثةَ أنَّهم قالوا: قُتِل عثمانُ، رضي اللهُ عنه، عن ثلاثٍ وستِّين سنةً.

وأمّا موضعُ قبرِه، فلا خلافَ أنَّه دُفِن بحَشِّ كَوْكَبٍ - شرقيَّ البقيع - وقد بُني عليه زمانَ بني أمية قُبَّةٌ عظيمةٌ وهي باقيةٌ إلى اليوم. قال الإمامُ مالكٌ: بلَغَني أنَّ عثمانَ، رضي اللهُ عنه، كان يَمُرُّ بمكانِ قبرِه من حَشِّ كَوْكَبٍ فيقولُ: إنَّه سيُدْفَنُ ههُنا رجلٌ صالحٌ.

وقد ذكَر ابنُ جريرٍ أنَّ عثمانَ، رضي اللهُ عنه، بَقِيَ بعدَ أن قُتِل ثلاثةَ أيامٍ لا يُدْفَنُ. قلتُ: وكأنَّه اشْتَغَل الناسُ عنه بمُبايعةِ عليٍّ، رضي اللهُ عنه، حتى تَمَّتْ. وقيل: إنَّه مَكَث لَيْلَتَيْن. وقيل: بل دُفِن من لَيْلَتِه. ثم كان دفنُه ما بينَ المغربِ والعشاءِ خِيفَةً مِن الخوارجِ. وقيل: بل استُؤْذِن في ذلك بعضُ رؤسائهم.

فخَرَجوا به في نفرٍ قليلٍ من الصحابةِ؛ منهم حكيمُ بنُ حزامٍ، وحُوَيْطِبُ بنُ عبدِ العُزَّى، وأبو الجَهْمِ بنُ حذيفةَ، ونِيارُ بنُ مُكْرَمٍ الأسلميُّ، وجُبَيْرُ بنُ مُطْعِمٍ، وزيدُ بنُ ثابتٍ، وكعبُ بنُ مالكٍ، وطلحةُ، والزبيرُ، وعليُّ بنُ أبي طالبٍ، وجماعةٌ من أصحابِه ونسائِه؛ منهُنَّ امرأتاه نائلةُ وأمُّ البَنِين بنتُ عُيَيْنَةَ بنِ حِصْنٍ، وصِبْيانٌ. وهذا مجموعٌ من كلامِ الواقديِّ وسيفِ بنِ عمرَ التميميِّ.

قال أحمدُ: ثنا عبدُ الرزاقِ، عن مَعْمَرٍ، عن قتادةَ قال: صلَّى الزبيرُ على عثمانَ ودفَنه وكان أوْصَى إليه[1]. وروى عبدُ اللهِ من طريقِ إبراهيمَ بنِ عبدِ اللهِ بنِ فَرُّوخَ، عن أبيه: شهِدْتُ عثمانَ دُفِن في ثيابِه بدمائِه ولم يُغَسَّلْ[2].

وحمَله جماعةٌ من خَدَمِه بعدَ ما غَسَّلوه وكفَّنوه. وزعَم بعضُهم أنَّه لم يُغَسَّلْ ولم يُكَفَّنْ. والصحيحُ الأولُ. وصلَّى عليه جُبَيْرُ بنُ مُطْعِمٍ. وقيل: الزبيرُ بنُ العوامِ. وقيل: حكيمُ بنُ حزامٍ. وقيل: مَرْوانُ بنُ الحكمِ. وقيل: المِسْوَرُ بنُ مَخْرَمَةَ. وقد عارَضَه بعضُ الخوارجِ وأرادوا رجْمَه وإلقاءَه عن سريرِه، وعزَموا على أن يُدْفَنَ بمقبرةِ اليهودِ بدَيْرِ سَلْعٍ، حتى بلَغ عليَّ بنَ أبي طالبٍ، فبعَث إليهم مَن نَهاهم عن ذلك. وحمَل جِنازتَه حكيمُ بنُ حزامٍ وأبو جَهْمِ بنُ حذيفةَ ونِيارُ بنُ مُكْرَمٍ وجبيرُ بنُ مُطْعِمٍ.

وذكَر الواقديُّ أنَّه لمّا وُضِع ليُصَلَّى عليه - عندَ مُصَلَّى الجنائزِ - أراد بعضُ الأنصارِ أن يَمْنَعَهم من ذلك، فقال أبو جَهْمِ بنُ حذيفةَ: ادْفِنوه، فقد صلَّى اللهُ عليه وملائكتُه. ثم قالوا: لا يُدْفَنُ في البقيعِ، ولكنِ ادْفِنوه وراءَ الحائطِ. فدَفَنوه شرقيَّ البقيعِ تحتَ نَخَلاتٍ هناك.

---

(١) **إسناده ضعيف ومنقطع:** والأثر في «مسند أحمد» (١/ ٧٤).

(٢) أخرجه عبد الله بن أحمد في «زوائد المسند» (١/ ٧٣) ثني سريج بن يونس حدثنا محبوب بن محرز عن إبراهيم بن عبد الله ابن فرُّوخ، وهذا إسنادٌ ضعيف من أجل محبوب بن محرز ليَّنه الحافظ.

وذكَر الواقديُّ أنَّ عُمَيْرَ بنَ ضابئٍ نزا على سريره وهو موضوعٌ للصلاة عليه، فكسَر ضِلَعًا من أضْلاعه، وقال: أحبَسْتَ ضابئًا حتى مات في السجن؟ وقد قتَل الحجاجُ فيما بعدُ عُمَيْرَ بنَ ضابئٍ هذا.

وقال البخاريُّ في «التاريخ»: حدَّثنا موسى بنُ إسماعيلَ، عن عيسى بنِ منْهال، ثنا غالبٌ، عن محمدِ بنِ سيرينَ قال: كنتُ أطوفُ بالكعبة وإذا رجلٌ يقولُ: اللهمَّ اغْفِرْ لي، وما أظُنُّ أن تَغْفِر لي. فقلتُ: يا عبدَ الله ما سمعْتُ أحدًا يقولُ ما تقولُ. قال: كنتُ أعطيتُ اللهَ عهدًا إن قدَرْتُ أن ألْطِمَ وجهَ عثمانَ إلاَّ لَطَمْتُه، فلمّا قُتِل وُضِع على سريرِه في البيتِ والناسُ يَجيئُون فيُصلُّون عليه، فدخَلْتُ كأنِّي أُصلِّي عليه، فوجَدْتُ خَلْوةً فرفَعْتُ الثوبَ عن وجهِه فلطَمْتُه، وسَجَّيْتُه وقد يَبِسَتْ يَميني. قال ابنُ سيرينَ: فرأيتُها يابسةً كأنَّها عُودٌ.

ثم خرَجُوا بعبدَيْ عثمانَ اللذَيْن قُتِلا في الدارِ؛ وهما صُبَيْحٌ ونُجَيْحٌ، رضي اللهُ عنهما، فدُفِنا إلى جانبِه بحَشِّ كَوْكَبٍ. وقيل: إنَّ الخوارجَ لم يُمكِّنُوا من دَفْنِهما، بل جَرُّوهما بأرجُلِهما حتى ألْقَوْهما بالبَلاط فأكَلَتْهما الكلابُ.

وقد اعْتَنَى معاويةُ في أيام إمارته بقبرِ عثمانَ، ورفَع الجدارَ بينَه وبينَ البقيع، وأمَر الناسَ أن يَدْفِنُوا مَوْتاهم حولَه حتى اتصلَت بمقابرِ المسلمين.

ذكر صفته، رضي الله عنه

كان رضي اللهُ عنه، حسَنَ الوجه، رقيقَ البشَرة، كبيرَ اللحية، معتدلَ القامة، عظيم الكَراديس، بعيد ما بينَ المَنْكِبَيْن، كثيرَ شعْرِ الرأس، حسَنَ الثَّغْرِ، فيه سُمْرةٌ. وقيل: بياضٌ. وقيل: كان في وجهِه شيءٌ من آثارِ الجُدَرِيِّ، رضي اللهُ عنه. وعن الزهريِّ: كان حسنَ الوجهِ والشعْرِ، مربوعًا أصْلَعَ، أرْوَحَ الرِّجْلَيْن.

وقال الإمامُ أحمدُ: ثنا عبدُ الصمد، ثنا سالمٌ أبو جُمَيْعٍ، ثنا الحسنُ، وذكَر عثمانَ وشدَّةَ حيائه، فقال: إنْ كان ليكونُ في البيتِ والبابُ عليه مغْلَقٌ، فما يَضَعُ عنه الثوبَ ليُفيضَ عليه الماءَ؛ يَمْنَعُه الحياءُ أن يُقِيمَ صُلْبَه[١].

وقال عبدُ الله: حدَّثَنا زيادُ بنُ أيوبَ، ثنا هُشَيْمٌ قال: زعَم أبو المِقْدام، عن الحسنِ بنِ أبي الحسنِ قال: دخَلْتُ المسجدَ فإذا أنا بعثمانَ بنِ عفانَ مُتَوكِّئٌ على ردائه، فأتاه سَقَّاآن يَخْتَصِمان فقضَى بينَهما، ثم أتَيتُه فنظَرْتُ إليه فإذا رجلٌ حسَنُ الوجه، بوَجْنَتَيْه نَكَتاتُ جُدَرِيٍّ، وإذا شَعْرُه قد كَسا ذِراعَيْه[٢]. وقال واقدُ بنُ عبدِ الله: حدَّثني مَن رأى عثمانَ بنَ عفانَ ضَبَّبَ أسْنانَه بالذهب.

---

(١) **إسناده رجاله ثقات:** أخرجه أحمد في «المسند» (١/ ٧٣-٧٤) به.

(٢) **إسناده ضعيف جدًا:** أخرجه عبد الله في «زوائد المسند» (١/ ٧٣) وإسناده ضعيف جدًا من أجل الكلام في أبي المقدام وهو هشام بن زياد القرشي متروك.

وقال الواقديُّ: حَدَّثنا ابنُ أبي سَبْرَةَ، عن سعيدِ بنِ أبي زيدٍ، عن الزهريِّ، عن عبيدِ اللهِ بنِ عبدِ اللهِ بنِ عُتْبَةَ قال: كان لعثمانَ عندَ خازنه يومَ قُتل، ثلاثون ألفَ ألف درهمٍ وخمسُمائةِ ألفِ درهمٍ، وخمسون ومائةُ ألفِ دينارٍ، فانتُهِبَتْ وذهبَت، وترك ألفَ بعيرٍ بالرَّبَذَة، وترك صدقاتٍ كان تصدَّقَ بها؛ ببئرِ أريس، وخيبرَ، ووادي القُرَى، قيمةَ مائتي ألفِ دينارٍ.

وقال الإمامُ أحمدُ: ثنا أبو المغيرة، ثنا أرْطاةُ بنُ المنذر، ثنا أبو عَوْنٍ الأنصاريُّ أنَّ عثمانَ قال لابنِ مسعودٍ: هل أنت مُنْتَهٍ عمّا بلَغَني عنك؟ فاعْتَذر بعضَ العذرِ. فقال عثمانُ: إنِّي قد سمعْتُ وحفظتُ، وليس كما سمعْتَ، سمعْتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ: «إنَّه سيُقتَلُ أميرٌ، ويَنْتَزِي مُنْتَزٍ». وإنِّي أنا المقْتولُ وليس عمرُ، إنَّ عمرَ قتلَه واحدٌ، وإنَّه سيُجْتَمَعُ عليَّ[1].

وقال أحمدُ: ثنا وكيعٌ، عن إسماعيلَ، عن قيسٍ قال: حدَّثني أبو سَهْلَةَ أنَّ عثمانَ قال يومَ الدارِ: إنَّ رسولَ اللهِ ﷺ عهِد لي عهدًا، فأنا صابرٌ عليه. قال قيسٌ: فكانوا يرَوْنَه ذلك اليومَ.

ورَواه الترمذيُّ، من حديثِ وكيعٍ ويحيى بنِ سعيدٍ، عن إسماعيلَ بنِ أبي خالدٍ به[2].

وفي «مسندِ أبي يعلَى»، من طريقِ أبي سَهْلَةَ قال: قال لي رسولُ اللهِ ﷺ: «سَتُبْتَلَى بعدي فلا تُقاتِلْ»[3].

فصل

قال الأعمشُ، عن زيدِ بنِ وهبٍ، عن حذيفةَ أنَّه قال: أولُ الفتنِ قتْلُ عثمانَ، وآخرُ الفتنِ الدَّجّالُ.

ورَوَى الحافظُ ابنُ عساكرَ، من طريقِ شَبَابَةَ، عن حَفْصِ بنِ مُوَرِّقٍ الباهليِّ، عن حجَّاجِ بنِ أبي عثمانَ الصَّوافِ، عن زيدِ بنِ وهبٍ، عن حذيفةَ. قال: أولُ الفتنِ قتلُ عثمانَ، وآخرُ الفتنِ خُروجُ الدَّجَّالِ، والذي نفسي بيدِه لا يموتُ رجلٌ وفي قلبِه مثقالُ حبةٍ من حبِّ قتلِ عثمانَ، إلاَّ تبع الدَّجَّالَ إن أدْرَكه، وإن لم يُدْرِكْه آمَن به في قبرِه.

وقال أبو بكرِ بنُ أبي الدُّنيا وغيرُه: أنا محمدُ بنُ سعدٍ، أنا عمرُو بنُ عاصمٍ الكلابيُّ، ثنا أبو الأشهَبِ، حدَّثني عوفٌ، عن محمدِ بنِ سيرينَ أنَّ حذيفةَ بنَ اليمانِ قال: اللهمَّ إن كان قتلُ عثمانَ بنِ عفانَ خيرًا، فليس لي فيه نصيبٌ، وإن كان قتلُه شرًّا، فأنا منه بَرِيءٌ، واللهِ لئن كان قتلُه خيرًا لتَحْلُبُنَّه

(١) **إسناده ضعيف**: أخرجه أحمد (١/ ٦٦) وفي إسناده أبو عون الأنصاري وهو عبد الله بن أبي عبد الله قال الحافظ مقبول يعني إن توبع وإلا فلين.

(٢) **إسناده فيه ضعف**: أخرجه أحمد (١/ ٥٧ ـ ٥٨) بهذا الإسناد ورجاله ثقات إلا أبا سهلة هذا وقد تقدم الكلام عليه قريبًا ووثقه الحافظ في «التقريب» لكن لم أجد فيه توثيق معتبر.

(٣) **إسناده مرسل**: وأخرجه أبو يعلى (٧٠٤٥) مطولاً وفيه نفس المعنى وفي إسناده إبراهيم بن عمر بن عثمان العثماني ضعيف الحديث منكر الحديث كما قال أبو حاتم بن عثمان العثماني.

لبنًا، ولَئِن كان قتلُه شرًّا لتَمْتَصُّنَّ به دمًا. وقد ذكَره البخاريُّ في «صحيحه»[١].

طريقٌ أُخرَى عنه: قال محمدُ بنُ عائذٍ: ذكَر يحيىٰ بنُ حمزَةَ، حدَّثني أبو عبدِ اللهِ النَّجْرانيُّ أنَّ حذيفةَ بنَ اليمانِ في مرضِه الذي هلَك فيه، كان عندَه رجلٌ مِن إخوانِه وهو يُناجِي امرأتَه، ففتَح عَيْنَيه فسألهما فقالا: خيرٌ. فقال: إنَّ شيئًا تُسِرّانه دوني ما هو بخيرٍ. قال: قُتِل الرجلُ. يَعْنِي عثمانَ. قال: فاسترجَع ثم قال: اللهمَّ إنِّي كنتُ مِن هذا الأمرِ بمعْزِلٍ، فإن كان خيرًا فهو لَمَن حضَره، وأنا منه بَرِيءٌ، وإن كان شرًّا فهو لِمَن حضَره، وأنا منه بَرِيءٌ، اليومَ نَفَرتِ القلوبُ بأنفارِها، الحمدُ للهِ الذي سبَق بي الفتنَ، قادتَها وعُلوجَها، الحظيُّ مَن تردَّىٰ بعيرُه، فشبع شحمًا وقلَّ عملُه.

وقال الحسنُ بنُ عرفةَ: ثنا إسماعيلُ بنُ إبراهيمَ ابنِ عُلَيَّةَ، عن سعيدِ بنِ أبي عَرُوبةَ، عن قتادةَ، عن أبي موسىٰ الأشعريِّ قال: لو كان قتلُ عثمانَ هدًىٰ، لاحْتَلَبَتْ به الأمةُ لبنًا، ولكنَّه كان ضلالاً، فاحْتَلَبَتْ به الأمةُ دمًا. وهذا منقطعٌ[٢].

وقال محمدُ بنُ سعد: أنا عارمُ بنُ الفضلِ، أنا الصَّعِقُ بنُ حَزْنٍ، ثنا قتادةُ، عن زَهْدَمٍ الجَرْميِّ قال: خطَب ابنُ عباسٍ فقال: لو لم يَطْلُبِ الناسُ بدمِ عثمانَ لرُمُوا بالحِجارةِ مِن السماءِ[٣]. وقد رُوِي مِن غير هذا الوجهِ عنه.

وقال الأعمشُ وغيرُه، عن ثابتِ بنِ عبيدٍ، عن أبي جعفرٍ الأنصاريِّ قال: لَمّا قُتِل عثمانُ جِئْتُ عليًّا وهو جالسٌ في المسجدِ وعليه عِمامةٌ سوداءُ فقلتُ له: قُتِل عثمانُ. فقال: تبًّا لهم آخِرَ الدهرِ. وفي رِوايةٍ: خَيبةً لهم[٤].

وقال أبو القاسمِ البغويُّ: أنبأنا عليُّ بنُ الجعدِ، أنا شَريكٌ، عن عبدِ اللهِ بنِ عيسىٰ، عن ابنِ أبي ليلىٰ. قال: سمِعتُ عليًّا وهو ببابِ المسجدِ، أو عندَ أحجارِ الزيتِ، رافعًا صوتَه يقولُ: اللهمَّ إنِّي أبرأُ إليك مِن دمِ عثمانَ[٥]. وقال أبو هلالٍ: عن قتادةَ، عن الحسنِ قال: قُتِل عثمانُ وعليٌّ غائبٌ في أرضٍ له، فلمّا بلَغه قال: اللهمَّ إنِّي لم أرْضَ ولم أُمالِئْ. وروَىٰ الربيعُ بنُ بدرٍ، عن سيّارِ بنِ سلامةَ، عن أبي العاليةِ أنَّ عليًّا دخَل علىٰ عثمانَ، فوقَع عليه وجعَل يَبْكِي حتىٰ ظنُّوا أنَّه سيَلْحَقُ به.

وقال الثوريُّ وغيرُه، عن ليثٍ، عن طاوسٍ، عن ابنِ عباسٍ قال: قال عليٌّ يومَ قُتِل عثمانُ: واللهِ ما قتَلْتُ ولا أمَرْتُ، ولكنِّي غُلِبتُ. ورَواه غيرُ ليثٍ، عن طاوسٍ، عن ابنِ عباسٍ، عن عليٍّ بنحوِه[٦].

وقال حَبِيبُ ابنُ أبي العاليةِ، عن مجاهدٍ، عن ابنِ عباسٍ قال: قال عليٌّ: إن شاءَ الناسُ حلَفْتُ

---

(١) أخرجه ابن سعد في «طبقاته» (٣/ ٦١) وفي إسناده أبو الأشهب لم أعرفه وقد ذكر له المؤلف طريقًا آخر عقبه.

(٢) كما قال المؤلف رحمه الله.

(٣) إسناده حسن: أخرجه ابن سعد في «الطبقات الكبرىٰ» (٣/ ٥٨ - ٥٩) وله طريق آخر عند ابن سعد (٣/ ٥٨).

(٤) ما برز من إسناده ضعيف لحال أبي جعفر الأنصاري.

(٥) إسناده ضعيف: لحال شريك. وقد أخرجه ابن سعد في «طبقاته» (٣/ ٦٠) عن عبد الله بن نمير عن شريك بهذا الإسناد.

(٦) أخرجه ابن سعد في «طبقاته» (٣/ ٦٠) بإسناد ضعيف من قبل ليث لكن أشار المؤلف إلىٰ أنه متابع ولم أقف علىٰ المتابع.

لهم عندَ مَقامِ إبراهيمَ باللهِ، ما قتَلْتُ عثمانَ، ولا أمَرْتُ بقتلِه، ولقد نَهَيْتُهم فعصَوْني. وقد رُوِي من غيرِ وجهٍ عن عليٍّ بنحوِه.

وقال محمدُ بنُ يونسَ الكُدَيْمِيُّ: ثنا هارونُ بنُ إسماعيلَ، ثنا قُرَّةُ بنُ خالدٍ، عن الحسنِ، عن قَيْسِ ابنِ عُبَادٍ قال: سمعتُ عليًّا يومَ الجملِ يقولُ: اللهمَّ إنِّي أبرَأُ إليك مِن دمِ عثمانَ، ولقد طاش عقلي يومَ قُتِل عثمانُ، وأنكرْتُ نفسي، وجاءُوني للبيعةِ فقلتُ: واللهِ إنِّي لأستَحْيِي مِن اللهِ أن أُبايعَ قومًا قتَلوا رجلًا قال فيه رسولُ اللهِ ﷺ: «ألا أستَحْيِي ممَّن تَستَحْيِي منه الملائكةُ». وإنِّي لأستحيِي مِن اللهِ أن أُبايَعَ وعثمانُ قتيلٌ على الأرضِ لم يُدْفَنْ بعدُ. فانصرَفوا، فلمَّا دُفِن رجَع الناسُ يسألُوني البيعةَ فقلتُ: اللهمَّ إنِّي لَمُشفِقٌ ممَّا أُقدِمُ عليه، ثم جاءَتْ عَزْمَةٌ فبايَعْتُ، فلمَّا قالوا: أميرُ المؤمنين، فكأنَّما صُدِع قلبي، وانسَكَبْتُ بعَبْرةٍ(1).

وقد اعْتَنَى الحافظُ الكبيرُ أبو القاسمِ ابنُ عساكرَ بجمعِ الطرقِ الواردةِ عن عليٍّ، أنَّه تبرَّأ مِن دمِ عثمانَ، وكان يُقْسِمُ على ذلك في خُطَبِه وغيرِها أنَّه لم يَقْتُلْه، ولا أمَر بقتلِه، ولا مالأ، ولا رضِي به، ولقد نَهَى عنه فلم يَسْمَعُوا منه. ثبَت ذلك عنه، مِن طُرقٍ تُفيدُ القطعَ عندَ كثيرٍ مِن أئمةِ الحديثِ. وللهِ الحمدُ والمنَّةُ. وثبَت عنه أيضًا مِن غيرِ وجهٍ أنَّه قال: إنِّي لأرجُو أن أكونَ أنا وعثمانُ ممَّن قال اللهُ تعالى فيهم: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ [الحجر: ٤٧]. وثبَت عنه أيضًا مِن غيرِ وجهٍ أنَّه قال: كان مِن الذين آمنُوا وعمِلوا الصالحاتِ، ثم اتقَوْا وآمنُوا، ثم اتقَوْا وأحسنُوا. وفي روايةٍ أنَّه قال: كان عثمانُ، رضِي اللهُ عنه، خيرَنا، وأوصَلَنا للرحمِ، وأشدَّنا حياءً وأحسنَنا طُهورًا، وأتْقانا للربِّ عزَّ وجلَّ.

ورَوَى يعقوبُ بنُ سفيانَ، عن سليمانَ بنِ حَرْبٍ، عن حمادِ بنِ زيدٍ، عن مجالدٍ، عن عُمَيْرِ بنِ زَوْذِيٍّ أبي كثيرٍ قال: خطَب عليٌّ فقطَع الخوارجُ عليه خُطبتَه، فنزَل فقال: إنَّ مثَلي ومثَلَ عثمانَ كمثَلِ أثوارٍ ثلاثةٍ؛ أحمرَ وأبيضَ وأسودَ، ومعهم في أَجَمَةٍ أسدٌ، فكان كلَّما أراد قتْلَ أحدِهم منَعه الآخَران، فقال للأسودِ والأحمرِ: إنَّ هذا الأبيضَ قد فضَحَنا في هذه الأَجَمَةِ، فخَلِّيا عنه حتى آكُلَه. فخَلَّيا عنه، فأكلَه، ثم كان كلَّما أراد أحدَهما منَعه الآخرُ، فقال للأحمرِ: إنَّ هذا الأسودَ قد فضَحَنا في هذه الأَجَمَةِ، وإنَّ لَوْني على لونِك، فلو خلَّيتَ عنه أكلْتُه. فخلَّى عنه الأحمرُ فأكلَه، ثم قال للأحمرِ: إنِّي آكِلُك. فقال: دَعْني حتى أُصيحَ ثلاثَ صَيْحاتٍ. فقال: دونَك. فقال: ألا إنِّي إنَّما أُكِلْتُ يومَ أُكِلَ الأبيضُ. ثلاثًا، ثم قال عليٌّ: وإنَّما أنا وَهَنْتُ يومَ قُتِل عثمانُ. قالَها ثلاثًا(2).

ورَوَى ابنُ عساكرَ، مِن طريقِ محمدِ بنِ هارونَ الحضْرَمِيِّ، عن سَوَّارِ بنِ عبدِ اللهِ العَنْبَرِيِّ

---

(1) في إسناده ضعف: أخرجه الحاكم (٣/ ١٠٣) وتصحف فيه الكديمي إلى القرش وفي إسناده ضعف من قبل محمد بن يونس بن موسى بن سليمان الكديمي، لكن له متابع عند الحاكم (٣/ ٩٥) عن أبي جعفر عبد اللّٰه بن إسماعيل بن إبراهيم بن المنصور أمير المؤمنين عن محمد بن أحمد بن يزيد الرياحي عن هارون بن إسماعيل الخزاز به فذكره بنحوه ومحمد صدوق كما قال الدارقطني انظر «السير» (١٣/ ٧) وثبت السند إليه فيتقوى الأثر بهذا لولا عنعنة الحسن وأبو جعفر ثقة انظر «السير» (١٣/ ٧) و«تاريخ بغداد» (٩/ ٤١١) وصححه الحاكم على شرط الشيخين.

(2) إسناده ضعيف: من أجل مجالد وأخرجه الفسوي في «المعرفة» (٣/ ١١٨) وعمير بن زوذي ذكره ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» وغيره ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلاً.

القاضي، عن ابنِ مَهْديٍّ، عن حمّادِ بنِ زيدٍ، عن يحيىٰ بنِ سعيدٍ، عن سعيدِ بنِ المسيبِ قال: كانت المرأةُ تجيءُ في زمانِ عثمانَ إلىٰ بيتِ المالِ، فتَحْمِلُ وِقْرَها وتقولُ: اللهمَّ بدِّلْ، اللهمَّ غيِّرْ. فقال حسانُ بنُ ثابتٍ حينَ قُتِل عثمانُ، رضي اللهُ عنه:

قُلْتُمْ بَدِّلْ فَقَدْ بدلْكُمْ ... سَنَةً حَرَّىٰ وحَرْبًا كَاللَّهَبْ

مَا نَقَمْتُمْ من ثيابٍ خلفَةٍ ... وعَبيدٍ وإماءٍ وذَهَبْ[1]

قال: وقال أبو حُمَيْدٍ أخو بني ساعدةَ - وكان ممَّن شهد بدرًا، وكان في مَن جانَبَ عثمانَ فلمّا قُتِل قال: واللهِ ما أرَدْنا قتلَه، ولا كنّا نرىٰ أن يَبْلُغَ منه القتلَ، اللهمَّ إنَّ لك عليَّ أن لا أفعلَ كذا وكذا، ولا أضْحَكَ حتىٰ ألقاكَ.

وقال محمدُ بنُ سعد: أنا عبدُ اللهِ بنُ إدريسَ، أنا إسماعيلُ بنُ أبي خالدٍ، عن قيسِ بنِ أبي حازمٍ، عن سعيدِ بنِ زيدِ بنِ عمرِو بنِ نُفَيْلٍ، قال: لقد رأيْتُني وإنَّ عمرَ مُوثِقِي وأُخْتَه على الإسلامِ، ولو ارْفَضَّ أحدٌ فيما صنَعْتُم بابنِ عفانَ، لكان حقيقًا. وهكذا رواه البخاريُّ في «صحيحه»[2].

ورَوىٰ محمدُ بنُ عائذٍ، عن إسماعيلَ بنِ عيّاشٍ، عن صفوانَ بنِ عمرٍو، عن عبدِ الرحمنِ بنِ جبيرٍ قال: سمع عبدُ اللهِ بنُ سَلَامٍ رجلًا يقولُ لآخرَ: قُتِل عثمانُ بنُ عفانَ، فلم يَنْتَطِحْ فيه عَنْزان. فقال ابنُ سلامٍ: أجل إنَّ البقرَ والمَعْزَ لا تَنْتَطِحُ في قتلِ الخليفةِ، ولكنْ تَنْتَطِحُ فيه الرجالُ بالسلاحِ، واللهِ لَيُقْتَلَنَّ به أقوامٌ، إنَّهم لفي أصلابِ آبائهم ما وُلِدُوا بعدُ[3].

وقال ليثٌ، عن طاوسٍ قال: قال ابنُ سَلَامٍ: يُحَكَّمُ عثمانُ يومَ القيامةِ في القاتلِ والخاذلِ.

وقال أبو عبد الله المَحامليُّ: ثنا أبو الأشعثِ، ثنا حَزْمُ بنُ أبي حَزْمٍ، سمعْتُ أبا الأسودِ يقولُ: سمعْتُ أبا بَكْرَةَ يقولُ: لأن أخِرَّ من السماءِ إلى الأرضِ أحبُّ إليَّ من أن أُشْرِكَ في دَمِ عثمانَ[4].

وقال أبو يَعْلَىٰ: ثنا إبراهيمُ بنُ محمدِ بنِ عَرْعَرَةَ، ثنا محمدُ بنُ عَبّادٍ الهُنَائيُّ، ثنا البَرَاءُ بنُ أبي فَضَالَةَ، ثنا الحَضْرَميُّ، عن أبي مريمَ رضيعِ الجارُودِ قال: كنتُ بالكوفةِ فقام الحسنُ بنُ عليٍّ خطيبًا فقال: أيُّها الناسُ، رأيتُ البارحةَ في منامي عجبًا؛ رأيتُ الربَّ تبارَكَ وتعالىٰ فوقَ عرشِه، فجاءَ رسولُ اللهِ ﷺ حتىٰ قام عندَ قائمةٍ من قوائمِ العرشِ، فجاءَ أبو بكرٍ فوضَع يدَه على مَنْكِبِ النبيِّ ﷺ، ثم جاءَ عمرُ فوضَع يدَه على مَنْكِبِ أبي بكرٍ، ثم جاءَ عثمانُ فكان نَبْذَةً، فقال: ربِّ سلْ عبادَك فيمَ قتلُوني؟ فانْبَعَثَ من السماءِ ميزابان من دمٍ في الأرضِ. قال: فقيل لعليٍّ: ألا تَرَىٰ ما يُحَدِّثُ به الحسنُ؟ فقال: حدَّثَ بما رأىٰ[5].

---

(١) في إسناده محمد بن هارون الحضرمي لم أعرفه.
(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه» (٣٨٦٢) باب إسلام سعيد بن زيد رضي الله عنه من طريق سفيان عن إسماعيل عن قيس به.
(٣) ما برز من إسناده حسن وسماع عبد الرحمن من عبد الله بن سلام ممكن.
(٤) ما برز من إسناده صحيح إلى أبي بكرة رضي الله عنه.
(٥) **إسناده فيه مجاهيل**: وهو عند أبي يعلى (٨٧٦٧).

ورَواه أبو يَعْلَىٰ أيضًا، عن سفيانَ بنِ وكيعٍ، عن جُمَيْعِ بنِ عمرَ بنِ عبدِ الرحمنِ، عن مُجالدٍ، عن طُخْرُبٍ العِجْليِّ: سمعْتُ الحسنَ بنَ عليٍّ يقولُ: ما كنتُ لأُقاتِلَ بعدَ رُؤْيا رأيْتُها؛ رأيْتُ العرشَ، ورأيتُ رسولَ اللهِ ﷺ مُتَعَلِّقًا بالعرشِ، ورأيتُ أبا بكرٍ واضعًا يدَه علىٰ مَنْكِبِ رسولِ اللهِ ﷺ، وكان عمرُ واضعًا يدَه علىٰ مَنْكِبِ أبي بكرٍ، ورأيتُ عثمانَ واضعًا يدَه علىٰ مَنْكِبِ عمرَ، ورأيتُ دَمًا دونَهم، فقلتُ: ما هذا؟ فقيل: هذا دمُ عثمانَ يَطْلُبُ اللهَ به(١) .

وقال مسلمُ بنُ إبراهيمَ: ثنا سَلَّامُ بنُ مِسكينٍ، عن وَهْبِ بنِ شَبِيبٍ، عن زيدِ بنِ صُوحانَ أنَّه قال يومَ قُتِلَ عثمانُ: نفَرتِ القلوبُ مَنافِرَها، والذي نفسي بيدِه، لا تَتَألَّفُ إلىٰ يومِ القيامةِ.

وقال محمدُ بنُ سيرينَ: قالت عائشةُ: مُصْتُموه مَوْصَ الإناءِ ثم قتَلْتُموه.

وقال خليفةُ بنُ خيّاط: ثنا أبو قُتَيْبَةَ، ثنا يونسُ بنُ أبي إسحاقَ، عن عونِ بنِ عبدِ اللهِ بنِ عتبةَ قال: قالت عائشةُ: غضِبْتُ لكم مِن السوطِ ولا أغضَبُ لعثمانَ مِن السيفِ! استَعْتَبْتُموه حتىٰ إذا تَرَكْتُموه كالقُلْبِ المصفَّىٰ قتَلْتُموه(٢) .

وقال أبو معاويةَ، عن الأعمشِ، عن خَيْثَمةَ، عن مسروقٍ قال: قالت عائشةُ حينَ قُتِلَ عثمانُ: تَرَكْتُموه كالثوبِ النقيِّ مِن الدنَسِ ثم قتَلْتُموه. وفي روايةٍ: ثم قرَّبْتُموه فذبَحْتُموه كما يُذْبَحُ الكبشُ. فقال لها مسروقٌ: هذا عملُكِ، أنتِ كتبْتِ إلىٰ الناسِ تأْمُرينهم أن يَخْرُجوا إليه. فقالت: لا والذي آمَنَ به المؤمنون، وكفَر به الكافرُون، ما كتبْتُ إليهم سوداءَ في بيضاءَ حتىٰ جلسْتُ مَجْلسي هذا. قال الأعمشُ: فكانوا يَرَوْن أنه كُتِب علىٰ لسانِها(٣) . وهذا إسنادٌ صحيحٌ إليها. وفي هذا وأمثاله دَلالةٌ ظاهرةٌ علىٰ أنَّ هؤلاءِ الخوارجَ، قبَّحَهم اللهُ، زَوَّرُوا كُتُبًا علىٰ لسانِ الصحابةِ إلىٰ الآفاقِ، يُحَرِّضُونهم علىٰ قتالِ عثمانَ، كما قدَّمْنا بيانَه. ولله الحمدُ والمنَّةُ.

وقال أبو داودَ الطيالسيُّ: حدَّثنا حَزْمٌ القُطَعيُّ، ثنا أبو الأسودِ، [سَوادَةُ](٤) ، أخبَرني طَلْقُ بنُ خُشّافٍ. قال: قُتِل عثمانُ فتفرَّقْنا في أصحابِ محمدٍ ﷺ نسْألُهم عن قتْلِه، فسمِعْتُ عائشةَ تقولُ: قُتِل مظلومًا لَعَنَ اللهُ قَتَلَتَه(٥) .

ورَوَىٰ محمدُ بنُ عبدِ اللهِ الأنصاريُّ، عن أبيه، عن ثُمامةَ، عن أنسٍ قال: قالت أُمُّ سُلَيْمٍ لَمَّا

---

(١) **إسناده ضعيف:** فيه مجالد وسفيان بن وكيع وكلاهما ضعيف وهو عند أبي يعلىٰ (٨٧٦٨).

(٢) **إسناده صحيح:** إن كان عون بن عبد اللَّه سمعه من عائشة وأخرجه خليفة بن خياط في «تاريخه» ص١٧٥، ١٧٦ وقد نقل بعض أهل العلم أن رواية عون عن الصحابة مرسلة (نقله بصيغة التمريض).

(٣) **إسناده صحيح:** كما قال المؤلف أخرجه خليفة بن خياط في «تاريخه» ص١٧٦ عن محمد بن عمرو عن أبي معاوية به.

(٤) لعل صوابها أبو الأسود والد سوادة أو أبو الأسود بن سوادة.

(٥) **في إسناده من لم أعرفه:** أخرجه البخاري في «تاريخه» (٤/ ٣٥٨) [وفيه تصحيف وخطأ ولعله من النساخ] عن يحيىٰ ابن موسىٰ عن أبي داود وإسناده حسن لولا أني لم أجد في طلق بن خشاف هذا لا جرحًا ولا تعديلاً سوىٰ ذكر ابن أبي حاتم والبخاري في كتابيهما «الجرح» و«التاريخ الكبير».

سمِعَتْ بقتلِ عثمانَ: رحِمه اللهُ، أمَا إنَّهم لن يحتَلِبوا بعدَه إلاَّ دمًا.

وأمّا كلامُ أئمةِ التابِعِين في هذا الفصلِ فكثيرٌ جدًّا يطولُ ذكرُنا له، فمِن ذلك قولُ أبي مسلمٍ الخَوْلاَني حينَ رأىٰ الوفدَ الذين قدموا مِن قَتْله: أمَا مررتُم ببلادِ ثمودَ؟ قالوا: نعم. قال: أشْهَدُ أنَّكم مثلُهم، لَخَليفةُ اللهِ أكرمُ عليه مِن ناقَته. وقال ابنُ عَلَيَّةَ، عن يونسَ بنِ عبيدٍ، عن الحسنِ قال: لو كان قتلُ عثمانَ هدًىٰ لاحْتَلَبَتْ به الأمةُ لبنًا، ولكنَّه كان ضلالاً، فاحتَلَبَت به الأمةُ دمًا. وقال أبو جعفرٍ الباقرُ: كان قتلُ عثمانَ علىٰ غيرِ وجهِ الحقِّ.

ذِكرُ بعضِ ما رُثِي به، رضِي اللهُ عنه

قال مجالدٌ، عن الشعبيِّ: ما سمِعْتُ مِن مَراثي عثمانَ أحسنَ مِن قولِ كعبِ بنِ مالكٍ:

فكفَّ يديه ثم أغلَقَ بابَهُ ... وأيقَنَ أنَّ اللهَ ليسَ بغافلِ

وقال لأهلِ الدارِ لا تقتلوهُمُ ... عَفا اللهُ عن كلِ امرئٍ لم يُقاتلِ

فكيف رأيتَ اللهَ صبَّ عليهمُ الـ ... ـعداوةَ والبغضاءَ بعدَ التواصلِ

وكيفَ رأيتَ الخيرَ أدبرَ بعدَه ... عن الناسِ إدبارَ النعامِ الجوافلِ

وقد نسَب هذه الأبياتَ سيفُ بنُ عمرَ إلىٰ المغيرةِ بنِ الأخنسِ بنِ شَرِيقٍ.

وقال سيفُ بنُ عمرَ: وقال حسانُ بنُ ثابتٍ:

ماذا أردتُمْ مِن أخي الدينِ باركَتْ ... يدُ اللهِ في ذاك الأديمِ المقدَّدِ

قتلتمْ وليَّ اللهِ في جوفِ دارِه ... وجئتُمْ بأمرٍ جائرٍ غيرِ مهتدِ

فهلاَّ رَعَيْتُمْ ذمَّةَ اللهِ بينَكم ... وأوفَيْتُمُ بالعهدِ عهدِ محمدِ

ألمْ يكُ فيكمْ ذا بلاءٍ ومَصْدَقٍ ... وأوفاكُمُ قِدْمًا لدَى كلِّ مشهدِ

فلا ظَفِرَتْ أيمانُ قومٍ تبايَعُوا ... على قتلِ عثمانَ الرشيدِ المسدَّدِ

وقال ابنُ جريرٍ: وقال حسانُ بنُ ثابتٍ، رضِي اللهُ عنه:

مَن سرَّه الموتُ صِرْفًا لا مِزاجَ لهُ ... فليأتِ مَأسَدَةً في دارِ عثمانَا

مستَشْعِرِي حَلَقَ الماذيِّ قد شُفِعَتْ ... قبلَ المَخاطمِ بَيْضٌ زانَ أبدانا

ضَحَّوْا بأشمطَ عُنوانُ السجودِ به ... يُقَطِّعُ الليلَ تسبيحًا وقرآنا

صبرًا فِدًى لكُمُ أُمِّي وما ولدَتْ ... قد ينفعُ الصبرُ في المكروهِ أحْيانا

فقدْ رضِينا بأرضِ الشامِ نافرةً ... وبالأميرِ وبالإخْوانِ إخْوانا

إنِّي لمنهمْ وإن غابوا وإن شهِدوا ... ما دمتُ حيًّا وما سمِّيتُ حسّانا

لتسمَعنَّ وشيكًا في ديارِهمُ ... اللهُ أكبرُ يا ثاراتِ عثمانا

يا ليتَ شعرِي وليتَ الطيرَ تُخْبِرُني ... ما كانَ شأنُ عليٍّ وابنِ عفّانا

وقال راعي الإبلِ النُّمَيريُّ في عثمانَ:

عشيَّةَ يَدْخُلون بغيرِ إذنٍ ... على متوكِّلٍ أوْفَى وطابا
خليلُ محمدٍ ووزيرُ صدقٍ ... ورابعُ خيرِ مَن وطِئَ الترابا

فصل

إن قال قائلٌ: كيف وقَع قتلُ عثمانَ، رضِي اللهُ عنه، بالمدينةِ وفيها جماعةٌ مِن كبارِ الصحابةِ، رضِي اللهُ عنهم؟ فجوابُه مِن وُجوهٍ:

أحدُها، أنَّ كثيرًا منهم، بل أكثرَهم أو كلَّهم، لم يكنْ يَظُنُّ أنه يَبْلُغُ الأمرُ إلى قتلِه، فإنَّ أولئك الأحزابَ لم يكونوا يحاولون قتلَه عَيْنًا، بل طلَبوا منه أحدَ أُمورٍ ثلاثةٍ؛ إمَّا أن يَعْزِلَ نفسَه، أو يُسَلِّمَ إليهم مَرْوانَ بنَ الحكمِ، أو يقتُلُوه، فكانوا يَرْجُون أن يُسَلِّمَ إلى الناسِ مَرْوانَ، أو أن يَعْزِلَ نفسَه ويستريحَ مِن هذه الضائقةِ الشديدةِ. وأمَّا القتلُ فما كان أحدٌ يَظُنُّ أنَّه يقَعُ، ولا أنَّ هؤلاءِ يَجْتَرِئون عليه إلى ما هذا حدُّه، حتى وقَع ما وقَع. واللهُ أعلمُ.

الثاني، أنَّ الصحابةَ مانَعوا دونَه أشدَّ المُمانعةِ، ولكنْ لمَّا وقَع التضْييقُ الشديدُ، عزَم عثمانُ على الناسِ أن يكفُّوا أيديَهم ويَغْمِدوا أسلحتَهم ففعَلوا، فتمكَّن أولئك ممَّا أرادوا، ومع هذا ما ظنَّ أحدٌ مِن الناسِ أنَّه يُقْتَلُ بالكُلِّيَّةِ.

الثالثُ، أنَّ هؤلاءِ الخوارجَ لمَّا اغْتَنَموا غَيْبَةَ كثيرٍ مِن أهلِ المدينةِ في أيامِ الحجِّ، ولم تَقْدَمِ الجُيوشُ مِن الآفاقِ للنُّصرةِ، بل لمَّا اقترَب مجيئُهم، انتهَزوا فُرْصَتَهم، قبَّحَهم اللهُ، وصنَعوا ما صنَعوا مِن الأمرِ العظيمِ.

الرابعُ، أنَّ هؤلاءِ الخوارجَ كانوا قريبًا مِن ألفَيْ مقاتلٍ مِن الأبطالِ، وربَّما لم يكنْ في أهلِ المدينةِ هذه العِدَّةُ مِن المقاتلةِ؛ لأنَّ الناسَ كانوا في الثُّغورِ وفي الأقاليمِ في كلِّ جهةٍ وفي الحجِّ.

ومع هذا كان كثيرٌ مِن الصحابةِ قد اعتزَل هذه الفتنةَ ولزِموا بُيوتَهم، ومَن كان يحضُرُ منهم المسجدَ لا يجيءُ إلَّا ومعه السيفُ يضَعُه على حَبْوتِه إذا احْتَبَى، والخوارجُ محدِقُون بدارِ عثمانَ، رضِي اللهُ عنه. وربَّما لو أرادوا صرفَهم عن الدارِ لمَا أمكَن ذلك.

ولكنَّ كبارَ الصحابةِ قد بعَثوا أولادَهم إلى الدارِ يُجاحِفون عن عثمانَ، رضِي اللهُ عنه، لكي تَقْدَمَ الجيوشُ مِن الأمصارِ لنُصرتِه، فما فجَأ الناسَ إلَّا وقد ظفِر أولئك بالدارِ مِن خارجِها، وأحرَقوا بابَها، وتسوَّروا عليه حتى قتَلوه.

وأمَّا ما يذكُرُه بعضُ الناسِ مِن أنَّ بعضَ الصحابةِ أسْلَمه ورضِي بقتلِه، فهذا لا يصحُّ عن أحدٍ مِن الصحابةِ أنَّه رضِي بقتلِ عثمانَ، رضِي اللهُ عنه، بل كلُّهم كرِهه، ومقَته، وسبَّ مَن فعلَه، ولكنَّ بعضَهم كان يَوَدُّ لو خلَع نفسَه مِن الأمرِ؛ كعمارِ بنِ ياسرٍ، ومحمدِ بنِ أبي بكرٍ، وعمرِو بنِ الحَمِقِ وغيرِهم.

قال أبو عمرَ بنُ عبدِ البرِّ: دفَنوا عثمانَ، رضي اللهُ عنه، بحَشِّ كَوْكَبٍ، وكان قد اشتَراه وزاده في البقيع.

ولقد أحسَن بعضُ السلف حيث يقولُ وقد سُئِل عن عثمانَ: هو أميرُ البرَرةِ، وقتيلُ الفجَرةِ، مخذولٌ من خذَله، منصورٌ مَن نصَره.

وقال شيخُنا أبو عبد الله الذهبيُّ في آخرِ ترجمة عثمانَ وفضائله، بعدَ حكايته هذا الكلامَ: قلتُ: الذين قتَلوه أو ألَّبوا علَيه قُتِلوا إلى عفوِ اللهِ ورحمتِه، والذين خذَلوه خُذِلوا وتَنغَّص عَيشُهم، وكان المُلْكُ بعدَه في نائبه معاويةَ وابْنَيْه، ثم في وزيرِه مَرْوانَ وثمانيةٍ مِن ذُرِّيَّته، استَطالوا حياتَه ومَلُّوه مع فضلِه وسوابقه، فتَمَلَّك عليهم مَن هو مِن بني عمِّه بضْعًا وثمانين سنةً، فالحكمُ للهِ العليِّ الكبيرِ. وهذا لفظُه بحروفه.

فصلٌ في الإشارةِ إلى شيءٍ من الأحاديثِ الواردةِ في فضائلِ عثمانَ بن عفانَ، رَضي اللهُ عنه

هو عثمانُ بنُ عفانَ بنِ أبي العاصِ بنِ أُمَيَّةَ بنِ عبدِ شَمْسِ بنِ عبدِ مَنافِ بنِ قُصَيِّ بنِ كِلابِ بنِ مُرَّةَ ابنِ كَعْبِ بنِ لُؤَيِّ بنِ غالبِ بنِ فِهرِ بنِ مالكِ بنِ النَّضرِ بنِ كنانَةَ بنِ خُزَيْمَةَ بنِ مُدْرِكَةَ بنِ إلياسَ بنِ مُضَرَ بنِ نزارِ بنِ مَعَدِّ بنِ عَدْنانَ، أبو عَمْرٍو، وأبو عبدِ الله، القُرَشيُّ، الأُمَويُّ، أميرُ المؤمنين، ذو النُّورَيْنِ، وصاحبُ الهجرتَيْن، والمصلِّي إلى القبلتَيْن، وزَوجُ الابْنَتَيْن. وأُمُّه أرْوَى بنتُ كُرَيْزِ بنِ ربيعةَ بنِ عبدِ شَمْسٍ. وأُمُّها أُمُّ حكيمٍ؛ وهي البيضاءُ بنتُ عبدِ المطلبِ عَمَّةُ رسولِ الله ﷺ. وهو أحدُ العَشَرَةِ المشهودِ لهم بالجنة، وأحد الستَّة أصحابِ الشورَى، وأحدُ الثلاثة الذين خلَصت لهم الخلافةُ من الستَّة، ثم تعيَّنت فيه بإجماعِ المهاجرين والأنصارِ، رَضي اللهُ عنهم، فكان ثالثَ الخلفاءِ الرَّاشدين، والأئمة المَهْدِيِّين، المأمورِ باتِّباعهم والاقتداء بهم.

أسْلَم عثمانُ، رَضي اللهُ عنه، قَديمًا على يَدَيْ أبي بكرٍ الصدِّيقِ، وكان سببُ إسلامه عجيبًا، فيما ذكَره الحافظُ ابنُ عساكرَ، ومُلَخَّصُ ذلك أنَّه لمَّا بلَغه أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ زوَّج ابنتَه رُقَيَّةَ - وكانت ذاتَ جمالٍ - من ابنِ عمِّها عُتْبَةَ بنِ أبي لهَبٍ، تأسَّف إذ لم يكنْ هو تَزوَّجها، فدخَل على أهلِه مَهمومًا فوجَد عندَهم خالتَه سُعْدَى بنتَ كُرَيْزٍ - وكانت كاهنةً - فقالت له:

أبْشِرْ وَحُيِّيتَ ثَلاثًا تَتْرَا ... ثم ثَلاثًا وثَلاثًا أُخْرَى
ثم بأُخْرَى كي تَتِمَّ عَشْرا ... أتاكَ خَيْرٌ ووُقِيتَ شَرَّا
أُنكِحْتَ واللهِ حَصَانًا زَهْرا ... وأنت بِكْرٌ ولَقِيتَ بِكْرا
وافَيْتَها بنتَ عَظيمٍ قَدْرا ... بَنَيْتَ أمْرًا قد أشادَ ذِكْرا

قال عثمانُ: فعجبتُ مِن قولِها؛ حيث تُبَشِّرُني بامرأةٍ قد تزوَّجت بغيري، فقلتُ: يا خالةُ، ما تقولين! فقالت:

عثمانُ لك الجمالُ ولك اللسانُ ... هذا نبيٌّ معه البُرْهانُ
أرْسَلَهُ بحقِّه الدَّيَّانُ ... وجاءَه التنزيلُ والفُرقانُ
فاتْبَعْهُ لا تَغْتالُكَ الأوْثانُ

قال: فقلتُ إنَّكِ لتَذكُرين أمرًا ما وقَع ببلدِنا. فقالت: محمدُ بنُ عبدِ اللهِ، رسولٌ مِن عندِ اللهِ، جاءَ بتنزيلِ اللهِ، يَدعُو به إلى اللهِ. ثم قالت:

مصباحُه مصباحُ ... ودينُه فلاحُ
وأمرُه نجاحُ ... وقرنُه نطاحُ
ذلَّت له البِطاحُ ... ما ينفَعُ الصياحُ
لو وقَع الذُّباحُ ... وسُلَّت الصِّفاحُ
ومُدَّت الرِّماحُ

قال عثمانُ: فانطلقتُ مفكرًا فلَقِيَني أبو بكرٍ فأخبَرْتُه، فقال: ويْحَك يا عثمانُ، إنَّك لَرجلٌ حازمٌ، ما يَخفَى عليك الحقُّ مِن الباطلِ، ما هذه الأصنامُ التي يعبُدُها قومُنا؟ أليسَتْ مِن حجارةٍ صُمٍّ؟ لا تَسمَعُ ولا تُبصِرُ ولا تضُرُّ ولا تَنفَعُ؟ قال: قلتُ: بلى، والله إنَّها لكذلك. فقال: والله لقد صدَقَتْك خالتُك، هذا رسولُ الله محمدُ بنُ عبدِ الله، قد بعثَه اللهُ إلى خَلْقِه برسالتِه، هل لك أن تأتيَه؟ فاجتمَعْنا برسولِ الله ﷺ، فقال: «يا عثمانُ أجِبِ اللهَ إلى جنتِه، فإنِّي رسولُ الله إليك وإلى خلقه». قال: فواللهِ ما تمالكتُ حين سمعتُ قولَه أن أسلَمْتُ وشهِدْتُ أن لا إلهَ إلَّا اللهُ وحدَه لا شريكَ له وأنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه، ثم لم ألبَثْ أن تزوَّجْتُ رُقَيَّةَ بنتَ رسولِ اللهِ ﷺ فكان يُقال:

أحسنُ زَوجٍ رآه إنسانٌ ... رُقَيَّةُ وزوجُها عثمانُ

فقالت في ذلك سُعْدَى بنتُ كُرَيْز:

هدَى اللهُ عثمانًا بقولي إلى الهُدَى ... وأرشدَه واللهُ يَهْدي إلى الحقِّ
فتابعَ بالرأيِ السديدِ محمدًا ... وكان برأيٍ لا يَصُدُّ عن الصدقِ
وأنكَحَه المبعوثُ بالحقِّ بنتَه ... فكانا كبدرٍ مازجَ الشمسَ في الأُفُقِ
فداؤُكَ يا بنَ الهاشميِّينَ مُهْجَتي ... وأنتَ أمينُ اللهِ أُرسلتَ للخَلْقِ

قال: ثم جاء أبو بكرٍ مِن الغدِ بعثمانَ بنِ مَظْعُونٍ، وبأبي عُبيدَةَ بنِ الجرَّاحِ، وعبدِ الرحمنِ بنِ عَوْفٍ، وأبي سَلَمَةَ بنِ عبدِ الأسَدِ، والأَرْقَمِ بنِ أبي الأَرْقَمِ، فأسلَموا وكانوا مع مَن اجتمع مع رسولِ اللهِ ﷺ؛ ثمانيةٌ وثلاثونَ رَجُلًا.

ثم هاجَر إلىٰ الحبشة أوَّلَ الناسِ ومعه زوجتُه رُقَيةُ بنتُ رسول الله ﷺ، ثم عاد إلىٰ مكَّةَ وهاجَر إلىٰ المدينة، فلمَّا كانت وَقْعَةُ بَدْرٍ اشتغَل بتمريض ابنة رسول الله ﷺ، وأقام بسبَبِها في المدينة، فضرَب له رسولُ الله ﷺ بسَهْمه منها وأجرِه فيها، فهو معدودٌ فيمَن شهدها. فلمَّا تُوُفِّيَتْ زوَّجه رسولُ الله ﷺ بأختها أُمِّ كُلْثوم، فتُوُفِّيَتْ أيضًا في صُحْبَته، وقال رسولُ الله ﷺ: «لو كان عندنا أخرَى لزوَّجناها بعثمانَ». وشهد أُحُدًا وفرَّ يومئذٍ فيمَن تولَّىٰ، وقد نَصَّ اللهُ تعالىٰ علىٰ العَفْو عنهم، وشهد الخَنْدَقَ والحُدَيْبِيَةَ، وبايَع عنه رسولُ الله ﷺ يومئذٍ بإحْدَىٰ يَدَيْه، وشهد خَيْبرَ وعُمْرَةَ القضاء، وحضَر الفتحَ وهَوازنَ والطائفَ وغزوةَ تبوكَ، وجهَّز فيها جيشَ العُسْرَة. فتقدَّم في رواية عبدِ الرحمن بن خبَّابٍ أنَّه جهَّزهم يومئذٍ بثلاثمائة بعيرٍ بأقتابها وأحلاسها. وعن عبدِ الرحمن بن سَمُرَةَ أنَّه جاء يومئذٍ بألف دينارٍ فصبَّها في حجْرِ رسول الله ﷺ فقال النبيُّ ﷺ: «ما ضرَّ عثمانَ ما فعَل بعدَ هذا اليوم». مرَّتين[1]. وحجَّ مع رسول الله ﷺ حَجَّةَ الوداع، وتُوُفِّي وهو عنه راضٍ.

وصحب أبا بكرٍ فأحْسَن صُحْبَته، وتُوُفِّي وهو عنه راضٍ. وصحب عمرَ فأحْسَن صُحْبَتَه وتُوُفِّي وهو عنه راضٍ. ونَصَّ عليه في أهلِ الشورىٰ الستَّة، فكان خيرَهم، كما سيأتي. فولِي الخلافةَ بعده ففتَح اللهُ علىٰ يَدَيْه كثيرًا من الأقاليم والأمصار، وتوسَّعت المملكةُ الإسلاميةُ، وامتدَّت الدولةُ المحمَّديةُ، وبلَغت الرسالةُ المصطفَويَّةُ في مشارق الأرض ومغاربها، وظهَر للناس مصداقُ قوله تعالىٰ: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور: ٥٥]. وقوله تعالىٰ: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [الصف: ٩]. وقوله ﷺ: «إنَّ اللهَ زَوَىٰ لي الأرضَ فرأيتُ مَشارِقَها ومغاربَها وسيبلُغُ مُلْكُ أمَّتي ما زوَىٰ لي منها». وقوله ﷺ: «إذا هلَك قَيْصرُ فلا قَيْصرَ بعدَه، وإذا هلَك كسرَىٰ فلا كسرَىٰ بعدَه، والذي نفسي بيده لتُنْفقُنَّ كنوزَهما في سبيل الله»[2]. وهذا كلُّه تحقَّق وقوعُه وتأكَّد وتوطَّد في زمان عثمانَ، رَضِي اللهُ عنه.

وقد كان، رَضِي اللهُ عنه، حسَنَ الشكلِ، مليحَ الوجه، كريمَ الأخلاق، ذا حياءٍ كثير، وكرَمٍ غزير، يؤثِرُ أهلَه وأقاربَه في الله، تأليفًا لقلوبهم، من متاع الحياة الدنيا الفاني، لعلَّه يرغِّبُهم في إيثار ما يبْقَىٰ علىٰ ما يَفْنَىٰ، كما كان النبيُّ ﷺ يُعطي أقوامًا ويدَعُ آخَرين؛ يُعطي أقوامًا خشيةَ أن يَكُبَّهم اللهُ علىٰ وجوههم في النار، ويكِلُ آخَرين إلىٰ ما جعَل اللهُ في قلوبهم من الهدَىٰ والإيمان، وقد عابَه بسببِ هذه الخَصلة أقوامٌ، كما عاب بعضُ الخوارج علىٰ رسول الله ﷺ في الإيثار. وقد قدَّمنا ذلك في غزوةِ حنينٍ حيثُ قسَم غنائمَها.

(١) تقدم.

(٢) تقدم.

وقد وردت أحاديثُ كثيرةٌ في فضلِ عثمانَ، رضي اللهُ عنه، نذكرُ ما تيسَّرَ منها إن شاء اللهُ تعالى، وبه الثقةُ؛ وهي قسمان:

الأوَّلُ: فيما ورَد في فضائله مع غيره:

فمن ذلك: الحديثُ الذي رواه البخاريُّ في «صحيحه»: حدَّثنا مُسدَّدٌ، ثنا يَحيى بنُ سعيدٍ، عن سعيدٍ، عن قتادةَ، أنَّ أنسًا حدَّثهم قال: صعِد النبيُّ ﷺ أُحُدًا ومعه أبو بكرٍ وعمرُ وعثمانُ، فرجَف، فقال: «**اسكُنْ أُحُدُ - أظُنُّه ضربَه برِجْلِه - فليس عليك إلَّا نبيٌّ وصِدِّيقٌ وشهيدان**»[1]. تفرَّد به دونَ مُسْلمٍ.

وقال الترمذيُّ: ثنا قُتيبةُ، ثنا عبدُ العزيزِ بنُ محمدٍ، عن سُهَيلِ بنِ أبي صالحٍ، عن أبيه، عن أبي هُريرةَ، أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ كان على حِراءَ هو وأبو بكرٍ وعمرُ وعثمانُ وعليُّ بنُ أبي طالبٍ وطلحةُ والزُّبيرُ، فتحرَّكتِ الصخرةُ، فقال النبيُّ ﷺ: «**اهدَأْ فما عليك إلَّا نبيٌّ أو صِدِّيقٌ أو شهيدٌ**»[2]. ثم قال: وفي البابِ: عن عثمانَ، وسعيدِ بنِ زيدٍ، وابنِ عباسٍ، وسَهْلِ بنِ سعدٍ، وأنسِ بنِ مالكٍ، وبُرَيْدَةَ الأسْلَميِّ، وهذا حديثٌ صحيحٌ. قلتُ: ورواه أبو داودَ، ورَواه الترمذيُّ، عن عثمانَ في خُطبتِه يومَ الدارِ، وقال: على ثَبِيرَ.

حديثٌ آخَرُ: وهو ما ثبَت في «الصحيحيْن»، من حديثِ أبي عثمانَ النَّهْديِّ، عن أبي موسى الأشعريِّ قال: كنتُ مع رسولِ اللهِ ﷺ في حائطٍ، فأمَرني بحفظِ البابِ، فجاء رجلٌ يَستأذِنُ، فقلتُ: مَن هذا؟ قال: أبو بكرٍ. فقال رسولُ اللهِ ﷺ: «**ائذَنْ له وبشِّرْه بالجنةِ**». ثم جاء عمرُ فقال: «**ائذَنْ له وبشِّرْه بالجنةِ**». ثم جاء عثمانُ فقال: «**ائذَنْ له وبشِّرْه بالجنةِ على بَلْوَى تُصيبُه**». فدخَل وهو يَقولُ: اللهُمَّ صبرًا. وفي روايةٍ: اللهُ المستعانُ[3]. رَواه عنه قتادةُ، وأيوبُ السَّخْتيانيُّ. وقال البخاريُّ: وقال حمادُ بنُ زيدٍ: حدَّثنا عاصمٌ الأحولُ وعليُّ بنُ الحكَمِ، سَمِعا أبا عثمانَ يُحدِّثُ عن أبي موسى الأشعريِّ بنحوِه، وزاد عاصمٌ: أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ كان قاعدًا في مكانٍ فيه ماءٌ قد انكشَف عن رُكبَتَيْه، أو رُكبَتِه، فلمَّا دخَل عثمانُ غطَّاها[4]. وهو في «الصحيحيْن» أيضًا، من حديثِ سعيدِ ابنِ المسيَّبِ، عن أبي موسى، وفيه: أنَّ أبا بكرٍ وعمرَ دلَّيا أرجلَهما مع رسولِ اللهِ في بابِ القُفِّ وهو في البئرِ، وجاء عثمانُ فلم يَجِدْ له موضعًا فجلَس ناحيةً. قال سعيدُ بنُ المسيَّبِ: فأوَّلْتُ ذلك قُبورَهم؛ اجتمَعَتْ وانفرَد عثمانُ[5].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٩٩) باب مناقب عثمان بن عفان رضي الله عنه.

(٢) **إسناده صحيح**: أخرجه الترمذي (٣٦٩٦) وفي عبد العزيز بن محمد كلام خفيف ويشهد له ما قبله وآخر عند الترمذي (٣٧٠٣) عن عثمان في قصة إشراف عثمان عليهم من الدار.

(٣) أخرجه البخاري (٣٦٩٥) وانظر (٣٦٩٣) لقول عثمان: «الله المستعان» وأخرجه مسلم (٢٤٠٣).

(٤) علقه البخاري في صحيحه عقب رقم (٣٦٩٥) وهو في صحيح مسلم (٢٤٠١) بلفظ «... فدخل عثمان فجلست وسويت ثيابك فقال: «ألا استحي من رجل تستحي منه الملائكة» وانظر ما بعده.

(٥) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٦٧٤) ومسلم (٢٤٠٣).

وقد قال الإمامُ أحمدُ: حدَّثنا يَزيدُ بنُ هارونَ، ثنا محمدُ بنُ عمرٍو، عن أبي سَلَمَةَ قال: قال نافعُ ابنُ عبدِ الحارثِ: خرَجتُ مع رسولِ اللهِ ﷺ حتىٰ دخَل حائطًا فقال لي: «**أمسكْ عليَّ البابَ**». فجاء حتىٰ جلَس علىٰ القُفِّ ودلَّىٰ رِجْلَيْه، فضُرِب البابُ فقلتُ: مَن هذا؟ قال: أبو بكرٍ. قلتُ: يا رسولَ اللهِ هذا أبو بكرٍ. قال: «**ائذَنْ له وبشِّرْه بالجنَّة**». فدخَل فجلسَ مع رسولِ اللهِ ﷺ علىٰ القُفِّ ودلَّىٰ رِجلَيْه في البئرِ، ثم ضُرِب البابُ، فقلتُ: مَن هذا؟ قال: عمرُ. قلتُ: يا رسولَ اللهِ هذا عمرُ. قال: «**ائذَنْ له وبشِّرْه بالجنة**». ففعَلتُ، فجاءَ فجلَس مع رسولِ اللهِ ﷺ علىٰ القُفِّ ودلَّىٰ رِجْلَيه في البئرِ، ثم ضُرِب البابُ فقلتُ: مَن هذا؟ قال: عثمانُ. قلتُ: يا رسولَ اللهِ هذا عثمانُ. قال: «**ائذَنْ له وبشِّرْه بالجنة معها بلاءٌ**». فأذِنتُ له وبشَّرْتُه بالجنةِ، فجلَس مع رسولِ اللهِ ﷺ علىٰ القُفِّ ودلَّىٰ رِجْلَيْه في البئرِ. هكذا وقَع في هذه الروايةِ[1]. وقد أخرَجه أبو داودَ والنسائيُّ، مِن حديثِ أبي سَلَمَةَ.

فيَحتَمِلُ أنَّ أبا موسىٰ ونافعَ بنَ عبدِ الحارثِ كانا مُوكَّلَيْنِ بالبابِ، أو أنَّها قصةٌ أخرىٰ.

وقد رَواه الإمامُ أحمدُ[2]، عن عفّانَ، عن وُهَيْبٍ، عن مُوسىٰ بنِ عُقْبةَ سمعتُ أبا سَلَمةَ يُحدِّثُ، ولا أعْلَمُه إلاَّ عن نافعِ بنِ عبدِ الحارثِ: أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ دخَل حائطًا، فجلَس علىٰ قُفِّ البئرِ، فجاء أبو بكرٍ فاستأْذَن، فقال لأبي مُوسىٰ: «**ائذَنْ له وبشِّرْه بالجنة**». ثم جاء عمرُ فقال: «**ائذَنْ له وبشِّرْه بالجنة**». ثم جاء عثمانُ فقال: «**ائذَنْ له وبشِّرْه بالجنة وسيَلْقَى بلاءً**». وهذا السياقُ أشبهُ مِن الأوَّلِ، علىٰ أنَّه قد رواه النسائيُّ، مِن حديثِ صالحِ بنِ كَيْسانَ، عن أبي الزنادِ، عن أبي سَلَمَةَ، عن عبدِ الرحمنِ ابنِ نافعِ بنِ عبدِ الحارثِ، عن أبي مُوسىٰ الأشعريِّ[3] فاللهُ أعلمُ.

وقال الإمامُ أحمدُ: حدَّثنا يَزيدُ، أنا هَمَّامٌ، عن قتادةَ، عن ابنِ سِيرِينَ ومحمدِ بنِ عبيدٍ، عن عبدِ اللهِ بنِ عمرٍو قال: كنتُ مع رسولِ اللهِ ﷺ فجاء أبو بكرٍ فاستأْذَنَ، فقال: «**ائذَنْ له وبشِّرْه بالجنة**». ثم جاء عمرُ فاستأْذَن، فقال: «**ائذَنْ له وبشِّرْه بالجنة**». ثم جاءَ عثمانُ فاستأْذَن، فقال: «**ائذَنْ له وبشِّرْه بالجنة**». قال: قلتُ: فأين أنا؟ قال: «**أنتَ مع أبيك**»[4]. تَفرَّد به أحمدُ. وقد رَواه البزّارُ، وأبو يَعلَىٰ، مِن حديثِ أنسِ بنِ مالكٍ، بنحوِ ما تقدَّم.

حديثٌ آخَرُ: قال الإمامُ أحمدُ: حدَّثنا حَجَّاجٌ، ثنا لَيْثٌ، حدَّثني عُقَيْلٌ، عن ابنِ شهابٍ، عن يَحيىٰ بنِ سعيدِ بنِ العاصِ، أنَّ سعيدَ بنَ العاصِ أخبرَه، أنَّ عائشةَ زوجَ النبيِّ ﷺ وعثمانَ حدَّثاه، أنَّ أبا بكرٍ استأْذَن علىٰ النبيِّ ﷺ وهو مُضْطَجِعٌ علىٰ فراشِه لابِسٌ مِرْطَ عائشةَ، فأذِنَ لأبي بكرٍ وهو

---

(١) **إسناده حسن:** وهو عند أحمد (٣/ ٤٠٨) وأصله تقدم قبله وعند النسائي (٨١٣٢) أن الذي أمسك الباب هو بلال.

(٢) كما في المصدر السابق.

(٣) وهذه الرواية تقوي وجهة نظر المؤلف أن الحديث أصله معروف عن أبي موسىٰ كما وردت بذلك الرواية في «الصحيحين» وتقدمت وهذه الرواية عند النسائي في «الكبرىٰ» (٨١٣١) وعلىٰ كلٍ فأصل الحديث صحيح.

(٤) **إسناده صحيح:** ورواية همام عن قتادة في «الصحيحين» وهو عند أحمد (٢/ ١٦٥).

كذلك، فقضىٰ إليه حاجتَه، ثم انصرَف، فاستأذَن عمرُ فأذِن له وهو علىٰ تلك الحالةِ، فقضَىٰ إليه حاجتَه، ثم انصرَف، قال عثمانُ: ثم استأذَنتُ عليه، فجلَس وقال: «اجمَعي عليك ثيابَك». فقضَيْتُ إليه حاجَتي ثم انصرَفتُ. فقالت عائشةُ: يا رسولَ الله، ما لي لم أرَكَ فَزِعتَ لأبي بكرٍ وعمرَ كما فَزِعتَ لعثمانَ؟ فقال رسولُ الله ﷺ: «إن عثمانَ رجلٌ حَيِيٌّ، وإنِّي خَشيتُ إن أذنتُ له على تلك الحالة أن لا يُبلِغَ إليَّ حاجتَه». قال اللَّيثُ: وقال جماعةُ الناسِ: إنَّ رسولَ الله ﷺ قال لعائشةَ: «ألا أستَحي ممَّن تَستَحي منه الملائكةُ»[1]. ورَواه مسلمٌ مِن حديثِ اللَّيْثِ بنِ سعدٍ به. ومِن حديثِ صالحِ بنِ كَيْسانَ، عن الزُّهْريِّ به. ورَواه مسلمٌ، مِن حديثِ محمدِ بنِ أبي حَرْمَلَةَ، عن عطاءٍ وسليمانَ ابنَي يَسارٍ، وأبي سَلَمَةَ، عن عائشةَ[2]. ورَواه أبو يَعلَىٰ الموصِليُّ، مِن حديثِ سُهَيلٍ، عن أبيه، عن عائشةَ. ورَواه جُبَيرُ بنُ نُفيرٍ، وعائشةُ بنتُ طلحةَ عنها.

وقال الإمامُ أحمدُ: حدَّثنا مَرْوانُ، ثنا عبيدُ اللهِ بنُ سيّارٍ[3]، سمعتُ عائشةَ بنتَ طلحةَ تذْكُرُ عن عائشةَ أمِّ المؤمنين، رَضِي اللهُ عنها: أنَّ رسولَ الله ﷺ كان جالسًا كاشِفًا عن فخذِه، فاستأذَن أبو بكرٍ، فأذِن له وهو علىٰ حالِه، ثم جاء عمرُ فاستأذَن، فأذِن له وهو علىٰ حالِه، ثم استأذَن عثمانُ فأرْخَىٰ عليه ثيابَه، فلمّا قامُوا قلتُ: يا رسولُ الله، استأذَن عليك أبو بكرٍ وعمرُ فأذِنتَ لهما وأنت علىٰ حالِك، فلمّا استأذَن عثمانُ أرْخَيْتَ عليك ثيابَك. فقال: «يا عائشةُ ألاَ أستَحِي مِن رَجلٍ، واللهِ إنَّ الملائكةَ تستَحي منه؟!»[4]. تفرَّد به أحمدُ من هذا الوجه.

طريقٌ أخرَى عن حفصةَ: رَواه الحسنُ بنُ عرفةَ، وأحمدُ بنُ حنبلٍ عن رَوْحِ بنِ عُبادَةَ، عن ابنِ جُرَيجٍ، أخبَرَني أبو خالدٍ عثمانُ بنُ خالدٍ، عن عبدِ اللهِ بنِ أبي سعيدٍ المَدَنيِّ، حدَّثَتْني حفصةُ، فذكَر مثلَ حديثِ عائشةَ، وفيه: فقال: «ألاَ أستحِي ممَّن تستحِي منه الملائكةُ!»[5].

طريقٌ أخرَى عن ابنِ عباسٍ: قال الحافظُ أبو بكرٍ البزَّارُ: حدّثنا أبو كُرَيْبٍ، ثنا يونسُ بنُ بكرٍ، ثنا

---

(١) **إسناده صحيح**: وهو عند أحمد (١/ ٧١).

(٢) انظر هذه الطرق في «صحيح مسلم» (٢٤٠١، ٢٤٠٢) فضائل عثمان.

(٣) في الأصل عبيد وصوابه عبد كما في «الجرح والتعديل» (٥/ ٧٦) و«التاريخ الكبير» للبخاري (٥/ ١١٠) وقد صوَّبه هكذا شعيب في نسخته المحققة «لمسند أحمد» وإن كان عبيد اللَّه فهو مجهول أيضًا كما في «تعجيل المنفعة» (١/ ٨٤٢).

(٤) إسناده ضعيف بهذا السياق أخرجه أحمد (٦/ ٦٢) وغيره وإسناده ضعيف من أجل جهالة حال عبد اللَّه بن سيار وأصل الحديث معروف في مسلم بتمامه لكن قوله «كاشفًا فخذه» هي في «صحيح مسلم» (٢٤٠١) علىٰ الشك «كاشفًا فخذيه أو ساقيه» ومن ثم اعترض النووي علىٰ المالكية في استدلالهم بهذه اللفظة علىٰ أن الفخذ ليس بعورة بقوله: لا حجة فيه لأنه مشكوك في المكشوف هل هو الساقان أم الفخذان فلا يلزم منه الجزم بجواز كشف الفخذ انظر «شرح مسلم» (١٥/ ٦٤) ط. دار المعرفة.

(٥) **إسناده ضعيف**: أخرجه أحمد (٦/ ٢٨٨) وإسناده ضعيف من أجل جهالة حال عبد اللَّه بن أبي سعيد المدني قال الحافظ في «تعجيل المنفعة» (١/ ٧٤٠) لا يدرىٰ من هو ولم يرو عنه إلا راويان ولم يجرح ولم يأتي بمتن منكر، فهو علىٰ قاعدة ثقات ابن حبان لكن لم أر ذكره في النسخة التي عندي.

النَّضرُ - هو ابنُ عبدِ الرحمنِ أبو عُمَرَ الخَزَّازُ الكوفيُّ - عن عكرمةَ، عن ابنِ عباسٍ قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«ألا أستحيي مِمَّن تستحيي منه الملائكةُ؛ عثمانَ بنِ عفانَ؟»**. ثم قال البَزَّارُ: لا نعلَمُه يُرْوَىٰ عن ابنِ عباسٍ إلاَّ بهذا الإسنادِ[1]. قلتُ: هو على شرطِ الترمذيِّ، ولم يُخرجوه.

طريقٌ أخرَىٰ عن ابنِ عمرَ. قال الطبرانيُّ: حدَّثنا عبدُ الله بنُ أحمدَ بنِ حنبلٍ، ثنا محمدُ بنُ أبي بكرٍ المُقدَّميُّ، ثنا أبو مَعْشَرٍ، حدَّثني إبراهيمُ بنُ عمرَ بنِ أبانَ، حدَّثني أبي - عمرُ بنُ أبانَ - عن أبيه، قال: سمعتُ عبدَ الله بنَ عمرَ يقولُ: بينَما رسولُ الله ﷺ جالسٌ وعائشةُ وراءَه إذ استأذَنَ أبو بكرٍ فدخَل، ثم استأذَن عمرُ فدخَل، ثم استأذَن سعدُ بنُ مالكٍ فدخَل، ثم استأذَن عثمانُ بنُ عفانَ، ورسولُ الله ﷺ يتحدَّثُ كاشفًا عن رُكْبته، فمدَّ ثوبَه على ركبته حينَ استأذَن عثمانُ، وقال لامرأته: استأخِري. فتحدَّثوا ساعةً ثم خرَجوا، فقالت عائشةُ: يا نبيَّ الله دخَل أبي وأصحابُه، فلم تُصْلِحْ ثوبَك على ركبتِك ولم تُؤَخِّرْني عنك. فقال النبيُّ ﷺ: **«يا عائشةُ، ألاَ أستحيي من رجُلٍ تستحيي منه الملائكةُ! والذي نفسُ رسولِ الله بيده إنَّ الملائكةَ لتَستحيي من عثمانَ، كما تستحيي من الله ورسوله، ولو دخَل وأنت قريبٌ منِّي لم يتحدَّثْ ولم يرفَعْ رأسَه حتى يخرُجَ»**[2]. هذا حديثٌ غريبٌ من هذا الوجهِ وفيه زيادةٌ على ما قبلَه، وفي إسنادِه ضعفٌ. قلت: وفي البابِ عن علي[3]، وعبدِ الله بنِ أبي أوفَىٰ[4]، وزيدِ بنِ ثابتٍ[5].

ورَوَىٰ أبو مروانَ القرشيُّ، عن أبيه، عن مالكٍ، عن أبي الزِّنادِ، عن الأعرجِ، عن أبي هريرةَ أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: **«عثمانُ حييٌّ تستحيي منه الملائكةُ»**.

حديثٌ آخرُ: قال الإمامُ أحمدُ: حدَّثنا وكيعٌ، عن سفيانَ، عن خالدٍ الحذَّاءِ، عن أبي قِلابةَ، عن أنسٍ قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«أرحمُ أُمَّتي أبو بكرٍ، وأشدُّها في دينِ الله عمرُ، وأشدُّها حياءً عثمانُ، وأعلَمُها بالحلالِ والحرامِ معاذُ بنُ جبلٍ، وأقرؤُها لكتابِ الله أُبيٌّ، وأعلَمُها بالفرائضِ زيدُ بنُ ثابتٍ، ولكلٍّ أُمةٍ أمينٌ، وأمينُ هذه الأمةِ أبو عبيدةَ ابنُ الجرّاحِ»**. وهكذا رَواه الترمذيُّ، والنسائيُّ، وابنُ ماجه، مِن حديثِ

---

(١) **إسناده ضعيف جدًّا:** أخرجه البزار (٢٥٠٧) «كشف الأستار» بهذا الإسناد.
قلت: (محمد) فيه النضر أبو عمر قال الهيثمي في «المجمع» (٩/ ٨٢) متروك.

(٢) **إسناده ضعيف:** كما قال المؤلف أخرجه الطبراني (١٣/ ٣٢٧) رقم (١٣٢٥٣) بهذا الإسناد وفيه إبراهيم بن عمر بن أبان وقال الهيثمي في «المجمع» (٩/ ٨٢) فيه إبراهيم بن عمر بن أبان وهو ضعيف.

(٣) لعله يقصد ما تقدم ص٣٣٤ برقم(١) بإسناده ومتنه ورجاله ثقات وإسناده صحيح لولا عنعنة الحسن.

(٤) **إسناده ضعيف:** بهذا السياق أخرجه أحمد (٤/ ٣٥٣ ـ ٣٥٤) عن عبد الرحمن بن مهدي ثنا شعبة عن شيخ من بجيلة قال سمعت ابن أبي أوفى يقول: استأذن أبو بكر رضي اللَّه عنه على النبي ﷺ وجارية تضرب بالدف فدخل، ثم استأذن عمر رضي اللَّه عنه فدخل، ثم استأذن عثمان رضي اللَّه عنه فأمسكت قال: فقال رسول اللَّه ﷺ «إن عثمان رجل حيي». وإسناده ضعيف من أجل إبهام الراوي عن ابن أبي أوفى.

(٥) **إسناده تالف:** أخرجه الطبراني (٥/ ١٥٩) رقم (٤٩٣٩) بنحوه وفي إسناده محمد بن إسماعيل الوسواسي قال الهيثمي في «المجمع» (٩/ ٨٢) كان يضع الحديث.

خالد الحذَّاء، وقال الترمذيُّ: حسنٌ صحيحٌ (١). وفي «صحيح البخاريِّ»، و«مسلم» آخرُه، «ولكُلِّ أمَّة أمينٌ، وأمينُ هذه الأمة أبو عُبيدةَ بنُ الجرَّاح» (٢).

وقد روَىٰ هُشيمٌ، عن كوثرِ بن حُكَيم، عن نافعٍ، عن ابنِ عمرَ مثلَ حديثِ أبي قِلابةَ عن أنسٍ، أو نحوَه.

حديثٌ آخَرُ: قال الإمامُ أحمدُ: حدَّثنا يزيدُ بنُ عبدِ ربِّه، ثنا محمدُ بنُ حربٍ، حدَّثني الزُّبَيْديُّ، عن ابنِ شهابٍ، عن عمرِو بنِ أبانَ بنِ عثمانَ، عن جابرِ بنِ عبدِ الله، أنَّه كان يُحدِّثُ أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: **«أُرِيَ الليلَةَ رجلٌ صالحٌ أنَّ أبا بكرٍ نِيطَ برسول الله ﷺ، ونِيطَ عمرُ بأبي بكرٍ، ونِيطَ عثمانُ بعمرَ»**. قال جابرٌ: فلمَّا قُمْنا من عند رسولِ الله ﷺ قلنا: أمَّا الرجلُ الصالحُ فرسولُ الله ﷺ، وأمَّا ما ذكَر رسولُ الله ﷺ من نَوْطِ بعضِهم لبعضٍ، فهُمْ وُلاةُ هذا الأمرِ الذي بعَث اللهُ به نبيَّه ﷺ (٣).

ورَواه أبو داودَ، عن عمرِو بنِ عثمانَ، عن محمدِ بنِ حربٍ، ثم قال: ورَواه يونسُ وشعيبٌ، فلم يذْكُرا عمرَ (٤).

حديثٌ آخَرُ: قال الإمامُ أحمدُ: حدَّثنا أبو داودَ - عمرُ بنُ سعدٍ - ثنا بدرُ بنُ عثمانَ، عن عبيدِ اللهِ بنِ مَرْوانَ، عن أبي عائشةَ، عن ابنِ عمرَ قال: خرَج علينا رسولُ الله ﷺ ذاتَ غداةٍ بعدَ طلوعِ الشمسِ فقال: **«رأيتُ قُبَيْلَ الفجرِ كأنِّي أُعْطِيتُ المقَاليدَ والموازينَ؛ فأمَّا المقاليدُ فهذه المفاتيحُ، وأمَّا الموازينُ فهي التي تَزِنُون بها، فوُضِعْتُ في كفَّةٍ، ووُضِعَتْ أُمَّتي في كفَّةٍ، فوُزِنْتُ بهم فرَجَحْتُ، ثم جيءَ بأبي بكرٍ فوُزِن بهم فوزَن، ثم جيءَ بعمرَ فوُزِن فوزَن، ثم جيءَ بعثمانَ فوُزِنَ بهم، ثم رُفِعَت»**. تفرَّد به أحمدُ (٥).

وقال يعقوبُ بنُ سفيانَ: حدَّثنا هشامُ بنُ عَمَّارٍ، ثنا عمرُو بنُ واقدٍ، ثنا يونسُ بنُ مَيْسرةَ، عن أبي إدريسَ، عن مُعاذِ بنِ جبلٍ قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«إنِّي رأيتُ أنِّي وُضِعْتُ في كفَّةٍ وأُمَّتي في كفَّةٍ فعدَلْتُها، ثم وُضِعَ أبو بكرٍ في كفَّةٍ وأُمَّتي في كفَّةٍ فعدَلَها، ثم وُضِعَ عمرُ في كفَّةٍ وأمتي في كفَّةٍ فعدَلَها، ثم وُضِعَ عثمانُ في كفَّةٍ وأُمَّتي في كفَّةٍ فعدَلَها»** (٦).

---

(١) تقدم.

(٢) انظر صحيح مسلم (٢٤١٩) باب فضائل أبي عبيدة بن الجراح.

(٣) رجاله ثقات أخرجه أحمد (٣/ ٣٥٥) ورجاله ثقات إلا عمرو بن أبان قد روىٰ عنه الزهري وأهل المدينة كما قال ابن حبان في «الثقات» (٧/ ٢١٦) وزاد: روىٰ عن جابر بن عبد اللَّه إن أبا بكر نيط برسول اللَّه ﷺ، وأن عمر نيط بأبي بكر فلا أدري أسمع منه أم لا. اهـ.
قلت: وحكمت عليه بتوثيق رجاله فقط من أجل هذا، ورواه أبو داود (٤٦٣٦) عن عمرو بن عثمان عن محمد بن حرب به.

(٤) وبتمامه فيه «ولم يذكرا عمرو بن أبان» وهذه آفة أخرىٰ وهو منقطع أيضًا بين الزهري وجابر يقينًا.

(٥) **إسناده ضعيف**: أخرجه أحمد (٢/ ٧٦) بهذا الإسناد وهو ضعيف من أجل عبيد اللَّه بن مروان لم يوثقه معتبر ولم أجد روىٰ عنه إلا بدر بن عثمان هذا انظر «تعجيل المنفعة» (١/ ٨٤٥).

(٦) **إسناده واه**: أخرجه الفسوي في «المعرفة» (٣/ ٤٦٠) بهذا الإسناد وعمرو بن واقد متروك واتهمه البعض بالكذب.

حديثٌ آخَرُ: قال أبو يَعْلَى: حدَّثنا عبدُ الله بنُ مُطيع، ثنا هُشيمٌ، عن العَوَّام، عمَّن حدَّثه، عن عائشةَ قالت: لمَّا أسَّس رسولُ الله ﷺ مسجدَ المدينة جاء بحَجَر فوضَعه، وجاء أبو بكر بحَجَر فوضَعه، وجاء عُمرُ بحَجَر فوضَعه، وجاء عثمانُ بحَجَر فوضَعه، قالت: فسُئل رسولُ الله ﷺ عن ذلك، فقال: «**هذا أمرُ الخلافة من بعدي**». وقد تقدَّم هذا الحديثُ في بناء مسجده أوَّلَ مَقْدَمه المدينةَ، عليه الصلاةُ والسلامُ[1].

وكذلك تقدَّم في دلائلِ النبوة حديثُ الزُّهْريِّ، عن رجلٍ، عن أبي ذرٍّ، في تسبيح الحصا في يده عليه الصلاةُ والسلامُ، ثم في كَفِّ أبي بكر، ثم في كَفِّ عمرَ، ثم في كَفِّ عثمانَ، رضي اللهُ عنهم، وفي بعضِ الروايات: فقال رسولُ الله ﷺ: «**هذه خلافةُ النبوة**».

وسيأتي حديثُ سَفِينةَ أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «**الخلافةُ بعدي ثلاثون سنةً ثم تكونُ مُلكًا**». فكانت ولايةُ عثمانَ، ومدتُّها ثنتي عَشْرَةَ سنةً، من جملة هذه الثلاثين بلا خلافٍ بينَ العلماء العاملين، كما أخبَر به سيدُ المرسلين، صلى اللهُ عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

حديثٌ آخَرُ: وهو ما رُوي من طُرُقٍ متعددةٍ عن رسولِ الله ﷺ أنَّه شهد للعشَرة بالجنة، وعثمانُ منهم بنصِّ النبيِّ ﷺ على ذلك[2].

حديثٌ آخَرُ: قال البخاري: حدَّثنا محمدُ بنُ حاتم بن بَزِيع، ثنا شاذانُ، ثنا عبدُ العزيز بنُ أبي سلَمةَ الماجشونُ، عن عبيد الله، عن نافع، عن ابنِ عمرَ قال: كنَّا في زمنِ النبيِّ ﷺ لا نعدلُ بأبي بكر أحدًا، ثم عمرَ، ثم عثمانَ، ثم نتركُ أصحابَ النبيِّ ﷺ لا نفاضلُ بينَهم. تابَعه عبدُ الله بنُ صالح، عن عبدِ العزيز. تفرَّد به البخاري[3]. ورَواه إسماعيلُ بنُ عياش، والفرجُ بنُ فَضَالةَ، عن يحيى بن سعيدٍ الأنصاريِّ، عن نافع، عن ابنِ عمرَ. ورَواه أبو يَعْلَى، عن أبي مَعْمَر، عن يزيدَ بنِ هارونَ، عن الليث، عن يزيدَ بنِ أبي حبيب، عن ابنِ عمرَ به.

طريقٌ أُخرَى عن ابنِ عمرَ، رضي اللهُ عنهما: قال الإمامُ أحمدُ: حدَّثنا أبو معاويةَ، ثنا سهيلُ بنُ أبي صالح، عن أبيه، عن ابنِ عمرَ قال: كنَّا نَعُدُّ، ورسولُ الله ﷺ حيٌّ وأصحابُه متوافِرون؛ أبو بكرٍ وعمرُ وعثمانُ، ثم نَسْكُتُ[4].

طريقٌ أُخرَى عن ابنِ عمرَ بلفظ آخَرَ: قال الحافظُ أبو بكر البَزَّارُ: حدَّثنا عمرُو بنُ عليٍّ وعقبةُ بنُ

---

(١) **إسناده منقطع**: اخرجه ابو يعلى (٤٨٨٤) والانقطاع فيه ظاهر وفيه عنعنة هشيم.

(٢) **صحيح**: أخرجه أبو داود (٤٦٤٩) وبإسنادٍ آخر برقم (٤٦٥٠) بنحو معناه وفي «صحيح مسلم» (٢٤١٧) من حديث أبي هريرة مرفوعًا «اسكن حراء فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد» وعليه النبي ﷺ وأبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وطلحة، والزبير، وسعد بن أبي وقاص رضي اللّه عنهم.

(٣) برقم (٣٦٩٨).

(٤) **إسناده صحيح**: أخرجه أحمد (٢/ ١٤) وفي صحيح البخاري (٤٦٥٥) من حديث ابن عمر قال: كنا نخير بين الناس في زمان رسول اللّه ﷺ فنخير أبا بكر ثم عمر ثم عثمان رضي اللّه عنهم.

مُكرَم قالا: ثنا أبو عاصمٍ، عن عمرَ بنِ محمدٍ، عن سالمٍ، عن أبيه قال: كنَّا نقولُ في عهدِ رسولِ الله ﷺ أبو بكرٍ وعمرُ وعثمانُ، يعني في الخلافة(١) . وهذا إسنادٌ صحيحٌ على شرطِ الشيخين، ولم يُخرِجاه. لكن قال البَزَّارُ: وهذا الحديثُ قد رُوِي عن ابنِ عمرَ من وجوهٍ، وعمرُ بنُ محمدٍ لم يكنْ بالحافظِ، وذلك في حديثِه متبيِّنٌ إذا روَىٰ عن غيرِ سالمٍ.

وقد رَواه غيرُ واحدٍ من الضعفاءِ، عن الزُّهْرِيِّ، عن سالمٍ، عن أبيه به، وقد اعتَنَى الحافظُ ابنُ عساكرَ بجمعِ طرقِه عن ابنِ عمرَ فأفاد وأجاد.

فأمَّا الحديثُ الذي رواه الطبرانيُّ: حدَّثنا سعيدُ بنُ عبدَويه الصفَّارُ البغداديُّ، حدَّثنا عليُّ بنُ جميلٍ الرَّقِّيُّ، أنا جريرٌ، عن ليثٍ، عن مجاهدٍ، عن ابنِ عباسٍ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «في الجنة شجرةٌ، أو ما في الجنة شجرةٌ - شكَّ عليُّ بنُ جميلٍ - ما عليها ورقةٌ إلا مكتوبٌ عليها: لا إلهَ إلا اللهُ محمدٌ رسولُ الله، وأبو بكرٍ الصديقُ، عمرُ الفاروقُ، عثمانُ ذو النُّورَين»(٢) . فإنَّه حديثٌ ضعيفٌ، وفي إسنادِه مَن تُكُلِّم فيه، ولا يخلو من نكارةٍ. واللهُ أعلمُ.

القسمُ الثاني فيما ورَد في فضائله وحدَه: قال البخاريُّ: حدَّثنا موسَى بنُ إسماعيلَ، ثنا أبو عَوانةَ، ثنا عثمانُ بنُ مَوْهَبٍ، قال: جاءَ رجلٌ من أهلِ مصرَ حَجَّ البيتَ، فرأَىٰ قومًا جُلوسًا فقال: مَن هؤلاءِ القومُ؟ فقالوا: هؤلاءِ قريشٌ. قال: فمَن الشيخُ فيهم؟ قالوا: عبدُ الله بنُ عمرَ. قال: يا ابنَ عمرَ إنِّي سائلُك عن شيءٍ فحَدِّثْني؛ هل تَعلَمُ أنَّ عثمانَ فرَّ يومَ أُحُدٍ؟ قال: نعم. فقال: تَعلَمُ أنَّه تَغيَّب عن بدرٍ ولم يَشْهَدْها؟ قال: نعم. قال: تَعلَمُ أنَّه تَغيَّب عن بَيْعَةِ الرِّضوانِ فلم يَشهَدْها؟ قال: نعم. قال: اللهُ أكبرُ. قال ابنُ عمرَ: تعالَ أُبَيِّنْ لك؛ أمّا فرارُه يومَ أُحُدٍ فأشهَدُ أنَّ اللهَ عفا عنه وغفَر له، وأمّا تَغَيُّبُه عن بدرٍ فإنَّه كانت تحتَه بنتُ رسولِ الله ﷺ وكانت مَريضةً، فقال له رسولُ الله ﷺ: «إنَّ لكَ أجرَ رجلٍ ممَّن شهِدَ بدرًا وسهمَه». وأمَّا تَغيُّبُه عن بَيْعةِ الرِّضوانِ فلو كان أحدٌ أعزَّ ببطنِ مَكَّةَ من عثمانَ لَبَعَثَه مَكانَه؛ فبعَث رسولُ الله ﷺ عثمانَ - وكانت بَيْعَةُ الرِّضوانِ بعدَما ذهَب عثمانُ - إلى مَكَّةَ، فقال النبيُّ ﷺ بيدِه اليُمْنَى: «هذه يدُ عثمانَ». فضرَب بها على يدِه، فقال: هذه لعثمانَ. فقال له ابنُ عمرَ: اذهَبْ بها الآنَ معك(٣) . تفرَّد به دونَ مُسلمٍ.

---

(١) ألفاظه في الصحيح تقدمت في التعليق السابق دون قوله «في الخلافة» وقد صححه المؤلف ولكن فيه عمر بن محمد ليس بالحافظ كما قال البزار.

(٢) ضعيف كما سيذكر المؤلف: أخرجه الطبراني في «الكبير» (١١/ ٧٦) رقم (١١٠٩٣) بهذا الإسناد وفيه ليث بن أبي سليم وهو ضعيف.

(٣) أخرجه البخاري (٣٦٩٩).

طريقٌ أُخرى: وقال الإمامُ أحمدُ: حَدَّثنا مُعاويةُ بنُ عمرو، ثنا زائدةُ، عن عاصم، عن شَقيق قال: لَقِيَ عبدُ الرحمنِ بنُ عوفٍ الوليدَ بنَ عُقْبَةَ، فقال له الوليدُ: ما لي أراك جَفَوْتَ أميرَ المؤمنين عثمانَ؟ فقال له عبدُ الرحمنِ: أبلغه أنّي لم أفرَّ يومَ حُنَيْنٍ - قال عاصمٌ: يقولُ: يومَ أُحُدٍ - ولم أتخلَّفْ عن يوم بدرٍ، ولم أتركْ سُنَّةَ عمرَ. قال: فانطلَق فخَبَّر ذلك عثمانَ، فقال: أمّا قولُه: إنّي لم أفرَّ يومَ حُنَيْنٍ، فكيف يُعَيِّرُني بذلك وقد عفَا اللهُ عني، فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٥٥]. وأمّا قولُه: إنّي تَخلَّفْتُ يومَ بدرٍ. فإنّي كنتُ أُمَرِّضُ رُقيَّةَ بنتَ رسولِ الله ﷺ، وقد ضرَبَ لي رسولُ الله ﷺ بسَهْمي، ومَن ضرَب له رسولُ الله ﷺ بسَهْمِه فقد شهِد، وأمّا قولُه: ولم أتركْ سُنَّةَ عمرَ. فإنّي لا أُطيقُها ولا هو، فأتِه فحَدِّثْه بذلك[1].

حديثٌ آخَرُ: قال البخاريُّ: حَدَّثنا أحمدُ بنُ شَبيبِ بنِ سعيدٍ، ثنا أبي، عن يُونُسَ، قال ابنُ شهابٍ: أخبرَني عُروةُ أنَّ عبيدَ الله بنَ عَديِّ بنِ الخِيارِ أخبرَه أنَّ المِسْوَرَ بنَ مَخرَمَةَ وعبدَ الرحمنِ بنَ الأسودِ بنِ عبدِ يَغُوثَ، قالا: ما يَمنَعُك أن تُكلِّمَ عثمانَ لأخيه الوليدِ، فقد أكثرَ الناسُ فيه؟ فقصَدْتُ لعثمانَ حينَ خرَج إلى الصلاة. قُلْتُ: إنَّ لي إليك حاجةً، وهي نصيحةٌ لك. قال: يأيُّها المرءُ - قال أبو عبدِ الله: قال مَعْمَرٌ: أراه قال - أعوذُ بالله منكَ. فانصرَفْتُ فرَجَعْتُ إليهم إذ جاءَ رسولُ عثمانَ، رضِي اللهُ عنه، فأتَيْتُه فقال: ما نَصيحتُكَ؟ فقلت: إن اللهَ بعَث محمدًا ﷺ بالحَقِّ، وأنزَل عليه الكتابَ، وكنتَ ممَّن استجاب لله ولرسوله، فهاجرْتَ الهجرتَيْن، وصَحِبْتَ رسولَ الله ﷺ ورأيتَ هَدْيَه، وقد أكثرَ الناسُ في شأنِ الوليد. فقال: أدركتَ رسولَ الله ﷺ؟ قلتُ: لا، ولكنْ خلَص إليَّ مِن عِلْمِه ما يَخلُصُ إلى العَذْراءِ في سِتْرِها. قال: أمّا بعدُ، فإنَّ اللهَ بعَث محمدًا بالحقِّ وكنتُ ممَّن استجاب لله ولرسوله، وآمَنْتُ بما بُعِث به، وهاجرْتُ الهجرتَيْن كما قلتَ، وصَحِبتُ رسولَ الله ﷺ وبايَعْتُه، فوالله ما عَصَيْتُه ولا غَشَشْتُه حتى تَوَفّاه اللهُ، عَزَّ وجَلَّ، ثم أبو بكرٍ مثلُه، ثم عمرُ مثلُه، ثم استُخْلِفتُ، أفلَيْسَ لي من الحقِّ مثلُ الذي لهم؟ قلتُ: بلى. قال: فما هذه الأحاديثُ التي تبلُغُني عنكم؟ أمّا ما ذكرتَ من شأنِ الوليدِ، فسنأخُذُ فيه بالحقِّ إن شاء اللهُ. ثم دعا عليًّا فأمَره أن يَجلِدَه فجلَده ثمانين[2].

حَديثٌ آخَرُ: قال الإمامُ أحمدُ: حَدَّثنا أبو المُغيرة، ثنا الوليدُ بنُ سُلَيْمانَ، حَدَّثني ربيعةُ بنُ يَزيدَ، عن عبدِ الله بنِ عامرٍ، عن النُّعمانِ بنِ بشيرٍ، عن عائشةَ، رضِي اللهُ عنها، قالت: أرسَلَ رسولُ الله ﷺ إلى عثمانَ بنِ عفانَ، فأقبَل عليه رسولُ الله ﷺ، فلمّا رأَيْنا إقبالَ رسولِ الله ﷺ، أقبلَتْ إحدانا على

---

(١) إسناده حسن: أخرجه أحمد (١/ ٦٨) بهذا الإسناد وهو حسن من أجل الكلام في عاصم بن بهدلة وبقية رجاله ثقات.

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٩٦).

الأُخرَىٰ فكان من آخرِ كلامٍ كلَّمَه أن ضرَب مَنكِبَه، وقال: «يا عثمانُ: إنَّ اللهَ عسى أن يُلبِسَك قميصًا فإن أرادَك المنافقون على خَلْعه فلا تَخلَعْه حتى تلقاني» ثلاثًا. فقلتُ لها: يا أُمَّ المؤمنين، فأين كان هذا عنكِ؟ قالت: نُسِّيتُه والله فما ذكرتُه. قال: فأخبرتُه مُعاويةَ بنَ أبي سُفيانَ فلَم يَرْضَ بالذي أخبرتُه حتى كتَب إلى أُمِّ المؤمنين أن اكتُبي إليَّ به، فكتَبَتْ إليه به كتابًا [١].

وقد رَواه أبو عبدِ الله الجَسْرِيُّ، عن عائشةَ وحفصةَ بنحوِ ما تقدَّم. ورَواه قيسُ بنُ أبي حازمٍ وأبو سَهْلةَ عنها. ورَواه أبو سهلة، عن عثمانَ: إنَّ رسولَ الله ﷺ عهِد إليَّ عهدًا فأنا صابرٌ نفسي عليه. ورَواه فرجُ بنُ فَضالةَ، عن محمدِ بنِ الوليدِ الزبيديِّ، عن الزُّهْريِّ، عن عُروةَ، عن عائشةَ، فذكَره. قال الدارَقُطنيُّ: تَفرَّد به الفَرَجُ بنُ فَضالةَ. ورَواه أبو مَرْوانَ محمدُ بنُ عثمانَ بنِ خالدٍ العُثْمانيُّ، عن أبيه، عن عبدِ الرحمنِ بنِ أبي الزِّنادِ، عن أبيه عن هشامِ بنِ عُروةَ، عن أبيه، عن عائشةَ. ورَواه ابنُ عساكرَ، من طريقِ المِنْهالِ بنِ بَحْرٍ، عن حمادِ بنِ سَلَمةَ، عن هشامِ بنِ عُرْوةَ، عن أبيه، عنها. ورَواه أبو أسامةَ، عن الجُرَيْريِّ: حَدَّثني أبو بكرٍ العَدَويُّ قال: سألتُ عائشةَ. فذكَر عنها نحوَ ما تقدَّم. ورَواه خُصَيْفٌ، عن مُجاهدٍ، عن عائشةَ بنحوِه.

وقال الإمامُ أحمدُ: حَدَّثنا محمدُ بنُ كُناسةَ الأسديُّ أبو يَحْيَىٰ، ثنا إسحاقُ بنُ سعيدٍ، عن أبيه، قال: بلَغَني أنَّ عائشةَ قالت: ما استمَعْتُ على رسولِ الله ﷺ إلا مَرَّةً، فإنَّ عثمانَ جاءه في نَحْرِ الظَّهيرةِ فظنَنْتُ أنَّه جاءَه في أمرِ النِّساءِ، فحملَتْني الغَيْرةُ على أن أصغَيْتُ إليه فسَمِعتُه يقولُ: «إنَّ اللهَ مُلبِسُك قميصًا تُريدُك أُمَّتي على خَلْعه فلا تَخلَعْه». فلمَّا رأيتُ عثمانَ يَبذُلُ لهم ما سألوه إلَّا خَلْعَه، عَلِمت أنَّه من عَهْدِ رسولِ الله ﷺ الذي عهِد إليه [٢].

طريقٌ أُخرَى: قال الطَّبَرانيُّ: حدثَّنا مُطَّلِبُ بنُ شُعَيبٍ الأزْديُّ، ثنا عبدُ الله بنُ صالحٍ، ثنا اللَّيثُ، عن خالدِ بنِ يَزيدَ، عن سعيدِ بنِ أبي هلالٍ، عن رَبيعةَ بنِ سيفٍ، قال: كنَّا عندَ شُفَيٍّ الأصبَحيِّ، فقال: حَدَّثنا عبدُ الله بنُ عمرٍو، قال: التفَتَ رسولُ الله ﷺ فقال: «يا عثمانُ إنْ ألبَسَكَ اللهُ قميصًا فأرادَك الناسُ على خَلْعه فلا تَخلَعه، فوالله لئنْ خَلَعْتَه لا تَرى الجنةَ حتى يَلِجَ الجملُ في سَمِّ الخياطِ» [٣].

وقد رَواه أبو يَعْلَىٰ، من طريقِ عبدِ الله بنِ عمرَ، عن أُختِه حفصةَ أُمِّ المؤمنين. وفي سياقِ مَتْنِه غَرابةٌ، فالله أعلمُ.

حَديثٌ آخَرُ: قال الإمامُ أحمدُ: حَدَّثنا عبدُ الصمدِ، حَدَّثَتني فاطمةُ بنتُ عبدِ الرحمنِ قالت:

---

(١) إسناده صحيح: تقدم.

(٢) إسناده ضعيف: أخرجه أحمد (٦/ ١١٤) بهذا الإسناد من أجل الانقطاع بين سعيد وعائشة كما هو واضح.

(٣) إسناده فيه ضعف: أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٨٧٤٤) بهذا الإسناد وفيه عبد الله بن صالح وربيعة بن سيف فيهما كلام.

حَدَّثَتني أُمِّي أنَّها سألت عائشةَ، وأرسلَها عَمُّها فقال: إنَّ أحَدَ بَنِيك يُقرِئُكِ السَّلامَ ويَسألُكِ عن عثمانَ بنِ عفانَ، فإنَّ الناسَ قد شَتَموه! فقالت: لَعَنَ اللهُ مَن لَعَنه، فواللهِ لقد كان قاعدًا عندَ رسولِ الله ﷺ، وإنَّ رسولَ الله ﷺ لَمُسْنِدٌ ظهرَه إليَّ، وإنَّ جبريلَ لَيُوحِي إليه القرآنَ، وإنَّه ليَقُولُ له: «اكتُبْ يا عُثَيمُ». قالت عائشةُ: فما كان اللهُ لِيُنْزِلَ تلك المنزلةَ إلاَّ كريمًا على اللهِ ورسولِهِ. ثم رَوَاه الإمامُ أحمدُ، عن يونسَ، عن عمرَ بنِ إبراهيمَ اليَشكُريِّ، عن أُمِّه، عن أُمِّها، أنَّها سألت عائشةَ عندَ الكعبةِ عن عثمانَ فذكرَتْ مثلَه[1].

حديثٌ آخَرُ: قال البَزّارُ[2]: حَدَّثَنا عمرُ بنُ الخطّابِ قال: ذكَر أبو المغيرةِ، عن صَفْوانَ بنِ عمرٍو، عن ماعزٍ التميميِّ، عن جابرٍ، أنَّ رسولَ الله ﷺ ذكَر فتنةً، فقال أبو بكرٍ، رضِي اللهُ عنه: أنا أدرِكُها؟ قال: «لا». فقال عمرُ: أنا يا رسولَ الله أُدرِكُها؟ قال: «لا». فقال عثمانُ: يا رسولَ اللهِ أنا أُدرِكُها؟ قال: «بك يُبْتَلَوْنَ»[3]. قال البَزّارُ: وهذا لا نَعلَمُه يُروَىٰ إلاَّ مِن هذا الوجهِ.

حَديثٌ آخَرُ: قال الإمامُ أحمدُ: حَدَّثنا أسودُ بنُ عامرٍ، ثنا سِنانُ بنُ هارونَ، ثنا كُلَيْبُ بنُ وائلٍ: عن ابنِ عمرَ قال: ذكَر رسولُ اللهِ ﷺ فتنةً فمرَّ رَجُلٌ، فقال: «**يُقتَلُ فيها هذا المُقَنَّعُ يومَئذٍ مَظلومًا**». فنظَرْتُ فإذا هو عثمانُ بنُ عفانَ، رضِي اللهُ عنه[4]. ورَواه الترمذيُّ، عن إبراهيمَ بنِ سعيدٍ، عن شاذانَ به. وقال: حَسَنٌ غَريبٌ.

حديثٌ آخَرُ: قال الإمامُ أحمدُ: حَدَّثنا عفانُ، ثنا وُهيبٌ، ثنا موسَىٰ بنُ عُقْبةَ قال: حَدَّثني أبو أُمِّي

---

(١) **إسناده ضعيف جدًا**: هو عند أبي يعلىٰ (٧٠٤٥) وفي إسناده إبراهيم بن عمر بن أبان قال أبو حاتم: ضعيف الحديث منكر الحديث وترك أبو زرعة حديثه ووالده قال البخاري: فيه نظر.

(٢) **في إسناده ضعف بهذا السياق**: أخرجه أحمد (٦/ ٢٥٠) بهذا الإسناد وفاطمة وأمها كما ذكرهما الحسيني في إكماله ص٦٢٥ ولم يذكر جرحًا ولا تعديلاً وله طريق آخر عند أحمد كما سيذكره المؤلف (٦/ ٢٦١) وفي إسناده مقال أيضًا.

(٣) **في إسناده من لم أعرفه**: أخرجه البزار (٣٢٦٤) «كشف الأستار» بهذا الإسناد وفي إسناده ماعز التميمي لم أجد فيه جرحًا ولا تعديلاً، وقال الهيثمي في «المجمع» (٧/ ٢٢٥) فيه ماعز التميمي ذكره ابن أبي حاتم ولم يجرحه أحد.

(٤) **صحيح بلفظ مقارب**: أما هذا الإسناد فهو عند أحمد (٢/ ١١٥) وفيه سنان بن هارون البرمجي الأكثر علىٰ ضعفه وأخرجه الترمذي (٣٧٠٨) عن إبراهيم بن سعيد عن شاذان عن الأسود بن عامر به وهي الرواية التي سيشير المؤلف إليها.

وأخرجه أحمد (٤/ ٢٣٦) ثنا محمد بن بكر يعني البرساني أخبرنا وهيب بن خالد حدثنا أيوب عن أبي قلابة عن أبي الأشعث قال: قامت خطباء بإيلياء في إمارة معاوية فتكلموا، وكان آخر من تكلم مرة بن كعب فقال: لولا حديث سمعته من رسول اللَّه ﷺ ما قمت، سمعت رسول اللَّه ﷺ يذكر فتنة فقربها، فمر رجل متقنع فقال: «هذا يومئذ وأصحابه علىٰ الحق والهدىٰ» فقلت: هذا يومئذ وأصحابه علىٰ الحق والهدىٰ» فقلت يا رسول اللَّه»؟ وأقبلت بوجهه إليه فقال: فإذا هو عثمان» وإسناده صحيح رجاله ثقات ورأيت الدارقطني في «العلل» ج٥ ورقة ٦ب-٧أ قال بعد ذكره خلافات فيه: والقول قول وهيب ومن تابعه اهـ. وصححه الشافعي كما في «الحلية» (٩/ ١١٤) وأخرجه أحمد (٤/ ٢٣٥) عن إسماعيل بن إبراهيم حدثنا أيوب عن أبي قلابة عن مرة بن كعب هكذا منقطعًا.

أبو حَبِيبَةَ، أنَّه دخَل الدارَ وعثمانُ مَحصورٌ فيها، وأنَّه سمع أبا هريرةَ يَستأذِنُ عثمانَ في الكلامِ فأذِن له، فقام فحمِد اللهَ، وأثنَى عليه، ثم قال: إنِّي سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ: «إنَّكم تَلقَوْن بعدي فتنةً واختلافًا» - أو قال: «اختلافًا وفتنةً» - فقال له قائلٌ من الناسِ: فمَن لَنا يا رسولَ اللهِ؟ قال: «عليكم بالأمينِ وأصحابِه». وهو يُشيرُ إلى عثمانَ بذلك. تفرَّد به أحمدُ[1]، وإسنادُه جيدٌ حسَنٌ، ولم يُخرِجوه من هذا الوجهِ.

وقال الإمامُ أحمدُ: حَدَّثَنا أبو أُسامةَ - حمادُ بنُ أُسامةَ - أنا كَهْمَسُ بنُ الحسنِ، عن عبدِ اللهِ بنِ شَقيقٍ، حَدَّثَني هَرِمُ بنُ الحارثِ، وأُسامةُ بنُ خُرَيْمٍ - وكانا يُغازِيان - فحدَّثاني حديثًا ولم يَشعُرْ كلُّ واحدٍ منهما أنَّ صاحبَه حَدَّثَنيه، عن مُرَّةَ البَهْزِيِّ، قال: بينَما نحن مع رسولِ اللهِ ﷺ في طريقٍ من طرقِ المدينةِ فقال: «كيف تَصنَعون في فتنةٍ تَثورُ في أقطارِ الأرضِ كأنَّها صَياصِي بقرٍ؟» قالوا: نَصنَعُ ماذا يا رسولَ اللهِ؟ قال: «عليكم هذا وأصحابَه» - أو: «اتَّبِعوا هذا وأصحابَه» - قال: فأسرعْتُ حتى عَيِيتُ فأدرَكتُ الرجلَ فقلتُ: هذا يا رسولَ اللهِ؟ قال: «هذا». فإذا هو عثمانُ بنُ عفانَ. فقال[2]: «هذا وأصحابُه». فذكَره.

طريقٌ أُخرى: وقال الترمذيُّ في «جامعِه»: حَدَّثَنا محمدُ بنُ بشَّارٍ، ثنا عبدُ الوهابِ الثَّقَفيُّ، ثنا أيوبُ، عن أبي قِلابةَ، عن أبي الأشعَثِ الصَّنْعانيِّ أنَّ خُطَباءَ قامت بالشامِ وفيهم رجالٌ من أصحابِ النبيِّ ﷺ فقام آخِرُهم؛ رجلٌ يقالُ له: مُرَّةُ بنُ كعبٍ. فقال: لولا حديثٌ سَمِعْتُه من رسولِ اللهِ ﷺ ما تَكلَّمتُ، وذكَر الفِتَنَ فقرَّبَها، فمرَّ رجلٌ مُقَنَّعٌ في ثوبٍ، فقال: «هذا يومَئذٍ على الهُدَى». فقُمتُ إليه، فإذا هو عثمانُ بنُ عفانَ، فأقبَلتُ عليه بوجهِه، فقلتُ: هذا؟ قال: «نعم»[3]. قال الترمذيُّ: هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ، وفي البابِ عن ابنِ عمرَ وعبدِ اللهِ بنِ حَوالةَ وكعبِ بنِ عُجْرَةَ. قلتُ: وقد رَواه أسَدُ بنُ موسَى، عن مُعاويةَ بنِ صالحٍ، عن سُلَيمِ بنِ عامرٍ، عن جُبَيرِ بنِ نُفَيرٍ، عن مُرَّةَ بنِ كعبٍ البَهْزِيِّ، فذكَر نحوَه.

---

(١) إسناده حسن: أخرجه أحمد (٢/ ٣٤٤ - ٣٤٥) بهذا الإسناد وقد توبع موسى بن عقبة فأخرجه الحاكم (٣/ ٩٩) من طريق وهيب بن خالد عن موسى ومحمد وإبراهيم بن عقبة حدثنا أبو أمنا أبو حبيبة عن أبي هريرة به وهذا إسنادٌ جيد حسن كما قال المؤلف رجاله ثقات إلا أبو حبيبة فلا يعرف اسمه روى عنه جمع ووثقه ابن حبان (٥/ ٥٩١) والعجلي وذكره ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٩/ ٣٥٩) ولم يذكر فيه شيء وذكره الحافظ في «تعجيل المنفعة» (٢/ ٤٣٢). وقال الحاكم صحيح وقال الذهبي: صحيح سمعه وهيب منهم.

(٢) إسناده لا بأس به: أخرجه أحمد (٥/ ٣٣) بهذا الإسناد وكرره (٥/ ٣٥) بهذا الإسناد وبنحو المتن هرم بن الحارث وأسامة بن خريم لم أجد فيهما جرحًا ولا تعديلاً ولكنهما متابعان.

فذكرهما ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٢/ ٢٨٣)، (٩/ ١١١) ولم يذكر فيهما جرحًا ولا تعديلاً وبقية رجاله ثقات، والخبر في الفضائل التي يتسامح فيها.

(٣) إسناده صحيح: أخرجه الترمذي (٤٧٠٤) بهذا الإسناد وأبو الأشعث من الثانية يروي عن الصحابة ولم يذكره أحد ممن صنفوا في المراسيل، وله طريق آخر سيذكره المؤلف.

وقد رواه الإمامُ أحمدُ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ مَهدِيٍّ، عن مُعاويةَ بنِ صالحٍ، عن سُلَيْمِ بنِ عامرٍ، عن جُبَيْرِ بنِ نُفَيْرٍ، عن كعبِ بنِ مُرَّةَ البَهْزِيِّ، والصحيحُ مُرَّةُ بنُ كعبٍ، كما تَقَدَّم.

وأمّا حديثُ ابنِ حَوالةَ، فقال حمادُ بنُ سَلَمةَ، عن سعيدٍ الجُرَيْرِيِّ، عن عبدِ اللهِ بنِ شَقيقٍ، عن عبدِ اللهِ بنِ حَوالَةَ، قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «كيفَ أنتَ وفتنةٌ تكون في أقطارِ الأرضِ؟». قلتُ: ما خارَ اللهُ لي ورسولُه. قال: «اتَّبِعْ هذا الرجلَ، فإنَّه يومَئذ ومَن اتَّبعه على الحَقِّ». قال: فاتَّبَعْتُه فأخذتُ بمَنْكِبِه فلَفَتُّه، فقلتُ: هذا يا رسولَ اللهِ؟ فقال: «نعم». فإذا هو عثمانُ بنُ عفانَ [1].

وقال حَرْمَلَةُ، عن ابنِ وَهبٍ، عن ابنِ لَهِيعَةَ، عن يَزيدَ بنِ أبِي حَبيبٍ، عن رَبيعةَ بنِ لَقِيطٍ، عن ابنِ حَوالَةَ قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «ثلاثٌ مَن نَجا منهُن فقد نجا؛ مَوتِي، وخُروجُ الدَّجَالِ، وقتلُ خَليفةٍ مُصْطَبِرٍ قَوّامٍ بالحقِّ يُعطيه» [2].

وأمَّا حديثُ كعبِ بنِ عُجْرَةَ، فقال الإمامُ أحمدُ: حَدَّثنا إسحاقُ بنُ سُليمانَ الرازيُّ، أخبَرني مُغيرةُ بنُ مُسلمٍ، عن مَطَرٍ الوَرّاقِ، عن ابنِ سِيرِينَ، عن كعبِ بنِ عُجْرَةَ قال: ذكَر رسولُ اللهِ ﷺ فتنةً فقرَّبَها وعَظَّمَها. قال: ثم مرَّ رجلٌ مُقَنَّعٌ في مِلْحَفةٍ، فقال: «هذا يومَئذ على الحقِّ». فانطلَقْتُ مُسرِعًا - أو قال: مُحْضِرًا - وأخَذتُ بضَبْعَيْه، فقلتُ: هذا يا رسولَ اللهِ؟ قال: «هـذا». فإذا هو عثمانُ بنُ عفانَ [3].

ثم رَواه الإمامُ أحمدُ، عن يَزيدَ بنِ هارونَ، عن هشامِ بنِ حَسانَ، عن محمدِ بنِ سِيرِينَ، عن كَعْبِ بنِ عُجْرَةَ، فذكَر مثلَه.

ورَواه أبو يَعْلَى، عن هُدْبَةَ، عن هَمامٍ، عن قَتادةَ، عن محمدِ بنِ سِيرِينَ، عن كعبِ بنِ عُجْرَةَ.

---

(١) **إسناده صحيح**: أخرجه الطيالسي (١٣٤٥، ١٣٤٦) عن حماد بن سلمة وحماد بن زيد كليهما عن الجريري عن عبد اللَّه بن شقيق، عن عبد اللَّه بن حوالة به، ورواية الحمادين عن الجريري قبل الاختلاط وأخرجه عبد اللَّه بن أحمد في «فضائل عثمان» (١) عن أبيه عن إسماعيل بن إبراهيم قال أنبأنا الجريري عن عبد اللَّه بن شقيق عن ابن حوالة به ولم يسمه عبد اللَّه، وأخرجه أحمد (٥/ ٣٣) عن يزيد أخبرنا كهمس بن الحسن عن عبد اللَّه بن شقيق حدثني رجل من عنزة يقال له: زائدة أو مزيدة بن حوالة فذكره هكذا لم يذكر الجريري وسماه زائدة قال الحافظ في «الإصابة» (٢/ ٤٥٣) عبد اللَّه بن حوالة صحابي مشهور نزل الشام وهو مشهور بالأزدي وهو أشهر من زائدة راوي هذا الخبر فلعل بعض رواته سماه عبد اللَّه ظنًا منه أنه ابن حوالة المشهور فسماه عبد اللَّه والصواب زائدة أو مزيدة على الشك وليس هو أبو عبد اللَّه لأن عبد اللَّه أزدي ويقال عامري خالف الأزد، وزائدة عنزي بمهملة ونون وزاي أهـ.

قلت: (محمد) كلاهما أوردهم الحافظ ضمن الصحابة فلا يضر الخطأ في تسميتهما واللَّه أعلم.

(٢) إسناده ضعيف من قبل ابن لهيعة.

(٣) **إسناده ضعيف**: من هذا الوجه وتقدمت شواهده قريبًا أخرجه أحمد (٤/ ٢٤٢) بهذا الإسناد وضعفه من قبل الكلام في مطر الوراق (*) والانقطاع بين ابن سيرين وكعب؛ قال أبو حاتم في «المراسيل» ص١٨٧ ابن سيرين عن كعب بن عجرة مرسل لكن تقدمت شواهده قريبًا.

(*) لكنه قد توبع من هشام بن حسان وغيره كما أشار المؤلف عقبه لكن الآفة في هذا الإسناد الانقطاع.

وكذا رواه ابنُ عَوْنٍ، عن ابنِ سيرينَ، عن كعبِ بنِ عُجْرةَ.

وقد تقدَّم حديثُ أبي ثورٍ الفَهْميِّ عنه، في قولِه في الخُطبةِ التي خاطَب بها الناسَ مِن دارِه: والله ما تَغَنَّيتُ ولا تَمنَّيتُ ولا زَنَيتُ في جاهليةٍ ولا إسلامٍ ولا مَسَستُ فَرْجي بيَميني منذُ بايَعتُ بها رسولَ الله ﷺ. وأنَّه كان يُعتِقُ كلَّ يومِ جُمُعةٍ عَتيقًا، فإن تَعذَّر عليه أعتَق في الجُمُعةِ الأُخرىٰ عَتيقَيْن. وقال مولاه حُمْرانُ: كان عثمانُ يَغتَسِلُ كلَّ يومٍ منذُ أسلَم. رضي اللهُ عنه[١].

حديثٌ آخَرُ: قال الإمامُ أحمدُ: حدَّثنا عليُّ بنُ عَيَّاشٍ، ثنا الوليدُ بنُ مسلمٍ، أنا الأوزاعيُّ، عن محمدِ بنِ عبدِ الملكِ بنِ مَرْوانَ أنَّه حدَّثه عن المُغيرةِ بنِ شُعبةَ أنَّه دخَل علىٰ عثمانَ وهو محصورٌ، فقال: إنَّك إمامُ العامَّةِ وقد نزَل بك ما ترىٰ وإنِّي أَعرِضُ عليك خِصالًا ثلاثًا اختَرْ إحداهُن؛ إمَّا أن تَخرُجَ فتُقاتِلَهم، فإنَّ معك عددًا وقوةً وأنتَ علىٰ الحقِّ وهم علىٰ الباطلِ، وإمَّا أن تَخرِقَ بابًا سوىٰ البابِ الذي هم عليه فتَقعُدَ علىٰ رَواحلِك فتَلْحَقَ بمكةَ، فإنَّهم لن يَستحِلُّوك وأنتَ بها، وإمَّا أن تَلحَقَ بالشامِ، فإنَّهم أهلُ الشامِ وفيهم مُعاويةُ.

فقال عثمانُ: أمَّا أن أخرُجَ فأُقاتِلَ، فلن أكونَ أوَّلَ مَن خلَف رسولَ الله ﷺ في أُمَّتِه بسَفْكِ الدِّماءِ، وأمَّا أن أخرُجَ إلىٰ مكَّةَ فإنَّهم لن يَستحِلُّوني بها، فإنِّي سَمِعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «يُلحِدُ رجلٌ من قريشٍ بمكةَ يكونُ عليه نصفُ عذابِ العالَم». فلن أكونَ أنا، وأمَّا أن ألحَقَ بالشامِ، فإنَّهم أهلُ الشامِ وفيهم مُعاويةُ، فلن أفارِقَ دارَ هِجْرتي ومُجاوَرةَ رسولِ الله ﷺ[٢].

وقال الإمامُ أحمدُ: ثنا أبو المُغيرةِ، ثنا أرطاةُ - يعني ابنَ المُنذرِ - حدَّثني أبو عَوْنٍ الأنصاريُّ أنَّ عثمانَ قال لابنِ مسعودٍ: هل أنتَ مُنتَهٍ عما بلَغَني عنك؟ فاعتَذر بعضَ العُذْرِ، فقال عثمانُ: وَيحَك! إنِّي قد سَمِعتُ وحفِظتُ - وليس كما سَمِعتَ - أن رسولَ الله ﷺ قال: «**سيُقتَلُ أميرٌ، ويَنتَزي مُنتَزٍ**». وإنِّي أنا المقتولُ، وليس عمرَ، إنَّما قتَل عمرَ واحدٌ، وإنَّه يُجتَمَعُ عليَّ[٣]. وهذا الذي قاله لابنِ مسعودٍ، قبلَ مَقتَلِه بنحوٍ من أربعِ سنينَ، فإنَّه مات قبلَه بنحوِ ذلك.

حديثٌ آخَرُ: قال عبدُ الله بنُ أحمدَ: ثنا عُبَيدُ الله بنُ عمرَ القَواريريُّ، ثنا القاسمُ بنُ الحكمِ بنِ أوْسٍ الأنصاريُّ، حدَّثني أبو عُبادةَ الزُّرَقيُّ الأنصاريُّ - مِن أهلِ المدينةِ - عن زيدِ بنِ أسلَمَ، عن أبيه قال: شَهِدتُ عثمانَ يومَ حُصِر في موضعِ الجنائزِ ولو أُلقيَ حجرٌ لم يقعْ إلاَّ علىٰ رأسِ رجلٍ، فرأيتُ عثمانَ أشرَف مِن الخَوْخَةِ التي تلي بابَ مَقامِ جبريلَ، فقال: أيُّها الناسُ، أفيكم طَلْحةُ؟ فسكَتُوا، ثم

---

(١) **إسناده ضعيف**: تقدم الكلام عليه ص٢٩٧ تعليق١.

(٢) **إسناده ضعيف لانقطاعه**: أخرجه أحمد (١/ ٦٧) هذا الذي يغلب على الظن لأن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه توفي سنة ٥٣ وعبد الملك مات سنة ١٣٢ ولذا قال الحافظ في «تعجيل المنفعة» (٢/ ١٩٥) ما أظن روايته عن المغيرة إلا مرسلة وقال الهيثمي في «المجمع» (٧/ ٢٣٠) لم أجد لعبد الملك سماعًا من المغيرة. اهـ.

(٣) **إسناده ضعيف**: تقدم.

قال: أيُّها الناسُ، أفيكم طَلْحةُ بنُ عُبيدِ الله؟ فسكَتوا، ثم قال: أيُّها الناسُ، أفيكم طلحةُ؟ فقام طَلْحةُ ابنُ عُبيدِ الله، فقال له عثمانُ: ألاَ أراك ههنا؟ ما كنتُ أرَىٰ أنَّك تكونُ في جماعة قوم تَسمَعُ ندائي آخِرَ ثَلاثِ مَرَّاتٍ، ثم لا تُجيبُني؟ أنشُدُك اللهَ يا طلحةُ، تذكُرُ يومَ كنتُ أنا وأنتَ مع رسولِ الله ﷺ في موضعِ كذا وكذا ليس معه أحَدٌ من أصحابِه غيري وغيرُك؟ فقال: نعم. قال: فقال لك رسولُ الله ﷺ: «إنَّه ما من نبيٍّ إلاَّ ومعه من أصحابه رَفيقٌ من أُمَّته معه في الجَنَّة، وإنَّ عثمانَ بنَ عفانَ هذا - يَعْنيني - رَفيقي في الجَنة»؟ فقال طلحةُ: اللَّهمَّ نعم. تَفرَّد به[1].

حديثٌ آخَرُ، عن طلحةَ: قال الترمذيُّ: حَدَّثنا أبو هشامٍ الرفاعيُّ، ثنا يَحيَىٰ بنُ اليَمانِ، عن شيخٍ من بني زُهْرَةَ، عن الحارثِ بنِ عبدِ الرحمنِ بنِ أبي ذُبابٍ، عن طَلْحةَ بنِ عُبَيْدِ الله قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لكلِّ نبيٍّ رفيقٌ ورفيقي في الجنة عثمانُ»[2]. ثم قال: هذا حديثٌ غريبٌ وليس إسنادُه بالقويِّ، وإسنادُه مُنقَطعٌ. ورَواه أبو مَرْوانَ محمدُ بنُ عثمانَ، عن أبيه، عن أبي الزِّنادِ، عن الأعرجِ، عن أبي هريرةَ[3].

وقال الترمذيُّ: حَدَّثنا الفَضْلُ بنُ أبي طالبٍ البَغداديُّ، وغيرُ واحدٍ، قالوا: حَدَّثنا عثمانُ بنُ زُفَرَ، حَدَّثنا محمدُ بنُ زيادٍ، عن محمدِ بنِ عَجْلانَ، عن أبي الزُّبَيْرِ، عن جابرٍ قال: أُتِيَ رسولُ الله ﷺ بجنازةِ رجلٍ لِيُصلِّيَ عليه فلم يُصَلِّ عليه، فقيلَ: يا رسولَ الله ما رأيْناك ترَكْتَ الصلاةَ علىٰ أحدٍ قبلَ هذا؟ فقال: «إنَّه كان يَبغَضُ عثمانَ فأبغَضه اللهُ عزَّ وجلَّ»[4]. ثم قال الترمذيُّ: هذا حديثٌ غريبٌ، ومحمدُ بنُ زيادٍ هذا صاحبُ مَيمونِ بنِ مِهْرانَ ضعيفُ الحديثِ جدًّا، ومحمدُ بنُ زيادٍ صاحبُ أبي هريرةَ بصريٌّ ثقةٌ يُكْنَىٰ أبا الحارثِ، ومحمدُ بنُ زيادٍ الألهانيُّ صاحبُ أبي أُمامةَ ثقةٌ شاميٌّ يُكْنَىٰ أبا سفيانَ.

حديثٌ آخَرُ: روَىٰ الحافظُ ابنُ عساكرَ، من حديثِ أبي مَرْوانَ العُثمانيِّ، حَدَّثني أبي، عثمانُ بنُ خالدٍ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ أبي الزِّنادِ، عن أبيه، عن الأعرجِ، عن أبي هريرةَ، أنَّ رسولَ الله ﷺ لَقِيَ عثمانَ بنَ عفانَ علىٰ بابِ المسجدِ، فقال: «ياعثمانُ، هذا جبريلُ يُخبِرُني أنَّ اللهَ قد زَوَّجَك أُمَّ كُلثومٍ بمثلِ صَداقِ رُقَيَّةَ، علىٰ مثلِ مُصاحَبَتِها»[5]. وقد رواه ابنُ عساكرَ أيضًا، من حديثِ ابنِ عباسٍ،

---

(١) تقدم.

(٢) إسناده ضعيف: كما قال الترمذي وهو عند الترمذي (٣٦٩٨) بهذا الإسناد.

(٣) إسناده ضعيف: هذا الطريق أخرجه ابن ماجه (١٠٩) ثنا أبو مروان به وإسناده ضعيف جدًا بسبب عثمان بن خالد فقد وقع الاتفاق على ضعفه كما قال البوصيري رحمه الله.

(٤) إسناده واهٍ: أخرجه الترمذي (٧٧٠٩) بهذا الإسناد وضعفه من قبل محمد بن زياد ومن أجل عنعنة أبي الزبير ومحمد بن زياد هذا متهم بالكذب.

(٥) أخرجه ابن ماجه (١١٠) وإسناده ضعيف أيضًا وأشار المؤلف رحمه الله إلى أن هذا الحديث منكر من جميع طرقه.

وعائشةَ، وعُمارةَ بنِ رُوَيْبةَ، وعِصْمَةَ بنِ مالكٍ الخَطْمِيِّ، وأنسِ بنِ مالكٍ، وابنِ عمرَ، وغيرِهم. وهو غريبٌ ومُنكَرٌ مِن جميعِ طُرُقِه.

ورُوِي بإسناد ضعيفٍ، عن عليٍّ أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «لو كان لي أربعونَ ابنةً لزَوَّجْتُهن بعثمانَ واحدةً بعدَ واحدة، حتى لا يَبْقَى منهُنَّ واحدةٌ».

وقال محمدُ بنُ سعيد الأمويُّ، عن يُونُسَ بنِ أبي إسحاقَ، عن أبيه، عن المُهَلَّبِ بنِ أبي صُفْرَةَ، قال: سألتُ أصحابَ رسولِ الله ﷺ لِمَ قُلْتُم في عثمانَ: أعلاها فُوقًا؟ قالوا: لأنَّه لم يَتزوَّجْ رجلٌ مِن الأوَّلِين والآخِرِين ابنتَيْ نبيٍّ غيرُه. رواه ابنُ عساكر(١).

وقال إسماعيلُ بنُ عبد الملك، عن عبدِ الله بنِ أبي مُلَيْكَةَ، عن عائشةَ قالت: ما رأيتُ رسولَ الله ﷺ رافعًا يدَيْه حتى يَبدوَ ضَبْعَيْه إلاَّ لعثمانَ بنِ عفانَ، إذا دعا له(٢).

وقال مِسْعَرٌ، عن عطيةَ، عن أبي سعيدٍ قال: رأيتُ رسولَ الله ﷺ مِن أوَّلِ الليلِ إلى أن طلَع الفجرُ رافعًا يدَيه يَدعُو لعثمانَ بنِ عفَّانَ، يقولُ: «اللَّهمَّ عثمانُ رَضِيتُ عنه فارْضَ عنه». وفي روايةٍ يقولُ لعثمانَ: «غفَر اللهُ لك ما قدَّمتَ وما أخَّرْتَ، وما أسْرَرْتَ وما أعلَنْتَ، وما كان منك وما هو كائنٌ إلى يومِ القيامة»(٣). ورَواه الحسنُ بنُ عَرَفةَ، عن محمدِ بنِ القاسمِ الأسديِّ، عن الأوزاعيِّ، عن حَسانَ بنِ عطيةَ، عن النبيِّ ﷺ مُرْسَلاً.

وقال ابنُ عديٍّ، عن أبي يَعْلَى، عن عمارِ بنِ ياسرٍ المُسْتَمْليِّ، عن إسحاقَ بنِ إبراهيمَ المُسْتَمْليِّ، عن أبي إسحاقَ، عن أبي وائلٍ، عن حُذيفةَ أنَّ رسولَ الله ﷺ بعَث إلى عثمانَ يَستعِينُه في غَزاةٍ غَزاها، فبعَث إليه عثمانُ بعَشَرةِ آلافِ دينارٍ، فوضَعها بينَ يدَيْه، فجعَل يُقلِّبُها بيدَيه ويَدْعُو له: «غفَر اللهُ لك يا عثمانُ ما أسررتَ وما أعلنتَ وما أخفيتَ، وما هو كائنٌ إلى يومِ القيامة، ما يُبالي عثمانُ ما عَمِل بعدَ هذا»(٤).

حديثٌ آخَرُ: وقال ليثُ بنُ أبي سُلَيْم: أوَّلُ مَن خبَص الخَبِيصَ عثمانُ؛ خلَط بينَ العسَلِ والنَّقِيِّ، ثم بعَث به إلى رسولِ الله ﷺ إلى مَنزِلِ أُمِّ سَلَمةَ، فلم يُصادِفْه، فلمّا جاء وضَعوه بينَ يدَيْه، فقال: «مَن بعَث بهذا؟» قالوا: عثمانُ. قالت: فرفَع يَدَيْه إلى السماءِ، فقال: «اللَّهمَّ إنَّ عثمانَ يَترضّاك فارْضَ عنه»(٥).

---

(١) في إسناده محمد بن سعيد الأموي لم أستطع تحديده بالضبط وفي «الجرح والتعديل» محمد بن سعيد بن عبد الرحمن الأموي قال أبو حاتم مجهول وكذا الحافظ في «اللسان» وآخر عقبه محمد بن سعيد بن أبان القرشي سكت عنه، ويغلب على الظن أنه الأول انظر «الجرح والتعديل» (٧/ ٣٣) و«اللسان» (٦/ ٢٤٤).

(٢) إسناده ضعيف: من قبل الكلام في إسماعيل بن عبد الملك.

(٣) إسناده ضعيف: من قبل عطية العوفي وقد روي مرة مرسلاً كما قال المؤلف.

(٤) إسناده ضعيف: أخرجه ابن عدي في «الكامل» (١/ ٣٤٠) بهذا الإسناد وقال عقبه: بهذا الإسناد غير محفوظ وإسحاق بن إبراهيم هو أبو يعقوب الثقفي الكوفي قال ابن عدي: روى عن الثقات بما لا يتابع عليه، وقال العقيلي في حديثه نظر.

(٥) إسناده ضعيف ومعضل: ليث بن أبي سليم ضعيف وبينه وبين عثمان إعضال.

حديثٌ آخَرُ: روىٰ أبو يَعْلَىٰ، عن شَيْبانَ بنِ فَرُّوخ، عن طلحةَ بنِ زَيْدٍ، عن عُبيدةَ بنِ حَسانَ، عن عطاءِ الكَيْخارنيِّ، عن جابرٍ أنَّ رسولَ الله ﷺ اعتنَق عثمانَ، وقال: «أنتَ وَلِيِّي في الدّنيا ووَلِيِّي في الآخرة»[1].

حديثٌ آخَرُ: قال أبو داودَ الطيالسيُّ: حَدَّثنا حمادُ بنُ سَلَمةَ، وحمادُ بنُ زَيْدٍ، عن الجُرَيْريِّ، عن عبدِ الله بنِ شَقيقٍ، عن عبدِ الله بنِ حَوالةَ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «تَهْجُمون على رجلٍ مُعْتَجِرٍ[2] بِبُرْدَةٍ من أهلِ الجنة، يبايعُ الناسَ». قال: فهَجَمْنا علىٰ عثمانَ بنِ عفانَ مُعْتَجِراً يُبايعُ الناسَ[3].

فصل في ذكر شيء من سيرته

وهي دالة على فضيلته، رضي الله عنه

قال ابنُ مسعود: لَمّا توفِّيَ عمرُ بايَعْنا خيرَنا ولم نَأْلُ. وفي رِوايةٍ: بايعَوا خيرَهم ولم يأْلُوا.

وقال الأصمعيُّ، عن أبي الزِّنادِ، عن أبيه، عن عمرِو بنِ عثمانَ بنِ عَفّانَ، قال: كان نَقْشُ خاتَمِ عثمانَ: آمَنْتُ بالذي خلَق فسوَّىٰ.

وقال محمدُ بنُ المبارك: بلَغني أنَّه كان نَقْشُ خاتَمِ عثمانَ: آمَنَ عثمانُ بالله العظيم.

وقال البخاريُّ في «التاريخ»: ثنا موسىٰ بنُ إسماعيلَ، ثنا مباركُ بنُ فَضَالَةَ، قال: سمعتُ الحسنَ يقولُ: أدرَكْتُ عثمانَ علىٰ ما نقَموا عليه، قَلَّما يأتي علىٰ الناسِ يومٌ إلاّ وهم يقتَسِمون فيه خيراً، يقالُ لهم: يا معشرَ المسلمين اغدُوا علىٰ أَعْطِياتِكم. فيأخُذونها وافرةً، ثم يقالُ لهم: اغدُوا علىٰ أرزاقكم. فيأخُذونها وافرةً، ثم يقالُ لهم: اغدُوا علىٰ السَّمْنِ والعَسَلِ، الأَعْطياتُ جاريةٌ، والأرزاقُ دارَّةٌ، والعدُوُّ متَّقىً، وذاتُ البَيْنِ حسنٌ، والخيرُ كثيرٌ، وما مُؤْمنٌ يخافُ مؤمناً، مَن لَقِيَه فهو أخُوه مَن كان؛ أُلْفَتُه ونصيحتُه ومَودَّته، قد عهِدَ إليهم أنَّها ستكونُ أثَرَةٌ، فإذا كانت فاصبِروا. قال الحسنُ: فلو أنَّهم صبَروا حينَ رأَوْها لوَسِعَهم ما كانوا فيه من العطاءِ والرزقِ والخيرِ الكثيرِ، قالوا: لا والله ما نصابِرُها. فوالله ما رَدُّوا وما سلِموا، والأخرىٰ كان السيفُ مُغْمَداً عن أهلِ الإسلام فسلُّوه علىٰ أنفسِهم، فوالله ما زال مَسلولاً إلىٰ يومِ الناسِ هذا، وايْمُ الله إنِّي لأَراه سيفًا مَسلولاً إلىٰ يومِ القيامة[4].

وقال غيرُ واحدٍ، عن الحسنِ البصريِّ، قال: سمِعْتُ عثمانَ يأمُرُ في خُطْبَتِه بذبحِ الحمامِ وقتْلِ الكلابِ.

---

(١) إسناده تالف: أخرجه أبو يعلىٰ (٢٠٥١) بهذا الإسناد، وطلحة بن زيد متروك ورماه البعض بوضع الحديث، وعبيدة بن حسان ضعيف.

(٢) النصف عند الطيالسي: فهجمنا علىٰ عثمان بن عفان رضي الله عنه، معتجراً ببرده يبايع الناس.

(٣) إسناده صحيح: وتقدم الكلام علىٰ سنده ضمن ص٣٧٦ تعليق٢.

(٤) لم أقف علىٰ النص في «تاريخ البخاري» وقول الحسن أدركت عثمان... فيه نظر لأن الحسن لم يدرك عثمان بل لم يسمع ممن هو توفي بعد عثمان بكثير قال أبو حاتم: جماعة بالبصرة رووا عن أنس ولم يسمعوا منه، منهم مبارك بن فضالة انظر «جامع التحصيل» ص٢٧٣.

وروىٰ سيفُ بنُ عمرَ أنَّ أهلَ المدينة اتَّخَذَ بعضُهم الحمامَ، ورمىٰ بعضُهم بالجُلاهقَات، فوكَّل عثمانُ رجلاً من بني لَيْثٍ يَتتبَّعُ ذلك، فيَقصُّ الحَمامَ ويكسرُ الجُلاهقات، وهي قِسيّ البُنْدُق.

وقال محمدُ بنُ سعد: أنبأنا القَعْنبيُّ، وخالدُ بنُ مَخْلَد، ثنا محمدُ بنُ هلالٍ، عن جَدَّته - وكانت تدخُلُ علىٰ عثمانَ وهو محصورٌ - فولَدَت هلالاً، ففقَدَها يومًا، فقيل له: إنَّها قد ولَدَت هذه الليلةَ غلامًا. قالت: فأرسَل إليَّ بخمسين درهمًا وشُقَيْقةً سُنْبُلانيَّةً، وقال: هذا عطاءُ ابنك وكسْوتُه، فإذا مرَّت به سَنَةٌ رفَعناه إلىٰ مائة[1].

وروىٰ الزُّبيرُ بنُ أبي بكر، عن محمّد بنِ سلاّم، عن ابنِ دَاب، قال: قال ابنُ سعيدِ بنِ يَربوعِ بنِ عَنْكَثَةَ المخزوميُّ: انطلَقْتُ وأنا غلامٌ في الظَّهيرة ومعي طيرٌ أرسلُه في المسجد، والمسجدُ يُبْنَىٰ، فإذا شيخٌ جميلٌ حسنُ الوجه نائمٌ، تحتَ رأسه لَبِنَةٌ أو بعضُ لَبِنَة، فقُمْتُ أنظرُ إليه أتعجَّبُ من جَماله، ففَتَح عينَيه فقال: مَن أنتَ يا غلامُ؟ فأخبَرْتُه، فنادىٰ غُلامًا نائمًا، قريبًا منه، فلم يُجِبْه، فقال لي: ادعُه. فدَعَوْتُه فأمَره بشيء وقال لي: اقعُدْ. قال: فذهَب الغلامُ فجاء بحُلَّة، وجاء بألف درهم، ونزَع ثوبِي وألبَسَني الحُلَّةَ، وجعَل الألفَ درهمٍ فيها، فرجَعْتُ إلىٰ أبي فأخبَرْتُه، فقال: يا بُنَيَّ مَن فعَل هذا بك؟ فقلتُ: لا أدْرِي، إلاَّ أنَّه رجلٌ في المسجد نائمٌ لم أرَ قطُّ أحسنَ منه. قال: ذاك أميرُ المؤمنين عثمانُ بنُ عفان[2].

وقال عبدُ الرزاق، عن ابن جُرَيْج: أخبَرني يَزِيدُ بنُ خَصِيفةَ، عن السائب بنِ يَزِيدَ: أنَّ رجلاً سأَلَ عبدَ الرحمنِ بنَ عثمانَ التَّيميَّ عن صلاة طلحةَ بنِ عُبَيْد الله؟ قال: إن شئتَ أخبرتُك عن صلاة عثمانَ؟ قال: نعم. قال: قلتُ لأغلِبَنَّ الليلةَ النَّفَرَ علىٰ الحَجَر - يَعْني المَقام - فلمَّا قمتُ إذا رجلٌ يَزْحَمُني مُقَنَّعًا، قال: فالتَفَتُّ فإذا بعثمانَ فتأخَّرتُ عنه، فصلَّىٰ فإذا هو يَسجُدُ سُجودَ القرآن، حتىٰ إذا قلتُ: هذا هو أذانُ الفجر. أوتَر بركعة لم يُصَلِّ غيرَها، ثم انطلَق[3]. وقد رُوِي هذا من غير وجه أنَّه صلَّىٰ بالقرآن العظيم في ركعة واحدة عندَ الحَجَرِ الأسود، أيامَ الحَجِّ. وقد كان هذا من دَأْبه، رضي اللهُ عنه. ولهذا رُوِّينا عن ابنُ عمر أنَّه قال في قوله تعالىٰ: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾ [الزمر: ٩]. قال: هو عثمانُ بنُ عَفَّانَ، وقال ابنُ عباس في قوله تعالىٰ: ﴿هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [النحل: ٧٦]. قال: هو عثمانُ بنُ عَفَّانَ.

وقال حسانُ:

---

(١) **في إسناده من لم أعرفه:** إسناده لا بأس به لولا عدم معرفتنا بحال جدة محمد بن هلال ولم أقف عليه في «الطبقات الكبرىٰ».

(٢) **إسناده تالف:** فيه محمد بن داب المديني كذبه أبو زرعة وانظر ترجمته من «تهذيب الكمال» (٢٥/ ١٧٢).

(٣) **إسناده صحيح:** عن عبد الرحمن، وعبد الرحمن بن عثمان التيمي صحابي والخبر أخرجه عبد الرزاق (٤٦٥٣) وعنده طرق أخرىٰ بنحو هذا المتن.

ضَحَّوا بأشمطَ عنوانُ السجود به يُقطِّعُ الليلَ تسبيحًا وقرآنا

وقال سفيانُ بنُ عُيينةَ: ثنا إسرائيلُ بنُ موسى، سمعتُ الحسنَ يقولُ: قال عثمانُ: لو أنَّ قُلوبَنا طَهُرت ما شَبِعْنا من كلام ربِّنا، وإنِّي لأكرَه أن يأتيَ عليَّ يومٌ لا أنظُرُ في المصحف، وما مات عثمانُ حتى خرَق مُصحفَه من كثرة ما يُديمُ النَّظرَ فيه.

وقال أنسٌ ومحمدُ بنُ سيرينَ: قالت امرأةُ عثمانَ يومَ الدار: اقتُلوه أو دَعُوه، فوالله لقد كان يُحيي الليلَ بالقرآن في ركعة. وقال غيرُ واحد: إنَّه، رضي اللهُ عنه، كان لا يُوقظُ أحدًا من أهله إذا قام من الليل ليُعينَه على وُضوئه، إلَّا أن يَجدَه يَقظانَ، وكان يَصومُ الدهر، وكان يُعاتَبُ فيقالُ له: لو أيقظْتَ بعضَ الخَدَم؟ فيقولُ: لا، الليلُ لهم يَستريحون فيه. وكان إذا اغتسَل لا يَرفعُ المئزرَ عنه، وهو في بيتٍ مُغلَقٍ عليه، ولا يَرفَعُ صُلْبَه جيدًا من شدَّة حَيائه، رضي اللهُ عنه.

فصلٌ في ذكر شيءٍ من خُطبه

قال الواقديُّ: حدَّثني إسماعيلُ بنُ إبراهيمَ بنِ عبد الرحمنِ بنِ عبد الله ابنِ أبي ربيعةَ المخزوميُّ، عن أبيه أنَّ عثمانَ لمَّا بُويعَ خرَج إلى الناس فخطَبَهم، فحمِد اللهَ وأثنَى عليه، ثم قال: أيُّها الناسُ إنَّ أولَ كلِّ مَركَبٍ صَعْبٌ، وإنَّ بعدَ اليوم أيامًا، وإن أعِشْ تأتِكم الخُطبةُ على وجهِها، وما كنا خطباءَ، وسيُعلِّمُنا اللهُ[1].

وقال الحسنُ: خطَب عثمانُ فحمِدَ اللهَ وأثنَى عليه، ثم قال: أيُّها الناسُ اتقوا اللهَ فإنَّ تَقْوى الله غُنْمٌ، وإنَّ أكيَسَ الناسِ مَن دانَ نفسَه وعمِلَ لمَا بعدَ الموت، واكتسَب من نورِ الله نورًا لظلمة القبر، ولْيَخْشَ عبدٌ أن يحشُرَه اللهُ أعمَى وقد كان بصيرًا، وقد يكْفيني الحكيمُ جَوامعَ الكَلِم، والأصمُّ يُنادَى من مكانٍ بعيد، واعلَموا أنَّ من كان اللهُ معه لم يَخَفْ شيئًا، ومَن كان اللهُ عليه فمَن يَرجُو بعدَه؟!

وقال مجاهدٌ: خطب عثمانُ فقال: ابنَ آدمَ، اعلَمْ أنَّ مَلَكَ الموت الذي وُكِّل بك لم يَزَلْ يُخلِّفُكَ ويَتخطَّى إلى غيرك منذُ أنتَ في الدُّنيا، وكأنَّه قد تَخطَّى غيرَك إليك وقصَدك، فخُذْ حِذْرَك واستَعِدَّ له، ولا تَغْفُلْ فإنَّه لا يَغفُلُ عنك، واعلَم ابنَ آدمَ، إن غَفَلتَ عن نفسك ولم تستَعِدَّ لها، لم يَستَعِدَّ لها غيرُك ولابُدَّ من لقاء الله، فخُذْ لنفسك ولا تَكِلْها إلى غيرك. والسَّلامُ.

وقال سيفُ بنُ عمرَ، عن بدرِ بنِ عثمانَ، عن عَمِّه قال: آخرُ خُطبةٍ خطَبها عثمانُ في جماعة: إنَّ اللهَ إنَّما أعطاكم الدُّنيا لتَطلُبوا بها الآخرةَ، ولم يُعطِكُموها لتركَنوا إليها، إنَّ الدُّنيا تفنَى وإنَّ الآخرةَ تبقَى، لا تُبطِرَنَّكم الفانيةُ ولا تشغَلَنَّكم عن الباقية، فآثِروا ما يبقَى على ما يفنَى، فإنَّ الدنيا مُنقطعةٌ، وإن المصيرَ إلى الله، اتَّقوا اللهَ فإنَّ تَقواه جُنَّةٌ من بأسه، ووسيلةٌ عندَه، واحذَروا من الله الغِيَرَ، والزموا جماعتَكم، لا تَصيروا أحزابًا: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ إلى آخرِ الآيتَيْنِ [آل عمران: ١٠٣، ١٠٤].

(١) في إسناده الواقدي وهو متروك.

فصل

قال الإمامُ أحمدُ: حدَّثنا هُشَيْمٌ، ثَنا محمدُ بنُ قَيْسٍ الأسَديُّ، عن موسَىٰ بنِ طَلحةَ قال: سَمِعتُ عثمانَ بنَ عفانَ وهو علىٰ المِنبرِ والمؤذِّنُ يُقيمُ الصلاةَ، وهو يَستخبِرُ الناسَ يَسألُهم عن أخبارِهم وأسعارِهم[1].

وقال أحمدُ: حدَّثنا إسماعيلُ بنُ إبراهيمَ، ثنا يُونُس يَعْني ابنَ عُبَيْدٍ - حَدَّثني عطاءُ بنُ فَرُّوخَ مَولَىٰ القُرَشيِّينَ أنَّ عثمانَ اشتَرىٰ مِن رجلٍ أرضًا فأبطأَ عليه، فلَقِيَه فقال: ما منَعك مِن قبضِ مالك؟ قال: إنَّك غَبَنْتَني، فما ألقَىٰ مِن الناسِ أحدًا إلاَّ وهو يَلُومُني. قال: أوَ ذلك يَمنَعُك؟ قال: نعم. قال: فاختَرْ بينَ أرضِك ومالك. ثم قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: **«أدخَلَ اللهُ الجنةَ رجلاً كان سَهْلاً، مشتريًا، وبائعًا، وقاضيًا، ومُقتضيًا»**[2].

ورَوىٰ ابنُ جَريرٍ أنَّ طلحةَ لَقِي عثمانَ وهو خارجٌ إلىٰ المسجدِ، فقال له طلحةُ: إنَّ الخَمسين ألفًا التي لك عندي قد حَصَلَت، فأرسِلْ مَن يَقبِضُها. فقال له عثمانُ: إنَّا قد وَهَبْناكها لمُروءَتك.

وقال الأصمعيُّ: استعمَلَ ابنُ عامرٍ قَطَنَ بنَ عبدِ عوفٍ الهلاليَّ علىٰ كَرْمانَ، فأقبَل جيشٌ من المسلمين - أربعةُ آلافٍ - وجرَىٰ الوادي فقطَعهم عن طريقِهم، وخشِي قَطَنٌ الفَوْتَ، فقال: مَن جازَ الواديَ فله ألفُ درهمٍ. فحمَلوا أنفسَهم علىٰ العُظْمِ، فكان إذا جاز الرجلُ منهم قال قَطَنٌ: أعطُوه جائزتَه. حتىٰ جازُوا جميعًا وأعطاهم أربعةَ آلافِ ألفِ درهمٍ، فأبَىٰ ابنُ عامرٍ أن يَحسبَها له، فكتَب ذلك إلىٰ عثمانَ بنِ عفانَ، فكتَب عثمانُ أن احسِبْها له، فإنَّه إنَّما أعان المسلِمين في سبيلِ اللهِ، ففي ذلك اليومِ سُمِّيتِ الجوائزُ لإجازةِ الوادِي، فقال الكنانيُّ في ذلك:

فِدًى للأكرَمِينَ بَنِي هِلالٍ ... علىٰ عِلاَّتِهم أهلِي ومالِي
هُمُ سَنُّوا الجوائزَ في مَعَدٍّ ... فعادَت سُنَّةً أخرَىٰ اللَّيالي
رِماحُهُمُ تَزِيدُ علىٰ ثَمانٍ ... وعَشْرٍ قبلَ تركيبِ النِّصالِ

فصل

ومِن مَناقِبِه الكِبارِ وحَسناتِه العظيمةِ أنَّه جمَع الناسَ علىٰ قراءةٍ واحدةٍ، وكتَب المصحفَ علىٰ العرضةِ الأخيرةِ، التي درَّسها جبريلُ رسولَ اللهِ ﷺ في آخرِ سِنِي حياتِه، وكان سببُ ذلك أنَّ حُذَيْفةَ

---

(١) إسناده صحيح: أخرجه أحمد (١/ ٧٣) بهذا الإسناد ورجاله ثقات.

(٢) إسناده ضعيف منقطع: أخرجه أحمد (١/ ٥٨) بهذا الإسناد ولفظه وهو عند أحمد (١/ ٧٠) بنفس الإسناد لكن اقتصر علىٰ القدر المرفوع منه. وعطاء بن فروخ روىٰ عنه اثنان ووثقه ابن حبان لكن في الإسناد انقطاع فقد قال البزار (٣٩٢) «البحر الزخار»: عطاء بن فروخ رجل من أهل البصرة حدث عنه يونس بن عبيد وعلي بن زيد ولا نعلمه سمع من عثمان وقال البوصيري: رجاله ثقات إلا أنه منقطع عطاء بن فروخ لم يلق عثمان بن عفان قاله ابن المديني في «العلل» انظر سنن ابن ماجه (٢٢٠٢) و«التهذيب» (٤/ ١٣٤).

ابنَ اليمان كان في بعض الغَزَوات، وقد اجتمَع فيها خلقٌ من أهل الشام ممَّن يقرأ على قراءة المِقْداد بن الأسود وأبي الدَّرداء، وجماعةٌ من أهل العراق ممَّن يقرأ على قراءة عبد الله بن مسعود وأبي موسى وجعَل مَن لا يعلمُ بسَوَغان القراءة على سبعة أحرُف، يُفضِّلُ قراءتَه على قراءة غيره، وربَّما خَطَّأ الآخَرَ أو كَفَّره، فأدَّى ذلك إلى اختلاف شديد وانتشار في الكلام السَّيِّئ بينَ الناس، فركب حذيفةُ إلى عثمانَ، فقال: يا أميرَ المؤمنين أدركْ هذه الأُمَّةَ قبلَ أن تَختلفَ في كتابها كاختلاف اليهود والنصارى في كُتُبهم. وذكَر له ما شاهَد من اختلاف الناس في القراءة، فعندَ ذلك جمَع عثمانُ الصحابةَ وشاورَهم في ذلك، ورأَى أن يُكتَبَ المصحفُ على حرف واحد، وأن يَجتمعَ الناسُ في سائر الأقاليم على القراءة به دونَ ما سواه؛ لما رأى في ذلك من مصلحة كفِّ المنازعة، ودفع الاختلاف، فاستدعَى بالصُّحُف التي كان الصديقُ أمَر زيدَ بنَ ثابت بجمعها، وكانت عندَ الصديق أيامَ حياته، ثم كانت عندَ عمرَ، فلمّا تُوفِّي صارت إلى حفصةَ أُمِّ المؤمنين، فاستدعَى بها عثمانُ وأمَر زيدَ بنَ ثابت الأنصاريَّ أن يَكتُبَ، وأن يُمليَ عليه سعيدُ بنُ العاص الأُمويُّ، بحَضْرة عبد الله بن الزبير الأسَديِّ، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزوميِّ، وأمَرهم إذا اختلَفوا في شيء أن يكتُبوه بلغة قريش، فكتَب لأهل الشام مصحفًا ولأهل مصرَ آخَرَ، وبعَث إلى البصرة مصحفًا، وإلى الكوفة بآخَرَ، وأرسَل إلى مكةَ مصحفًا وإلى اليمن مثلَه، وأقرَّ بالمدينة مصحفًا، ويقالُ لهذه المصاحف: الأئمةُ. وليست كلُّها بخطِّ عثمانَ، بل ولا واحدٌ منها، وإنَّما هي بخطِّ زَيْد بن ثابت، وإنَّما يقالُ لها: المصاحفُ العثمانيةُ؛ نسبةً إلى أمره وزمانه وإمارته. كما يقالُ: دينارٌ هِرَقْليٌّ. أي: ضُرِب في زمانه ودَولَته[1].

وقال الواقديُّ: حَدَّثنا ابنُ أبي سَبْرَةَ، عن سُهَيْل بن أبي صالح، عن أبيه، عن أبي هريرةَ -ورَواه غيرُه من وجه آخرَ عن أبي هريرةَ- قال: لمَّا نسَخ عثمانُ المصاحفَ دخَل عليه أبو هريرةَ، فقال: أصبتَ ووُفِّقتَ، أشهَدُ لَسَمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «**إنَّ أشدَّ أُمَّتي حُبًّا لي قومٌ يأتون من بعدي يُؤمنونَ بي ولم يَرَوْني، يَعملُون بما في الوَرَق المعلَّق**». فقلتُ: أيُّ ورق؟ حتى رأيتُ المصاحفَ. قال: فأعجَب ذلك عثمانَ، وأمَر لأبي هريرةَ بعشَرة آلاف، وقال: والله ما علمتُ أنَّك لَتَحْبِسُ علينا حديثَ نبيِّنا ﷺ. ثم عمَد عثمان إلى بقية المصاحف التي بأيدي الناس مما يُخالفُ ما كتَبه فحرَّقه؛ لئلاَّ يقعَ بسببه اختلافٌ[2].

فقال أبو بكر بنُ أبي داودَ في كتاب «المصاحف»: حَدَّثنا محمد بنُ بَشّار، ثنا محمدُ بنُ جعفر، وعبدُالرحمن قالا: ثنا شعبةُ، عن علقمةَ بن مَرْثَد، عن رجل، عن سُوَيْد بن غَفَلَةَ قال: قال عليٌّ حينَ حرَّق عثمانُ المصاحفَ: لو لم يَصنَعْه هو لَصَنَعتُه[3]. وهكذا رَواه أبو داودَ الطيالسيُّ، وعمرُو

(١) راجع ذلك مفصلاً بأسانيده والتعليقات عليه في كتاب «المصاحف» لابن أبي داود بتحقيقي ط. دار الفاروق الحديثة.
(٢) **إسناده ضعيف جدًا**: من أجل الواقدي.
(٣) انظر المصاحف بتحقيقي برقم (٤٠) وإسناده ضعيف وانظر الآتي وهو:

ابنُ مَرزوقٍ، عن شُعبةَ مثلَه، وقد رَواه البيهقيُّ وغيرُه، مِن حديث محمدِ بنِ أبانَ ـ زوجِ أخت حسينٍ ـ عن عَلقمةَ بنِ مَرثَدٍ قال: سَمِعتُ العَيْزارَ بنَ جَرْوَلَ، سَمِعتُ سُوَيْدَ بنَ غَفَلةَ قال: قال عليٌّ: أيُّها الناسُ، إيّاكم والغُلُوَّ في عثمانَ، يَقولونَ: حرَّق المصاحفَ. واللهِ ما حرَّقها إلاَّ عن ملاءٍ مِن أصحابِ محمدٍ ﷺ، ولو وَلِيتُ مثَل ما وَلِي، لَفعَلتُ مثلَ الذي فعَل(١) .

وقد روِي عن ابنِ مسعودٍ أنَّه تعتَّبَ لما أُخذ منه مُصحفُه فحرِّق، وتكلَّم في تَقدُّمِ إسلامه على زيدِ ابنِ ثابتٍ الذي كتَب المصاحفَ، وأمَر أصحابَه أن يَغُلّفوا مَصاحفَهم، وتلا قولَه تعالى: ﴿وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [آل عمران: ١٦١]. فكتَب إليه عثمانُ، رضِي اللهُ عنه، يَدعُوه إلى اتِّباعِ الصحابةِ فيما أجمَعوا عليه مِن المصلحةِ في ذلك، وجمعِ الكلمةِ وعدمِ الاختلافِ، فأنابِ وأجاب إلى المُتابعةِ وترك المخالفةَ، رضِي اللهُ عنهم أجمعِين(٢) .

وقد قال أبو إسحاقَ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ يَزيدَ، أنَّ عبدَ اللهِ بنَ مسعودٍ دخَل مسجدَ منًى، فقال: كم صَلَّى أميرُ المؤمنِين الظهرَ؟ قالوا: أربعًا. فصلَّى ابنُ مسعودٍ أربعًا، فقالوا: ألم تُحَدِّثْنا أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ وأبا بكرٍ وعمرَ صلَّوْا ركعتَيْن؟ فقال: نعم، وأنا أُحَدِّثُكموه الآنَ، ولكنْ أكرَهُ الاختلافَ(٣) .

وفي «الصَّحيحِ» أنَّ ابنَ مسعود قال: ليتَ حَظِّي مِن أربعِ ركَعاتٍ ركعتان مُتقبَّلتان(٤) .

وقال الأعمَشُ: حدَّثني مُعاويةُ بنُ قُرَّةَ ـ بواسطٍ ـ عَن أشياخه قالوا: صَلَّى عثمانُ الظهرَ بمنًى أربعًا، فبلَغ ذلك ابنَ مسعودٍ فعاب عليه، ثم صَلَّى بأصحابِه العصرَ في رحْله أربعًا، فقِيل له: عِبتَ على عثمانَ وصَلَّيتَ أربعًا؟ فقال: إنِّي أكرَهُ الخِلافَ. وفي روايةٍ: الخِلافُ شرٌّ(٥) . فإذا كان هذا مُتابَعةً مِن ابنِ مسعودٍ عثمانَ في هذا الفرْعِ، فكيفَ بمُتابعتِه إيّاه في أصلِ القرآنِ، والاقتداءِ به في التلاوةِ التي عزَم على الناسِ أن يَقرءُوا بها لا بغيرِها؟ وقد حكَى الزُّهريُّ وغيرُه أنَّ عثمانَ إنَّما أتَمَّ الصلاةَ خشيةً على الأعرابِ أن يَعتقِدُوا أنَّ فرْضَ الصلاةِ ركعتان. وقيل: بل قد تأهَّلَ بمكةَ. فروَى أبو يعلَى وغيرُه، مِن حديثِ عِكرمةَ بنِ إبراهيمَ، حَدَّثني عبدُ اللهِ بنُ عبدِ الرحمنِ بنِ الحارثِ بنِ أبي ذُبابٍ،

---

(١) **صحيح:** أخرجه ابن أبي داود في «المصاحف» (٣٩، ٧٦، ٧٨) وصححه الحافظ ابن حجر والسيوطي والألوسي وانظر تخريجه فيهم.

(٢) انظر المصاحف بتحقيقي باب كراهية عبد اللّه بن مسعود ذلك ص ٧٠.

(٣) **حسن لغيره:** إن شاء اللّه أخرجه البيهقي (٣/ ١٤٤) عن عبد اللّه بن يوسف الأصبهاني أنبأ أبو محمد عبد اللّه بن محمد بن إسحاق به الفاكهي بمكة ثنا أبو يحيى ابن أبي مسرة ثنا خلاد بن يحيى عن يونس بن إسحاق عن أبي إسحاق به وفيه عنعنة أبي إسحاق.

وأخرجه أبو داود (١٩٦٠) من طريق الأعمش قال: حدثني معاوية بن قرَّة عن بعض أشياخه أن عبد اللّه صلى أربعًا قال: فقيل له: عبت على عثمان ثم صليت أربعًا، قال: «الخلاف شر» فهذان الطريقان يقوي أحدهما الآخر لاسيما وله طريق آخر يقوى مسند عمر رقم (٣٥٦).

(٤) أخرجه البخاري (١٠٨٤) ومسلم (١٦٩٥) وبوب له النووي باب قصر الصلاة بمنى.

(٥) أخرجه البيهقي (٣/ ١٤٤) بإسناده هذا وهو إسنادٌ ضعيف بجهالة الأشياخ.

عن أبيه أنَّ عثمانَ صَلَّىٰ بهم بمِنًى أربعَ ركَعاتٍ، ثم أقبَل عليهم، فقال: إنِّي سَمِعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «إذا تَزوَّج الرجلُ ببلدٍ فهو من أهله». وإنِّي أتمَمْتُ لأنِّي تزوَّجتُ بها منذُ قَدِمْتُها[1]. وهذا الحديثُ لا يصحُّ، وقد تَزوَّجَ رسولُ الله ﷺ في عُمْرةِ القضاءِ بمَيْمُونَةَ بنتِ الحارثِ ولم يُتمَّ الصلاةَ. وقد قيلَ: إنَّ عثمانَ تأوَّل أنَّه أميرُ المؤمنين حيث كان. وهكذا تأوَّلَتْ عائشةُ فأتمَّت. وفي هذا التأويلِ نظرٌ؛ فإنَّ رسولَ الله ﷺ هو رسولُ الله حيث كان، ومع هذا ما أتمَّ الصلاةَ في الأسفارِ.

ومما كان يَعتمدُه عثمانُ بنُ عفانَ أنَّه كان يُلزِمُ عُمّالَه بحُضورِ المَوْسِمِ كلَّ عامٍ، ويَكتُبُ إلى الرّعايا: مَن كانت له عندَ أحدٍ منهم مَظلِمةٌ فلْيُوافِ إلى المَوْسِمِ، فإنِّي آخُذُ له حَقَّه من عاملِه. وكان عثمانُ قد سمَح لكثيرٍ من كبارِ الصحابةِ في المَسيرِ حيثُ شاءوا من البلادِ، وكان عمرُ يحجُرُ عليهم في ذلك، حتى ولا في الغزوِ، ويقولُ: إنِّي أخافُ أن ترَوُا الدُّنيا أو يَراكم أبناؤها. فلمَّا خرَجوا في زمانِ عثمانَ اجتمَع عليهم الناسُ، وصار لكلِّ واحدٍ أصحابٌ، وطمع كلُّ قومٍ في توليةِ صاحبِهم الإمارةَ العامَّةَ بعدَ عثمانَ، فاستعجَلوا موتَه، واستطالوا حياتَه، حتى وقَع ما وقَع من بعضِ أهلِ الأمصارِ، كما تَقدَّم، فإنّا لله وإنَّا إليه راجعون، ولا حولَ ولا قوةَ إلا بالله العزيزِ الحكيمِ العليِّ العظيمِ.

ذكر زوجاته وبنيه وبناته رضي الله عنه

تَزوَّج برُقَيَّةَ بنت رسولِ الله ﷺ، فولَد له منها عبدُ الله، وبه كان يُكْنَى، بعدَ ما كان يُكنَى في الجاهلية بأبي عمرٍو، ثم لمَّا تُوفِّيت تَزوَّج بأُختِها أُمِّ كُلثومٍ، ثم تُوفِّيت فتَزوَّج بفاختةَ بنتِ غَزْوانَ بنِ جابرٍ، فولَد له منها عبيدُ الله الأصغرُ. وتَزوَّج بأُمِّ عمرٍو بنتِ جُندَبِ بنِ عمرٍو الأزْديَّةِ، فولَدت له عمرًا، وخالدًا، وأبانَ، وعمرَ، ومريمَ. وتَزوَّج بفاطمةَ بنتِ الوليدِ بنِ عبدِ شمسٍ المخزوميَّةِ، فولَدت له الوليدَ وسعيدًا. وتزوَّج أُمَّ البنينَ بنتَ عُيَيْنَةَ بنِ حِصْنٍ الفزاريَّةَ، فولَدت له عبدَ الملك، ويقالُ: وعتبةَ. وتَزوَّج رَمْلةَ بنتَ شَيْبةَ بنِ ربيعةَ بنِ عبدِ شمسِ بنِ عبدِ منافِ بنِ قُصَيٍّ، فولَدت له عائشةَ، وأُمَّ أبانَ، وأُمَّ عمرٍو؛ بناتِ عثمانَ. وتَزوَّج نائلةَ بنتَ الفَرافصةِ بنِ الأحوصِ بنِ عمرِو بنِ ثعلبةَ بنِ حصنِ بنِ ضَمْضَمِ بنِ عَديِّ بنِ جَنابِ بنِ كَلْبٍ، فولَدت له مريمَ، ويقالُ: وعَنْبسةَ. وقتِل -رضي اللهُ عنه- وعندَه أربعٌ؛ نائلةُ، ورَمْلةُ، وأُمُّ البنينَ، وفاختةُ. ويقالُ: إنَّه طلَّق أُمَّ البنينَ وهو محصورٌ.

---

(١) **إسناده ضعيف**: أخرجه أحمد (١/ ٦٢) ثنا أبو سعيد مولى بني هاشم حدثنا عكرمة بن إبراهيم الباهلي... فذكره وعكرمة قال الحسيني في «الإكمال» ص٢٩٧ ليس بالمشهور وتعقبه الحافظ ابن حجر بأنه معروف وهو الأزدي ويرد عليه الشيخ أحمد شاكر وانتصر إلى أنه الباهلي وليس الأزدي وأنه مجهول راجع كلامه على الحديث رقم (٤٤٣) في تحقيقه «لمسند أحمد» وكلاهما ضعيف الحديث.
قال الهيثمي في «المجمع» (٢/ ١٥٦) فيه عكرمة بن إبراهيم وهو ضعيف وعبد الرحمن لا أعرفه، ولفظ أحمد: «من تأهل في بلد فليصل صلاة المقيم».

فصل

تَقدَّم في دلائلِ النُّبوةِ الحديثُ الذي رَواه الإمامُ أحمدُ، وأبو داودَ، من حديثِ سفيانَ الثوريِّ، عن منصورٍ، عن رِبْعيٍّ، عن البراءِ بنِ ناجيةَ الكاهليِّ، عن عبدِ الله بنِ مسعودٍ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ رحَى الإسلامِ ستدورُ لخمسٍ وثلاثينَ، أو ستٍّ وثلاثين، أو سبعٍ وثلاثين، فإن يَهلِكْ فسبيلُ مَن هلَك، وإن يَقُمْ لهم دينُهم، يَقُمْ لهم سبعين عامًا». قال: فقال عمرُ: يا رسولَ الله أبما مضَى أم بما بقي؟ قال: «بل بما بَقِي». وفي لفظ له ولأبي داودَ[1]: «تَدورُ رحَى الإسلامِ لخمسٍ وثلاثين، أو ستٍّ وثلاثين». الحديث. وكأنَّ هذا الشكَّ من الراوي، والمحفوظُ في نفسِ الأمرِ: «خمسٍ وثلاثين». فإنَّ فيها قُتِل أميرُ المؤمنين عثمانُ، على الصحيح. وقيلَ: سنةَ ستٍّ وثلاثين. والصحيحُ الأولُ. وكانت أُمورٌ شَنيعةٌ فَظيعةٌ، ولكنَّ اللهَ سلَّم ووقَى بحولِه وقُوَّتِه فلم يكنْ بأسرعَ مِن أن بايَع الناسُ عليَّ بنَ أبي طالبٍ، رضي اللهُ عنه، وانتظَم الأمرُ، واجتمَع الشَّمْلُ، ولكنْ جرَت بعدَ ذلك أُمورٌ في يومِ الجَملِ وأيامِ صِفِّينَ، على ما سنُبيِّنُه، إن شاءَ اللهُ تعالى.

فصلٌ

في ذِكرِ مَن تُوفِّي في زمانِ دولةِ عثمانَ ممَّن لا يُعرَفُ وقتُ وفاتِه على التَّعيينِ، على ما ذكرَه شيخُنا أبو عبدِ الله الذهبيُّ، وغيرُه.

أنَسُ بنُ مُعاذِ بنِ أنَسِ بنِ قَيْسٍ الأنصاريُّ النَّجَّاريُّ. ويقالُ له: أُنَيْسٌ أيضًا، شهِد المَشاهدَ كلَّها، رَضِي اللهُ عنه.

أوسُ بنُ الصامتِ، أخو عُبادةَ بنِ الصامتِ الأنصاريَّانِ، شهِد بدرًا، وأَوْسٌ هو زوجُ المُجادلةِ المذكورُ في قولِه تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [المجادلة: ١]. وامرأتُه خَوْلَةُ بنتُ ثَعلبةَ.

أوسُ بنُ خَوَلِيٍّ الأنصاريُّ، من بني الحُبْلَى، شهِد بدرًا، وهو المُنفَرِدُ مِن بينِ الأنصارِ بحُضورِ غُسْلِ النبيِّ ﷺ، والنزولِ مع أهلِه في قبرِه، عليه الصلاةُ والسلامُ.

الجَدُّ بنُ قيسٍ، كان سيدًا في الأنصارِ، ولكنْ كان بخيلًا ومُتَّهمًا بالنِّفاقِ، يقالُ: إنَّه شهِد يومَ بيعةِ الرِّضوانِ فلم يُبايِعْ، واستتَر ببعيرٍ له. وهو الذي نزَل فيه قولُه تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ائْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾. الآية [التوبة: ٤٩]. وقد قيل: إنَّه تاب من ذلك وأقلَع عنه. فاللهُ أعلمُ.

الحُطَيْئةُ الشاعرُ المشهورُ، قيل: اسمُه جَرْوَلٌ. ويُكنَى بأبي مُلَيْكةَ، مِن بني عَبْسٍ، أدرك أيامَ

---
(١) تقدم.

الجاهليـة، وأدرك صدراً من الإسلام، وكـان يَطوفُ في الآفـاقِ يمتـدحُ الرؤسـاءَ من الناسِ، ويَستجديهم، ويقالُ: كان بخيلاً مع ذلك. سافَر مرَّةً فودَّع امرأتَه فقال لها:

عُـدِّي السِّنينَ إذا خَـرَجْتُ لغَيْبَـةٍ ودَعِي الشُّهورَ فإنهنَّ قِصارُ

وكان مَدّاحًا هَجّاءً، وله شعرٌ جيدٌ، ومن شعرِه ما قاله بينَ يدَيْ أميرِ المؤمنين عمرَ بنِ الخطابِ، رضي اللهُ عنه، فاستجاد منه قولَه:

من يَفعَلِ الخيرَ لم يَعدمْ جوازيَه لا يذهب العُرفُ بين الله والناس

خُبَيْبُ بنُ يسافِ بن عنَبَةَ الأنصاريُّ، أحدُ مَن شهد بدراً.

سَلمانُ بنُ ربيعةَ الباهليُّ، يقالُ: له صحبةٌ. كان من الشُّجعانِ الأبطالِ المذكورين والفرسانِ المشهورين، وَلاّه عمرُ قضاءَ الكوفة، ثم وُلِّي في زمنِ عثمانَ إمرةً على جهادِ التُّرْك، فقُتِل ببَلَنْجَرَ، فقبرُه هناك في تابوتٍ يَستسقي به التركُ إذا قحَطوا.

عبدُ الله بنُ حُذافةَ بن قيس القرشيُّ السَّهميُّ، هاجَر هو وأخوه قيسٌ إلى الحبشة، وكان من ساداتِ الصحابةِ، وهو القائلُ: مَن أبي يا رسولَ الله؟. وكان إذا لاحَى الرجالَ دُعِي لغيرِ أبيه - فقال: «أبوك حُذافةُ»[1]. وكان رسولُ الله ﷺ بعثَه إلى كِسْرَى، فدَفَع كتابَه إلى عظيمِ بُصْرَى، فبعَث معه مَن يُوصلُه إلى هِرَقْلَ، كما تقدَّم. وقد أسَرتْه الرومُ في زَمنِ عمرَ بنِ الخطابِ رضي اللهُ عنه، في جُملةِ ثمانين من المسلمين، فأرادُوه على الكفرِ فأبَى عليهم، فقال له الملكُ: قَبِّلْ رأسي وأنا أُطلِقُك ومَن معك من المسلمين. فقَبَّل رأسَه فأطلَقَهم، فلمّا قدم على عمرَ قال له: حقٌّ على كلِّ مسلمٍ أن يُقَبِّلَ رأسَك. ثم قام عمرُ فقبَّل رأسَه ثم قبَّله الناسُ، رضي اللهُ عنه.

عبدُ الله بنُ سُراقةَ بن المعتمر العَدَويُّ، صَحابيٌّ أُحُديٌّ، وزعَم الزُّهْريُّ أنَّه شهد بدراً. فاللهُ أعلمُ.

عبدُ الله بنُ قيسِ بن خالد الأنصاريُّ النَّجّاريُّ، شهد بدراً.

عبدُ الرحمن بنُ سهلِ بنِ زيد الأنصاريُّ الحارثيُّ، شهد أُحُدًا وما بعدَها، وقال ابنُ عبد البَرِّ: شهد بدراً. استعملَه عمرُ على البصرةِ بعدَ موت عُتْبةَ بنِ غَزْوانَ. وقد نهَشَتْه حيَّةٌ فرقَاه عُمارةُ بنُ حَزْمٍ، وهو القائلُ لأبي بكرٍ، وقد جاءته جدَّتان فأعطَى السُّدُسَ أمَّ الأمِّ وترَك الأُخرَى وهي أمُّ الأب - فقال له: أعطَيْتَ التي لو ماتت لم يَرِثْها، وترَكْتَ التي لو ماتت لوَرِثها. فشَرَّك بينَهما.

عمرُو بنُ سُراقةَ بن المُعتمِر العَدَويُّ، أخو عبدِ الله بنِ سُراقةَ، وهو بَدْريٌّ كبيرٌ، رُوي أنَّه جاع مَرَّةً فربَط حَجَرًا على بطنِه من شدَّةِ الجُوعِ، ومشَى يومَه ذلك إلى الليلِ، فأضافَه قومٌ من العَربِ ومَن معه، فلمَّا شبع قال لأصحابِه: كنتُ أحسَبُ الرِّجْلَيْن يَحمِلان البطنَ، فإذا البطنُ تَحمِلُ الرِّجْلَيْن.

---

(١) هو طرف من حديث أخرجه البخاري (٩٢) ومسلم (٢٣٥٩).

عُمَيْرُ بنُ سعد الأنصاريُّ الأوْسيُّ، صَحابيٌّ جَليلُ القَدْرِ كبيرُ المَحَلِّ، كان يقالُ له: نَسيجُ وَحْدِه. لكثرةِ زَهادَتِه وعِبادتِه، شهِد فتحَ الشَّامِ مع أبي عبيدةَ، وناب بحِمْصَ وبدمَشقَ أيضًا في زمانِ عمرَ، فلمَّا كانت خلافةُ عثمانَ عزَلَه وولَّى معاويةَ الشامَ بكمالِه، وله أخبارٌ يطولُ ذِكْرُها.

عُروةُ بنُ حِزام، أبو سعيد العُذْريُّ، كان شاعرًا مُغرَمًا في ابنةِ عَمٍّ له، وهي عَفْراءُ بنتُ مهاجرٍ، يقولُ فيها الشِّعْرَ واشتهر بحُبِّها، فارتحلَ أهلُها من الحجازِ إلى الشامِ، فتَبِعهم عروةُ فخطَبها إلى عمِّه فامتنَع من تزويجِه لفَقْرِه، وزوَّجها بابنِ عمِّها الآخرِ، فهلَك عروةُ هذا في محبَّتِها، وهو مذكورٌ في كتابِ «مَصارعِ العُشّاقِ»، ومن شعرِه فيها قولُه:

وما هو إلا أن أراها فُجاءةً ... فأُبْهَتُ حتى ما أكادُ أُجيبُ
وأُصرَفُ عن رأيي الذي كنتُ أرتئي ... وأنسَى الذي أعددتُ حينَ تَغيبُ

قُطْبَةُ بنُ عامر، أبو زيد الأنصاريُّ عَقَبيٌّ بَدْريٌّ.

قَيْسُ بنُ قَهْدِ بنِ قيسِ بنِ ثَعْلبةَ الأنصاريُّ النَّجَّاريُّ، له حديثٌ في الركعتَين قبلَ الفجرِ. وزعَم ابنُ ماكُولا أنَّه شهِدَ بدرًا. قال مُصعبٌ الزُّبَيريُّ: هو جَدُّ يحيَى بنِ سعيدٍ الأنصاريِّ. وقال الأكثرُون: بل هو جَدُّ أبي مَرْيَمَ عبدِ الغفارِ بنِ القاسمِ الكوفيِّ. فاللهُ أعلمُ.

لَبيدُ بنُ ربيعةَ، أبو عَقيلٍ العامريُّ الشاعرُ المشهورُ. صحَّ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: «أصدَقُ كلمةٍ قالها شاعرٌ كلمةُ لَبيدٍ: ألا كلُّ شيءٍ ما خلا اللهَ باطلُ»[1]. وتمامُ البيتِ:

وكلُّ نعيمٍ لا مَحالةَ زائلُ

فقال عثمانُ بنُ مظعونٍ: إلا نعيمَ الجنةِ. وقد قيلَ: إنَّه تُوفِّي سنةَ إحدَى وأربعين. فاللهُ أعلمُ.

المُسَيَّبُ بنُ حَزْنِ بنِ أبي وهبٍ المخزوميُّ، شهِد بيعةَ الرِّضوانِ، وهو والدُ سعيدِ بنِ المُسيَّبِ سيدِ التَّابعين.

مُعاذُ بنُ عمرِو بنِ الجَمُوحِ الأنصاريُّ، شهِد بدرًا، وضرَب يومَئذٍ أبا جهلٍ بسيفِه فقطَع رجلَه، وحمَل عكرمةُ بنُ أبي جهلٍ على معاذٍ هذا فضربَه بالسيفِ فحلَّ يدَه من كَتِفه، فقاتَل بَقيَّةَ يومِه وهي مُعلَّقةٌ يَسحبُها خلفَه، قال معاذٌ: فلمَّا آذَتْني وضَعتُ قَدَمي عليها ثم تَمطَّأتُ عليها حتى طرَحتُها. رضِي اللهُ عنه. وعاش بعدَ ذلك إلى هذه السنةِ سنةِ خمسٍ وثلاثين.

محمدُ بنُ جعفرِ بنِ أبي طالبٍ، القرشيُّ الهاشميُّ، وُلِدَ لأبيه وهو بالحبشةِ، فلمَّا هاجَر إلى المدينةِ سنةَ خيبرَ، وتُوفِّي يومَ مُؤْتَةَ شهيدًا، جاء رسولُ اللهِ ﷺ إلى منزلِهم، فقال لأُمِّهم أسماءَ بنتِ عُمَيْسٍ: «ائتيني ببَنِي أخي». فجيء بهم كأنَّهم أفرُخٌ، فجعَل يُقبِّلُهم ويَشَمُّهم ويبكي، فبَكَتْ أُمُّهم

(1) أخرجه البخاري (٣٨٤١) كتاب «مناقب الأنصار» ومسلم (٢٢٥٦) كتاب «الشعر».

فقال: «أتخافينَ عليهم العَيْلَةَ وأنا وَلِيُّهم في الدُّنيا والآخرة؟». ثم أمَرَ الحلاقَ فحلَقَ رءُوسَهم[1]. وقد مات محمدٌ وهو شابٌّ في أيامِ عثمانَ، كما ذكَرْنا. وزعَم ابنُ عبدِ البَرِّ أنَّه تُوفِّي في تُسْتَرَ. فاللهُ أعلمُ.

مَعْبَدُ بنُ العباسِ بنِ عبد المُطَّلب، ابنُ عَمِّ رسولِ الله ﷺ. قُتِل شاباً بإفريقيَّةَ مِن بلادِ المغربِ.

مُعَيْقيبُ ابنُ أبي فاطمةَ الدَّوْسِيُّ، صاحبُ خاتَمِ النبيِّ ﷺ، قيلَ: تُوفِّي في أيامِ عثمانَ. وقيل: قبلَ ذلك. وقيلَ: سنةَ أربعين. واللهُ أعلمُ.

مُنقذُ بنُ عمرو الأنصاريُّ، أحدُ بَنِي مازِنِ بنِ النَّجارِ، كان قد أصابَتْه آمَّةٌ في رأسِه فكسَرَت لسانَه، وضَعُفَ عقلُه، وكان يُكثِرُ مِن البيع والشِّراءِ وكان يُغْبَنُ، فقال له النبيُّ ﷺ: «مَن بايَعْتَ فقُلْ: لا خِلابةَ[2]. ثم أنتَ بالخيارِ في كلِّ ما تشتريه ثلاثةَ أيامٍ». قال الشافعيُّ: كان مُخصَّصًا بإثباتِ الخيارِ ثلاثةً في كلِّ بَيْعٍ، سواءٌ اشترَط الخيارَ أم لا.

نُعَيْمُ بنُ مسعود، أبو سلمةَ الغَطَفانيُّ، وهو الذي خَذَّلَ بينَ الأحزابِ وبينَ بني قُريظةَ، كما قَدَّمناه، فله بذلك اليدُ البيضاءُ، والرايةُ العُلْيا.

أبو ذُؤَيْب خُوَيْلدُ بنُ خالد الهُذَليُّ، الشاعرُ المشهورُ، أدرَك الجاهليةَ، وأسلَم بعدَ موتِ النبيِّ ﷺ، وشهِد يومَ السَّقِيفةِ، وصلَّىٰ علىٰ النبيِّ ﷺ، وكان أشعرَ هُذَيْلٍ، وهُذَيْلٌ أشعَرُ العربِ، وهو القائلُ:

وإذا المَنيَّةُ أنشَبَتْ أظفارَها ... ألفَيْتَ كُلَّ تَميمةٍ لا تَنفَعُ

وتَجَلُّدي للشامتين أُريهِمُ ... أنِّي لرَيْبِ الدَّهْرِ لا أتَضَعْضَعُ

تُوفِّي غازيًا بإفريقيَّةَ في خلافةِ عثمانَ.

أبو رُهْمٍ سَبْرَةُ بنُ عبد العُزَّى، القُرشيُّ العامريُّ. ذكَره في هذا الفصلِ محمدُ بنُ سعدٍ وحدَه.

أبو زُبَيْدٍ الطائيُّ، الشاعرُ، اسمُه حَرْمَلَةُ بنُ المُنْذِرِ، كان نصرانيًّا وكان يُجالِسُ الوليدَ بنَ عُقبةَ، فأدخلَه علىٰ عثمانَ فاستنشَدَه شيئًا من شعرِه، فأنشدَه قصيدةً له في الأسدِ بديعةً، فقال له عثمانُ: تَفتَأُ تَذكُرُ الأسدَ ما حَيِيتَ؟ إنِّي لأحسَبُك جبانًا نصرانيًّا.

أبو سَبْرَةَ بنُ أبي رُهْمٍ العامريُّ، أخو أبي سَلَمَةَ ابنِ عبدِ الأسَدِ، أُمُّهما بَرَّةُ بنتُ عبدِ المُطَّلبِ، هاجَر إلىٰ الحبشةِ وشهِد بدرًا وما بعدَها. قال الزبيرُ بنُ بكّارٍ: لا نَعلَمُ بدريًّا سكَن مكةَ بعدَ النبيِّ سواه. قال: وأهلُه يُنكِرون ذلك.

أبو لُبابةَ بنُ عبد المنذر، أحدُ نقباءِ ليلةِ العقَبةِ، وقيل: إنَّه تُوفِّي في خلافةِ عليٍّ. واللهُ أعلمُ.

أبو هاشمِ بنُ عُتْبةَ، تَقدَّم وفاتُه في سنةِ إحدىٰ وعشرين. وقيل: في خلافةِ عثمانَ. واللهُ أعلمُ.

---

(١) تقدم.

(٢) في «صحيح البخاري» (٢١١٧) عن ابن عمر أن رجلاً ذكر للنبي ﷺ أنه يخدع في البيوع فقال: «إذا بايعت فقل لا خلابة» ومعنىٰ لا خلابة أي: لا خديعة في الدين لأن الدين النصيحة، وقد عزا الحافظ لرواية ابن إسحاق وفيها: «ثم أنت بالخيار في كل سلعة ابتعتها ثلاث ليال فإن رضيت فأمسك وإن سخطت فاردد».

خلافة أمير المؤمنين
عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه

ولنذكرْ شيئًا من ترجمته على سبيل الاختصار قبلَ ذلك.

هو أميرُ المؤمنين عليُّ بنُ أبي طالب - واسمُه عبدُ مَناف - بن عبد المطلب - واسمُه شَيْبَةُ - ابن هاشم - واسمُه عمرٌو - ابن عبد مَناف - واسمُه المغيرةُ - ابن قُصيٍّ - واسمُه زيدٌ - بن كلاب بن مُرَّة بن كعب بن لُؤَيٍّ بن غالب بن فِهْر بن مالك بن النَّضْر بن كنانة بن خُزَيْمَة بن مُدْرِكَة بن إلياس بن مُضَر بن نزار بن مَعَدِّ ابن عَدْنانَ، أبو الحسن والحسين، ويُكنَى بأبي تُراب وأبي القَضْم، الهاشميُّ، ابنُ عمِّ رسول الله ﷺ، وختَنُه على ابنته فاطمةَ الزهراء. وأُمُّه فاطمةُ بنتُ أسد بن هاشم بن عبد مناف بن قُصَيٍّ. ويقالُ: إنَّها أولُ هاشمية ولَدت هاشميًّا. وكان له من الإخوة طالبٌ، وعَقيلٌ، وجعفرٌ، وكانوا أكبرَ منه، بينَ كلِّ واحد منهم وبينَ الآخر عشْرُ سنينَ، وله أُختان؛ أُمُّ هانئ وجُمَانَةُ، وكلُّهم من فاطمة بنت أسد، وقد أسلَمَت وهاجرَت.

كان عليٌّ أحدَ العشَرة المشهود لهم بالجنة، وأحدَ الستة أصحاب الشورَى، وكان ممَّن تُوُفِّي رسولُ الله ﷺ وهو راضٍ عنهم، وكان رابعَ الخلفاء الراشدين، وكان رجلاً آدَمَ شديدَ الأُدْمَ شَكِلَ العينَيْن عظيمَهما، فيهما خَفَشٌ، ذو بطن، أصلعَ، وهو إلى القِصَر أقربُ، وكان عظيمَ اللحية، قد مَلأت صدرَه ومَنْكِبيه، أبيضُها كثيرٌ، وكان كثيرَ شعْر الصدر والكتفَين، حسنَ الوجه، ضحوكَ السِّنِّ، خفيفَ المشيِ على الأرض.

أسلَم عليٌّ قديمًا وهو ابنُ سبع، وقيل: ابنُ ثمان، وقيل: تسع. وقيل: عشر. وقيل: إحدَى عَشْرةَ. وقيل: اثْنَي عَشْرَةَ. وقيل: ثلاثَ عشْرةَ. وقيل: أربعَ عَشْرَةَ. وقيل: ابنُ خمسَ عشْرةَ، أو ستَّ عشْرةَ سنةً. قاله عبدُ الرزاق، عن مَعْمَر، عن قتادةَ، عن الحسن، ويقالُ: إنَّه أولُ مَن أسلَم. والصحيحُ أنَّه أولُ مَن أسلَم من الغلمان، كما أنَّ خَديجة أوَّلُ مَن أسلَمت من النساء، وزيدَ بنَ حارثةَ أولَ مَن أسلَم من المَوالي، وأبو بكر الصديقُ أولُ مَن أسلَم من الرجال الأحرار. وكان سببُ إسلام عليٍّ صغيرًا أنَّه كان في كَفالة رسول الله ﷺ؛ لأنَّه كان قد أصابَتهم سَنَةُ مَجاعة، فأخَذه من أبيه، فكان في كَفالته، فلمّا بعثَه اللهُ بالحقِّ آمَنتْ خديجةُ وأهلُ البيت، ومن جُملتهم عليٌّ، وكان الإيمانُ النافعُ المتعدِّي نفعُه إلى الناس إيمانَ الصديق، رضي اللهُ عنه. وقد ورَد عن عليٍّ أنَّه قال: أنا أولُ مَن أسلَم. ولا يصحُّ إسنادُه إليه. وقد روي في هذا المعنَى أحاديثُ أورَدها ابنُ عساكرَ، كثيرةٌ منكرةٌ لا يصحُّ شيءٌ منها. واللهُ أعلمُ. وقد روَى الإمامُ أحمدُ، من حديث شعبةَ، عن عمرو بن مُرَّةَ: سمعت أبا حمزةَ - رجلاً من مَوالي الأنصار - قال: سمِعتُ زيدَ بنَ أرْقَمَ يقولُ: أولُ مَن أسلم مع رسول الله ﷺ

عليٌّ. وفي رواية: أولُ مَن صلّى[١]. قال عمرٌو: فذكَرْتُ ذلك للنخعيِّ فأنكَره وقال: أبو بكرٍ أولُ مَن أسلَم. وقال محمدُ بنُ كعبٍ القرظيُّ: أولُ مَن آمَن خديجةُ، وأولُ رجلَين آمنَا أبو بكرٍ وعليٌّ، ولكنْ كان أبو بكرٍ يُظهِرُ إيمانَه وعليٌّ يكتُمُ إيمانَه. قلتُ: يعْني خوفًا مِن أبيه، ثم أمَره أبوه بمتابعةِ ابنِ عمِّه ونُصْرَتِه.

وهاجَر عليٌّ بعدَ خروجِ رسولِ الله ﷺ من مكةَ، وكان قد أمَره بقضاءِ ديونه وردِّ ودائعه، ثم يلحَقُ به، فامتثلَ ما أمَره به، ثم هاجَر، وآخَى النبيُّ ﷺ بينَه وبينَ سهلِ بنِ حُنيفٍ. وذكَر ابنُ إسحاقَ وغيرُه مِن أهلِ السيرِ والمغازي أنَّ رسولَ الله ﷺ آخَى بينَه وبينَ نفسه. ولا يَصِحُّ، وقد ورَد في ذلك أحاديثُ كثيرةٌ لا يصحُّ شيءٌ منها؛ لضعفِ أسانيدِها، وركَّةِ بعضِ مُتونِها، فإنَّ في بعضِها: «أنتَ أخِي ووارِثِي وخليفَتي وخيرُ مَن أُمِّرَ بعدي». وهذا الحديثُ موضوعٌ مخالفٌ لِما ثبَت في «الصحاح» وغيرِها[٢]. واللهُ أعلمُ.

وقد شهِد عليٌّ بدرًا، وكانت له اليدُ البيضاءُ فيها، بارَز يومَئذٍ فغلَب وظهَر، وفيه وفي عمِّه حمزةَ وابنِ عمِّه عُبيدةَ بنِ الحارثِ وخصومِهم الثلاثة - عُتْبَةَ وشَيْبَةَ والوليدِ بنِ عُتْبَةَ - نزَل قولُه تعالى: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾ الآية [الحج: ١٩]. وقال الحَكَمُ وغيرُه، عن مِقْسَم، عن ابنِ عباسٍ قال: دفَع النبيُّ ﷺ الرايةَ يومَ بدرٍ إلى عليٍّ وهو ابنُ عشرين سنةً. وقال الحسنُ بنُ عرفةَ: حدَّثني عمارُ بنُ محمدٍ، عن سعيدِ بنِ محمدٍ الحنظليِّ، عن أبي جعفرٍ محمدِ بنِ عليٍّ قال: نادَىٰ منادٍ في السماءِ يومَ بدرٍ - يقالُ له: رضوانُ -: لا سيفَ إلَّا ذو الفَقَارِ، ولا فتًى إلَّا عليٌّ. قال ابنُ عساكرَ: وهذا مرسلٌ، وإنَّما تنفَّل رسولُ الله ﷺ سيفَه ذا الفَقَار يومَ بدرٍ ثم وهَبه مِن عليٍّ بعدَ ذلك. وقال يونسُ بنُ بكيرٍ، عن مسعرٍ، عن أبي عونٍ، عن أبي صالحٍ، عن عليٍّ قال: قيل لي يومَ بدرٍ ولأبي بكرٍ قيل لأحدِنا: معك جبريلُ، ومع الآخرِ ميكائيلُ. قال: وإسرافيلُ مَلَكٌ عظيمٌ يشهَدُ القتالَ ولا يقاتِلُ ويكونُ في الصفِّ[٣].

---

(١) إسناده ضعيف: أخرجه أحمد (٤/ ٣٦٨) ثنا وكيع عن شعبة عن عمرو بن مرة به وقد رواه أحمد في مواطن أخرىٰ ولفظ «أول من صلىٰ» في نفس المصدر وكلاهما من طريق أبي حمزة.
وأبو حمزة هذا لم يرو عنه غير عمرو بن مرة كما قال ابن معين وقال الحافظ في «التهذيب» (٣/ ٢٢): وثقه النسائي.
قلت: «محمد» أخشىٰ أن يكون هذا سبق قلم من الحافظ فقد ذهبت إلىٰ «سنن النسائي» في الموضع الذي قال الحافظ إن النسائي وثقه فيه فلم أجده وقد رواه في «المجتبىٰ» (٢/ ١٩٩) و«الكبرىٰ» في ثلاثة مواطن (٥٦٩، ١٢٨٨، ٣٦٦٤) فلم أجد هذا التوثيق الذي أشار إليه وأما الحافظ المزي فلم يذكر أن النسائي وثقه.
وأما رواية البخاري له فقد روىٰ له البخاري في «صحيحه» (٣٧٨٧)، (٣٧٨٨) في «فضائل الأنصار» وروىٰ له مقرونًا بغيره والله أعلم، وللحديث طرق كثيرة لا يصح منها شيء راجعها في تحقيق «مسند أحمد» (١٩٢٨١).
(٢) ووافق المؤلف علىٰ هذا ابن الجوزي في «الموضوعات» (١/ ٣٤٦) وغيره.
(٣) راجع الكلام عليه في تحقيقي لكتاب «المصاحف».

وشهد عليٌّ أُحُدًا، وكان على الميمنة ومعه الرايةُ بعدَ مصعب بن عُمَير، وعلى الميسرة المنذرُ بنُ عمرو الأنصاريُّ، وحمزةُ بنُ عبد المطلب على القلب، وعلى الرَّجَّالة الزبيرُ بنُ العوام، وقيل: المقدادُ بنُ الأسود. وقد قاتَل عليٌّ يومَئذٍ قتالاً شديدًا، وقتَل خلقًا من المشركين، وغسَل عن وجه النبيِّ ﷺ الدمَ حينَ شُجَّ يومَئذٍ في رأسه وكُسِرَت رَبَاعِيَتُه.

وشهد يومَ الخندق فقتَل يومَئذٍ فارسَ العرب وأحدَ شجعانهم المشاهير، عمرَو بنُ عبد وُدٍّ العامريَّ، كما قدَّمنا ذلك.

وشهد الحُدَيْبِيَةَ وبيعةَ الرضوان، وشهد خيبرَ وكانت له بها مَواقفُ هائلةٌ، ومشاهدُ طائلةٌ؛ منها أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «لأُعطِيَنَّ الرايةَ غدًا رجلاً يُحبُّ اللهَ ورسولَه، ويُحبُّه اللهُ ورسولُه». فبات الناسُ يَدُوكُون لَيْلَتَهم أيُّهم يُعطاها، فدعا عليًّا - وكان أرْمَدَ - فدعا له، وبصَق في عينَيه فلم يرمَدْ بعدَها، فبرَأ وأعطاه الرايةَ، ففتَح اللهُ على يدَيه، وقتَل مَرْحَبًا اليهوديَّ[1]. وذكَر محمدُ بنُ إسحاقَ، عن عبد الله ابن حسن، عن بعض أهله، عن أبي رافع أنَّ يهوديًّا ضرَب عليًّا فطرَح تُرْسَه، فتناوَل بابًا عندَ الحصن فَتَتَرَّس به؛ فلم يَزَلْ في يده حتى فتَح اللهُ على يده ثم ألقاه من يده. قال أبو رافع: فلقد رأيتُني أنا وسبعةٌ معي نَجْهَدُ أن نقلبَ ذلك البابَ على ظهره يومَ خيبرَ فلم نستطعْ. وقال ليثٌ، عن أبي جعفر، عن جابر أن عليًّا حمَل البابَ على ظهره يومَ خيبرَ حتى صعِد المسلمون عليه ففتَحوها، فلم يَحمِلْه إلاَّ أربعون رجلاً[2] ومنها أنَّه قتَل مَرْحبًا فارسَ يهودَ وشُجاعَهم.

وشهد عليٌّ، رضي اللهُ عنه، عُمْرَةَ القضاء، وفيها قال له النبيُّ ﷺ: «أنتَ منِّي، وأنا منك»[3].
وما يذكُره كثير من القُصّاص في مقاتَلَته الجنَّ في بئر ذات العلم - وهو بئرٌ قريبٌ من الجُحفة - فلا أصلَ له، وهو من وضع الجهَلَة من الإخباريِّين فلا يُغترُّ به.

وشهد الفتحَ وحُنينًا والطائفَ، وقاتَل في هذه المشاهد قتالاً كثيرًا، واعتمَر من الجِعْرانة مع رسول الله ﷺ، ولمَّا خرَج رسولُ الله ﷺ إلى تبوكَ واستخلَفَه على المدينة قال: يا رسولَ الله أتُخَلِّفُني مع النساء والصبيان؟ فقال: «ألاَ ترضَى أن تكونَ منِّي بمنزلة هارونَ من موسى، غيرَ أنَّه لا نبيَّ بعدي»[4].

وبعثَه رسولُ الله ﷺ أميرًا وحاكمًا على اليمن، ومعه خالدُ بنُ الوليد، ثم وافَى رسولَ الله ﷺ عامَ حَجَّة الوَداع إلى مكةَ، وساق معه هَدْيًا، وأهلَّ كإهلال النبيِّ ﷺ فأشركَه في هَدْيِه، واستمرَّ على إحرامه، ونحرا هَدْيَهما بعدَ فراغ نُسُكهما، كما تقدَّم.

ولمَّا مرض رسولُ الله ﷺ قال له العباسُ: سَلْ رسولَ الله ﷺ فيمن الأمرُ بعدَه؟ فقال: والله لا

(١، ٢) تقدم.
(٣) تقدم.
(٤) تقدم.

أسأله، فإنَّه إن منَعَناها لا يُعطيناها الناسُ بعدَه أبدًا[1] . والأحاديثُ الصحيحةُ الصريحةُ دالَّةٌ على أنَّ رسولَ الله ﷺ لم يُوصِ إليه ولا إلى غيره بالخلافة، بل لَوَّح بذكرِ الصِّدِّيق، وأشار إشارةً مُفهِمةً ظاهرةً جدًّا إليه، كما قدَّمنا ذلك ولله الحمدُ. وأمَّا ما يفتَريه كثيرٌ من جهلة الشِّيعة والقُصَّاص الأغبياء، من أنَّه أوصى إلى عليٍّ بالخلافة، فكَذِبٌ وبَهْتٌ وافتراءٌ عظيمٌ يلزمُ منه خَطأٌ كبيرٌ؛ من جَوْرِ الصحابة وتَمالُئهم بعدَه، عليه السلامُ، على ترك إنفاذِ وصيَّته وإيصالِها إلى مَن أوصَى إليه، وصَرْفِهم إيَّاها إلى غيره، لا لمعنًى ولا لسببٍ، وكلُّ مؤمنٍ بالله ورسوله يتحققُ أنَّ دينَ الإسلام هو الحقُّ، يعلَمُ بُطلانَ هذا الافتراء؛ لأنَّ الصحابةَ كانوا خيرَ الخلقِ بعدَ الأنبياء، وهم خيرُ قرونِ هذه الأُمة، التي هي أشرفُ الأُمم بنصِّ القرآن، وإجماعِ السَّلَف والخلَف، في الدنيا والآخرة، ولله الحمدُ.

وما يقُصُّه بعضُ القُصَّاص من العَوامِّ وغيرِهم في الأسواقِ وغيرِها، من الوصيةِ لعليٍّ بآدابٍ وأخلاقٍ في المأكَلِ والمَشرَبِ والملبَسِ، مثلَ ما يقولون: يا عليُّ لا تَعتَمَّ وأنت قاعدٌ، يا عليُّ لا تلبَسْ سَراويلَك وأنت قائمٌ، يا عليُّ لا تُمسِكْ عِضادَتَي الباب، ولا تجلِسْ على أُسكُفَّة الباب، ولا تَخِطْ ثوبَك وهو عليك. ونحوَ ذلك، كلُّ ذلك من الهَذَيانات فلا أصلَ له، بل هو اختلاقٌ وكذِبٌ وزُورٌ.

ثم لمَّا مات رسولُ الله ﷺ كان عليٌّ في جُملة مَن غسَّله وكفَّنه ووَلِي دفنَه، كما تقدَّم ذلك مفصَّلاً. ولله الحمدُ والمنَّةُ[2] .

وسيأتي في باب فضائله ذكرُ تَزويجه بفاطمةَ بعدَ وقعة بدرٍ، فوُلِد له منها حسنٌ وحسينٌ ومُحَسِّنٌ. كما قدَّمْنا. وقد ورَدتْ أحاديثُ في ذلك لا يصحُّ كثيرٌ منها بل أكثرُها من وضعِ الرَّوافضِ والقُصَّاص.

ولمَّا بُويع الصديقُ يوم السَّقيفة كان عليٌّ من جُملة مَن بايَع بالمسجد، كما قدَّمنا. وكان بينَ يدَي الصديق كغيره من أُمراء الصحابة يَرى طاعتَه فرضًا عليه، وأحبَّ الأشياء إليه، ولمَّا تُوُفِّيت فاطمةُ بعدَ ستة أشهرٍ، وكانت قد تغضَّبت بعضَ التَّغَضُّب على أبي بكرٍ، بسببِ الميراث الذي فاتَها من أبيها، عليه السلامُ، ولم تكن اطَّلَعت على النَّصِّ المختصِّ بالأنبياء وأنَّهم لا يُورَثُون، فلمَّا بلغَها سألَتْ أبا بكرٍ أن يكونَ زوجُها ناظرًا على هذه الصدقة، فأبَى ذلك عليها، فبَقِي في نفسِها شيءٌ، كما قدَّمنا، واحتاجَ عليٌّ أن يُداريَها بعضَ المُداراة، فلمَّا تُوفِّيت جَدَّد عليٌّ البيعةَ مع الصديق، رضِي اللهُ عنهما، فلمَّا تُوُفِّي أبو بكرٍ وقام عمرُ في الخلافة بوصيةِ أبي بكرٍ إليه بذلك، كان عليٌّ من جُملة مَن بايَعه، وكان معه يُشاوِرُه في الأمور، ويُقالُ: إنَّه استَقْضاه في أيام خلافته، وقدم معه في جُملة ساداتِ أُمراء الصحابة إلى الشام، وشهد خطبتَه بالجابية، فلمَّا طُعِن عمرُ وجعَل الأمرَ شورَى في ستةٍ أحدُهم عليٌّ، ثم خُلِص منهم بعثمانَ وعليٍّ - كما قدَّمْنا - فقُدِّم عثمانُ على عَليٍّ، سمِع وأطاع، فلمَّا قُتِل

(١) تقدم. (٢) تقدم.

عثمانُ يومَ الجمعة لثمانِ عَشْرَةَ خلتْ من ذي الحِجَّةِ سنةَ خمسةٍ وثلاثين، على المشهورِ، عدَلَ الناسُ إلى عليٍّ فبايَعوه قبل أنْ يُدفَنَ عثمانُ، وقيلَ: بعدَ دفنه. كما تقدَّم، وقد امتنَع عليٌّ من مُبايعتِهم، وفرَّ منهم إلى حائطِ بني عمرِو بنِ مَبذُولٍ، وأغلَق بابَه وامتنَع من قَبولِ الإمارةِ حتى تكرَّر قولُهم، فجاء الناسُ فطرَقوا البابَ وولَجُوا عليه، وجاءُوا معهم بطلحةَ والزبيرِ، فقالوا له: إنَّ هذا الأمرَ لا يمكِنُ بقاؤُه بلا أميرٍ، ولم يَزالوا به حتى أجابَ.

ذكرُ بَيْعةِ عليٍّ رضِي اللهُ عنه بالخلافة

فيُقالُ: إنَّ أولَ مَن بايَعه طلحةُ بيدِه اليُمنى وكانت شَلَّاءَ من يومِ أُحُدٍ - لَمَّا وقَى بها رسولَ الله ﷺ - فقال بعضُ القومِ: واللهِ إنَّ هذا الأمرَ لا يَتِمُّ. وخرَج عليٌّ إلى المسجدِ فصعِد المنبرَ وعليه إزارٌ وعِمامةٌ خزٌّ، ونعلاه في يدِه، يتوكَّأُ على قوسِه، فبايعَه عامةُ الناسِ، وذلك يومَ السبتِ التاسعَ عَشَرَ من ذي الحِجَّةِ سنةَ خمسٍ وثلاثين، ويُقالُ: إنَّ طلحةَ والزبيرَ إنَّما بايعاه بعد أن طلَبهما وسألاه أن يُؤمِّرَهما على البصرةِ والكوفةِ، فقال لهما: بل تكونان عندي أستأنس بكما.

ومِن الناسِ مَن يزعُمُ أنَّه لم يبايِعْه طائفةٌ من الأنصارِ؛ منهم حسانُ بنُ ثابتٍ، وكعبُ بنُ مالكٍ، ومسلمةُ بنُ مُخَلَّدٍ، وأبو سعيدٍ، ومحمدُ بنُ مسلمةَ، والنعمانُ بنُ بشيرٍ، وزيدُ بنُ ثابتٍ، ورافعُ بنُ خَديجٍ، وفَضالةُ بنُ عبيدٍ، وكعبُ بنُ عُجْرةَ. ذكَره ابنُ جريرٍ، من طريقِ المدائنيِّ، عن شيخٍ من بني هاشمٍ، عن عبدِ اللهِ بنِ الحسنِ. قال المدائنيُّ: حدَّثني مَن سمِع الزُّهْريَّ يقولُ: هرَب قومٌ من المدينةِ إلى الشامِ ولم يبايِعوا عليًّا، ولم يبايِعْه قدامةُ بنُ مظعونٍ، وعبدُ اللهِ بنُ سلامٍ، والمغيرةُ بنُ شعبةَ. قلتُ: وهرَب مروانُ بنُ الحكمِ والوليدُ بن عقبةَ وآخرون إلى الشامِ. وقال الواقديُّ: بايَع الناسُ عليًّا بالمدينةِ، وتربَّص سبعةُ نفرٍ لم يبايِعُوا؛ منهم ابنُ عمرَ، وسعدُ ابنُ أبي وقاصٍ، وصهيبٌ، وزيدُ بنُ ثابتٍ، ومحمدُ بنُ مسلمةَ، وسلمةُ بنُ سلامةَ بنِ وَقْشٍ، وأسامةُ بنُ زيدٍ، ولم يتخلَّفْ أحدٌ من الأنصارِ إلَّا بايَع فيما نعلَمُ.

وذكَر سيفُ بنُ عمرَ، عن جماعةٍ من شيوخِه قالوا: بقيَت المدينةُ خمسةَ أيامٍ بعدَ قَتْلِ عثمانَ وأميرُها الغافقيُّ بنُ حربٍ، يلتَمِسون مَن يُجيبُهم إلى القيامِ بالأمرِ، والمصريون يُلحُّون على عَليٍّ وهو يهرُبُ منهم إلى الحيطانِ، ويطلُبُ الكوفيون الزبيرَ فلا يجدونه، والبصريون يطلُبون طلحةَ فلا يُجيبُهم، فقالوا فيما بينَهم: لا نُولِّي أحدًا من هؤلاءِ الثلاثةِ. فمضَوْا إلى سعدِ ابنِ أبي وقاصٍ فقالوا: إنَّك من أهلِ الشورَى. فلم يقبَلْ منهم، ثم جاءُوا إلى ابنِ عمرَ فأبَى عليهم، فحاروا في أمرِهم، ثم قالوا: إنْ نحن رجَعْنا إلى أمصارِنا بقتلِ عثمانَ من غيرِ إمرةٍ، اختلَف الناسُ في أمرِهم ولم نسلَمْ. فرجَعوا إلى عليٍّ فألَحُّوا عليه، وأخَذ الأشترُ النَّخَعيُّ بيدِه فبايَعه وبايَعه الناسُ، وأهلُ الكوفةِ يقولون: أولُ مَن بايَعه

الأشترُ النخعيُّ. وذلك يومُ الخميسِ الرابعُ والعشرون من ذي الحِجَّة، وذلك بعدَ مراجعةِ الناسِ لهم في ذلك، وكلُّهم يقولون: لا يصلُحُ لها إلاّ عليٌّ. فلمَّا كان يومُ الجمعةِ وصعدَ المنبرَ، بايَعه مَن لم يبايِعْه بالأمسِ، وكان أولَ مَن بايَعه طلحةُ بيدِه الشلاءِ، فقال قائلٌ: إنَّا لله، وإنَّا إليه راجعون. ثم الزبيرُ، ثم قال الزبيرُ: إنَّما بايَعتُ عليًّا واللُّجُّ على عُنُقي. ثم راح إلى مكةَ فأقام بها أربعةَ أشهرٍ، وكانت هذه البيعةُ يومَ الجمعةِ لخمسٍ بَقِين من ذي الحِجَّة، وكان أولُ خُطْبَةٍ خطَبها أنَّه حمِد اللهَ وأثْنَى عليه، ثم قال: إنَّ اللهَ تعالى أنزَل كتابًا هاديًا بيَّن فيه الخيرَ والشرَّ، فخُذوا بالخيرِ ودعُوا الشرَّ، إنَّ اللهَ حرَّم حُرَمًا مُجْمَلَةً، وفضَّل حُرْمَةَ المسلمِ على الحُرُمِ كلِّها، وشدَّ بالإخلاصِ والتوحيدِ حقوقَ المسلمين، والمسلمُ مَن سلِم المسلمون من لسانه ويده إلاَّ بالحقِّ، لا يحِلُّ أذَىٰ مسلمٍ إلاَّ بما يجبُ، بادِروا أمرَ العامةِ، وخاصةُ أحدِكم الموتُ، فإنَّ الناسَ أمامَكم وإنَّما خلْفَكم الساعةُ تحْدوكم فتخفَّفوا تلحَقوا، فإنَّما يُنْتَظَرُ الناسُ أُخْراهم، اتَّقوا اللهَ عبادَه في عبادِه وبلادِه، ، إنَّكم مسئولون حتى عن البقاعِ والبهائمِ، أطيعوا اللهَ ولا تعصُوه، وإذا رأيْتم الخيرَ فخُذوا به وإذا رأيْتم الشرَّ فدَعُوه: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ [الأنفال: ٢٦]. فلما فرَغ من خطبتِه قال المصريون:

خُـــذْها إليكَ واحْـــذَرَنْ أبا الحَســـنْ ... إنَّـا نُمِـــرُّ الأمْـــرَ إمْـــرارَ الرَّسَنْ

صَـــوْلَةَ أقْـــوامٍ كـــأسْــدادِ السُّــفُن ... بمَشْـــرَفِـــيَّـــاتٍ كـــغُـــدْرانِ اللبَنْ

ونَطْـعُنُ المُلْـكَ بـلِـينٍ كـــالشَّــطَنْ ... حـــتَّى يُمَـــرَّنَّ علـى غـــيْـــرِ عَنَنْ

فقال عليٌّ مُجِيبًا لهم:

إنِّي عَـــجَـــزْتُ عَـــجْـــزَةً لا أعْـــتَـــذِرْ ... سـوفَ أكِـــيسُ بعْـــدَها وأسْــتَـــمِــرّ

أرفَعُ مِـن ذَيـلـيَ مــــا كـنـتُ أجُـــــرّ ... وأجْـــمَـعُ الأمْـــرَ الشَّـــتِـــيتَ المنتَـــشِـــرْ

إنْ لمْ يُشـــاغِـــبْني العَـــجُـــولُ المنتَـــصِـــرْ ... أوْ يتـــركـــوني والـسِّـــلاحُ يُبْـــتَـــدَرْ

وكان على الكوفة أبو موسى الأشعريُّ على الصلاة، وعلى الحرب القَعْقاعُ بنُ عمرو، وعلى الخراجِ جابرُ بنُ فلانٍ المُزَنيُّ، وعلى البصرةِ عبدُ الله بنُ عامرٍ، وعلى مصرَ عبدُ الله بنُ سعدِ بنِ أبي سَرْحٍ، وقد تغلَّب عليه محمدُ بنُ أبي حذيفةَ، وعلى الشامِ معاويةُ بنُ أبي سفيانَ، ونوَّابُه على حمصَ؛ عبدُ الرحمنِ بنُ خالدِ بنِ الوليدِ، وعلى قِنَّسْرينَ حبيبُ بنُ مَسلمةَ، وعلى الأُرْدُنِّ أبو الأعورِ، وعلى فِلَسْطِينَ علقمةُ بنُ حكيمٍ، وعلى أذْرَبِيجانَ الأشعثُ بنُ قيسٍ، وعلى قَرْقيسياءَ جريرُ ابنُ عبدِ الله البجليُّ، وعلى حُلْوانَ عُتَيْبَةُ بنُ النَّهَّاسِ، وعلى ماهَ مالكُ بنُ حبيبٍ، وعلى هَمَذانَ النُّسَيْرُ. هذا ما ذكَره ابنُ جريرٍ من نوّابِ عثمانَ الذي تُوُفِّي وهم نوّابُ الأمصارِ، وكان على بيتِ المالِ عقبةُ بنُ عمرٍو، وعلى قضاءِ المدينةِ زيدُ بنُ ثابتٍ.

ولمَّا قُتِل عثمانُ بنُ عفانَ، خرَج النعمانُ بنُ بَشيرٍ ومعه قميصُ عثمانَ مضمَّخٌ بدمِه، ومعه أصابعُ

نائلةَ التي أُصيبَت حينَ جاحَفَت عنه بيدِها، فقُطعت مع بعضِ الكفِّ، فورَد به على معاويةَ بالشام، فوضَعه معاويةُ على المنبرِ ليَراه الناسُ، وعلَّق الأصابعَ في كمِّ القميص، وندَب الناسَ إلى الأخذ بثأرِ هذا الدمِ وصاحبِه، فتباكَى الناسُ حولَ المنبرِ، وجعَل القميص يُرفَعُ تارةً ويوضَعُ تارةً، والناسُ يتباكَوْن حولَه سنةً، ويَحُثُّ بعضُهم بعضًا على الأخذِ بثأرِه، واعتزَل أكثرُ الناسِ النساءَ في هذا العام، وقام في الناسِ معاويةُ وجماعةٌ من الصحابة معه يُحرِّضون الناسَ على المطالبة بدمِ عثمانَ ممَّن قتَله من أولئك الخوارج؛ منهم عبادةُ بنُ الصامت، وأبو الدرداء، وأبو أمامةَ، وعمرُو بنُ عَبَسَةَ، وغيرُهم من الصحابة، ومن التابعين؛ شريكُ بنُ خُباشةَ، وأبو مسلمٍ الخولانيُّ، وعبدُ الرحمنِ بنُ غَنْمٍ، وغيرُهم من التابعين.

ولمَّا استقرَّ أمرُ بيعةِ عليٍّ دخَل عليه طلحةُ والزبيرُ ورءوسُ الصحابةِ، رضِي اللهُ عنهم، وطلَبوا منه إقامةَ الحدودِ، والأخذَ بدمِ عثمانَ. فاعتذَر إليهم بأنَّ هؤلاءِ لهم مددٌ وأعوانٌ، وأنَّه لا يُمكنُه ذلك يومَه هذا، فطلَب منه الزبيرُ أن يولِّيَه إمرةَ الكوفةِ ليأتيَه بالجنودِ، وطلَب منه طلحةُ أن يُوَلِّيَه إمرةَ البصرةِ ليأتيَه منها بالجنودِ، ليتقَوَّى بهم على شوكةِ هؤلاءِ الخوارجِ، وجهلةِ الأعرابِ الذين كانوا معهم في قتلِ عثمانَ، رضِي اللهُ عنه، فقال لهما: حتى أنظُرَ في هذا.

ودخَل عليه المغيرةُ بنُ شعبةَ على إثرِ ذلك فقال له: إنِّي أرَى أن تُقرَّ عمَّالَك على البلادِ، فإذا أتتْك طاعتُهم استبْدَلْتَ بعدَ ذلك بمَن شئتَ وتركْتَ مَن شئتَ. ثم جاءَه من الغدِ فقال له: إنِّي أرَى أنْ تعزِلَهم لتعْلَمَ مَن يُطيعُك ممَّن يَعْصيك. نعرَض ذلك عليٌّ علَى ابنِ عباسٍ فقال: لقد نصَحك بالأمسِ وغشَّك اليومَ. فبلَغ ذلك المغيرةَ فقال: نعم نصَحتُه فلمَّا لم يقبَلْ غشَشْتُه. ثم خرَج المغيرةُ فلحِق بمكةَ، ولحِق جماعةٌ منهم طلحةُ والزبيرُ بمكةَ، وكانوا قد استأْذَنوا عليًّا في الاعتمارِ فأذِن لهم، ثم إنَّ ابنَ عباسٍ أشار علَى عليٍّ باستمرارِه بنوابِه في البلادِ إلى حينِ يتمكَّنُ الأمرُ، وأن يُقرَّ معاويةَ خصوصًا على الشامِ وقال له: إنِّي أخْشَى إنْ عزَلْتَه عنها أن يطالبَك بدمِ عثمانَ، ولا آمَنُ طلحةَ والزبيرَ أنْ يكِرَّا عليك بسببِ ذلك. فقال عليٌّ: إنِّي لا أرَى هذا، ولكنِ اذهبْ أنت إلى الشامِ فقد ولَّيْتُكَها. فقال ابنُ عباسٍ: إني أخشَى من معاويةَ أنْ يقتُلَني بعثمانَ، أو يحبِسَني لقرابتي منك، ولكنِ اكتُبْ إلى معاويةَ فَمَنِّه وعِدْه. فقال عليٌّ: واللهِ إن هذا ما لا يكونُ أبدًا. فقال ابنُ عباسٍ: يا أميرَ المؤمنين إنَّ الحربَ خُدْعَةٌ كما قال رسولُ اللهِ ﷺ،[1] فواللهِ لئن أطعْتَني لأُوردَنَّهم بعدَ صَدَرِهم. ونهَى ابنُ عباسٍ عليًّا فيما أشار عليه أن يقبلَ من هؤلاءِ الذين يُحَسِّنون له الدخولَ إلى العراقِ، ومفارقةَ المدينةِ، فأبَى عليه ذلك كلَّه، وطاوَع أمرَ أولئك الأمراءِ من أولئك الخوارجِ من أهلِ الأمصارِ.

قال ابنُ جريرٍ: وفي هذه السنة قصَد قسطنطينُ بنُ هِرَقْلَ بلادَ المسلمين في ألفِ مركبٍ، فأرسَل اللهُ عليه قاصفًا من الريحِ فَغَرَّقه اللهُ بحولِه وقوتِه ومَن معه، ولم يَنْجُ منهم أحدٌ إلَّا الملكُ في شِرْذِمَةٍ قليلةٍ من قومِه، فلمَّا دخَل صِقِلِّيَةَ عملوا له حمامًا فدخَله فقتَلوه فيه وقالوا: أنت قتلْت رجالَنا.

---

(١) صح ذلك من كلام النبي ﷺ في صحيح البخاري (٣٠٣٠) مسلم (١٧٣٩) وبوب النووي باب جواز الخداع في الحرب كتاب «الجهاد».

فهرست الجزء السابع